

بجته النايف والترجمة والنشر

شرح ديوان الخليل

للأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ - ١٠٠٠

نشره

عبد السلام هارون

أحمد أمين

القسم الأول

الطبعة الثانية

القاهرة

مطبعة لجنة النايف والترجمة والنشر

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

تصدير

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

نال ديوان الحماسة من الشهرة في العالم العربي ما يستحقه ، ففي الحق أن اختيار أبي تمام كان اختياراً موفقاً ، لأن جامعته شاعر ممتاز مكّنه شعره من أن يختار أحسن ما تقع عليه عينه ، وما تسمعه أذنه . وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعاني ، فكان هذا أيضاً محور اختياره ، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها ، فيعجبه منها معنى أو معنيان ، فيختارها من بين القصيدة الطويلة . وإذا لم يكن بينهما رابطٌ ربط بينهما ، وإذا كانت هناك كلمة نائية غيرها بخير منها ، فكان مختاراً ومنقحاً في وقت واحد ، وكان له أيضاً فضل تبويب الشعر ، فإننا لا نرى أحداً قبله قسّم الشعر هذا التقسيم ؛ فأولا كانت حركة الجمع ، وثانياً كانت حركة الاختيار حيثما اتفق في النظم ، كالمفضليات والأصمعيات ، وفي الذر كما إلى القالي ، ثم جاءت حركة الاختيار المبوب ، وأعل فاحتها كان أبا تمام .

ويظهر أن العادة فشت أولاً في أن يسمى الكل باسم أى جزء حتى في تسمية القرآن . فسميت سورة البقرة لآية فيها في البقرة ، وسورة الأنعام كذلك ، وسورة النمل كذلك ، ثم فشت عادة تسمية الشيء بأوله ، فسمى العين للخليل لأن أول أبوابه باب العين ، وسمى أبو تمام ديوانه بالحماسة كذلك .

وقد جرى المؤلفون على هذا النمط في عصور التاريخ إلى ظهور مختارات البارودي ، وهو تفسير ليس منطقياً كالذي اتبعه بعض الإفرنج في تقسيم الشعر

إلى شعر طبيعة ، وشعر إنسان ، وشعر إلهي مثلاً . وإلا فأنت منطوق في باب الأدب ، وباب الأضياف ، وباب النسب .

قرأت أول عهدي بالأدب شرح ديوان الحماسة هذا للتبريزي فلم يعجبني ، لأن التبريزي نحوي لغوي أكثر منه أديباً وناقداً ، فكنت أقرأ الشرح أحياناً وأنا متعطش جداً لأفهم معنى بيت فلا أجده ، لأنَّ الشارح انصرف إلى شيء آخر . ثم عثرت على تنف للرزوقي فرأيتها تسدُّ هذا النقص ، ثم قرأت شرحه على مشكلات أبي تمام ، فرأيتُه إماماً عظيماً لا يهرَّب من المشاكل ، ولكن يتصدَّى لها ، فوددت أن لو عُثِرَ على شرحه لديوان الحماسة ونشر ، لأنه يكمل نقص التبريزي ، فلما عثر عليه وجدته فوق ما أنوَّع ، ووجدتُ له مقدِّمة في النقد لم أر مثلاًها في اللغة العربية ، فكم كنّا نقرأ في كتب الأقدمين عن « عمود الشعر » ونحفظ الكلمة ولا نفهم معناها حتى شرحها للرزوقي شرحاً دقيقاً وافيّاً ، وكَم له من حسنات أخرى غير هذه . فإخراجه للقراء يسد ثلثة ، ويكمل نقصاً .

والحق أن أبا تمام كان بارعاً في اختياره ، حتى كان شادى الأدب يحفظه أول ما يحفظ ، حتى متعلِّمو النثر قد نصَّحهم علماء الأدب أن يقبلوه ثراً مع محافظتهم على المعاني ، ولقد ألف بعضهم ثراً كاملاً للديوان — وهو أبو سعيد علي بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ — وأوصوهم أن ينسوه إذا ثروه لتبقى معانيه في اللاوعي يستمد منها صاحبها عند الضرورة . وكَم ألفت مختارات من عهده إلى اليوم ، ولكن لم يُحَظَّ منها ما حظى ديوان الحماسة .

وكتب الأدب والنحو والصرف مليئة بتعبيرها : « قال في الحماسة » .
ويكفي هذا إشارة لأبي تمام وكتابه .

وكما برع فيه أبو تمام ، برع شارحه المرزوقي ، فوقى الكلام حقه لغة
ونحواً و صرفاً ومعنى ونقدأ ، فالكتاب فى مَتْنِهِ وشرحه رغبة الأمل ،
وبغية المتأدب .

وقد اشتركت فى إخراجہ مع الأستاذ المحقق « عبد السلام محمد هارون » .
والحق يقال أن كان له حظ فى نشره أكبر من حظى ، فله الشكر على ما بذل
من جهد فى إخراج الكتاب ؛ وفى نسبه ماورد فى الشرح إلى قائله ، والتعريف
بأعلام الشعراء وغيرهم ؛ وتصحيح ما حصل فيه من خطأ الناسخ ، ووضع
فهارسه الفنية ، فالله يجزيه عنا وعن الأدب خير الجزاء .

أحمد أمين

تقديم

كتب الاختيار :

لعل أقدم ما وصل إلينا من كتب الاختيار هو « القصائد المفضليات » التي صنعها المفضل الضبي ، وهو اختيار لقصائد طويلة من عيون الشعر ، لم يرتبها المفضل على أبواب خاصة ، ولا قصد أن يجمع الشعر الذي يتناول أغراضاً معينة ، وإنما هو اختيار الذوق الأدبي والجزالة اللغوية ، فيما تراءى له في ذلك العصر .

وقد ظهر بعده من كتب الاختيار التي على هذا النمط « الأصمعيات » لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، و « جهرة أشعار العرب » لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، و « مختارات شعراء العرب » لأبي السعادات ابن الشجري .

وهناك ضرب آخر من كتب الاختيار بدأه أبو تمام بديوان الحماسة وجرى فيه على تبويب معاني الاختيار . وحذا حذوه البحتري مع بعض الريبة في نسبة الحماسة إليه^(١) ، وكذا الخالديان ، وابن الشجري ، وأبو هلال العسكري ،

(١) من اطلع على دقة تقسيم الأبواب في الحماسة المنسوبة إلى البحتري وكثرة ضروبها وأنواعها التي بلغت ١٧٤ باباً رآه أن يكون ذلك من صنع مثل البحتري . وكما صنع أبو تمام حماسة لآل سلمة ، صنع البحتري حماسة للفتح بن خاقان . ونجد في صدر نسخة ليدن من حماسة البحتري هذا النص : « اختاره من أشعار العرب للفتح بن خاقان معارضة لكتاب الحماسة الذي ألفه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحمه الله وعفا عنهما . رواية أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبي خالد الأحول عن أبيه عن البحتري . على أن البغدادى يشك في نسبة الحماسة إلى البحتري ، ففي الخرافة (٣ : ٥٩١) بعد أن نقل عن العيني قوله : « ذكره البحتري في حماسه » : « ولم نسمع أن البحتري حماسة » .

هو الأعم الشنتمرى ، وأبو الحجاج يوسف بن محمد البياسى الأندلسى ، وأبو الحسن
على بن أبى الفرج البصرى ، فى دواوينهم المعروفة بالحماسات .

اسم ديوان الحماسة :

ليس يُدرى أمر هذه التسمية ، أمى من صنيع أبى تمام نفسه ، أم هى
عرف جرى بين الأدباء ، وشهرة سارت على وجه الدهر حتى تأدت إلينا جيلا
بعد جيل . فليس هذا الديوان ديوان حماسة فحسب ، ولكنه يجمع إلى الحماسة
المراثى ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف ، والمدح ، والسير
والنعاس ، والملح ، ومذمة النساء .

والظاهر أن أبا تمام سماه بأول أبوابه وأعظمها .

ويقول التبريزى فى مقدمة شرحه للحماسة إن أبا تمام قد صنف خمسة
كتب فى الشعر ، منها كتاب الحماسة ، وكتاب الوحشيات .

وقد عثرت على نص فى المؤلف ١٨١ فيه : « ومنهم المثلث بن عمرو
التنوخى أنشد له الطائى فى اختياره الذى سماه الحماسة » . ومن هذا النص يفهم
أن صاحب التسمية هو أبو تمام نفسه .

والذى يقرن بين الحماسة والوحشيات يجد بينهما شهما كبيراً فى التبويب ،
فهى تشتمل على الحماسة ، والمراثى ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والسباحة ،
والأضياف ، والصفات ، والمشيب ، والملح ، ومذمة النساء .

وكما أطلق على الاختيار الأول اسم الحماسة الكبرى ، أطلق على الاختيار
الثانى اسم الحماسة الصغرى . وجاء فى مقدمة ناسخه : « وهذا الكتاب اختاره
أبو تمام حبيب بن أوس الطائى رحمه الله بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى ،
ويرويه ، ولكن وجد بعده مكتوباً فى مسودة بخطه مترجماً بكتاب الوحشيات » .

ولقد رأيت أن هذه التسمية صارت شهرة لكتب الاختيار التي بوّبت لمعاني الشعر ، وأن هذه الشهرة قديمة جداً ، ولا سيما أنها قد أطلقت على حماسية البحترى ، وهو قريب العهد والمعاصرة لأبي تمام .

وقد عرف هذه التسمية ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ إذ يقول في مقدمة (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة) : « وقد أجبتهك — أيدك الله — إلى ملتصك من عمل ما في الحماسة من إعراب ، وما يلحق به من اشتقاق أو تصرف » .

تاريخ حماسية أبي تمام :

يقولون في أمثالهم : « رب ضارة نافعة » . وهكذا كانت الحال مع أبي تمام في صنعه لديوان الحماسة . وقد اقتصر لنا التبريزي في مقدمة شرح الحماسة أن أبا تمام كان قد قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، فدحه وأثابه ، وعاد من خراسان يريد العراق . فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فغم أبا تمام ذلك وأخرج صدره ، على حين سر ذلك مضيفه أبا الوفاء ، فأقبل على أبي تمام وقال له : وطن نفسك على هذا المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان . وأحضره خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها ، وصنّف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات ، وهي قصائد طوال ^(١) .

ويقول التبريزي : « إن كتاب الحماسة بقي في خزائن آل سلمة يضمنون به ولا يكادون يبرزونه لأحد حتى تغيرت أحوالهم . وورد هذان رجل من أهل دینور يعرف بأبي العواذل ، فظفر به وحمله إلى أصبهان ، فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه ، فشهروا فيهم ثم فيمن يليهم » .

(١) هكذا ذكر التبريزي . وقد رجعت إلى الوحشيات مصورة دار الكتب المصرية بمرقم ٢٢٩٧ أدب فوجدتها مقطوعات على غرار الحماسة ، وإن كانت تمتاز ببعض الطول .

وقد نفهم من نص التبريزي : « ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه » أن أبا تمام قد سبق في هذا الضرب من الاختيار ، وأرى أنه إنما يعني مطلق كتب الاختيار كالمفضليات ، والأصمعيات ، والمعلقات .

عمل أبي تمام في الحماسة :

صب أبو تمام ذوقه الفنى على ما وصل إليه من أشعار العرب ، فاختار لكل باب من أبواب الحماسة ما ارتضاه ذوقه ، وعنى عناية خاصة بشعراء طي فكان قسطهم في اختياره قسطا كبيرا . وقد لحظ العلماء أن أبا تمام يعمد أحيانا إلى تغيير نصوص الشعر ، ليستقيم له أن يربط بين الأبيات التي تفككت ، أو ليستر عوار نقيصة يشين وجه الحسنة من مقطوعاته . وفي ذلك يقول المرزوقي ^(١) :

« وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، الحبيب لكل دأع ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ونحضرهم ، وإسلاميهم ومولدهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترف الأثمار دون الأكمام ، وجمع ما يوافق نظمه وبخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتر عنه ؛ حتى إنك تراه ينتهى إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيضته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده ، وهذا يبين أن رجوع إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها . »

وهذه التهمة : تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها ، والتي يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه بما يظهرها ويقويها كان جديرا بها أن تنزل بقيمة الحماسة باعتبارها نصوصا يستشهد بها في علوم اللغة والعربية ، ولـكنا نحمد العلماء مجمعين على تزكية أبي تمام في الحماسة ، وعلى تزكية الحماسة ونصوصها ، بل يعدون

(١) في المقدمة ١٣ - ١٤ .

صنيعه في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه والاستشهاد بشعره . وفي ذلك يقول الزمخشري^(١) : « وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل على هذا بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لو ثوقهم بروايته وإتقانه » .

زيادات الحماسة :

وجدت نصا في الخزانة (٣ : ٣٥٢) عن ابن المستوفى ، قال وهو يتكلم في نسبة بعض الأبيات : « ووجدتها أيضا في نسخة قديمة ذكر كاتبها أنها زيادات الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن في ربيع الآخر سنة ٣٩٨ ، ونسبها - أى الأبيات - لمرداس بن عمرو . قال : وتروى للأخطل » . ولست أدري أمر هذه الزيادات ، هل هي من صنيع أبي تمام ، أم من صنيع غيره .

سراج الحماسة :

هذه الشهرة الطائرة لصانع الحماسة أبي تمام ، وذلك الاختيار الموفق الذي عمّد فيه أبو تمام إلى الأشعار التي يحتج بها في اللغات والعربية والمعاني ؛ ذلك الاختيار الذي انتزع إعجاب القدماء حتى يقول المرزوقي : « وقع الإجماع من النقد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ، ولا في اختيار المقصّدات أوفى مما دوّنه المفضل ونقده » ، ويقول التبريزي : « قالوا : إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره » .

هذه الدوافع جميعا دعت الأدباء من قديم الزمان أن يُعَنُوا عناية صادقة بدراسة هذه المجموعة الشعرية ، وأن يتصدى لها جبهة منهم بالتفسير والتوضيح والإعراب .

وقد حفظ لنا صاحب كشف الظنون أسماء عشرين ممن شرحوا الحماسة ،

(١) انظر الخزانة (١ : ٤ طبع بولاق) .

وقد رتبهم على وفياتهم ، وأذكر في هذه للناسبة أن وفاة أبي تمام كانت في سنة ٢٣١ .

١ — أبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ . وهو أول جامع لشعر أبي تمام .

٢ — وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ . وقد سمي شرحه « التنبيه على شرح مشكلات الحماة » . وقد استحضر معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة جيدة منه ، من مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٣٦٩ مكتوبة في سنة ٥٩٤ . وقد استعفت بهذه النسخة واقتبست منها ما دعت الضرورة إليه في التحقيق . وفي اللوح ٢٢ ما يفيد أنه ألفه بعد سر الصناعة . ومن هذا الكتاب نسخة جيدة بدار الكتب المصرية برقم ٤٤ أدب كتبت سنة ٦٨٢ .

٣ — وأبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى صاحب الموازنة ، المتوفى سنة ٣٧١ .

٤ — وأبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى ، المتوفى سنة ٣٩٥ . وشرحه هو أحد الشروح التى اعتمد عليها التبريزى في تأليفه . ويمتاز هذا الشرح بعنايته بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء ، وتوضيح بعض ما غرض في ذلك ، مع العناية ببيان اشتقاق أسمائهم .

٥ — وأبو المظفر محمد بن آدم المروى المتوفى سنة ٤١٤ .

٦ — وأبو على أحمد بن محمد المرزوق المتوفى سنة ٤٢١ ، وهو صاحب هذا الشرح الذى نشره .

٧ — وأبو عبد الله الخطيب الإسكافى ، صاحب مبادئ اللغة ، المتوفى سنة ٤٢١ .

٨ — وأبو الحسن على بن سيده ، اللغوى المشهور ، المتوفى سنة ٤٥٨ ، وهو شرح كبير في ست مجلدات ، سماه « الأنيق » .

- ٩ - وأبو القاسم زيد بن علي الفسوي المتوفى سنة ٤٦٧ .
 ١٠ - وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي المتوفى سنة ٤٧٥ .
 ١١ - وعبد الله بن أحمد الساماني المتوفى سنة ٤٧٥ .
 ١٢ - والأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ .
 وهو كبير في ست مجلدات .

- ١٣ - وأبو بكر بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٤٧٦ .
 ١٤ - وعبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخيري المتوفى سنة ٤٧٦ لا سنة
 ٥٨٤ كما ذكر صاحب كشف الظنون .

- ١٥ - وأبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ .
 وقد فسر الحاشية ثلاث مرات ، كما ذكر صاحب كشف الظنون ، قال :
 « شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها ، وشرح ثانيا
 بيتا بيتا ، ثم شرح شرحا طويلا مستوفيا . وأول المتوسط : « أما بعد حمد الله
 الذي لا يبلغ صفاته الواصفون » .

ومما هو جدير بالذكر أن شرح التبريزي المتداول - بهذا الاعتبار -
 هو الشرح المتوسط ، أما الصغير فنه قطعة بدار الكتب برقم ١١٩٥ تشمل
 باب الحاشية . وأما الكبير فما لم نهتد إلى معرفته .

وقد طبع شرح التبريزي ثلاث مرات إحداها في مدينة « بن » سنة ١٨٢٨
 بتحقيق المستشرق « غيورغ ولهم فريتنغ » Dr. Georg. Guil. Freytag
 المعلم في المدرسة السكلية الفريدرخولهيمية^(١) .

وقد ألحق بنسخته فهارس للأعلام واللغة والقوافي .
 وطبع مرة أخرى في بولاق ١٢٩٦ بتصحيح الشيخ محمد قاسم ، ومرة ثالثة
 بتحقيق الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وذلك في سنة ١٣٥٧ .

(١) هذا هو المکتوب في صدر النسخة المطبوعة ، أثبتته كما هو .

وقد صنع له كذلك عدة فهارس نافعة .

١٦ — وأبو الحسن مسعود على البيهقي المتوفى سنة ٥٤٤ .

١٧ — وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون

الحضرمي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨٤ .

١٨ — وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، شارح ديوان المتنبي ،

المتوفى سنة ٦١٦ . وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب .

١٩ — وأبو نصر منصور بن مسلم بن علي الحلبي ، والمعروف بابن الدميك ،

لم يذكره تاريخ وفاته . قال ياقوت : صنع تئمة لما قصّر فيه ابن جني في شرح الحماسة .

٢٠ — وأبو علي حسن بن علي الاستراباذي النحوي .

٢١ — وأبو نصر قاسم بن محمد النحوي .

٢٢ — هذا ما عرّفه صاحب كشف الظنون من شروح الحماسة ، عرضته

بعد تحقيقه وتصحيحه والتعليق عليه .

على أن أول شارح للحماسة فيما نعلم ، هو أبو ريش أحمد بن إبراهيم الشيباني

المتوفى سنة ٣٣٩ . وهو شيخ أبي عبد الله النمرى ^(١) ، خلافا لما نص البغدادى ^(٢)

أن أول شارح لها هو أبو عبد الله النمرى . وقد نقل البغدادى نصوصا من هذا

الشرح في مواضع يسيرة من الخزانة ، على حين أكثر التبريزي من النقل عنه

في شرحه للحماسة . ويفهم من تتبع نصوصه أن معظمها في الأخبار والأسباب

التي قيل من أجلها الشعر ، وهي زاوية مهمة حقا في تفهم أسرار الحماسة .

٢٣ — وكما صنع أبو ريش تفسير الحماسة ، صنع تلميذه أبو عبد الله النمرى ^(٣)

(١) إنباه الرواة (١ : ٢٥) مع الحواشي . ونزهة الألباء ٤٠١ .

(٢) في الخزانة (٣ : ٥٤١) .

(٣) نزهة الألباء ٤٠١ - ٤٠٣ .

كتاباً في « مشكلات الحماسة » . ومن هذا الكتاب نصوص في مواضع متفرقة من الخزانة . والتبريزي في شرحه يورد نصوصاً من هذا الكتاب ثم يعقبها برد أبي محمد الأعرابي عليها وتخطئته لها في تهكم ، معتمداً على شيخه أبي الندى ، في أكثر الأمور .

٢٤ — وما تقدم يعلم أن أبا محمد الأعرابي قد صنع نقداً لشرح النمرى . ومن هذا الكتاب نسخة برقم ٨٠ أدب ش ، وأخرى برقم ١٤٨١ أدب بخط الشنقيطي ، والظاهر أنها منقولة من الأولى . واسم هذا النقد « إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي النمرى البصري مما فسرته من أبيات الحماسة أولاً وثانياً جاء في أوله : « قال أبو محمد الأعرابي : حضرت المجلس العادلي العالي — نوره الله — ذات ليلة ، فخرى ذكر أبي عبد الله النمرى رحمه الله ، فأنثى عليه بعض الحاضرين وذكر أنه كان شيخ البصرة في زمانه فضلاً ونبلاً ، ودراية ورواية ، قد استخرج معاني الأبيات من أبيات الحماسة هو فيها السابق المبرز ، والجواد المبر ، فقلت : شاكرة أبا يسار ! تأملت ما فسرته الشيخ من تلك الأبيات أولاً وثانياً ، فوجدت في خلال ذلك خلافاً كثيراً ، إما قصوراً وإما تقصيراً ، فقال لي :

* عنتا باطلا وظلماً (١) *

إن كنت صادقاً فيما تدعيه فجرد لنقيضها كتاباً يدل على صحة دعواك ، وقد أمهلتك سنة . فأملت كتاباً هذا بعون الله في مدة أسبوع ، وبينت مواضع الزلل فيما فسرته أبو عبد الله ، وأثبت الصواب تحت كل بيت ، وجعلت ذلك خدمة للمجلس العادلي العالي . وبالله التوفيق .

٢٥ — وقد فات صاحب الكشف أيضاً أن يذكر شيخ المعرة أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري المتوفى سنة ٤٤٩ . ومن هذا الشرح نصوص نقلها التبريزي في شرحه .

(١) للحارث بن حنظلة اليشكري في معاقته . وهو بتمامه :

عنتا باطلا وظلماً كما تدعي - حجة الربيع الظباء

٢٦ — وأشار البغدادى إلى مصنف لأبى على الشلوين . قال ^(١) : « وذكر الشلوين فيما كتب على الحماسة . . . » .

٢٧ — وإلى شرح لأبى الفضل الطبرسى ، وقد نقل البغدادى منه نحو ثلاثين نصا فى مواضع متفرقة ^(٢) .

٢٨ — وهناك شرح حديث منسوب إلى الأديب « محمد سعيد الرافعى » . والحق أنه للمغفور له أستاذنا الشيخ إبراهيم الدجوني . وقد طبع هذا الشرح عدة مرات .
٢٩ — وآخر صنعه المغفور له العلامة الشيخ سيد بن على المرصنى ، بعد تغيير ترتيبه ، وقد طبع منه الجزء الأول سنة ١٣٣٠ .

٣٠ — وآخر صنعه بهاء الدين عبد القادر بن لقمان ، سماه « الرصافة القادرية » . طبع بالهند سنة ١٢٩٩ وبآخره تفسير لبعض الكلمات اللغوية باللغة الإنجليزية . ومن هذا الشرح نسخة بالمكتبة الأزهرية .

وهناك ضرب آخر طريف من التفسير ، عمد فيه صاحبه إلى نثر أبيات الحماسة ، مجليا بذلك معانيها الغامضة . وصاحب هذا التفسير ، هو أبو سعيد على ابن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ . وقد صنع كتابه هذا لبهاء الدولة بن بويه ، وسماه « منشور البهائي ^(٣) » .

موازنة بين شرحى المرزوقى والتبريزى :

على أن الذى يعنيننا من هذه الشروح شرحان . هما شرحا المرزوقى والتبريزى والمرزوقى متقدم على التبريزى ، بين وفاتيهما نحو إحدى وثمانين سنة .

(١) الخزانة (٤ : ٩٢) .

(٢) انظر إقليد الخزانة للراجكوتى ٥٥ .

(٣) كشف الطنون فى رسم (الحماسة) .

إذ كانت وفاة التبريزي في سنة ٥٠٢ من الهجرة . وبعد المرزوقي من أقدم الشراح
إذ كان بين وفاته في سنة ٤٢١ ووفاته أبي تمام في سنة ٢٣١ نحو مائة وتسعين سنة^(١) .

وشرح المرزوقي بعد أكبر الشروح التي وصلت إلينا ، وأكثرها عناية
بمعاني الشعر ، وبالنقد والموازنة ، على حين لم تفته العناية باللغة والاشتقاق ،
وكذا العناية التي لا إسراف فيها بمسائل النحو والتصريف . لكنه قد فاته كثير
من أخبار الشعر ومناسباته ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم وها
الميزتان اللتان امتاز بهما التبريزي عليه . والتبريزي في هذه الناحية الأولى قد
أفاد من شرح أبي رياش للحماسة — ويبدو أن كتاب أبي رياش لم يقع للمرزوقي
حتى يمكنه الانتفاع به كما صنع التبريزي — وفي الناحية الأخرى قد أفاد من
شرح أبي هلال العسكري ، ومن المبهج لابن جني .

والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيرة ، يتكلف لها الصنعة حيناً ، ويعمد آخر
إلى السجع الهين . ومن عجب أن التبريزي ينقل عبارته هذه ذات الطابع الخاص ،
ولا يجهد قلمه في نسبة العبارة إليه إلا في القليل النادر^(٢) . بل إنه في مقدمة كتابه
لم يشر إلى إفادته منه ، مع أن اللوازن بين الشرحين يدهشه التقارب الشديد بين
عبارات التفسير وأتجاهاته ، ثم لا يرتاب في أن التبريزي كان في جمهور شرحه
عالة على المرزوقي .

ومن عجب أيضاً أن التبريزي مع ذلك ينمى على هؤلاء الذين يهملون نسبة
أقوال العلم إلى أصحابها فيقول في تفسير الشطر الثالث من الحماسة ٨٩^(٣) : « قال

(١) ولم يتأخر تأليف المرزوقي لشرح الحماسة عن سنة ٤١٧ . قال ياقوت : « وجدت
خطه على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه وقد قرئ عليه في شعبان سنة ٤١٧ » .

(٢) من ذلك النادر ما ورد عند التبريزي في شرح البيت الأول من الحماسة ٦٩
والثاني من الحماسة ٨٧ والشطر الثالث من الحماسة ٨٨ .

(٣) هي الحماسة ٨٨ عند المرزوقي ، إذ أن هناك خلافاً في ترتيب المقطوعات كما سيأتي .

المرزوقي : وذكر بعض المتأخرين — يعنى ابن جنى — ولم ينصفه حيث لم يسمه
فى كتابه . . . (١) » .

وفى أسلوب المرزوقي أيضاً استطالة عجيبة ، يفصل بين المبتدأ وخبره أو بين
الفعل ومفعوله بعبارة طويلة يضل القارى فى ثناياها حتى يهتدى إلى ارتباط
الكلام (٢) .

ويمتاز شرح المرزوقي بمقدمته النفيسة الجريئة التى تعد وثيقة هامة فى تاريخ
النقد الأدبى : نقد الشعر ونقد النثر ، ضمنها مسائل شتى تتعلق بموازنة النظم والنثر
أيهما أشرف وأعلى قدراً ، ويتبع ذلك الكلام على المقايضة بين منزلة الشاعر
والكاتب ، والعلة فى كثرة الشعراء وقلة النثر ، ولماذا لا يستطيع الأديب أن
يجمع الإجابة فى صناعتى النظم والنثر ؟ وما أثر الصنعة والطبع فى الآثار الأدبية
فى قيمتها وفى جمالها ؟ ومتى تستحسن الصنعة ؟ وما مدى العلاقة بين ذوق
الأديب فيما يصنع بيانه من إنتاج أدبى وفيما يختار من بيان غيره ؟ وهذه المسألة
مبنية على ما صنع أبو تمام فى اختيار الحماسة ، إذ كان ذوقه فى ذلك الاختيار مخالفاً
لذوقه فى نسج شعره وصناعاته مخالفة ظاهرة . وقد أجاد المرزوقي فى جواب هذه
المسألة بما يمدّ مثالا فى البيان ، وغاية فى إصابة الحكم .

وكلمة أخرى فى هذين الشرحين : أن متن الحماسة فيهما يخالف بعضه بعضاً
فى الرواية وعدد الأبيات ، وفى ترتيب المقطوعات وترتيب الأبيات ، بله عدد
المقطوعات . وقد لحظت أن المرزوقي لم يرو الحماسة التى أولها :

(١) مما هو جدير بالذكر أن المرزوقي لا يصرح باسم ابن جنى ، وكأنه كان يستضعفه
ولا يرى مكانه ، وتكاد تكون عبارة « قال بعض » فى شرح المرزوقي يقصد بها ابن جنى
فحسب . وليس يذكر هذه العبارة إلا فى مقام الاعتراض فى أغلب الأمر .

(٢) انظر نموذجاً لذلك ما ورد فى الصفحة الأولى من مقدمته ، إذ فصل بين « جارتين »
وبين « أمر الشعر » بثلاثة أسطر .

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراى
وترتيبها عند التبريزى ١٤ ، ونتج من ذلك أن نجد أن المقطوعات التى تلى
المقطوعة ١٣ يزيد رقمها واحدا عند التبريزى ، على حين نجدها برقم أدنى عند
المرزوقى ، أى إن الحماسة رقم ١٥ عند التبريزى يقابلها رقم ١٤ عند المرزوقى ،
والحماسة ١٦ عند التبريزى يقابلها ١٥ ، عند المرزوقى ، وهم جرا .
كما نجد أن الحماسيتين ١٠٤ ، ١٠٥ فى ترتيب المرزوقى وهما ١٠٦ ،
عند التبريزى — قد تقدمت أولاها على الأخرى عند المرزوقى وتأخرت
عند التبريزى .

وهذه المفارقات راجعة إلى الخلاف فى نسخ الحماسة وروايتها ، وقد وجدت
المرزوقى يقول فى شرحه ^(١) : « وقد رجعنا إلى نسخ مختلفات المصادر ... » ، يعنى
بذلك نسخ الحماسة ، وهو نص صريح فى بيان تعدد نسخ الحماسة .

المرزوقى :

قال صاحب ابن عباد ^(٢) : « فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة : حائك ، وحلاج ،
وإسكاف . فالحائك هو المرزوقى ، والحلاج أبو منصور بن ماشده ، والإسكاف
أبو عبد الله الخطيب بالرى ، صاحب التصانيف فى اللغة » .

وليس يعنى صاحب أن أصبهان لم يبرز منها إلا هؤلاء العباقرة ، ولكنه
عنى أنهم نبغوا من بين أصحاب الصناعات ، وإلا فإن عباقرة أصبهان كثيرون ،
وقد ظهر فيها خول كثير ، منهم قبل المرزوقى أبو الفرج الأصبهانى صاحب
الأغانى المتوفى سنة ٣٥٦ وغيره كثير .

وليس يعرف زمان مولد (أبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى) ،

(١) ص ٢٥٥ من هذا الجزء .

(٢) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) .

ولكن وفاته قد أجمع المترجمون له أنها كانت سنة ٢٤١ لم يشذ منهم أحد .
ولكننا نجد نصا غريباً في نهاية كتاب الأزمئة والأمكنة للمرزوقي^(١) ، وهو :
« فرغت منه ضحوة يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٤٥٣ » . والخطب
في هذا حين ، إذ يبدو أن هذه عبارة الناسخ لا عبارة المرزوقي . يؤيد هذا
إجماع المؤرخين قاطبة على سنة وفاته وعدم اختلافهم في ذلك . ويؤيده أيضاً
ما ورد في نص ياقوت : « وكان — أى المرزوقي — معلم أولاد بني بويه
بأصبهان ، ودخل إليه صاحب فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى صاحب
جفا » . فإذا عرفنا أن ولاية صاحب للوزارة دامت ثمانى عشرة سنة وأن
وفاته كانت في سنة ٣٨٥ وأنتجنا من ذلك أنه تولى الوزارة نحو سنة ٣٦٧ —
إذا عرفنا ذلك كان القول بأن المرزوقي دامت حياته ٨٦ سنة بعد جفاء
الصاحب له ، غاية في البعد والاستحالة ، ولا سيما إذا وجدنا المؤرخين لم يذكر
المرزوقي بأنه كان من المعمرين^(٢) .

سيفه وتلاميذه :

والمؤرخون لا يعرفون للمرزوقي شيخاً إلا أبا عليّ الفارسيّ المتوفى سنة
٣٧٧ . يذكر أن قرأ عليهم كتاب سيديويه ، وتتلذذ له بعد أن كان رأساً
بنفسه^(٣) . والمرزوقي يذكر سماعه منه في مواضع من شرحه^(٤) .

وأما تلاميذه فلم يذكرهم إلا سعيدياً البقال : قال ياقوت : « وكتب
عنه سعيدي البقال ، وأخرجه في معجمه .

ويذكر أن أيضاً أنه اتصل ببني بويه وكان معلم أولادهم .

(١) الأزمئة والأمكنة (٢ : ٣٨٤) .

(٢) وقد عثرت أخيراً على نص في شرح الحماسية ١٦٤ يفهم منه أن المرزوقي صنع كتاب
الأزمئة قبل شرح الحماسة ، أى قبل سنة ٤١٧ . انظر الحاشية الأولى من صفحة ١٦ من التقديم .

(٣) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) . (٤) انظر الحماسية ١٢٣ : ٢ ، ١٣٥ : ٣ .

والمرزوقي يعد في زمرة البصريين ، وهو في مواضع من شرحه^(١) يقول :
« أحبابنا البصريون » .

مؤلفات المرزوقي :

- ١ — شرح الحماسة ، قال ياقوت : « أجاد فيه جدا » . وقال القفطي :
« وهو الغاية في بابه » . وقال ابن شاكر^(٢) : « وهو أحسن شروحا » .
 - ٢ — شرح المفضليات . ومنه نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٤٤٦ .
 - ٣ — شرح القصيح . قال القفطي : « وهو كتاب جميل في نوعه »
 - ٤ — شرح أشعار هذيل .
 - ٥ — كتاب الأزمنة والأمكنة . وقد طبع في مجلدين في حيدر أباد
سنة ١٣٣٢ .
 - ٦ — الأمالى . ومنه قطعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٠٠ أدب .
تكلم فيها على شرح طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، والحكم ،
مع ذكر ما يناسبها من العلوم المختلفة .
 - ٧ — ألقاظ العموم والشمول . منه قطعة بدار الكتب المصرية
برقم ٤١٤٠ أدب .
 - ٨ — شرح اللوجز ، في النحو ، كما ذكر ابن شاكر .
 - ٩ — شرح النحو (!؟) . ذكره ياقوت . والظاهر أنه الكتاب السابق ..
 - ١٠ — وذكر له القفطي كتاباً بعنوان « مفردات متعددة في النحو » ..
- شرح المرزوقي للحماسة :

سمى المرزوقي كتابه هذا « شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي

(١) انظر الحماسية ١٣ : ١ والحماسية ٥٠ : ٤ .

(٢) في عيون التواريخ نسخة دار الكتب في وفيات ٤٢١ .

المعروف بكتاب الحاسة » . وقد أثبت هذه التسمية في صدر مقدمته .
 وفي مكتبات العالم من هذا الكتاب نسخ كثيرة منها في تركيا وحدها
 عشر نسخ ، وفي القاهرة نسختان : إحداهما في دار الكتب المصرية ، والأخرى
 في التيمورية الملاحقة بدار الكتب . وفي كل من برلين ، وليدن ، والمتحف
 البريطاني ، والموصل ، وطهران نسخة واحدة . فهي سبع عشرة نسخة ،
 وإليك أرقامها :

- ١ — نسخة كوبرلي برقم ١٣٠٨ — ١٣١١
- ٢ — » نور عثمانية برقم ٣٩٩٩ — ٤٠٠١
- ٣ — » أيا صوفيا برقم ٤٠٥٨
- ٤ — » لاله لي برقم ١٨١٠ — ١٨١٣
- ٥ — » الفاتح برقم ٣٩٤١ — ٣٩٤٤
- ٦ — » بايزيد برقم ٢٦٠٤
- ٧ — » عاطف برقم ٢١٤٦
- ٨ — » المكتبة العمومية برقم ٥٣٩٢ ، ٥٣٩٣ ، ٥٥٤٧
- ٩ — » فيض الله برقم ١٦٤٤
- ١٠ — » برلين برقم ٧٤٤٩
- ١١ — » ليدن برقم ٦٠٣
- ١٢ — » المتحف البريطاني برقم ٥٦٨ — ٥٦٩
- ١٣ — » الموصل (مخطوطات الموصل ١٩٠)
- ١٤ — » طهران (الجزء الثاني ٢٨٨)
- ١٥ — » دار الكتب المصرية برقم ٣٠٦ أدب
- ١٦ — » مكتبة تيمور باشا برقم ١٠٢٧ شعر . وهذه النسخة لم يعرفها
 بروكلمان .

١٧ — نسخة روان كشك الملحقة بمكتبة طوب قبو سراى ، ورقها ٧٠٦
وهذه النسخة لم يعرفها بروكلمان أيضاً .

النسخ المعتمدة فى التحقيق :

اعتمدنا فى تحقيق هذه النسخة على أربع نسخ هى التى أمكننا أن نحصل
عليها ، واسترجعنا من هذه النسخ الأربع نسختين اعتمدنا عليهما اعتماداً تاماً .
١ — النسخة الأولى ، وهى التى سميناهما نسخة الأصل ، وهى نسخة
المكتبة العمومية بالآستانة ، وهى كاملة فى مجلدين يرجع تاريخ نسخها إلى سنة
٥٢٥ هـ أى بعد وفاة المرزوق بأربع سنين ومائة سنة ، كتبها سعد بن إبراهيم
ابن أحمد الفرائى ، قياسها ١٨,٥ × ٢٩,٥ وينتهى الجزء الأول منها بالحامسية
رقم ٣٥٠ .

٢ — نسخة دار الكتب المصرية ، وهى قديمة أرجح أنها من مخطوطات
القرن السادس ، بها ترقيع وتقطع وتلوث وآثار أرضة ، وهى نسخة ناقصة
بها تكميل فى أولها ، وتنتهى بنهاية المقطوعة الحامسية رقم ٣٠٠ أى إنها أقل من
نصف الكتاب ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ والفاسخ ، وقد رمزت إلى هذه
النسخة بالرمز (م) .

أما النسختان الأخريان فهما :

٣ — نسخة المكتبة التيمورية ، وهى نسخة ناقصة حديثة الخط مجهولة
الفاسخ وتاريخ النسخ ، وهى فى حجم متوسط تنتهى بنهاية الحامسية رقم ٣٢٣ .
٤ — نسخة روان كشك الملحقة بمكتبة طوب قبو سراى برقم ٧٠٦ ، وهى
من مجلوبات معهد المخطوطات بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وهى
نسخة خزائنية مكتوبة بخط نسخى دقيق جميل ، مع خلوها من الضبط ، كتبها

شمس الدين القدسي برسم السلطان مراد خان سنة ٨٦٩ بأولها طرة مذهبة ، كما أن صفحاتها مجدولة بالذهب ، وقياسها ٣٥ × ٢٢ .

تحقيق الكتاب :

في هذا الجزء الأول عارضت نسختي المكتبة العمومية ودار الكتب المصرية معارضة تامة في النص وفي الضبط ، وقد ظهر لي أن خلاهما قليل جدا ، وستستمر المعارضة التامة بينهما إلى أن تنتهي نسخة دار الكتب . هذا مع الاستعانة بما نقدر عليه من المخطوطات ما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، وحينئذ تحل نسخة روان كشك محل نسخة دار الكتب المصرية في المقابلة التامة .

وقد استدعى تحقيق هذا الكتاب أن أقارنه مقارنة تامة بشرح التبريزي بحيث لا أترك فائدة جديرة بالإثبات فيما أرى إلا اقتسبتها في الحواشي . ولا سيما ما كان متعلقا برواية المتن ، أو تحقيق الأخبار وتوضيحها ، أو ما كان فيه تأييد المرزوقي أو طعن عليه .

وكذلك اصطحبت في تحقيقه شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جني ، وكان في النية أن أقتبس جميع نصوص هذا الكتاب وأضعها في أما كتبها إزاء أبيات الحماسة ، لكنني وجدت في ذلك إثقالا ، ووجدت الفائدة التي يجنيها القارئ من إسهاب ابن جني في هذا الكتاب خاصة فائدة غير مرجوة . لذلك لم أثبت منها إلا ما كان ضروريا لتوضيح أو تأييد .

كذلك كان الصَّنْع في كتاب المبهج لابن جني أيضا .

وقد التزمت أن أترجم لجميع شعراء الحماسة ترجمة موجزة ، وأن أشير إلى مراجع الترجمة . وقد أفدت من جهدي في تراجم شعراء الحيوان للجاحظ ، والبيان والتبيين له ، شيئا كثيرا ، كما أفدت من جهد الأخ العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في كتاب « الشعر والشعراء لابن قتيبة » ما يجعلني أعترف له هنا بالفضل العظيم .

كما عنيت عناية خاصة بتعيين أسماء المجهولين من شعراء الحماسة الذين يعتبر
عنهم أبو تمام بقوله : « وقال آخر » أو بعض شعراء قبيلة ما من قبائل العرب ،
وقد وفقت في ذلك بعون الله بعض التوفيق .

وكذلك كان الأمر في تعيين أسماء المجهولين في شرح البرزوقي .

واستعنت بعد ذلك بمختلف المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية والبلدانية
وكتب القراءات والتفسير وغيرها لتحقيق هذا الكتاب وضبط نصوصه .
وبيان تلك المراجع سوف ألقه بالفهارس العامة للكتاب إن شاء الله .

الفهارس العامة والاستدراكات :

وسيلحق بنهاية هذا الكتاب إن شاء الله — أى في نهاية المجلد الرابع —
ما تقتضيه طبيعته من الفهارس الفنية للشعر ، واللغة ، والأمثال ، والأعلام ،
والبلدان ، ويتلوها الاستدراكات والتصحيحات .

* * *

وبعد ، فإن صاحب الفضل الأكبر في إخراج هذه النشرة الأولى من هذا
الكتاب الجليل ، هو أستاذنا الكبير « الدكتور أحمد أمين بك » ، فهو الذى
اقترح أن ينشر هذا الكتاب ، لما له ولؤلؤه من خطر ، كما أقرّ إخراجَه في لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، التى كانت لمصر والعالم العربى بمثابة جامعة علمية عاملة ،
بما أظهرت للمثقفين من آثار التأليف فى الشرق والغرب . وقد اشترك حفظه الله
فى وضع منهج الإخراج ليبدو الكتاب فى هذا الوضع العلمى الحديث ، كما تفضل
بمراجعة ما صنعت لتحقيق هذا الكتاب مراجعة دقيقة ، فله من الله ومن العلم
خير الجزاء .

عبد السلام محمد هارون

القاهرة فى { ٢٠ من المحرم سنة ١٣٧١
٢١ من أكتوبر سنة ١٩٥١

الجزء الأول

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي

المعروف بكتاب الحماسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن

المرزوقي الإصفهاني

٤٢١ - ٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق الإنسان ، متميزاً بما علمه من التبين والبيان ، وصلى الله على
أفضل من صدع بأمره وزجره ، داعياً وناهياً ، وعلى الطاهرين من آله وسلم .
وبعد فإنك جاريئتى — أطال الله بقاءك في أشمل سعادة وأكمل سلامة ،
لما رأيته أقصر ما أستفضله من وقتي ، وأستخلصه من وكدي ^(١) ، على عمل
شرح للاختيار المنسوب إلى أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، المعروف بكتاب
الحاسة أمر — الشعر وفنونه ^(٢) ، وما نال الشعراء في الجاهلية وما بعدها ، وفي
أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به ، إذ كان الله عز وجل قد أقامه
للرب مقام الكتب لغيرها من الأمم ، فهو مستودع آدابها ، ومستحفظ
أنسابها ، ونظام فخارها يوم التفار ، وديوان حجاجها عند الخصاص .

ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه ، وعمما يتميز به النظم عن النثر ،
وما يحمد أو يذم من الغلو فيه أو القصد ، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام
فيها وعليها ، حتى تصبح جوائزها محفوظة من الوهن ، وأركانها محروسة من الوهي
إذ كان لا يحكم للشاعر أو عليه ^(٣) بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها ،
وتأمل مأخذ منها ، ومدى شأوه فيها ، وتمييز المصنوع مما يتوكله من المطبوع
والأتي المستسهل من الأتي المستكره . وقضيت العجب كيف وقع الإجماع من
النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ، ولا في اختيار

(١) الوكد بالضم : السعى والجهد ، وبالفتح : المراد ، والهم ، والقصد .

(٢) أمر ، هو المفعول الثاني لجاريئتني في الكلام قبله . على أن المعروف أن يقال جواره
في كذا وبكذا ، أي جى معه في المناظرة والجدال .

(٣) م : « وعليه » .

لِلْقَصِّدَاتِ أَوْ فِي مِمَّا دَوَّنَهُ الْمَصْلُ وَنَقَدَهُ^(١) .

وقلت إنَّ أبا تمامَ معروفُ المذهبِ فيما يقرِّضُهُ ، مألوفُ المسلكِ لما ينظمه نازعٌ في الإبداعِ إلى كلِّ غايةٍ ، حاملٌ في الاستعاراتِ كلَّ مشقَّةٍ ، متوصِّلٌ إلى الظفرِ بمطلوبه من الصنعة أين اعتدَّسَ وبماذا عثرَ ، متغلِّلٌ إلى توعيرِ اللفظِ وتغميضِ المعنى أنَّى تأتَّى له وقَدَّرَ ؛ وهو عادلٌ فيما انتخبه في هذا المجموعِ عن سلوكِ معاطفِ مَيدانه ، ومُرْتَضٍ ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشأنه ، فقد قَلَّيْتُهُ فلم أجِدْ فيه ما يوافقُ ذلكَ الأسلوبَ إلا اليسيرَ . ومعلومٌ أن طبع كلِّ امرئٍ — إذا ملكَ زمامَ الاختيارِ — يجذبُهُ إلى ما يستلذه ويهواه ، ويصرِّفه عما ينفِرُ منه ولا يرضاه . وزعمتَ بعد ذلكَ أنَّجَعَ أنكَ مع طولِ مجالستِكَ للجهايزةِ الشَّعرِ والعلماءِ بمعانيه ، والمبرزين في انتقادِهِ ، لم تقفِ من جهتهم على حدٍّ يُوَدِّيكِ إلى المعرفةِ بحجِّده ومتوسِّطِهِ وردبِّئِهِ ، حتى تجرِّدَ الشهادةَ في شيءٍ منه ، وتبَّتَ الحُكْمُ^(٢) عليه أوْلُهُ ، آمناً من المجاذِبِينَ والمدافِعِينَ . بل تعتقدُ أنَّ كثيراً مما يستجيدُهُ زيدٌ يجوزُ أن لا يطابقَهُ عليه عمرو ، وأنه قد يُستحسنُ البيتُ ويُبْذَنُ عليه ثم يستهجنُ نظيره في الشَّبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفةً ، فيعرضُ عنه ، إذ كان ذلكَ موقوفاً على استحلاءِ المستحليِّ واجتواءِ المُجتوى ، وأنه كما يرزق الواحدُ في مجالسِ الكبارِ من الإصغاءِ إليه والإقبالِ عليه ، ما يُحرِّمُ صنوهُ وشبيههُ ، مع أنه لا فضيلةَ لذلكَ ولا نقیصةَ لهذا إلا ما فازَ به من الجلدِ عند الاصطفاءِ والقسمِ .

وقلتَ أيضاً : إني أنمَّني أن أعرفَ السببَ في تأخُّرِ الشعراءِ عن رُتبةِ الكتابِ البُلغاءِ ، والعذرَ في قلةِ المترسِّلينَ وكثرةِ المُعاقِبِينَ^(٣) ، والملةَ في نهاةِ

(١) یعنی بذلك التصانید المفضلیات ، التي اختارها المفضل الضبی .

(٢) فی الأصل : « لتحكم » وأنیة ما فی م .

(٣) الملقب : الشاعر المحید یحییء بالعجائب فی شعره .

أولئك ونُحُول هؤلاء ، ولماذا كان أكثر المترسلين لا يُفْلِقُونَ في قَرْض الشعر ، وأكثر الشعراء لا يَبْرَعُونَ في إنشاء الكُتُب ، حتى حُصَّ بالذكر عدد يسير منهم ، مثل إبراهيم بن العباس الصولي ، وأبي عليّ البصير^(١) ، والعتّابي ، في جمعهم بين الفنّين ، واغترازهم رِكَابَ الظَّهْرَيْنِ^(٢) . هذا ونظامُ البلاغة يتساوى في أكثره المنظوم والمنثور .

وأنا إن شاء الله وبه الحول والقوة ، أوردُ في^(٣) كل فصلٍ من هذه الفصول ما يحتمله هذا الموضع ، ويمكن الاكتفاء به ؛ إذ كان لتقصي المقال فيه موضع آخر ، من غير أن أنصب لما تصوّره النعوت الأمثلة ، تفادياً من الإطالة ، ولأنه إذا وضح السبيل وقعت الهداية بأيسر دليل . والله عز وجلّ الموفق للصواب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

اعلم أن مذاهب نُقَادِ الكلام في شرائط الاختيار مختلفة ، وطرائق ذوى المعارف بأعطافها وأردافها مفترقة ، وذلك لتفاوت أقدار مفادحها على اتساعها^(٤) وتنازع أقطار مظاهرها ومعالمها^(٥) ، ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية ، وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة في المنثور ، اتّسع بحال الطبع فيها ومسرحه ، وتشعب مراد الفكر لها^(٦) ومطرّحه . فمن الباهاء من يقول : فِقر

(١) هو أبو علي الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعي ، الملقب بالبصير ، كان من أهل الكوفة وسكن بغداد ، ومدح المتوكل والفتح بن خاقان ، وكان يتشيع في غلو . وبقى إلى أيام المعتز . نكت الهميان ٢٢٥ .

(٢) الاغتراز : أن يدخل قدمه في الثور ، وهو للجمل مثل الركاب للبغل . في الأصل

« اغترأهم » ، صوابه في م .

(٣) م : « من » .

(٤) المناح : المغاوز ، والمنتجح : المكان الواسع .

(٥) عني بالتنازع التباعد .

(٦) م : « فيها » .

الألفاظ وَغَرَرُهَا ، كجواهر العقود ودررها ، فإذا وُسِمَ أَغْفَلَهَا بتحسين نظومها^(١) وَحُلِّيَ أَعْطَاهَا بتركيب شُذُورِهَا ، فراق مسموعها ومضبوطها ، وزانَ مفهومها ومحفوظها ، وجاء ما حُرِّرَ منها مُصَنِّفِي من كَدَرِ الْعِيِّ وَالْخَطَلِ ، مقوِّمًا من أَوْدِ اللَّحْنِ وَالْخَطَا ، سالما من جَنَفِ التَّأْلِيفِ^(٢) ، موزونا بميزان الصواب ، يَمْوُجُ في حواشيه رونقُ الصَّفَاءِ لَفْظًا وَتَرْكِيبًا — قَبْلَهُ الْفَهْمُ وَالتَّدَبُّعُ بِه السَّمْعُ . وإذا وَرَدَ على ضِدِّ هذه الصفة صَدِيقُ الْفَهْمِ مِنْهُ ، وتأذَى السَّمْعُ به تأذَى الحواسِّ بما يخالِفُهَا .

ومنهم من لم يَرْضَ بِالْوُقُوفِ على هذا الحَدِّ فَتَجَاوَزَهُ ، والتزم من الزيادة عليه تَتِمِّمَ الْمُقْطَع ، وتلطيفَ الْمُطْلَع ، وَعَطْفَ الْآخِرِ على الْأَوَّلِ ، ودلالةَ الْمَوَارِدِ على الْمَصَادِر ، وتناسبَ الْفُصُولِ وَالْوُصُولِ ، وتعاذُلَ الْأَقْسَامِ وَالْأَوْزَانِ ، والكشفَ عن قِنَاعِ الْمَعْنَى بِلَفْظٍ هو في الاختيار أَوْلَى ، حتَّى يطابقَ الْمَعْنَى اللَّفْظَ ، ويسابقَ فِيهِ الْفَهْمُ السَّمْعُ . قال : ولا غاية وراء هذا .

ومنهم من تَرَقَّى إلى ما هو أَشَقُّ وَأَصْعَبُ ، فلم تُقْنَعِ هذه التكاليفُ في البلاغة حتَّى طَلَبَ الْبَدِيعَ : من الترصيع والتسجيع ، والتطبيقي والتجنييس ، وعكس البناء في النظم^(٣) ، وتوشيح العبارة بِالْفَافِ مُسْتَعَارَةً ، إلى وجوهٍ أُخَرِ تَنْطَقُ بِهَا الْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فِي الْبَدِيعِ ، فَإِنِّي لَمْ أَذْكَرْ هَذَا الْقَدْرَ إِلَّا دَلَائِلَ على أمثالها . ولكلِّ مما ذكرته ومما لم أذكرْ رَسْمٌ من النفوذ والاعتلاء ، بإزائه ما يضاؤه فَيُسَلِّمُ لِلشُّكُوصِ وَالِاسْتِقَالِ^(٤) . وأكثر هذه الأبواب لأصحاب

(١) م : « بحسن نظومها » .

(٢) الجنف : الميل في الكلام وفي الأمور كلها .

(٣) يعنى بذلك ما ورد في نحو قوله :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

(٤) الاستفال ، النزول إلى أسفل .

الألفاظ ، إذ كانت المعاني بمنزلة المعارض للجواري^(١) ، فأرادوا أن يلتذ السمع بما يُدرك منه ولا يَمُجَّه ، ويتلقاه بالإصغاء إليه والإذن له فلا يحجبُه^(٢) .

وقد قال أبو الحسن ابن طباطبَا^(٣) رحمه الله ، في الشعر : هو ما إن عرَى من معنى بديع لم يَفِرَّ من حُسن الديباجة ؛ وما خالف هذا فليس بالشعر^(٤) .

ومن البُلغاء من قصد فيما جاش به خاطرُه إلى أن يكون استفادةُ المتأمل له ، والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله . وهم أصحابُ المعاني ، فطلبوا المعاني المُعْجَبَةِ من خواصِّ أماكنها ، وانتزعوها جَزَلَةً عَذْبَةً حَكِيمَةً ظَرِيفَةً أو رَائِقَةً بَارِعَةً^(٥) ، فَاضِلَةً كَامِلَةً ، لطيفةً شريفةً ، زاهرةً فاخرةً ؛ وجعلوا رسومَهَا^(٦) أن تكون قريبة التشبيه ، لائقةً الاستعارة ، صادقة الأوصاف ، لائحة الأوضح ، خلاصةً في الاستعطاف ، عَظَافَةً لدى الاستنفار ، مستوفيةً لحظوظها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض ، والإطناب والتقصير ، والجدِّ والهزل ، والخُشونة والليان^(٧) ، والإباء والإسماح ، من غير تفاوتٍ يظهر في خلال أطباقها ، ولا قصورٍ ينبعُ من أثناء أعماقها ، مبتسمةً من مثنائ الألفاظ عند الاستشفاف ، محتجبة في غموض الصَّيَّان ، لدى الامتحان^(٨) تعطيك مُرَادَكَ إن رَقَّتْ بها ، وتمنحك جانِبَهَا إن

(١) المعارض جمع معرض كمنبر ، وهو الثوب تعرض فيه الجارية وتبلى .

(٢) م : « فلا يحجبُه » .

(٣) ذكره ابن خلكان عرضاً في ترجمة أبي القاسم أحمد بن محمد ابن طباطبا قال : « ولا أدرى من هذا أبو الحسن ، ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم المذكور » . وفي مذهب المخطوطات بجامعة الدول العربية كتاب له يدعى « عيار الشعر » ذكر في صدره أنه لأبي الحسن محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوي . وذكر هذا الكتاب في كشف الظنون وذكر أنه لابن طباطبا .

(٤) م : « بشعر » .

(٥) م : « حكيمة ظريفة ، أو رائعة بارعة » .

(٦) م : « وسومها » .

(٧) الليان ، بالفتح كسحاب : مصدر لان يالين لينا وليايا .

(٨) لدى الامتحان ، ساقطة من م .

عَنَّفَتْ معها . فهذه مَنَاسِبُ المعاني اِطْلَافُهَا ، وتلك مَنَاصِبُ الألفاظ لأَرْبَابِهَا . ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تَصُوبُ به العقولُ ^(١) فتعانَقَا وتلاَبَسَا ، متظهِرَيْنِ في الاشتراك ^(٢) وتوافقًا ، فهناك يلتقي ثَرَيَا البلاغة ^(٣) فَيُمِطِرُ رَوْضَهَا ، وَيُنْشِرُ وَشْيَهَا ، وَيَتَجَلَّى البَيَانُ فَصِيحَ اللِّسَانِ ، نَجِيحَ الْبُرْهَانِ ، وَتَرَى رَائِدَى الْفَهْمِ وَالطَّعْجِ مُتَبَاشِرَيْنِ لَهَا مِنَ الْمَسْمُوعِ وَالْمَعْقُولِ بِالْمَسْرَحِ الْخِصْبِ وَالْمَسْكَرَعِ ^(٤) الْعَذْبِ . فَإِذَا كَانَ الْفَتْرُ — بِمَا لَهُ مِنْ تَقَاسِيمِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَالنَّظْمِ — اتَّسَعَ نِطاقُ الْإِخْتِيَارِ فِيهِ عَلَى مَا يَبْنَاهُ بِحَسَبِ اتِّسَاعِ جَوَانِبِهَا وَمَوَادِّهَا ، وَتَكَثَّرَ أَسْبَابُهَا وَمَوَاتِنُهَا ^(٥) ، وَكَانَ الشَّعْرُ قَدْ سَاوَاهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَشَارَكَهُ ، ثُمَّ تَقَرَّدَ عَنْهُ وَتَمَيَّزَ بِأَنْ كَانَ حَدُّهُ « لَفْظٌ مُوزُونٌ مُقْتَضٍ بِذَلِكَ عَلَى مَعْنَى » ، فَازْدَادَتْ صِفَاتُهُ الَّتِي أَحَاطَ الْحَدُّ بِهَا بِمَا انْضَمَّ مِنَ الْوِزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ إِلَيْهَا ، اِزْدَادَتْ الْكَلْفُ فِي شَرَائِطِ الْإِخْتِيَارِ فِيهِ ، لِأَنَّ لِلْوِزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ أَحْكَامًا تَمَاطُلُ مَا كَانَتْ لِلْمَعْنَى وَاللَّفْظِ وَالتَّأْلِيفِ أَوْ تَقَارِبِ ، وَهِيَ يَقْتَضِيَانِ مِنْ مِرَاعَاةِ الشَّاعِرِ وَالْمُنْقَدِّ ، مِثْلَ مَا يَقْتَضِيهِ تِلْكَ مِنْ مِرَاعَاةِ الْكَاتِبِ وَالتَّصَفِّحِ ، لِثَلَا يَخْتَلِّ لَهَا ^(٦) أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهَا ، أَوْ يَعْتَلِّ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِهَا .

عَمْدُ فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُبَيِّنَ مَا هُوَ عَمْدُ الشَّعْرِ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعَرَبِ ، لِيَتَمَيَّزَ تَلِيدُ الصَّنْعَةِ مِنَ الطَّرِيفِ ، وَقَدِيمُ نِظَامِ الْقَرِيضِ مِنَ الْحَدِيثِ ، وَلِتُعْرَفَ مَوَاطِئُ أَقْدَامِ الْمُخْتَارِينَ فِيهَا اخْتَارُوهُ ، وَسَرَّاسِمُ إِقْدَامِ

(١) تصوب به : تجود به ، من قولهم صاب المطر صوباً : نزل .

(٢) في الأصل : « الاعتراف » وأثبتنا ما م .

(٣) ضببط في الأصل بضم الشاء وفتح الراء وتشديد الياء ، وهذا خطأ . يقال التقى الثريان ، وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هو وندى الأرض . اللسان (ثرا) .

(٤) م : « المشرع » .

(٥) موات : جمع مائة بوزن فاعلة ، وهي الوسيلة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من م .

الزَيِّينَ على ما زَيَّفُوهُ ، وَ يُعَلِّمُ أَيْضًا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَصْنُوعِ وَالْمَطْبُوعِ ، وَفَضِيلَةَ
الْآتِي السَّمْنَجِ عَلَى الْأَبْيِّ الصَّعْبِ ، فَنَقُولُ بِاللهِ التَّوْفِيقَ :

إِنِّهِمْ كَانُوا يَحَاوِلُونَ شَرْفَ الْمَعْنَى وَصَحَّتَهُ ، وَجَزَالَ الْفَرْقِ وَاسْتِقَامَتَهُ ،
وَإِلْصَابَهُ فِي الْوَصْفِ — وَمِنْ أَجْمَاعِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الثَّلَاثَةِ كَثُرَتْ سَوَائِرُ
الْأَمْثَالِ ، وَشَوَارِدُ الْأَبْيَاتِ — وَالْمُقَارَبَةُ فِي التَّشْبِيهِ ، وَالتَّحَامُّ أَجْزَاءَ النَّظْمِ
وَالْتَّامُّهَا عَلَى تَخْيِيرٍ مِنْ لَذِيذِ الْوِزَنِ ، وَمُنَاسَبَةُ الْمُسْتَعَارِ مِنْهُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ ، وَمِثْلُ كَلِمَةِ
الْفَرْقِ لِلْمَعْنَى وَشِدَّةُ اقْتِضَائِهَا لِلْقَافِيَةِ حَتَّى لَا مَفَاوِرَةَ بَيْنَهُمَا — فَهَذِهِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ
هِيَ عُمُودُ الشَّعْرِ ، وَاسْكَلَّ بَابٌ مِنْهَا مِغْيَارٌ .

فَعِيَّارُ الْمَعْنَى أَنْ يُعَرِّضَ عَلَى الْعَقْلِ الصَّحِيحِ وَالْفَهْمِ الثَّاقِبِ ، فَإِذَا انْعَطَفَ
عَلَيْهِ جَنَّبَتَا الْقَبُولَ وَالْإِصْطِفَاءَ ، مُسْتَأْنَسًا بِقَرَائِنِهِ ، خَرَجَ وَافِيًا ، وَإِلَّا انْتَقَصَ
بِمَقْدَارِ شَوْبِهِ وَوَحْشَتِهِ .

وَعِيَّارُ الْفَرْقِ الطَّبَعُ وَالرَّوَايَةُ وَالِاسْتِمَالُ ، فَمَا سَلِمَ مِمَّا يَهْجُنُهُ عِنْدَ الْعَرَضِ
عَلَيْهَا فَهُوَ الْخِتَارُ الْمُسْتَقِيمُ . وَهَذَا فِي مُفْرَدَاتِهِ وَجَمَلَتِهِ مُرَاعَى ، لِأَنَّ الْفَرْقَةَ تُسْتَكْرَمُ
بِانْفِرَادِهَا ، فَإِذَا ضَامَهَا مَا لَا يُوَافِقُهَا عَادَتْ الْجُمْلَةُ هَجِينًا .

وَعِيَّارُ الْإِلْصَابَةِ فِي الْوَصْفِ الذِّكْرُ وَحَسَنُ التَّمْيِيزِ ، فَمَا وَجَدَاهُ صَادِقًا فِي الْعُلُوقِ
مِمَّا زَجَّ فِي اللَّصُوقِ ، يَتَعَسَّرُ الْخُرُوجُ عَنْهُ وَالتَّبَرُّؤُ مِنْهُ ، فَذَاكَ سِيَاءُ الْإِلْصَابَةِ فِيهِ .
وَيُرْوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي زَهِيرٍ : « كَانَ لَا يَمْدَحُ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا
يَكُونُ لِلرَّجَالِ » . فَتَأَمَّلْ هَذَا الْكَلَامَ فَإِنَّ تَفْسِيرَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ .

وَعِيَّارُ الْمُقَارَبَةِ فِي التَّشْبِيهِ الْفُطْنَةُ وَحَسَنُ التَّقْدِيرِ ، فَأَصْدَقُهُ مَا لَا يَنْتَقِضُ عِنْدَ
الْعَكْسِ ، وَأَحْسَنُهُ مَا أُوقِعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ اشْتَرَاكُهُمَا فِي الصِّفَاتِ أَكْثَرَ مِنْ انْفِرَادِهَا
لِتَبَيِّنَ وَجْهَ التَّشْبِيهِ بِلا كَلْفَةٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَطْلُوبُ مِنَ التَّشْبِيهِ أَشْهَرَ صِفَاتِ
الْمُسَبَّحِ بِهِ وَأَمْلَكَهَا لَهُ ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ وَبِحَمِيهِ مِنَ الْغَمُوضِ وَالِاتِّبَاسِ .

وقد قيل : « أقسام الشعر ثلاثة : مثلٌ سائرٌ ، وتشبيهٌ نادرٌ ، واستعارةٌ قرييةٌ » .
وعيار التحام أجزاء النظم والتثامه على تحيُّر من لذيذ الوزن ، الطبعُ واللسان ،
فالم يتعثر الطبعُ بأبنيتِهِ وعقودِهِ ^(١) ، ولم يتحبس اللسانُ في فصوله ووصوله ،
بل استمرّافيه واستسهلاه ، بلا ملال ولا كلال ، فذاك يُوشك أن يكون القصيدة
منه كالبيت ، والبيتُ كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً ، وألا يكونَ كما
قيل فيه :

وَشِعْرٌ كَبِعْرِ الْكَبَشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعَى فِي الْقَرِيضِ دَخِيلٍ ^(٢)
وَمَا قَالَ خَلَفٌ :

وبعضُ قريضِ الشَّعْرِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ يَكْدُ لِسَانِ النَّاطِقِ الْمَتَحَقِّظِ ^(٣)
وَمَا قَالَ رُوْبَةُ لابنه عُقْبَةَ وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ شَيْئاً مِمَّا قَالَهُ ، فَقَالَ :

* قَدْ قُلْتَ لَوْ كَانَ لَهُ قِرَانٌ ^(٤) *

وإنما قلنا « على تحيُّر من لذيذ الوزن » لأنَّ لذيذَهُ يَطْرُبُ الطَّيْعَ لِإِقَاعِهِ ،
وَيُمَازِجُهُ بِصَفَائِهِ ، كما يَطْرُبُ الْفَهْمُ لَصَوَابِ تَرْكِيبِهِ ، واعتدالِ نظومِهِ . ولذلك
قال حَسَّان :

تَغَنَّ فِي كُلِّ شَعْرٍ أَنْتَ قَائِلُهُ إِنَّ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضْمَارٌ ^(٥)
وعيار الاستعارة الذَّهْنُ وَالْفُطْنَةُ . وَمِلَّاكُ الْأَمْرِ تَقْرِيْبُ التَّشْبِيهِ فِي الْأَصْلِ

(١) في الأصل : « بأبيه » ، صوابه في م .

(٢) البيت لأبي البيداء الرياحي ، كما في البيان (١ : ٦٦) .

(٣) أولاد علة : بنو رجل واحد من أمهات شتى ، فهم مختلفون . انظر البيان (١) :

(٦٦) والعمدة (١ : ١٧٢) .

(٤) في البيان (٢ : ٦٨) : « إنه يقول لو كان لقوله قران » ، وذلك حيث ورد
الخبر برواية أخرى .

(٥) المِضْمَار ، يطلق على الموضع الذي تضمّر فيه الخيل ، وعلى زمانه أيضاً ، ويستعمل
كذلك بمعنى التضمير . غنى أن الغناء وسيلة لتحسين الشعر واختباره . وهذا البيت مما لم يرد في
ديوان حسان . وأنشده في العمدة (٢ : ٢٤١) بدون نسبة .

حتى يتناسب المشبّه والمشبّه به ، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المفعول عمّا كان له في الوضع إلى الاستعار له .

٢٠ - وعيارُ مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية ، طول الذرّبة ودوام المدارس ، فإذا حكى بحسن التباس بعضها ببعض ، لا جفاء في خلالها ولا نبوّ ، ولا زيادة فيها ولا قصور . وكان اللفظ مقسوماً على رُتب المعاني : قد جعل الأخصّ للأخصّ ، والأخصّ للأخصّ ، فهو البرىء من العيب . وأما القافية فيجب أن تكون كالعود [به ^(١)] المنتظر ، يتشوّفها ^(٢) المعنى بحقه واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قِلقة في مقرأها ، مجتَلبة لمستغن عنها .

فهذه الخصال عمودُ الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقّها وبَنى شعره عليها ، فهو عندهم المُغلق المعظم . والمُحسن المُقدّم . ومن لم يجمعها كلّها فيقدر سُهْمته منها يكون نصيبه من التقدّم والإحسان ، وهذا إجماعٌ مأخوذٌ به ومُتبعٌ نهجُه حتى الآن .

واعلم أن هذه الخصالِ وسائطَ وأطرافاً ، فيها ظهر صدقُ الوصف ، وغلوُ الغالى ؛ واقتصادُ المقتصد . وقد اقتصَرها اختيارُ الناقدين ^(٣) ، فمنهم من قال : « أحسنُ الشعرِ أصدقُه » قال : لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إيسارِ الصدقِ يدلُّ على الاقتدارِ والحِذق . ومنهم من اختار الغلوَّ حتى قيل « أحسن الشعرِ أكذبه » ؛ لأن قائله إذا أسقط عن نفسه تقابلَ الوصف والموصوف امتدّ فيما يأتيه إلى أعلى الرُتبة ، وظهر قوّته في الصياغة وتمهّره في الصنعة ، وآسعت مخرَجُه وموَالِجُه ، فتصرّف في الوصف كيف شاء ، لأنّ العملَ عنده على المبالغة والتمثيل ، لا المصادفة

(١) هذه من م ..

(٢) في الأصل : « يتشوّف » وأثبتنا ما في م .

(٣) الاقتضار : الاقتناء والتتبع .

والتحقيق . وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال : « أحسن الشعر أقصده ^(١) » ؛ لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط ^(٢) ، فما استوفى ^(٣) أقسام البراعة والتجويد أو جملها ، من غير غاوة في القول ولا إحالة في المعنى ، ولم يُخرج الموصوف إلى أن لا يؤمنَ لشيء ^(٤) من أوصافه ، لظهور السرف في آياته ، وشمول التزيد لأقواله ، كان بالإيثار والانتخاب أولى .

ويتبع هذا الاختلاف مئيل بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع . والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس ، وحررت القرائح ، أعلت القلوب . وإذا جاشت العقول بمكنون ودائعها ، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها ، نعت المعاني ودرت أخلافها ، وافتقرت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ ، فتمت رِفْض التكلف والتعمُّل ، وحلَّت ^(٥) الطبع للهدب بالرواية ، المدرَّب في الدراسة ، لاختياره ، فاسترسل ^(٦) غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل إليه ، أدَّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر ، وعفواً بلا جهد ، وذلك هو الذي يسمَّى « المطبوع » . ومتى جمل زمام الاختيار بيد التعمُّل والتكلف ، عاد الطبع مستخدماً متملِّكاً ، وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها ، وتردده في قبول ما يؤدبه إليها ، مطالبة له بالإغراب ^(٧) في الصنعة ، وتجاوز المألوف إلى البدعة ، فجاء مؤداه وأثرُ التكلف يُلوح على صفحاته ، وذلك هو « المصنوع » .

(١) من القصد ، وهو الوسط في الأمور .

(٢) ورد في نسخة الأصل ، بتشديد الطاء مع ضمها ، وصوابها التشديد مع الكسر ، كما في اللسان والقاموس ، وهي لغة في « قط » ساكنة الطاء بمعنى حبيب .

(٣) في الأصل : « فاستوفى » ، والصواب من م .

(٤) م : « بشيء » .

(٥) وردت في الأصل بالحاء المهملة ، مع تقييدها بالإشارة ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٦) كذا في م . وفي الأصل : « واسترسل » .

(٧) مطالبة بفتح اللام في الأصل وم . وفي م « بالإعزاب » ، والإعزاب : الإبعاد .

وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم — من غير قصدٍ منهم إليه — اليسيرُ النَّزْرُ، فلما انتهى قَرَضُ الشعرِ إلى المُخَدِّثين ، ورأوا استغرابَ الناس للبديع على افتنانهم فيه ، أولعوا بتَوَرُّدِهِ إظهاراً للاقتدار ، وذهاباً إلى الإغراب . فمن مُفْرِطٍ ومُقْتَصِدٍ ، ومحمودٍ فيما يأتيه ومذموم ، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحْمَلُ ، ومدى قُوَّاهُ فيما يطلب منه ويُكَلِّفُ . فمن مال إلى الأولِ فلائِهُ أشبه بطرائق الإغراب ، لسلامته في السَّبَكِ ، واستوائه عند الفحص . ومن مال إلى الثاني فلدلالاته على كمال البراعة ، والالتذاذ بالقرابة .

* * *

وأما تمجُّبك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره ، ومفارقته ما يهواه لنفسه ؛ وإجماع نُقَّاد الشعر بَعْدَهُ على ما صحبه من التوفيق في قصده ، فالقولُ فيه أنَّ أبا تمامٍ كان يختار ما يختار لجودته لا غير ، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته . والفرق بين ما يُشْتَهَى ^(١) وبين ما يُسْتَجَاد ظاهرٌ ، بدلالة أنَّ العارف بالبرزِّ قد يشتهي لبس ما لا يستجيده ، ويستجيد ما لا يشتهي لبسه . وعلى ذلك حال جميع أعراض الدنيا مع العقلاء ^(٢) العارفين بها ، في الاستجادة والاشتهاء . وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، المحيب لكلِّ داعٍ ، فكان أمره أقرب ، بل اعتدَّ في دواوين الشعراء جاهليَّهم ومُخَضَّرِهم ، وإسلاميَّهم ومولَّديهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واخترَف الأثمار دون الأكمام ^(٣) ، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه ؛ لأنَّ ضروب الاختيار لم تحفَ

(١) في الأصل : « يشتر » ، صوابه في م .

(٢) في الأصل : « من العقلاء » ، صوابه في م .

(٣) الاختراف : اجتناء الثمر . والأكمام : جمع كم ، بالكسر ، وهو غطاء النور الذي

هو أصل الثمرة .

عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه ، حتى [إنك ^(١)] تراه ينتهى إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده . وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم ، فقابل ما في اختياره بها . ولو أن نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء أشعر الناس . ويكشف هذا أنه قد يميز الشعر من لا يقوله ، ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده . على ذلك كان البخترى ، لأنه فيما حكى عنه كان لا يعجب من الشعر إلا بما وافق طبعه ومعناه ولفظه .

وحكى الصولي أنه سمع المبرد يقول : سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبى تمام . وحكى عنه أنه مرّ بشعر ابن أبى عيينة فيما كان يختاره من شعر الحديثين فقال : « وهذا كله مختار » . هذا وشعره أبعد الأشياء من شعره . وهذا واضح .

* * *

وأما ما غلب على ظنك ^(٢) من أن اختيار الشعر موقوف على الشهوات ؛ إذ كان ما يختاره زيد يجوز أن يزيفه عمرو ، وأن سبيلها سبيل الضور في العيون ، إلى غير ذلك مما ذكرته — فليس الأمر كذلك ؛ لأن من عرف مستور المعنى ومكشوفه ، ومرفوض اللفظ ومألوفه ، وميز البديع الذى لم تقسمه المعارض ، ولم تعسفه الخواطر ، ونظروا وتجرّ ، ودار فى أساليب الأدب فتخير ، وطالت مجاذبته فى التذاكر والابتحاث ، والتداول والابتعاث ، وبأن له القليل النائب عن الكثير ، واللفظ الدال على الضمير ، ودرى تراتب الكلام وأسرارها ، كما درى تعاليق المعانى وأسبابها ، إلى غير ذلك مما يكمل الآلة ، ويشحذ

(١) هذه من م .

(٢) م : « فى ظنك » .

القريحة — تراه لا يَنْظُر إِلَّا بعين البصيرة ، ولا يسمع إِلَّا بأذن النَصْفَةِ^(١) ، ولا ينتقد إِلَّا بيد المَعْدِلَةِ^(٢) ، فحُسْكُمُ الحكم الذى لا يُبدل ، ونَقْدُهُ النقد الذى لا يُغيّر .

واعلم أنه يَعْرِف الجَيِّد من يجهل الردىء . والواجب أن تعرف المقابح للْمُسَخَّطَةِ كما عَرَفَ المحاسن المرتضاة ، وجماعها إذا أُجْمِلَتْ أنها أضداد ما بيّناه من عُمَد البلاغة ، وخِصال البراعة ، فى النظم والنثر . وفى التفصيل كأن يكون اللفظ وحْشِيًّا أو غير مستقيم ، أو لا يكون مستعملاً فى المعنى المطلوب ، فقد قال هو رضى الله عنه فى زهير : « لا يَتَّبِع الوحش ولا يُعَاطِلُ الكلام » . أو يكون فيه زيادة تفسد المعنى أو نقصان ، أو لا يكون بين أجزاء البيت التثام ، أو تكون القافية قِلَقَةً فى مَقَرِّها ، أو مَعْيِيَّة فى نَفْسِها ، أو يكون فى القَسَم أو التَقَابُل ، أو فى التفسير فساد ، أو فى المعنى تناقض وخروج إلى ما ليس فى العادة والطبع ، أو يكون الوصفُ غَيْرَ لائِقٍ بالموصوف ، أو يكون فى البيت حَشَوًا لا طائِلَ فيه ، إلى غير ذلك مما يَحْصِلُهُ لك تأمُّلكُ جُلُجُلِ المحاسن وتفصيلها ، وتتبعك ما يُضَادُّها^(٣) وينافياها ، وهذا هَيِّنٌ قَرِيبٌ .

وإنما قلت هذا لأن ما يَخْتَارُهُ^(٤) الماقد الحاذق قد يَتَّفِق فيه ما لو سُئِلَ عن سبب اختياره إياه ، وعن الدلالة عليه ، لم يمكنه فى الجواب إِلَّا أن يقول : هكذا قَضِيَّةٌ طَبِيعِي ، أو ازْجَع إلى غيرى ممن له الدَّرَبَةُ والعلم بمثله فإنه يَحْكُمُ بِمِثْلِ حُكْمِي . وليس كذلك ما يَسْتَرِذِلُه النقد أو يَنْفِيهِ الاختيار ، لأنه لا شئ من ذلك إِلَّا ويمكن التنبيه على الخلل فيه ، وإقامة البرهان على رداءته ، فاعلمه .

(١) النصفة والنصف ، بالتحريك فيهما : الإنصاف .

(٢) المَعْدِلَةُ بكسر الدال وفتحها : العدل . وجاءت فى الأصل بكسر الدال .

(٣) فى الأصل : « ما لا يضادها » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٤) فى الأصل : « ما لا يَخْتَارُهُ » والوجه حذف « لا » كما فى م .

وَأَمَّا ^(١) تَمَنِيكَ مَعْرِفَةَ السَّبَبِ فِي تَأَخُّرِ الشُعْرَاءِ عَنْ رَتْبَةِ الْكِتَابِ الْبُلْغَاءِ ،
وَالْعَذْرِ فِي قِلَّةِ الْمُرْسَلِينَ وَكَثْرَةِ الْمُفْلِقِينَ ، وَالْعِلَّةَ فِي نَبَاهَةِ أَوْلَئِكَ وَخَوَلِ هَؤُلَاءِ ،
وَلِمَاذَا كَانَ أَكْثَرُ الْمُفْلِقِينَ لَا يَبْرَعُونَ فِي إِنْشَاءِ الْكُتُبِ ، وَأَكْثَرُ الْمُرْسَلِينَ
لَا يُفْلِقُونَ فِي قَرْضِ الشَّعْرِ ، فَإِنِّي أَقُولُ فِي كُلِّ فَصْلٍ مِنْ ذَلِكَ بِمَا يَمْتَحِضِرُ ^(٢) ،
وَاللَّهُ وَلِيُّ تَوْفِيقِي ، وَهُوَ حَسْبِي وَعَلَيْهِ تَوَكَّلِي .

اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء ، مُوجِبُهُ تَأَخُّرُ الْمَنْظُومِ عَنْ رَتْبَةِ
الْمَنْشُورِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، لِأَمْرَيْنِ :

أحدهما أَنَّ ملوكهم قبل الإسلام وبعده كانوا يَتَبَجَّحُونَ ^(٣) بِالْخُطَابَةِ وَالْإِفْتِنَانِ
فِيهَا ، وَيَعُدُّونَهَا أَكْمَلَ أَسْبَابِ الرِّيَاسَةِ ، وَأَفْضَلَ آلَاتِ الزَّعَامَةِ . فَإِذَا وَقَفَ
أَحَدُهُمْ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ لِحَصُولِ تَنَافُرٍ أَوْ تَضَاغُنٍ أَوْ تَظَالُمٍ أَوْ تَشَاجُرٍ ، فَأَحْسَنَ
الْاِقْتِضَابَ عِنْدَ الْبُدَاهَةِ ^(٤) ، وَأَنْجَحَ فِي الْإِسْهَابِ وَقْتَ الْإِطَالَةِ ، أَوْ اعْتَلَى فِي ذِرْوَةِ
مِنْهَرٍ فَتَصَرَّفَ فِي ضُرُوبٍ مِنْ تَحْشِينِ الْقَوْلِ وَتَلْيِينِهِ ، دَاعِيًا إِلَى طَاعَةٍ ، أَوْ مُسْتَضْلِحًا
لِطَرِيقَةٍ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِنْفَاقِ مَالٍ
عَظِيمٍ ، وَتَجْهِيزِ جَيْشٍ كَبِيرٍ . وَكَانُوا يَأْنَفُونَ مِنَ الْاِشْتِهَارِ بِقَرْضِ الشَّعْرِ ، وَيَعُدُّهُ
مُلُوكُهُمْ ذِنَاءَةً . وَقَدْ كَانَ لِأَمْرِي الْقَيْسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَ أَبِيهِ حُجْرِ بْنِ عَمْرِو ،
حِينَ تَعَاطَى قَوْلَ الشَّعْرِ فَنَهَاهُ عَنْهُ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ ، مَا أَخْرَجَهُ
إِلَى أَنْ أَمَرَ بِقَتْلِهِ . وَقِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ ، فَهَذَا وَاحِدٌ .

وَالثَّانِي أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّعْرَ مَكْسَبَةً وَتِجَارَةً ، وَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى الشُّوْقِ كَمَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَإِنَّمَا » ، وَالصَّوَابُ فِي م .

(٢) م : « مَا يَمْتَحِضِرُ » .

(٣) التَّبَجُّحُ : الْفَخْرُ وَالتَّبَاعِي .

(٤) اِقْتِضَابُ الْكَلَامِ : ارْتِجَالُهُ ، اِقْتِضَابُ الْحَدِيثِ وَالشَّعْرِ : تَكْلُمُ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَهْيِئَةٍ

أَوْ إِعْدَادٍ لَهُ .

توصلوا به إلى العلية ، وتعرضوا لأعراض الناس ، فوصفوا اللثيم عند الطمع فيه بصفة الكريم ، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللثيم ، حتى قيل : « الشعر أدنى سرّوة السرى ، وأسرى سرّوة الدنى » . وهذا الباب أمره ظاهر . وإذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته ، وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر ، وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غاية البايغ .

ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم ، أن الإعجاز من الله تعالى جدّه والتحدّى من الرسول عليه السلام وقفاً فيه دون النظم ؛ يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء ^(١) عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أممهم يؤلّعون به في حينهم ، ويغلب على طبائعهم ، وبأشرف ذلك الجنس . على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام ، لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة ، فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه . وكذلك كان حال عيسى عليه السلام ، لأن زمنه كان زمن الطب ، فكانت معجزته وهي إحياء الموتى ، من ذلك الجنس وبأشرفه . فلما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان ، جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يؤلّعون به وبأشرفه ، فتحدّاهم بالقرآن كلاماً منشوراً ، لا شعراً منظوماً .

وقد قال الله عزّ وجلّ في تنويه النبي عليه السلام ^(٢) : ﴿ مَا عَلَّمَهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْتَبِغِي لَهُ ^(٣) ﴾ .

(١) في الأصل : « فيكشف ذلك أن معجز الأنبياء » ، وأثبتنا ما في م .
(٢) يقال نوه فلاناً ونوه به إذا رفعه وطير به وقواه ، ومنه قول أبي نخيلة :
وفودت لي ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنه من بعض
م . « في تنويه النبي عليه السلام » .

(٣) هذا وجه جائز في الاستشهاد بالقرآن مع ترك الواو أو الفاء ونحوهما . انظر الحيوان (٣ : ٤ / ١٥ : ٥٧ ، ٢٧٦) ورساله الشافعي الفقرات رقم ٦٤٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ .
بتحقيق الشيخ أحمد شاكر .

وقال أيضاً : (والشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) .

ولما كان الأمر على ما بينناه وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا ، وأعلى سَمَكًا وبناء من النظم ، وأن يكون مزاوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاوليها^(١) .

* * *

وأما السبب في قِلَّةِ المترسلين وكثرة المُفْلِقِينَ وعِزِّ مَنْ جمع بين النوعين مبرزًا فيهما ، فهو أن مَبْنَى « التَّرْسُلِ » على أن يكون واضح للنهج ، سهل المعنى ، متسع الباع ، واسع النطاق ، تدلُّ لوائحه على حقائقه ، وظواهره على بواطنه ، إذ كان موزَّعًا على أَسْمَاعٍ مفترقة : من خاصية وعامة ، وأفهام مختلفة : من ذكوة وغبى . فحقى كان متسلسلاً متساوياً ، ومتسلسلاً متجاوياً ، تساوت الآذان في تلقيه ، والأفهام في درايته ، والألسن في روايته ، فيسمعُ شاردُهُ إذا استُدعى ، ويتعجَّلُ وإفدُهُ إذا استُدنى ، وإن تطاولَ أنفاسُ فصوله ، وتباعدَ أطرافُ حُرُوفِهِ ومسهوله . ومبنى « الشعر » على العكس من جميع ذلك لأنه مبني^(٢) على أوزان مقدرة ، وحدود مقسمة ، وقواف يساق ما قبلها إليها مهياً ، وعلى أن يقوم كلُّ بيت بنفسه غير مفتقرٍ إلى غيره إلا ما يكون مضمَّنًا بأخيه ، وهو عيب فيه . فلما كان مداه لا يمتدُّ بأكثر من مقدار عَرُوضِهِ وَصَرِيهِ ، وكلاهما قليل ، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكلُّ بيت يتقاضاه بالاتحاد ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى ، وأن يبلغ الشاعرُ في تلطيفه ، والأخذ من حواشيه ، حتى يتسع اللفظ له ، فيؤدِّيه على غموضِهِ وخفائه — حدًّا يصير

(١) م : « وبمزاوليها » .

(٢) م : « مبنى » .

المُدرِّكُ له والمُشرِّفُ عليه ، كالفائزِ بذخيرةِ اغتتمها ، والظافرِ بدفينةٍ استخرجها .
وفي مثل ذلك يحسنُ انحاءُ^(١) الأثر ، وتباطؤُ المطلوبِ على المنتظرِ . فكلُّ
ما يُحمَدُ في الترسلِ ويُختار ، يُذمُّ في الشعرِ ويُرفض .

فلما اختلف اللبنيانِ كما بينا ، وكان المتولَّى لكل واحدٍ منهما يختارُ أبعدَ
الغاياتِ لنفسه فيه ، اختلفتَ فيهما الإصابتان ، لتبايُنِ طرفيهما ، وتفاوتِ قطريهما ،
وبعدُ^(٢) على القرائحِ الجمعِ بينهما . يكشفُ ذلك أن الرّجَزَ وإنْ خالف القصيدَ
مخالفةً قريبةً ترجعُ إلى تقطيعِ شأوَ اللفظِ فيه ، وتزاحمِ السّجعِ عليه ، قلَّ عددُ
الجامعينِ بينهما ، لتقاصرِ الطباعِ عن الإحاطةِ بهما . فإذا كان الرّجَزُ والقصيدُ
مع أنَّهما من وادٍ واحدٍ ، أفضتُ الحالُ بمتعاطيهما إلى ما قلتُ على خلافِ يسيرِ
بينهما — فالنثر والنظم وهما في طرفينِ ضِدِّينِ ، وعلى حالتينِ متباينتين ،
أولى وأخصُّ .

* * *

وأما السببُ في قلةِ الباغاءِ وكثرةِ الشعراءِ ، ونباهةِ أولئك وخمولِ هؤلاء ،
فهو أنَّ المترسلَ محتاجٌ إلى مراعاةِ أمورٍ كثيرةٍ ، إنْ أهملها أو أهمل شيئاً منها
رجعتِ النقيصةُ إليه ، وتوجّهتِ اللائمةُ عليه .

منها تبينُ^(٣) مقاديرُ من يكتبُ عنه وإليه ، حتّى لا يرفعَ وضعاً ، ولا
يضعَ رفيعاً .

ومنها وزنُ الألفاظِ التي يستعملها في تصاريفه ، حتّى تجيءَ لائقةً بمن يُخاطَبُ
بها ، مُفخّمةً لحضرةِ ساطانه^(٤) التي يصدرُ عنها .

(١) رسمت في الأصل وم : « انحاء » مع وضع شدة على النون .

(٢) م : « فبعد » .

(٣) في الأصل : « يبين » ، صوابه في م .

(٤) م : « سلطانها » .

ومنها أن يعرف أحوال الزمان ، وعوارض الحدَثان ، فيتصرف معها على مقاديرها في النقص والإبرام ، والبسط والانتقاض .

ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل ، والإيجاز والتخفيف ؛ فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار ، حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ، ويتفق أيضا ما تغنى فيه الإشارة ، وما يجري مجرى الوحى في الدلالة .

ومنها أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل ولا يشتط في الحكومة ، ولا يعدل فيما يحط عن المحجة . فهو إنما يترسل في عهد الولاء والقضاء ، وتأكيد البيعة والأيمان ، وعمارَة البلدان ، وإصلاح فساد ، وتحريض على جهاد ، وسد ثغور ورثق فتوق ، واحتجاج على فنة ، أو مجادلة لملة ، أو دعاء إلى ألفة ، أو نهى عن فرقة ، أو تهنئة بمعطية ، أو تعزية برزية ، أو ماشا كل ذلك من جلائل الخطوب ، وعظام الشئون التي يحتاج فيها إلى أدوات كثيرة ، ومعرفة مفتنة .

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المظلمين بجودة النثر أعز ، وعددُهم أنزر . وقد ستمهم الكتابة بشرفها ، وبوأتمهم منزلة رياستها ، فأخطارهم عالية بحسب علو صناعتهم ، ومعاقب رياستهم ، وشدة الفاقة إلى كفايتهم .

والشعراء إنما أغراضهم التي يسدّدون نحوها ، وغاياتهم التي ينزّعون إليها ، وصف الديار والآثار ، والحنين إلى المعاهد والأوطان ، والتشبيب بالنساء ، والتلطيف في الاجتماع ، والتفنن في المديح والهجاء ، والمبالغة في التشبيه والافصاف . فإذا كان كذلك لم يتدأّنوا في المضمار ، ولا تقاربوا في الأقدار . وهذا القول كاف .

وإذ قد أتينا بما أردنا ، ووفينا بما وعدنا ، فإننا نشغل بما هو القصد من شرح الاختيار ، والله الموفق للصواب ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الأخيار .

بسم الله الرحمن الرحيم

باب الحماسة

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوق الإصفهاني رحمه الله .
الحماسة : الشجاعة ، والفعل منه حَمَسَ ، ورجلٌ أحمَسُ . وكانت العرب
تسمي قريشا : مُحَسًّا^(١) لتشدُّهم في أحوالهم ديناً ودُنْيَا . وتسمي بني عامر :
الأحامِسَ ، وكانهم ذهبوا في واحد مُحَسٍّ إلى أنه صِفَةٌ ، فجموعه جمع الصفات ،
كما يقال أحمَرُّ وأحمَرُ ، وأشقرُّ وأشقرُ ، وذهبوا في واحد الأحامِسَ إلى أنه اسم ،
فجموعه جمع الأسماء كما يقال أحمد وأحمد ، وأجدل وأجدل . وهم يُخرجون
الأسماء إلى باب الصفات كثيراً ، فيقولون : بنو فلان الذوائب لا الذنائب ،
والمراد هم الأعلى لا الأسافل ، كما يُخرجون الصفات إلى باب الأسماء كثيراً .
وعلى هذا الأسود : الحياتُ ، والأداهمُ : الثُمُود : قال :

* أَوْعَدَنِي بالسَّجْنِ والأداهمِ^(٢) *

والأباطح : جمع الأبطح . وكلُّ ذلك صفات أخرجت إلى باب الأسماء .
وقال اللّريدي^(٣) : حَمَسَ الشرُّ : اشتدَّ . والخمَسُ : قريش ، وكنانةُ
وخزاعةُ ، تحمَّسوا في دينهم . وبنو حمَّاسٍ : قبيلة من العرب ، وكذلك بنو
حمَّيسٍ^(٤) . وقوله :

(١) م : « الحمس » .

(٢) نسبة العيني (٤ : ١٩٠) للعديل بن الفرخ ، قاله حين هجا الحجاج فته عده . وبعده :

* رجل فرجلى شثنة المناسم *

(٣) يعني أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد .

(٤) انظر جمهرة ابن دريد (٢ : ١٥٦) .

١

قال بعض شعراء بلعنبر^(١) :

المراد به بنى العنبر ، ولهذا وجب ألاَّ يصحب الكسرة التى فى الراء التثوين .
وإنما حذف النون من « بنى » لاجتماعه مع اللام من العنبر ، وتقاربهما فى
الخروج . وذلك لأنه لما تعذر الإدغام فيه جعل الحذف بدلاً من الإدغام .
وإنما تعذر الإدغام لأن الأول متحرك والثانى ساكن سكوناً لازماً ، فلما كان
من شرط المدغم تحريك الثانى إذا ادغم الأول فيه ، وكان لام التعريف ساكناً
سكوناً لازماً ، جعل الحذف لكونه مؤدياً إلى التخفيف المطلوب من الإدغام
بدلاً لما تعذر هو . ولا يلزم على هذا أن يحذف النون من بنى النجار لأن
اللام قد ادغم فى النون التى بعده ، فلا يمكن تقدير إدغام النون التى قبله فيه ،
حتى إذا تعذر جعل الحذف بدلاً من الإدغام ، بدلالة أن ثلاثة أشباه^(٢)
لا يصح إدغام بعضها فى بعض ، ومما يشبه هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين
واستعمال الحذف فى أحدهما بدلاً من الإدغام قولهم علماء بنو فلان^(٣) ، والمعنى
على الماء . ومما يشبهه لكنهما التقياً فى كلمة واحدة ، قولهم ظَلَّتْ وَمَسَّتْ
يقال منهما ظَلَّتْ وَمَسَّتْ ، وإن شئت ظَلَّتْ وَمَسَّتْ . تُلقَى حركة المحذوف
على فاء الفعل . قال الله تعالى : ﴿ فَظَلَّمْتُمْ نَفْسَكُمْ هَاهُنَا ﴾ . وإنما تعذر الإدغام هاهنا
لأن لَامَ الفعل فى مثل هذا المكان إذا اتصل به ضمير الفاعل يُسَكِّنُ البتة ، فلما

(١) فى شرح التبريزى : « واسمه قريط بن أنيف » ، وفى التنبيه لابن جنى : « وقد
تروى لأبى الغول الطهوى » .

(٢) فى النسختين : « أشياء » ، وكذا النص عند التبريزى . والوجه ما أثبتنا .

(٣) شاهده ما أنشده التبريزى وابن جنى فى المبهج من قول قطرى :

غداة طقت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم

لزمه التكون لم يصح إدغام العين فيه ، فلذلك حذِف .

وَالْعَنْبَرُ فِي اللِّغَةِ : الثَّرْسُ وَالطَّيْبُ . وَعَنْبَرَةُ الشَّمَاءُ : شِدَّتُهُ . وَعَنْبَرَةُ الْقَوْمِ : خُلُوصُ أَنْسَابِهِمْ . وَيُقَالُ : رَأَيْتُهُ بِهَذَا الْبَلَدِ عَنْبَرِيًّا . يُضْرَبُ بِهِ مَثَلًا فِي الْهُدَايَةِ . وَبَنُو الْعَنْبَرِ أَهْدَى قَوْمٍ . وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُ النَّوْنِ زَائِدَةً فِيهِ ، فَيَكُونُ فَنَعْلًا مِنْ عِبَرْتُ ، كَأَنَّهُ بِحُسْنِ تَأْتِيهِ لِلْإِهْتِدَاءِ يَغْبُرُ الطَّرِيقُ . وَمِنْهُ قِيلَ فِي الْبَعِيرِ : [هُوَ ^(١)] عُبْرُ أَسْفَارِ .

١- لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ ^(٢)

مَازِنُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ ، هُمُ بَنُو أَخِي الْعَنْبَرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَدَحَ هَذَا الشَّاعِرُ لَهُمْ يَجْرِي يَجْرِي الْإِفْتِخَارَ بِهِمْ ، وَفِي بَنِي مَازِنٍ عَصَبِيَّةٌ شَدِيدَةٌ قَدْ عُرِفُوا بِهَا وَحَدُوا مِنْ أَجْلِهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ ^(٣) مَوْتَنَا لغيرهم :

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعَى عُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَاتِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءٍ
كَأَنَّ دَنَايَرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهَ لِقَاءِ

وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه ومُتَضَمِّنِهِ ، وَتَهْيِيجَهُمْ وَهَزَمَهُمْ ، لِأَذَمِّهِمْ . وَكَيْفَ يَذُمُّهُمْ وَوَبَالَ الذَّمَّ رَاجِعَ إِلَيْهِ ؟ ! لَكِنَّهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى سَالِكٌ لَطَرِيقَةَ كِبْشَةَ أُخْتِ عَمْرٍو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ فِي قَوْلِهَا :

(١) التكلية من م .

(٢) في شرح التبريزي : « وزعم أبو محمد الأعرابي أن الرواية :

... لم تستبح إلي بنه الشقيقة من ذهل بن شيبانا

قال : « الشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان » ثم ذكر أن اللقطة

هي نضيرة بنت عصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة .

(٣) هو محرز بن مكعب النضبي ، كما في اللسان (قسم) ، وسترده هذه المقطوعة

في الحماسة برقم ٦١١ .

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقُلُوا لَهْمُ دَمِي
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَتْ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ :

وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرِ غَيْرُ شَبِيرٍ لَطِمْ
فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتَوَمَّ أَنَّهَا كَانَتْ تَهْجُو أَخَاهَا عَمْرًا أَوْ تَنْسُبُهُ إِلَى الْعَجْزِ وَالْتِقَاصِ
فِي طَلَبِ ثَارِ أَخِيهِ ، وَعَمْرُو هُوَ الَّذِي كَانَ يُعَدُّ بِالْفَارِسِ ، وَلَكِنْ مَرَادُهَا
بَعَثُهُ وَتَهْيِيجُهُ . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْعَبْدُ لِمَوْلَاهُ وَالْغَلَامُ لِصَاحِبِهِ وَقَدْ لَحَقَتْهُمَا هَضِيمَةٌ
مِنْ أَجْنَبِيٍّ : لَوْ كُنَّا فِي خِدْمَةِ فَلَانٍ عَمَّكَ أَوْ أَخِيكَ لَمَا جَسَرَ هَذَا أَنْ يَنَالَنَا بِمَكْرُوهِهِ
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمَا هَجَوَا سَيِّدِيهِمَا أَوْ فَضَّلَا غَيْرَهُمَا عَلَيْهِمَا ، وَلَكِنْ الْمُرَادُ
تَحْرِيكُهُمَا لَهَا ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمِنْ الظَّاهِرِ بَطْلَانُ قَوْلٍ مِنْ يَذْهَبُ إِلَى
أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ هُجَا قَوْمَهُ وَمَدَحَ بَنِي مَازِنٍ يُؤَكِّدُ مَا قُلْتُهُ قَوْلُهُ :

يَحْزُونُ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمَنْ إِسَاءَ أَهْلَ الشُّوءِ إِحْسَانًا
لَأَنَّهُ لَا يُقَالُ لِمَنْ يُسِيكُ عَجْرًا عَنِ الْإِتِّصَارِ إِنَّهُ غَفَرَ ، وَلَا لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى
جَزَاءِ الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ اخْتَارَ الْإِحْسَانَ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ :
* لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا *

وَقَالَ أَيْضًا :

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَتُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا
قُلْتُ : لَيْسَ يَزِيدُ شَيْءٌ مِمَّا قَالَهُ عَلَى قَوْلِ كَبْشَةَ :

* وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ *

وَإِذَا كَانَتْ أَيْبَانُهَا بِاتِّفَاقٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعَانِي لَا تَكُونُ هُجُوًّا ، فَكَذَلِكَ
آيَاتُ هَذَا الْعَنْبَرِيِّ . وَمَا يَشْهَدُ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَهَا وَيُؤَيِّدُهَا ، أَنَّ فِي جُمْلَةِ
أَيْبَانِهِ الَّتِي وَصَفَ فِيهَا قَوْمَهُ :

يُحْبُونَ نِيرَانَهُمْ حَتَّى إِذَا خَدَّتْ شَبُّوا لِمَوْقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانًا^(١)

(١) هَذَا الْبَيْتُ مِمَّا لَمْ يَحْتَرَهُ أَبُو تَمَّامٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ .

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفات نفسه فقال :

أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوِهِ ^(١) فكيف الفرارُ إذا ما اقترَبَ

بل الذى ذكره العنبرى أزيد ، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن ،
فإذا احتاجوا زادوا على كل هائج . ألا ترى أنه قال :

* شَبُّوا لِمَوْقَدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانَا *

ومعنى البيت لو كنت مازنيا لم تُغرَّ بنو اللقيطة على إبلى .

وَلَقِيطَةُ الْحَقِّ بِهَا الْهَاءُ وَإِنْ كَانَ فَعِيلًا فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٍ ، لأنه أُفِرِدَ عَنْ
الموصوف به وَجُلِ اسما . وهذا كما يقال الذَّشِيطَةُ ^(٢) وَالذَّيْبَةُ ، وَالتَّيْبَةُ
في الكعبة .

فأما الاستباحة ، فقد قيل هي في معنى الإباحة ، وقد قيل : إن الإباحة هي
التخليّة بين الشيء وبين طالبه ، والاستباحة اتخاذ الشيء مباحاً للنفس . وكان
الأصل في الإباحة إظهار الشيء للمناظر ليتناولوه مَنْ شَاءَ وَمِنْهُ بَاحَ بَسْرُهُ بَوَاحًا
وَبُؤُوحًا . وَالْمَازِنُ فِي اللُّغَةِ : بَيْضُ النَّمْلِ ، ويقال : هو يَتَمَزَّنُ عَلَى أَحْبَابِهِ ،
كَأَنَّهُ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . وَذُهِلَ مِنْ ذَهَلَتْ عَنْ الشَّيْءِ .

٢- إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعَشَرٌ خُسْنٌ عِنْدَ الْحَفِيطَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَنَا ^(٣)

(١) الرخو : ما فيه رخاوة وسهولة . وفي م : « رخوة » .

(٢) الذشيطه من الإبل : التي تؤخذ فتستاق من غير أن يمد لها . والأوفى كما ورد
في م « النسيكة » ، وهي الذبيحة التي تذبح بحكمة .

(٣) نصن البريزي على أن الرواية ضم اللام في « لوثه » . قال : « ومن روى اللوثه
بافتح قال : إذا لان ذو القوة ، وكان أبلغ في المعنى » . يذهب البريزي إلى أن هناك فرقا
بين الضم والفتح ، وهو قول لبعض اللغويين ، وزعم أن معناها بالضم الضعف ، وبالفتح القوة
والشدة . والأصح أنها لفتان بمعنى واحد ، وهو الحق والاسترخاء والضعف ، وسيأتي للمرزوقي
كلام في هذا .

اللام في «لقام» جواب يمين مضمرة، والتقدير إذا والله لقام [بنصرى^(١)].
 فإن قيل: فأين جواب لو كنت؟ قلت: هو لم تستبح لم يلى. وفائدة «إذا»
 هو أن هذا أخرج البيت الثانى مخرج جواب قائل قال له: ولو استباحوا ماذا
 كان يفعل بنو مازن؟ فقال: إذا لقام بنصرى مفسر حُشِن. قال سيبويه:
 «إذا جواب جزاء»، وإذا كان كذلك فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزاء
 على فعل المستببح. ويجوز أن يكون أيضاً إذا لقام جواب «لو»، كأنه أجيب
 بجوابين. وهذا كما تقول: لو كنت حرّاً لاستباحت ما يفعله العبيد، إذا
 لاستحسن ما يفعله الأحرار^(٢). وقوله «إن ذو لؤثة» يرتفع ذو عند حُذاق
 النحويين بفعل مُضَمَّر، الفعل الذى بعده تفسيره، وهو لأن. والتقدير إن لأن
 ذو لؤثة لانا. وإنما قالوا هذا لأن «إن» لما كان شرطاً كان بالفعل أولى،
 وعمله الجزم فيجب أن لا يفارق معموله فى اللفظ والتقدير. وليس هذا موضع
 الكلام على من يجعل «ذو» بعد إن وما أشبهه مبتدأ. ومعنى البيت إذا والله
 لقام بنصرى، أى لتكفل به قوم أشدّاه عند الغضب، إذا الضعيف لأن.
 ويقال: قام بالأسر، أى تكفل به. وهو القائم والقيم. وقام بالقسط والمدل
 فى الرعية، وقام عليه إذا ساسه وولىه، ومنه القيوم والقيّام^(٣) فى صفات الله
 تعالى، وقوله: «إلا ما دُمّت عليه قائماً» أى قاهراً. وأقمت الرُمح فقام، بمعنى
 قوّمته فتقوم. وقوله «إن ذو لؤثة» تعريض منه بقومه لينصّبوا ويهتاجوا
 لنُصْرته. وهو فى البعث والتهيج أحسن من التصريح، كما أنه فى الذمّ والمحو

(١) هذه من ل.

(٢) ما بعد هذه الكلمة إلى كلمة «والتقدير» تجده بلفظه عند التبريزى بدون تنبيه

على مأخذه.

(٣) أصله «قيام» على فيعال كما ورد فى اللسان: ومثله «صياغ» من الصوغ.

وقد قرأ بها عمر بن الخطاب فى صورة آل عمران: «الله لا إله إلا هو الحى القيّام». انظر

كتاب المصاحف للسجستانى ٥٢ بتحقيق المستشرق آرثر جفرى.

كذلك . وهذا بعضُ الناسِ رواه «إِنْ ذُو لَوْنَةٍ» وزعم أن ذُو لَوْنَةٍ ليس بجيد لأن الضعيف أبداً مَهِينٌ، والواجب أن يقول إن القويَّ لَانَ، واللَوْنَةُ هي القوَّة . والرواية الصحيحة هي ضم اللام من اللَوْنَةُ (١) . والفائدة ما ذكرت من التعريض بقومه . ولأنَّ يكون طَرَفًا البيت متناولين لمعنيين متقابلين ، أحسن من أن يكونا مفيدَيْن لمعْنَى واحد . و «الْمَعْشَرُ» : اسم للجماعة ، لا واحداً له من لفظه . وقال الخليل : هو اسم لجماعة أمرُهُم واحد . ويقال جاءوا مَعْشَرَ مَعْشَرَ ، أى عَشْرَةَ عَشْرَةٍ . و «خُشْنٌ» : جمعُ خَشِنٍ وَأَخْشَنَ . و «الحَفِظَةُ» : الْخَصْلَةُ يُحْفَظُ لها ، أى يُغَضَّبُ . وقيل هي الْحَمِيَّةُ ، وفي المثل : «الحفائظُ تحلُّ الأحقاد» وقيل أيضاً «أهل الحفائظِ أهل الحفاظ» . وذلك أن ذا الأنفِ يحترسُ من العارِ ، فلا يزال يَتَحَفَّظُ ويحافظُ حتى يَسْلَمَ منه . وكأنَّ الأصل في الكلِّ الحِفْظُ الذى هو نقيض النسيان . وقد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعةُ به ، وجاد البيتُ له ، كأنه (٢) قال مَعْشَرَ خَشِنُونَ عند الحفيظة إن كان ذُوو اللَوْنَةِ لَيِّنِينَ عندها .

٣- قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا

أراد أن يصف بنى مازن بما يحتاج له قومه فينصرونه ، فقال : هم قوم إذا ظهر لهم الشرُّ واشتدَّ سارعوا إليه غير متوقعين (٣) لتَجَمُّع ، ولا مُعَرَّجِينَ على تَأَهُب ، لكنهم يتبادرون أفراداً وَثُبَاتٍ ، وأشتاتاً وجماعاتٍ . وإبداء الناجذِ — وهو ضرر الحِلْمِ — مَثَلٌ لاشتداد الشرِّ . ومثله قول الآخر :

فَمَنْ يَكُ مِغْزَالِ الْيَدِينِ ، مَكَانُهُ إِذَا كَشَرَتْ عَنْ نَابِهَا الْحَرْبُ خَامِلٌ

(١) انظر ما سبق من التعليق عند إنشاد البيت .

(٢) في الأصل : «أنه» ، وأثبتنا ما في م .

(٣) كلا في الأصل . وفي م : «متوقعين» .

فَأَمَّا قَوْلُ عَنَتَرَةَ :

* إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْقَمِّ ^(١) *

وقول الأعشى :

* سَعَةُ الشُّدُقِ عَنِ النَّابِ كَلَحَ ^(٢) *

وقول الآخر :

* وَقَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ الْفَمَا *

فإنما هو صفةٌ للعضلى بنار الحرب عند اشتداد الأمر عليه . ومثله لبعض
البلغاء : « صَارَ الْأَكْسُ كَالْأَرْوَقِ ، وَلِلْمُحْتَالِ كَالْأَحْقِ ؟ وَذُو الْبَصِيرَةِ
كَالْأَخْرَقِ ^(٣) » . ويقال : عَضَّ عَلَى نَاجِذِهِ ^(٤) ، إِذَا صَبَرَ عَلَى الْأَمْرِ . وَنَجَذَتْهُ
الْأُمُورُ : أَحْكَمَتْهُ . قال الشاعر ^(٥) :

* وَنَجَذَنِي مُدَاوِرَةُ الشُّوُونِ *

ويقول الرجل إذا أراد أن يقشدد على صاحبه : لِأَرَبَنَّكَ نَاجِذِي ! والمعنى
أنه يكشِّرُ له ويكَلِّحُ في وجهه حتى يبدو نَاجِذُهُ . ويقولون : « خَلَّتُهُ لِعُبُوسِهِ
يَيْتَسِمُ ^(٦) » ، وَلِإِقْدَامِهِ يَنْهَجِمُ ^(٧) » . وقال بعضهم : النَوَاجِذُ : الضَّوَاكِحُ ، واحتج
بمحدث النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ » . قال :

(١) صدره : * ولقد حفظت وصاة عمي في التصحى *

(٢) صدره في الديوان ١٦١ : * وله المقدم في الحرب إذا *

(٣) الأكس : التقصير الأسنان الصغرى ها . والأروق : الطويل الأسنان .

(٤) م : « نَاجِذِهِ » .

(٥) هو سحيم بن وثيل الرياحي ، كما في اللسان (نجد) والأصمعيات . وصدر البيت :

* أَخُو خَمْسِينَ يَجْتَمِعُ أَسْدِي *

(٦) في النسختين : « يَيْتَسِمُ » ، والتصحيح بعده يقتضى ما أثبتنا ليصلح السجع .

(٧) كذا على الصواب في م . يقال انهجم الحياء : سقط . وفي الأصل : « يَنْهَجِمُ » ،

ولا أصل له في اللغة . وعلى هذا فالوجه أن يكون الفعل قبله : « يَيْبِسُ » لكنه ورد كذا في النسختين .

وأقصى الأسنان لا يديها الضحك . والصحيح الأول ، فأما الخبر فمحمول
على المبالة وإن لم تبد النواجذ .

وجواب « إذا » طاروا . و « وُخْدَانَا » هو جمع واحد ، وواحد صفة ،
كصاحب ومُحِبَّان ، ورَاع ورُعَيَان . ويقال طَرْتُ إلى كذا ، إذا أشرعت
إليه ، وطَرْتُ بكذا ، أى سبقت به . والزَّرَافَاتُ : الجماعات ، واشتقاقه من
من الزَرْف ، وهو الزيادة على الشيء . ويقال زَرَفْتُ القوم قُدَّامِي ، أى
قَدَّمْتُهُمْ فِرْقًا . وحُكِيَ في الزَّرَافَةِ تشديد الفاء ، يقال جاء القوم بِزَرَافَتِهِمْ ،
أى بجماعتهم ؛ وهو غريب . والمعنى أنهم لحرسهم على القتال وجُرأتهم ،
لا يفتخر بعضهم بفضا ، لكن كلاً منهم يعتقد أن الإجابة تعينت عليه إذا
تشدد الشر لهم . وفي طريقته قول بعض الشعراء ^(١) :

قَوْمٌ إِذَا هَتَفَ الصَّرِيحُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجَمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ ^(٢)

سَافِعٌ : آخذ بناصية فرسه . ومنه قول الله تعالى : ﴿ لَسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ .
وقول الآخر ^(٣) :

وَكُنْتُ إِذَا جَارَى دَعَا لِمُضَوِّفَةٍ أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِثْرِي

ع- لَا يَسْأَلُونَ أَحَاظَهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا

الأصل في الثدبة — وإن اشتهرت ببيكاء الأموات وقواهم عنده :
وَأَفْلَانَاهُ : — الدعاء ، وتوسّعوا فيه فقالوا : نُدِبَ مُلَانٌ لكذا وكذا ، إذا
نُصِبَ له ورُشِّحَ للقيام به . ويقولون : تَكَلَّمَ فُلَانٌ فَاتَدَبَ لَهُ فُلَانٌ ، إذا عارضه .
والشاعر يقول : هؤلاء القوم ، يعنى بنى مازن ، لحسن محافظتهم وقوة تناهيهم

(١) هو عمرو بن معديكرب ، كما في تفسير أبي حيان (٨ : ٤٩١) .

(٢) رواية أبي حيان : « إذا كثر الصياح » .

(٣) هو أبو جندب الهذلي ، كما في اللسان (نصف) وديوان الهذليين (٣ : ٩٢) .

فِي نُصْرَةِ الْمُنتَسِبِ إِلَيْهِمْ وَالْمُعَلَّقِ ^(١) حَبْلُهُ بِحَبْلِهِمْ ، لَا يَسْأَلُونَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا دَعَاهُمْ حُجَّةً عَلَى دَعْوَاهُ ، وَلَا يَرِاجِعُونَهُ فِي كَيْفِيَّةِ مَا أَلْجَاهُ إِلَيْهِمْ ، لَكُنْهُمْ يُعْجَلُونَ الْإِغَاثَةَ لَهُ . وَهَذَا تَعْرِيفٌ مِنْهُ بِمَا لِحَقَّةُ مِنْ قَوْمِهِ أَوْ رَأَاهُ مِنْ عَادَتِهِمْ عِنْدَ الْاسْتِفَاتَةِ بِهِمْ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : يَا أَخَا قُرَيْشٍ ؛ وَالْمَعْنَى يَا وَاحِدًا مِنْهُمْ . وَمِثْلُهُ : إِذَا اسْتَنْجَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَائِهِمْ لَأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بَأْيٍ مَكَانٍ ^(٢) .

وَقَدْ وَصَفَ بَنِي مَازِنٍ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِمِثْلِ مَا وَصَفَهُمْ هَذَا الشَّاعِرُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

نَفْسِي فِدَا لِي بَنِي مَازِنٍ مِنْ شُمْسٍ فِي الْحَرْبِ أَبْطَالٍ
وَقَوْلُ الْآخَرِ ^(٣) :

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعَى عُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كَفَلَانِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاهٍ
هـ - لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنْ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
رَجَعَ إِلَى صِفَةِ قَوْمِهِ بِمَا يَأْتِفُونَ مِنْهُ عِنْدَهُ ؛ وَتَدْخُلُهُمُ الْحِمْيَةُ لَدَى الْإِضْغَاءِ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ قَصْدُهُ ذَمُّهُمْ فَقَالَ : لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ كَثْرَةُ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ لَيْسُوا مِنْ دَفْعِ الشَّرِّ وَإِنْكَارِهِ ، وَقَصْدُهُ وَارْتِكَابُهُ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ خِيفَةٌ وَقَلَّةٌ . وَقَدْ قَابَلَ الشَّرْطَ بِالشَّرْطِ فِي الصَّدْرِ وَالْعِجْزِ ، وَطَابَقَ الْعَدَدَ وَالْكَثْرَةَ بِالْهَوْنِ وَالخِفَةِ فِي هَذَا الْكَلَامِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَصِفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُوْثِرُونَ السَّلَامَةَ وَالْعَفْوَ عَنِ الْجُنَاةِ مَا أَمَكُنَ ، وَلَوْ أَرَادُوا الْإِنْتِقَامَ لَقَدَرُوا بِعَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ وَلَكِنَّ الْمُرَاقَبَةَ وَالتَّقْوَى تَدْعُوهُمْ إِلَى إِثَارِ الْحُسْنَى .

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ . وَفِي م : « الْمَعْلَق » بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ ، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ . اللَّسَانُ (عُلُق) .

(٢) لُودَاكُ بْنُ ثُمَيْلٍ الْمَازِنِيُّ ، سَيَأْتِي فِي الْمَقْطُوعَةِ ١٨ .

(٣) هُوَ مُحَرِّزُ بْنُ مَكْبَرٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي ص ٢٣ .

٦- يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشُّوءِ إِحْسَانًا
 روى بعضهم « مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ » وَالظُّلْمُ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ وَالضَّمُّ الْاسْمُ .
 وهذه الرواية عندي أحسن . وقد بَيَّنْتُ مَا فِي الْمَغْفِرَةِ وَالْإِحْسَانِ مِنَ الدَّلَالَةِ
 عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَى إِثَارِ ضَدِّهَا . وَالظُّلْمُ : انْتِقَاصُ الْحِظِّ وَالنَّصِيبِ .
 وَقِيلَ هُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَنَقِضُ الْعَدْلِ . وَيَنْتَصِبُ إِحْسَانًا
 بِيَجْزُونَ مَضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَيَجْزُونَ مِنَ الْأَسَاءَةِ إِحْسَانًا . وَجَازَ حَذْفُهُ
 لِأَنَّ الْفِعْلَ قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ .

٧- كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا^(١)
 الْحَشِيَّةُ وَالْحَشَى وَالْمَخْشَاءُ : مَصْدَرُ خَشِيَ . وَيَقُولُونَ : هَذَا الْمَكَانُ أَخْشَى
 مِنْ ذَاكَ ، وَهُوَ نَادِرٌ لِأَنَّ الْمَكَانَ يُخْشَى فَهُوَ مَفْعُولٌ . وَرَجُلٌ خَشِيَانٌ وَامْرَأَةٌ
 خَشِيَانَةٌ . وَقَوْلُهُ « سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ » هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ ، وَلَوْ قَامَ
 مَوْقَعُهُ لَكَانَ الْكَلَامُ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ إِنْسَانًا سِوَاهُمْ ، فَكَانَ يَجُوزُ فِي سِوَاهُمْ
 التَّبَدُّلُ وَالِاسْتِثْنَاءُ وَالصَّغَةُ ، فَلَمَّا قُدِّمَ بَطَّلَ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا وَصِفَةً لِأَمَّا
 لَا يَتَقَدَّمَانِ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَالْمُبَدَّلِ مِنْهُ ، فَبَقِيَ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً . وَقَدْ نَبَّهَ بِهَذَا
 الْكَلَامُ أَنَّ احْتِمَالَهُمْ لِحَسَابِ الْأَجْرِ عَلَى زَعْمِهِمْ ، وَإِبْقَاءَهُمْ فِي الْإِنْتِقَامِ لِحَشِيَّةِ
 فَوَاتِ الذُّخْرِ فِي دَعْوَاهُمْ ، فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَوْفِهِ غَيْرَهُمْ .

(١) بَدَأَ بَيْتُ ثَامِنٍ لَمْ يَرَوْهُ الْمَرْزُوقِيُّ ، وَرَوَاهُ التَّبْرِيزِيُّ ، وَهُوَ :

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكَبُوا شَدُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا

قَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ : « وَيُرْوَى : شَدُّوا الْإِغَارَةَ ، أَيْ فَرَّقُوهَا . يُقَالُ شَدَّ عَلَيَّ الْغَارَةُ
 بِالْثَنِينِ مَعْجَمَةً . وَسَمِعْتُ عَلَيْهِ دَرْعَهُ بِالسَّيْنِ ، إِذَا صَبَّهَا عَلَيْهِ . وَمَنْ رَوَى : شَدُّوا الْإِغَارَةَ ،
 فَلَيْسَ الْإِغَارَةُ مَفْعُولًا بِهِ وَلَا انْتِصَابًا عَلَى ذَلِكَ . لَكِنْ انْتِصَابُهَا انْتِصَابُ الْمَفْعُولِ لَهُ ، أَيْ شَدُّوا
 لِلْإِغَارَةِ كَقَوْلِكَ حَلُّوا لِلْإِغَارَةِ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا ، أَيْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . وَهُوَ كَقَوْلِ الْآخَرِ :

• شَدُّنَا شَدَّةً فَقَتَلْتَ مِنْهُمْ •

أَيْ حَلَلْنَا حَلَّةً . وَشَدَّتْ هَذِهِ غَيْرُ مُتَعَدِيَةٍ ، وَإِذَا أُرِيدَ تَعْدِيَتُهَا وَصَلَتْ بِعَلَى . قَالَ :
 أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالَى أَحْتَقَى كَانَ فِيهَا أُمُّ سَوَاهَا .

٢

وقال شهل بن شيبان الزماني^(١) :

ويُلقَّبُ بالفنْدِ . والفِنْدُ في اللغة : القطعة العظيمة من الجبل ، وجمعه أفنَادُ .
قال الدَّريْدِي : لُقِّبَ به لعظم شخصه . قال : وهو أحد الفرسان . وقال غيره :
لُقِّبَ به لأنه قال لأصحابه في يومِ حَرْبٍ : « اسْتَنْدُوا إِلَيَّ فَإِنِّي لَكُمْ فِنْدٌ » .
١ - صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهَلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمُ إِخْوَانٌ^(٢)

صَفَحْتُ عَنْهُ : عَفَوْتُ عَنْ جُرْمِهِ . ويقال أَعْرَضْتُ عَنْ الْأَمْرِ صَفْحًا ،
إِذَا تَرَكْتَهُ . وقد يقال : أَصَفَحْتُ عَنْهُ ، كما يقال أَضْرَبْتُ [عَنْهُ ^(٣)] . ويقال :
أَبْدَى لِي صَفْحَتَهُ ، إِذَا مَكَّنَكَ مِنْ نَفْسِهِ . يقول عَفَوْنَا عَنْ جَرَمِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ،
وَرَاعَيْنَا مِنَ الْأَحْوَالِ التَّوَاشِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، مَا حَمَلْنَا عَلَى الْإِغْضَاءِ عَلَى قَبِيحٍ
يَتَّفِقُ مِنْهُمْ ، وَالتَّجَاوُزِ عَنْ هَفْوَةٍ تَحْصُلُ مِنْ جَهْتِهِمْ ، وَقُلْنَا : إِنَّ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
مِنَ الْإِخْوَةِ يَقْتَضِي الْإِبْقَاءَ عَلَى الْحَالِ مَعَهُمْ ، وَانتِظَارًا لِنَفِثَةٍ^(٤) تَكُونُ مِنْهُمْ .
وَحَقِيقَةُ صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهَلٍ : أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ : وَلَيْسَ أَعْنَاقُنَا
وَوُجُوهُنَا ، وَهِيَ جَانِبُهَا ، فَلَمْ نَتَوَاضَعْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ . وقال في هذا المعنى
ضَرَبْنَا عَنْهُمْ صَفْحًا ، وَفِي الْقُرْآنِ : (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا) .

٢ - عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَ نَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا

إِنَّمَا نَكَّرَ قَوْمًا لِأَنَّ فَائِدَتَهُ مِثْلُ فَائِدَةِ الْمَعَارِفِ ، لَا تَرَى أَنَّهُ لَا فَضْلَ بَيْنِ

(١) هو شاعر جاهلي قديم ، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب بكر وتغلب
وقد قارب المائة . الخزانة (٢ : ٥٨ - ٥٩) والأغاني (٢٠ : ١٤٣ - ١٤٤) واللائق ٥٧٩ .

(٢) التبريزي : « ويروى : * صفحننا عن بني هند * وهي هند بنت مر بن أد أخت
تميم ، وهي أم بكر . وتغلب ابني وأثل . فيقول : « صفحننا عن بني تغلب لأنهم إخواننا عطفنا
عليهم الرحمة » .

(٣) هذه من م . (٤) النفيسة : الرجعة .

أَن تَقُولَ عَفَوْتَ عَنْ زَيْدٍ فَلَعَلَّ الْأَيَّامَ تَرُدُّ رَجُلًا مِثْلَ الَّذِي كَانَ ، وَبَيْنَ أَنْ
تَقُولَ فَلَعَلَّ الْأَيَّامَ تَرُدُّ الرَّجُلَ مِثْلَ الَّذِي كَانَ ؛ لِأَنَّكَ تَرِيدُ فِي الْمَوْضِعِينَ بِهِ رَجُلًا
أَوِ الرَّجُلَ . وَلِلْمَعْنَى فَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ رَجَاءً أَنْ تَرُدَّهُمُ الْأَيَّامُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ
مِنْ قَبْلُ . وَعَسَى مِنْ أَفْعَالِ الْمَقَارَبَةِ . وَأَنْ يَرْجِعَنَّ فِي مَوْضِعِ خَبَرِ عَسَى ، وَلَوْ قَالَ
عَسَى أَنْ يَرْجِعَ الْأَيَّامُ قَوْمًا لَكَانَ أَنْ يَرْجِعَ فِي مَوْضِعِ فَاعِلِ عَسَى وَكَانَ
يَكْتَفِي [بِهِ ^(١)] ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَسَى لِمَقَارَبَةِ الْفِعْلِ ، وَالْفِعْلُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْفَاعِلِ ،
فَإِذَا تَقَدَّمَ الْفِعْلُ مَعَ أَنْ وَتَبِعَهُ الْفَاعِلُ فَقَدْ حَصَلَ مَا يَطْلُبُهُ ، فَإِذَا وَلِيَهُ الْاسْمُ بَقِيَ
يَنْتَظِرُ الْفِعْلَ وَإِنْ ارْتَفَعَ ذَلِكَ الْاسْمُ بِهِ ، فَيَجْرَى الْفِعْلُ مَعَ أَنْ بَعْدَهُ مَجْرَى خَبَرِ كَانَ
بَعْدَ اسْمِ كَانَ . وَمَعْنَى يَرْجِعَنَّ : يَرُدُّونَ ، وَهُوَ يَابَ فَعَلَ وَفَعَلْتُهُ . يُقَالُ رَجَعَ
فُلَانٌ رَجوعًا وَمَرَجَعًا وَرُجْعًا وَرُجْعَانًا ، وَرَجَعْتُهُ رَجْعًا . وَمَعْنَى يَرْجِعَنَّ قَوْمًا
يَرُدُّونَ بِأَسْمِهِمْ أَمْرًا قَوْمًا ، وَبِاثْتِلَافِهِمْ اثْتِلَافَ قَوْمٍ . فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقَامَ الْمُضَافُ
إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَخَبَرُ كَانَ مَحْذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ كَالَّذِي كَانُوا ، أَيْ كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلُ مِنْ
الِاثْتِلَافِ وَالتَّوَادُّعِ وَالِاتِّفَاقِ . وَالضَّمِيرُ الَّذِي أَظْهَرْنَاهُ فِي « كَانُوا » هُوَ الَّذِي تَصَحُّ
الصَّلَاةُ بِهِ ، لِأَنَّ الْمَوْصُولَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي صَلَاتِهِ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ اسْمًا ،
وَالَّذِي لَيْسَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ كَانُوا شَيْءٌ إِلَّا مَا أَبْرَزْنَاهُ مِنَ الضَّمِيرِ . وَمِنْ جَوَازِ حَذْفِ
الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ مِنَ الصِّفَةِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ وَيَقْدَرُ فِيهِ أَنَّ الْكَلَامَ لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، لَا يَسُوعُ لَهُ
أَنْ يَقْدَرُ فِي الصَّلَاةِ أَيْضًا كَذَلِكَ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
« الْقَدِيرُ يَرْجِعَنَّ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ ، لِأَنَّ مِثْلَ عَلَيْهِ لَا يَجُوزُ حَذْفُهُ مِنَ الصَّلَاةِ ،
لَا تَقُولُ الَّذِي مَرَرْتُ جَالِسًا ، وَأَنْتَ تَرِيدُ مَرَرْتُ بِهِ ، وَالَّذِي دَخَلْتُ مُنْطَلِقًا ، وَأَنْتَ

(١) جذه من م .

تريد الذي دخلت عليه . وبمثل هذا توَصَّلَ مَنْ زعم في الآية أن التقدير : واتَّقُوا يوماً لا تجزيه نفس عن نفس شيئاً ، لأنه قال : الصفة كالصلة ، فكما لا يجوز حذف فيه وأشباهه من الصلة ، كذلك لا يجوز حذفها من الصفة ، فاعلمه . ويجوز أن يكون قوله كالذي كانوا ، أراد « كالذين » كانوا ، وحذف النون تخفيفاً ، كما قال ^(١) :

إِنَّ الَّذِي حانت بفَلَجٍ دماؤهم مُمُّ الْقَوْمِ كُلِّ الْقَوْمِ - يَا أُمَّ خَالِدٍ ^(١)
فيكون المعنى يرجع بهم قوماً كالذين كانوا من قبل . وفي هذا الوجه يجوز أن يُجْعَلَ « الذي » للجنس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ثم قال ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٢) ، والفصل بين هذا الوجه وبين الوجه الأول أنه أمْلَ في الوجه الأول أنهم إذا عَفَوْا عنهم أدَّبَتْهُمُ الْأَيَّامُ وَرَدَّتْ أحوالهم في التَّوَادُّ والتَّحَابِّ كأحوالهم فيما مضى ، وأزالت من فساد ذات البين ما اعترض بسوء عشرتهم . وفي الوجه الثاني أمْلَ أن ترجع الأيام أنفسهم ، إذا صفحوا عنهم كما عُدَّتْ : سلامة صدور ، وكرم اعتقاد وعهود .

٣ - فَلَمَّا صَرَخَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانٌ

فائدة أمسى وأصبح وظلَّ وبات في مثل هذا المكان على حدِّ الفائدة في « صار » لو وقع موقعها ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ ، والبشارة بالأنثى تقع ليلاً ونهاراً . وكذلك تقول : أصبحوا خاسرين وأمسوا نادمين ، وإن كانوا في كلِّ أوقاتهم على ذلك . « وَلَمَّا » علم للظرف ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره ، ولهذا لا بدَّ له من جواب . ويقال صَرَخَ الشيء إذا كشف عنه وأظهره ، وصَرَخَ هو إذا انكشف ^(٣) . ومثله بين .

(١) البيت المشبه بن ربيعة ، كما في البيان (٤ : ٥٥) والخزانة (٢ : ٥٠٨) .

(٢) هم المتقون ، من م .

(٣) م : « بمعنى انكشف » .

الشيء ويَبِّن هو ، أى تبَيَّن ، وفي المثل « قَدْ بَيَّنَّ الصُّبْحُ لَدَى عَيْنَيْنِ » . وفَعَّل بمعنى تقتل واسِعٌ ، يقال وَجَّهَ بمعنى توجَّه ، وَقَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ ، وَنَبَّهَ بمعنى تنبه ، وَنَكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ . فيقول : لَمَّا ظَهَرَ الشَّرُّ كُلَّ الظُّهُورِ وصار بحيث لا يَسْتُرُهُ شيء ولم يبق بيننا وبينهم سِوَى الصَّبْرِ عَلَى الظلم الصريح . والمعنى أنهم لَمَّا تجاوزُوا الأحوالَ المتشابهة ، والأخذُ بالإِنصافِ والمَعْدِلَةِ ، إلى استعمالِ الظلمِ وَرَفَعَ الحِشْمَةَ ، حينئذ جازيناهم بمثل ما ابتدءونا . وذكر العُريَّانِ مَثَلٌ لظهور الشر . وقد اشتمل هذا الكلام على تفسير البيت الذى يتلوه ، وهو قوله :

٤ - وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَانِ دِنَانُهُمْ كَمَا دَانُوا

الْعُدْوَانُ والعِدَاءُ والعُدْوُ^(١) : الظُّلْمُ . وأما قوله دِنَانُهُمْ كَمَا دَانُوا ، والأول ليس مجزأ ، فهذا لميلهم إلى المطابقة والموافقة ، وإخراج اللفظ في مِعْرَضٍ صاحبه^(٢) لِيُعْلَمَ أَنَّهُ جَزَاؤُهُ عَلَى حَدِّهِ وَقَدْرِهِ ، أو ابتدأوه . وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ و ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾^(٣) وما أشبهه . وجواب لَمَّا صَرَّحَ « دِنَانُهُمْ » . وقوله في البيت التالى^(٤) هو تفصيل لما أَجْمَلَهُ قوله دِنَانُهُمْ ، لأنه فَسَّرَ كيف كان ذلك الجزاء . والدِّينُ لفظةٌ مشتركةٌ فى عدة معانٍ : الجزاء ، والعادة ، والطاعة ، والحِسَابُ . وهو هاهنا الجزاء . ويقولون : « كَمَا تَدِينُ تُدَانُ » أى كَمَا تَصْنَعُ يُصْنَعُ بِكَ .

٥ - مَشِينًا مِشِيَةَ اللَّيْثِ غَدَاً وَالْآيْتُ غَضْبَانًا^(٥)

كرَّرَ اللَّيْثَ ولم يأت بضميره تفضيلاً وتهويلاً ، وهم يفعلون ذلك فى أسمائهم

(١) كذا ضبط فى الأصل ، ومثله العدد بالفتح أيضاً .

(٢) يعنى ما يسميه البلاغيون المشاكلة .

(٣) قبلها : (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) .

(٤) م : « التالى » .

(٥) التبريزى : « ويروى : شددفا شدة الليث » .

الأجناس والأعلام . قال عدى :

لا أرى الموت يسبقُ الموتَ شئٌ ، نَقَصَ الموتُ ذا الغنى والفقير^(١)

فيقول : سَمِينَا إِلَيْهِمْ مِشْيَةُ الْأَسَدِ ابْتَكَرَ وَهُوَ جَائِعٌ ، وَكَتَنَى عَنِ الْجُوعِ بِالغَضَبِ لِأَنَّهُ يَصْحَبُهُ . وهذا التشبيه أخرج ما لا قُوَّةَ لَهُ فِي التَّصَوُّرِ إِلَى مَا لَهُ قُوَّةٌ فِيهِ ، وَمَنْ رَوَى « عَدَا » عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَدَوَانِ فَلَيْسَتْ رِوَايَتُهُ بِحَسَنَةٍ ، لِأَنَّ اللَّيْثَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ ظَالِمٌ عَادٍ . وَالْمِشْيَةُ : اسْمُ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْمَاشِي فِي مَشْيِهِ ، وَالْمِشْيَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ ، وَالْفِعْلُ يَتَعَدَّى إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا . وَاللَّيْثُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ . وَيُقَالُ : اسْتَلَيْتَ الرَّجُلَ ، إِذَا اشْتَدَّ وَقَوَّى .

٦ - بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِيَةٌ نٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانٌ^(٢)

تَعَلَّقَ الْبَاءُ مِنْهُ بِمَشِينَا ، أَيْ مَشِينَا بِضَرْبٍ فِي ذَلِكَ الضَّرْبِ تَضْعِيفٌ لِلْمَضْرُوبِ بِهِ ، وَتَذْلِيلٌ وَلِينٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِيهِ تَوْهِينٌ وَصَوْتُ فِي الْقَطْعِ وَكَسْرُ الْعِظَامِ وَإِطَاقَةٌ وَقُوَّةٌ . وَيَكُونُ حِينَئِذٍ « تَخْضِيعٌ » مِنَ الْخَضْعَةِ وَالْخَضِيعَةِ وَهِيَ اخْتِلَاطُ الصَّوْتِ فِي الْحَرْبِ . وَمِنْهُ خَضِيعَةُ بَطْنِ الْفَرَسِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ « لِلسَّيَاطِ خَضْعَةٌ » لَا أُدْرِي أَمِنْ الصَّوْتِ هُوَ أَوْ مِنَ الْقَطْعِ^(٣) . وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ :

* وَالضَّارِبِينَ الْهَامَّ تَحْتَ الْخَيْضَعَةِ^(٤) *

وَقَالَ : هِيَ السِّیُوفُ . وَ« إِقْرَانٌ » مِنْ قَوْلِهِمْ : أَقْرَنَ فُلَانٌ ، أَيْ أَطَاقَ .

(١) انظر الخزانة (١ : ١٨٣ / ٢ : ٤ / ٥٣٤ : ٥٥٢) وسيبويه (١ : ٣٠) .

(٢) التبريزي : « ويروى : تخذيع ، وهو القطع . ويروى :

بضرب فيه تفجيع وتأيم وإقران »

(٣) م : « أم من القطع » .

(٤) الرجز للبيد في ديوانه ٧ - ٨ وأمالى ثعلب ٤٥٠ والخزانة (٤ : ١١٧) . وهي

مع قصتها في الخزانة وأمالى المرتضى (١ : ١٣٤ - ١٣٧) والحيوان (٥ : ١٧٣)

والأغانى (١٤ - ٩١ - ٩٢) والعمدة (١ : ٢٧) .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ . وفي الأول ^(١) إقرآن من قولهم : أقرن الدمل ، إذا نصّج ولان . ويقال استقرن الحبن أيضا . و « تخضيع » من الخضوع يكون ، وهو الذل . ويقال خضع الرجل وأخضع ، إذا لّين كلامه للنساء . وفي الحديث : « نهى أن يخضع الرجل لغير امرأته » ، أى يلبّن كلامه .

٧ - وَطَعْنِ كَفَمِ الزَّقِّ غَذَا وَالزَّقُّ مَلَانٌ
كرر ذكر « الزَّقِّ » كماكرر ذكر الليث فيما قبله . وهذا الوصف أبلغ من قول النابغة :

* وَطَعْنِ كَايزَاعِ الْمَخَاضِ الصَّوَارِبِ ^(٢) *

وهذا التشبيه أبرز ما يقل في الاعتياد في صورة ما يكثر فيه : ومثله :

فَجَبَهْنَاهُمْ بِضَرْبِ كَايَخِ رُجٍّ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ ^(٣)

أى ويطعن في اتساعه وخروج الدم منه كفم الزَّقِّ إذا سال بما فيه وهو مملوء . وَغَدَاً يَغْدُو غُدُوًّا ^(٤) ، إذا سال . وَغَدَاهُ يَغْدُوهُ غَدُوًّا . والاسم الغداء . فأما قول الهذلي ^(٥) :

* فَالطَّعْنُ شَفَعَةً وَالضَّرْبُ هَيْفَةً ^(٦) *

فهو حكاية صوت الوقع ، وقوله « غَدَا » في موضع النصب على الحال ، والأجود أن يجعل « قَدْ » مضمرة ^(٧) .

(١) يريد في أصل استعماله .

(٢) ويروى : « كايِزاغ » بالعين المعجمة . وصدوره كما في ديوانه ٨ :

* بضرب يزال الهام عن مكنااته *

(٣) البيت للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته . شرح القصائد العشر للتبريزي ٢٦٦ .

(٤) كذا ضبط في الأصل . وفي اللسان : « غدوا » بالفتح .

(٥) عبد مناف بن ربيع الهذلي .

(٦) عجزه . * ضرب المعول تحت الديمة العضدا *

(٧) ابن جني : « غذا حال من المضاف إليه ، وهو قليل . ويجب أن تكون قد

هاهنا مرادة لذوفة ، أى قد غذا ، من حيث كانت قد تقرب الماضي من الحال » .

٨ - وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْغَابُ

يَعْتَذِرُ مَنْ تَرَكَهُمْ التَّحَلُّمَ مَعَ الْأَوْدَاءِ وَالْأَقَارِبِ ، لَمَّا كَانَ مُفْضِيًّا إِلَى اكْتِسَاءِ ذَلِكَ ، وَاكْتِسَابِ خُضُوعٍ وَعَارٍ . وَالتَّقْذِيرُ : بَعْضُ الْحِلْمِ إِذْغَابُ لِلذَّلَّةِ عِنْدَ جَهْلِ الْجَاهِلِ . وَهَذَا إِذَا تَوَهَّمُوا أَنَّ الْمُحْتَمِلَ إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَهُ خَوْفًا وَتَحْزَرًا ؛ لَا مَيْلًا مِنْهُ إِلَى التَّجَاوُزِ وَالْإِغْضَاءِ وَاسْتِبْقَاءِ الْأُخُوَّةِ وَالْوِدَادِ . وَيُقَالُ : أَدْعَنَ لِكَذَا : إِذَا انْقَادَ لَهُ . وَمِنْهُ نَاقَةٌ مِدْعَانٌ . وَأَدْعَنَ بِكَذَا : أَقْرَبَ بِهِ .

٩ - وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِيْنَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

قَوْلُهُ « فِي الشَّرِّ نَجَاةٌ » أَرَادَ : وَفِي دَفْعِ الشَّرِّ ، غَذَفَ الْمُضَافُ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مُقَامَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ : وَفِي عَمَلِ الشَّرِّ نَجَاةٌ ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ وَفِي الْإِسَاءَةِ مَخْلَصٌ إِذَا لَمْ يُخَلِّصْكَ الْإِحْسَانُ . وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : « الطَّغْنُ يَنْظَرُ » أَيْ يَعْطِفُ ، وَكَأَنَّ قَوْلَهُ رُهِيرَ :

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلُّ لَهْذَمٍ (١)

وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي مِنْهُ مَجْرَى الْإِعْتِذَارِ ، أَوْ جَرَى إِلَيْهِ مَعَ الْقَوْمِ ، فَأَعْلَمَهُ وَيَقُولُونَ أَيْضًا : « مَنْ لَمْ تُقَوِّمِهِ الْكَرَامَةُ قَوِّمْتَهُ الْإِهَانَةُ » .

٣

وَقَالَ أَبُو الْغُولِ الظَّهْوِيُّ (٢) :

الْغُولُ مَا خُوِذَ مِنْ غَالِهِ يُغْوَلُهُ غَوْلًا ، إِذَا أَهْلَكَهُ . وَهُمْ يُسْمَوْنَ كُلَّ دَاهِيَةٍ

(١) م : « يطيع العوالى » ، وهى الرواية المشهورة .

(٢) شاعر إسلامى كان فى الدولة المروانية . الخزائنة ٣ : ١٠٩ واللائى ٥٧٩ .

غولاً . وبذلك سَمَوْا الشَّيْطَانَ وَالْحَيَّةَ ^(١) غُولاً . وَالْفِيلَانَ عِنْدَهُمْ سَحَرَةٌ
الْجَنِّ . قَالَ :

* كَمَا تَلَوْنُ فِي أَنْوَابِهَا الْغُولُ ^(٢) *

١- فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَّقُوا فِيهِمْ ظُنُونِي

لَفْظُهُ لَفْظُ الْخَبَرِ . وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدَّعَاءِ . يَقُولُ : تَقْدَى نَفْسِي مَالِي أَجْمَعُ
فَوَارِسَ يَكُونُونَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدْ رُويَ آخِرُ الْبَيْتِ عَلَى وَجْهِ
تَقَارُبِ مَعَانِيهَا . رُويَ : « فَوَارِسَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي » . وَيَكُونُ ظُنُونِي فِي
مَوْضِعٍ رَفِيعٍ بَصْدَقَتْ وَبُرُويَ : صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي « بَفَتْحِ الصَّادِ . وَتَضْعِيفِ
عَيْنِ الْفِعْلِ يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ . وَظُنُونِي يَرْتَفِعُ بِالْفِعْلِ . وَتَخْصِصِ الْيَمِينِ فِي قَوْلِهِ :
« وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي » لِفَضْلِهَا وَقُوَّةِ التَّصَرُّفِ بِهَا . وَهُمْ يَقِيمُونَ الْبَعْضَ مَقَامَ
الْجَمَّةِ فَيَنْسُبُونَ إِلَيْهِ الْأَحْدَاثَ وَالْأَخْبَارَ كَثِيرًا ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَظَلَّتْ
أَغْنَاهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ . وَقَوْلُهُمْ : عُدْتُ بِحَقِّهِ فُلَانٌ . وَهُوَ عَبْدُ الْمُقَدِّ ^(٣) ،
وَحُرُّ الْوَجْهِ ، وَلَثِمُ الْقَفَا وَمَا أَشْبَهَهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ .
وَفَوَارِسَ شَادٌّ فِي الْجُمُوعِ عِنْدَ سَيْبُوهِ ، لِأَنَّ فَوَاعِلَ إِنَّمَا تَكُونُ جَمْعَ فَاعِلَةٍ فِي
صِفَاتِ مَا يَعْقِلُ دُونَ فَاعِلٍ ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَى سَيْبُوهِ هَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ .

وَبَيْتُ الْفَرَزْدَقِ :

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابِ تَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالْجَنَّةُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) لَكُمِبَ بَنُ زَهِيرٍ ، وَصَدْرُهُ :

* فَا تَدُومُ عَلَى وَصْلٍ تَكُونُ بِهِ *

(٣) الْمُقَدِّ : مَتْنُهُ مِنْبَتُ الشَّعْرِ مِنْ مَوْخَرِ الرَّأْسِ .

وبيت عُتَيْبَةَ بن الحارث :

* ومثلي في غَوَائِبِكُمْ قَلِيلُ *

وقال أبو العباس المبرّد : هو الأضلُّ في جميعه ، ويمحوز في الشعر .

٢- فَوَارِسُ لَا يَمْلُونُ الْمَنَآيَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزَّبُونُ
مَلَّتْ الشَّيْءَ أَمَلُهُ مَلَالًا وَمَلَالَةً وَمَلَلًا ، إِذَا سَمِئْتُهُ . ويقال : فَلَانُ
ذُو مَلَةٍ طَرَفٌ ، إِذَا تَجَرَّ بِشَيْءٍ فَطَرَفَهُ . قال :
* إِنَّكَ وَاللَّهِ لَذُو مَلَةٍ ^(١) *

ويمحوز الرفعُ في فوارِسٍ على أن يَكُونُ خبر ابتداءٍ مُضْمَرٍ ، كأنه قال :
هم فوارِسُ . ويمحوز النصب فيه على أن يَكُونُ بدلًا من فوارِسِ الأولى ،
ولا يَمْلُونُ في موضع الصفة للفوارِس . والمعنى قَدَّتْ نفسى فوارِسٍ لا يَضْجُرُونَ
بمكايدة الحرب ^(٢) وَمَقَاسَاةِ الشدائد فيها ، ولا يكرهون للمقاتلة إِذَا دَارَتْ رَحَى
الحرب بأهلها . والزَّبُونُ : الدَّفُوعُ ، ومنه الزَّبَانِيَّةُ . وإنما شَبَّه الحربَ بالناقَةِ
الزَّبُونِ فوصف بصفتها ، وهى التى تَزْبِنُ حالبها وتدفعه برجلها . قال :

تَزْبِنُ بِالْأَخْفَافِ وَالْمَنَاسِمِ عَنْ ذِرْوَةٍ تَخْضِبُ كَفَّ الْهَاشِمِ

ويقولون : ثَبَّتَ فَلَانٌ فى مَرَحَى الْحَرْبِ ، أى حيثُ دارت رحاها .
وَمَلِيَّةٌ وَمَنَآيَا ، كصحيفة وصحائف ، والأصل منَائِي فاستثقلت الضمة فى الياء
فخذت ثم فروا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحه فانقلبت الياء ألفًا فصار
مَنَاءً ، فأبدلوا من الهمزة لتوسطها أَلِفَيْنِ يَاءً فصار مَنَآيَا .

٣- وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسْنَى وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غَاطِ بِلَيْنِ ^(٣)

(١) لعمر بن أبي ربيعة فى اللسان (طرف) وإصلاح المنطق ٢٢٢ ، ٢٨٨ . وعجزه .

* يطرفك الأدنى عن الأبعد *

(٢) م : « لمكايدة » .

(٣) التبريزى : « ويروى : من حَسَنٍ بِسَوءٍ ، ومن حَسَنٍ بِسَوءٍ ، على فعلى » .

هذا الكلام من صفة الفوارس . يريدُ أنهم يعرفون تجاري الأمور
ومقادير الأحوال فيوازنون الخشن بالخشين واللين باللين ، كما قال الآخر :

تَجَارِي الْوَافِي بِكَيْلِ وَافٍ مَلَانَ وَالطَّفَافُ بِالطَّفَافِ

وقوله « بَسِيءٌ » أراد بَسِيءٍ نخفف ، كما قالوا في هَيْنٍ هَيْنٌ وفي لَيْنٍ
لَيْنٌ . وروى بعضهم : بَسِيءٌ ^(١) . والمعنى أنهم يزيدون في الخراء على قدر
الابتداء . وليس ذلك بشيء لأنَّ سِيءٌ في مقابلة حَسَنٍ ، كما أنَّ اللَّينَ في
مقابلة الغِلَظ ، وفي المدْول عنه إلى سِيءٍ إخلالٌ بالتقابل ، والبيت إنما حَسُنَ به .

٤ - وَلَا تَبْلَى بَسَاتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
يقال : بَلَى الثَّوبُ يَبْلَى بِلَى وَبَلَاءٌ ^(٢) ، ويستعار فيقال : لِبَسْتُ فَلَانًا
وَبَلَيْتُهُ ، إذا استممت به وتمكيتهُ . وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة
في مِرَاوَلَةِ الْحَرْبِ ، وَأَنَّ شَجَاعَتَهُمْ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَبْلَى عِنْدَ امْتِدَادِ الشَّرِّ ،
وَاتِّصَالِ الْبَلَاءِ . وَالبَسَالَةُ تُوصَفُ بِهَا الْأَسَدُ وَالرَّجَالُ ، يُقَالُ أَسَدٌ بَاسِلٌ
وَبَسُولٌ . كما يقال رجل باسل وبسول . قال امرؤ القيس :

* مَا غَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ ^(٣) *

و « صَلُّوا » هو من صَلَّيتُ بكذا أى مُنِيتُ به ، وهو من الْفِعْلِ فَعَلُوا
بكسر العين ، ولهذا انضمَّ اللام من صَلُّوا ، ولو كان فَعَلُوا بفتح العين لقلَّ صَلُّوا ،
كما قيل دَعَوْا وَرَمَوْا . فإن قيل : فأين جوابُ الشرط في قوله « وَإِنْ هُمْ صَلُّوا
بِالْحَرْبِ » ؟ قيل : هو متقدِّم ، والتقدير إِنْ صَلُّوا وَمُنُّوا بِالْحَرْبِ لَمْ تَخْلُقْ
شَجَاعَتَهُمْ . وَفَصْلٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَإِنْ بـ « هُمْ » ، لأنه ماضٍ لَمْ يَظْهَرْ فِيهِ أَثَرٌ إِنْ

(١) المني : المثل . وهما سيان أى مثلان .

(٢) التبريزي : « إذا فتمحت الباء مددت ، وإذا كسرت قصرت » .

(٣) صدره كما في ديوانه ١٤٨ :

* قولاً لدودان عبيد العصا *

بالجزم . ولو كان الفعل مُسْتَقْبَلًا لَظَهَرَ الْجَزْمُ فِيهِ ، وَلَمَّا حَسَنَ الْفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِنْ بِالْأَسْمِ . يَقْبَحُ أَنْ يُقَالَ إِنْ زَيْدٌ يَأْتِنِي أَكْرِمُهُ ، وَقَوْلُ إِنْ اللَّهُ أَقْدَرَنِي عَلَى زَيْدٍ فَقَلْتُ بِهِ كَذَا . وَهَذَا شَيْءٌ يَجُوزُ فِي إِنْ دُونَ سَائِرِ حُرُوفِ الْجَزَاءِ ، لِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي الْجَزَاءِ وَالْحَرْفُ الَّذِي لَا يَزُولُ عَنْهُ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « وَلَا تُنْبِئِي بِسَاءَتِهِمْ » مِنْ بَلَوْتُهُ إِذَا اخْتَبَرْتُهُ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى لَا يُمْكِنُ اخْتِبَارُ شَجَاعَتِهِمْ فَيُعْرِفُ غَوْرَهَا وَمُنْتَهَايَهَا عَلَى مَرٍّ الْأَزْمَانِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ .

٥- هُمْ مَنْعُوا حَمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ يُؤْلَفُ بَيْنَ أَشْمَاتِ الْمُنُونِ^(١)

قوله « بضرب يؤلف » وقد وقع المنع والضرب جميعاً حكايته حال ، لولا ذلك لقال : بضرب ألف . ومثله في القرآن : ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . يقول^(٢) : هؤلاء القوم الذين أشرت إليهم بقولي : فوارس صدقوا فيهم ظنوني ، هم الذين منعوا حمى هذا المكان بضربٍ يجمع بين النايا المتفرقة . وهذا تقييدٌ بعد إطلاق ، وتخصيصٌ بعد تعميم : وَالْحِمَى : موضع الماء والكلا . ويقال : أُنْحِيتُ الْمَكَانَ ، أَيْ جُعِلَتْهُ حِمَى . وَحِمَيْتُهُ : ذَبَبْتُ عَنْهُ . وقوله « يؤلف » من صفة الضرب ، ويحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون المعنى إِنْ هَؤُلَاءِ لَوْ بَقُوا فِي أَمَا كُنْهُمْ وَلَمْ يَجْتَمِعُوا فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ لَوَقَعَتْ مَوَاتِهِمْ مَتَفَرِّقَةً فِي أَمَكْنَةٍ مُتَفَاوِتَةٍ ، وَأَزْمَنَةٍ مُتَفَاوِتَةٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَحْتَ الضَّرْبِ الَّذِي وَصَفَهُ صَارَ الضَّرْبُ جَامِعاً لِتِلْكَ النَّايَا وَوُجُوهِهَا . وَحُكِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْضَرِيرِ^(٣) أَنَّ الْمَعْنَى إِذَا وَقَعَ بِهِمْ أَلْفٌ بَيْنَ أَقْدَارِهِمُ الَّتِي قَدَّرَتْ عَلَيْهِمْ . وَيَجُوزُ

(١) الوقبى ضبط في الأصل وم يسكون القاف ، وضبطه ياقوت بفتحها . وانظر ليوم الوقبى شرح التبريزي ومجمع البلدان والخزانة (٣ : ١٠٧) والميداني (٢ : ٣٥٧) .

(٢) م : « فيقول » .

(٣) هو أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير . لقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي . وكان يلقى الأعراب الفصحاء الذين استوردتهم ابن طاه نيسابور فيأخذ عنهم ، مثل عرام ، وأبي العميشل . نكت الحميان ٩٦ - ٩٨ .

أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفة، وكان هذا الضرب جمع بين الأسباب كلها. ويجوز أن يكون المراد ضرباً لا ينفسُ المضروب ولا يمهلُهُ، لأنه جمع فَرَّقَ الموت له. وقوله «أشتاب المُنون» واحداشت. والمُنون: الموت، وهو من مَنَنْتُ أى قطعت.

٦- فَكَبَّ عَنْهُمْ دَرَّةُ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ نَكَبَ قَدْ جَاءَ مُتَعَدِّياً إِلَى مَفْعُولَيْنِ، قَالَ أَوْسٌ:

نَكَبَتْهَا مَاءُهُمْ لَمَّا رَأَيْتَهُمْ صُهِبَ السَّيَالُ بِأَيْدِيهِمْ بِيَازِيرُ
وَالْأَكْثَرُ نَكَبْتُ عَنْ كَذَا. يَقُولُ: حَرَّفَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذَا
الضَرْبُ أَعْوَجَاجَ الْأَعْدَاءِ وَخِلَافَهُمْ، وَدَاوُوا الشَّرَّ بِالشَّرِّ. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ:
«الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ». وَكَمَا قِيلَ: «لَا يَقُلُ الْحَدِيدُ إِلَّا الْحَدِيدَ». وَنَكَبَ
وَأَصْلُ النَّكَبِ: اللَّيْلُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ نَكَبْتُ الْإِنَاءَ، إِذَا أَمْلَيْتَهُ. وَنَكَبَ
الرَّجُلُ نَكَبَةً. وَعَلَى هَذَا النَّكْبَاءُ فِي صِفَةِ الرِّيحِ: وَالذَّرَّةُ، أَصْلُهُ الدَّفْعُ،
ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الْخِلَافِ، لِأَنَّ الْمُخْتَلِفِينَ يَتَدَاوَمَانِ. وَمِثْلُهُ:

* وَقَوَّمتُ عَنْهُ دَرَاهُ فَتَنَكَّبَا ^(١) *

٧- وَلَا يَزَعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنَى إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ يُرَوَى: «وَلَا رَوْضَ الْهُدُونِ»، وَهُوَ أَفْصَحُ. وَالْهُدُونُ: الصُّلْحُ
وَالشُّكُونُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ»، أَيْ صُلْحٌ عَلَى فَسَادٍ دَخِيلَةٍ.
يَصِفُهُم بِالْمِيلِ إِلَى الشَّرِّ، وَالْحَرْصِ عَلَى الْقِتَالِ وَالْقَتْلِ، وَأَنَّهُمْ يُوْثِرُونَ جَانِبَ
الْخُصُومَةِ عَلَى الصُّلْحِ، وَنَاحِيَةَ الدُّعْرِ عَلَى السُّكُونِ، فَيَقُولُ: لَا يَرَعَى هَؤُلَاءِ

(١) لابن مفرغ الحميرى، كما فى البيان (٢: ٢٨١). وصدّره:

* فَيَارِبْ خَصْمٍ قَدْ كَفَيْتُ دِفَاعَهُ *

للقوم جوانب الخصال السهلة والأمور الهيئة ، ولا ينزلون منازل الأمن والراحة . والهُوَيَّي : تصغير الهوني ، والهوني : تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهوني فُعْلَى اسماً مبنياً من الهيئة ، وهي السكون . ولا تجعله تأنيث الأهون .

٤

وقال جعفر بن علبه الحارثي ^(١) :

١- أَلْهَفِي بِقَرَى سَجَبَلٍ حِينَ أَحَلَبْتُ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْعَدُوَّ الْمُبَاسِلَ
التلُف يكون على الفاء بعد الإشراف عليه ، يقولون : وا لَهْفاه ،
ووالَهْف أَثْمَاه . وَلَهْفَ نفسه وأُمَّه إذا قال ذلك . وفي المثل : « إلى أُمَّه
يَلَهْفُ اللَّهْفَان » . وقوله « أَلْهَفِي » يجوز أن يكون مُنَادَى مفرداً ، ويجوز
أن يكون مضافاً . فإذا جَعَلْتَهُ مضافاً فَإِنَّ أَصْلَهُ أَلْهَفِي أو أَلَهْفٍ . فإذا كان
أَلْهَفِي فكأنه فرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفاً . وعلى ذلك
يا غلاماً أَقْبِل . وقوله :

* وهل جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وا بأباهما *

وإنما المعنى بأبي هُما . وعلى ذلك طريقتهما في مَدَارِي ومَدَارِي ، وعَدَارِي
وعَدَارِي ، وَصَحَارِي وَصَحَارِي ، وفي بَقِي بَقِي ، وفي رَضِي رَضِي ^(٣) . وإذا كان
أَلَهْفٍ يكون الألف قد زيدت لامتداد الصوت به ليكون أدلَّ على التحشُّر .
وكذا إن جعلته أَلَهْفُ مفرداً يكون الألفُ زيدت لذلك . ومعنى « أَحَلَبْتُ » :
أعانت . وأصله الإعانة في الحَلَبِ خاصة ، ثم استمرت في الإعانات كلها . وقد

(١) في الأصل : « عليه » عوايه في م والتبريزي والمهجع وابن جني .

(٢) التبريزي : « ويروى : أَلْجَلْتُ . والأصل الجلبة رفع الأصوات » .

(٣) بقى ورضى ، بفتح القاف والضاد لغة طيبي ، يجعلون كل ياء انكسر ما قبلها

ألفاً . اللسان (بقى) .

يكون الشيء مختصاً في الأصل ثم يصير بالعرف عاماً ، كما قد يكون عاماً في الأصل ثم يصير به مختصاً . ورؤى : « الولايا » وهي جمعُ الوليّة ، وهي البرذعة ، وهي تكون كنايةً عن النساء إن شئت ، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت . ويشبه هذا قول أم تأبط شراً توثبته : « وا ابناه ليس بعلفوف ، حُشِي من صوف ، تَلَفَّهُ هُوف ^(١) » . وقولهم : « هو كالحلّس الملقى » . ويروى : « الموالى » ومعنى البيت أنه يتلف لِمَا نزل بهم في الموضع الذي ذكره حين أعان الأعداء عليهم كَوْنُ الحُرَمِ مَعَهُمْ أو مَنْ يجرى تجرّى الحُرَم من الضعفاء الذين لا دِفَاعَ بهم ؛ لِمَا وَجَبَ عليهم من الذبِّ عنهم ، والاشتغال بالحماية عليهم . ومن روى الموالى — وهم أبناء العم — فإنما خَصَّهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشدَّ تأثيراً في النفس . ألا تَرَى أَنَّ مَنْ كان بنو عمه عليه فهو كمن قُوِّلَ بسلّاحه ، ألا ترى إلى قول الآخر حيث يقول :

نَحَافَةٌ جَوْرٍ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلَّطٍ وَرَهْطِي وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الْأَقَارِبِ

والعدوّ إشارة إلى الجنس . وللبايل ، من البسالة . وأجراه على لفظ العدوّ لا على معناه . وفي القرآن : (فَأَيُّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ^(٢)) .

٣- فقالوا لنا ثنتان لا بُدَّ منهما صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلَسِلُ

التاء في « ثنتان » كالتاء في بنتان ، إلا أنه لم يُستعمل واحده كما استعمل بنت . وكذلك التاء في اثنتان كالتاء في ابنتان إلا أنهم لم يقولوا اثنتان كما قالوا ابنة . والشاعر حكى ما دار بينهم عند الالتقاء فيقول : أَدَارَنَا ^(٣) أعداؤنا على

(١) العلفوف : الخافى الكثير اللحم والشعر . والهُوف : الريح الحارة . وفي اللسان

(هوف) : « وقيل لم يسمع هذا إلا في كلام أم تأبط شرا » .

(٢) إلا رب العالمين ، من م فقط » .

(٣) كذا في الأصل و م بتقديم الدال ، وهي هنا أليق من « أَرَادَنَا » .

خَصَلْتَيْنِ حَكَمُوا عَلَيْنَا بِهِمَا ، وَخَيَّرُونَا فِيهِمَا ، وَهُوَ ^(١) الاسْتِسْلَامُ الَّذِي آخَرَهُ
الْأَسْرُ ، أَوِ الْقَتْلَ الَّذِي أَوَّلُهُ الْاِمْتِنَاعُ وَالْذَّفْعُ . وَقَوْلُهُ « ثَنَتَانِ » أَرَادَ خَصَلَتَانِ .
اِثْنَتَانِ ، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ « صُدُورُ رِمَاحٍ [أَشْرَعَتْ ^(٢)] » وَخَصَّ الصُّدُورَ لِأَنَّ
الْمُقَاتِلَةَ بِهَا تَقَعُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ الصُّدُورِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ الْكُلَّ كَمَا قَالَ :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ *

وَإِنْ كَانَ الْوَطْءُ لِلصُّدُورِ وَالْأَعْجَازِ . وَكُنِيَ عَنِ الْأَسْرِ بِالسَّلَاسِلِ . وَقَوْلُهُ
« لَا بَدْ مِنْهُمَا » أَرَادَ لَا بَدْ مِنْهُمَا عَلَى طَرِيقِ التَّعَاقُبِ لَا عَلَى طَرِيقِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ،
وَلَا سَقَطَ التَّخْيِيرُ الَّذِي أَفَادَهُ « أَوْ » مِنْ قَوْلِهِ « أَوْ سَلَاسِلُ ^(٣) » . أَلَا تَرَى
أَنَّهُ إِذَا قَالَ خُذْ الدِّينَارَ أَوْ الثُّوبَ ، وَكُلِّ السَّمَكِ أَوْ اشْرَبِ اللَّبَنَ ، فَلَيْسَ فِيهِ
الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَالْعَنَى لَا بَدْ مِنْ إِحْدَاهَا ^(٤) .
و « أَشْرَعَتْ » : هَيَّئَتْ لِلطَّعْنِ . وَكَذَلِكَ شَرَّعَتْ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي السَّيْفِ
أَيْضًا وَكَانَ الْأَصْلُ فِيهِ مَشَارِعُ الْمِيَاهِ . وَفِي الْمَثَلِ : « أَهْوَنُ الْوَرْدِ التَّشْرِيعُ » ،
أَيُّ إِيْرَادِ الشَّرِيعَةِ .

٣- فَقُلْنَا لَهُمْ تِلْكَكُمْ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ تُتَعَادِرُ صَرَعَى نَوْءَهَا مَتَخَاذِلُ

يَقُولُ : أَجْبَنَاهُمْ وَقُلْنَا تِلْكُمْ ، [أَيُّ تِلْكَ ^(٥)] التَّخْيِيرَةُ وَذَلِكَ التَّحْكَمُ . وَلَا يَجُوزُ
أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ بِتِلْكُمْ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْخَصَلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَتَقَدَّمُ ذِكْرُهُمَا ،
لِأَنَّهُ لَا اخْتِيَارَ فِيهِمَا لِخِتَارِ حَكْمِهِ هَؤُلَاءِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقِ

(١) الْوَجْهَ « وَهْمَا » .

(٢) هَذِهِ مِنْ م .

(٣) كَلِمَةُ « أَوْ » هُنَا مِنْ م فَقَطْ .

(٤) قَالَ ابْنُ جَنَى : « لَكَ فِي مِثْلِهِمَا وَجْهَانِ : إِنْ شِئْتَ كَانَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ ، أَيْ

لَا يَدُ مِنْ إِحْدَاهُمَا . أَلَا تَرَاهُ قَالَ أَوْ سَلَاسِلُ . أَوْ إِنَّمَا تَوْجِبُ أَحَدَ الشَّيْئَيْنِ . وَإِنْ شِئْتَ كَانَ عَلَى
ظَاهِرِهِ لَا يَدُ مِنْهُمَا جَمِيعًا . فَصُدُورُ الرِّمَاحِ لِمَنْ يَقْتُلُ ، وَالسَّلَاسِلُ لِمَنْ يُؤْمَرُ ، أَيْ يَكُونُ بَعْضُهُنَّ
كَذَا وَبَعْضُهُنَّ كَذَا » .

(٥) هَذِهِ مِنْ م .

التهمك والسخرية . والمعنى إنما يكون ذلك بعد عطفة وجولة تترك بيننا قوماً مصروعين يخذلهم النهوض ولا يطيقون الحراك . وإذا ، هو جواب جزاء ، وهو ملغى هاهنا . وكُم من تَلَكُم للخطاب لا للضمير ، فلا موضع له من الإعراب . واختار أن يقول « متخاذل » لأن هذا البناء يختص بما يحدث شيئاً بعد شيء . على ذلك قولهم تداعى البناء ^(١) كأن أجزاء النهوض يخذل بعضها بعضاً فلا يكمل ، وكأنه أنكر عليهم الاشتراط والتحكم والإجاء منهم إلى ذلك ، فقال : يسوغ ما ابتدأتم فيه لكم بعد جولة يتعقبا هذا الأمر . ويجوز أن يكون الحكم والتخيير بقوله « ثنتان لا بد منها » وقع بين الحرب والاستئثار ، لا القتل والاستئصال ، فاختاروا المحاربة . والإشارة ^(٢) بقوله تلکم حينئذ يجوز أن تكون على ما قدمته ، ويجوز أن تكون إلى ما دلّ عليه قوله أو سلاسل ، من الأسر فكأنه قال : الخصلة الثانية تؤخرها وننظر في الأولى ماذا ينتج منها . وقوله « تغادر » صفة للكرة ، وقوله « نوها » الضمير يعود ^(٣) إلى صرعى ، والجمع مآله إلى التأنيث ، ولو قال نوهاهم لكان أحسن . والنوء : النهوض ، وهو أصل المناوأة ، وإن اشتهرت في المعادة . ويكون النوء : السقوط أيضا . وبشبه هذا قول الآخر :

* ينوء بصدرة والرمح فيه *

٤- ولم ندر أن جضنا من الموت جيضة كهم الممر باق والمدى متطاول ^(٤)

(١) م : « البنيان » .

(٢) م : « ويكون الإشارة » .

(٣) م : « يرجع » .

(٤) التبريزي : « كلهم روى هذا البيت إن جضنا من الموت جيضة ، بكسر الهمزة على ما مر تفسيره ، غير أبي العلاء المعري فإنه أخذ على أن جضنا بفتح الهمزة . وكأنه ذهب في هذا إلى أن إن بكسر الهمزة لما يستقبل ، وأن بفتح الهمزة لما مضى . والشاعر في ذكر قصته قد مضت فيحمل قوله أن جضنا بفتح الهمزة ، على تقدير لما جضنا » .

جاضَ عن قِرْنِه وحاصَ بِمعْنَى ، أَى عَدَلَ وانحَرَفَ . والعُمَرُ والعُمَرُ لغتانِ :
 الحَيَاةُ والبقاء . ومنه قولُهُم : لَعُمَرُ الله ، وعَمَرَك اللهُ . إلا أَنه في اليمين لا يستعمل
 إلا بفتح العين . وقوله « كم العُمَر » في موضع الظرف ، والمعنى كم يوماً أو وقتاً
 العمر باقٍ . وارتفع العمر بالابتداء . والواوُ في قوله « والمدى متطاوِل » واو الحال ،
 أَى كم العمر باقٍ ومداه متطاوِل . ولم يأت بالضمير لأنَّ الواو أَغْنَى عنه ، والمعنى
 لم نَعْلَمْ إِن عَدَلْنَا عن الحرب عَدَلَةً كم يَبْقَى من أعمارنا ، وغايات العمر ممتدة
 مبهمه حتَّى لا ينتهي أحدٌ منها إلى حدٍّ إلا وكما يرجو أن يتصل بعده أيضاً
 لا يأمن أن ينقطع ، فكأنه قال : إذا كان الحال في الأعمارِ على هذا أبداً
 فلا معنى للعدول عن الحرب ، إذ لا يمتنعُ مع تطاول المدى في رجاء العُمَر أن
 يَقْصُرَ في نفسه وينقطعَ عن المأمول فيه . ويجوز أن يتعلق الحال الذي دَلَّ
 عليه « والمدى متطاوِل » بإن جِضْنَا . والتقدير لم نَذَرِ إن جِضْنَا ومدَانَا
 متطاوِلٌ كم العمر باقٍ أَى مدى رجائنا . وهذا حَسَنٌ عندي . ويجوز أن
 يكون الواو عاطفةً كأنه قال : لم نَعْلَمْ كم العُمَر باقٍ وكم المدى متطاوِلٌ إن
 جِضْنَا . وحُكِيَ عن بعض المتأخرين أنه فسرَّ العُمَر على أَنَّهُ الحِينُ ، قال ومنه
 قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ وهذا إذا حَقَّقَ يرجع إلى الأول (١) .

٥- إذا ما ابتدَرْنَا مَازِقا فَرَجَتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضُ جِلَّتْهَا الصِّيَاقِلُ

يقول: إذا ما استبقنَا إلى مَضِيْقٍ في الحرب وَسَعَتْهُ لَناسِئُوفٌ مَصْقُولَةٌ بِأَيْمَانِنَا

(١) ابن جني : « لك في كم وجهان إن شئت جعلتها زماناً فتنصبها حينئذ على الظرف
 بياق ، أى يبقى عشرين أو ثلاثين . وإن شئت جعلتها أفعالاً فتنصبها حينئذ على المصدر ، أى
 بقية تبقى أم ألف بقية أم أقل أم أكثر ، وهى منصوبة أيضاً بياق » .

والفائدة في قوله « جعلتها الصياقل » اهتمامهم بإصلاح آلات الحرب ، لدوام مزاوتهم لها^(١) . وجعل الفعل للشيوف على المجاز والسعة .

٦- لَهُمْ صَدْرُ سِنِي يَوْمٍ بَطْحَاءُ سَحْبَلٍ وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ^(٢)
هذا مثل قوله :

مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغَادُهُنَّ رُمُوسُ الْمُلُوكِ
وإن كان في هذا تقسيمٌ خلا منه المشبهة . وَلَكَّ أَنْ تَرَوْي « مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ » و « ضَمَّتْ » ، فإذا قلت ضَمَّتْ فالمعنى قُبِضَتْ عليه الْأَنَامِلُ^(٣) . وإذا قلت ضَمَّتْ فالمعنى قُبِضَتْهُ الْأَنَامِلُ . وَالْبَطْحَاءُ وَالْأَبْطَحُ : مَسِيلٌ فِيهِ دُقَاقُ الْحَصَى وَاسِعٌ . وهما صفتان أُخْرِجَتَا إِلَى بَابِ الْأَسْمَاءِ . وَبَطْحَاءُ مَكَّةَ وَأَبْطَحُهَا مَعْرُوفَانِ ، وَالتَّأْنِيثُ وَالتَّذْكِيرُ فِيهِمَا يُجْمَلَانِ عَلَى الْبَلَدَةِ وَالْبُقْعَةِ ، وَالْبَلَدِ وَالْمَكَانِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُقَالُ مَكَانٌ أَبْطَحٌ وَلَا بُقْعَةٌ بَطْحَاءُ . وَيُقَالُ : تَبْطَحُ « السَّيْلُ » ، إِذَا سَالَ عَرِيضًا . فَأَمَّا « سَحْبَلٌ » فاسم موضع أُضِيفَ الْبَطْحَاءُ إِلَيْهِ ، كَمَا يُقَالُ صَخْرَاهُ سَحْبَلٌ . وَيُقَالُ ضَبَّ سَحْبَلٌ ، إِذَا كَانَ عَرِيضَ الْبَطْنِ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْمَكَانُ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ سَاعَهُ .

٥

وَقَالَ أَيْضًا :

١- لَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرْقٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا
مَعْنَى « يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ » أَنْ يَتَحَقَّقَهَا بِالْمَعَارِضَةِ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ أَدْرَكَهَا

(١) التبريزي : « وقوله جعلتها الصياقل ، ضرورة ، لأن السيوف لا تجلوها إلا الصياقل ، ولو كان يجلوها غيرهم وكان جلاهم إليها فبطل على جلاء غيرهم لكان لذكرهم هاهنا معنى . . . ولو قال اجتهد في صدقها الصياقل وما أشبه كان حسنا . »

(٢) م : « ولي فيه » . (٣) انظر الحماسة ٨٢ .

(٤) م : « قبض عليه بالأنامل » .

بحاسة العين وشاهدَهَا، فيقول : لا يكشف الخصلةَ الشديدة إلا رَجُلٌ كريمٌ يرى قُحْمَ الموتِ ثم يتوسطها ويصبرُ فيها ولا يَمُدُّلُ عنها . وإنما قال « ابنُ حُرَّة » لينتبه على زوال الهُجْنَةِ منه ، وخلوص مَوْلده مما يَشُوبُهُ ، وليصبرَ كَرَمُهُ مَهِيَّجاً لَأَنفَتِهِ ، ومصبراً له على كلِّ ما يُدْفَعُ إليه من الشرِّ إلا أن يُزِيلَهُ . ولأنَّ ما يَسْتَنكِفُ منه العَرَبُ هو الهُجَّةُ إذْ كان من ليس أبوه من العربِ خارجاً من أن يكون عَرَبِيّاً . والنعماء والغمُّ والنعمة والغنمُ مَرْجِعُ جميعها إلى التَّعْطِيةِ .. فإن قيل : لم عَطَفَ الزِّيَارَةَ على رؤية العَمَرَاتِ بِحَرْفِ المُهْلَةِ ، وهلاً جعلها عَقِيبَ الرُّؤْيَةِ ؟ قالت : إنَّ « مُمَّ » وإن كان في عَطْفِهِ المَفْرَدَ على المَفْرَدِ يدلُّ على التَّراخِي فإنه في عَطْفِهِ الجُمْلَةَ على الجُمْلَةِ ليس كذلك . ألا تَرَى قولَه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ . فَكُ رَقِيةً . أَوْ إِيظَاهُكُمْ فِي يَوْمٍ مَسْغُوبَةٍ - يَبْئَا ذَا مَقَرَّةٍ . أَوْ مَسْكِينَا ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عَدَّدَهُ وذكره ^(١) .

٢- مُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنَا شَرٌّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَوَاشِيَهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا

وَضَعَ « قِسْمَةٍ » موضع مقاسمة ، أراد شَرٌّ مُقَاسِمَةٍ . وانتصاب « شَرٌّ » على المَصْدَرِ . والغَوَاشِي : القَوَائِمُ ، وتكون الأَعْيَادُ أيضاً . والصُّدُورُ ، أراد بها المضاربَ ، وإنما قال : شَرٌّ قِسْمَةٍ ، لأنَّ مَنْ حُمِلَ على مثل هذه القِسْمَةِ فيلزمُ يَقَامُ عَلَيْهِ كان الشُّرُّ لَهُ . وهذا أيضاً مثلُ قوله :

* لَهُمْ صَدْرٌ سَيَفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ ^(٢) *

(١) زاد التبريزي : « وأصل الزيارة الميل ، وهو من الزور ، والميل في أحد الشقين . فقوله يزورها ، أي يميل إليها فيأتيها » .
(٢) من الحماسة السابقة .

والمعنى قاسمناهم سيوفنا ففينا مقابضها وفيهم مضاربها^(١).

٦

وقال أيضا :

١- هَوَايَ مَعَ الرِّكْبِ الْيَمَانِيْنَ مُضْعِدٌ جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِيْ بِمَكَّةَ مُوثِقٌ

هذه الأبيات ضمنها هذا الباب لما اشتملت عليه من حُسن صبره على البلاء ، وقلة دُعره من الموت والفناء^(٢) ، واستهانته بوعيد التوعّد وحذقه برِسَقَانِ المُقَيَّد . و « هَوَايَ » ياء الإضافة فُتِحَتْ منه على الأصل ، وذلك أن هذه الياء لما كان ضمير اسم على حرف واحد متطرف كرهوا أن تُسَكَّنَ فَتُخْتَلَّ^(٣) فجعلوا من أصله التحريك ، فإذا كان ما قبله متحركا كفلاحي وداري : كان لك فيه وجوه : تحريك الياء وهو الأصل ، وتسكينه تخفيفا ، وحذفه من النداء إذا قلت يا غلام ، وإبدال الألف منها مع انفتاح ما قبلها كقولك واياها ويا غلاما أقبل . وإذا سَكَّنَ ما قبله فتى كان واوا أو ياء أدغم فيه ولم يكن بُدٌّ من تحريكه لثلاثا يلتقي سا كنان ، تقول مُسْلِمِيْ فِي الْجَمِيعِ^(٤) ومسلمي في الثانية . وإذا كان ما قبله أَلِفًا كَعَصَايَ وَقَفَايَ وَهَوَايَ ، لم يكن بُدٌّ من الإتيان به على الأصل ، وهو تحريكه ، لثلاثا يلتقي سا كنان أيضا ، ولا يجوز الإدغام هَاهُنَا كما جاز مع الواو والياء ، لأنّ الألف لا تُدْغَمُ في شيء ولا يُدْغَمُ فيها غيرها ، لكونها هوائية

(١) ابن جني : « في هذا البيت دلالة على قوة شبه الظرف بالفعل ، وذلك أنه عطف قوله : ففينا غواشيها على قوله : فقامهم ، ومن شرط المعطوف أن يكون وفق المعطوف عليه » .

(٢) هذا ما في م . وفي الأصل : « من الموت والقتل » .

(٣) م : « أن يسكن فيختل » .

(٤) م : « في الجميع » .

لا مُعْتَمِدَ لَهَا فِي الْخُرْجِ ، إِلَّا فِي لَفَةٍ هَذَبِلٍ ، لَأَنَّهُمْ يُبْدِلُونَ مِنَ الْأَلْفِ الْيَاءَ وَيُذَغُّونَ . عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْتَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضَرَعٌ^(١)
وَالْيَمَانُونَ : جَمْعُ يَمَانٍ ، وَالنِّسْبَةُ إِلَى يَمَنِ يَمَنِيٌّ ، لَكِنَّهُ حُذِفَ إِحْدَى
يَاءِي النَّسَبِ وَأُتِيَ بِالْأَلْفِ عَوَضًا مِنْهُ . وَمِثْلُهُ شَامٍ وَتَهَامٍ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ هَوَايَ
رَاحِلٌ وَمُبْعَدٌ مَعَ رُكْبَانِ الْإِبِلِ^(٢) الْقَاصِدِينَ نَحْوَ الْيَمَنِ ، مُنْظَمٌ إِلَيْهِمْ ،
مَقْهُودٌ مَعَهُمْ ، وَبَدَنِي مَأْسُورٌ مُقَيَّدٌ بِمَكَّةَ . وَرَاكِبٌ وَرَكْبٌ مِثْلُ تَاجِرٍ وَتَجَرٍ .
وَقَدْ قِيلَ فِي الْجُمَانِ إِنَّهُ الشَّخْصُ وَالْجُمَانُ الْجَنَسُ ، هَكَذَا قَالَ الْأَخْضَعِيُّ . وَالشَّخْصُ
إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ قَائِمًا . وَالْحَلِيلُ ذَكَرَ فِي الْعَيْنِ أَنَّ الْجُمَانِ
وَالْجُمَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَأَصْعَدَ فِي الْأَرْضِ : أَبْعَدَ ، وَحُكِيَ أَنَّ صَعْدَةَ أُمِّ
عَلَمَ لِلأَرْضِ ، وَأَنَّ الصَّعِيدَ مِنْهُ . وَلِهَذَا قِيلَ لِحُمْرِ الْوَحْشِ : بَنَاتُ صَعْدَةَ ،
وَأَوْلَادُ صَعْدَةَ . وَهَذَا إِنْ ثَبَّتَ فَهُوَ كَمَا يُقَالُ بَنَاتُ الْبَرِّ . وَقَوْلُهُ « جَنْبٌ »
أَيُّ تَجَنُّوبٍ مُسْتَتَبِعٍ . وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَرَوِيهِ « حَنِثٌ »^(٣) ، وَالصَّحِيحُ
الْأَوَّلُ لَفْظًا وَمَعْنَى .

٢- عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ

يَقُولُ : تَعَجَّبْتُ مِنْ سَيْرِ هَذِهِ^(٤) الْخِيَالِ إِلَى ، وَمِنْ حُسْنِ تَوْصُلِهَا مَعَ هَذِهِ
الْحَالِ ، وَهُوَ أَنَّ بَابَ السَّجْنِ مَرْتَجٌ^(٥) دُونِي . فَأَمَّا تَعَجُّبُهُ مِنْ سَيْرِهَا فَقَلْبِي غَادَةُ
الْعَرَبِ وَالشُّمْرَاءُ فِي وَصْفِ الْخِيَالِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُجْرُونَهَا بِمَجْرَى الْمَرَاةِ نَفْسِهَا ،

(١) الْبَيْتُ لِأَبِي ذُوَيْبِ الْهَذَلِ ، مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي رَفَى بِهَا بَنِيهِ . وَهُوَ أَوَّلُ دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

(٣) لَمْ يَذْكُرِ التَّبْرِيزِيُّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ .

(٤) كَذَا وَرَدَتْ ، كَأَنَّهُ جَعَلَ الْخِيَالَ دُونَهَا لِأَنَّهُ خِيَالٌ أَثْنَى .

(٥) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « مَرْتَدٌ » .

فيسطرفون منها ما يُسْتَطَرَفُ من تلك لو وَقَعَ الفعل منها على الحقيقة مع نَقَمَتِهَا . وهذا كما قال غيره :

طَرَقَ الخيالُ ولا كَلَمَلَةٍ مُدْجٍ سَدِكا بأَرْحِلَنَا ولم يَتَعَرَّجْ^(١)
وكما قال الآخر^(٢) :

وَأَنى اهْتَدَتْ والدَّوُّ بيني وبينها وما خِلْتُ سَارِي الليل بالدَّوِّ يَهْتَدِي
وَأَمَّا تَعَجُّبُهُ من تَوَصُّلِهَا فهو تَعَجُّبٌ من لُطْفِهَا في ذَلِكَ ، وَحُسْنِ تَأْتِيهَا ،
مع العوارض والموانع . وَالسَّرَى يصلُحُ في اللُّغَةِ أن يكون مصدراً ومكاناً
ووقتاً والبيت لا يمتنع من وُجُوهِهِ . وَأَنى معناه كيف ، أو مِن أين ، كذا
قال سيبويه . وقد تَجَرَّدَ لأن يكون بمعنى كيف في قول الكمي :

* أَنى ومن أين آتاك الطَّربُ *

٣- أَتَنَافَحَيْتُ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

التَّحِيَّةُ : السَّلامُ والمُلْكُ والبقاء . والمُحَيَّا : الوجهُ من الإنسان ، لأنه يُحْصَى
عند التسليم بالذِّكْرِ فيقال حَيَّا اللهُ وَجْهَكَ ، وإن كانت الجملة متعلقةً به . وقيل
التَّحِيَّةُ مشتقة من الحياة أو الحياء . والمُحَايَاةُ : تحيَّةُ القومِ بعضهم بعضاً . والمُحَيَّا
من الفرس : حيث انفَرَقَ اللَّحْمُ تحت الناصية . فيقول حاكياً لحال الخيال : جاءتنا
فسلمت علينا ، ثم لم تلبث إلا قليلاً حتى قامت وأعرضت ، فلما تَوَلَّتْ كادت
النفْسُ تَخْرُجُ في أثرها . ويروى : « أَلَمْتُ خَيْت » . والإلامُ : الزيارة الخفيفة .
وقوله « لما تَوَلَّتْ » جوابه « كادت النفس » وهو عَلِمَ للظرف . ومتى كان علماً
للظرف لم يكن له بُدٌّ من جواب ، لأنه يكون لوقوع الشيء لوقوع غيره . وتَزْهَقُ

(١) مطلع قصيدة للحارث بن حلزة البشكري ، في المفصليات (٢ : ٥٥) .

(٢) هو الخطيئة من قصيدة في ديوانه ٢١ - ٢٥ .

خبر كادت ، لأن كاد^(١) كان وأخواته ها هنا إذا وقع بعده الاسم ، وهو موضوع لمشارفة الفعل ومشافهته ، ولهذا وجب ألا يكون معه « أن » .
تقول : كاد يفعل ، ولا يجوز أن يفعل إلا في الشعر . ومعنى ترهق : تهلك ، ومنه قيل للبئر البعيدة القعر والمثقلة البعيدة : زاهقة وزهوق . وفي القرآن : ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ . ويجوز أن يريد به في البيت تخرج في إثرها سريعة لما توت . ومنه زهقت الرحلة : تقدمت . وزهق السهم : أسرع .

٤- فَلَا تَحْسِبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
ترك الإخبار عنها وأقبل عليها مخاطبها ، جرّياً على عادتهم في التنقل والافتنان في التصرف . ومعنى تخشعت : تكلفت الخشوع . والخشوع في البصر كالخضوع في البدن . ويقال : اختشع فلان ، إذا طأطأ رأسه رامياً ببصره إلى الأرض وهو خاشع الطرف خاضع العنق . يقول مستهيناً بما اجتمع عليه من الحبس والتقييد ، ومتبجحاً عندها بالصبر على الهوى والتهالك فيه — وبهذا دخلت الأبيات في الحماسة — لا تظني أني تكلفت الخشوع بعدكم لشيء عارض ، ولا أني أخاف من الموت . والفرق : الخوف ، وهو فرق وفروق وفروقة . وقال :

* أَنْزَرًا سَرَعَ مَاذَا يَأْفِرُوقُ^(٢) *

فإن قيل : فأين مفعول تحسبي ؟ قلت : قد نابت الجملة ، وهي قوله « أني تخشعت بعدكم » عن المفعولين . ألا ترى أن تقديره لا تحسبيني خاشعاً ، فكما أن المفعولين يحصلان من دون « أن » كذلك إذا دخل « أن » في الكلام

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « لأنه كادت » .

(٢) صدر بيت لزغبة الباهلي ، أو مالك بن زغبة الباهلي ، أو أبي شفيق الباهلي .

اللسان (نور ، حذق) ، وعجزه :

* وحبل الوصل منتكث حذيق *

ينوب مع ما بعدهُ عنهما ، لأن اللفظ بالمفعولين قد حصل وإن كانا في صلة أن .
وأن وما بعده في تقدير اسم ، وهذا كما تقول : لو أنك جئتني لأكرميك ،
إذ كنت قد لفظت بالفعل في صلة أن ، وإن كنت لا تقول لو مجيئك .

هـ- وَلَا أَنْ نَفْسِي يَزِدَّهَا وَعِيدُكُمْ وَلَا أَنْنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ^(١)

الوعيدُ والوعْدُ من أصل واحد ، وإن كان أحدهما ضمّانا في الخير والآخر
ضمّانا في الشر ، لكنه فرّق بين المعنيين بتغيير البناءين ، كما فعلوا مثل ذلك
في العدل والعديل ، فجعلوا أحدهما في الأناسي والآخر في غيرهم . يقول :
وَلَا تَقْلَى أَنْ نَفْسِي يَسْتَخِفُّهَا تَهْدُكُمْ ، وَلَا أَنْتِي خَجَرْتِ بِالرَّسْفَانِ ، وهو المشي
في القيد . ويقال زهأ زهواً وزدها ، إذا استخفّه . ويُستعمل الزهوف الباطل
والتزيّد في القول . يقال : قال زهواً ، وفي الكبر يقال زهى لا غير ، وهو
مزهُوٌّ ، والأصل الخفّة . والأخرق : القليل الرّق بالشيء . وقال أهل اللغة :
أخرق : ضد الرقي . وفلان رقيق وفلان أخرق . وربما قالوا : فلان صنع
موفلان أخرق . قال :

* وَهِيَ صَنَاعُ الرَّجُلِ خَرَاءَ الْيَدِ *

ويروى «أخرق» بضم الراء فيكون فعلاً ، و«أخرق» بفتح الراء فيكون صفة .

٦- وَلَكِنْ عَرَّانِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ كَمَا كُنْتَ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا نَامَ مُطْلَقُ^(٢)

قوله « كما كنت ألقى منك » ، الأجود أن يكون « ما » موصوفة غير

(١) أشار التبريزي إلى أنه يروى : «وعيدهم» ، وابن جني إلى رواية : «ولا أنا

ممن يزدهيه وعيدهم» .

(٢) أشار ابن جني إلى رواية : «إمانة» بدل «صباية» .

موصولة ، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة وفي تقدير الذي ، والقصد إلى تشبيه صباية مجهولة بمثلها ، والتقدير عرّت صباية تشبه صباية كفت أكابدها فيك في ذلك الوقت . كأنه شبه حاله فيها بعد ما مئى به ^(١) بحاله من قبل . ومفعول ألقى محذوف تخفيفاً له ، [أراد ^(٢)] كما كنت ألقاه منك . ويقال عراه وأعراه بمعنى واحد . ومنه عراه الدار وعروتها بفتح العين ، أى حيث تُعرى منه أى تؤتى . يقول : ولكنى تعرفوني في الهوى رقة شوق وجهد صباية ، كما كنت أفاقيه منك وفيك حين كنت مُطلقاً ومُحلى . والفعل من الصباية صيبت بكسر الباء ، والصفة صبّ . وقوله « إذ أنا مطلق » الجملة في موضع جرّ بالإضافة ، وقد شُرح بها « إذ » كأنه قال : وقت إطلاق ^(٣) .

٧

وقال أبو عطاء السندي ^(٤) :

أذ كرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهات منا المثقفة السمر

يعني بالخطي رُمح نفسه ، أى يتردد بالطعن . كأنه يصور حاله وما يكابده في مجاهدة أعدائه . والخط : سيف البحرين وعمان ^(٥) وإليه يُنسب القنا .

(١) به ، باتفاق النسختين ، فالضمير للحال . وفي التبريزي : « بها » .

(٢) هذه من م والتبريزي .

(٣) أورد التبريزي عقب شرح هذه المقطوعة « حديث جعفر بن عتبة الحارثي وسبب حبسه وقلته » ، وهو حديث طويل .

(٤) التبريزي : « واسمه أفلح مولى عنبر بن غمك بن حصين ، وكان به عجمة شديدة يجعل الجيم زايا والشين سينا ، وهو من شعراء بني أمية » . وانظر ترجمته أيضا في الشعر والشعراء ٧٤٢ والأغاني ١٦ : ٧٨ - ٨٤ والخزانة ٤ : ١٦٧ .

(٥) وردت في النسختين بتشديد الميم ، وهو ضبط لا تقرأه المعاجم ولا كتب البلدان . وهذه هي المجاورة للبحرين . وأما المشددة الميم المفتوحة العين فهو التي بالشام .

وَكُنْ قَوْلُهُمْ : الْخَطِيئَةُ ، وَهِيَ أَرْضٌ لَمْ تُمَطَّرْ بَيْنَ أَرْضَيْنِ مَمْطُورَتَيْنِ ، مِنْهُ .
وَالْخَطَرُ أَصْلُهُ التَّحَرُّكُ ، يُقَالُ مَرَّ يَخْطِرُ خَطَرًا ، وَخَطَرَ الْبَعِيرُ بِذَنْبِهِ خَطَرًا
وَوَخَّطَرَانَا . فَوْتَبَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى قَلَّةِ مَبَالَاتِهِ بِالْحَرْبِ ، وَأَنَّ نَفْسَهُ تَأَقَّتْ وَالرَّمَحُ
يَخْتَلِفُ بِالطَّعْنِ بَيْنَهُمْ ^(١) إِلَيْهَا حَتَّى كَانَتْ تَلَاكُ هَهُ وَشُغْلُهُ ، فَقَالَ : ذَكَرْتُكَ
بِقَلْبِي وَرِمَاحُ الْخَطِّ تَضْطَرِبُ فِي الْحَرْبِ بَيْنَنَا ، وَقَدْ رَوَيْتُ مَثَا أَمَى مِنْ
دَمَانِنَا ^(٢) . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « وَقَدْ نَهَيْتُ ^(٣) مَنَا الْمُتَّقَةَ » مِنْ نَهْكَ
الْمَرَضِ ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ : وَمَصْدَرُ ذَكَرْتُكَ ذُكِرَ بِضَمِّ الذَّالِ ، لِأَنَّ الذَّكَرَ
بِالْقَلْبِ وَالذَّكَرَ بِاللِّسَانِ . وَالْأَسْمُ مِنْ نَهَيْتُ النَّهْلُ . وَالْمُورِدُ : الْمَنْهَلُ : وَقَدْ
عُدَّ النَّاهِلُ فِي الْأَضْدَادِ ، لَوْقُوعِهِ عَلَى الرَّيَّانِ وَالْعَطْشَانِ ، وَكَأَنَّ حَقِيقَةَ النَّهْلِ
أَوَّلَ السَّقَى ، وَالْاِكْتِفَاءُ بِهِ قَدْ يَبْقَعُ وَقَدْ لَا يَبْقَعُ ^(٤) فَلِذَلِكَ اسْتَعْمَلَ النَّاهِلَ
فِي الرَّيِّ وَالْعَطَشِ .

٢ — فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ أَدَاءِ عَرَائِي مِنْ حَبَابِكَ أَمْ سِجَرُ

أَقْسَمَ بِاللَّهِ عَلَى اسْتِوَاءِ عَلَيْهِ ^(٥) بِالْحَالَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْهُمَا . وَيَسْتَى الْأُفُ الَّتِي
فِي قَوْلِهِ « أَدَاءِ عَرَائِي » أَلْفَ التَّسْوِيَةِ ، لِهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ . وَكَذَلِكَ لَوْ قَالَ :
لَيْتَ شَعْرِي أَزِيدُ فِي الدَّارِ أَمْ عَمْرُو ، لَكَانَ الْأَلْفُ أَلْفَ التَّسْوِيَةِ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ
بِتَمَنِّيهِ الْعِلْمَ بِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأَمْرَيْنِ ، دَلَّ عَلَى اسْتِوَاءِ دِرَايَتِهِ بِهِمَا : « وَعَرَائِي »
مَعْنَاهُ أَصَابِنِي . يُقَالُ عَرَاهُ يَعْرِوهُ ، وَاعْتَرَاهُ يَعْتَرِيهِ ، وَعَرَهُ يَعْرِهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « بَيْنَهُمَا » .

(٢) أَشَارَ ابْنُ جَنِّي أَنَّ جَلَّةَ « وَقَدْ نَهَيْتُ » بَدَلَ مِنَ الْحَالِ الْأَوَّلِ ، أَوْ هِيَ حَالٌ مِنَ

الضَّمِيرِ فِي « بَيْنَنَا » .

(٣) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ .

(٤) بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ لَا يَجِيزُ هَذَا التَّعْيِيرَ ، وَهُوَ إِيْلَاءُ النَّافِي لِلْفِعْلِ « قَدْ » .

(٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

هو « الحَبَابُ » بمعنى الحَبِّ ، كأنه مصدر حَبَبْتُهُ . وقد يكون مصدر حَابَبْتُهُ ويكون من اثنين . ويكون أيضا جَمَعَ الحَبِّ ، وكأنه جَمَعَهُ على اختلاف أحواله فيه ، كما تُجْمَعُ الشَّمْسُ على مواقعِهَا . وَيُرْوَى « جَنَابِكِ^(١) » والمعنى من ناحيتك . وقوله « إِنِّي لَصَادِقٌ » يجوز أن يريد به صِدْقُهُ في الخبر ، ويجوز أن يُريدَ بِرَّه في الحلف ، ومرجع الوجهين إلى معنى واحد .

٣- فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاغْذِرْنِي عَلَى الْهَوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَاكَ الْعُذْرُ

السَّحَرُ والتمويه يرجعان إلى معنى واحد ، ولذلك قال تعالى : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ ، أى أخرجوه على وَجْهِهِ في مَرَأَى العين وحقيقته على خِلَافِهِ . وَالسَّحَارَةُ^(٢) : لُغَبَةٌ ذَلِكَ صِفَتُهَا . ويقال عَنَرٌ مسحورة ، إذا عَظُمَ ضَرُّهَا وَقَلَّ لَبَنُهَا . وأرضٌ مسحورة ، إذا لم تُنْبِتْ شَيْئًا : فيقول : إن كان ما بى سِحْرًا فلى عُذْرُ في هَوَاكَ ، لأن من يُسَحَرُ مُحِبٌّ ، وإن كان داءً غيرَ السحر فالعذر لك ، لأنى وقعت فيه بتعرضى لك ، وفِكْرِي في مُحَاسِنِكَ ، والدَّلَالَةُ على أن « فَاغْذِرْنِي » في موضعٍ قَلِي عُذْرٌ ، ما قَابَلَهُ به من قوله « فَلَاكَ الْعُذْرُ » . وفى هذا إسقاطُ سؤال السائل : لم قال اعْذِرْنِي ولا ذَنْبَ له وإنما يحتاجُ إلى بَسْطِ الْعُذْرِ مَنْ لَهُ ذَنْبٌ أَوْ يُتَصَوَّرُ بصورته ، وانتصاب « داء » على أن يكون خبر كان ، كأنه قال : وإن كان ما بى داءً . ويجوز أن يكون تَوَهَّمُ أن تلك تَصَوَّرَتُهُ^(٣) بصورة المذنب^(٤) فيما أظهره من عشقه فقال لها : إن أنتِ فَتَنَتْنِي

(١) زاد التبريزى : « من جنابك » بالكسر ، أى مجانبتك .

(٢) ضبط في م بتخفيف الحاء ، والصواب تشديدها كما في اللسان . قال : « شئ يلعب به الصبيان إذا مد من جانب خرج على لون ، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر مخالف وكل ما أشبه ذلك سحارة » .

(٣) م : « صورته » .

(٤) في الأصل : « الذنب » صوابه في م والتبريزى .

وأوقعتني في حِبَالَتِكَ لِمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ مِنْ مُحَاسِنِكَ فلي عُدْرٌ حينِ افْتَنْتُ ،
لأنَّ مَثَلَ مُحَاسِنِكَ تُرْلُ العَفِيفُ ، وَتَنْقُلُ عَنْ طَبْعِهِ الحَلِيمُ . وإن كُنْتُ
الْمُتَعَرِّضُ لَكَ والجَالِبُ عَلَى نَفْسِي مَا شَقِيتُ بِهِ ، فَالْعُدْرُ لَكَ .

٨

وقال آخر^(١) :

١- وفَارِسٍ فِي عُقْمَارِ الْمَوْتِ مُنْعَمِسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهِهِ صَدَقًا^(٢)

جَعَلَ الْمَوْتَ عُقْمَارًا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالمَاءِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ مُنْعَمِسًا فِيهَا فَحَسُنَتْ
الاستعارة جِدًّا : وَتَأَلَّى وَاتَّكَلَى وَآلَى مِنَ الْأَلِيَّةِ . وَلَا حَلْفَ ثُمَّ ، إِنَّمَا يَرِيدُ
الْحَثْمَ وَالْإِجَابَ ، فيقول : رَبُّ فَارِسٍ دَاخِلٌ فِي شِدَائِدِ الْمَوْتِ إِذَا حَلَفَ
عَلَى مَا يُبْكَرُهُ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ كَرِيهًا فِي نَفْسِهِ بَرًّا وَلَمْ يَحْثُ أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا .
وَيُرْوَى « مَكْرُوهَةٍ » وَالْمَعْنَى خَصْلَةٌ تُكْرَهُ وَتَشْقُ . فَعَلَى هَذَا يَكُونُ صِفَةً
مُفْرَدَةً عَنِ الْمَوْصُوفِ . وَيَحْزَنُ أَنْ يَكُونَ مُصَدِّرًا كَالْمُصَدِّقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ
الْمَصَادِرِ الْجَائِيَةِ عَلَى زِنَةِ الْمَفْعُولِ . وَأُضَافَ لِلْمَكْرُوهِ إِذَا رُوِيَ « مَكْرُوهِهِ »
إِلَى الْفَارِسِ لَوُقُوعِهِ مِنْهُ . وَالْمُنْعَمِسُ : الدَّاخِلُ فِي الشَّيْءِ ، يَقَالُ غَمَسْتُهُ
فِي الْمَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَرَجُلٌ مُغَامِسٌ لِلَّذِي يَفْشِي الْحَرْبَ وَيَتَرَدَّدُ فِيهَا . وَالْعُقْمَارُ
وَالْعُقْمَرَاتُ جَمْعُ عُقْمَرَةٍ ، وَهِيَ فِي الْمَاءِ وَالْحَرْبِ وَالشَّرِّ تَرْجِعُ إِلَى السُّتْرِ .
وَيَقَالُ رَجُلٌ مُعَامِرٌ ، إِذَا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْعُقْمَرَاتِ وَالْمَهَالِكِ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ
« فِي عُقْمَارِ الْمَوْتِ » بِضَمِّ الْغَيْنِ ، وَكَسَرُهَا أَجُودُ مَعَ ذِكْرِ الْمُنْعَمِسِ .

(١) م : « آخر » فقط . وعند التبريزي وابن جني : « وقال بلعاء بن قيس الكنانى » .
وكان بلعاء هذا رأس بنى كنانة في حروبهم ، وهو شاعر محسن . المؤلف ١٠٦ . ومات قبل
يوم الحرية ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار . العقد الفريد .
(٢) يروى « مكروهه » بالإضافة إلى الهاء ، و« مكروهه » بابتاء في آخره .

٢ - غَشِيَتْهُ وَهُوَ فِي جَأَوَاءٍ بِأَمِلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَانْقَلَقَا

العَضْبُ : القَطْعُ ، وتوسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : عَضَبَهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، أَيْ حَبَسَهُ ، وامرأةٌ مَعْضُوبَةٌ أَيْ مَعْضُولَةٌ^(١) ، وَسَيَفُ عَضْبُ أَيْ قَاطِعٌ ، كَأَنَّهُ وَصِفَ بالمصدر . والتغشَّى أصله الإتيان والملابسة ، ومنه الغشاوة : الغطاء . وتوسَّعُوا فِيهِ حَتَّى قِيلَ تَغَشَّاهُم بِالْعَدْلِ أَوْ الْجَوْرِ . وفي القرآن : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ . فقوله غَشِيَتْهُ ، هُوَ كَمَا يُقَالُ قَنَعَتْهُ ، وَهُوَ جَوَابُ رَبِّ فَارِسٍ هَكَذَا أَنَا ضَرَبْتُهُ وَهُوَ فِي جَيْشٍ تَأَمَّ السَّلَاحَ كَرِهَ اللِّقَاءَ ، بِسَيْفٍ قَاطِعٍ أَصَابَ وَسَطَ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ . والسَّوَاءُ : الْوَسْطُ هَاهُنَا ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ . وَيَوْضَعُ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ ثُمَّ يَوْصَفُ بِهِ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ . وَأَصَابَ ، بِمَعْنَى طَلَبَ وَبَعْنَى نَالَ ، وَيُقَالُ أَصَبْتُ الصَّوَابَ فَأَخْطَأْتُهُ . وَالْجَأَوَاءُ : الْخَضِرَّةُ ، وَهُوَ مِنَ الْجَوْوَةِ ، يَعْنِي اخْضِرَارَ السَّلَاحِ . وَالْبَسَالَةُ تَسْتَعْمَلُ فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهِيَ الشَّجَاعَةُ . وَيُقَالُ رَجُلٌ بَاسِلٌ وَأَسَدٌ بَاسِلٌ وَبَسُولٌ . قَالَ :

* مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ^(٢) *

وهذا يجوز أن يكون من البَسَلِ ، وهو الحرام ، كَأَنَّهُ لَمَنَعَهُ مُحَرَّمٌ .

٣ - بِضْرَبَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنْ مَخَالَسَةٍ وَلَا تَعَجَّلَتْهَا جُبْنًا وَلَا فَرَقًا

يُقَالُ تَعَجَّلْتُ الشَّيْءَ ، أَيْ تَكَلَّفْتُهُ عَلَى عَجَلَةٍ . وَيُقَالُ أَيْضًا أَعْجَلْتُهُ وَاسْتَعْجَلْتُهُ وَتَعَجَّلْتُهُ بِمَعْنَى . وَانْخَلَسَ : أَخَذَ الشَّيْءَ مَخَالَتَهُ ، وَقِيلَ الْإِخْلَاسُ أَوْحَى مِنْ انْخَلَسَ . وَيُقَالُ هُوَ لَكَ خُلَاسَةٌ ، كَمَا يُقَالُ نَهْزَةٌ وَفَرْصَةٌ . يَقُولُ : غَشِيَتْهُ

(١) مَعْضُولَةٌ ، سَاقَطَ مِنْ م .

(٢) لَامَرْتُ الْقَيْسَ . وَصَدْرُهُ :

* قَوْلَا لِدُودَانِ عَبِيدِ الْعَصَا *

سَيِّفًا بَانَ ضَرْبَتُهُ ضَرْبَةً هَكَذَا . فَأَمَّا قَوْلُهُ لَمْ تَكُنْ مِنِّي مُحَالَسَةً ، فَهُوَ خِلَافُ قَوْلِ الْآخَرِ ^(١) :

وَقَدْ أَخْتَلَسُ الضَّرْبَ : لَا يَدْمَى لَهَا نَضْلِي
وقول الهذلي ^(٢) :

* وَطَعْنَةَ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتَ مُرْشَةً ^(٣) *

لأنَّ قَصْدَ الشَّاعِرِ هَاهُنَا إِلَى أَنَّهُ تَنَاوَلَ مِنْ خَصْمِهِ مَا تَنَاوَلَ بِثُبَّتِ وَقُوَّةِ قَلْبٍ لَا كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَبَانُ . وَتَمَّ يَذْكُرُ تَمَكُّنَهُ مِنْ خَصْمِهِ عَلَى شِدَّةِ احْتِرَازٍ مِنْهُ حَتَّى تَنَاوَلَ مَا تَنَاوَلَهُ خَلْسًا . وَقَدْ وُصِفَ الشَّجَاعُ بِالْمُخَالِسِ وَالْخَلِيسِ ، وَكَذَلِكَ لِلصَّارِعِ . وَمِنْ مَدَحِ خَصْمِهِ ثُمَّ ذَكَرَ غَلِبَتَهُ لَهُ كَأَنَّهُ أَبْلَغَ فِي الْإِفْتِخَارِ بِهِ ، فَأَعْرَفَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ . وَقَوْلُهُ : « لَا تَعْجَلْتُمَا جُبْنًا وَلَا فَرَقًا » يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَاتْتِصَابُ « جُبْنًا » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى مُصَدِّرًا لِلْعَلَّةِ . وَالْمَعْنَى : وَلَمْ أَتَكَلَّفْ عَجَلَتَهَا لَضَعْفِ قَلْبِي وَلَا لَخَوْفِي مِنْ صَاحِبِي . وَضَرْبَةُ الْجَبَانِ أَجْمَلُ وَأَسْرَعُ .

٩

وَقَالَ رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ ^(٤)

١ - وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ
اطِّراد الماء والسراب ^(٥) والكلام : اتَّسَأَمْتُهَا عَلَى حَدِّ الاستقامة والمراد .

(١) هو الفند الزماني ، أو امرؤ القيس بن عابس الكندي . انظر اللسان (دفنى) .

(٢) هو ربيعة بن الجحدر الهذلي . اللسان (محج) ويهرح أشعار الهذليين للسكري ٢٨٥

(٣) عجزه : * يمج بها عرق من الجوف قالس *

(٤) شاعر مخضرم ، ترجم له في الشعر والشعراء ٢٧٩ والأغاني ١٩ : ٩٠ - ٩٣

« الإصابة . وفي المبهج : « الربيعة : بيضة الحديد ، والربيعة أيضا : الحجر الذي يرتفع ، أي يشال : وأما مقروم فمفعول من قواك قرمت الشيء بأسان في مقروم ، أي مقطوع » .

(٥) في الأصل : « والشاب » ، والوجه ما أثبتنا من م .

ويقال : جَدُولٌ مطرَدٌ ، وَبَلَدٌ طَرَّادٌ ، أَيْ وَاسِعٌ يَطْرُدُ فِيهِ السَّرَابُ . وَأَرَادَ بِالْخَلِيلِ الْفُرْسَانَ لَا الْأَفْرَاسَ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ « يَوْمَ طَرَّادِهَا » . وَالطَّرَّادُ مِنَ الْفُرْسَانِ : حَمَلٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . وَعَلَى هَذَا مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ « يَا خَبَلُ اللَّهِ ارْكَبِي » . وَالْمَعْنَى حَضَرَتْهُمْ يَوْمَ تَطَارَدِهِمْ بِالرَّمَاكِ وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ ضَخْمٍ سَلِيمٍ الْأَوْظَفَةِ مِنَ الْعُيُوبِ . وَلِ« شَهَدْتُ » مَوْضِعَانِ : الْحَاضِرُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ . وَالْعِلْمُ وَالتَّبَيُّنُ ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ . وَقَدْ يُقَسَّمُ بِهِ كَمَا يُقَسَّمُ بِالْعِلْمِ ، فَيُقَالُ يَشْهَدُ اللَّهُ كَمَا يَقَالُ يَعْلَمُ اللَّهُ . فَأَمَّا شَهَادَةُ الشَّاهِدِ فَلَا بَدَّ مِنَ الْقَوْلِ فِيهَا . وَالْهَيْكَلُ أَصْلُهُ فِي الْبِنَاءِ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ وُصِفَ بِهِ الْفَرَسُ .

٢- فَدَعَا نَزَلَ فَكَانَتْ أَوَّلُ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

قوله « دَعَا نَزَالَ » أَيْ صَاحُوا : نَزَالَ نَزَالٌ . وَمِنْهُ قِيلَ لِنَطْرِيبِ النَّامَةِ فِي نِيَاحَتِهَا : التَّدَعَّى . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْأَعَشَى :

* قَالُوا الطَّرَّادَ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا ^(١) *

وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وَيُحْزَنُ أَنْ يَكُونُوا جَعَلُوا نَزَالَ عَلَى التَّوَشُّعِ هِيَ الْمَدْعُوءَةُ وَإِنْ كَانَتْ دُعَى إِلَيْهَا ؛ وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْوَجْهِ قَوْلُهُمْ ^(٢) :

* دُعِيَتْ نَزَالَ وَلُحَّ فِي الدُّعْرِ ^(٣) *

(١) عجزه : * أو تنزلون فإننا معشر نزل *

(٢) كذا في النسختين .

(٣) لزهير بن أبي سلمى ، في ديوانه ٨٩ . وصدره :

* ولنم حشو الدرع أنت إذا *

وفي القرآن : ﴿ دَعُوا هُمَالَكُمْ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا
وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ . ونزال : اسْمُ لَا نَزَلَ ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْكُسْرِ ، مَعْرِفَةٌ
مَوْثِقٌ مَعْدُول . والدلالة على تأنيثه قول زهير :

* دُعَيْتُ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ *

والمعنى تتادوا وقالوا نزال فكنت أول الغالزين . ثم قال مظهرًا لترك
التحتمد بذلك ، وأنه فيما فعله كمن أدى واجبًا عايه : « وعلام أركبه » .
المعنى لأى شئ أركب فرسى إذا لم أنزل إذا دُعيت إلى النزال . و « ما » من
« عَلَامَ » حُذِفَ أَلِفُهُ لِأَنَّهُ فِي الْاسْتِفْهَامِ إِذَا اتَّصَلَ بِجَرَفِ الْجَرِّ يَخْفَفُ
بِالْحَذْفِ ^(١) ، عَلَى ذَلِكَ يَمَّ وَلَمْ وَفِيمَ وَعَمَّ وَمِمَّ ، إِلَّا إِذَا اتَّصَلَ بِذَا فَيَقَالُ بِمَاذَا
ولماذا ، لِأَنَّهُ بَصِيرٌ مَاذَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فَلَا يَغْيَرُ « ما » ، وقوله « وعلام أركبه »
إذا لم أنزل « يجرى مجرى الانفتاح ويقاربه ، وفائدته أنه أسقط التحتمد بما فعله
به . وفي طريقته من جهة المعنى قول الآخر :

وَلَا يَحْتَمِدُ الْقَوْمُ الْكَرَامُ أَهْلَهُمُ إِلَّا حَتِيدَ السَّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يَمَارِسَا
ومثل الأول قوله :

عَلَامَ تَقُولُ الرُّمَحُ يُثْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أُطْعَنْ إِذَا الْخَلِيلُ كَرَّتِ ^(٢)
٣ - وَالَّذِي حَقَّقَ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عِدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِي
أَخْرَجَ التَّشْبِيهَ مَا لَا يُدْرِكُ مِنَ الْعِدَاوَةِ بِالْحَسَنِ إِلَى مَا يُدْرِكُ مِنْ غَلِيَانِ

(١) وأحيانًا لا يحذف ، وقرئ : « عما يتسألون » . وأنشدوا لحسان :

على ما قام يشتمنى لثمي كخنزير تمرغ في رماد

انظر حواشي البيان (٣ : ١٢٥) .

(٢) لعمرو بن معديكرب . الحماسية ٣٠ .

«الْقِدْرِ، حَتَّى تَجَلِّي، فَصَارَ كَالْمَشَاهِدِ»^(١). وَالْأَلَدُّ: الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ. كَأَنَّهُ لَدَّ بِالْخُصُومَةِ، أَيْ أُوجِرَ فَلَدَّ بِهِ. وَلِذَلِكَ كَانَ اللَّدُّ مُصْدَرُ اللَّدِّ. وَيُقَالُ فِي مَعْنَاهُ أَلْدَدٌ^(٢). وَالْحَنَقُ: شِدَّةُ الْغَيْظِ، يُقَالُ أَخَذَنَّهُ فَحَنَقَ، يَقُولُ رَبُّ خَضَمٍ شَدِيدِ الْخُصُومَةِ ذِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ عَلَى تَغْلِي عِدَاوَتِهِ لِي فِي صَدْرِهِ غُلِيَانِ الْمِرْجَلِ بِمَا فِيهِ إِذَا كَانَ عَلَى النَّارِ، أَنَا دَفَعْتُهُ عَنْ نَفْسِي. وَجَوَابُ رَبُّ هُوَ صَدْرُ الْبَيْتِ الثَّانِي. وَالْحَنَقُ يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّزُوقِ، كَأَنَّ الْحَقْدَ لَزِقَ بِصَدْرِهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ أَخْنَقْتُ الدَّابَّةَ، إِذَا صَمَّرْتَهُ.

ع - أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النُّوَاطِرِ مِنْ عَلٍ^(٣)

ذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي أَرْجَيْتُهُ، أَنَّ الرُّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ «أَوْجَيْتُهُ» وَمَا عَدَاهُ تَصْحِيفٌ. قَالَ. وَهُوَ أَفْعَلُهُ مِنَ الْوَجَى، وَإِنَّمَا أُوجِبَ ذَلِكَ لِيَكُونَ لِفَقِّ قَوْلِهِ بَزْعُمِهِ: «وَكَوَيْتُهُ». وَالْمَعْنَى أَذْلَلْتُهُ وَرَدَدْتُهُ رَاغِبًا كَرُزُوحِ الْفَرَسِ الْوَجَى. ثُمَّ أُنْشِدَ قَوْلَ طَرَفَةَ مُؤَنِّسًا بِهِ:

وَقَوْمٍ تَنَاهَوْا عَنْ أَذَاتِي بَعْدَمَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشَ السَّنَابِكِ^(٤)
قَالَ الشَّيْخُ: وَلَقَدْ قَضَيْتُ الْعَجَبَ مِنْ هَذَا الْمُسْتَدْرِكِ، وَمِنْ ضَلَالَةٍ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ فِيمَا قَصَدَهُ مِنَ الْمَعْنَى، وَرَوَاهُ فِي الْاسْتِشْهَادِ، وَذَلِكَ أَنَّ شِعْرَ طَرَفَةَ إِنَّمَا هُوَ:

(١) هَذَا مَا فِي م. وَفِي الْأَصْلِ: «كَالْمَشَاهِدَةِ».

(٢) وَيُقَالُ يَلْدُدُ أَيْضًا.

(٣) ابْنُ جَنَى: «أَكْثَرُ مَنْ تَرَى يَرُوي هَذَا الْبَيْتَ أَرْجَيْتُهُ بِالرَّاءِ، فَإِذَا تَعَالَى شَيْئًا دَوَاهُ أَوْجَاتُهُ، وَكِلَاهُمَا تَصْحِيفٌ، وَإِنَّمَا هُوَ أَوْجَيْتُهُ بِالْوَاوِ، أَيْ ذَلَّلْتُهُ وَقَهَرْتُهُ. كَذَلِكَ رَوَيْنَاهُ وَكَذَلِكَ وَجَدْتُهُ أَيْضًا فِي شِعْرِ الْقَبِيلَةِ».

(٤) دِيوَانُ طَرَفَةَ ٥٦. بِهَذِهِ الرُّوَايَةِ عَيْنُهَا فِي نَهَايَةِ الْقَصِيدَةِ. قَالَ صَانِعُ دِيْوَانِهِ: «وَلَمْ يَرُ الْشَّنْتَمَرُ هَذَا الْبَيْتَ».

وما زال شُرْبِي الرَّاحَ حَتَّى أَشَرَّنِي صَدِيقِي وَحَتَّى سَاءَنِي بَعْضُ ذَلِكَ^(١)
وَحَتَّى يَقُولَ الْأَقْرَبُونَ نَصَاحَةً دَعِ الْغَيَّ وَاصْرِمِ حَبْلَهُ مِنْ حَبَالِكَ^(٢)
وَحَتَّى تَنَاهَوْا عَنْ أَذَانِي بَعْدَ مَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشُ السَّنَابِكِ
فَقَوْلُهُ : « حَتَّى تَنَاهَوْا » لَيْسَ مِمَّا فَسَّرَهُ وَاسْتَشْهَدَ لَهُ بِسَبِيلٍ ، إِنَّمَا يُرِيدُ
طَرَفَهُ أَنَّهُ أَبْعَدَ غَايَتِهِ فِي الْخُسَارَةِ ، وَتَمَادَى فِي تَعَاطَى الصَّبَا وَالْجَهَالَةِ ، فَلَمْ يُصْنَعْ
لِلنَّاصِحِ ، وَلَمْ يَرْغَوْا لِعَاذِلٍ ، حَتَّى نَفَضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ إِيَابَتِهِ ، وَيَتَسَوَّاهُ مِنْ قَبُولِهِ
وِإِعْتَابِهِ ، فَالْقَوَا حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ : وَصَارُوا مِنْ بَيْنِ نَاسِبٍ لَهُ إِلَى الشَّرِّ ،
وَمُسَىءٍ إِلَيْهِ فِي الْقَوْلِ ، وَقَازِفٍ إِيَّاهُ بِالْغَيِّ ، فَأَفْضَتْ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنْ تَنَاهَوْا
بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْعَنَاءُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، وَأَثَرُ فِيهِمُ الْإِعْيَاءُ وَالْإِخْفَاءُ أَشَدُّ تَأْثِيرًا . أَلَا
تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الْوَجَى فِي الْمُشَاشِ مِنَ السَّنَابِكِ مِنْهُمْ . فَهَذَا مَا عَلَيْهِ فِي الرِّوَايَةِ ،
وَالذَّهَابِ عَنْ طَرِيقَةِ الشَّاعِرِ . وَبَعْدُ فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ أَوْجِيتُ الدَّابَّةَ عَنِّي وَيُرَادُ
الْإِخْفَاءُ ، وَلَمْ يُسْمَعْ فِي التَّنْذِيلِ ذِكْرَ الْحَفَى وَالْوَجَى مُسْتَعَارًا كَمَا تُسْمَعُ الْكَيُّ
وَالْوَسْمُ فِيهِ . وَبَعْدُ الْغَوْصُ^(٣) لَا يُدْرَى عَلَى مَاذَا يَهْجُمُ بِصَاحِبِهِ . وَالرِّوَايَةُ
الصَّحِيحَةُ « أَرْجَانُهُ » وَ « أَرْجِيَّتُهُ » وَهَاتَانِ ، وَالْهَمْزُ أَفْصَحُ .
قَدْ قُرِئَ : ﴿ تَرْجِيٌّ مِنْ تَشَاءٍ مِنْهُنَّ ﴾ وَ ﴿ تَرْجِيٌّ ﴾ . وَيُرْوَى :
« أَوْحِيَّتُهُ » ، وَيُرْوَى : « أَرْجِيَّتُهُ » وَالْمَعْنَى يَتَقَارَبُ^(٤) فِي الْكُلِّ .
يَقُولُ : رَبُّ خَضَمٍ هَكَذَا أَنَا وَحِيَّتُهُ^(٥) عَنْ نَفْسِي وَصَرْفَتُهُ ، وَقَدْ أَبْصَرَ
رُشْدَهُ ، وَعَرَفَ مَقْدَارَ نَفْسِهِ ، فَعَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَشْتَطُّ فِيمَا لَهُ ،
وَيَتَغَابَى عَمَّا عَلَيْهِ . وَالْقَصْدُ : مَا لَا سَرَافَ فِيهِ ، وَلِلَّذَلِكَ قِيلَ اقْتَصِدْ فِي

(١) ديوان طرفة ٥٥ واللسان (شرر) مع تحريف . أشره : نسبه إلى الشر .

(٢) الديوان : « ذر الجهل واصرم حبلها »

(٣) م : « الغرض » .

(٤) م : « والمعنى يتقارب » .

(٥) وجاه توحية : عجله .

كذا. وطريقٌ قاصِدٌ، إذا كان على حَدِّ الاستواء. ومن كلامهم: ضَلَّ عن قَصْدِ الطريق، كما قيل: ضَلَّ عن سواء السبيل. قال الرازي^(١):

إِنِّي إِذَا حَارَ الْجَبَانُ الْهُدْرَةَ^(٢) رَكِبْتُ مِنْ قَصْدِ الطَّرِيقِ مَنْجَرَةً^(٣)

وقوله: «وكويته فوق النواظر»، يشبهه قول الآخر^(٤):

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا تَقِصَّتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا

أى كويته من عل فوق ناظره، أى وسمته بسمه من الدلّ اشتهر بها، ولم يمكنه إخفاؤها. ويقال لمن يتوعد بالإذلال والتشويه: لَأَسِمَنَّكَ وَسَمًا لَا يَفَارُقُكَ. ولذلك قال جرير:

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

وكما يفعلون هذه السمة في الجبين يحملونها في الأنف، ولذلك قال الأعشى:

* أَنْفَ مَنْ أَنْتَ وَأَسِمُ^(٥) *

وفي القرآن: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾. فإن قيل: لم أتى بقوله من عل،

وقد قال فوق النواظر ويُعلم منه أنه أعلى؟ قيل: إن التقدير كويته من عل فوق

النواظر، أى من أعلاه فوق ناظره، وفيه التقديم والتأخير، ولو سكت على من

عل لكان يجوز أن يكون فوق النواظر ودون النواظر، لكنه بين أن قصده

إلى الجبين، بيسمه. والمعنى شهرته بإذلاله، ووسمته بكى حيث يظهر للناظرين

ولا يخفى. وانتصاب «فوق» يجوز أن يكون على البدل من الضمير في كويته،

(١) هو الحصين بن بكير الربيعي. اللسان (هدر).

(٢) الهدرة كهمة: السائط. ويروى: «الهدرة» بالذال المدجمة، وهو بالهملة أجود.

(٣) المنجر: الطريق المستقيم. اللسان (هدر، نجر). م: «منجر».

(٤) هو المتلمس. ديوانه نسخة الشنقيطى.

(٥) قطعة من بيت له يروى كاملاً في ديوانه ٥٧، يل روى على هذه الصورة الناقصة:

..... يفتيك واحمد لغيرها بشورك واعلب أنف من أنت وامم

لأن «فوق» من الظروف المتمكنة . ويجوز أن يجعله ظرفاً تريد كونه في هذا المكان مما علا منه . وإنما لم يبين من على لأنه جعله نكرة ، كما تقول أتيتته قبلاً أى أولاً ، وأنت لا تقصد إلى أنه مضاف إلى معرفة مخصوصة ، فاعلمه . ومنه (١) :

* كَجَلْمُودٍ صَخِرَ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ (٢)

فالكسرة في الموضعين كسرة إعراب ، وإن شئت جعلته معتلاً الآخر لا منقوصاً كشج وقاض ، وجعلته في النية مضافاً ، فيكون معرفة وتنوي ضمة البناء في موضع لامة ، كما تنويها في الياء من قاض وغاز إذا ناديت بهما واحداً بعينه . وفي على لغات كثيرة ، وله نحو في البناء والإعراب ليس لأخواته من الغايات ، وليس هذا موضع شرحه .

١٠

وقال سعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم :

١ - سَأَغْسِلُ غَنَى الْعَارِ بِالسَّيْفِ جَالِبَا عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا

القضاء ، أصله الحتم والإيجاب ، ثم يستعمل في إكمال الضنع والفراغ من الشيء . ولهذا قيل قضى قضاؤك ، أى فرغ من أمرك . وفي القرآن : ﴿ فَنَقْضَاهُنَّ سَنَعُ سَمَوَاتٍ ﴾ . وبرى : « قضاء الله » بالرفع والنصب ، فإذا رفعته فإنه يكون

(١) م : « ومثله » . والبيت التالى لا يرى النقيض في معلقته .

(٢) صدره : * مكر مفر مقبل مدب معا *

(٣) شاعر إسلامي ، كان من شياطين العرب ، وهو صاحب يوم الوقيط في الإسلام

بين تميم وبكر بن وائل . الشعر والشعراء ٦٧٧ والخزانة (٣ : ٤٤٤ - ٤٤٦) واللالى ٧٩٢ - ٧٩٤ . وفي شرح التبريزي : أنه كان أصاب دما فهدم بلال داره .. واشتقلقه ناشب » من قولهم رجل ناشب ، أى ذو نسب .

فاعلا لِحَالِبًا عَلَى ، وما كان جَالِبًا في موضع مَفْعُولِهِ ^(١) ، ويكون القضاء بمعنى الحكم . والتقدير : سأغسل العارَ عن نفسى باستعمال السيف فى الأعداء ، فى حال جَلَبِ حكمِ الله على الشئ الذى يجلبه . وإذا نَصَبَ القضاء فإنه يكون مفعولاً لِحَالِبًا وفاعله ما كان جَالِبًا ، ويكون القضاء الموت المحتوم والقدر المقدور ، كما يقال للمصيد الصيد ، وللمخلوق الخلق . والمعنى جَالِبًا الموت على جَالِبِهِ . وذَكَرَ بعضهم أن « كان » من قوله ما كان جَالِبًا فى معنى صار . قال : ومثله : بَيْتَهُاءَ قَفَرٍ وَالْمَطِيُّ كَأَنَّهُ قَطًا الْحَزَنُ قَدْ كَانَتْ فِرَاحًا يَبُوضُهَا ^(٢) لأن المعنى قد صارت .

٣ - وَأَذْهَلَ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلَ هَذِمَهَا لِعِرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا ^(٣) الذُّهُولُ : تَرَكَ الشئ متناسيًا له ومتسلِّيًا عنه ، ومنه اشتقاق ذُهِلَ . يقول : إذا ضاق المنزلُ بى حتى يصيرَ دارَ الهوان انتقلت عنه ، وأَجْعَلَ خَرَابَهُ وقايةً للنفس ^(٤) من العار الباقى ، والذَّمُّ اللاحق . وهذا قَرِيبٌ من قوله :

* وَإِذَا نَبَايَكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلَ ^(٥)

وهو ضد المعنى الذى يقصدونه بالثبات فيه والصبر عليه ، من الإقامة فى دار الحفاظ والافتخار به ، لأنَّ الانتقال نَمٌّ هو الجالب للعار ، كما أن الإقامة هنا هو الجالب . فمن ذلك قوله :

(١) م : « مفعوله » .

(٢) البيت لابن أحر فى اللسان (كون) . ونسبه ابن يعيش فى شرح المفصل إلى ابن

كنزة . ويروى : « كانها » .

(٣) انظر الإشارة إلى هدم بيته فى ترجمته السالفة .

(٤) م : « لنفسي » .

(٥) لعبد قيس بن خفاف التميمي ، كما فى حاشية البحترى ١٧٩ . وصدره :

* احذر محل السوء لا تخلل به *

وَتَقِيمُ فِي دَارِ الْحِفَاطِ بِيُوتُنَا زَمَنًا وَيَطْعُنُ غَيْرُنَا لِلْأَمْرُعِ^(١)
ومنه قوله :

يُقَالُ مَحْبِسُهَا أَذْنَى لِمَرَّتِهَا وَإِنْ تَعَادَى بَيْكَ كُلُّ مَحْلُوبٍ^(٢)
وفي ضِدِّه قوله :

دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارُهُ أَفْرَاحُ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَرَحِلْ
وقول الآخر :

وَلَسْنَا بِمُحْتَلِّينَ دَارَ هَضِيمَةٍ خَافَةَ مَوْتٍ إِنْ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ
وانتصب « حاجبا » على أنه مفعول ثانٍ لأَجَلْتُ ، لأنه بمعنى أَصَيَّرُ .
والتقدير : أَجَعَلْتُ هَذِمَهَا حَاجِبًا لِعِرْضِي ، وَمَانِعًا مِنْ بَاقِي الدَّمِّ . ولـ « جعلت »
غيرَ هذا مواضع ، يكون بمعنى خَلَقْتُ وَأَنْشَأْتُ فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ ،
كقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ؛ ويكون بمعنى سَمَّيْتُ ، كقوله
تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَا ﴾ ؛ ويكون بمعنى طَفِقَ
ظَنَنْتُ ، تَقُولُ : جَعَلْتُهُ عَبْدًا وَشَتَمْتُهُ ، أَيْ ظَنَنْتُهُ ؛ ويكون بمعنى طَفِقَ
فَلَا يَتَعَدَّى . تقول : جَعَلْتُ يَكُكُّمُهُ ، أَيْ أَقْبَلُ . وعلى هذا قوله :

جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلٍّ^(٣) أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

٣- وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا تَنَنَّتْ يَمِينِي بِأَدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

أراد بقوله « يصغر » صَغَرَ الْقَدْرَ وَخَفَّتْهُ وَنَزَارَتْهُ فِي الْهَمِّ وَالْفِكْرِ .

(١) للحادثة الذببانية في المنفصليات (١ : ٤٣) . و « للأمرع » ضبطت في الأصل بضم
الراء وفي م بفتحها ، وهما روايتان .

(٢) لسلامة بن جندل في المنفصليات (١ : ١٢٢) .

(٣) في الأصل : « عن جفاء » ، والوجه ما أثبتنا من م .

وخص « التلاد » وهو المال القديم ، لأن النفس بمثله أضن ، وبه أنفس ، وله أضبط . تبه بهذا الكلام على أنه يخف على قلبه ترك الدار والوطن خوفاً من التزام العار ، كذلك يقل في عينه إنفاق المال عند انصراف اليد حائزة المطلوب ، جامعة له . وجواب « إذا » قدم عليه وهو قوله « يصغر » ، فأما قوله « كنت طالباً » ، فقد حذف منه الضمير العائد إلى الذي ، والتقدير كنت طالباً .

٤- فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْعَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تَرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا

الهدم : القلع والتخريب ، ويسمى الهدوم هدمًا . قال :

* كَأَنَّهُ هَدَمَ فِي الْجَفْرِ مُنْقَاضٌ ^(١) *

وتوسعوا فيه فقليل للثوب الخلق هدم ، وجمعه أهدام . وقيل مجوز متهدمة أى هزيمة فانية . وتهدم عليه من الغضب ، كما يقال تهجم . والغدر : ترك الوفاء ، ومنه غادرته ، والغدير . وكان هذا الرجل كان أخل بداره لنائبة نائبة ^(٢) فصار يحاطب أعداءه ويريههم قلة فكره فيما تجرى عليه أحواله من جهنم ، وفيما تقضى عواقب أمره إليه معهم ، فيقول : إن تحربوا داري غدرا منكم فإنها ميراث رجل هكذا ، ويعنى به نفسه ، وسمى ملكه ميراثا وهو حى ، والمعنى أنه سيورث ، وهذا تسمية الشيء المنتقل فى أيدى ملاكه والمتصرفين فيه على التشبيه : ميراثا ، وإن لم ينتقل بالأسباب والأنساب . على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ . وتراث ، أصله وراث ، والتناء فيه كالثناء فى تكاة وتخم . وقوله : « تراث كريم » أراد بالكريم الثرة عن

(١) فى الأصل : « متفاض » ، صوابه فى م واللسان (هدم) . وصدره :

* تمضى إذا زجرت عن سواة قدما *

(٢) انظر ما سبق فى ترجمته من هدم بلال داره .

«الأقدار ، والتَّبَاعِدَ مِنْ جَوَالِبِ الْعَارِ : عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِالْمَكْنُومِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . وَقَوْلُهُ : « لَا يَبَالِي الْعَوَاقِبَا » يُقَالُ : مَا بِأَلَيْتُهُ بَالَةً وَبَالِيَةً وَمِبَالَةً وَبِلَاءَ ، وَمَا بِأَلَيْتَ بِهِ . وَكَأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْبِلَاءِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي الْمَفَاخِرَةِ وَتَعَدَّادِ الْخِلَصَالِ الْحُسْنَةَ عِنْدَ الْمُنَافَرَةِ ، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى صَارَ يُقَالُ فِي الْاسْتِهَانَةِ بِالشَّيْءِ . وَيَشْهَدُ لِهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

مَالِي أَرَاكَ قَاتِمًا تُبَالِي وَأَنْتَ قَدِمْتَ مِنَ الْهَزَالِ^(١)

أى تفاخر .

٥- أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهْمُ بِهِ مِنْ مَقْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِبًا

يُقَالُ : مَا لَهُ عَزَمٌ وَمَا لَهُ عَزِيمَةٌ ، أَيْ تَثَبُّتٌ وَصَبْرٌ فِيمَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ . وَحَقِيقَةُ الْعَزْمِ : تَوْطِينُ النَّفْسِ وَعَقْدُ الْقَلْبِ عَلَى مَا يُرَى فِعْلُهُ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَجْزُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَالْاعْتِزَامُ : لَزُومُ الْقَصْدِ وَتَرْكُ الْإِنْتِهَاءِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ اعْتَزَمَ الْفَرَسُ عَلَى الْجَرَى . يَصِفُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ صَاحِبُ هَمٍّ وَأَخُو عَزَمَاتٍ ، مُسْتَدٍّ بِرَأْيِهِ فِيهَا غَيْرُ مُتَّخِذٍ رَفِيقًا ، وَلَا مُسْتَنْصِرٍ أَتَجَا وَصَدِيقًا . وَ « مَقْطَعُ الْأَمْرِ » أَرَادَ فَضْلَهُ وَالْخُرُوجَ مِنْهُ . وَبُرُوقَى : « أَخِي عَمَرَاتٍ » وَهِيَ الشَّدَائِدُ . وَيُرْوَى : « مِنْ مُقْطِعِ الْأَمْرِ » وَهُوَ مَنْ قَطَعَ الْأَمْرُ وَأَفْطَعَ ، فَظَاءَةٌ وَإِفْطَاعًا ، وَهُوَ قَطِيعٌ وَمُقْطَعٌ . أَوْ مِنْ أَفْطَعَنِي الْأَمْرُ فَفَقِطَعْتُ بِهِ ، أَيْ أَعْيَانِي فَضِغْتُ بِهِ ذِرْعًا . وَقَوْلُهُ : « صَاحِبًا » صِغَةً فِي الْأَصْلِ اسْتُعْمِلَتْ اسْتِعْمَالُ الْأَسْمَاءِ ، فَلَمْ يَجْرِ تَجْرِي أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ ، وَيَجْرِي عَلَى طَرِيقَتِهِ قَوْلُهُمْ وَالِدٌ .

٦- إِذَا هُمْ لَمْ تُرَدِّعْ عَزِيمَةً هَمَّهُ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا

الْهَمُّ : مَا تُجِيلُ لِفَعْلِهِ وَإِيقَاعِهِ فِكْرَكَ . وَالْهَمَّةُ : اسْمُ الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ

عليها في ذلك . ويقال في المثل لمن يُعَيَّرُ^(١) : « بَطُولُ الْأَمَلِ : » تَهْمٌ وَيُهْمُّ بِكَ ، ومنه الْمُهِمَّاتُ ، وهذا يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأي الأول . وهذا طريقةُ الْفَتَاكِ لِأَنَّ الرَّجُوعَ عَنِ الرَّأْيِ إِلَى غَيْرِهِ طَرِيقَةٌ مِنْ يَتَدَبَّرُ الْعَوَاقِبَ فَيَتَرَكُ^(٢) الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ لَمَّا يَرْجُوهُ مِنْ حُسْنِ الْمَأْبِ . فقال : إِذَا هُمْ هَذَا الرَّجُلُ بِشَيْءٍ أَنْفَذَ غَرِيمَتَهُ وَلَمْ يَرُدَّعَهَا ، وَلَمْ يَفْعَلْ مَا يَفْعَلُهُ خَائِفًا . ومثله قول الآخر :

جَسُورٌ لَا يَرُوعُ عِنْدَهُمْ وَلَا يَنْنِي غَرِيمَتَهُ اتِّقَاءً

ويقال : رَدَّعْتُهُ فَارْتَدَّعَ ، أَيْ كَفَفْتُهُ وَرَدَدْتُهُ رَدَّعًا . ومنه الرَّدَاعُ فِي الْعِلَّةِ وَهُوَ التَّنَكُّسُ ، يُقَالُ رُدِعَ رَدَّعًا وَرُدَّعًا . وَالْهَيْبَةُ تَكُونُ مِنَ الذُّعْرِ وَمِنَ الْإِجْلَالِ جَمِيعًا ، وَيُقَالُ لِلْجَبَانِ هَيْبٌ وَهَيْبَةٌ ، وَالْهَاءُ لِلْبَالِغَةِ ، وَلِلْحَشَمِ مَهْيَبٌ . وَفِي الْحَدِيثِ : « الْإِيمَانُ هَيْبٌ » . وَيُقَالُ : تَهَيَّبْتُ الشَّيْءَ وَتَهَيَّبَنِي بِمَعْنَى ، لَمَّا كَانَ لَا يَلْتَبِسُ ، وَمثله مِنَ الْمَقْلُوبِ كَثِيرٌ .

٧ - فَيَالِ رِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدِّمًا إِلَى الْمَوْتِ خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكَتَنَاتِبَا^(٣)

ويروى : « الْكَرَاتِبَا » . الْفَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « فَيَالِ رِزَامٍ » النَّيَّةُ بِهَا اسْتِثْنَاءٌ مَا بَعْدَهَا وَإِنْ نُسِقَ بِهَا جُمْلَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ . وَاللَّامُ مِنْ يَالِ رِزَامٍ ، هُوَ لَامُ الْاسْتِغْنَاءَةِ ، وَرِزَامٍ يَنْجَرُّ بِهِ وَهُمْ الْمَدْعُوثُونَ . وَأَصْلُ حَرَكَةِ لَامِ الْإِضَافَةِ إِذَا دَخَلَ عَلَى ظَاهِرِ الْكُسْرِ ، وَلِهَذَا إِذَا عُطِفَ عَلَى هَذِهِ اللَّامِ بِلَامٍ أُخْرَى كُسِرَتِ الثَّانِيَةُ ، تَقُولُ : يَالْزَيْدَ الْعَمْرُو ، وَلَكِنْ هَذِهِ فُتِحَتْ لَكُونَ مَا بَعْدَهَا مُنَادَى ، وَوُقُوعُ الْمُنَادَى عَلَى هَذَا الْحَدِّ مَوْقِعُ الْمَضْمَرَاتِ ، فَكَمَا قِيلَ لَكَ وَلَهُ ، قِيلَ يَالْزَيْدَ . وَقَوْلُهُ « رَشَّحُوا بِي مُقَدِّمًا » بِكُسْرِ الدَّالِ بِمَعْنَى مُتَقَدِّمًا ، فَهَذَا كَمَا يُقَالُ وَجَّهَ بِمَعْنَى تَوَحَّهَ ، وَتَبَّهَ بِمَعْنَى تَنَبَّهَ .

(١) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ . وَلا يَسْت « يَغْتَر » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَيَنْزِلُ » ، وَوَجْهُهُ مِنْ م .

(٣) ابْنُ جَنَى : « هَذَا الْبَيْتُ شَاهِدٌ عَلَى إِعْمَالِ فِعَالٍ إِعْمَالِ اسْمِ الْفَاعِلِ » .

وَنَكَّبَ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ . وعلى هذا قولهم مُقَدِّمَةُ الجَيْشِ ، ومن فُتِحَ الدال فالْمَعْنَى على أَنَّهُ يُقَدِّمُ لِيَقِيَهُمْ بِنَفْسِهِ . « خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكَتَائِبَا » ، انتصب الْكَتَائِبُ على أَنَّهُ مَفْعُولُ خَوَاضٍ . وَيُرْوَى « الْكَرَائِبُ » وهى الشدائد جمع كَرِيبَةٍ ، والأصل فى الْكَرْبِ : الْعَمُّ الذى يأخذ بالنَّفْسِ . والتَّرْشِيعُ أصله التَّنْزِيعُ والتَّرْبِيعَةُ ، ومنه قيل رَشَّحَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا إِذَا دَرَجَتْهُ فى اللَّبَنِ ، ثم قيل رُشِّحَ فُلَانٌ لَكَذَا ، تَوْشَعًا . ومعنى البيت : يَا بَنَى رِزَامِ هَيِّئُوا لِي رَجُلًا يَتَقَدَّمُ إِلَى الْمَوْتِ وَلَا يَحْجِدُ عَنْهُ ، مقتحما الجيوش والشدائد غير مَتَنَكِّبٍ ولا حَائِدٍ . وَيُرْوَى : « رَشَّحُوا لِي مُقَدِّمًا » ، وتأخيصة : رَشَّحُوا بِتَرْشِيحِهِمْ رَجُلًا هَذِهِ صِفَتُهُ ، فَأَقَامَ الصَّفَةَ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ .

٨- إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا^(١)

قوله : « أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ » ، أى جعله بمرأى منه لا يَفُتِلُ عنه ، وقد طابَقَ فى الْمَعْنَى لَمَّا قَابَلَ قَوْلُهُ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ، بقوله : نَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا . ومثله قول الآخر :

* وَلَا نَاطِرٌ عِنْدَ الْوَعَى فى الْعَوَاقِبِ *

وانتصب «جانبًا» على أَنَّهُ ظَرْفٌ . وَنَكَّبَ يَكُونُ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ . والمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا هُمْ بِالشَّيْءِ جَعَلَهُ نَصَبَ عَيْنَيْهِ^(٢) إِلَى أَنْ يَفْقُذَ فِيهِ وَيَخْرُجَ مِنْهُ ، وَيَصِيرُ فى جَانِبٍ مِنَ الْفِكْرِ فى الْعَوَاقِبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ جَانِبًا عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَيَكُونُ نَكَّبَ بِمَعْنَى حَرَّفَ . والمراد انحرَفَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ وَطَوَى كَشْحَهُ دُونَهُ . وَسُمِّيَ الْمَرْزُومُ عَلَيْهِ عَزْمًا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فى وَصْفِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِالْمَصَادِرِ .

(١) مثله ما أنشده له البكرى فى اللالى ٧٩٣ :

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ السَّرِيجِ ذَى الْأَثَرِ

(٢) كذا ورد فى النسختين ، بفتح النون ، وهو من أخطائهم ، والصواب ضم النون . وفى اللسان : « الْقَتِيبَى : جَعَلْتَهُ نَصَبَ عَيْنِي بِالْضَمِّ ، وَلَا تَقُلْ نَصَبَ عَيْنِي » ، يعنى بالفتح .

٩- ولم يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ولم يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا

مِثْلُ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ قَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :

* وَلَا يَنْتَجِي الْأَذْنَيْنِ فِيمَا يُحَاوِلُ *

وَيُقَارِبُ الثَّانِي قَوْلَ الْآخَرِ :

* فِي السَّيْفِ مَوَلًى نَضْرُهُ لَا يُحَارِدُ *

وَالشَّاعِرُ يَصِفُ اسْتِبْدَادَهُ وَتَقَرُّدَهُ عِنْدَ مَا يَدَّهُهُ بِمَا يَأْتِيهِ^(١) فَعَلَّا وَرَأْيَا .

وَلِنَّمَا نَبَّهَ عَلَى الرَّأْيِ بِقَوْلِهِ : « لَمْ يَسْتَشِرْ » ، وَعَلَى الْفِعْلِ بِقَوْلِهِ : « وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا » . وَانْتَصَبَ قَائِمٌ عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَصْلَ وَلَمْ يَرْضَ صَاحِبًا إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ . وَلَوْ أَتَى عَلَى هَذَا لَكَانَ الْوَجْهُ أَنَّ يَكُونُ بَدَلًا ، فَقَدَّمَ الْمُسْتَنْتَى كَمَا تَرَى .

١١

وَقَالَ تَأَبَّطُ شَرًّا^(٢) :

١- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُذْبِرٌ

قَوْلُهُ « لَمْ يَحْتَلْ » ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْحِيلَةَ مَأْخُذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ حَالَ الشَّيْءِ ،

أَيِ انْقَلَبَ عَنْ جِهَتِهِ^(٣) ، كَأَنَّ صَاحِبَهَا يَرِيدُ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مَا يَحُولُ^(٤) عِنْدَ غَيْرِهِ

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَمَا يَأْتِيهِ » .

(٢) هُوَ ثَابِتُ بْنُ جَابِرٍ بْنِ سَفِيَانَ الْفَهْمِيُّ ، وَاسْمُهُ تَأَبَّطُ شَرًّا لِأَنَّهُ تَأَبَّطُ سَيْفًا وَخَرَجَ فَقِيلَ لَأَمَّهُ : أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَالَتْ : تَأَبَّطُ شَرًّا وَخَرَجَ ، وَهَذَا أَشْهُرُ مَا قِيلَ فِي سَبَبِ تَلْقِيهِ . وَكَانَ أَحَدَ لُصُوفِ الْعَرَبِ الْمَغِيرِينَ ؛ قَرِينَا لِلشُّغْرِى وَعَمُّ بْنُ بَرَّاقٍ . الشُّعْرَاءُ ٢٧١ وَشَرْحُ الْأَنْبَارِيِّ لِلْمُفْضَلِيَّاتِ ١-٢ ، ١٩٥-١٩٦ وَالْأَغَانِي ١٨ : ٢٠٩-٢١٨ وَالِاسْتِشْقَاقُ ١٦٢-١٦٣ وَالْخَزَائِنُ ١ : ٦٦-٦٧ وَاللَّكَلِيُّ ١٥٨-١٥٩ .

(٣) م : « عَنْ وَجْهَةٍ » . (٤) يَحُولُ بِالْحَاءِ كَمَا فِي النُّسخَتَيْنِ ، وَلَعَلَّهَا « يَحُولُ » .

ولذلك قيل : فلانٌ حَوْلَ قُلُوبٍ . وقوله « جَدَّ جِدُّهُ » أى ازداد جِدَّهُ جِدًّا .
ويكونُ مثلَ قوله :

* حتى أَسَدَقَ نُحُولُهَا *

المعنى ازداد دَقِيقَهَا دِقَّةً ، ويجوز أن يكونَ المعنى صارَ غَيْرُ الْجِدِّ جِدًّا
بِمَالِهِ^(١) ، وهذا كما يُقال رِيعَ رَوْعُهُ ، وَخَرَجَتْ خَوَارِجُهُ ، وَجُنَّ جُنُونُهُ ،
وقال الهذلي :

* يُدْعَوْنَ نُحْسًا وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ فَزَعُ *

وإنما هو رِيعُ أَمْنُهُ ، وَخَرَجَتْ دَوَاخِلُهُ ، وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ أَمْنٌ . فَسَمَّى الشَّيْءَ
بِمَا آلَ إِلَيْهِ . وقوله « أَضَاعَ » يجوز أن يكونَ معناه وَجَدَ أَمْرَهُ ضَائِعًا ، ويجوز
أن يكونَ بمعنى ضَيَّعَ . ويقال : ضَاعَ الشَّيْءُ ضَيْعَةً وَضَيَاعًا ، وَتَرَكَهُمْ بَضَيْعَةً
وَمَضْيَعَةً . وإذا أَخَذَ الرَّجُلُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، قِيلَ : فَشَتَّ عَلَيْهِ الضَّيْعَةُ .
ويقاربه قولهم :

* اتَّسَعَ الْخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ^(٢) *

وقوله : « وَهُوَ مُذِيرٌ » يجوز أن يكونَ الضميرُ للأمرِ ، والمعنى قَاسَى أَمْرَهُ ،
أى شَقِيَ بِهِ وَهُوَ مُؤَلِّ فَائِتٌ . ويجوز أن يكونَ الضميرُ للمرءِ ، والمعنى عَالَجَ أَمْرَهُ
وَكَاذَبَهُ مُذِيرًا فِيهِ غَيْرَ مُقْبِلٍ وَلَا مَنْصُورٍ ، ومعنى البيت إذا الرَّجُلُ لَمْ يَطْلُبْ
رَشْدَهُ وَلَمْ يُنْفِذِ الْحِيلَةَ فِي إِصْلَاحِ أَمْرِهِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ ،

(١) م : « بِمَا آلَ إِلَيْهِ »

(٢) عجز بيت لشقران السلامي في المجتبى لابن ذرید ٧٨ ، أو لابن حمام الأزدی في
المؤتلف ٩٢ . وصادره :

* كُنَّا نَدَارِيهَا فَتَدْمَرَتْ *

ونحوه قول أبي عامر جَدَّ العباس بن مرداس ، في العيني (٢ : ٣٥١) :
لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراقق

وقد صار الأمر جدًّا لاشبهة فيه، عالجَه وهو هكذا، أو عالجَه والأمر هكذا. ومثله :

ولكنَّ مَنْ لَا يَلِقُ أَمْرًا يَنْوِبُهُ بِعُدَّتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أَعَزَلُ
٢- ولكنَّ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ

السائرُ عنهم في مَثَلِ قولهم : « رَوَيْتُ حَزْمٌ ، فإذا رَوَّاتِ فاعزَم » ،
فيقول : صاحبُ الحزم هو الذي يَسْتَعِدُّ للأمر قبل نزوله ، ويدبرُه قبل فواته ،
حتى إذا نَزَلَ به يكونُ عارفاً بالقصة فيه ، سالكا للوجه الذي يفصلُه منه .
وهذا كما قيل في المثل : « قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمَلِّأُ الْكِنَانُ »^(١) . والحزمُ في اللغة :
الشدُّ والضبط ، ومنه الحزام ، والحزْمَةُ ، والحِزْمُ ، والمَحْزَمُ ، والخطْبُ :
الأمر المطلوب ، ويقال : خطَبْتُ الأمر فأخطَبَ ، كما تقول طَلَبْتُه فأطابَ .

٣- فَذَلِكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حَوْلَ إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخَرُهُ جَاشَ مَنْخَرُهُ

« ذاك » أشار به إلى أخى الحزم . و « قَرِيعُ الدَّهْرِ » يحتمل وجهين :
يجوز أن يكون في معنى يختار الدهر ، ويكون من قرَعَتُ الشَّيْءَ أى اختَرْتُهُ
وخصَّصْتُهُ بقرعَتى ، ويقال هو قَرِيعُهُم وقَرِيعَتُهُم وقَرِيعُهُم بمعنى واحد . ويجوز
أن يكون بمعنى مَنْ قرَعَهُ الدهرُ بنوائبه حتى جَرَّبَ وتبصَّرَ . ويكون قَرِيعُ في
الوجهين فَعِيلًا في معنى مفعول . ولا يمتنع أن يكون المراد بقريع الدهر فَعَلَ
الدهر ، ويكون في هذا الوجه قريع في معنى فاعل ، لأنه يقرَعُ الناقة أى يضربها .
وما تقدَّم أحسن . وقوله « ما عاش » في موضع الظرف ، والمعنى مُدَّةَ عَيْشِهِ .
وقوله « إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخَرُهُ » مَثَلٌ لِلْمَكْرُوبِ الْمُضَيَّقِ عَلَيْهِ ، وهذا كما استعمل

(١) الكِنَانُ : جمع كِنَانَة ، وهى جعبة السهام .

فيه الخَنْقُ والخِنَاق . وأصل المنخر في الأنف من النخير ؛ ويسمى الثُّخْرَةُ أيضاً . والجميع الثُّخَر . والنخير : مدّ النَّفْس ، ومنه نَخِيرُ الحمار . وقيل نُخْرَتَا الأنف : حَرَفَاهُ . وجاشتِ القِدْرُ : غَلَتْ . وجاشَ البحرُ : احتاج ، وأصله التعرُّك في الموضعين والاضطراب ؛ ومنه الجيش واحدُ الجيوش . والمعنى : لافتنانه في الحِيل لا يؤخذُ عليه طريقٌ إلاّ نَفَذَ في آخر . و « الحَوْل » : الكثير التحوُّل في الأمور . ويقال هو قُلُوبٌ وَحَوْلٌ ، وفي معناه رَجُلٌ حَوْلٌ وَحَوْلِيٌّ . قال ابن أحر (١) :

أَوْ يُنْسَنَ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ أَتَى حَوَالِيَّ وَأَتَى حَذِرِ
ويقال : هو ذو حَوْلٍ وَحَوِيلٍ ، وفي المثل : « لو كان ذا حيلة تمحول » .
فأما قولهم : هو ذو مَحَلَةٍ (٢) ، فهو في معنى مَحَالَةٍ ، وَلَيْسَ مِنْ بَنَائِهِ ، لأن الميم في مَحَلَةٍ أصلية ، وفي مَحَالَةٍ زائدة .

ع- أَقُولُ لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفَرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيَوْمِي ضَيْقُ الْحَجَرِ مُعَوَّرٌ (٣)

من كلامهم : « نعوذ بالله من صَفَرِ الإِنَاء ، وقرعِ الفِئَاء » . وهذه الاستعارة من شمول القَحْطِ وهَلَاكِ المَال . ولِحَيَّان : بَطْنٌ من هُذَيْل كان تَأَبَّطُ شَرًّا رَاعِمَهُمْ وَوَتَرَهُمْ ، فكانوا يطلبون غَفْلَتَهُ ، حتّى اتفق منه الصُّعُودُ إلى الجبل الذي وصفه ليشتار العسل ، ولم يكن له إلا طريقٌ واحد ، فجاءوا وأخذوا عليه ذلك الطريق ، فقال : أقول لهم ، يعني عند مخاطبته إِيَّاهم وهو على الجبل . وقوله

(١) في اللسان (حول) : « ويقال للمرار بن منتهى العدوى » . وروايته عند التبريز : « أَوْ يَنْسَنَ » .

(٢) ضبط في م بضم الميم ،

(٣) الحجر ، كذا وردت في النسختين بتقديم الحاء وفتحها وهو الناحية . وتفسير المرزوق يحتم هذه الرواية عنده . وفي مطبوعات الحامسة : « الحجر » بتقديم الجيم المنصومة . وفي شرح التبريزي : « وذلك أن الحشرة إذا لجأت إلى جحر ضيق لا منفذ له وصل إليها الطالب » . فتفسيره يبين روايته كذلك .

« وقد صَفَرَتْ لَمْ وَطَابِي » يحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون المعنى وقد خلا قلبي من ودِّهم . وبعضهم يستضعف هذا ويقول : ومتى كان يودُّهم ؟ وهذا اللفظ كيف يفيد هذا المعنى . ويمكن أن يُقال في ذلك إنّما أراد وَطَابَ ودِّي . وهذا كما قال بشر :

وَإِذْ صَفَرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكْ يَنْتِنَا فِيهَا ذِمَامٌ^(١)
كأنه تَبَيَّنَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُبْقُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرَعُونَ ذِمَامًا لَهُ ، فَلَا رِعةَ وَلَا رِقةَ لَهُمْ ، وَلَا بُقْيَا وَلَا مُحَافَظَةَ عِنْدَهُمْ ، فَصَارَ اعْتِقَادُهُ فِيهِمْ كَمَا بَانَ لَهُ اعْتِقَادُهُمْ . فِيهِ . فَلِهَذَا قَالَ مَا قَالَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَشْرَفَتْ نَفْسِي ، بِسَبَبِهِمْ وَلِتَعَرُّضِهِمْ وَهَمِّهِمْ بِاتِّهَازِ الْفُرْصَةِ لِمَا أَمَكَّهُمْ ، عَلَى الْهَلَاكِ . وَيَكُونُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ :

* وَلَوْ أَدْرَكْنَاهُ صَفَرَ الْوِطَابِ^(٢)

وفي طريقته قول الآخر^(٣) :

هَرَقْنِ بِسَاحِقٍ جِفَانًا كَثِيرَةً وَأَدَّيْنِ أُخْرَى مِنْ حَقَيْنِ وَحَازِرِ
وقال غيره :

يَا جَفْنَةَ كَسْتَضِيحِ الْخَوْضِ قَدْ كُفِّتْ بِنْتِي صِفِّينَ يعلو فوقها القَترُ^(٤)
ويجوز أن يكون أشار بالوطاب إلى الجسم ، أى كاد تفارقه الرُّوح . وهذا كما يقال : الإنسان^(٥) : زِقٌّ مَنفُوخٌ . ويجوز أن تكون الإشارة إلى

(١) في المفضليات (٢ : ١٣٥) : « فإذا صفرت » .

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ١٦٠ ، وصدره :

* وَأَقْلَتْنِ عَلِيَاءَ جَرِيضًا

(٣) هو سلمة بن الحرشب الأنماري ، كما في المفضليات (١ : ٢٦) وانظر مسجهم ليلدان (ساحق) .

(٤) عجز هذا البيت من م ، وهو ساقط من الأصل .

(٥) في الأصل : « للإنسان » وأثبتنا ما في م .

ظروف العسل التي اشتارها^(١) لأنه لما تيقن قَصْدَهُم لِقَتْلَهُ وتركهم مسامحته صَبَّ العسلَ على الجبل من الجانب الآخر وركبهُ منزلاً عليه ، حتَّى لَحِقَ بالسَّهْل . قوله : « وَيَوْمَ ضَيَّقُ الْحَجَرُ مُعَوِرٌ » ، أى ضَيَّقُ الناحية مُمَكِّنٌ . ويقال فى الْحَجَرِ الْحَجْرَةُ أيضاً . وفى الْمَثَل : « يَرِبُضُ حَجْرَةٌ وَيَرْتَعِي وَسْطًا » . وَمُعَوِرٌ ، من أَعَوَرَ لَكَ الشَّيْءُ ، إذا بَدَتْ لَكَ عَوْرَتُهُ ، وهى موضعُ الْحَافَةِ . قال الله تعالى فى الحكاية عن المنافقين لما قَعَدُوا عن نُصْرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ بَيوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أى واهيةٌ يجب سَتْرُهَا وتحصينُهَا بِالرَّجَالِ ، وكما قيل يومُ مُعَوِرٌ قِيلَ مكانُ مُعَوِرٌ ، أى مَخُوفٌ . ويقال : عَوَرَ الْمَكَانُ إذا صار كذلك ، وقرئ : ﴿ إِنَّ بَيوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾^(٢) . وقال بعضهم : كلُّ ما طَلَبْتَهُ فَأَمَكَّنَكَ فَقَدْ أَعَوَرَكَ وَأَعَوَرَ لَكَ . ومعنى البيت : أقول لهؤلاء القوم والحالُ هذا ، وهو أُنِّى قد جعلتُ لِنَفْسِي طريقاً إلى الْخِلَاصِ منهم أو أُنِّى أُمَشِرْتُ على الْمَلَائِكَةِ وَالْيَوْمِ يومٌ شَدِيدٌ عَسِيرٌ .

هـ - هُمَا خُطَّتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وإما دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحَرْ أَجْدَرُ

الْخُطَّةُ مأخوذةٌ من الْخَطِّ ، وهى تَجْرِى مجرى الْقِصَّةِ ، وإن كان لها مواضعٌ تَنفَرِدُ بها ، وَحَذَفَ النون من « خُطَّتَا » إِذَا رَفَعْتَ « إِمَّا إِسَارٌ » استطالةٌ لِلْأَسْمِ ، كأنه استطال خُطَّتَا بِيَدَيْهِ وهو قوله إِمَّا إِسَارٌ ، كما استطال الشاعرُ الْآخِرُ الْمُوصُولُ [بصلاته ، والموصوف^(٣)] بِصِفَتِهِ فقال :

أَبْنَى كَلَيْبٍ إِنَّ عَمَى اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ^(٤)

(١) كذا فى م . وفى الأصل ؟ « الذى اشتاره » . والعسل يذكر وية نث .

(٢) هذه قراءة ابن عباس . وابن يعمر ، وقتادة ، وأبي رجاء ، وأبي حيوة ، وابن أبي عيلة ، وأبي طالوت ، وابن مقسم ، وإسماعيل بن سليمان عن ابن كثير . وقرأ الجمهور بإسكان الواو . تفسير أبي حيان فى (سورة الأحزاب) .

(٣) التكملة من م .

(٤) البيت للأخطل فى ديوانه ٤٤ . ونسب فى الضرائر للأوسى ٦٨ إلى الفرزدق « وهو خطأ . وهو كاليب هم قوم جريه . وعما الأخطل هما : عصم بن النعمان ، ودوكس بن القدوكس » .

حَذَفَ النون من اللَذَا . ومثله في الحذف قول الآخر ^(١) :

لَهَا مَتْنَتَانِ خَطَاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّيْرَ

حذف النون من خطاتا . وقول الآخر :

لَنَا أَعَزُّ لُبْنٌ ثَلَاثٌ قَبِضُهَا لِأَوْلَادِهَا نِتْنًا وَمَا يَبْنَانَا عَزُّ ^(٢)

ويموز أن يكون الحذف على وجه الحكاية ، كأنه قال : هُمَا خُطَّتَا قَوْلِكُمْ إِمَّا كَذَا وَإِمَّا كَذَا ، فلما تَوَيَّ ذلك حَذَفَ النون للإضافة . وكأنهم كانوا يُدِيرُونَهُ عَلَى الْخَصْلَتَيْنِ ^(٣) ، فأخذ بهتكم عليهن ويحكى مقالتهن ، ونحوه قول الخليل في قوله : ﴿ ثُمَّ لَنْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْتَهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا ^(٤) ﴾ ، قال معناه لَنْزَعَنَّ مِنَ الْمُتَشَابِعِينَ الَّذِي يَقَالُ لَعُتُوهُ أَيْتَهُمْ أَشَدُّ ؛ فَحَكَى . وقوله :

* فَأَبَيْتُ لَا حَرَجٌ وَلَا مَحْرُومٌ ^(٥) *

وإذا جَرَزْتَ « إِمَّا إِسَارٍ » يكون حذف النون لنتية الإضافة ، والتقدير : هُمَا خُطَّتَا إِسَارٍ وَمِئَةٍ . والمعنى ليس [لى ^(٦)] إلا واحدةٌ من خَصْلَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ عَلَى زُعْمِكُمْ ^(٧) : إِمَّا اسْتِئْصَارٌ وَالتَّزَامُ مِنْتِكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ الْعَفْوَ ، وَإِمَّا قَتْلٌ وَهُوَ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمَا يُجْزِيهِ وَيُكْسِبِيهِ الذَّلَّ . فهاتان الخصلتان هما اللتان أشار إليهما

(١) هو امرؤ القيس . ديوانه ١٤ .

(٢) أنشد هذا البيت التبريزي وابن جني كذلك ، ولم ينسياه .

(٣) انظر مثيل هذا التعبير فيما مضى ، ص ٤٥ س ١٨ .

(٤) كذا وردت الآية بهذا الضبط في النسختين ، وهى قراءة الجمهور ، وانفرد حزة والكسائي وحفص بالقراءة بكسر العين والجيم والصاد فى « عتيا » و« جثيا » وصليا . انظر تفسير أبى حيان (٦ : ٢٠٨) . والكلام بعد هذه الكلمة إلى « أشد » ساقط من م .

(٥) للاخطل فى ديوانه ٨٤ وسيبويه (١ : ٢٥٩) . وأنشده فى المخصص (٨ : ٦٩ ،

١٦ : ١١٠) . وصدره :

* وَلَقَدْ أَبَيْتُ مِنَ الْفَتَاةِ يَهْزِلُ *

(٦) هذه من م .

(٧) الزعم : مثلث الزاى ، كما فى القاموس . وتكاد النسختان تجمعان على ضم الزاى فى

مثل موضع ترد فيه هذه الكلمة ، كما هنا .

بقوله لما خُطَّتَان ؛ وقد ثَلَّثَهما بِحِطَّةٍ أُخْرَى ذَكَرَها فيما بعد . وفي هذا الكلام تهكم وهُزء . وقوله : « والقَتْل بالحرِّ أَجْدَر » يسمَّى اعتراضاً لوقوعه بين ما عَدَدَهُ من الخصال .

٦- وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنِّهَا لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ

المصاداة : إدارة الرَّأْي في تدبير الشيء والإتيان به على أَتَقَنِهِ ، ومنه يقال : لِمَنَ لَصَدَى مال ، إذا كان حَسَنَ القيامِ به . يقول : وهاهنا خَصْلَةٌ أُخْرَى أُدَارِي نفسِي فيها ، وأُدَاوِرُها عليها ، وإِنِّها لَمَوْضِعُ الَّذِي يَرِدُهُ الحَزْمُ وَيَصْدُرُ عَنْهُ إِنْ فَعَلْتُ . وهذا إِنَّمَا قَسَمَ الكلامَ هذه الأقسامَ لِأَنَّهُ رَأَى بينَ أَمْرِهِ عليها ، ولأنَّهُ نظرَ إلى جِهَتِي الجَبَلِ فَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ رَضِيَ الطَّرِيقَ الَّتِي عَلَيْهَا بَنُو لَحِيانَ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا كانَ فيها لِإِحْدَى الحالتين : مِنَ الْأَسْرِ أَوِ الْقَتْلِ ، على ما كانوا يَزْعُمُونَ ويقولون . وَإِنْ احتالَ لِلجَهَةِ الأُخْرَى والحَزْمُ فيها ، لِأَنَّ خلاصه منها ، كانَ أَمْرًا ثَالِثًا . ثُمَّ اقْتَصَصَ ما فَعَلَهُ ^(١) . وقوله « وإِنِّها لَمَوْرِدُ حَزْمٍ » اعتراضٌ أَيْضًا ، لوقوعه بين قوله وأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا ، وبين تبين كيفية مزاولة لها وَشَرَحَها .

٧- فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصِّفَا بِهِ جَوْجُؤٌ عَجَلٌ وَمَتْنٌ مَخْصَرٌ

الْفَرَش : البَسْط ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : فَرَشْتُهُ أَمْرِي ، وَافْتَرَشَ لِسَانُهُ فَتَكَلَّمَ كَيْفَ شَاءَ . وقوله « لَهَا » الضمير لِلخَصْلَةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِقوله « وأُخْرَى » . يقول : فَرَشْتُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الخُطَّةِ صَدْرِي عَلَى الصِّفَا . وَهَذَا حِينَ صَبَّ الْعَسَلُ فَزَلَّقَ [بِهِ] عَنِ الصِّفَا . أَيْ بِصَدْرِهِ صَدْرٌ ضَخْمٌ وَمَتْنٌ دَقِيقٌ ، وَالصَّدْرُ وَالْمَتْنُ صَدْرُهُ وَمَتْنُهُ ، وَلَكِنْ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ قَوْلِهِمْ : لَقِيتُ بَرْيَدَ الْأَسَدِ ^(٢) ، وَزَيْدٌ هُوَ

(١) م : « على ما فعله » .

(٢) هذا مما يسميه البلاغيون « التجريد » ، ويسمون الباء في مثل هذا بـاء التجريد .

الأسند عندهم . وَوَضَعَ فَرَشْتُ مَوْضِعَ أَلْقَيْتُ وَوَضَعْتُ . وَيُقَالُ : فَرَشْتُ سَاحَتِي بِالْأَجْرِّ ، وَافْتَرَشْتُ الشَّاةَ لِلذَّبْحِ إِذَا أَضَجَّعْتُهَا . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ مِنْ « لَهَا » لِلصَّفَاةِ ، وَالْكَلِمَةُ مَقْلُوبَةٌ ، وَالْمَعْنَى فَرَشْتُهَا لَصَدْرِي . وَفِي هَذَا إِضْمَارٌ قَبْلَ الذِّكْرِ وَالْقَلْبِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَا فَلِلأَوَّلِ هُوَ الْوَجْهَ .

٨- فَنَخَالَطُ سَهْلَ الْأَرْضِ لِمِ تَكْدِجِ الصَّفَا بِهِ كِدْحَةً وَالْمَوْتَ خَزِيَانًا يَنْظُرُ
انْخَلَطَ أَصْلُهُ تَدَاخَلَ أَجْزَاءُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَقَدْ تَوَسَّعَ فِيهِ حَتَّى قِيلَ :
رَجُلٌ خَلَطٌ ^(١) ، إِذَا اخْتَلَطَ بِالنَّاسِ كَثِيرًا . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « لَا خِلَاطَ
وَلَا وِرَاطَ » ، وَفِي الْمَثَلِ : « أَيْسَ أَوْانَ يُكْرَهُ الْخِلَاطُ » . يَقُولُ : إِنَّمَهَلْتُ
وَلَمْ يُوَثِّرِ الصَّفَا فِي صَدْرِي أَثَرًا ، لَا خَذَشًا وَلَا خَمَشًا ، وَالْمَوْتُ كَانَ طَمِيعَ فِيَّ ،
فَلَمَّا رَأَيْتِي وَقَدْ تَخَلَّصْتُ بَقِيٍّ مُسْتَحْيِيًّا يَنْظُرُ وَيَتَحَيَّرُ . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ
« وَالْمَوْتُ » وَأَوُّ الْحَالِ . وَهَذَا مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَمِنْ الاسْتِعَارَاتِ الْمَلِيحَةِ .
وَقَدْ جُمِلَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ عَلَى أَنَّ يَكُونُ
الْمَعْنَى ^(٢) تَتَحَيَّرُونَ . وَقَدْ سَلَكَ أَبُو تَمَّامٍ مَسْلَكَ هَذِهِ الاسْتِعَارَةِ فَقَالَ :
* إِنْ تَنْفَلَيْتِ وَأَنْتُوفِ الْمَوْتَ رَاعِمَةً ^(٣) *

وَيُقَالُ إِنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّرْقِ الَّذِي عَلَيْهِ
يَبْغُو لِحْيَانُ أُمَيَّالٍ عِدَّةً . وَقَوْلُهُ « يَنْظُرُ » يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ ، وَيَكُونُ مَعْنَاهُ فِي مَقَابِلَتِي . وَيُقَالُ : بُيُوتُهُمْ تَنْتَظِرُ ،
إِذَا تَقَابَلَتْ ، لِأَنَّ النَّظَرَ تَقَابِيلُ الدِّينِ نَحْوِ الْمُرِيِّ فِي مَقَابِلَتِهِ . لِذَلِكَ صَحَّ أَنْ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ ، وَضَبَطَ فِي مِ بَضَمِ الْخَاءِ وَاللَّامِ ، وَهِيَ لَفْتَانِ صَحِيحَتَانِ .
رَلْفَةٌ ثَالِثَةٌ « خِلَاطُ » بِكسْرِ الْخَاءِ . وَشَاهِدُ الْأَخِيرِ فِي اللِّسَانِ قَوْلُهُ :

وَأَنْتِ امْرُؤٌ خِلَاطٌ إِذَا هِيَ أَرْسَلَتْ يَمِينَكَ شَيْئًا أَمْسَكَتَهُ شِمَالُكَ

(٢) م : « بِمَعْنَى » . (٣) م : « إِنْ تَنْقَلِبِ » . وَعَجَزَهُ فِي الدِّيَوَانِ ٩٨ :

* فَادْهَبِ فَأَنْتِ طَلِيقُ الرِّكْضِ يَا لَبَدَ *

يقال للأعمى : نَظَرَ إِلَى ، ويجوز أن يكون معنى يَنْظُرُ يَعْلَمُ حُسْنَ حِيلَتِي وَعَنَانِي فِيمَا يَدُهُنِي . وَفُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ، أى يعلمون ذلك ويتيقنون . وقوله « لَمْ يَكْذَحِ الصَّفَا » قيل الكَذَحُ بِالْأَسْنَانِ وَالْحَجَرِ دُونَ الْكَذَمِ ، وَمِنْهُ قِيلَ الْمَكْذَحُ الْمَكْدَمُ فِي حِمَارِ الْوَحْشِ ، لَتَمْضِيضٍ بِمَعْضَاهَا بَعْضًا . وقوله « خَزَيَانُ » يجوز أن يكون من الْخَزَى : الْهَوَانِ ، ويجوز أن يكون مِنَ الْخَزَايَةِ : الْاسْتِحْيَاءِ .

٩ - فَأَبْتُ إِلَى فَهَمٍ وَلَمْ أَكُ آيِيَا وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُمَا وَهِيَ تَصْفِرُ^(١) يقول : رجعتُ إِلَى قَبِيلَتِي فَهَمٍ ، وَكِدْتُ لَا أُؤُوبُ ، لِأَنِّي شَافَهُتُ التَّلَفَ . ويجوز أن يُرِيدَ : وَلَمْ أَكُ آيِيَا فِي تَقْدِيرِهِمْ وَظَنَّهُمْ . واختار بعضهم^(٢) أن يُرْوَى : « فَأَبْتُ إِلَى فَهَمٍ وَمَا كِدْتُ آيِيَا » وقال : كَذَا وَجَدْتُهُ فِي أَصْلِ شِعْرِهِ . قال : وَمِثْلُهُ فِي أَنَّهُ رَدَّ إِلَى الْأَصْلِ وَوَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ^(٣) مَوْضِعَ الْفِعْلِ قَوْلُ الْآخَرِ :

أَكْثَرْتَ فِي الْعَدْلِ مُلِحًّا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنِ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمًا^(٤)

والمثل السائر : « عَسَى الْغَوَايِرُ أُنْثَى » . وَلَا أُدْرِي لِمَ اخْتَارَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ ؟ لِأَنَّ فِيهَا مَا هُوَ مَرْفُوضٌ فِي الِاسْتِعْمَالِ شَاذٌ ، أَمْ لِأَنَّهُ غَلَبَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ الشَّاعِرَ كَذَا قَالَهُ فِي الْأَصْلِ ؟ وَكَلَامُهَا لَا يُوجِبُ الْاِخْتِيَارَ . عَلَى أَنِّي قَدْ نَظَرْتُ فَوَجَدْتُ

(١) مِثْلُهَا ، ضَبَطْتُ فِي الْأَصْلِ بِالْجُرْ ، وَفِي مِ الْرَفْعِ . وَفِي الْخَزَاةِ (٣ : ٥٤١) أَنَّهُ يَرْوَى بِالْجُرِّ وَالرَّفْعِ . فَالْجُرُّ عَلَى أَنَّ كَمْ خَبَرِيَّةٌ ، وَالنَّصَبُ عَلَى أَنَّهَا اسْتِفْهَامِيَّةٌ وَيَكُونُ مِثْلُهَا صِفَةً لِنَكْرَةِ مَحْذُوفَةٍ تَقْدِيرُهُ كَمْ مَرَّةً مِثْلُهَا ، وَالرَّفْعُ عَلَى مَعْنَى كَمْ مَرَّةً وَقَعَ مِثْلُهَا .
(٢) هُوَ ابْنُ جَنِّي فِي التَّنْبِيهِ عَلَى الْحِمَاسَةِ . قَالَ ابْتَهَرِيزِي : « وَتَكَلَّمَ الْمَرْزُوقُ عَلَى اخْتِيَارِ أَيْ الْفَتْحِ هَذِهِ الرِّوَايَةَ رَادًّا عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْصِفْهُ » .

(٣) هَذَا مَا فِي مِ . وَفِي الْأَصْلِ : « اسْمُ الْفِعْلِ » . وَالَّذِي فِي التَّنْبِيهِ : « فَاسْتَعْمَلَ الْاسْمَ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ : الْمَرْفُوضُ الِاسْتِعْمَالُ مَوْضِعَ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ فَرْعٌ » .
(٤) فِي الْخَزَاةِ (٤ : ٧٩) : « نَسَبَ إِلَى رُوَيْبَةَ بْنِ الْعِجَاجِ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي دِيْوَانِ رَجَزِهِ »

أَبَا تَمَامٍ قَدْ غَيَّرَ كَثِيرًا مِنْ أَلْفَاظِ الْبُيُوتِ الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا هَذَا الْكِتَابُ ، وَلَعَلَّهُ لَوْ أَنْشَرَ اللَّهُ الشُّعْرَاءَ الَّذِينَ قَالُواهَا لَتَبْعُوهُ وَسَلَّمُوا لَهُ . وَيُرْوَى : « وَلَمْ آلُ آيِبًا » . وَالْمَعْنَى لَمْ أَدْعُ جَهْدِي آيِبًا وَفِي الْإِيَابِ . وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ . وَكَمْ مِثْلَهَا ، أَى كَمْ مِثْلُ هَذِهِ الْخَطِّئَةِ ^(١) فَارْقَتْهَا بِالْخُرُوجِ مِنْهَا ، وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ تَضَعُو ^(٢) وَأَنَا الْغَالِبُ . وَصَمِيرُ الطَّائِرِ مَعْرُوفٌ ، وَمِنْهُ مَا فِي الدَّارِ صَافِرٌ ، أَى ذُو صَفِيرٍ .

١٢

وَقَالَ أَبُو كَبِيرِ الْهَذَلِيِّ ^(٣) :

١٥- وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمِشْمٍ جَلَدٍ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرِ مُثْقَلٍ ^(٤)

يُقَالُ سَرَى يَسْرِي سُرًى ، وَأَسْرَى إِسْرَاءً بِمَعْنَى ، وَهُوَ سَيْرُ اللَّيْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ . وَعَلَى الظَّلَامِ ، أَى فِي الظَّلَامِ مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ . وَيُقَالُ فَعَلْتُهُ ظَلَامًا وَلَيْلًا فِي مُقَابَلَةِ فَعَلْتُهُ نَهَارًا . وَيَقُولُونَ : عِمَّ ظَلَامًا وَعِمَّ صَبَاحًا ، وَهَذَا كَمَا جَعَلُوا فِي مُقَابَلَةِ الْيَوْمِ اللَّيْلَةَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الظَّلَامِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَى وَأَنَا عَلَى الظَّلَامِ ، أَى رَاكِبٌ لَهُ . يَقُولُ : وَلَقَدْ سَرَيْتُ لَيْلًا بِرَجُلٍ غَشُومٍ قَوِيٍّ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرِ مَنْسُوبٍ إِلَى الثَّقَلِ وَالْكَسَلِ فِي الْأُمُورِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِذَا كَانَ الشَّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا لَيْلًا

(١) وَفِي التَّنْبِيهِ : فَأَنْتَ الْمَثَلُ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى ، لَمَّا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْحَالُ وَالصُّورَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا .

(٢) الضُّفَاءُ : صَوْتُ الدَّلِيلِ الْمَتَهَوَّرِ . م : « تَصْفَرُ » . وَانْظُرْ بَيْتَ جَرِيرٍ فِي ص ٦٦ .

(٣) اسْمُهُ عَامِرُ (أَوْ عَوِيمِرُ) بْنِ الْخَلِيسِ ، وَهُوَ مُخَضَّرٌ ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ فِي الصَّحَابَةِ .

الشُّعْرَاءُ وَالشُّعْرَاءُ بِتَحْقِيقِ الشَّيْخِ أَحَدِ شَاكِرٍ ٦٥٢ وَالْإِسَابَةِ وَالْخَزَانَةِ (٣ : ٤٦٦ - ٤٧٣/٤ :

١٦٥ - ١٦٧) وَالْمَعْنَى (٣ : ٥٤ - ٥٧) وَالْأَكَلُ ٣٨٧ . قَالَ التَّبَرِيزِيُّ : « أَحَدُ

بَنِي سَعْدِ بْنِ هَذِيلٍ » .

(٤) قَصِيدَةُ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةُ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ٨٨ - ١٠٠) .

فَلَمْ قَالَ عَلَى الظَّلامِ ، وَلَمْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ وَ : ﴿ فَأَسْرَى بِعَبَادِي لَيْلًا ﴾ ؟ قُلْتُ : الْمُرَادُ تَوَسُّطُ اللَّيْلِ وَالْدُخُولُ فِي مَعْظَمِهِ ، تَقُولُ : جَاءَ فَلَانُ الْبَارِحَةِ لَيْلًا ، أَيْ فِي مَعْظَمِ ظُلُمَتِهِ وَتَمَكَّنَ ذَلِكَ الْوَقْتُ مِنْ لَيْلَتِهِ . وَالْجُلْدُ : الضَّلْبُ الْقَوِيُّ ؛ وَمِنْهُ الْجُلْدُ مِنَ الْأَرْضِ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَغْشَمٌ » لِأَنَّهُ جَعَلَهُ كَالْآلَةِ فِي الْغَشْمِ ، وَمِفْعَلٌ بِنَاءٌ لِهَذَا الْمَعْنَى ، وَيُرِيدُ بِهِ تَأْبِطُ شَرًّا . وَكَانَ لِأَبِي كَبِيرٍ مَعَهُ قِصَّةٌ مَعْرُوفَةٌ ^(١) ، وَالْآيَاتُ مَقْصُورَةٌ عَلَيْهَا ، وَنَاطِقَةٌ بِهَا أَوْ بِأَكْثَرِهَا . وَالْغَشْمُ وَالْإِعْتِسَافُ يَتَقَارَبَانِ . وَيُقَالُ غَشِمَ الْوَالِي رَعِيَّتَهُ غَشْمًا . وَفِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ : « أَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ غَشُومٍ » . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى « غَيْرِ مُثْقَلٍ » أَيْ كَانَ حَسَنَ الْقَبُولِ ، مُحِبًّا إِلَى الْقُلُوبِ .

٢ - مَعْنَى حَمَلَنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهْبِلٍ

قَوْلُهُ : وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ « حِكَايَةُ الْحَالِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . وَيُرْوَى : « مِمَّا حَمَلَنَ بِهِ » أَيْ هُوَ مِنَ الْحَمْلِ الَّذِي حَمَلَنَ بِهِ . وَالضَّمِيرُ فِي حَمَلَنَ لِلنِّسَاءِ وَلَمْ يَجَزَّ لَهُنَّ ذِكْرُهُ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْمُرَادُ مَفْهُومًا جَازَ إِضْمَارُهَا . وَيُرْوَى : « يَمْنَنَ حَمَلَنَ بِهِ » ، وَلِلْمَعْنَى : هَذَا الْفَتْحُ مِنَ الْفَتَيَانِ الَّذِينَ حَمَلَتْ أُمَمَاتُهُمْ بِهِمْ وَهُنَّ غَيْرُ مُسْتَعِدَّاتٍ لِلْفِرَاشِ وَلَا وَاضِعَاتٍ ثِيَابَ الْحِفْلَةِ ^(٢) فَنَشَأَ مُحْمُودًا مَرْضِيًّا ، لَمْ يُدْعَ عَلَيْهِ بِالْهَبْلِ

(١) كَانَ أَبُو كَبِيرٍ قَدْ تَزَوَّجَ أُمَ تَابِطُ شَرًّا ، وَكَانَ تَابِطُ شَرًّا يَبْدَى الْكَرَاهَةَ لِأَبِي كَبِيرٍ وَيُرْتَابُ بِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَلَمَّا كَبُرَتْهُ عَرَّعَ خَشْيَ أَبُو كَبِيرٍ بِأَسِهِ فَاحْتَالَ لِيَقْتُلَهُ وَخَرَجَ بِهِ فِي غَزْوَةٍ وَدَفَعَ بِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَعْدَاءِ وَلَكِنَّهُ تَمَكَّنَ مِنَ الْفَتْكِ بِهِمْ ، ثُمَّ حَاوَلَ أَبُو كَبِيرٍ أَنْ يَفْتَالَهُ فِي نَهْمِهِ فَكَانَ يُحْتَبَرُهُ بِأَنْ يَرْمِيَ بِحَصَاةٍ إِلَيْهِ فَيَهَبُ مِنْ نَوْمِهِ سَرِيعًا ، فَعَلَّ ذَلِكَ مَرَارًا إِلَى أَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ اغْتِرَارُهُ فِي نَوْمِهِ ، وَكَفَّ عَنْ عَزْمِهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ . انْتَهَى مَلْخَصًا مِنَ التَّبَرُّيزِ .

(٢) الْحِفْلَةُ : الْإِحْتِفَالُ وَالْجِدُّ ، يَقَالُ رَجُلٌ ذُو حِفْلَةٍ إِذَا كَانَ مَبَالُغًا فِيمَا أَخَذَ فِيهِ ، وَأَخَذَ لِلْأَمْرِ حِفْلَتَهُ إِذَا جَدَّ فِيهِ . يَقُولُ : غَيْرُ مُتَبَدِّلَاتٍ مُلْقِيَاتٍ ثِيَابَهُنَّ .

وَالشَّكْلُ^(١) . وَإِنَّمَا قِيلَ : يَمْنَحُ حَمْلَنَ بِهِ ، لِأَنَّهُ رَدَّ الضَّمِيرَ عَلَى لَفْظِ مَنْ ، وَلَوْ رَدَّ عَلَى الْمَعْنَى لَقَالَ بِهِمْ . وَفِي الْقُرْآنِ فِي مَوْضِعٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ، وَفِي آخَرٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ . وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُنَجِّبَ الْمَرْأَةَ فَأَغْضِبْهَا عِنْدَ الْجَمَاعِ . وَأَنْشُدَ :

تَسَنَّمْتُهَا غَضَبِي فَجَاءَ مُسَهَّدًا وَأَنْفَعُ أَوْلَادِ الرِّجَالِ الْمُسَهَّدُ

وَكَذَلِكَ يُقَالُ فِي وَلَدِ الْمَذْعُورَةِ : إِنَّهُ لَا يُطَاق . وَالْحُبُّكَ : الطَّرَاقُ . وَالنُّطَاقُ : مَا تُشَدُّ^(٢) الْمَرْأَةُ فِي حَقْوِهَا . وَالرَّوَايَةُ : « حُبُّكَ الثِّيَابِ » ، لِأَنَّ النُّطَاقَ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدُ فِي صِفَةِ أُمِّ الْغَشَمِ فَتَكَرَّرَ ، وَلِأَنَّ النُّطَاقَ لَا يَكُونُ لَهُ حُبُّكَ وَطَرَاقُ . وَوَاحِدُ الْحُبِّكَ حَبِيكُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ . وَقَالَ الْبَاهِلِيُّ : الْحُبْكَةُ وَالْحَبَاكُ : الْإِزَارُ أَيْضًا . وَقَدْ احْتَبَكْتَ الْمَرْأَةَ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُهْبِلَ : الْمَعْتَوَى الَّذِي لَا يَتِمَّاسُكَ^(٣) فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ مِنَ الْإِسْرَاعِ ، يُقَالُ جَمَلٌ هَبِلٌ^(٤) .

٣ - وَمَبْرَأٌ مِنْ كُلِّ غُبْرٍ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضَةٍ وَدَاءٍ مُفْصِلٍ^(٥)

غُبْرُ الْخَيْضِ وَغُبْرُهُ : بَاقِيهِ قَبْلَ الطُّهْرِ . وَكَذَلِكَ غُبْرُ اللَّبَنِ : بَاقِيهِ فِي الضَّرْعِ . وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِامْرَأَةٍ^(٦) مُسِنَّةٍ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : « لَعَلِّي أَتَغَيَّرُ مِنْهَا وَلَدٌ » . وَالْحَيْضَةُ وَالْخَيْضُ وَاحِدٌ . وَالْغُبْرُ يَكُونُ جَمْعَ غَابِرٍ أَيْضًا . وَلَمْ يَرْضَ بِلَفْظِ التَّبَرُّثَةِ حَتَّى أَتَى بِلَفْظِ الْكَلِّ مَعَهُ تَأْكِيدًا ، كَأَنَّهُ نَقِيَ قَلِيلَ ذَلِكَ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي م . وَضَبَطَ فِي الْأَصْلِ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ لَفْتَانُ .

(٢) م : « مَا تُشَدُّ » . (٣) م : « يَتِمَّاسُكَ » .

(٤) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلَيْنِ . وَيُقَالُ أَيْضًا : هَبِلَ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ .

(٥) حَيْضَةٌ ، بِكَسْرِ الْهَاءِ فِي النُّسَخَتَيْنِ فِي مَتْنِ الْبَيْتِ وَشَرْحِهِ ، وَفِي اللَّسَانِ أَنَّهُ الْإِمَامُ

مِنَ الْخَيْضِ ، وَأَمَّا الْحَيْضَةُ بِالْفَتْحِ فَاسْمُ الْمَرْأَةِ .

(٦) م : « امْرَأَةٌ » .

وكثيره . وأضاف الفساد إلى الرُضعة لأنه أراد الفساد الذي يكون من قبلها .
 وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة . ويروى « مبرأ » بالنصب والجر ،
 فإذا نصبته فإنه ينعطف على « غير مُهَبَّل » ، كأنه قال : شَبَّ في هاتين الحالتين .
 وإذا جرَّتهُ ينعطف على قوله « جَلَدٍ من الفتيان » كأنه بمفشم جَلَدٍ ومبرأ .
 والمعنى أن الأم حملت به وهي طاهرٌ ليس بها بَقِيَّةٌ حَيْضٍ ، ووضعتَه ولا داءَ به
 استصحبه من بطنها فلا يقبلُ علاجاً ، لأنَّ داءَ البطن لا يفارق . ولم تُرَضِّعهُ
 أمُّهُ غَيْلاً ، وهي أن تسيقه وهي حُبْلَى بعد ذلك . ويروى عن أمٍّ تَأَبَّطَ شَرًّا
 قالت : « ما وضعتُه يَدُنَّا ، ولا أرضعته غَيْلاً ، ولا أبتُّهُ مِثْقًا ، ولا رأيتُ
 بنفسى دَمًا . ولقد حَمَلْتُ به في لَيْلَةٍ مظلمة ونحتَ رأسي سَرَجٌ ، وعلى أبيه
 دِرْعٌ » . وإنما تريد بهذا الكلام الآخر ^(١) ما تقول العربُ من أن المرأة إذا
 أَكْرَهَتْ على الوطء ، أو وَضَتْ وهي مذعورة ، أنجبت وأذْكَرَتْ . الداء
 المَعْضِلُ : الذي لا دواءَ له كأنه أعضل الأطباء وأعيامهم ، وأصل العَضْلُ الملع ،
 ومنه عَضَلَتِ المرأة إذا نَشَبَ ولدها في بطنها فلم يخرج . وعَضَلَتْها : منعتهَا
 التزويج ظلماً .

ع - حَمَلْتُ به في لَيْلَةٍ مَزُودَةٍ كَرَهَا وَعَقَدُ نِطَاقَهَا لم يُحْلَلْ

الرَّأْدُ ^(٢) : الذَّعر ، وقد زُيِّدَ فهو مَزُودٌ . والمعنى حملت الأمُّ بهذا المَفْشَم . ويروى
 « مَزُودَةٌ » بالنصب على الحال للمرأة ؛ ويروى « مَزُودَةٌ » بالجر ، ويجوز فيه
 وجهان : أحدهما أن تجعله صفةً لِلَّيْلَةِ ، كأنه لما وقع الزُّوْدُ والذَّعر فيها جعلهُ
 لها ، والأكثر في الحجاز والأتساع أن يُنسب الفعل إلى الوقت فيؤنَى به على أنه
 مَطْعَل ، كما قيل : نهاره صائمٌ ، وليله قائمٌ . وحسن هذا لأنَّ الظَّرْفَ قد يقدرُ

(١) م : « الأخير » .

(٢) يقال زَادَ بالفتح والتحرّك ، وزُوْدَ بالضم ، وزُوْدَ كسور .

تقدير المفعول الصحيح ، بأن يُنزع منه مَعْنَى في ، كما قال الشاعر :

* وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا ^(١) *

فعلى ذلك تقول شَهِدْتَ اللَّيْلَةَ ، وَزِدْتَ اللَّيْلَةَ ، وليلة مشهودة ومنهودة .
ويجوز أن يكون انجراره على الجوار ، وهو في الحقيقة للمرأة ، كما قيل : هذا
جَحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ . وهذا لما بهم إلى الحمل على الأقرب ، ولأمنهم الالتباس .
وانتصاب « كَرَهَا » على أنه مَصْدَرٌ في موضع الحال ، والتقدير كارهةً . ومعنى
البيت بما تقدم ظاهر . وقوله : « عَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلْ » ، ابتداء وخبر ،
والواو للحال . وأظهر التضعيف في قوله لَمْ يُحْلَلْ ، وهو لغة تميم ، ووجه
الكلام لَمْ يُحْلَلْ . والنطاق : ما تَنَطَّقَ به المرأة : تشدُّ به وسطها للعمل .
قال الأصمعي : كن في القديم ينتطقن بخيطٍ أو تِسْكَةٍ . وذات النطاقين :
أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه . والنِطَاقَةُ أُخِذَتْ من هذا . والمعنى أُكْرِهَتْ
ولم تحلَّ نِطَاقِهَا . وحكى عنها في وصف ابنها قالت فيه : « إِيَّاهُ والله شيطان ،
ما رأيته قطُّ مستثقالاً ولا ضَحِكاً ولا همَّ بشيء منذُ كان صبياً إلا فعلة ، ولقد
حَمَلْتُ به في ليلة ظلماء وإن نطاقاً لشدود ^(٢) » .

٥ - فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجَلِ

حُوشُ الْفُؤَادِ وَحُوشِي الْفُؤَادِ : وَحْشِيَّتُهُ ، لَحْدَتُهُ وَتَوَقُّدُهُ . وَرَجُلٌ حُوشِيٌّ :
لَا يُخَالِطُ النَّاسَ . وَلَيْلٌ حُوشِيٌّ : مُظْلِمٌ هَائِلٌ ، وَكَذَلِكَ لَيْلٌ حُوشٌ وَحُوشِيَّةٌ
أَي وَحْشِيَّةٌ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : لَيْلٌ سُخَامٌ وَسُخَايِيٌّ : أَسْوَدٌ . وَقِيلَ : الْحُوشُ :

(١) كلمة « سليمان » ليست في م . والبيت بتمامه كما في سيبويه (١ : ٩٠) والكمال
٢١ ليسك :

ويوم شهدناه سليمان وعامراً . قليل سوى الطعن النبال نوافله
ورواية المبرد وابن جني : « ويوما » .

(٢) كذا في م والتبريز . وفي الأصل : « مشدود » .

بلاد الجن . مبطنًا : خيصر البطن^(١) . وقوله « نامَ ليلُ الهوجلِ » ، جعل الفعل لليل ، لوقوعه فيه . والمعنى نام الهوجلُ في ليله . والهوجلُ : الثقل الكسلان ذو الفلة . يقول : أنت الأمُّ بهذا الولد متيقظًا حذرًا ، حديد الفؤاد ذكيًا ، يسهرُ إذا نامَ الثَّقل البليد . والشَّهاد والسَّهَد^(٢) : السَّهر . ورَجُلٌ سُهْدٌ ومُسَهَّدٌ . ويقولون للملذوغ : سَهَّدُوهُ لا يَسْرِ فيه السَّم . وقيل الهوجلُ : الأحق لا مُسَكَّةَ به . قالوا : وبه سُمِّيَ الفلاةُ لأعلامَ بها ولا يُهْتَدَى فيها : الهوجلُ .

٦- وإذا نَبَذَتْ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ فَرِغًا لَوْقَعِهَا طُمُورَ الْأَخِيلِ^(٣)

يقال : نَبَذْتُ الشَّيْءَ مِنْ يَدِي ، إِذَا طَرَحْتُهُ ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقِيلَ صَبِيٌّ مَبْذُودٌ ، وَنَابَذْتُ فَلَانًا ، إِذَا فَارَقْتَهُ عَنْ قَلِي . والحصى : صغار الحجارة^(٤) . والشاعر إنما يحكى ما رآه منه ؛ وذلك أن أبا كبير ذكر أنه كان أراد أن يفتاله ، وكان يطلبُ منه فرصةً ينتهزها في نومه أو غفلته مع أنه كان لا يجترئ عليه ، فكان يروى أحواله ليتمكن من مراده فيه . والمعنى إذا رميته بحصاة وهو نائمٌ وجدته ينتبه انتباهَ مَنْ سَمِعَ بوقعتها هذَّةً عظيمةً ، فيطمُرُ طُمُورَ الْأَخِيلِ ، وهو الشَّقْرَاق . وانتصاب « طُمُورَ » بما دلَّ عليه قوله « فَرِغًا لَوْقَعِهَا » ، كأنه [رأيتُه^(٥)] يَطْمُرُ طُمُورَهُ ؛ لِأَنَّ الْخَائِفَ الْمُتَيَقِّظَ يَفْعَلُ ذَلِكَ . وَالطُّمُورُ : الْوُثْبُ ؛ وَمِنْهُ قِيلَ فَرَسٌ طِمِرٌ ، أَيْ وَثَابٌ . وَذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَنَّ الْعَبَّاسَ فِي وَصْفِ الْفَرَسِ

(١) ابن جني : « قوله مبطنًا من ألفاظ السلب لا الإثبات . وأصل هذه الأحرف وهي بطن أن تجي . لإثبات البطن ، كالبطن والبطين والمبطان ونحو ذلك . ومبطن هنا أي خيصر للبطن ، فهو من سلب ذلك المعنى لا إثباته » .

(٢) ويقال سهد بالضم ، وسهاد كذلك .

(٣) رواه التبريزي : « يمزو لوقعها » ، ثم نبه في الشرح على رواية : « فزعها لوقعها » .

(٤) م : « ضعاف الحجارة » . (٥) هذه من م .

هو المُشْرِف، ومنه قيل الموضع العالي : طَمَار . وفزِعًا انتصابه على الحال ، وجواب إذا قوله رأيتُهُ . وقال بعضهم : الأَخِيل : الشاهين . ومنه قيل تَخَيَّلَ الرَّجُلُ ، إذا جَبَنَ عند القتال فلم يَتَثَبَّت . والتَّخَيَّلُ : المَضِيُّ والسرعة والتلَوْن .

٧ - وإذا يَهَبُ من المَنَامِ رأيتُهُ كَرُتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمْلٍ أصلُ هَبَّ تَحَرَّكَ واضطرب ، ثم قيل هَبَّ من تَوَمَّيه هَبًّا^(١) ، وهَبَّتِ الرِّيحُ هُبُوبًا ، وهَبَّتِ النَّافَةُ في سِيرها هَبَابًا ، وهَبَّ التَّيْسُ هَبِيًّا . وأهْبَيْتُ السِّيفَ : هَزَزْتُهُ . يقول : إذا اسْتَيْقَظَ هذا الرَّجُلُ من منامه انتصب في مضجعه سريعًا كالنَّصابِ كَعْبِ السَّاقِ في السَّاقِ ، وهو ليس بضعيف . وإِنَّمَا يعني شَهَامَتَهُ وتَشَوُّرَهُ في تلك الحالة . وكَعْبُ السَّاقِ مُنْتَصِبٌ أَبَدًا في موضعه ، فلذلك شَبَّهَهُ به . والرَّائِبُ : القَائِمُ ، ومنه المراتب . وتحقيق الكلام : وإذا يَهَبُ رأيت رُتُوبَهُ كَرُتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ ، لكنَّه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وهذا التَّشْبِيه يجرى مجرى التصوير . والزَّمْلُ والزَّمَالُ والزَّمِيلَةُ ، كلُّه الضَّعِيفُ ، واشتقاقه من التَّلْفُفِ كَأَنَّهُ متساقِطٌ لَا مُتَشَمَّرٌ مُتَجَرِّدٌ .

٨ - ما إِنْ يَمْسُ الْأَرْضُ إِلَّا جَانِبٌ مِنْهُ وَحَرَفُ السَّاقِ طَى الْمِحْمَلِ

إِنْ ، زيد لتوكيد النفي ، ويبطل عمل « ما » بانضمامه إليه في لغة من يُعْمَلُهُ . وانتصب طَى على المصدر مما دَلَّ عليه ما قبله ، لأنَّه لما قال ، ما يمسُّ الأرضُ مِنْهُ إذا نامَ إِلَّا جَانِبُهُ وَحَرَفُ السَّاقِ ، عَلِمَ مِنْهُ أَنَّ الرَّجُلَ مَطْوًى غَيْرَ سَمِينٍ ، وَهَضِيمٍ الكَشْحِ غير ثَقِيلٍ . والمعنى أَنَّهُ إذا نامَ لَا يَتَبَسَّطُ^(٢) على الأرضِ وَلَا يَتِمَكَّنُ مِنْهَا بِأَعْضَائِهِ كُلِّهَا ، ففعل من يُرْخِيهِ نَوْمُهُ وَيَتِمَكَّنُ مِنْهُ ، حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَجَمَّعُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م .

(٢) م : « يَتَبَسَّطُ » .

ويتشتر عند الانتباه إلا بعد مزاولته وتهيئته يُعْمَلُهُ في كلِّ عضو . وهذا من أبيات كتاب سيبويه^(١) . واحتجَّ به بقوله « طَيَّ الحَمَلِ » . وأراد بالحمل حامل السيف ، وهذا كما يُقال : هو كالجديل ، وكالزمام . والمحمل والحالة بمعنى .

٩ - وإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفَجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي غَوَارِبَهَا هَوِيَّ الْأَجْدَلِ

قال الخليل : الفَجَّجُ : الطريق الواسع في قَبَلِ^(٢) جَبَلٍ وَنَحْوِهِ ، والجمعُ الفَجَاجُ . وغَارِبُ كُلِّ شَيْءٍ : أعلاه ، ومنه غَارِبُ البعير . والشَّاعِرُ يَحْكِي في هذا أيضاً عنه ما رآه منه عند استصحابه له ، فيقول : إذا وَجَّهْتَهُ في طُرُقِ الجبلِ^(٣) رَأَيْتَهُ يَقْصِدُ عَالِيَهَا قَصْدَ الصَّقْرِ . والهَوِيَّ بضم الهاء ، هو القَصْدُ إلى أَعْلَى ، وبفتح الهاء القَصْدُ إلى أَسْفَل . على ذلك قوله :

* هَوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهُ الرَّشَاءُ^(٤) *

ولا تَخْتَرُ في رواية البيت على الضَّمِّ . وأنشد فيه قوله^(٥) :

كَأَنَّ هَوِيَّهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَغْلَامٍ طَوَالِ^(٦)

ويروى : « مَخَارِمَهَا » . والمَخَارِمُ : جمع المَخْرِمِ ؛ وهو منقطع أنفِ الجبل . والمَخْرَمُ : أنفِ الجبل ، وجمعه خُرُومٌ . ومن فصيح كلامهم : « هذه يَمِينٌ طَلَعَتْ » .

(١) كتاب سيبويه (١ : ١٨٠) .

(٢) ضبط في الأصل واللسان بضمين ، وليس بشيء . وقد ضبط في م بالتحريك . والقبيل ، بالتحريك : سفح الجبل . وفي اللسان : « يقال أنزل بقبل هذا الجبل ، أى بسفحه » .

(٣) م : « الجبال » .

(٤) الدلو ، تذكر وتؤنث . ويروى : « أسلمها » . والبيت لزهير في ديوانه

٦٧٠ . وصدره :

* فشج بها الأمايز وهى تهوى *

(٥) هذا ما في م . وفي الأصل : « وأنشد قوله فيه » .

(٦) للأعلم الهذلي . اللسان (خرق) .

في المحارمِ » ، وهي التي تجعل لصاحبها منها مخرجا . والأجدلُ ، من جدل الخلقِ .

١٠- وإذا نظرتَ إلى أسيرة وجهه بَرَقَتْ كَبَرَقِ المَارِضِ المُنْهَلِكِ

الخطوط التي في الجبهة الأغلب عليها سِرَارٌ ويجمع على الأسيرة ، والتي في الكف الأغلب عليها سِرَرٌ وَسِرٌّ ويجمع على الأسرار . قال :

أنظر إلى كَفِّ وأسرارها هَلْ أَنْتَ إِنْ أَوْعَدْتَنِي ضَائِرِي^(١)

وقد قيل : الأسيرة : الطرائق . يقول : إذا نظرتَ في وجه هذا الرجل رأيتَ أساريرَ وجهه تَبْرُقُ وتُشْرِقُ إشراقَ السَّحَابِ المُنَشَّقِ بالبَرْقِ . يصفه بحُسْنِ البَشَرِ وتَطَلُّقِ الوجهِ في^(٢) كلِّ حال . والعارضُ : ما يعرض في جانبٍ من السماء من السَّحَابِ . وعلى ذلك العارضُ في الأسنان ، ولهذا قيل العارضان لما يبدو من جانبيها . ويقال : تهلَّلَ الرجلُ فَرَحًا ، واهتَلَّ ، إذا افترَّ عن أسنانه في التبسم .

١٣

قال آخر ، ويقال إنها لتأبط شرا^(٣) :

١- إني لهُدٍ من ثنائِي فَقَاصِدٌ به لابنِ عَمِّ الصَّدَقِ شمس بن مالك^(٤)

لا يُقال في الهدية إلا أهديتُ . ويُقال في العروس : هَدَيْتُهَا وَأَهْدَيْتُهَا

(١) البيت للأعشى في ديوانه ١٠٧ واللسان (سرور) . وعجزه لم يرو في م . وهو في الأصل : « ضائر » بالروى المرفوع ، وهو خطأ .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية شرح هذا البيت ساقط من م .

(٣) عند التبريزي : « وقال تأبط شرا » . وقد سبقت ترجمة تأبط شرا في المقطوعة

١١ . وعبارة الإنشاد هذه وما بعدها من البيتين الأولين وشرحهما ساقط من م .

(٤) شمس ، بفتح الشين هي الرواية التي اعتمدها المزي . وسيأتي تنبيهه على رواية

جميعاً . والأصل واحد ، لأنَّ المعنى على القصد والدلالة ، فيقول : إني أمدح ابن عمي الكريم الصادق في الودِّ شمس بن مالك ، بما أقصده به راغباً ، وأنفذه إليه مُتَحِقّاً . وللمعنى : إني في غيبتى منه وحضورى له ، مولعٌ بالثناء عليه ، فلا أخليه من المدح في الحالتين جميعاً . واللام في قوله : « لابن عم الصدق » يجوز أن يتعلق بمُهدٍ ، يقال : أهديتُ له كذا ، وعلى هذا تكون أَعْمَلَتِ الفِعْلَ الأوَّلَ ، وما أهداه يكون محذوفاً لِعِلْمِ السامع بأنه يُريدُ شِعْرَهُ وتقريضَهُ . وكان الأجودُ أن يقال فقاصدُ إِيَّاهُ به ، ويجوز أن يكون على قولٍ من يزيد « مِنْ » في الواجب ^(١) أن يكون قوله ثنائى مفعول مُهدٍ ، فيكون أهداه مذكوراً . ويجوز أن يتعلق اللام بقوله فقاصدُ ، يقال قَصَدْتُهُ بكذا وقَصَدْتُ له به . وعلى هذا تكون قد أَعْمَلَتِ الفِعْلَ الثانى ، وهو المختار إذا جَمَعْتَ بين فعلين عند أصحابنا البصريين ، ويُقال هذا ثوبُ صِدْقٍ وأخو صِدْقٍ ، وُضِعَ الصَّدْقُ موضعَ الفضلِ والصَّلاحِ . والتَّسمِيةُ بالشمس كالتسمية بالبذرِ والهلالِ . وذكر بعضُ المتأخرين ^(٢) أنه يروى « شمس بن مالك » بضمِّ الشين ، قال : ويكون هذا في أنه عَلِمَ لهذا الرجل فقط ، كَحَجَرَ في أنه عَلِمَ أبى أوس الشاعر ، وأبى سلمى في أنه عَلِمَ أبى زهير الشاعر . والأعلام لا مضايقة فيها .

(١) الأكثر في « من » أن تكون زيادتها بعد الننى ، كما في قوله تعالى : « ما جانا من بشير » . وفي التنبيه لابن جنى : « وسيبويه لا يرى زيادة من في الواجب وأبو الحسن يراه ربحكى عن العرب في تصحيحه قولها : قد كان من مطر ، وقد كان من حديث فخل غنى ، أى كان مطر وكان حديث » .

(٢) يبنى بذلك ابن جنى . ونفسه في التنبيه : « ومن رواه شمس بضم الشين فيحتمل أن يكون جمع شمس بمعنى به ، منه قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدرُوا

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام نحو معديكرب ... وغير ذلك مما غير عن حاتم نفاثاره لأجل الظلمة الحادثة فيه . وليس في كلام العرب شمس علماء إلا هذا الموضع ، هو لا في كلامهم حجر علماء إلا أبو أوس الشاعر ، ولا في كلامهم سلمى بضم السين إلا أبو زهير طهين أبى سلمى .

٢ - أَهْزُبُهُ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفُهُ كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ

عِطْفُ كُلِّ شَيْءٍ : جَانِبُهُ . وَيُقَالُ ثَنَى عِطْفُهُ ، إِذَا أَعْرَضَ وَجْهًا . وَكَانَ الْقَوْمُ وَالرِّدَاءُ مُنْمِيًا عِطْفًا لَاشْتِمَالِهَا عِنْدَ التَّوَشُّعِ بِهِمَا عَلَى الْعِطْفِ . يَقُولُ : أَحْرَكَ بِالنَّثَاءِ جَانِبَهُ كَمَا حَرَّكَ جَانِبِي بِمِطْيَتِهِ ، أَيْ أَسْرَعَهُ بِذَلِكَ حَتَّى يَرْتَاحَ وَيَطْرِبَ كَمَا سَرَّعَنِي حَتَّى اهْتَزَزْتُ . وَالْهَجَانُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ الْكَرَامُ . وَالْأَوَارِكُ : الَّتِي رَعَتِ الْأَرَاكُ ، يُقَالُ أَرَكْتَ الْإِبِلَ فَهِيَ أَرَكَةٌ . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : الْأَوَارِكُ الَّتِي تَرْعَى الْأَرَاكُ^(١) ، وَهُوَ نَبْتُ . وَالنَّدْوَةُ أَصْلُهُ الْجَمْعُ ، وَيُقَالُ نَدَّاهُمُ النَّادَى ، أَيْ جَمَعَهُمْ . وَانْتَدَى الْقَوْمُ وَتَنَادَوْا ، إِذَا تَجَمَّعُوا . وَمِنْهُ دَارُ النَّدْوَةِ . وَالنَّدَى : الْجُلُوسُ ، وَالْجَمْعُ أَنْدِيَّةٌ . وَيَقَعُ لَفْظُ هَجَانٍ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، يُقَالُ نَاقَةٌ هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَانٌ ، وَمِثْلُهُ دِرْعٌ دِلَاصٌ ، وَدِرْعٌ دِلَاصٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِعَالًا وَفَعِيلًا يَتَشَارَكُنْ كَثِيرًا ، وَكَمَا جُمِعَ فَعِيلٌ فِعَالًا كَذَلِكَ جُمِعَ فِعَالٌ فِعَالًا . أَلَا تَرَى أَنَّ الْعِدَدَ وَالْوِزْنَ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَحَرْفُ الْمَدِّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ بِإِزَاءِ مَا فِي الْآخِرِ ؟ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ مُحْمَلٌ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ فِعَالًا إِذَا كَانَ جَمْعًا يُنَوَى بِحَرَكَاتِهِ وَأَلْفِهِ أَنَّهَا حَرَكَاتُ بَنَائِهِ . وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ ، كَأَنَّ الْكُسْرَةَ فِي أَوَّلِ الْكُسْرَةِ الَّتِي فِي أَوَّلِ ظُرَافِهِ وَكَرَامِهِ ، لَا الْكُسْرَةَ الَّتِي فِي أَوَّلِ حِجَارٍ وَإِزَارٍ ، وَكَذَلِكَ أَلْفُهُ فَاعَلَنَهُ .

٣ - قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُهْمِّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ

الْمُهْمُّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْمِّ الَّذِي هُوَ الْحَزَنُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُهْمِّ الَّذِي هُوَ الْقَضْدُ . يَقُولُ : هُوَ صَبُورٌ عَلَى النَّوَائِبِ وَالْعِلَاقَاتِ ، لَا يَكَادُ يَتَأَلَّمُ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ بِالْفَتْحِ ، وَضَبِطَ فِي الْقَامُوسِ بِالْكَسْرِ .

مما يَعْرِوهُ مِنَ الْمَهْمَاتِ . واستعمل لفظ القليل والقصدُ إلى نفي الكلِّ ، وهذا كما يقالُ فَلَانَّ قَلِيلُ الْأَكْثَرَاتِ بوعيدِ فَلَانَّ ، والمعنى لا يكثر . وعلى ذلك قولهم : قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا ، وأقلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا . والمعنى معنى النفي ، وليس يرادُّ به إثباتُ قليلٍ من كثير . فإن قيل : من أين ساءَ أن يُستعمل لفظُ القليلِ وهو للإثباتِ في النفي ؟ قلتُ ^(١) : إن القليل من الشيء في الأكثرِ يكون في حكم ما لا يُعتدُّ به ولا يُعْرَجُ عليه ، لدخوله بحِفْظِ قَدْرِهِ في مَلَكَتِ الْفَنَاءِ ، والدُّرُوسِ والأتْحَاءِ ، فلما كان كذلك استعمل لفظه في النفي على ما في ظاهرِهِ من الإثباتِ محترِزين من الرد ، ومُجْمِلين في القول ، وليكون كالتعريضِ الذي أثرُهُ أبلغُ وأنكى من التصريح . وقولُهُ : « كثيرُ الهوى » طابقَ القليلَ بقوله كثيرٌ ، من حيث اللفظ لا أنه أثبت بالأول شيئاً نَزَرًا فَقَابَلَهُ بكثير . والمعنى أنه كثيرُ الهَمِّ مختلفُ الوجه والطَّرْقِ ، لا يوقِفُ منه على مَدَى غَوْرِهِ في الأمور ، ولا يَقِفُ به أَمَلُهُ على فَنٍّ لا يتجاوزُهُ ^(٢) إلى القنون . ويريدُ بالهوى الجنسُ وكذلك النوى ، وهى وَجْهَتُهُ التى ينويها . ومثله قول الآخر :

..... باقٍ عَلَى الْحَدَثَانِ مُخْتَلِفُ الشُّؤْنِ ^(٣)

٤ - يَظَلُّ بِمَوْمَاتٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرِوْرِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ

الْمَوْمَاتُ : الْمَفَازَةُ ، ووزنه فَعْلَلَةٌ ، وجمعها مَوَامٍ . وإنما قال « يُمْسِي بِغَيْرِهَا » ولم يقل يبيت ، لأنَّ قصدهُ إلى أن يصفه بأنه يقطع في بياض نهاره مَفَازَةً ، ولو قال يبيت لم يتبين منه ذلك . فيقول : يقطع المفاوِزَ لا اكتساب المكارم ، فترأه

(١) كذا ضبط بفتح التاء في النسختين في أشباه هذا الموضع .

(٢) م : « فلا يتجاوز » .

(٣) صدره عن التبريزي : * شديد مجامع الكتفين باق * .

يكون نهاره بمفازة فإذا^(١) أنى عليه النساء تجده في أخرى فريداً وحيداً — ويقال: حلّ فلان جحيشاً، أى منفرداً — ويركب ظهور الممالك والمعاطب غير مستصحب رفيقاً، ولا مستجيع سلاحاً. وهذا كما يقال: أمروريتُ الفرس، إذا ركبته عربياً. وكانت طباعهم أن من كدّ نفسه وابتذلها، وتوحش في الممالك ولزمها، وتعرض للمعاطب ولم يتوقها، كان ذلك أذعى إلى ما ينوء به ويميزه عن رجال جنسه. وانتصب «جحيشاً» على الحال، وقولها بغيرها لا يجوز أن يكون مستقراً فاعلمه.

٥- ويسبق وفد الرّيح من حيث ينتحي بمنخرق من شدة المتدارك

قوله «من حيث ينتحي» يجوز أن يكون للمدوح، ويجوز أن يكون لوفد الرّيح، لأن المراد أنه يسبقه وإن أعطاه مهلة. ومعنى ينتحي: يقصد. والشاعر إنما يصف خفته وتشمره وجده وتيقظه، فيقول: من حيث اعتمد في السير جاء سابقاً للريح بقذوله واسع من عدوه. المتتابع. وجعل العدو منخرقاً^(٢) لا تساعه. والمتدارك. التلاحق. ويقال: أدرك فلان عدو من أصحابه، أى لحقهم وشاهد أيامهم. وأخذ أبو تمام هذا فزاد عليه وإن كان في لفظة ركافة، فقال:

فمرّ ولو يجارى الريح خيلت لديه الريح ترسّف في القيود^(٣)

٦- إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل له كالي من قلب شبحان فاتك^(٤)

الكرى: النوم الخفيف، وكأنه مأخوذ من كريت، إذا عدوت عدواً

(١) هذا ما في م. وفي الأصل: «فإن».

(٢) م: «متحركا»، والصواب ما في الأصل.

(٣) يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي. وقبله:

رأه الطالع مفتحاً عليه كما اقتحم الفناء على الخلود

(٤) رواه التبريزي: «إذا حاص»، وهى بمعنى خاط، ثم نبه على رواية «خاط».

شديداً . فقلوه : « خاط عينيه » يريد مرّ فيه ، وليس يريد التمكن منه حتى يجعل أجفانه كالمخيطه . ومنه قوله :

* حَتَّى تُخَيِّطَ بِالْبَيَاضِ قُرُونِي ^(١) *

وأضاف الكرى إلى النوم كما يُضاف البعض إلى الجنس ، كأن النوم لجنس الفعل ، والكرى لما كان على جهة مخصوصة . يقول : إذا نام النومة التي أشار إليها لم يركن له رقيبٌ وحافظٌ من قلب رجلٍ جادٍ في الأمور ، مفاجئٌ عريض ، وهذا الرجل هو هو . كأنه يريد إذا نام عينه لا ينام قلبه . والشَّيْحَانُ والشَّائِخُ والشَّيْخُ : الحذر الحازم . قال الهذلي :

* وشايحتَ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنْكَ شَيْخٌ ^(٢) *

والفاتكُ : الذي يفاجئ غيره بمكرهه أو قتل . وفي الحديث : « الإيمان قَيْدُ الْفَتَكِ » ^(٣) . وقال الثَّريدِي : هو الذي إذا همّ بالشيء ففعل .

٧ - وَيَجْعَلُ عَيْنِي رَيْدَةً قَلْبِي إِلَى سَلَةٍ مِنْ حَدٍّ أَخْلَقَ بِاتِّكَ ^(٤)

يُرْوَى :

إِذَا طَلَعْتُ أَوَّلِي الْعَدِيَّ فَنَفَرُهُ إِلَى سَلَةٍ ^(٥)

(١) ويروى : « تَخَيَّطَ » . والبيت لبدر بن عامر الهذلي ، في اللسان والمقاييس (خيطة) . وصدره :

* تالله لا أنسى منيحة واحد *

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ١١٦ واللسان والمقاييس (شيخ) . وصدره :

* بدرت إلى أولادهم فسبقتهم *

(٣) ويروى : « قيد الفتك » على المصدرية . وفي اللسان : « ومنه الحديث : أن رجلاً ألقى الزبير فقال له : ألا أقتل لك علياً ؟ فقال : فكيف تقتله ؟ فقال : أفتك به . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قيد الإيمان الفتك » ، لا يفتك مؤمن » .

(٤) رَوَاهُ التَّبَرِيزُ : « أَخْلَقَ صَائِكَ » ولم يفسر الصائِكَ ، وهو المتغير الربيع . ثم يروى رواية أخرى قال فيها « وهي أسلم الروايتين » . وهي كما رواها :

إِذَا طَلَعْتُ أَوَّلِي الْعَدِيَّ فَنَفَرُهُ إِلَى سَلَةٍ مِنْ صَارِمِ اللَّارِبِ بِاتِّكَ (٥) انظر الحاشية السابقة .

وهي أسلم الروایتين . والقديئ : الرجالة الذين يمدون قدّام الخيل . وهو اسم صيغ للجمع ، كالكلّيب والضّئين . وعلى الرواية الأولى يقول : لا يغفل قلبه عن التحفّظ ، وعينه ديدبانُهُ إلى سلّ سيفه . فإن قيل : كيف يكون العين ديدبان القلب ، وهذا يقول إذا نام بعينه لم ينمّ بقلبه ، أم كيف تصحّ هذه الرواية وفيها يتكرّر معنى واحد في مصراعى البيتين ، وهل الواجب في هذا إلا أن يقال إن القلب هو ديدبان العين ، لأن العين نائمة والقلب منتهية ؟ قلت : إنه وصف حالتين ، بالمتقدّم صفة حال النوم ، والثاني هو صفة حال اليقظة . والمعنى أن العين رقيب القلب ، والمتنظر لإظهار ما يكرهه وتغييره ، فإذا كره القلب شيئاً كان العين صاحبه الذي يُظهره ، فهو ربيبتته إلى نزع السيف وتجريده ، وإنكاره ما أنكره وتغييره . والأخلق : الأملس . والبانك : القاطع . وقوله « إلى سلة » يجوز أن يكون إلى بمعنى مع ، كما تقول هذا إلى ذاك ، أى مع ذاك ، ويجوز أن يكون المعنى أنها ربيبتته إلى أن يستلّ سيفه . وبعد ذلك فالعمل للقلب ، ويكون إلى للاتهاء . وقوله : « من حدّ أخلق » فيه توسّع ، لأن السيف يُستلّ من العمْد فيصير مسلولاً . ألا ترى قوله : إذا سلّ من جفن تأكل أثره على مثل مصحاة اللّجين تأكل^(١) وهذا جعل الجفن مسلولاً والسيف مسلولاً منه . ألا ترى قوله : « إلى سلة من حدّ أخلق » ، فهو في ذلك كقولهم : أدخلت الخفّ في رجلي ، والقلنسوة في رأسي .

٨ - إذا هزه في عظم قرن تهلّت نواجذ أفواه المنايا الضواحيك
مثله قول الآخر :

سقاء الردى سيف إذا سلّ أو مضت إليه تنايا الموت من كل مرقب

وإن كان هذا وصفَ السيفِ وقوَّةَ صاحبه في الضرب . والمعنى أنه متى حرَّكه في الضربة ضحك الموت علماً بظفره بالمضروب . وذِكرُ التهلُّلِ والناجذِ مثلُ وتصويرُ المراد . وقوله « المنايا الضواحك » . أى التى من شأنها أن تضحك عند اللظفر بملوحتها ، وإنما قال « فى عَظْمِ قَرْنٍ » إيداناً بأنه لا يتعرض له إلا من يقارنه بأساً وشدةً ، وكذلك هو لا يعمل هذا السيف إلا فى عَظْمٍ من يقارنه حَزْماً ونَجْدَةً . ونسبةُ التهلُّلِ إلى النواجذ مجاز وسعةٌ ، وهذا كما يقال سُرَّ فلانٌ بكذا حتى صار لكلِّ سِنٍّ له ضحكٌ . وقد مُمِّيتٌ ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك .

٩- يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسَ الْأَنْسَ وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

قوله : « يرى الوحشة الأنس » أى ذلك مذهبه . وهذا كما يقال هو يرى رأى أبى حنيفة ، أى يذهب مذهبه . فيقول : أنسُ هذا الرَّجُلُ التَّامُّ فى التفرُّدِ الذى يُعَدُّه غيره وحشةً . وإتباعه الأنسَ الأنيسَ تأكيدٌ وإظهارٌ للمبالغة . وهذا كما قيل : ظِلٌّ ظليلٌ ، وداهيةٌ دهيةٌ . وهم يبنون من لفظ الشيء ما يتبعونه به طريق التأكيد . وقوله : « يَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ » يَصِفُ علمه بالطَّرُقِ واستغناءه عن الدليل . وقد قيل فى « أُمِّ النُّجُومِ » إنه الشمسُ ، وقيل هو المجرَّةُ . والمعنى أنه يهتدى بحيث تهتدى الشمسُ . ويُسمَّى مُعْظَمُ الشَّيْءِ أُمَّهُ . والشمسُ أعظمُ الكواكب . ويسمَّى جامعُ الأشياءِ أُمَّها ، يُعْنَى (١) أنها تأوى إليه . والشَّوَابِكُ : المشبَّكة . وإذا جعلت أُمُّ النُّجُومِ المجرَّةُ فيجوز أن يكون المعنى أنه يهتدى بالكواكب التى تجمعها ، فجعل الفعل لها لاجتماعها فيها . ويجوز أن يكون المعنى أنه يستغنى عن الدليل كما تستغنى تلك .

١٤

قال بعض بني قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لبشامة بن جزء ^(١) النهشلي :
 ١ - إنا محيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقين
 يقول : إنا مسلمون عليك أيها المرأة فقابلينا بمثله ، وإن خدمت الكرام
 وسقيتهم فأجربنا نجراهم فإنا منهم . والأصل في التحية أن يقال حيّاك الله ،
 ثم استعمل في غيره من الدعاء عند اللقاء . وأما قوله :

ولكل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية ^(٢)

فالمراد به تحية الملوك خاصة ، وهو قولهم : أبنت اللعن ! وقيل في سقيت إن
 معناه : إن دعوت لأماثل الناس بالشقيا فادعي لنا أيضا . والأشهر في
 الدعاء أن يقال فيه سقيت فلانا فيثقل ، [والحجة في التخفيف قول أبي ذؤيب :
 سقيت به دارها إذ نأت وصدقت الخال فيه الأنوحا ^(٣)]

وعلى هذا يكون في الكلام إضمار ، كأنه قال : وإن سقيت بظهر الغيب
 الكرام بالدعاء عند ذكركم فافعل بنا مثله ، وقولي سقاكم الله . وقد فصل
 بعضهم بين سقيت وأسقيت بأن قال : أسقيته : جعلت له سقيا يفعل بها ما شاء ،
 وسقيته : أعطيته ماء لفيه . ومثله كسوته وأكسيتة ، لأن معنى كسوته

(١) كذا في النسختين . وعند التبريزي والمبرد ٦٥ والبغدادى (٣ : ٥١٥) :
 « حزن » . وكذلك عند ابن جني في المبهج . قال : « والحزن : الموضع الغليظ » . قال
 البغدادى : « والظاهر أنه إسلامي كما يظهر من شرح المبرد لأبياته » . أى لتنبهه على أنه
 أخذ بعض معانيه من شعراء إسلاميين . انظر الكامل ٦٥ - ٦٧ لبسك . ونسب ابن قتيبة
 للأبيات في الشعر والشعراء ٦٢٠ إلى نهشل بن حري ، وفي عيون الأخبار (١ : ١٩٠)
 إلى بشامة .

(٢) لزهير بن جناب الكلبي في اللسان (حيا) والمعمرين ٢٦ .

(٣) التكملة من م . والبيت لم يرو في قصيدة أبي ذؤيب التي على هذا الوزن والرو .
 انظر ديوانه ١٢٩ - ١٣٦ لكنه نسب إليه في اللسان (أنح) ، وفسر الخال فيه بأنه المتكبر .

أَلْبَسْتُهُ، وَأَكْسَيْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ كِسْوَةً^(١)، وبعضهم يجعلهما سواءً، ويحتج بيت لبيد :

سَقَى قَوْمِي بَنِي نَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ^(٢)
وإذا فُصِّلَ بينهما في البيت لم يختل به لفظاً ولا معنى، كما أنه إذا سُويَ
بينهما لم يختل معنى ولا لفظاً، فكانه لا حُجَّة فيه لواحدٍ من القولين. والقصد
في الدعاء بالسُّقْيَا إلى أن يُمدَّ الله المدعو له بما يزيد في نعمائه ونصاراته. ألا ترى
الآخر قال لما دعا على ما تَسَخَّطُهُ^(٣) :

إذا سَقَى اللهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَادِيَّةً فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارَ تَضْطَرِّمُ
فذكر ما يُحْرِقُ وَيَسْتَأْصِلُ.

٢- وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيٍّ وَمَكْرُمَةٍ يَوْمًا سَرَاةً كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا
جُلِّيٍّ قُومِي، أجراها مجرى الأسماء ويُرادُّ بها جليلة. كما يُرادُّ بأفْعَلٍ
فَاعِلٌ وفِعِيلٌ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، أى هَيِّنْ؛ وكما قال :
* فتلِكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ^(٤) *

أى بواحدٍ؛ وكقولك : الله أكبر، تريدُ كبير. يقول : إنَّ أَشَدَّتِ
بذكر خيار الناس بجليلة^(٥) نَابَتْ، أو مَكْرُمَةٍ عَرَضَتْ وَسَنَحَتْ، فأشيدى
بذكرنا أيضاً. وهذا الكلام ظاهره استعطافُ لها، والقصدُ به التوصلُ إلى بيانِ

(١) ضُبط في النسختين بكسر الكاف، ويقال كسوة أيضاً بالضم.

(٢) وكذا روايته في اللسان والتبريزي والديوان ١٢٧. قال الطوسي : « مجد ابنة

قيم بن غالب بن فهر بن مالك، وهى أم كلاب وكليب ابني ربيعة بن عامر بن صعصعة » .
وفي م فقط : « بنى بدر » .

(٣) م : « ما يسخطه » .

(٤) صدره كما في أمالي القائل (٣ : ٢١٨) :

* تمنى أناس أن أموت وإن أمت *

(٥) م : « لجليلة » .

شرفه واستحقاقه ما يستحقه الأفاضل الأشراف ، والأماثل الكرام . ولا سقى
 ثم ولا تحية ولا دعاء ولا معاناة . ألا ترى كيف اشتغل بمقصوده من الافتخار
 فيما يتلو هذا البيت . وهم كما يتوصلون بمبادئ كلامهم إلى أمثالها ، فتقل المؤونة ،
 اختلافها^(١) فإنهم قد يتوصلون بمبادئ كلامهم إلى أمثالها ، فتقل المؤونة ،
 وتخف الكلفة . ولهذا نظائر وأشباه تجيء فيما بعد . والسرّة في الناس ،
 والسرّة بالشين معجمة في المال والخيل . وفي حديث أم زرع^(٢) : « فَتَسْكُتُ
 بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، رَكِبَ شَرِيًّا ، وَأَخَذَ خَطِيًّا ، وَأَزَاحَ عَلَى نَعْمًا ثَرِيًّا » .
 والجلى بالألف واللام : تأنيث الأجل ، كما يقال الأكبر والكبرى ، وكما
 قيل السبع الطول جمع الطولى . ولا يُحذف الألف واللام منه حينئذ ، لأن
 أصله يكون أفعَل الذي يتم بمن . ويقال لكل ما علا شيئًا : جَلَّلهُ ،
 ومعه الجلالة .

٣- إنا بني نهشل لا ندعى لأبٍ عنه ولا هو بالأبناء يشرينا^(٣)

ندعى : نفعل من الدعوة . وقوله « عنه » تعلق به . ويقال ادعى فلان
 في بني هاشم ، إذا انتسب إليهم ؛ وادعى عنهم ، إذا عدل بنسبه عنهم . وهذا
 كما يقال : رَغِبْتُ في كَذَا ورَغِبْتُ عن كَذَا . وقوله : « لأب » أى من أجل
 أب ولما كان أب . وانتصاب « بنى » على إضمار فعل ، كأنه قال : أذكر بنى
 نهشل . وهذا على الاختصاص والمدح . وخبر إن « لا ندعى » . ولورفع فقال :
 بنو نهشل ، على أن يكون خبر إن لكان لا ندعى في موضع الحال . والفصل
 بين أن يكون اختصاصا وبين أن يكون خبرا صراحا : هو أنه لو جعله خبرا
 لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان لا يخلو فعله لذلك من

(١) في الأصل : « على اختلافهم » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) انظر حديث أم زرع في أوفى رواياته عند السيوطي في المزهري (٢ : ٥٣٢) .

(٣) التبريزي : « إن كان الشعر للقيس فالرواية : إنا بني مالك » .

خُولٍ فِيهِمْ ، أَوْ جَهْلٍ مِنَ الْمُخَاطَبِ بِشَأْنِهِمْ . فَإِذَا جُعِلَ اخْتِصَاصًا فَقَدْ أَمِنَ هُوَ
الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا . فَقَالَ مُفْتَخِرًا : إِنَّا نَذْكُرُ مَنْ لَا يَخْفَى شَأْنُهُ ، لَا نَفْعَلُ كَذَا
وَكَذَا . وَإِنَّمَا قُلْتُ خَبْرًا صُرَاحًا ، لِأَنَّ لَفْظَ الْخَبَرِ قَدْ يُسْتَعَارُ لِمَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ ،
لَكِنَّهُ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ بِقِرَائِنِهِ ؛ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي ^(١) *

وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنَّا لَا نَرْغَبُ عَنْ أَيْنَا فَتَنْتَسِبَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَهُوَ
لَا يَرْغَبُ عَنَّا فَيَتَبَنَّى غَيْرَنَا وَيُبَيِّعُنَا بِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ كُلُّ مَنْ بَصَاحِبِهِ ، عَلِمًا
بَأَنَّ الْاِخْتِيَارَ لَا يَعْدُوهُ لَوْ خَيْرٌ فَاخْتَارَ . وَيُقَالُ : شَرَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى بَيْعْتُهُ
وِاشْتَرَيْتُهُ جَمِيعًا ، وَمِنْهُ الشَّرْوَى ، وَهُوَ الْمِثْلُ .

٤- إِنْ تُبْتَدَرُ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا
يُقَالُ : بَادَرْتُهُ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا ^(٢) ، وَإِلَى مَكَانٍ كَذَا . قَالَ :

* فَبَادَرَهَا وَجَلَّتِ الْخَمْرُ *

وَكَذَلِكَ يُقَالُ : ابْتَدَرْنَا الْغَايَةَ إِلَى الْغَايَةِ . وَقَوْلُهُ : « لِمَكْرُمَةٍ » أَيْ
لَا كِتْسَابَ لِمَكْرُمَةٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ مُضِيفَةً لِلْغَايَةِ إِلَى الْمَكْرُمَةِ ، كَأَنَّهُ
يُرِيدُ تَسَابُقَهُمْ إِلَى أَقْصَاهَا . يَقُولُ : إِنْ تُسَبِّقْ نِهَايَةَ مُجْدٍ أَوْ غَايَةَ مَكْرُمَةٍ
تَرَى السَّابِقِينَ مِنَّا وَالتَّالِينَ أَيْضًا مِنَّا . وَإِنَّمَا قَالَ « الْمُصَلِّينَ » وَلَمْ يَقُلِ الْمُصَلِّياتِ
مَعَ السَّوَابِقِ ، لِأَنَّ قَصْدَهُ إِلَى الْآدَمِيِّينَ ، وَإِنْ كَانَ اسْتِعَارُهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْخَيْلِ .
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَخْرَجَ السَّابِقَ السَّابِقَ لَانْقِطَاعِهِ عَنِ الْمَوْصُوفِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ،

(١) الرَّجَزُ يَنْطِقُ بِنِسْبَتِهِ إِلَى قَائِلِهِ ، وَهُوَ أَبُو النَّجْمِ الْعَجَلِ .

(٢) وَكَذَا الثَّانِيَّةُ ، لَيْسَتْ فِي م .

وليباقته عن المجلى وهو اسم الأول منها^(١) إلى باب الأسماء جَمَعَهُ على السَّوَابِقِ «
كما يقال كاهلٌ وكواهلٌ، وغاربٌ وغواربٌ. والمصلَّى هو الذى يتلو السابق
فيكون رأسه عند صلاته. والصلَّوان : العظمان الثاتان من جانبي العَجَز. وقال
الذريدي : هو العظم الذى فيه مَغْرَزَ عَجَبِ الذَّنْب. وقال بعض أهل اللغة : هاء
عِرْقَانِ في موضع الرَّدْفِ.

٥ - لَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا افْتَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
نَبَّهَ بهذا الكلام على أن مَنْ يستحق السيادة فيهم يكثر ولا يقل، فتبي
دَرَجَ منهم رئيسٌ ترشَّحَ^(٢) لسدِّ مكانه واحدٌ. وهذا مثلُ قوله :
وإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(٣)

والافتلاء : الافتطام والأخذُ عن الأمر، ومنه القَلَوُ. والمعنى هنا الترشيح
والتهيئة والصرفُ عما عليه إلى الرِّياسة. و«أبدًا» في المستقبل بمنزلة قَطُّ في
الْمَضَى. والقصدُ أنهم كلُّ وقتٍ على ذلك، فلا يحتاجون إلى الاستعانة
بالأجانب دون الأقارب. والأبدُ : الدَّهر، وقيل سُمِّيَتِ الْوَحْشُ أَوَابِدَ لأنها
تُعَمَّرُ على الدَّهرِ، حتى لا تموتُ إلا بآفة. وأن يكون من التأبُدِ التَّوَحُّشُ
أَحْسَنُ، وإن أمكن رَدُّ الكلِّ إلى أصلٍ واحد.

٦ - إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نَسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِبِنَا^(٤)

(١) م : « منها » .

(٢) م : « رشح » .

(٣) البيت للقيط بن زرارَةَ كما في الحيوان (٣ : ٩٣) . ونسب إلى أبي الطمَّحان القيني .
في الكامل ٣٠ والوساطة ١٥٩ . وذكر التبريزي أن البيت أيضا نظير قول أوس بن حجر :إذا مَقرم منا ذرا حدنا به
تخط منا ناب آخر مَقرم

(٤) في الكامل ٦٧ أنه أخذه من قول الأجدع الهمداني :

« أَغْلِينَا » الألف للإطلاق ، والنون ضمير الأنفس ، ومعنى أَغْلِينَا وَجِدَتْ غَالِيَةً أَوْ جُعِلَتْ غَالِيَةً . وهو هكذا أَجْوَد ، وليس يُريد أنهم مع الغلاء يَمَكُون منها ، بل المرادُ قَطْعُ المَقْدَرَةِ عنها . ومثل هذا :

نُعَرِّضُ لِلسَّيْفِ بِكُلِّ نَعْرِ خُدُودًا لَا تُعَرِّضُ لِلسَّبَابِ^(١)

فيقول : نَبْتَذِلُ أَنْفُسَنَا فِي الْحُرُوبِ وَلَا نَصُونُهَا ، وَلَوْ عُرِضَ عَلَيْنَا إِذَائُهَا فِي غَيْرِهَا لَا مَتَنَعْنَا . وهذا لِحَرْصِهِمْ عَلَى تَخْلِيدِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ ، وَالْأَبَانَةِ عَنْ مَحَلِّ النَّفْسِ فِي الشَّجَاعَةِ . وَالرُّخْصُ فِي السَّعْرِ : مُهَوِّئُهُ وَلَيْئُهُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ فِيمَا أَظُنَّ امْرَأَةً رَخْصَةً ، إِذَا كَانَتْ نَاعِمَةً . وَقَوْلُهُ : « وَلَوْ نُسَامُ بِهَا » أَيْ نُحْمَلْ عَلَى أَنْ نَسُومَ بِهَا . وَيُقَالُ سَامَ بِسَلْعَتِهِ كَذَا وَكَذَا ، وَاسْتَامَ أَيْضًا ، وَأَعْلَى السَّوْمِ وَالسَّيْمَةِ . وَأَسْمَتُهُ أَنَا ، أَيْ حَمَلْتُهُ عَلَى أَنْ سَامَ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ : سُمْتُهُ خَسَفًا ، أَصْلُهُ مِنْ ذَاكَ وَإِنْ اسْتَعْمِلَ فِي الْمَكْرُوهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ . وَفِي الْبَيْتِ طِبَاقٌ بِذِكْرِ الْإِرْخَاصِ وَالْإِغْلَاءِ ، وَالرُّوْعِ وَالْأَمْنِ ، فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَهُوَ حَسَنٌ جَيِّدٌ .

٧ - بِيضٌ مُفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

يُروى : « بِيضٌ مُعَارِفُنَا » ، وَهِيَ الْوَجُوهُ . وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ نَقَاءُ الْعَرَضِ وَانْتِفَاءُ الذَّمِّ وَالْعَيْبِ . وَيُقَالُ : امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَعَارِفِ ، أَيْ الْوَجْهِ بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ . وَقِيلَ الْأَنْفُ وَمَا وَالَاهُ . وَقِيلَ : الْحُسْنُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْمَلَاَحَةُ فِي

لقد علمت نسوان همدان أننى
وأبذل في الهيجاء وجهى وإننى
ومن القتال الكلابى حيث يقول :

أنا ابن الأكرمين بنى قشير
نعرض للطلعان إذا التقينا
وأخوالى الكرام بنو كلاب
وجوها لا تعرض للسباب

(١) عند التبريزى : « إذا التقينا نفوسا » .

الأسنان . وواحد المعارفِ مَعْرِفٌ وَمَعْرِفٌ^(١) ، وكانَّ الوجهَ سُمِّيَ بها لأنَّ معرفةَ الأجسام وتمييزها تقع^(٢) بها . والأشهر والأحسن « بِيضٌ مفارقنا » . ويجوز أن يكون أراد ابيضَّت مفارقنا من كثرة ما تقاسى الشدائد . وهذا كما يقال أُمْرٌ يُشِيبُ الذَّوَابَّ . وفي القرآن : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ . و « تَغْلِي مَرَاجِلُنَا » أى حروبنا ، كقول الآخر^(٣) :

تَقُورُ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَندِيْمُهَا وَنَفْثُوْهَا عَنَّا إِذَا حَمِيْهَا غَلَا

ويجوز أن يكون المراد : ابيضَّت مفارقنا لانحسار الشعر عنها ، باعتبارنا لبس المغافر والبيض ، وإدماننا إتياءه ، ويكون هذا كما قال :

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِيْ فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهَجَّاجٍ^(٤)

وتكون المَراجِلُ على هذا كنايةً عن الحروب أيضا . ويجوز أن يكون المراد : ابيضَّت مفارقنا من كثرة استعمالنا للطَّيب ، ويكون كقول الآخر :

* جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرَقَةٌ^(٥) *

ويكون على هذا معنى « تَغْلِي مَرَاجِلُنَا » أى قدورنا للضيافة ، ويجوز أن يُرِيدَ : مَشِيبُنَا مَشِيبُ الْكِرَامِ ، لامشيب اللثام . وأنشد ابن الأعرابي في نوادره :

وَشِبْتُ مَشِيبَ الْعَبْدِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا وَشِيبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَفَارِقِ

وعلى هذا يُحْمَلُ الْمَرَاجِلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا قَدُورُ الضِّيَافَةِ . فأما قوله : « نَأْسُو

(١) ذكر في اللسان والقاموس « المعرف » مفتوح الراء فقط .

(٢) هذه الكلمة من م ، وفي أصلها « يقوم » وكتب تحتها « تقع صح » إشارة

إلى الصواب .

(٣) هو النابغة الجعدي ، كما في اللسان (فتاً) ومقاييس اللغة (دوم) .

(٤) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري ، كما في المفضليات (٢ : ٨٤) .

(٥) روى في الكامل ١٠٣ ليسك والبيان (٣ : ٣٠٥) :

جلا المسك والحمام والبيض كالدى وقرق المدارى رأسه فهو أنزع

وأنظر للخلاف في نسبة الشعر الخزانة (٢ : ٥٣٢) .

بأموالنا آثَارَ أَيْدِينَا « فَإِنَّمَا يَرِيدُ تَرْفَعُهُمْ عَنِ الْقَوَدِ وَدَفَعَ أَطْمَاعَ النَّاسِ عَنْ مَقَاصَتِهِمْ ، فَيَدَاوُونَ جِرَاحَاتِهِمْ بِبِذْلِ الْأُرُوشِ وَالِدِّيَّاتِ . وَالْأَسْوُ : مَدَاوَاهُ الْجُرْحِ وَإِنْ اسْتَعْمِلَ فِي مَوْضِعِ الْإِصْلَاحِ . قَالَ :

وَالْأَسَاةُ الشُّفَاةُ لِلدَّاءِ ذِي الرَّيْبَةِ وَالْمَذْرِكُ الْإِصْلَاحُ (١)
وَيُقَالُ لِلضَّارِّ النَّافِعِ : يَشْجُ وَيَأْسُو . وَمِنْهُ اسْتِثْقَاءُ الْإِسْوَةِ ، وَيُقَالُ الْأُسْوَةُ أَيْضًا . وَيُرْوَى أَنَّ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْهُ يَوْمَ مَسْكَنَ جَمَلٍ يُقَابِلُ وَيَتِمَثَّلُ :

وَإِنَّ الْأَوَّلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا (٢)
وَفِي الْبَيْتِ مَعَ حُسْنِ الْمَعَانِي الَّتِي بَيَّنَّتْهَا تَوَازُنٌ فِي اللَّفْظِ مُسْتَقِيمٌ ، وَسَلَامَةٌ مِمَّا يَجْلِبُ عَلَيْهِ التَّهْجِينَ .

٨ - إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قَوْلُ الْكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ الْحَامُونَا (٣)
يُقَارِبُهُ قَوْلُ الْخُنَسَاءِ :

* أَقَلَّتْ مُسَامَاةُ الرِّجَالِ عَدِيدَنَا *

فَيَقُولُ مَفْتَخَرًا إِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ أَهْلَكَ أَسْلَافُهُمْ قَوْلُ الْأَبْطَالِ لَهُمْ أَلَا أَيْنَ الذَّابُونَ وَالْحَامُونَ ؟ فَكَانُوا يَتَقَدَّمُونَ وَيَفْنَوْنَ . وَالْكُمَاةُ : جَمْعُ الْكُمَى ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ كُمَى شَهَادَتُهُ ، إِذَا كَتَمَهَا ؛ لِأَنَّ الشُّجَاعَ يَسْتَعْنِي بِالْفَعَالِ ، عَنِ الدَّعْوَى وَالْمَقَالِ ، فَكَأَنَّهُ يَسْتُرُ أَمْرَهُ وَشَأْنَهُ لَوْ قَتَلَ الْحَاجَةَ ، وَلِأَنَّهُ إِذَا سَكَتَ دَلَّ عَلَى صِفَاتِهِ بِلَاؤُهُ .

٩ - لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مَنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَفْنُونَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « لِلزُّرْغَامِ » بِالرَّاءِ ، صَوَابُهُ بِالْوَاوِ كَمَا فِي م . وَالْأَوْغَامُ : التَّرَاتِ ،

وَأَحَدُهَا وَغَمٌ .

(٢) كَذَا وَرَدَ إِنْشَادُهُ فِي النُّسخَتَيْنِ . وَفِي اللِّسَانِ وَالْكَامِلِ ١٠ :

* تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا *

(٣) رَوَايَةُ التَّبْرِيزِيِّ : « قِيلَ الْكُمَاةُ » .

يعني بقوله « فَدَعَوْا » أعلنوا الاستغاثة ببيال فلان، ومن فتى، ومه أشبهه. ويقال خِلْتُهُ أَخَاهُ خَيْلاً وَخَيْلَةً وَخَيْلَانًا^(١). وهذا مثل قول طَرْقَةَ :
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ فَتَى خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدْ

وقد زاد هذا عليه بقوله « لو كان في الألف مِنَّا وَاحِدٌ ». لأن ذلك قال :
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ فَتَى، فنصب نفسه مع قومه؛ وهذا جعله مُنْضِماً مع الكثرة إلى الغبراء. وإنما قال : « مَن فَارِسٌ » فَكَرَّ، كما قال طَرْقَةُ : « مَن فَتَى » فَكَرَّ. ولم يُعرف واحدٌ، لأنها، لأن السؤال بالمنكر لشدة إبهامه يكون أشملَ لتناوله واحداً واحداً لاسيما وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين، ولا إلى الجنس فيقال : من الفتى، ومن الفارس. وفي هذه الطريقة قول الآخر :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ فَتَى لِعَظِيمَةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

وبيت بشامة أجود الثلاثة. وقد أحسن الفرزدق كل الإحسان لما أشار إلى هذا المعنى فقال :

إِذَا مَا قِيلَ يَا لَحُمَاءِ قَوْمٍ فَتَحْنُ بِدَعْوَةِ الدَّاعِي عُنَيْنًا

١٠- إِذَا الْكُمَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطُّبَّاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا^(٢)

إنما قال حَدُّ الطُّبَّاتِ - وَطَبَّةٌ : السيف حَدُّه - لأنه أراد المضارب بأسرها. وكما صَلَحَ أَنْ يُقَالَ أَصَابَتْهُ طَبَّةُ السيفِ صَلَحَ أَنْ يُقَالَ حَدُّ الطَّبَّةِ . وقيل الطَّبَّةُ : طَرَفُ السيف، والشبابة حَدُّ طَرَفِهِ . يقول : إذا الأبطالُ تَبَاعَدُوا عَنِ الْمَصَادِمَةِ وَالْمَكَاخِطَةِ، مخافة أن ينالهم حَدُّ السيفِ مَدَدْنَا أَيْدِيَنَا إِلَيْهِمْ بِهَا^(٣) أو وصلناها، وفي هذا المعنى قوله :

(١) ضبط في النسخين بكسر الخاء . وفي اللسان والقاموس « الخيلان » بالتحريك .

(٢) رواية التبريزي : « أن يصيبهم » .

(٣) في الأصل : « بنا » ، والكلمة ساقطة من م .

إِذَا قَصَرْتُ أَسِيفُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَّضَارُبِ^(١)
 وقوله « تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ » أى تنحوا أن ينالهم ، وخافة أن ينالهم ؛ فلما
 حُذِفَ مِنْ وَصَلِ الْفِعْلِ فَعَمِلَ . وعلى هذا قولهم : تَحَصَّنَ فُلَانٌ أَنْ يُطْلَبَ ،
 وقول الله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ . وقوله : « وصلناها بأيدينا »
 أى إذا عجزت جعلنا وصلها أيدينا . وهذه الأبيات إذا تَوَلَّمَتْ فكلُّ منها
 غاية يدعُو إلى نفسه لَفْظًا وَمَعْنَى .

١١- وَلَا تَرَأُهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
 يصف تعوُّدهم للشكل ، وإلفهم للمصائب والقتل ، وأن قلوبهم قد مرَّتْ
 عليها حتَّى قَسَتْ ، فلا يبيكون مع البكاء على مَنْ قُتِلَ منهم . ومثله قول
 عمرو بن كلثوم :

مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَصِيحَ مِنَ الْقَتْلِ
 ١٣- وَنَزَكِبَ الْكُرْهَ أَحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَّا الْحِفَاظُ وَأَسِيفُ تَوَاتِينَا
 يجوز أن يكون هذا كما قال الآخر :

* خَالَفَنَا السَّيُوفُ عَلَى الدَّهْرِ *

ويجوز أن يكون أراد بالسيف رجلاً كأنهم السيوف مضاء ونفاذاً . والأول
 أولى . وإنما يَصِفُ خِطَارَهُمْ بِمُهْجِهِمْ ، وَرُكُوبِهِمُ الْمَهَالِكَ ، وَرَمِيهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ
 الْمَرَامِي الْمُعْطَبَةَ . فيقول : إذا فعلنا ذلك في الوقت بعد الوقت ، وَسَعَتِ الْمَضَابِقُ عَنَّا
 مُحَافَظَتُنَا عَلَى الْكُرْمِ وَصَبْرُنَا عَلَى الشَّدَائِدِ ، وَاسْتِعْمَالُنَا سَيُوفَنَا الْمَطَاوِعَةَ لَنَا . ومعنى

(١) كذا جاءت الرواية في النسختين . والمعروف في رواية بيت قيس بن الخطيم :

إِذَا قَصَرْتُ أَسِيفُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ

وللأخمس بن شهاب التعليل في المفضليات (٢ : ٧) :

وإن قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين نضارب

يفرُّجُه : يكشفه ويوسِّعه . ويقال : فرَّجَ اللهُ غَمَّهُ وفرَّجَه ، بالتخفيف والتشديد .
ومنه سُمِّيَ ما بين القوائم : الفروج . وإطلاق لفظ الفرج على العورة يجري
مجرى الكنايات . وعلى هذا قيل : رَجُلٌ فُرْجَةٌ ، إذا كان كشافاً لأسراره .

١٥

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ويقالُ إِنَّهُ لَلسَّموعلُ

ابن عاديا اليهودي :

١- إِذَا المرءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرَضُهُ فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

يقال : دَنَسَ دَنَسًا ، وَتَدَنَسَ تَدَنُّسًا ، إذا تكلَّفه . فيقول : إذا لم يتدنَّس
الرجلُ باكتساب اللُّؤْمِ واعتياده فأى مَلْبَسٍ لَبِسَهُ بعد ذلك كان حَسَنًا جميلًا .
وذِكر الرِّداء هاهنا مُستعار ، وقد قيل : رَدَّاهُ اللهُ رِداءَ عَمَلِهِ ، فجُعِلَ كنايةً
عن مكافأة العبد بما يعملُه ، أو تشهيره به ، كما جَعَلَهُ هذا الشاعر كنايةً عن
الفِعْلِ نَفْسِهِ . وتحقيقه : فأى عملٍ عَمِلَهُ بعد تَجَنُّبِ اللُّؤْمِ كان حَسَنًا . واللُّؤْمُ :
اسمٌ لخصالٍ تجتمع ، وهى البُخلُ واختيار ما تَتَّقِيهِ المروءة^(٢) ، والصَّبْرُ على
الدينية ، ودناءة النفس والآباء . وإذا يَتَضَمَّنُ معنى الجزاء ، والقاء مع ما بعده
جوابه . وليس هنا من قول عمرو بن معديكرب :

ليس الجــــــــــــــــالُ بمُتَزِرٍ فاعلمْ وإن رُدِّيتَ رُردًا

(١) لم يذكر التبريزي النسبة الأولى في صدر الإنشاد ، ولكنه ذكرها قبل تفسير البيت
الأول . قال : « ويقال إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ودو إسلامي » . وهو السموعل
ابن غريص بن عاديا ، المضروب به المثل في الوفاء ، لأنه أسلم ابنه حتى قتل ولم يخن أمانته في
أدراع أودعها عنده امرؤ القيس . انظر الأغاني (١٩ : ٩٨ - ١٠٠) وابن سلام ١٠٩ .
وهذا الإنشاد وما بعده من الكلام إلى البيت الثالث - ما عدا سطرًا قبله - ساقط من م .
(٢) في الأصل : « يتقيه » وعند التبريزي : « ما تنفيه » ؛ والمؤدى متقارب .

فَيُعْتَقَدُ أَنَّهُ يَرِيدُ بِالرَّدَاءِ الثِّيَابَ بِسَبِيلٍ ، فَاعْلَمْ .

٢ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ ^(١)

يقول : إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ ظُلْمَ نَفْسِهِ عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَصْبِرْهَا عَلَى مَكَارِهَا ، فَلَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الثَّنَاءِ الْحَسَنِ . وَهَذَا يَشِيرُ إِلَى كَظْمِ الْفَيْضِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْحِلْمِ ، وَتَرْكِ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ مَعَ ذَوِيهِ ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْمَشَاقِ ، وَإِهَانَةِ النَّفْسِ فِي طَلَبِ الْحَقُوقِ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَوَّدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عِلًّا ذِكْرُهَا ، وَحَسَنَ ثَنَائِهَا . وَيُقَالُ : ضَامَهُ ضَيْمًا ، وَهُوَ مَضِيمٌ ، إِذَا عَدَلَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ النَّصِفَةِ وَاهْتَضَمَ . وَمِنْهُ قِيلَ : قَعَدَ فِي ضَيْمِ الْجَبَلِ ، أَيْ فِي نَاحِيَةٍ تَنْعَدِلُ إِلَيْهِ ^(٢) . وَكَأَنَّ اسْتِعْمَالَ الضَّيْمِ مِنْ ضَامٍ ، كَذَلِكَ اسْتِعْمَالَ الْمِضْمِ وَاحِدُ أَهْضَامٍ الْوَادِي مِنْ هَضَمَ . وَيَبْعُدُ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ « ضَيْمَهَا » ضَيْمَ الْغَيْرِ لَهَا فَأَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ ، لِأَنَّ احْتِمَالَ ضَيْمِ الْغَيْرِ لَمْ يَأْتِ قَوْلُ مَنْهُ ، وَيَعْدُونَهُ تَذَلُّلاً .

٣ - تُعَيِّرُنَا إِنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ

يُقَالُ عَيَّرْتَهُ كَذَا ، وَهُوَ الْخِتَارُ الْحَسَنُ ، وَقَدْ جَاءَ عَيَّرْتَهُ بِكَذَا . قَالَ عَدِيُّ :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيِّرُ بِاللَّهِ رِ أَأَنْتَ الْمُبَرِّأُ الْمَوْفُورُ

وَالْمَعْنَى أَنْكَرْتَ مِنَّا قَلَّةَ عَدَدِنَا فَعَدَّتْهُ عَارًا ، فَأَجَبَتْهَا وَقُلْتُ إِنَّ الْكَرَامَ يَقُولُونَ . وَالْكَرَمُ : اسْمٌ لِلْخِصَالِ تَضَادُّ خِصَالِ اللَّؤْمِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا ^(٣) . وَهَذَا الْاعْتِرَافُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ اعْتِرَافٌ بِقَلَّةِ الْعَدَدِ لَا بِقَلَّةِ الْقَدْرِ وَالْعَنَاءِ ،

(١) التبريزى : « وإن هو لم يحمل » .

(٢) في الأصل : « في ناحيته يتعدك إليه » تحريف . وفي الحاشية : « في ناحية تعدل إليه » .

(٣) في تفسير البيت الأول ص ١١٠ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ رَجَعَ عَلَيْهِ بِالنَّفَى فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ :

* وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا *

على أن قوله « إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ » يشتمل على معانٍ كثيرة : وهى وَلَوْعُ الدَّهْرِ بِهِمْ ، واعتماد الموت إِيَّاهُمْ ، وقلة النَّسْلِ فِيهِمْ ، واستقلالهم فى الدِّفَاعِ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ، وإِهَاتِهِمْ كِرَائِمَ نَفْسِهِمْ مخافة لزوم العار لهم ، ومحافظةًهم على عِمَارَةِ ما ابتغاه أسلافُهم . وكلُّ ذلك يقللُ العدَدَ ، ويقصر المَدَدَ . وقليلٌ وكثيرٌ يوصف بهما الواحد والجمع .

٤ - وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابُ تَسَامَى لِلْعُلَا وَكُهُولُ

الماء من قوله « بَقَايَاهُ » راجعة إلى لفظ « مَنْ » لأنَّ معناه الكثرة . ولورْدَ عَلَيْهِ ^(١) لَقَالَ بَقَايَاهُمْ . يقول : وما حصلتِ القِلَّةُ فى القَدَرِ والغِنَاءِ ، وَلَا لِحَقَّتِ الدَّلَّةُ فى اللِّقَاءِ والدِّفَاعِ لِأَسْلَافٍ أَخْلَافُهُمْ نَحْنُ ، شَبَابٌ وَكُهُولٌ يَتَسَامَوْنَ فى اِكْتِسَابِ الْعَالَى ، وَيَتَرَقَّوْنَ فى درجَاتِ الْفَضْلِ . و « شَبَابٌ » مُصَدَّرٌ فى الْأَصْلِ وَوُصِفَ بِهِ ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَنَبَّأُ وَلَا يُجْمَعُ . يُقَالُ شَبَّ الصَّبِيُّ يَشِبُّ شَبَابًا . وَقَوْلُهُ « تَسَامَى » أَرَادَ تَسَامَى ، فَخَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ اسْتِغْنَاءً لِلْجَمْعِ بَيْنَهُمَا . فَإِنْ قُلْتَ : هَلَّا أُدْغِمْتَ كَمَا أُدْغِمْتَ فى أَدْرَاكٍ — وَالْأَصْلُ تَدَارُكٌ ؟ قُلْتَ : لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ إِدْغَامٍ ، لِأَنَّهُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أُدْغِمَ لاحتِيجَ إِلَى جَلْبِ أَلْفِ الْوَصْلِ لَكُونَ أَوَّلَهُ ، وَأَلْفُ الْوَصْلِ لَا يَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ . وَالْكَهْلُ : الَّذِى قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ ، وَمِنْهُ اكْتَهَلَ النَّبْتُ ، إِذَا شَمِلَهُ النُّورُ .

٥ - وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْكَثَرِ ذَلِيلٌ

فى هذا الكلام تعريض بعشيرة من جاذبه الكلام ^(٢) . يقول : وما يضرنا

(١) أى على المعنى . وفى م : « عليهم » .

(٢) م : « بالكلام » .

قَلَّةٌ عَدَدْنَا وَجَارُنَا فِي عِزٍّ ، وَجَارٌ مِنْ لَهِمِ الْعَدَدُ وَالْكَثْرَةُ فِي ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ :
 « وَمَا ضَرُّنَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا حَرَفَ نَفِي ، وَالْمَعْنَى لَمْ يَضُرَّنَا ؛ وَيَجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ اسْمًا مُسْتَفْهَمًا بِهِ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيرِ ، وَالْمَعْنَى أَيْ شَيْءٌ يَضُرُّنَا . وَالْوَاوُ مِنْ
 قَوْلِهِ : « وَجَارُنَا عَزِيزٌ » وَوَالْحَالُ ، أَيْ لَا يَضُرُّنَا ذَلِكَ وَالْحَالُ هَذَا . وَكَذَلِكَ
 الْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ : « وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ » وَوَالْحَالُ . وَإِنَّمَا صَلَحَ الْجَمْعُ بَيْنَ
 الْحَالَيْنِ لِأَنَّهُمَا لَذَاتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، وَلَوْ كَانَا لَذَاتٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَصْلُحْ . وَالْعِزُّ وَالْعِزَازَةُ
 اسْتُعْمِلَ فِي الْقُدْرَةِ وَالْمَنْعِ ، وَفِي الصَّلَابَةِ وَالشَّدَّةِ . وَيُقَالُ : تَعَزَّزَ الْأَحْمُ ، لِأَنَّ
 الْكَلَّ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ ، كَمَا أَنَّ الذَّلَّ وَالذِّلَّ الَّذِي هُوَ ضِدُّهُ اسْتُعْمِلَ
 فِي الْإِقْيَادِ وَالسَّهُولَةِ وَاللَّيْنِ وَالْوَطَاءَةِ ، إِذْ جَمِيعُهُ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ .
 وَفِي طَرِيقَتِهِ :

فَجَارُكَ عِنْدَ بَيْتِكَ لَحْمٌ ظَبْيٍ وَجَارِي عِنْدَ بَيْتِي لَا يُرَامُ

وَقَوْلُ الْآخِرِ ^(١) :

* وَهُمْ يَمْنَعُونَ جَارَهُمْ أَنْ يُقَرَّدَا ^(٢) *

٦ - لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مِنْ نُجَيْرِهِ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ ^(٣)

وَمِثْلُهُ :

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَدْخُلُ الذَّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ لِيُعَصَمَا

وَأَرَادَ بِذِكْرِ الْجَبَلِ الْعِزَّ وَالسَّمَوَ . فَيَقُولُ : لَنَا جَبَلٌ عِزٌّ يَدْخُلُهُ مَنْ نُدْخِلُهُ
 فِي جَوَارِنَا ، مَمْتَنِعٌ عَلَى طَالِبِهِ ، يَرُدُّ لِإِشْرَافِهِ وَسُوءِ مَوْقِعِ طَرَفِ الْوَظَائِرِ إِلَيْهِ وَهُوَ حَسِيرٌ .

(١) هُوَ الْحَصِينُ بْنُ الْقَعْتَرِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (سَنَتٌ ، أَلْسٌ) .

(٢) صَدْرُهُ : * هُمُ السَّمْنُ بِالسَّنَوَاتِ لَا أَلْسَ بَيْنَهُمْ *

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يَرُدُّ الطَّرْفَ » ، صَرَّاحُهُ فِي مِ وَالتَّبْرِيزِيِّ .

ومنيحٌ : اسم الفاعل من مَنَعَ مَنَاعَةً وَمَنَاعًا^(١) ، ومنه المنعة . ويجوز أن يكون فعيلًا في معنى مفعول ، أى ممنوع منه ، وكما استُعْمِلَ المنيع في العِزِّ استُعْمِلَ أيضا في العِفَّةِ ، فقيل امرأة منيعةٌ وممنعةٌ^(٢) أى عفيفةٌ . وحلٌّ واحتلٌّ بمعنى .. والطَّرَفُ : النَّظَرُ والعين جميعا . وقال الدَّريديُّ : طَرَفَ العين امتداد لحظها^(٣) .

٧ - رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَاهُ إِلَى النَّجْمِ فَرَعُ لَا يُنَالُ طَوِيلُ رَسَا الْجَبَلُ : ثَبَتَ أَصْلُهُ فِي الْأَرْضِ . ومنه رَسَتْ لِلشُّفْنِ ، إِذَا اتَهَتْ إِلَى قَرَارِ الْبَحْرِ^(٤) . وَالرُّسُوُ وَالرُّسُوحُ يَتَقَارَبَانِ . وَالثَّرَى : التُّدَى . وَمَاتَتْ الْأَرْضُ ثَرَى . وَيُقَالُ : ثَرَى ثَرَى ، عَلَى الْمِبَالغةِ . يَقُولُ : ثَبَتَ أَصْلُ هَذَا الْجَبَلِ — وَهُوَ يَرِيدُ الْعَزَّ عَلَى مَا بَيَّنَّتْ — تَحْتَ الْأَرْضِ وَازْتَفَعَ بِهِ أَذْلَى طَوِيلٌ لَا يُنَالُ إِلَى مَحَلِّ النَّجْمِ . وَالْمُرَادُ : عِزُّنَا أَصْلُهُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِغَةِ ، وَفَرَعُهُ عِنْدَ النَّجْمِ . وَمَعْنَى لَا يُنَالُ : لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ وَلَا يُحْصَلُ مِنْهُ . وَكَأَنَّ قِيلَ فِي الرَّفِيعِ الشَّأْنِ الْعَالِي الْقَدْرُ : هُوَ فِي النَّجْمِ وَهُوَ فِي الشَّكَاكِ ، وَكَانَ قَضَاهُ فِي الْقَرَعِ أَنَّهُ مَدِيدٌ حَتَّى اتَّصَلَ بِالنَّجْمِ ، زَادَهُ صِقَّةٌ فَقَالَ طَوِيلُ . وَقَدْ طَابَقَ الرُّسُوُ بِالرُّسُوُ ، كَمَا قَابَلَ الْأَصْلُ بِالْقَرَعِ . وَنَقَلَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

لَنَا تَبِعَةٌ فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ وَفِي هَامَةِ الْحَوْتِ أَغْرَأَتْهَا

٨ - وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

كَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : مَا يَرَوْنَ الْقَتْلَ سُبَّةً ، حَتَّى يَرْجِعَ الضَّمِيرُ مِنْ

(١) هذا المصدر ما لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٢) م : « ممنعة » .

(٣) نبه التبريزي إلى أنه روى بيت آخر بعد هذا البيت في بعض الروايات ، وهو :

هو الأبلق الفرد الفنى سار ذكره يعق على من رانته ويطول

(٤) م « إلى قرار الأرض » ، والمؤدَّى واحد . وفي اللسان : « ورست السفينة

قروموسوا : بلغ أسفها القعر وانتهى إلى قعر الماء ، فثبتت وبقيت لا تسير » .

صفة القوم إليه ولا تغرى منه ، لكنه لما علم أن المراد بالقوم هم قال :
ما نرى . وقد جاء في الصلة مثل هذا ، وهو فيه أفضع ، قال :

* أنا الذي سمّنت أُمّي حَيْدَرَه^(١) *

والوجه « سمّنته » حتّى لا يغرى الصلة من ضمير الموصول . قال أبو عثمان
للأزني : لولا صحة مورده وتكرّره لردّته . فضّل عشيرته في الصبر على الموت ،
والثبات في الحرب على عامر وسؤل ، وهما قبيلتان^(٢) . فيقول : إذا حسب
هؤلاء القتل والقتال عارًا ومنقصةً عدّها عشيرتي نخرًا ومكرمةً . والسبّة :
ما يسبّ به ، كما أن الخدعة ما يُخدع به . وأصل السبّ : القطع ، ثم استعمل
في الشتم . وهذا كما يقال : فلان يُقطع أعراض الناس . وقوله : « ما نرى »
أى لا نجعل ذلك مذهبًا .

٩- يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا وَتَكَرُّهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(٣)

قوله : « يقرب حب الموت » أى حبنا للموت . وجعل في مقابلته :
« وتكره آجالهم » لأنه يشتمل على ما يوفّيها حقّها من اللفظ . وإن كانت^(٤)
من حيث المعنى قد حصلت : ويبعد بفضّهم إياه آجالهم . ويكون الشاعر ملهًا
في المصراع الأوّل بقول الآخر :

* رأيت الكريم الحرّ ليس له عُمر *

لأنه يشير إلى أنهم يُفْتَبِّطُونَ لاقتحامهم المفايا ، وحِرصهم على ملابسة

(١) الحلى بن أبي طالب ، كما في اللسان (حدر ، سندر) .

(٢) التبريزي : « يعنى عامر بن ضمصة . وبنو سله هم بنو مرة بن ضمصة بن معاوية

ابن بكر بن دوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان » .

(٣) وي : « يقصر حب الموت » ، كما سيأتي ، وكما عند التبريزي .

(٤) الضمير في « كانت » للمقابلة . في الأصل : « وهو وإن كانت » . م : « وهو وإن كان »

الحروب ، وأن أولئك يعمّرون لجانبتهم الشرور ، وزهدهم في مجاذبة العدو^(١) .
ويجوز أن يكون أضاف الحُبَّ من قوله « حُبُّ الموت » إلى الفاعل ، فيكون
المعنى : يقرَّب حُبُّ الموت لنا آجالنا ، ويكون هذا كقول طرفة :

أَرَى الْمَوْتَ يِعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمَشَدِّدِ
ويكون على هذا قوله « وتكرمه آجالهم » محمولا على أنه إذا كرهت
آجالهم الموت فقد كره الموت آجالهم أيضا . ألا ترى قول دُرَيْد :
أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صِمَّةَ إِيَّاهُمْ أَبَوَا غَيْرُهُ وَالْقَدَرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
وقول مُتَمِّم :

* أَرَى الْمَوْتَ طَلَاءًا عَلَى مَنْ تَرَفَّعًا^(٢) *

وإذا كان كذلك فالتقابل في هذا الوجه حاصل أيضا . وبعضهم روى :
« يُقَصِّرُ حُبُّ الْمَوْتِ » واختاره ، ليكون القَصْرُ بإزاء الطول . وهم لا يُراعون
مثل هذا إذا تفاسبت المعاني وتقابلت ، ويكون ذلك منهم كالتبري^(٣) من
التكلف . ألا ترى أبا ذؤيب الهذلي قال :

وَشَيْكُ الْفُضُولِ بَعِيدُ الْقُفُولِ إِلَّا مُشَاحًا بِهِ أَوْ مُشِيحًا

وقد كان يمكنه أن يقول بطيء القفول فلم يُراع ذلك . وقد أحسن عنتره
كلَّ الإحسان في سُلُوكِ هذه الطريقة ، حين قال :

* لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاءِ بِمُحَرَّمٍ^(٤) *

(١) م : « محاربة العدو » .

(٢) م : « توقعا » . وفي المفضليات (٢ : ٧٠) :

فلا تفرحن يوما بنفسك إنني أرى الموت وقاعا على من تشجعا
(٣) م « كالمبرأ » .

(٤) صدره :

* فشككت بالريح الأصم ثيابه *

١٠- وَمَا مَاتَ مِنْ سَيِّدٍ حَتْفَ أَنْفِهِ وَلَا طُلَّ مِنْهُ حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ^(١)

« حَتْفَ » انتصب على الحال ، ولم يُستعمل منه حَتْفٌ ولا هو محتوف .
 وليس هذا مثل تَبَسَّمَتْ وَمِیْضَ الْبَرْقِ^(٢) ، فاعلمه . يقول : لم يَمُتْ رَئِيسُ مَنْ
 على فراشه ، بل مات مَيِّتَةً كَرِيمَةً فى الحرب تحت ظِلَالِ الشُّيُوفِ والرَّمَاكِ ،
 وَلَا أَبْطَلَ دَمٌ قَتِيلٍ مِنْهُ حَيْثُ كَانَ ، وعلى يدٍ مَنْ اتَّفَقَ . وهذا غاية ما يَتَحَمَّدُ به
 الْقَتْلُكُ وَأبناءُ الحروب ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ اعْتَذَرَ عَنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ :
 بِحَمْدٍ مِنْ سَفَانِكَ لَا بِدَمٍ أَبَا قُرَّانٍ مُتَّ عَلَى مِثَالِ^(٣)
 وفى هذه الطريقة قوله :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وعلى الغانياتِ جَرُّ الذُّيُولِ^(٤)
 وقوله : « مات حَتْفَ أَنْفِهِ » يقال إِنْ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وتحقيقه : كان حَتْفُهُ بِأَنْفِهِ ، أى بِالْأَنْفَاسِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ أَنْفِهِ
 عِنْدَ نُزُوعِ الرُّوحِ ، لَا دَفْعَةً وَاحِدَةً . ويقال خُصَّ الْأَنْفُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ جِهَتِهِ
 يَنْقُضِي الرَّمَقَ . ويقال : طُلَّ دَمُهُ بِطُلُّ طَلَاءٍ ، إِذَا أُهْدِرَ .

١١- تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ

يُروى : « تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الشُّيُوفِ نَفُوسُنَا » . ولم يقل وَلَيْسَتْ عَلَى
 غَيْرِهَا تَسِيلُ فى الروايتين ، لِأَنَّهُمْ يَكْرُرُونَ أَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ وَالْأَعْلَامِ كَثِيرًا ،

(١) التبريزى : « ويروى :

* وما مات منا سيد فى فراشه *

وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاهلية » .

(٢) أى ليس من المنصوب على أنه مصدر مرادف .

(٣) المثال : الفرائض . وفى قول الأعشى :

بكل طوال الساعدين كأنما يرى بصرى الليل المثال المهدا

(٤) لعمر بن أبى ربيعة . الأغاني (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) وعيون

الأخبار (٢ : ٤٩) .

ولا سيما إذا قصدوا التفخيم بها . كما قال عديّ :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

وفى الرواية الثانية — وهى المشهورة — أضافَ الحدَّ إلى الطُّبَّاتِ . وهذا فيه وجهان : أحدهما أن يكون أراد بالطُّبَّاتِ السيوفَ كلّها ثم أضافَ الحدَّ إليها ، والمعنى : تسيل على حدّ السيوف دماؤنا وليست تسيل على غيرها . وهذا كما يُسمّى السيفُ كما هو نَصْلًا ، وكما يُسمّى السهمُ نَصْلًا كما هو . والثانى أن إضافة الحدِّ إلى الطُّبَّاتِ كإضافة البعض إلى الكلّ ، ويكون التقدير : تسيل على الحدّ من الطُّبَّاتِ ، وتكون الطُّبَّاتُ مَضَارِبَ السيوف . فإن قيل : كيف تبجّج بأن تكون دماؤهم تسيل على حدّ السيوف لا على غيره ؟ قلت : إنّ الدماء قد تُسال بالعصى وبغيرها مما لا يكون شرفًا ، فعَدَ القِتْلَةَ التى تكون بالسيف أكرم . ألا ترى أن بنى أسدٍ يُسمّون « عبيدَ العصا » لما كان حُجْرُ أبو امرئ القيس حين أوقع بهم قتلهم بها ، لتكون قتلتهم ذميمة . وقد قُتل كثيرٌ منهم بالجلاميد والصُّخُور ، ولذلك قال بعضهم :

جلاميدُ أملاء الأُكُفِ كأنها رءوسُ رجالٍ حُلِقَتْ فى المواسم^(١)
وقال آخر^(٢) :

وَلَا تُقَاتِلُ بِالْعَصَى وَلَا نَرَامِي بِالْحِجَارَةِ
إِلَّا عُلَالَةً أَوْ بُدَا هَمَّةً سَابِحٍ نَهْدِ الْجَزَارَةِ

وإذا كان الأمر على هذا فعنى التبجّج أن تكون منيتهم بالسيوف ظاهرة .
وأما قوله :

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا رُمْلٌ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ^(٣)

(١) انظر البيان (٣ : ١٥) والكمال ٣٣٣ لبيك .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ١٤٤ - ١١٥ .

(٣) لمهلل بن ربيعة ، كما فى معجم البلدان (أبانان) .

فَإِنَّ الْفَخْلَ الْمَجِينَ إِذَا تَعَرَّضَ لِلنَّاقَةِ الْكَرِيمَةِ قُرِعَ أَنَّهُ بِالْعَصَا وَضُرِبَ
وَجْهُهُ بِهَا ، فَهُوَ مِنْ ذَلِكَ مَاخُودٌ .

١٢- صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْذُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنْ أَتَتْ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَفُحُولٌ^(١)

أشار بهذا الكلام إلى كَرَمِ الْمَنَاصِبِ وَالْمَنَاسِبِ ، وَطِيبِ اللَّيْلِ وَالْمَغْرَسِ .
فَيَقُولُ : صَفَّتْ أَنْسَابُنَا فَلَمْ يَشُبْهَا كُدُورَةٌ . وَخَلَصَ نِكَاحُنَا أُمَمَاتٌ طَيِّبَاتٌ
حَمَلْنَا ، وَأَبَاءَ كَرَّمَتْ عُرُوقُنَا . وَيُقَالُ : كَدِرَ الْمَاءُ يَكْدُرُ كَدَرًا وَكُدُورًا
وَكَدُورَةٌ ، وَهُوَ أَكْدَرُ وَكَدِرٌ . وَفِي ضِدِّهِ صَفَا الْمَاءُ يَصْفُو صُفُوءًا ؛ وَالصَّفَاءُ
الاسْمُ . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَدِرَ » . وَالسَّرُّ : النَّكَاحُ .
وَسِرُّ الشَّيْءِ : خَالِصُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ سُرِّيَّةً فُعْلِيَّةً مِنْ هَذَا .

١٣- عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا لَوْقَتٍ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ نُزُولُ

يَصِفُ تَرَدُّدَهُمْ فِي شَرَفِ الْمَصْعَدِ وَالْمُنْحَدَرِ ، وَكَرَمِ الْعُنْصُرِ وَالْمُنْحَوْلِ ، كَمَا
ذَكَرَ طَهَارَةَ الْمَنِكَحِ وَالْمَوْلِدِ ، وَجَلَالَةَ الْمُعْتَلَى وَالْمُسْتَقَرِّ ، فَيَقُولُ : عَلَوْنَا فِي خَيْرِ
الظُّهُورِ ، أَيْ حَصَلْنَا فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنْ ظُهُورِ أَكْرَمِ آبَاءِ ، وَحَدَرْنَا مِنْهَا لَوْقَتٍ
مَعْلُومٍ - يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الْأَطْهَارِ - نُزُولُ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ مِنْ أَشْرَفِ الْأُمَمَاتِ^(٢) .
وَالْمَعْنَى أَنَّا كَرَامَ الْأَطْرَافِ . وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِذَا تَوَلَّمَتْ أَدَّى التَّأَمُّلِ مِنْهَا إِلَى
سَلَامَةِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مِنْ كُلِّ مَعَابٍ^(٣) ، وَحُصُولِ الْفَخَامَةِ وَالْجَلَالَةِ لَهَا فِي كُلِّ
جَانِبٍ وَبَابٍ .

(١) نَكَدَرُ ، وَرَدَ بَفَتْحِ الدَّالِ فِي النِّسْخَتَيْنِ ، وَيَجُوزُ ضَمُّهَا ، فَإِنَّ مَا ضَمَّهَا مِثْلُ الدَّالِ كَمَا

فِي الْقَامُوسِ .

(٢) أَيْ نُزُولُ مِنْ ظُهُورِ آبَائِهِمْ إِلَى خَيْرِ بَطُونٍ مِنْ أَشْرَفِ أُمَمَاتٍ .

(٣) مَعَابٍ ، أَيْ عَيْبٍ ، وَفِي الْأَصْلِ : « مَصَابٍ » صَوَابُهُ فِي م .

١٤- فنحنُ كماه المزنِ مافى نصابنا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخِيلٌ

ماء المطر أصفى المياہ عندهم ، فشبه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر . والمزنُ : السحابُ . وقوله : « مافى نصابنا كَهَامٌ » ، أى ليس فينا كليل الحدِّ ، ولكن كلُّ منا ماضٍ نافذٌ ، ولا فينا بَخِيلٌ فيعدُّ . وهو تنفُّ للبخيل رأساً ، وليس يريد أن فيهم بَخِيلًا ومع ذلك لا يعدُّ^(١) . ومثله :

* ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ^(٢) *

أى ليس بها ضَبٌّ رأساً فينجحِرُ ، ومثل هذا كثير . ويقال كَهَمَ وكَهَمَ يَكْهَمُ وَيَكْهَمُ كَهَامَةً ، فهو كَهَامٌ وكِهيمٌ . يقال ذلك للرجُل إذا ضَعُفَ ، وللسَّيف إذا كَلَّ .

١٥- نُنْكَرُ إِنْ شِينَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

هذا مثل قول الآخر :

وما يستطيعُ النَّاسُ عَقْدًا نَشَدَهُ وَنَنْقُضُهُ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ مُبَرِّمًا^(٣)

يصف رياستهم وعلوَّ كلامهم ونفاذَ حُكْمِهِمْ ، ورجوعَ النَّاسِ فى المهماتِ إلى رأيهم ، والاعتمادَ على تدبيرهم^(٤) ومشورتهم . فيقول : نَغَيِّرُ ما نُرِيدُ تَغْيِيرَهُ من قول غيرنا ، وأحدُّ لا يَجْسُرُ على الاعتراضِ علينا ، والإنكارِ لقولنا ، انقياداً لهوانا ، واقتداءً بحزمنا . وهذا كما قال الأعشى :

(١) لا يعد ، ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م .

(٢) البيت لابن أحرر ، ، كما فى الخزائن (٤ : ٢٧٣) . وصدده :

* لا تفزع الأرنب أهوالها *

(٣) عند التبريزى : « نشده » و « وينقضه » .

(٤) فى الأصل : « فى تدبيرهم » ، وأثبتنا ما فى م .

* كُلُّ سَيْرَضَى بَأْن يُبْلَقَ لَهُ تَبَعًا ^(١) *

١٦- إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ قَوْلُهُ لِمَا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولُ

يشبهه قول حاتم :

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ يُعْنِي غَنَاهُ وَيُخْلَفُ

وقولُ عمرَوة :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ عَلَى مَجْدِهِ غَمْرُ المروءة سَيِّدٌ ^(٢)

١٧- وَمَا أَتَّخَذْتَ نَارًا لِنَادُونَ طَارِقٍ وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ

أراد بقوله « نَارٌ لَنَا » نار الضيافة . يقول : نُدِيمُ إِبْقَادَهَا فَلَا تُطْفَأُ دُونَ طَارِقٍ لَيْلٍ . وَالضَّيْفُ إِذَا فَارَقْنَا حَمْدَنَا وَلَمْ يَذُمَّنَا ، لِحُسْنِ تَوْفُرِ نَاعِلِيهِ ، وَاحْتِفَالِنَا عِنْدَ سَوْقِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ . وَالنَّزِيلُ ، كَالرَّفِيقِ وَالْجَلِيسِ وَالْأَكِيلِ . وَالطَّرُوقُ يَخْتَصُّ بِاللَّيْلِ . وَسُمِّيَ النَجْمُ طَارِقًا لِذَلِكَ .

١٨- وَأَيَّامَنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ

يقول : وَقَعَاتُنَا مَشْهُورَةٌ فِي أَعْدَائِنَا مَعْلُومَةٌ ، فَهِيَ بَيْنَ الْآيَامِ كَالْأَفْرَاسِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلَةِ بَيْنَ الْخَيْلِ ، يُعْرَفُ بِلَاؤُنَا فِيهَا ، وَحُسْنُ آثَارِنَا عِنْدَ النَّهْوضِ لَهَا . وَهَذَا كَمَا قَالَ :

* وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغْرُ حُجْلُ *

والتحجيل : أَنْ يَبْيَضَّ مِنَ الْأَوْظِةِ مَوَاضِعُ الْحِجْلِ ، وَهُوَ التَّقِيدُ وَالْخَلْخَالُ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي م : « يُلْقَى لَهَا » ، وَفِي الدِّيَوَانِ ٨٦ : « بَأْن يَرَعَى لَهُ » .

وَصَدَرَ الْبَيْت :

* تَلَقَّى لَهُ سَادَةُ الْأَقْوَامِ تَابِعَةً *

(٢) عَجَزَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ م . وَالْبَيْتُ لَمْ يَرَوْهُ فِي دِيَوَانِ عَمْرَةَ .

فإذا ارتفع التَّحْجِيلُ حتى يَبْلُغَ الفُخْزِينَ فما فَوْقُ فهوَ التَّجْوِيفُ . قال طُفَيْلٌ :
* شَمِيطُ الدُّنَابِي جَوْفَتْ فَهِيَ جَوْنَةٌ ^(١) *

١٩- وَأَسِيفَانَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ . بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولٌ
مثله قولُ النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرُ أَنْ سَيُوفَهُمْ . بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
يقول : قد تَفَلَّكْتُ سَيُوفُنَا بِمَا نَضَارِبُ بِهَا الْأَعْدَاءُ ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ
ومغاربها . وقال : « مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ » ، لِأَنَّ الْقِرَاعَ أَنْ يَكُونَ عَدُوَّهُمْ
عَلَى غَايَةِ الْإِحْتِرَازِ مِنْهُمْ ؛ وَفِي أَكْمَلِ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُمْ . وَقَوْلُهُ : « فِي كُلِّ غَرْبٍ
وَمَشْرِقٍ » ظَرَفُ لِقِرَاعِ الدَّارِعِينَ . أَيْ بِأَسِيفَانَا فُلُولٌ مِنْ الْقِرَاعِ فِي كُلِّ
غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ .

٢٠- مُعَوَّدَةٌ أَلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا قَتْنَمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلٌ ^(٢)
مثله قول الآخر ^(٣) :

بَأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سَيُوفَهُمْ . وَأَمْ تَكْثُرُ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتْ

(١) عجزه كما في الديوان ٦٠ واللسان (شخط ، جوف)

* بِنقبة ديباج وريبط مقطوع *

(٢) في الأصل : « قبيل » ، وصواب الرواية من م والتبريزي ، وهو ما يقتضيه
التفسير بعده .

(٣) هو سليمان بن قنسة ، أو الفرزدق . ديوانه ١٣٩ واللسان (شيم) والكمال
١٧٤ ليسك والعمدة (٢ : ١٥١) . وقال المبرد « وهذا البيت ظريف عند أصحاب المعاني ، وتأويله
لم يشيموا : لم يغمدوا . ولم تكثر القتل ، أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتل حين
سلت » . وقال ابن رشيقي : « أراد لم يغمدوا سيوفهم إلا بعد أن كثرت بها القتل ، كما
تقول : لم أضربك و [أنت] لم تكن على إلا بعد أن جئيت على . وقال آخرون : أراد لم
يسلوا سيوفهم إلا وقد كثرت بها القتل . كما تقول : لم ألقك ولم أحسن إليك إلا وقد أحسنت
إليك . والقولان جميعا صحيحان ، لأنه من الأضداد » .

وانتصب «مُعَوَّدَةً» على الحال . ويجوز أن ترفع على أن تكون خبر ابتداء مضمرة ، والعامل فيه إذا كان حالاً ما يدل عليه قوله : « بها من قِراع الدارين قول » . فيقول : عودت سيوفنا ألا تجرد من أعمادها فترد فيها إلا بعد أن يستباح بها قبائل . ويقال : عودته كذا فتموده واعتاده . والعادة من التود وهو الرجوع ، ولذلك قالوا للمواظب على الشيء : هو معاود له . وقوله « فتعمد » ، يقال نعمدت السيف وأعمدته ، وأصله الستر ، ومنه تعمده الله برحمته .

٢١- سَلِيَ إِنْ جَهَلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنَّاكُمْ^(١) وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهْلٌ

يُروى : «عنا فتخبري» . كأنه استدلل على تصحيح ما ادعاها من الخصال التي عددها بشهادة الناس له وتصديقهم مقالته . يقول : سَلِيَ النَّاسَ عَنَّا إِنْ جَهَلَتِ مَا حَكَيْتُهُ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى تُخْبِرِي فَيُؤْمِنِي بِهِ وَتَسْكُنِي إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ الْعَالَمُ بِالشَّيْءِ كَالْحَمْنِ أَوِ الْمَجُورِ أَوِ الشَّاكِّ أَوِ الْخَادِسِ أَوِ الْمَقْدَّرِ^(٢) . وَالْعِلْمُ قَدْ يَحْصُلُ بِإِخْبَارِ الْمُخْبِرِينَ كَمَا يَحْصُلُ بِالشَّاهِدَةِ ، فَلِذَلِكَ دَعَاهَا إِلَى مَا دَعَا مِنَ السُّؤَالِ وَالْكَشْفِ . وَقَوْلُهُ : «فَتُخْبِرِي» يَنْتَصِبُ بِأَنْ مَضْمَرَةٌ وَهُوَ جَوَابُ الْأَمْرِ بِالْفَاءِ . وَالسَّوَاءُ يَكُونُ مَصْدَرًا وَوَضْعًا فِي مَعْنَى مُسْتَوٍ . يَقَالُ : هَذَا دِرْهَمٌ سَوَاءٌ ، أَيْ مُسْتَوٍ ؛ وَهَذَا دِرْهَمٌ سَوَاءٌ أَيْ اسْتَوَاءً ، كَمَا تَقُولُ هَذَا دِرْهَمٌ تَمَامًا ، أَيْ تَمَّ تَمَامًا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ ﴾ أَيْ مُسْتَوِيَاتٍ ، وَقُرِئَ ﴿ سَوَاءٌ ﴾^(٣) عَلَى الْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ قَالَ : اسْتَوَاءً . حَكَى أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ : هُمَا سَوَاءٌ وَهِيَ سَوَاءٌ إِنْ .

(١) التبريزي : «عنا وعنهم» .

(٢) م : «أو المقلد» .

(٣) قراءة النصب على الحال هي قراءة الجمهور . وقرأها بالجر على التعت زيد بن علي ، والحسن ، وابن أبي إسحاق ، وعمر بن عبيد ، وعيسى ويعقوب . وقرأها أبو جعفر بالرفع ، أي هو سواء . تفسير أبي حيان (سورة فصلت) .

٢٢- فَإِنَّ بَنِي الدِّيَّانِ قُطِبَ لِقَوْمِهِمْ تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

القُطْبُ : الحديدة في الطَّبَقِ الأسفلِ من الرَحَى يدور عليها الطَّبَقُ الأعلى .
وَسُمِّيَ قُطْبُ السَّمَاءِ لما يَدُورُ عليه الفَلَاكُ . وعلى التشبيه قالوا : فُلَانٌ قُطْبُ بَنِي
فُلَانٍ ، أَيْ سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَلُودُونَ بِهِ ، وَهُوَ قُطْبُ الْحَرْبِ .

١٦

الشَّمِينَرُ الْحَارِثِيُّ :

قال الدَّرِيدِيُّ : شَمِينَرُ : دَابَّةٌ زَعَمُوا ، وَلَا أُخْبِرُهَا عَرَبِيَّةٌ صَحِيحَةٌ .

قال البرقي : هذا الشعر لسُوَيْدِ بْنِ صُمَيْعِ المَرْتَدِيِّ ، من بني الحارث ،
وكان قُتِلَ أَخُوهُ غَيْلَةً فَقَتَلَ قَاتِلَ أَخِيهِ نَهَارًا فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ مِنَ الْخَضِرِ .

١- بَنِي عَمَّنَّا لَا تَذْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْعُمَيْرِ الْقَوَافِيَا

الصحرَاءُ : اسم للمكان الواسع ، وَجَمْعُهُ صَحَارٍ وَصَحْرٌ . قال :

* أَنِّي مَدَّهُ صَحْرٌ وَلُوبٌ ^(١) *

وَأَصْحَرَ الْقَوْمُ : يَرْزُوا إِلَيْهَا ، وَمِنْهُ قِيلَ لَقَيْتُهُ صَحْرَةً بَحْرَةً ، أَيْ عَيْنَانَا وَمُبَارَزَةً .
يقول : دَعَا التَّفَاخُرَ فِي الشَّعْرِ وَبِالشَّعْرِ ، فَإِنَّكُمْ قَصَرْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْعُمَيْرِ وَلَمْ
تُبْلُوا فِيهَا فَتَنْطَلِقِ أَلْسِنَتُكُمْ لَدَى الْمَسَاجِلَةِ ، وَتَسْتَجِيبُ قَوَافِي الشَّعْرِ لَكُمْ ، إِذَا
أَرَدْتُمْ نَظْمَهَا وَإِنْشَادَهَا ، عِنْدَ الْمُنَافَرَةِ وَالْحَاكِمَةِ ، لِأَنَّكُمْ أَمْتُمْ قَوَافِي الشَّعْرِ
وَدَفَنْتُمُوهَا . فَمَا أَنَّ اللَّيْتَ لَا يُجِيبُ إِذَا دُعِيَ ، كَذَلِكَ لَا يُجِيبُكُمْ الشَّعْرُ إِذَا
أَرَدْتُمُوهُ ، مَعَ سُوءِ بَلَاتِكُمْ ، وَقُبْحِ آثَارِكُمْ . والقافية : آخر البيت المشتمل على

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ٩٢ واللسان والمقاييس (صحر) . وصدرة :

* سبى من يراعه نفاه *

ما بُنِيَ عَلَيْهِ الْقَصِيدَةُ . وَقَدْ يُسَمَّى الْبَيْتُ كَمَا هُوَ قَافِيَةٌ . قَالَ :

وَقَافِيَةٌ مِثْلُ حَدِّ السَّنَانِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالَهَا^(١)

قَالَ الْأَخْفَشُ : وَتُسَمَّى الْقَصِيدَةُ بِأَسْرِهَا قَافِيَةٌ . قَالَ :

* فَمَنْ لِلْقَوَا فِي بَعْدِ كَعْبٍ يَحُوكُهَا^(٢) *

٣- فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِيْبُونَ سَلَةً فَتَقْبَلُ ضَيْمًا أَوْ نُحَكِّمُ قَاضِيًا

فِي هَذَا الْكَلَامِ تَعْرِيفُ بَقَوْمٍ أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : « كَمَنْ كُنْتُمْ » ، وَتَصْرِيحُ
لِلْمُخَاطَبِينَ ، وَجَهْرَةٌ^(٣) بِالْقَوْلِ ، فَهُوَ يَرْمِيهِم بِالضَّعْفِ وَأَنْهُمْ إِذَا نَالُوا مِنَ الْعَدُوِّ
شَيْئًا نَالُوهُ سَرِقَةً . فَيَقُولُ : لَسْنَا كَالَّذِينَ كُنْتُمْ تَنَالُونَهُمْ سَرِقَةً ، فَتَلْتَزِمَ لَكُمْ الضَّيْمُ ،
أَوْ نَنْصِبَ حَاكِمًا يَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَأَشَارَ بِالضَّيْمِ إِلَى التَّغْمِيضِ عَلَى مَا يَكُونُ
مِنْ سَرِقَتِهِمْ . وَكَانَ الْقَوْمُ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمْ وَانْتَفَى مِنْ أَنْ يَكُونَ حَالُهُ كَحَالِهِمْ ،
كَانُوا يَبْقَا يُلُونُ سَرِقَتَهُمْ وَتَجَاسَّرُفُهُمْ عَلَيْهِمْ إِمَّا بِالتَّغْمِيضِ ، وَهُوَ التَّزَامُ الضَّيْمِ
عِنْدَهُ ، وَإِمَّا بِالرَّافِعَةِ إِلَى الْحَاكِمِ وَنَصْبِ التَّوَسُّطِ ، وَالْعَجْزُ فِي حُكْمِهِ .
وَانْتِصَابُ « نَقْبَلُ » عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ التَّنْفِي بِالْفَاءِ . وَيَقُولُونَ : فِي بَنِي فُلَانٍ سَلَةٌ ،
أَي سَرِقَةٌ . وَانْتِصَابُ سَلَةٍ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالتَّقْدِيرُ :
تَصِيْبُونَهُمْ سَالِينَ وَسَاقِينَ .

٣- وَلَكِنْ حُكْمُ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ فَتَرْضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيًا

بِقَوْلٍ : مَتَى عَدُوُّكُمْ طَوَّرَكُمْ ، أَوْ خَرَجْتُمْ مِنْ حَدِّكُمْ ، فَإِنَّا نُسَلِّطُ السَّيْفَ

(١) الْبَيْتُ لِلْخَفَاءِ ، كَمَا فِي الْلسَانِ .

(٢) الْبَيْتُ لِكَعْبِ بْنِ زَهْرٍ فِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ ١٠٣ ، ١٠٧ . وَعَجْزُهُ :

* إِذَا مَا مَضَى كَعْبٌ وَفُوزٌ جَرُولُ *

(٣) م : « وَجَهْرَةٌ » .

عليكم، ولا تَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ فَيْكُمْ. فَقَى رَضِيَ رَضِينَا^(١)، وفي طريقته قوله :
* وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالنَّكْمِ *

ع- وَقَدْ سَاءَ فِي مَا جَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا بَنِي عَمَّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيًا
دَلَّ بقوله : « لو كان أمرًا مُدَانِيًا » على أنه لم يسؤه ما جَنَّتِ الحربُ بينهم ،
لأنه وقع بالاستحقاق . ألا ترى أنه قال ساءَ في ذلك لو كان الأمرُ المؤدَّى إليه
أمرًا مُدَانِيًا ، وكنتما نعرفُ للاحتمال فيه موضعا ، وللاصبر عليه تجالاً ومذهباً .
فأما والشَّانُ مُسْتَفْجِلٌ ، وتعديكم متفاقمٌ ، فإنه لا يسؤني . وقوله : « لو كان
أمرًا مُدَانِيًا » ، أراد لو كان الأمرُ أمرًا أَمَّا لسأني . وإذا كان كذلك
فجواب لو متقدِّمٌ ، وتلخيصه : لو كان ما تردَّدنا فيه قريبًا لسأني ما جنته
الحرب بيننا ، ولكن الآن لم يسؤ . وهذا تعظيم لما كان منهم إليهم ،
وكالاعتذار عن الأخذ بالفضل عليهم ، وترك الصَّفح عنهم .

هـ- فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا

رواه بعضهم : « فَإِنْ تَزْعُمُوا أَنَّا ظَلَمْنَا » . والزَّعْمُ في دَفْعِ الدَّعْوَى أَبْلَغُ ،
ولمَّا نَبَّهَ بهذا الكلام على أنه لا يَعُدُّ ما عُوْمِلُوا بِهِ ظُلْمًا ، مع كَوْنِ ابتدائه
منهم ، وإن كان فيه سَرَفٌ . فيقول : إِنْ ادَّعَيْتُمْ عَلَيْنَا أَنَّا ظَلَمْنَا كَمْ فَإِنَّا لَمْ
نَظْلَمْكُمْ ، مع عُدْوَانِكُمْ ، وَسَبِّكُمْ إِلَى الشَّرِّ وَتَهْيِيجِهِ ، وَلَكِنَّا أَسَأْنَا فِي تَقَاضِيكُمْ
الْحَقَّ ، وَإِيفَانِكُمُ الْجَزَاءَ ، حِينَ اسْتَخْرَجْنَا بِالْعُنْفِ وَالتَّهَرُّ ، وَمَجَاوِزَةَ الْأَدْنَى مِنَ
الْأَمْرَيْنِ إِلَى الْأَفْصَى . فَكَأَنَّهُ سَمَّى مَا عَدَّهُ أَوْلَئِكَ ظُلْمًا سُوءَ تَقَاضٍ . وَالظُّلْمُ
قِيلَ فِيهِ : إِنَّهُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْأَرْضِ الضُّلْبَةِ إِذَا
حُفِرَتْ : مَظْلُومَةٌ ، وَلِلْسَّاءِ إِذَا تَنَوَّلَ مَا فِيهِ قِيلَ إِدْرَاكُهُ : ظَلِيمٌ . وَقِيلَ : الظُّلْمُ :

(١) في الأصل : « فن رضى رضىنا » ، وأثبتنا ما في م .

انتقاصُ الحق . قوله « فلم نكنْ ظَلَمْنَا » إذا كان من حكم الجواب أن يكون طبقاً للابتداء ومبنياً عليه ، فمن الواجب عليه أن يقول : فإن قلتم إنا كنا ظلمنا . ألا ترى أننا نقولُ في قولِ الله تعالى : ﴿ وما كانَ اللهُ ليعَذِّبَهُمْ ﴾ إنه كان جواب قائل قال كان الله سيعذِّبُهُمْ . فنحن على حدِّ الابتداء وطريقته ، لكنَّ الشاعرَ حَدَفَ من الابتداء كُنَّا ، لأن ما في الجواب يدل عليه .

١٧

وَدَاكُ بْنُ نُمَيْلٍ الْمَازِنِيُّ

قال البرقي هو وداك بن سنان بن نميل^(١) :

١- رُوِيَ دَبْنِي شَيْبَانُ بِمَضْرُوعٍ كُمْ تَلَاقُوا غَدًا خَبَلِي عَلَى مَفَوَانِ

رويدًا : تصغيرُ إرْوَادٍ ، وهو مصدرُ أَرَوَدْتُ فلانًا ، على طريق الترخيم ، وانتصابه بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه لفظه . وأكثَرُ ما يحىء تصغيرُ الترخيم يحىء في الأعلام ، وقد يُجْعَلُ رُوَيْدًا اسمًا لازِقًا ، فَيُبْنَى حينئذٍ كما يُبْنَى أَخَوَاتُهُ من أسماء الأفعال . على ذلك ما جاء في المثل من قولهم : « رُوَيْدٌ يَفْعُلُونَ الْجَدَدَ » . وقد تَزَادَ كَافُ الخطاب عليه فيقال : « رُوَيْدَكَ » ، على ذلك قولهم : « رُوَيْدَكَ الشَّعْرَ يَغْبَ » . وقوله : « بعض وعيدكم » انتصب بفعلٍ مُضْمَرٍ دَلَّ عليه رُوَيْدٌ ، لأنَّ مع استعمالِ الرَّفْقِ كَمَا عن بعض الوعيد ، فكأنه لما قال

(١) نميل ، وردت هكذا بالنون في الأصل في هذا الموضع وسابقه ، وهي رواية نص عليها التبريزي فيما يلى . ويبدو أن « وداكا » شاعر جاهلي ، ولم نثر له على ترجمة . التبريزي : « وداك فعال من الودك والدكة ، وأصله الصفة ، ألا ترى أن فعلا بابهُ بالصفة ، وقبلما توجد في الأسماء . وفي الكتاب من ذلك الكلاء والحيان . قال أبو الفتح : وزادنا أبو على الفياض ذكر اليوم . ووجدت أنا الخيار ، وهو السعال أو نخوة ، والصاروخ أيضا . ونمیل : تصغير ثمل أو ثامل على الترخيم . ويقال فيه أيضا نميل بالنون . »

أزودوا يا بني شيبان قال : كُفُّوا بَعْضَ الوَعِيدِ . وهذا تهكُّمٌ وسُخْرِيَّةٌ^(١) .
وقوله : «تلاقوا» ، الجُزْمُ على أَنَّهُ جوابٌ للأمر الذي دلَّ عليه رُويْدًا . وإِنَّمَا
جُعِلَ للأمرِ الجوابُ لِأَنَّهُ ضَمَّنَ معنى الجزاء والشرط . وسَقَوَانُ : اسمُ ماءٍ قالوا
هو من البَصْرَةِ على أَمِيالٍ . ومعنى البيت مفهوم . وقوله « غَدًا » لم يُشِرْ به
إلى اليوم الذي يَلِي يومَهُ ، وإِنَّمَا دَلَّ على تقريـب الأمر ، فكأنه قال : تلاقوا
خَيْلِي قَرِيبًا على هذا الماء^(٢) .

٣- تُلَاقُوا جِيَادًا لَا تَجِيدُ عَنْ الْوَعَى إِذَا مَا غَدَتْ فِي الْمَازِقِ الْمُتَدَانِي

الْوَعَى ، أصله ، الْجَلْبَةُ والصَّوْتُ ، وكذلك الوَعَى بالعَيْن غير معجمة . قال :

* كَأَنَّ وَعَى الْخُمُوشِ بِجَانِبَيْهَا^(٣) *

وَجِيَادٌ هَاهُنَا : جَمْعُ جَوَادٍ ، يقال فَرَسٌ جَوَادٌ : عَتِيقٌ ، وخَيْلٌ جِيَادٌ :
عَمَاقٌ . وفي غير هذا المكان يكون جمع جَيِّدٍ . وتُلَاقُوا بَدَل من تَلَاقُوا الْأَوَّلَ .
نَبَّهَ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْخَيْلِ الْفُرْسَانُ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمُ الْخَيْلُ وَالرَّجُلُ .
قال الله تعالى : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ ﴾ ، ولهذا قال فيما بعده :

(١) السخرية ، وردت في النسختين بتشديد الياء ، وهو مصدر سخر به ، كما في اللسان ،
ولم ترد في التماموس . والسخرية بتشفيف الياء اسم منه .

(٢) ابن جني : « وبني شيبان منصوب على نداء المضاف البتة في القولين جميعا ، كفولك
مع التنوين رفقا بابني شيبان ، وكذلك حاله إذا بناه وجمله اسما للفعل في الأمر كأنه قال : رويدكم
يابني شيبان ، أي انتظروا الأمر يابني شيبان . فإن قلت : فهل تجيز أن تكون بني شيبان مع
تكون رويد اسما للفعل مجرورا بإضافة رويد هذه إليه ، كما تقول في الكاف والميم ، من رويدكم
إنها مجرور بإضافة هذا الاسم المبني عليه ويستدل على أنها اسم لا حرف خطاب بما حكاه سيبويه
عنهم من قولهم رويدكم أجمعين وأجمعون ، فأجيبين توكيد للكاف والميم ، وأجمعون توكيد للضمير
المرفوع فيه . فالجواب أن ذلك لا يجوز هنا ، من قبل أن هذه الأسماء المسمى بها الأفعال
لا يؤمر بها الغائب ، وإنما هي موضوعة لأمر الحاضر » .

(٣) للمتخيل الهزل ، كما في اللسان (خش ، وعى ، وغى) وديوان الهذليين (٤ =

٢٥٥) . وصواب الرواية « بجانبه » لأنه في صفة ماء . وعجزه :

* وعى ركب أميم ذوى زياط *

« تُلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبَرُهم ». ويموز أن يكون أراد بالخيل الدواب، ووصفها بأنها لا تجبن عن الوغى، لِدَوَامِ مُمارستها له، وتعودها إِيَّاهُ. ثم خَبَّرَ في قوله: « تُلَاقُوهم » عن أربابها، فيقول: أَرْفُقُوا تُلَاقُوا فُرُسَنَا كِرَامًا لَا تَمَلُّ الحروبَ وَلَا تَعْدِلُ عنها إذا ابْتَكَرَتْ في مَضِيقِ منها، تتلاحمُ فيه الفُرسان وتَتَدَايى فيه الأبطالُ والشُّجعان. وإنما قال ذلك لأنه مع التَدَانِي لا يكون إلا التَّجَالُدُ، وعنده تَشَكُّلُ الأُمَّهَات. وَالْمَازِقُ: المَضِيقُ، وكان أصله من الأَزَقِ في الحرب، فهو مَفْعِلٌ منه.

٣- تُلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبَرُهم عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الحَدَثَانِ

قوله « على ما جنت » يريد على جنابة. وموضعه نصبٌ على الحال، والعايلُ فيه تَعْرِفُوا. أو تُلَاقُوا. يقول: تُلَاقُوا من بِلَاهِمَ مَا يُسْتَدَلُّ به على حُسن صبرهم وثباتهم في جِلَادِهِم، هذا مع تحامُلِ الزَّمانِ عليهم، وسوءِ تأثيرِ الدَّهرِ فيهم. وأصل الصبر: الحُبْسُ، ومنه قُتِلَ فلانٌ صَبْرًا. وَحَدَثُ الدَّهرِ وأَحْدَاثُهُ وَحَدَثَانُهُ وحوادثه: نَوَازِلُهُ.

٤- مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرُّوعِ خَطَوُهم بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ

مَقَادِيمُ: جمع مِقْدَامٍ. وبشبه هذا البيت قوله:

إذا قَصُرَتْ أسيافنا كان وصلها خُطَانَا إلى أعدائنا للتضارب^(١)

وقد مرَّ مثله، لكنَّ في هذا قَلْبًا، وذلك أنه قال: وَصَّالُونَ خَطَوُهم بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ، وكان الواجب أن يقول: كُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ يَخْطُوهم. ألا ترى أنه قال: إذا قَصُرَتْ أسيافنا وصلناها بِخُطَانَا؟ وقال الآخر:

(١) سبق البيت في ص ١٠٩.

* نَصِلُ السِّيفَ إِذَا قَصُرْنَ بِمُخْطُونَا ^(١) *

ومثل هذا البيت في القلب بل في تبين جواز القلب ، وقول مُحَيِّد بن ثور :
نَصِلُ الْخَطَى بِالسِّيفِ وَالسِّيفَ بِالْخَطَى إِذَا ظَنُّ أَنْ السِّيفَ ذَا الْأَثْرِ قَاصِرٌ
٥ - إِذَا اسْتَنْجَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَاهُمْ لَأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ ^(٢)
هذا مثل قوله :

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا ^(٣)
والمعنى : إِنَّا لَا نَطْلُبُ الْعِلَلَ عَلَى الْمُسْتَنْجِدِ تَوْصُّلاً إِلَى دَفْعِهِ أَوْ مَطْلِهِ ،
ولكننا نَعْجَلُ غَوْنَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ . والاستنجد : الاستعراخ . ورجل
مِنْجَادٌ : مِعْوَانٌ ، وقد أَنْجَدَنِي ، ويقالُ هُوَ نَجَّدَ مِنْ قَوْمٍ أَنْجَادٌ . ومثله
قول الآخر :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرِخٌ كَانَ الشَّرَاخُ لَهُ قَرْنٌ الظَّنَّابِيبِ ^(٤)

١٨

سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ السَّعْدِيِّ ^(٥) :

مِنْ سَعْدِ بْنِ تَمِيمٍ . وَقَالَ الْبَرَقِيُّ : مِنْ سَعْدِ بْنِ كَلَابٍ .

١ - فَلَوْ سَأَلْتُ مَرَّةً أَحَدِي سَلَمَى عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوْنَ بِي زَمَانِي

(١) لكعب بن مالك الأنصاري كما في الخزانة ٣ : ٢٢ والسيرة ٧٠٥ - ٧٠٦ وشرح
شواهد المعنى ١٢٢ . ونسبه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢٧٩ إلى ربيعة بن مقروم . وعجزه :
* قدما وناحقها إذا لم تلاحق *

(٢) م : « أم لأى مكان » .

(٣) البيت ٤ من الحماسة الأولى .

(٤) لسلامة بن جندل في المفضليات (١ : ١٢٣) .

(٥) المضرب بتشديد الراء المفتوحة ، ذكر النهر يزي أنه سمى بذلك لأنه شبيب بامرأة
فحلف أخوها ليضربه بالسيف مائة ضربة ، فضربه فقتل عليه ، فسمى مضرباً لذلك . وهو شاعر
إسلامي ، ذكر المبرد في الكامل ٢٨٩ ، ٦٦٦ أنه هرب من الحجاج ، وتلى :
أقاتلي الحجاج إن لم أزر له دراب واترك عند هند نواديا
وذكره الآمدي في المؤتلف ١٨٣ .

سَرَاةُ النَّاسِ : خِيَارُهُمْ . وَشَرَاةُ الْإِبِلِ بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةٌ : كِرَاهُهَا . وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ ^(١) . وَقَالَ الْخَلِيلُ : السَّرْوُ : سَخَاءٌ فِي مَرْوَةٍ . وَسَرَا يَسْرُو فَهُوَ سَرِيٌّ وَقَوْمٌ سَرَاةٌ ، وَلَمْ يَجِئْ عَلَى قَعْلَةٍ غَيْرِهَا . يَعْنِي أَنَّ قَعْلَةً يُخْتَصُّ بِهَا الصَّحِيحُ فِي الْجَمْعِ دُونَ الْمَعْتَلِّ ، وَذَلِكَ كَالْفَجْرَةِ وَالنَّسَقَةِ . وَتَلَوْنُ الزَّمَانِ يَشِيرُ بِهِ إِلَى تَصَارُيفِهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ . فَيَقُولُ : لَوْ بَحِثْتُ هَذِهِ الْمَرَأَةَ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِهَا عَلَى تَبَدُّلِ الْأَبْدَالِ ، وَتَغْيِيرِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ بِي فِيمَا مَضَى ، وَتَنَقُّلِ الْأَحْدَاثِ عَلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَجَوَابُ « لَوْ » يَجِيءُ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِ : « أَنْ تَلَوْنَ » ، وَأَنْ إِذَا وُصِّلَ بِالْمَاضِي أَفَادَ حَدَثًا مَاضِيًا ، وَإِذَا وُصِّلَ بِالْمُسْتَقْبَلِ أَفَادَ حَدَثًا مُسْتَقْبَلًا .

٢ - لَخَبَّرَهَا ذَوُو أَحْسَابٍ قَوْمِي وَأَعْدَائِي فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي

قَوْلُهُ : « لَخَبَّرَهَا » جَوَابُ لَوْ . وَأَحْسَابٌ : جَمْعُ حَسَبٍ ، وَهُوَ مَا يُحْسَبُ وَيُعَدُّ عِنْدَ التَّفَاخُرِ . يَقُولُ : لَوْ سَأَلْتُ لِأَنْبَاءِهَا بِخَبَرِي أَشْرَافُ قَوْمِي ، وَأَمَانِلُ أَعْدَائِي ، فَكُلُّ مِنْهُمْ قَدْ خَبَّرَنِي . يَشِيرُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ زَعَاءَ قَبِيلَتِهِ وَذَوِي الشَّرَفِ مِنْ رَهْطِهِ ، يَتَرَفُّونَ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِمَا يَكْسِبُهُ جَمِيلَ الذِّكْرِ ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ عَلَى مَا قَاسَوْا مِنْ وَقَعَاتِهِ بِهِمْ ، وَكَابَدُوا مِنْ بَدْرَاتِهِ فِيهِمْ ، لَا يَجْحَدُونَ تَبَرُّزَهُ ، وَلَا يُنْكِرُونَ تَقْدِيمَهُ . وَمَنْ اعْتَرَفَ لَهُ بِالْفَضْلِ مُوَالِيَهُ وَمُعَادِيَهُ ، وَصَدَّقَهُ فِي دَعْوَاهِ أَقَارِبُهُ وَأَجَانِبُهُ ، فَهُوَ النَّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ ، وَالْغَايَةُ عِنْدَ الْبَحْثِ عَنِ الْفَعَالِ . وَقَوْلُهُ : « فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي » اعْتِرَاضٌ حَصَلَ بَيْنَ خَبَرٍ وَمَفْعُولِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « بِذَنِّي الذَّمَّ » ، وَالْفَاءُ دَخَلَتْ مَعْلَقَةً لْجَوَابِ الْجُمْلَةِ بِهَا .

٣ - بِذَنِّي الذَّمَّ عَنْ حَسَبِي بِمَالِي وَزَبُونَاتِ أَشْوَسَ تَيْحَانِ

الْبَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « بِذَنِّي » تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ لَخَبَّرَهَا . وَكَأَنَّ الْإِخْبَارَ بِحَسَنِ دِفَاعِهِ

عن حَسَبِهِ بِمَالِهِ ، وَكَرَّمْ مُحَافَظَتَهُ عَلَى شَرَفِهِ وَحَالِهِ ، مِنْ تَرْكِه ذَوَى الْأَحْسَابِ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَثِقَاتِهِمْ عَلَيْهِ ، وَالْإِنْبَاءَ بِدَفْعِهِ مَعَرَّةَ الْأَشْوَاسِ التَّيَّحَانِ ، مِنْ إِبْخَارِ أَعْدَائِهِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ . فَكَمَا أَجَلَ فِي الْأَوَّلِ أَجَلَ فِي الثَّانِي ، ثَقَّةً بِأَنْ مَسَامِعَ عِنْدَ التَّفْصِيلِ يَرُدُّ كُلًّا إِلَى مَوْضِعِهِ . وَإِنَّمَا خَصَّ ذَوَى الْأَحْسَابِ مِنْ قَوْمِهِ لِأَنَّ شَهَادَتَهُمْ أَوْجَهَ ، وَالتَّحَاسُدُ لَهُمْ أَشْمَلُ ، وَالْقَرِينُ بِمُقَارِنِهِ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ : « زَبُونَاتِ » فَعُولَاتٌ مِنَ الزَّبْنِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ . وَالتَّيَّحَانُ : الْعَرِيضُ الْمَقْدَامُ ، وَهُوَ فِعْلَانٌ بَفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَمُوزُ أَنْ يُرَوَى بِكَسَرِهَا ، لِأَنَّ فِعْلَانٌ لَمْ يَحْ يَحْ فِي الصَّحِيحِ فَيُبْنَى الْمَعْتَلُّ عَلَيْهِ قِيَاسًا . وَفِعْلٌ كَسِيدٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْمَعْتَلِّ . وَمِثْلُ تَيَّحَانٍ هَيَّيَّانٌ ، وَهِيَ صِفَتَانِ حَكَمَا سَبِيوِيهِ بِالْفَتْحِ ، وَمِثْلُهُمَا مِنَ الصَّحِيحِ قَيَّحَانٌ وَسَيَّحَانٌ . وَتَيَّحَانٌ ، مَنْ تَاحَ لَهُ يَتَوَحُّ وَيَتَيَّحُ افْتِنَانٌ ، إِذَا أَشْرَفَ وَتَهَيَّأَ . وَرَجُلٌ مَتَيَّحٌ ، وَيُقَالُ قَلْبٌ مَتَيَّحٌ أَيْضًا . وَأَتَيَّحَ لَهُ كَذَا . وَمِثْلُ الزَّبُونِ الْبَيْتُوتِ ، وَهُوَ السَّقِيظُ ^(١) ، وَالْهَمُّ الْمُبَايَتُ لِصَاحِبِهِ . يُقَالُ زَبَنْتَهُمُ الْحَرْبُ ، وَحَرْبُ زَبُونٌ وَطَحُونٌ . وَالزَّبْنِيَّةُ وَاحِدُ الزَّبَانِيَّاتِ مِنْ هَذَا . وَفِعْلِيَّةٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَلْزِمُهَا الْمَاءُ . وَالْأَشْوَاسُ : الَّذِي يُعْرِفُ فِي نَظَرِهِ الْغَضَبُ وَالْحَقْدُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْمَتَكَبَّرِ وَالْمَهِيْبِ .

٤ - وَأَيْنِي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مَجْنَّ جَانٍ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَاها وَلِيَّهٗ فَأَسَى وَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى ^(٢) وَيُرَوَّى : « وَأَيْنِي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ » فَيَعْطَفُ عَلَى بَذْنِي الذَّمَّ ، وَيَكُونُ مَوْضِعُهُ جَرًّا ، وَيَكُونُ هَذَا مِمَّا شَهِدَ بِهِ الْأَعْدَاءُ لَهُ أَيْضًا . فَإِنْ كَسَرْتَ إِنِّي

(١) السَّقِيظُ مَا سَقَطَ مِنَ النَّدَى عَلَى الْأَرْضِ .

(٢) آذَاهُ : عَاوَذَهُ . وَهَذِهِ رَأْيَةُ م . وَفِي الْأَصْلِيِّ : « وَأَذَاهُ » بِالذَّالِ مَعْجَمَةٌ .

فهو على الاستئناف والانتطاع عما قبله . والمعنى : إني ألدس الحروب وأمارسها دائماً ، فإذا لم يكن لي من أحوالي وزماني ما يبعثني على مجاذبة الأعداء ومدافعتهم ، طلبت من قد شقي بمثل ذلك ، فداقتُ دونه وحاميتُ عليه ، لأنني لا أصبر على حال السلامة والسلم . ومثله قول الآخر :

وما إن تراه الدهر إلا مُغرراً بنفسٍ أبت إلا صعباً للمراكب

١٩

آخر^(١) :

١- ولقد شهدت الخيل يوم طرادها فطعننت تحت كنفانة الممطر^(٢)

يقال : تمطر الرجل ، إذا أسرع . ويقال مطر به ، وقطر به ، إذا بادر^(٣) . وأراد بالخيال الفرسان ، كأنه يخاطب بهذا الكلام من شهد معه المعركة ، فغيره بمعاملته الممطر الذي عهدته ، وقوله : « تحت كنفانة » أشار به إلى المقتل . وهذا الممطر كأنه كان بارزه ، أو أراد أن يبادر إلى أمر ، فحال بينه وبينه . والكنفانة من الكنف : الستر ، لأنه يصفان بها النبل .

٢- ولقد رأيت غداة شلن عليكم شول المخاض أبت على المتغير^(٤)

يُروى : « ولقد رأيت الخيل شلن عليكم » ، أي شائلة . والتقدير : وقد شلن . وأراد بالخيال هاهنا الدواب ، وهي تشول بأذنابها إذا اشتد عذوها ؛

(١) التبريزي : « قال أبو ريش : هذه الأبيات لبعض بني تيم الله بن ثعلبة ، يوم أواره وأجاره : موضع ، وهو الموضع الذي أحرق به عمرو بن هند بني دارم » .

(٢) أشار التبريزي إلى رواية : « لبابة الممطر » ، وقال : اللبابة : ثوب يتطلب به الرجل على ثيابه ، إذا تحزم لحرب .

(٣) التبريزي : « والممطر : اسم رجل من لحم ، وهو من قولهم : تمطر الـ جل ، إذا أسرع » .

(٤) ترتب هذا البيت عند التبريزي ثالث الأبيات ، وثالثها هنا ثانياً عنده .

وَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ مِنْهَا عَلَى قُوَّةِ ظَهَرِهَا . فيقول : لقد رأيتكم منهزمين والخيـل
تعدو عليكم رافعةً أذنانها ، رَفَعَ النُّوقِ الحَوَامِلَ لها إذا طُلِبَ حَلَبُ غُبْرِ لَبْنِهَا .
وَالْغُبْرُ : البَقِيَّةُ تَبَقَى مِنَ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ . وَيُقَالُ : تَغَبَّرْتُ الْغُبْرَ ، كما يُقَالُ
تَحَلَّبْتُ الحَلُوبَ . وَالْحَاضُ لاَ وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا ، وهى اسم مفردٌ موضوع
لِلنُّوقِ الحَوَامِلِ ، والواحد من غير لفظها : خَلْفَةٌ . وقوله : « أَبَتُّ عَلَى الْمُتَغَبِّرِ »
قَدْ مَعَهُ مَضْمَرَةٌ ، وهو واقعٌ موقع الحال . أراد : رأيتُ الخيـلَ شائِلَةً أَذْنَائِهَا
عليكم شَوْلَ الحَاضِ آيَةً عَلَى الْمُتَغَبِّرِ . ومن روى : « ولقد رأيتُ غَدَاةً » فقد
أَضْمَرَ مَفْعُولَ رَأَيْتُ ، وهو الخيـلُ . وساغ ذلك ، لأنَّ قوله ولقد شهدتُ الخيـلَ
— وإن أريد به الفُرسان — يدلُّ عليه .

٣- وَنُطَاعِنُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَعَلَى بَصَائِرِنَا وَلَمْ نُبْصِرْ
ذَكَرَ الْأَبْنَاءَ كِتَابَةً عَنِ الْحَرَمِ ، كما قال الآخر :
* نُقَاتِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ بَنِينَا *

والبصائر : جمع بصيرة ، وهو ما يستدلُّ به الرجلُ من رأيه وَعَقْلِهِ عَلَى
ما يَغِيبُ مِنْهُ . وعلى ذا سُمِّيَتِ الطَّرِيقَةُ مِنَ الدِّمِ بصيرةً ، لَأَنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى
الْجُرْحِ ، وفسر قوله :

رَاحُوا بِصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتْدُ وَأَيُّ (١)

على الوجهين جميعاً . فإذا جعلتها بصائر الرأى يكون المعنى خَلَفُوا آرَاءَهُمْ
وَطَرَحُوهَا ، كما يقال تَرَكْتُ الرأى بِمَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، وَجَعَلْتُ غَدَاً مَنًى حَلًى
ظَهَرَ (٢) . ومعنى « وبصيرتي يعدو بها عتد وأى » أن رأيه معه نافذٌ مستمرٌ ،

(١) (١) للأصمعيّ من قصيدة في أول الأسمعيات طبع لييسك . وأثدده في اللسان (وأى) .

(٢) م : « بظهر » .

وإذا جَمَلَتْهَا بِصَائِرِ الدَّمِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ مَكْلُومُونَ^(١) فِي ظُهُورِهِمْ وَأَقْفَانِهِمْ ، فِدْمَاؤُهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ . وَمَعْنَى « وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَيُّ » فِي هَذَا الْوَجْهِ أَنَّ دَمِي سَالَمٌ فِي نَفْسِي وَفَرَسِي يَفْعُدُونِي . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنَّا نَدَافِعُ عَنْ حُرْمَتِنَا وَحَرِيمِنَا ، وَعَلَى مَا يَمْتَرِضُ فِي الْوَقْتِ ، نَفْعَلُ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ نُبْصِرْ عَاقِبَةَ الْأَمْرِ ، وَلَمْ تَتَذَبَّعْهَا بِالْفَكْرِ فِيهَا ، وَتَأْمُلُ نَتَائِجَهَا ، فَتَعْلَمَ مَوَادَّهَا . وَهَذَا شَأْنُ الْفُتَّاكِ فِيمَا يُبْشِرُونَهُ مِنْ أَحْكَامِ الْحَرْبِ وَيَنْقِذُونَهُ ، وَيَفْتَلُونَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْجَذَابِ وَالنِّزَاعِ وَيُبْرِيمُونَهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِنَّهُ كَمَا حُكِيَ عَنْ مُسْئِلِمَةَ حِينَ قَالَ لِبَنِي حَنِيفَةَ : « قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ ، فَأَمَّا الدِّينُ فَلَا دِينَ » . وَكَأَنَّ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا : وَعَلَى بِصَائِرِنَا فِي الْحَرْبِ عِنْدَ الْحَافِظَةِ عَلَى الشَّرَفِ وَإِنْ لَمْ نُبْصِرْ أَمْرَ الدِّينِ . وَهَذَا بَعِيدٌ مَتَعَسِّفٌ ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَ لَكَ . وَفِي الطَّرِيقَةِ الْأُولَى قَوْلُ التُّطَائِمِيِّ :

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعُهُ اتِّبَاعًا

وَسَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِ الْمَعَانِي يَقُولُ : الْمَعْنَى إِنَّا نَقَاتِلُ الْأَبْطَالَ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ النَّاسِ عِنْدَ نَظَرِهِمْ لِدُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ ، فِي الذَّبِّ عَنِ الْحَرَمِ وَالْمَشِيرَةِ وَالشَّرَفِ ، وَعَلَى الْأَدْيَانِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ وَالْبَصَائِرِ ، وَإِنْ لَمْ نُبْصِرْ وَجْهًا وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ نَقَاتِلُ أَيْضًا ، لِأَنَّ هَمَّانَا الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ . قَالَ : فَحُذِفَ مَفْعُولُ وَإِنْ لَمْ نُبْصِرْ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ . وَكَذَلِكَ حُذِفَ جَوَابُ إِنْ ، لِأَنَّ فِيمَا تَقْدَّمَ دَلِيلًا عَلَيْهِ .

٢٠

القطريُّ بن الفجاءة المازني^(١)

١ - لَا يَزْكَنَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْأَحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ

قَصْدُهُ إِلَى الْبُعْثِ وَالتَّحْضِيضِ ، عَلَى التَّغْرِيرِ بِنَفْسِهِ وَالتَّعْرِيفِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَحْتَثُّ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى تَرْكِ الْفِكْرِ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَرَفْضِ التَّحَرُّزِ خَوْفًا مِنَ الْعَاطِبِ . وَيُنَبِّهُ عَلَى أَنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْأَجَلَ إِذَا جَاءَ لَمْ تُغْنِ مَعَهُ قُوَّةُ الْأَمَلِ ، فَيَقُولُ : لَا يَمِيلَنَّ أَحَدٌ إِلَى هَجْرِ الْإِقْدَامِ ، وَالسَّكُونِ إِلَى الْإِحْجَامِ فِي الْحَرْبِ مُتَخَشِّعًا مِنَ الْمَوْتِ . وَالْإِحْجَامُ : مَطَاوَعَةٌ حَجَمْتُ أَى كَفَفْتُ وَدَفَعْتُ . فَهُوَ كَالْإِكْبَابِ فِي أَنَّهُ لِمَطَاوَعَةٍ كَبِئْتُ . وَيَقَالُ حَجَمْتُ الْبَعِيرَ ، إِذَا خَطَمْتَهُ بِمَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْعَضِّ ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الشَّيْءَ الْحِجَامَ .

٢ - فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاكِ دَرِيئَةً مِنْ عَنِّ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي

الدَّرِيئَةُ تَهْمَزُ وَلَا تَهْمَزُ ، فَتُجْعَلُ مِنَ الدَّرَاءِ وَهُوَ الدَّفْعُ ، وَمِنَ الدَّرِيِّ وَهُوَ الْحَتْلُ ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ الدَّابَّةُ الَّتِي يَحْتَلُّ بِهَا الصَّيْدُ لِيُمْكِنَ فَيْرَمَى : دَرِيئَةً ، وَالْحَلَقَةُ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنُ دَرِيئَةً . وَيُمْكِنُ حَمْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا . فَإِذَا جَعَلْتَ الدَّرِيئَةَ الْحَلَقَةَ يَقُولُ : لَا يَفْعَلَنَّ ذَلِكَ أَحَدٌ وَلِيَعْتَبَرَ بِحَالِي ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ نَفْسِي فِي غَيْرِ وَقْتٍ وَحَالٍ ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَاكِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلَقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنُ ، فَتَأْتِينِي الرَّمَاكُ مِنْ جَوَانِبِي كُلِّهَا ثُمَّ سَلِمْتُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ

(١) قطري أحد زعماء الخوارج ، خرج زمان مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله . وكانت ولاية مصعب في سنة ٦٦ للهجرة ، فبقى قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش فيهمزه ، ولم يزل كذلك حتى توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ . وقطري : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وليس قطري اسما له ، بل اسمه جمونة بن مازن . وفيات الأعيان .

اليمين والقدّام لأنه يعلم أن اليسار في ذلك كاليمين . فأما الظّهر فإن الفارس لا يمكنُ منه أحداً . وإذا جَلَعَتِ الدَّرِيَّةُ الدَّابَّةَ الموصوفة بكون المعنى : فلقد أرانى وقد اتَّقَيْتَ بى فِصْرَتُ سُرَّةٍ لغيرى من الطَّعن ، كما تكون تلك الدَّابَّةُ سُرَّةً للصائد^(١) والطعنُ يتناولنى . وعلى هذا يكون معنى « للرِّماح » من أجل الرِّماح . والأوّلُ أحسنُ . وقوله : « مِنْ عَنْ يَمِينِي » مِنْ تَعَلَّقَ بِفِعْلٍ دَلَّ عَلَيْهِ قوله أرانى دَرِيَّةً للرِّماح ، وهو تأتيني وما يجرى مجراه . وعن من قوله « عَنْ يَمِينِي » اسمٌ هاهنا ، وإيس بحَرْفٍ . والمعنى من جانب يميني ، ومثله قول الأعشى^(٢) :

* مِنْ عَنْ يَمِينِ الْحَبِيَّاءِ نَظْرَةٌ قَبْلُ^(٣) *

وقول الآخر :

ه مِنْ عَنْ يَمِينِ الدَّارِ وَالْحَائِطِ *

٣- حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرْجِي أَوْ عِنَانَ لِحْجَامِي .

وقوله « أَوْ عِنَانَ لِحْجَامِي » ، أو هاهنا ليست للشك ، وإنما هي التي يُراد بها أحدُ الأمرين على طريق التعاقب ، أى إمّا ذا وإمّا ذا . ولك أن تريد الجمع ، لأن أصل « أَوْ » الإباحة . وهذا كما يُسأل الرجل فيقال له : ما كان طعامك في بَدَلِك ؟ فيقول : الحِنْطَةُ ، أو الأرز . والمعنى أحد هذين ، على أن يكون كلُّ واحد منهما بدلاً من صاحبه أو الجميع . ومعنى البيت : انتصبتُ للرِّماح حتى خَضَبْتُ بِمَا سَالَ مِنْ دَمِي إمّا عِنَانَ لِحْجَامِي وإمّا جَوَانِبَ سَرْجِي ، أى على

(١) في الأصل : « للصيد » وأثبتنا ما في م .

(٢) كذا . والصواب أنه القطاعى ، كما في اللسان (عن) وديوان القطاعى ه .

(٣) صدره : * فقلت للركب لما أن علا بهم

حَسَبَ مَا اتَّفَقَ مِنَ الطَّعْنِ . فَالْعَيْنَانِ لَمَّا سَالَ مِنْ أَعَالِيهِ ، وَجَوَانِبِ السَّرَجِ لَمَّا سَالَ مِنْ أَسَافِهِ .

٤- ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جَذَعَ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإِقْدَامِ
الْجُدُوعَةُ قَبْلَ الْإِنْتَاءِ بَسَنَةً ، وَالذَّهْرُ لَجْدَتِهِ يُسَمَّى جَذَعًا ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِمَنْ
يُرَى فِي أَمْرٍ مَا عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ : هُوَ جَذَعٌ فِيهِ . وَانْتِصَابُ « جَذَعَ البَصِيرَةِ »
عَلَى أَنَّهُ حَالٌ وَهُوَ نَكْرَةٌ . وَالْمَعْنَى ثُمَّ انصرفت مع ما وصفتُ من حَالِي وَاتَّفَقَ
مَعَ ضَيْقِ الْمَجَالِ عَلَيَّ ، وَقَدْ نِلْتُ مَا أَرَدْتُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنِّي مَا أَرَادُوا ،
وَأَنَا عَلَى بَصِيرَتِي الْأُولَى لَمْ يَبْدُ لِي فِي الْاِقْتِعَامِ ، وَلَا غَلَبَ فِي اخْتِيَارِي التَّطَرُّفِ
وَالانْحِرَافِ ، بَلْ صَارَ إِقْدَامِي فِي الْحَرْبِ قَارِحًا طَوْلَ مِمَارَسَتِي ، وَتَكَرَّرَ^(١)
مِبارزَتِي ، وَإِنْ كَانَ بَقِيَ رَأْيِي فِيهِ جَذَعًا . وَهَذَا يَرِيدُ بِهِ مَا يَتَرَقَّى فِيهِ الْإِنْسَانُ
مِنَ التَّدْرِبِ وَالتَّمَرُّنِ عِنْدَ مِرَاوِلَةِ الْأَعْمَالِ ، وَمِنْ بَقَاءِ وَلُوعِهِ بِهَا ، وَحِرْصِهِ
عَلَيْهَا عَلَى حَدِّهِ فِي أَوَّلِ الشَّأْنِ . وَكَأَنَّ جَمَلَ هَذَا الْقُرُوحِ وَالْجُدُوعَةِ : الْبَصِيرَةِ
وَالْإِقْدَامِ ، قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

* كَهْلُ الْأَنَاءَةِ فَتَى الشَّدَاةِ^(٢) *

فَنَقَلَهُ كَمَا تَرَى . وَاقْتَدَى بِهِ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ :

* إِقْدَامُ غَيْرٍ وَاعْتِزَامُ مُجَرَّبٍ^(٣) *

وَقَدْ أَشَارَ الْأَعَشَى إِلَى كُلِّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَتَكَنَّهُ » ، وَاثْبَتْنَا مَا فِي م .

(٢) هُوَ بَتَامَهُ كَمَا فِي الْدِيَوَانِ ٢٠٧ :

كَهْلُ الْأَنَاءَةِ فَتَى الشَّدَاةِ إِذَا عَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْقَشْعَمُ الْغَطْرِيفَا

(٣) فِي دِيَوَانِ الْبَحْتَرِيِّ ٢٠ :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ لَيْثٍ وَاعْتِزَامُ مُجَرَّبٍ

* تَمَهَّلَ فِي الْحَرْبِ حَتَّى امْتَنَ (١) *

وفي طريقته قَوْلُ أَبِي الْغُولِ :

وَلَا تَبْلَى بَسَاتِهِمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا لِلْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ (٢)

٢

الْحَرِيشُ ، وَيُرْوَى لِلْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ (٣) :

١ - مَهْدَنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٍ حُنَيْنًا وَهِيَ دَامِيَةُ الْحَوَامِي

الْحَوَامِي مِنَ الْحِمَاةِ ، وَهِيَ الْمَنَعُ . وَكَمَا جَعَلُوا لِلْحَوَافِرِ حَوَامِيَ سَمَّوْا مَا يُطَوَّى بِهِ الْبُتْرُ مِنَ الْحَجَارَةِ وَغَيْرِهَا لِيَحْمِيَ جَوَانِبَهَا مِنَ التَّشْعُثِ وَالتَّهْدُمِ : حَوَامِي . يَصِفُ خَيْلًا فَيَقُولُ : حَضَرْتُ حُنَيْنًا مَعَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَلَى آلِهِ ، مُعَلَّمَاتٍ وَقَدْ دَمِيَتْ جَوَانِبُ حَوَافِرِهَا لَكثْرَةِ الْعَدُوِّ ، وَلَمَّا لَحِقَهَا مِنَ التَّعَبِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا هَوَازِنَ بَوَادِي حُنَيْنٍ ، وَرَثِيسُ هَوَازِنَ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ دُرَيْدُ ابْنُ الصَّمَّةِ الْجُشَمِيُّ . وَإِنَّمَا قَالَ « مُسَوَّمَاتٍ » لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَاتٍ لِيَبَيِّنَ بِهَا فَضْلَ كُلِّ مِنْهُمْ وَبِلَاؤِهِ . وَالسِّيَآءُ : الْعَلَامَةُ ، وَقَدْ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَانْخِلِ السُّوْمَةَ ﴾ عَلَى ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ﴾ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي م : « امْتَحَنَ » . وَفِي الدِّيَوَانِ ٢١ : « حَتَّى امْتَحَنَ » . وَاللَّسَانُ (تَحَنَنَ) : « حَتَّى امْتَحَنَ » . وَصَدْرُهُ :

* عَلَيْهِ سِلَاحٌ أَمْرِي مُجَادِدٌ *

(٢) أَنْظَرَ الْحِمَاةَ ٣ : ٤ .

(٣) الْبَرِيزِيُّ : « وَقَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هَلَالٍ الْقُرَيْعِيُّ ، وَيُرْوَى لِلْجَحَافِ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ عَاصِمٍ » . وَالْحَرِيشُ هَذَا مُخْتَلَفٌ فِي صَحْبَتِهِ . أَنْظَرَ الْإِصَابَةَ ٢٠٨٣ . وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ فَهُوَ صَحَابِيُّ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ . أَنْظَرَ تَرْجُمَتَهُ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٢٥٩ وَالْأَغَانِي (١٣ : ٦٢ - ٧٠) وَالْخَزَائِفَةَ (١ - ٧١ - ٧٤) وَالْمَرْزَبَانِي ٢٦٢ - ٣٦٣ . عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ رَوَاهَا الْأَعْلَمُ فِي شَرْحِ الْهَمَاسَةِ لِحَفَافِ بْنِ نَدْبَةَ . أَنْظَرَ الْإِصَابَةَ ٢٠٨٣ .

٢ - وَوَقْعَةَ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَحَكَّتْ سَنَا بِكُهَا عَلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ

أصلُ الحَكِّ صَدْمُ جَسْمٍ بِآخَرٍ وَتَرْدِيدهُ عَلَيْهِ لِيؤْثِرَ فِيهِ . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ
فَقَالُوا : حَكَّ هَذَا الْأَمْرُ فِي صَدْرِي ، لِمَا يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِكَ . وَهُوَ يَتَحَكَّكُ
بِفُلَانٍ أَيْ يَتَعَرَّضُ لَهُ ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الْخَفِيِّ : هُوَ حَكَّيكَ نَحِيْتُ ^(١) .
وَيَعْنِي خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُعِيرَةِ . وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ ، وَإِنَّمَا نَسَبَهَا إِلَى
خَالِدٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ خَالِدًا يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى الْخَلِيلِ فَلَقِيَ
قُرَيْشًا بِالْخُنْدَمَةِ ^(٢) ، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ . فَيَقُولُ : وَحَضَرَتْ أَيْضًا وَقْعَةُ خَالِدٍ يَوْمَ
الْفَتْحِ ، وَحَكَّتْ أَطْرَافَ حَوَافِرِهَا بِأَرْضِ الْحَرَمِ . وَالْمُرَادُ بَيَانُ طَوْلِ مُمَارَسَتِهَا
لِلْحُرُوبِ وَالْوَقَعَاتِ ، وَتَرَدُّدِهَا فِي تَحْمُلِ أَعْبَاءِ الشَّرِّ وَالْمَشَقَّاتِ .

٣ - نَعْرِضُ لِلسُّيُوفِ بِكُلِّ ثَغَرٍ خُدُودًا مَا تُعْرِضُ لِلطَّامِ
مَثَلُهُ :

نَهَيْنُ النَّفُوسَ وَهُنُ النَّفُوسِ سِ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ أَوْقَى لَهَا ^(٣)
يَقُولُ : نَبْتَذِلُ فِي الْحُرُوبِ أَنْفُسَنَا طَلِبًا لَصِيَائِهَا ، وَنَسْتَقْتُلُ فَنَتَعَرَّضُ
وَلَا نَنْقَبِضُ ^(٤) عَنْهَا ، بَلْ نَبْذِلُ لَهَا وَجُوهَنَا الَّتِي هِيَ حَرَمُ النَّفُوسِ ، وَلَوْ عَرِضَ
عَلَيْنَا فِي السَّلْمِ وَالسَّلَامَةِ بِذُلِّهَا لِلطَّامِ ، لَا نَفْنَأُ مِنْهُ وَامْتَنَعْنَا . وَالْمَعْنَى : تَتَأَقَّى السُّيُوفُ
بِخُدُودِنَا إِذَا كَسَبْنَا ذِكْرًا ، وَإِنْ صُنَّاهَا عَنْ الْأَذَى الْيَسِيرِ . وَأَكْشَفُ مِنْ
هَذَا وَأَشْرَفُ قَوْلُ الْآخَرِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « نَحِيْتُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) الْخُنْدَمَةُ : جَبَلٌ بِمَكَّةَ .

(٣) لِلنَّفْسَاءِ ، كَمَا فِي الْخَيَوَانِ (٦ : ٤٢٧) . عَلَى أَنَّ أَقْرَبَ تَمْثِيلٍ لَهُ هُوَ قَوْلُ الْقِتَالِ

الْكَلَابِيِّ ، فِي الْكَامِلِ ٦٧ :

نَعْرِضُ لِلطَّامِ إِذَا التَّفِينَا وَجُوهَا لَا تُعْرِضُ لِلسَّابِ

(٤) م : « نَنْقَبِضُ » .

وَيَبْتَدِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ نَفْسَهُ إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَدَاهَا^(١)
 ٤- وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكِمَاءُ وَلَا أُرَامِي^(٢)
 الثِّيَابُ يَعْنِي بِهَا السَّلَاحُ ، وَهَذَا كَمَا يُسَمَّى بَزًّا . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ :
 * بَزٌّ اسْمُهُ مُسْتَسْلِمٌ حَازِمٌ^(٣) *

وقول الهدلي :

* فَوَقَّرَ بَزًّا مَا هُنَالِكَ ضَانِعٌ^(٤) *

بمعنى السيف . وهذا يحتمل وجهين : يجوز أن يكون المعنى لا أنزعُ ثيابي
 وقت هَرِيرِ الأبطال تشمراً وتَحَقُّقاً ثم لا أُنْبِي ولا أَجْتَهِدُ ، ولكن إذا وُطِنْتُ
 نفسي على الشَّرِّ تَقَصَّيْتُ أبلغ ما يكون منه بأبلغ ما يكون من بِلَاقِي . وموضع
 « ولا أُرَامِي » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، أَيْ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ غَيْرَ مُرَامٍ . وَيَعْنِي بِالْمُرَامَةِ
 مَدَافَعَةَ الْخَصْمِ وَمَجَاهَدَتَهُ بِكُلِّ مَكْنٍ وَمُعْرَضٍ . وَلَيْسَ يَرِيدُ الرَّمِيَّ بِالنَّبَالِ .
 وَقَدْ تَوَسَّعُوا فِي الرَّمِيِّ وَالْمُرَامَةِ حَتَّى اسْتَعْمِلَ فِي الْاِفْتِخَارِ ، وَاسْتَعْمِلَ لِتَأْثِيرِ
 الدَّهْرِ وَالشَّيْبِ وَلِنَظَرِ الْمَحْبُوبِ الْمُفْتَتِنِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَفْيُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً
 فَقَالَ : لَا أَخْلَعُ ثِيَابِي تَحْقِيقاً عَنْ نَفْسِي فِي التَّوَلَّى وَالْاِنْهَزَامِ عِنْدَ هَرِيرِ الشُّجْعَانِ ،
 وَلَا أُرَامِي أَيْضاً ، بِمَعْنَى الرَّمِيِّ بِالنَّبَالِ ، وَلَكِنْ أَتَلَقَّى الشَّرَّ وَأُضْدِمُهُ بِوَجْهِ .
 وَيَشْهَدُ لِهَذَا أَوَّلُ الْبَيْتِ التَّالِيِ لَهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَامَةَ تَكُونُ مِنْ بَعِيدٍ
 فَتُخْطِئُ وَتُصِيبُ ، وَعِنْدَ الْمَكَاحِفَةِ^(٥) تَنْدُ كُلُّ الْأَمْهَاتِ .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « نفسها » .

(٢) لأبي قيس بن الأسات الأنصاري في المفضليات (٢ : ٨٥) برواية : « حاذر » .

وعجزه : * للدهر جلد غير مجراع *

(٣) لقيس بن عيزارة الهدلي في ديوان الهدليين (٣ : ٧٨) . وصدره :

* فويل أم بز جر شعل على الحصى *

(٤) م : « المفاتحة » .

٥- وَلَكِنِّي يَحْمُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحُسَامِ

الْعَضْبُ : الْقَطْعُ وَالْمَنْعُ ، ثُمَّ قِيلَ سَيْفٌ عَضْبٌ ، أَيْ قَاطِعٌ ، كَمَا قِيلَ ضَيْفٌ فِي الضَّائِفِ ^(١) . وَقَالَ الْخَلِيلُ : سُمِّيَ السَّيْفُ حُسَامًا لِأَنَّهُ يَحْسِمُ الْعَدُوَّ عَمَّا يُرِيدُ مِنْ بُلُوغِ عَدَاوَتِهِ . وَقَوْلُهُ : « بِالْعَضْبِ » ، أَيْ وَمَعِيَ الْعَضْبُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ ظَاهِرٌ .

٢٢

ابْنُ زَبَابَةَ التَّيْمِيِّ : ^(٢)

مَأْخُوذٌ مِنْ زَبَبِ الرَّجُلِ ^(٣) .

١- نُبِيتُ عَمْرًا غَارِزًا رَأْسَهُ فِي سِنَةِ يُوْعِيْدُ أَخَوَالَهُ

جَعَلَ غَرَزَ الرَّأْسِ كَنَابَةً عَنِ الْجَهْلِ وَالذَّهَابِ عَمَّا عَلَيْهِ وَلَهُ مِنَ التَّحَفُّظِ . وَنَبِيٌّ وَأَنْبِيٌّ مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَقَاعِيلَ . فَعَمْرًا انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ . وَغَارِزًا ، انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَالِثٌ ، وَرَأْسُهُ انْتَصَبَ مِنْ غَارِزًا . وَأَرَادَ بِالسَّنَةِ : الْعُقْلَةَ ، وَهِيَ مَا يَحْدُثُ مِنْ أَوَائِلِ النَّوْمِ فِي الْعَيْنِ وَلَمْ يَسْتَحْكَمْ بَعْدَ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ التَّشْبِيهِ وَأَبْلَغِ التَّعْرِيفِ . وَالْإِبْعَادُ إِذَا كَانَ عَلَى مَا وَصَفَ حَقِيقٌ بِالتَّهَجُّجِ . يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ .

(١) الضائِف : الَّذِي يَضِيفُ الْقَوْمَ ضَيْفًا وَضِيافَةً ، أَيْ يَنْزِلُ بِهِمْ وَيَعْمِلُ لَهُمْ .

(٢) هُوَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هَمَامٍ ، أَحَدُ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، وَزَبَابَةُ أُمُّهُ . يَقُولُ فِيهَا :

يَا لَهْفَ زَبَابَةَ لِلْحَارِثِ الْصَاحِبِ فَالْفَنَانِمْ فَالْأَتَبِ

وَقَالَ أَبُو رِيَّاشٍ : هُوَ فَارِسٌ مَجْلَازٌ عَمْرُو بْنُ لَأْيٍ . انْظُرِ الْآلَاءُ ٥٥٤ .

(٣) التَّبْرِيْزِيُّ : « زَبَابَةُ اسْمٌ رَجُلٌ لِلْعِلْمِ ، وَهُوَ فَعَالَةٌ أَوْ فِعَالَةٌ أَوْ فَوْعَالَةٌ ، مِنْ لَفْظِ الْأَزْبِ ، رَهْمُ النَّشَاطِ » .

وَسَنَانُ أَفْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرَفَقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِفَائِمٍ^(١)
 وَقَدْ فَصَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ . وَالْفِعْلُ
 وَسِنَّ يَوْسَنُ وَسَنًا . وَمَوْضِعُ « يُوعِدُ » نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ . وَمَعْنَى « غَارَزَا
 رَأْسَهُ » : مُدْخِلًا ؛ وَمِنَ الْغَرَزِ بِالْإِبْر . وَيُقَالُ : غَرَزَ فُلَانٌ رِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ ،
 أَيْ فِي الرَّكَابِ . وَتَوَسَّعُوا حَتَّى قَالُوا : اغْتَرَزَ فُلَانٌ فِي رِكَابِ الْقَوْلِ .

٢ - وَتِلْكَ مِنْهُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ إِذَا قَالَهُ

هَذَا الْكَلَامَ تَهْكُمُ وَسُخْرِيَّةٌ ، وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخَرِ :
 وَأَمَّا أَخُو قُرْطٍ فَلَسْتُ بِسَاخِرٍ فَقُولَا أَلَا يَا اسْلَمَ بَمَرَّةٍ سَالِمَا
 قَالَ هَذَا وَامْرَأَةٌ مُعَرَّضٌ لِكُلِّ بَلَاءٍ . « أَنْ يَفْعَلَ » مَوْضِعُهُ رَفْعٌ عَلَى الْبَدَلِ
 مِنْ قَوْلِهِ وَتِلْكَ مِنْهُ . وَالْمَعْنَى تِلْكَ الْخَصْلَةُ لَا يُؤْمَنُ وَقَوْعُهَا مِنْ غَمْرٍو ، وَهُوَ
 فِعْلُهُ لَمَّا يَقُولُهُ .

٣ - الرُّمْحُ لَا أَمْلًا كُنِّي بِهِ وَاللَّبْدُ لَا أَتْبَعَ تَرْوَالَهُ

هَذَا التَّمْدِحُ مِنْهُ تَعْرِيفٌ بِحُضْمِهِ وَإِزْرَاءٍ بِفُرُوسِيَّتِهِ ، وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَضْدَادَ
 هَذِهِ الْأَوْصَافِ مَجْتَمِعَةٌ فِيهِ . فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : إِنِّي لَا أَقْتَصِرُ مِنْ تَعَاطِي
 أَنْوَاعِ السَّلَاحِ عَلَى الرُّمْحِ فَقَطْ ، وَلَكِنِّي أَجْمَعُ فِي الِاسْتِعْمَالِ بَيْنَهَا . وَهَذَا كَمَا
 يُقَالُ : مَلَأَ كَفَّهُ مِنْ كَذَا^(٢) فَلَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ لَغَيْرِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 لِلْمَعْنَى : [إِنِّي أَسْتَعْمِلُ رِمْحِي بِأَطْرَافِ أَصَابِعِي لِحَذَقِي وَاقْتِدَارِي ، وَلَا آخِذَهُ
 بِجَمِيعِ كَفِّي^(٣)] . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : أَقْبِضْهُ وَلَا أَقْبِضْهُ ؛ لِأَنَّ الْقَبْضَ : الْأَخْذَ
 بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضَ بِالْكَفِّ كُلِّهَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ^(٤) :

(١) أَعْدَى بْنُ الرَّقَاعِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (رَنْق) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ هَذَا » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م .

(٣) التَّكْلِمَةُ مِنْ م .

(٤) هُوَ عَبْدُ يَغُوثِ بْنِ وَقَاصٍ الْحَارِثِيُّ . الْمَفْضَلِيَّاتُ (١ : ١٠٦) .

* لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَآةِ بَنَانِيَا ^(١) *

وقوله : « واللَّبْدُ لَا أَتَّبِعُ تَزْوَالَهُ » أراد : أُلْزِمَ ظَهْرُ دَابَّتِي ، وَإِنْ مَالَ اللَّبْدُ لَمْ أَمِلْ مَعَهُ . وَهَذَا كَمَا قَالَ أَبُو النِّجَمِ :

أَذْرَكَ عَقْلًا وَالرَّهَانُ عَمَلُهُ نَقَفَ أَعَالِيهِ وَقَارُ أَسْفَلُهُ ^(٢)

أَي كَانَهُ يُبْلِصِقُ الْأَسْفَلَ بظَهْرِ الْفَرَسِ فَلَا يَزُولُ وَلَا يَمِيلُ .

٤ - وَالذَّرْعُ لَا أَبْنِي بِهَا ثُرُوءَ كُلِّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٍ مَالَهُ

لَوْلَا أَنَّ قَصْدَهُ فِي التَّمْدُّحِ إِلَى التَّعْرِيفِ بِالْخَيْرِ عَنْهُ لَكَانَ لَامَعْنَى لِهَذَا الْكَلَامِ . أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ : « وَالذَّرْعُ لَا أَبْنِي بِهَا ثُرُوءَ » وَقَدْ فُسِّرَ عَلَى أَنَّهُ يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : لَا أَقْنِي الذَّرْعَ لِكِي اتَّجَّ فِيهَا فَأَتَمُولَ . وَتَرُكُ التَّجَارَةِ فِي الْأَسْلِحَةِ لَيْسَ فِيهِ كَبِيرُ تَمْدُّحٍ ^(٣) . وَيَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : لَا أَعِدُّهَا سَبَابًا فِي ارْتِفَاقِ الْمَغَانِمِ فَأُثْمِرِي ، وَيَكُونُ كَقَوْلِ عَنُتَرَةَ :

يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِيفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وقوله : « كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٍ مَالَهُ » ، يَرِيدُ بِهِ : الْمَالُ وَدَائِعُهُ عِنْدَ الْفَاسِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ ارْتِجَاعِهَا وَالتَّقَاضِي بِهَا وَإِنْ أَمْسَلُوا مُدَّةً ، فَلَمْ أَتَّجِرْ فِي دِرْعِي أَوْ لَمْ أَلْبَسْهَا لَتَغْنُمُ الْأَنْفَالُ بِهَا ، وَالْمَالُ هَذِهِ حَالُهُ عِنْدَ أَرْبَابِهِ . وَيَكُونُ هَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(٤) :

وَمَا لِلْمَالِ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وَيَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ « مَا » مِنْ قَوْلِهِ « مَالَهُ » بِمَعْنَى الَّذِي ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : كُلُّ

(١) صدره : * وَكَنتَ إِذَا مَا الْخِيلَ شَمَصَهَا الْقَنَآةُ *

(٢) م : « نَقَفَ » بِالنُّونِ .

(٣) هَذَا مَا فِي م . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « كَثِيرُ تَمْدُّحٍ » .

(٤) هُوَ لَبِيدٌ . دِيْوَانُهُ ٢٢ طَبْعُ قَيْنَا ١٨٨٠ .

اسرى مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ ، وبالذی کُتِبَ لَهُ ، ولا یمتنع أن یكون أشار بـ « ما » إلى ما یقتنی من أغراض الدنیا . ویروی : « کلُّ اسریٍّ مُسْتَوْدِعٌ مَالَهُ » بکسر الدال ، والمعنی أن ما یجمعه المرء یکسبه إذا جاء مُحْتَوَمٌ القضاء یتْرکُهُ لغيره لا بحالة ، فِلمَ أرغبُ فیهِ وفي ادخاره ، وأزهدُ فی اکتساب الحامد والمعالی ؟ وهذا الکلام نهاية فی التنقُّص من عَرَضَ به ، وغایة فی الطَّعن علیه ، والقُدَح فی عَادَتِهِ . ویروی : « والدَّرْع لا أبغی بها نَثرَةً » ، وهی الواسعة . والمعنی : إني أکتفی من الدَّرْع ببَدَنِهِ ، فلا أطلب ما یفیضُ فیضًا ، ویجب مع هذه الروایة والتفسیر أن یكون معنی المِصرَاع الثانی : کلُّ اسریٍّ مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ ، ومَمْلُکٌ لیومِهِ .

هـ - آلیتُ لَا أَذِفِنُ قَتْلًا کُمُ فَدَخْنُوا الْمَرْءَ وَسِرْبَالَهُ (١)

هذا البيت لم أجده في نسخ كثيرة ، فيغلب في ظني أنه ليس من الاختيار . هو على ما به فله قصة مشهورة زعموا . وهی أنه یروی فیهِ أن واحداً من المخاطبين كان أحدث في حربٍ حضرها خوفاً على نفسه ، فعرض الشاعرُ بهم وذکرهم سوء بلاءهم ، وضعف ثباتهم . وإنما یريد أنهم إذا صرِعوا في المعركة عُثر منهم إن لم یطیبوا على مثل ما فعله ذلك الواحد المعرضُ به ، أو استدِلَّ بالرائحة علیه فافتضحوا . وهذا تهكمٌ أيضاً وتعبيرٌ بالاتفاق السيئ . و آلیتُ معنائه حلفتُ ولفظه لفظ الخبر ، والمعنی معنی القسم . وربما قالوا : آلیتُ على نفسي .

(١) بین هذا البيت وسابقه بيت رواه التبريزي وهو :

إِنَّكَ يَاعَمْرُو تَمَرِّكَ النَّدَى كَالْعَبْدِ إِذْ قَبِلَ أَجَالَهُ

وقال : « قال ابن السكيت : أذت كالعبد اقتصر على موضع يزعم فيه ولا يتعزب بإبله . وقال غيره : أي إنك قد تركت الندى واكتساب الشرف به ، فلا تستفيد ، كالعبد يقيد أجاله ويبنام فيسترهب . وطلب الشرف إنما يكون مع التعب » .

٢٣

الحارث بن همام الشيباني^(١)١ - أَيَا ابْنَ زِيَابَةَ إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَلَقَّنِي فِي النَّعْمِ الْعَازِبِ^(٢)

النَّعْمُ يُذَكِّرُ وَيُؤَنِّتُ ، والتذكير فيه أغلب . وفائدته في الإفراء الإبل في الأكثر ، وإذا جُمِعَ دَلَّتْ على الأزواج الثمانية^(٣) . يُعْرَضُ بأنه راع فيقول : يَا ابْنَ زِيَابَةَ إِنَّكَ لَا تَجِدُنِي رَاعِيًا يَمِدُّ فِي الْمَرْعَى بِإِبِلِهِ . والمعنى أنت كذلك ، ويُقال : مَالٌ عَازِبٌ وَعَزَبٌ^(٤) ، إِذَا بَعُدَ عَنْ أَهْلِهِ . وَرَوْضٌ عَازِبٌ : بعيد المَطْلَب .

٢ - وَتَلَقَّنِي يَشْتَدُّ بِي أَجْرَدُ مُسْتَقْدِمُ الْبَرَكَةِ كَالرَّاكِبِ

قوله : « وتلقني » عطفه على الجواب ، لأنه يصلح أن يكون جواباً . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ : إِنْ تَلَقَّنِي تَلَقَّنِي كَذَا ، لَصَلَحَ ؟ يقول : تَلَقَّنِي يَعْدُو بِي فَرَسٌ قَصِيرُ الشَّعْرِ ، مُتَقَدِّمُ الصَّدْرِ ، مُشْرِفٌ كَالرَّاكِبِ ، [أَيْ إِشْرَافُهُ إِشْرَافُ الرَّاكِبِ^(٥)] لَا الْمُرْكُوب . وَيَشْتَدُّ : يَفْتَعِلُ مِنَ الشَّدِّ ، وَهُوَ الْعَدُو . وَيُقَالُ : اسْتَقْدَمُ وَتَقَدَّمَ ، وَاسْتَأَخَّرَ وَتَأَخَّرَ ، بِمَعْنَى . وَالْبَرَكَةُ ، كُسْرَ بَاوْهَا عِنْدَ اتِّصَالِ الْهَاءِ بِهَا ، لَوْلَا ذَلِكَ لَقِيلَ بَرَكٌ بَفَتْحِ الْبَاءِ .

(١) الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، شاعر جاهلي .

(٢) ابن زياطة ، مضت ترجمته قريباً ، وهو ابن الحارث بن همام . وهذه المقطوعة

استبعد بعضهم أن يكون ابن زياطة هو عمرو بن الحارث بن همام ، وارتفع القول الآخر .

(٣) هي الضأن والمعز والإبل والبقر ، ذكورها وإناثها . انظر الآيتين ١٤٣ ، ١٤٤

من سورة الأنعام .

(٤) كذا في النسختين ، والمعروف « المزيب » .

(٥) التكلة من م .

٢٤

فَأَجَابَهُ ابْنُ زَبَابَةَ

١ - يَا لَهْفَ زَبَابَةَ لِلْحَارِثِ إِذَا صَبَّاحَ قَالَتْ - أَنِمْ فَلَايِبِ
يجوز أن يكون أورد هذا الكلام ساخرًا متهايفًا ، ومستهزئًا متهمكًا ،
فوصفه بهذه الصفات وكان الأمرُ بخلافه ، ويقربُ هذا أن ما قبل هذه
المقطوعة في مثل هذه الطريقة . ويجوز أن يكون ذكر ما كان منه ^(١) على
الحقيقة ، فهو يتحسرُ لما رأى من فلاحه في غزاته ، وسلامته في مآبه .
ويقول : يَا حَسْرَةَ أُمِّي ^(٢) من أجل هذا الرجل فيما ارتفع له من المراد في الغزو ،
وُجِعَ له من السلامة والوفْرِ . والصباحُ ، يجوز أن يكون في معنى مُصْبِحٍ ،
كما قال :

* حِينَ لَاحَتْ لِلصَّاحِبِ الْجُوزَاءُ ^(٣) *

والغارة وقتها الغداة ، فذلك قال : للحارث المصباح عندنا والغانم منا .
والترتيب الذي يفيدُه الغاء جارٍ على سَنَنِه ، كأنه أراد للحارث الغازي نَحْوَنَا
والغانم منا - والغنمُ بعد الغزو - فَلَايِبِ إِلَى قَوْمِهِ - وَالْأَوْبَةُ بعد
الاستغنام . ويجوز أن يكون الصباحُ من صَبَحْتُ الْقَوْمَ ، إِذَا أَتَيْتَهُمْ صَبَاحًا .
وفى للثل السائر « صَبَحْنَاهُمْ فَعَدَوْا شَأْمَةً ^(٤) » . وهذا الوجهُ أَوْجَهُ وَأَجُودُ .
واعلم أن الصفة إذا جاءت للتبيين وإزالة اللبس عن الموصوف ، فالوجهُ أن يُعَمَّدَ

(١) هذا ما في م . وفى الأصل : « أن يكون ذكر منه » .

(٢) فى الأصل : « يا حسرة بى » ، وفى م : « يا حسرة أى » .

(٣) لأبي زبيد الطائي . الحيوان (٥ : ٢٣١) والخزانة (٣ : ٢٨٣) . وصدوره :

* أَيْ سَاعَ سَمَى لِيَقْطَعَ شَرْبِي *

(٤) ذكره الميداني فى مجمع الأمثال وقال : « أَيْ أَوْقَعْنَا بِهِمْ صَبْحًا فَلْخَفُوا الشَّقَّ

الْأَشْأَمَ ، أَيْ صَارُوا أَصْحَابَ شَأْمَةٍ ، وَهِيَ ضِدُّ الْبَيِّنَةِ » .

إلى أخصّها بالموصوف ، وأحتمّها بالبيان والشرح ، حتى تُغني عن العدُول عنها إلى غيرها من الصفات . فإن اتفق بعد ذلك لبسٌ حينئذٍ يُزال بما يُضْمُّ إليه . وإذا جاءت للمتّعظيم أو التّهجين فإنه قد يُوالى بين عدّة منها بحروف النّسق ومن دونها : تقول : جاءني زيدُ الظريفُ الكاتبُ الفاضلُ العالمُ : وإن أتيت بالواو العاطفة متخلّلةً له ساغ^(١) ، فإن قيل : إذا كانت الصفة هي الموصوف ، والشئ لا يُعطف على نفسه ، فكيف جازَ عطفُ بعض الصفات على بعض ؟ قلت : تغايُرُ المعاني الحاصلة بها وقوّة اتّصالِ بعضها ببعضٍ في بابي الصلّة والصفّة ، سوَّغَ ذلك في ألفاظها .

٢ - والله لو لاقيته خالياً لآبَ مَـيِّفَانَا مَعَ الغالبِ

أقسمَ بالله فيقول : والله لو لقيته منفردًا عن أشياءه لحصلَ سيفانا للغالب منّا . وذكرَ السيفين والمرادُ جميعُ ما معهم من برّهما وسلاحهما ، لعلّ شأنهما . وجعلَ الفعلَ للسيفين على المجاز . والمعنى : لو خلّوتُ به لقتلته أو قتلني .

٣ - أنا ابنُ زبابة إن تدعني آتِكَ والظنُّ على الكاذبِ

قوله : « والظنُّ على الكاذب » يجري مجرى الأمثال ، ويكون مبنياً على ما قال لبيد ، وهو :

واكذبِ النَّفسَ إذا حدّتها إن صدقَ النفسِ يُزري بالأمَلِ

والمعنى : كلُّ منّا يحدثُ نفسه ويكذبها ، ثم الظنُّ على من لا يتحقّق أمّله . ويجوز أن يريد : أنا المعروف المشهور ، إن دعوتني لمبارزتكَ جئتكَ ، فإن كنتَ تظنُّ غيرَ هذا فظنّك عليك ، لأنك تكذبُ نفسك فيما تتوهمه من قعودي عنك ، أو نُكُولي عن الإقدام عليك . ويجوز أن يكون المعنى :

(١) هذا الصواب من م . وفي الأصل : « لما ساغ » .

إِنْ تَدْعُنِي أَجْنَبُكَ ، فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنْ تَكُونَ الْغَالِبَ فَظَنُّكَ عَلَيْكَ ، لِأَنَّكَ تَكْذِبُ نَفْسَكَ .

٢٥

الأشتر النخعي (١) :

١- بَقِيتُ وَفَرِي وَانْحَرَفْتُ عَنْ الْعُلَا وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بَوَجْهِ عَبُوسٍ الْوَفْرِ : لِلْمَالِ الْكَثِيرِ . وَالْعَبُوسُ : الْكُلُوحُ عَنْ غَضَبٍ ، وَتَوَسَّعُوا فَقَالُوا : يَوْمٌ عَبُوسٌ ، أَيْ شَدِيدٌ . وَهُوَ جَبَسٌ عَبَسٌ ، فِي اللَّثِيمِ . وَهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ الشَّرِيفَةِ ، وَاللَّفْظُ لَفْظُ الْخَبَرِ ، وَظَاهِرُهُ الدُّعَاءُ ، وَمَحْصُولُهُ الْقَسَمُ . فَيَقُولُ : ادَّخَرْتُ مَالِي وَلَمْ أَفَرِّقْهُ فِيمَا يَكْسِبُ لِي حَمْدًا ، فَعَلَ الْبُخْلَاءُ ، وَزَهَدْتُ فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ وَالْمَأْتَرُ زَهْدُ الْأَدْنِيَاءِ ، وَتَأَقَّيْتُ الْأَضْيَافَ (٢) بَوَجْهِ رَجُلٍ كَالْحَرِّ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الْيَمِينِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* إِذَا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَى يَدِي (٣) *

٢- إِنْ لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نُفُوسٍ (٤) شَنُْ الْغَارَةِ مُعْجَمَةٌ ، وَسُحْنًا مُعْجَمَةٌ : صَبَّهَا . وَأَصْلُ جَمِيعِهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الأشتر : لُقِّبَ لَهُ ، وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ بْنِ مُسْلِمَةَ بْنِ رَبِيعَةَ النَّخَعِيِّ الْكُوفِيِّ . أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، شَهِدَ مَعَهُ الْجَمَلُ وَصَفَيْنَ وَغَيْرَهُمَا ، وَكَانَ مِنْ أَلْبِ عَلَى عَثْمَانَ وَشَهِدَ حَصْرَهُ ، وَوَلَّاهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ مِصْرَ بَعْدَ صَرْفِ قَيْسِ بْنِ عُبَادَةَ عَنْهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْقَلْزَمِ شَرِبَ شَرْبَةً عَسَلَ فَمَاتَ سَنَةَ ٣٨ . وَلُقِّبَ بِالأَشْتَرِ لِأَنَّ رَجُلًا ضَرَبَهُ فِي يَوْمِ الْبَرَمُوكِ عَلَى رَأْسِهِ فَسَالَتْ الْجِرَاحَةُ قَيْحًا إِلَى عَيْنِهِ فَشَتَرَتْهَا . الْإِصَابَةُ ٨٣٣٥ وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَمُعْجَمُ الْمَرْزُبَانِيِّ ٣٦٢ . التَّبَرِيزِيُّ : « وَفِي الشُّعْرَاءِ آخَرُ يُقَالُ لَهُ الْأَشْتَرُ بْنُ عَامِرٍ ، أَحَدُ بَنِي عَوْفِ بْنِ وَلَادِ بْنِ تَيْمِ اللَّاتِ . وَمِنْهُمْ الْأَشْتَرُ الْحَامِيُّ الْأَزْدِيُّ مِنْ بَنِي حَمَامَةَ مِنْ أَزْدِ عَمَانَ » .

(٢) م : « أَضْيَافِي » .

(٣) صدره : * مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ * مَا أَقَيْتُ بِهِ *

(٤) التَّبَرِيزِيُّ : « ابْنُ حَرْبٍ ، يَعْنِي مَبَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ » .

ثم حَصَلَ التَّوَشُّعُ فِيهَا . يَقُولُ : تَصَوَّرْتُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا وَأَقْسَمْتُ بِهَا ، إِنْ لَمْ أُصَبَّ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ خَيْلًا لَا تَخْلُو يَوْمًا مِنْ اخْتِلَاسِ نَفْسٍ ، وَاتِّهَابِ آجَالٍ . وَتَمَّتْ الْخَيْلُ غَارَةً لَمَّا كَانَتْ مِنْ قَبْلِهَا تَكُونُ . وَمَوْضِعُ « لَمْ تَخْلُ يَوْمًا » نَصَبٌ عَلَى الصِّفَةِ لِلْغَارَةِ ، أَيْ خَيْلًا جَرَتْ عَادَتُهَا بِذَلِكَ . وَاتِّهَابُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا نَاهِيَةً وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْمُغَاوَرَةِ وَالْمَارَاةِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ النَّهْبِ . وَجَوَابُ « إِنْ لَمْ أَشْنِ » فِيمَا تَقْدُمُ .

٣- خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالِيِّ شُرَبًا تَعْدُو بِيضٍ فِي الْكَرِيهِةِ شُوسٍ الشُّرْبُ ^(١) : الضُّمَرُ . وَالشُّوسُ : جَمْعُ أَشْوَسَ . وَيُقَالُ شَاسَ يَشُوسُ وَشُوسَ يَشُوسُ ، إِذَا عُرِفَ فِي نَظَرِهِ الْغَضَبُ أَوِ الْكِبَرُ . وَاتَّقَصَبَ « خَيْلًا » عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ غَارَةٍ . وَشَبَّهَ الْخَيْلَ فِي ضَمَرِهَا وَسُرْعَةِ نَفَاذِهَا بِالْجَنِّ . وَاتَّقَصَبَ « شُرَبًا » عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْخَيْلِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ « كَأَمْثَالِ » ، أَيْضًا صِفَةٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا لِلْمُضْمَرِ فِي كَأَمْثَالِ السَّعَالِيِّ . وَالْمَعْنَى : خَيْلًا تَشَابَهَ السَّعَالِيُّ فِي حَالِ شُرُوبِهَا وَضَمَرِهَا . وَقَوْلُهُ : « تَعْدُو بِيضٍ » أَيْضًا صِفَةٌ ، إِمَّا لِقَوْلِهِ شُرَبًا ، وَإِمَّا لِلأَوَّلِ تَعْدُو بِرَجَالٍ كِرَامَ ، مُتَكَبِّرِينَ فِي الْحَرْبِ ، ذَوِي أَنْفَةٍ . وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ مُفْرَدَاتٍ وَجُمْلٍ فِي الْوَصْفِ ، فَالترتيب المختار تقديم المفردات على الجُمْلِ ، وَقَدْ جَاءَ الْبَيْتُ عَلَى ذَلِكَ . وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الْبَيَاضَ كِنَايَةً عَنِ الْكِرَامِ ، كَأَنَّهَا تُرِيدُ نَقَاءَ الْعَرَضِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* أُمِّكَ بِيضَاءَ مِنْ قُضَاعَةٍ ... ^(٢) *

وَكَمَا فَعَلُوا هَذَا جَعَلُوا الْفُرَّ كِنَايَةً عَنِ الْكِرَامِ ، وَرَبَّمَا قَالُوا غُرَانُ .

(١) هذا ما في م والتبريزي . وفي الأصل : « الشزوب : الضمر » يقرآن على المصدرية .

(٢) البيت بتمامه كما في شرح ديوان زهير ٥٢ واللسان (بيض) :

أُمِّكَ بِيضَاءَ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَسْتَكْنِ فِي طَنْبِهِ

مُخَاتَمًا قَوْلُهُمْ : « بِيضُ الْوُجُوهِ » فَأَلْمَرَادُ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا يَشِينُهُمْ فَيُغَيِّرُ لَوْنَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ . وَقَدْ قَالُوا فِي ضِدِّهِ : « أَوْجُهُهُمْ كَالْحَمِّ » ، وَ « سُودُ الْوُجُوهِ » . وَأَمَّا الشَّوْسُ فَكَأُ وَصِفَ بِهِ الرَّجَالُ وَصِفَ بِهِ الْخَيْلُ أَيْضًا ، وَالْمُرَادُ بِهِ عِزَّةُ النَّفْسِ . وَقَوْلُهُ « فِي الْكِرِيهَةِ » لَلْحَقِّقِ الْمَاءَ بِهَا أَلْحَقَ بِيَابِ الْأَسْمَاءِ ، وَنَسْتَعْمَلُ فِي نَوَازِلِ الدَّهْرِ وَشِدَائِدِ الْأَمْرِ . وَهُوَ ظَرْفٌ إِنْ شَتَّتَ لَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « بِيضٌ » مِنَ الْكِرَمِ ، وَإِنْ شَتَّتَ لِقَوْلِهِ شُوسٌ . وَالْكَرَمُ فِي الْكِرَائَةِ : نِزَاهَةُ النَّفْسِ عَنْ لَوَازِمِ الْعَارِ .

ع - حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ وَمَصَّانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شَمْسٍ
شُعَاعُ الشَّمْسِ : انْتِشَارُ ضَوْئِهَا . وَيُقَالُ : أَشَعَّتِ الشَّمْسُ : انْتَشَرَ شُعَاعُهَا .
يَقُولُ : حَمَيْتِ الْأَسْلِحَةَ يَوْمَ الْوَعْيِ لَصَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ ، وَطَوَّلَ مُقَامَهُمْ . ثُمَّ شَبَّهَ لِمَعَانِهَا بِوَمَصَّانِ الْبَرْقِ أَوْ شُعَاعِ الشَّمْسِ ، وَجَمَعَ الشُّمُوسَ لِاخْتِلَافِ مَطَالِعِهَا .
وَالْوَمَصَّانُ : مَصْدَرٌ وَمَصٌّ ، وَكَذَلِكَ الْوَمَضُ وَالْوَمِيزُ . وَيُقَالُ فِي فِعْلِهِ : تَأَوَّمَصَّ أَيْضًا .

٢٦

مَعْدَانُ بْنُ جَوَّاسٍ الْكَنْدِيُّ^(١) :

وَدَخَلَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي الْبَابِ لَمَّا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى مِنْ
« الْفِظَاطَةِ وَالْقِسْوَةِ » .

(١) معدان بن جواس بن فروة بن سلمة بن المنذر بن المضرب بن معاوية بن عامر بن سلمة بن شكامنة بن شبيب بن السكون السكوني الكندي ، وكان له حلف في ربيعة . مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ونزل الكوفة وكان نصرانيا فأسلم في أيام عمر بن الخطاب ، وقام الزبير بن العوام بأمره . الإصابة ٨٤٣٥ ومعجم المرزباني ٤٠٧ . على أن هذه الحماسية تنسب أيضاً إلى أبي حوط حجية بن المضرب السكوني ، وهو شاعر جاهلي فارسي . نص على ذلك التبريزي ، وكذا الأمدى في المؤتلف ٨٥ .

١- إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي فَلَا مَنِي صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلُ^(١)

قوله « صديقي » يجب أن يُريدَ به الكثرة لا الواحد . ويقال : شَلَّتْ يَدُهُ شَلًّا . وهذا من الجنس الأول في أن لفظه لفظ الخبر ، والمعنى معنى الدعاء ، والمراد القسم . وقوله « فلأمني » لأمني في موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : فأنا لأمني . والقاء مع ما بعده جواب إن . والمعنى : إن كان ما أَدَّيَّ إليك عني حقًا ففعلت ما استحققتُ به لوَمَ الصديق ، واسترختُ أصابعي . فإن قيل : اليمين والشرط^(٢) كيف يصح ؟ قلت : هذا كلام مُبْطَلٌ لما ادَّعى عليه ، نافٍ له ، فاليمين تَفَاوَتْ نَفْيٌ ما أَثْبِتَ فيه ، ودفع ما قَرِفَ به . ودلَّ على ذلك فحوى الكلام . ويجوز في « كان » أن يكون التامة لا الناقصة ، فيكتفي بالفاعل ولا يحتاج أن يُضَمَّرَ بَعْدَهُ « حَقًّا » . والمعنى إن وقع ما بُلِّغْتَ عني و حَدَّثَ . وتخصيصه للأنامل لأن أكثر المنافع بها . وجاز إضمار خبر كان إذا جمعتها ناقصة لأن في الكلام والحال دليلًا عليه ، ولأن دخوله على المبتدأ والخبر ، فكما يُحذفُ الخبر في ذلك الباب يُحذفُ هنا .

٢- وَكَفَنْتُ وَخَدِي مُنْذِرًا بِرَدَائِهِ^(٣) وَصَادَفَ حَوَاطًا مِنْ أَعَادِي قَاتِلًا

وَخَدِي انتَصَبَ على المصدر ، وهو في موضع التَّوَحُّد . وفي النحويين من يجعله وإن كان مَعْرِفَةً في موضع الحال . يقول : وَفُجِعْتُ بِمُنْذِرٍ وَأُحْوجْتُ إِلَى أَنْ أَبَاشَرَ تَكْفِينَهُ وَتَجْهِيْزَهُ بِنَفْسِي — وهذا مما يزيد المصابَ كَلَمًا وَدَاءً — وَصَادَفَ ابْنِي مِنْ أَعْدَائِي مِنْ لَا يُبْنِي عَليهِ^(٤) . وَأَعَادِي بَنَاهُ عَلَى الْفَتْحِ لَخْفَتِهِ ،

(١) بلغت ، بخطاب المؤنثة كما في التبريزي . وعند التبريزي : « بلغت » بخطاب الذكر .

(٢) م : « اليمين في الشرط » .

(٣) م : « في ثيابه » . التبريزي « في ردائه » .

(٤) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن الصحيح نسبة الشعر إلى حجية بن المضرب .

وأن المنذر هو أخو حجية ، وأن حوطا هو ابنه الذي كنى به . ثم روى عنه سبب الشعر =

ولأنه الأصل في ياء الضمير إذا حُرِّكَ . وعلى هذا تقول : هؤلاء بَنِيَّ ومَعْطَى ، وهذا قَاضِي . وأَعَادِيَّ يجوز أن يكون أَقَاعِلَ وإضافه ، ويجوز أن يكون أَقَاعِيل . كإبائيت وحَقَّقَه ، كما خَفَّفَ أَثْنَانِيَّ ثم أضافه . ويجوز أن يكون لَمَّا رَامَ الإضافة اجتمع ثلاث ياءاتِ فَخَذَفَ مَدَّة أَقَاعِيل .

٢٧

عامر بن الطفيل الكلابي^(١) :

١- طَلَّقْتُ إِنْ لَمْ تَسْأَلِي أَيُّ فَارِسٍ حَلِيلُكَ إِذْ لَاقَى صُدَّاءَ وَخَشَمَمَا

جَعَلَ الإقسام عليها بما يَضِيقُ طريقها في التجوُّز والإهمال ، لَمَّا وَلَّاهَا
البحث والسؤال . هذا إذا جعلتَ الكلامَ دُعَاءً . يقول : بِنْتُ مِنْ زَوْجِكَ
إِنْ لَمْ تُنْفِسِي بالسؤال عن أحواله حين لاقى هاتين القبيلتين ، هَلْ أَتَيْتِ فِي
ملاقاتهما ، وكيف ثَبَتَ فِي وجوههما . ويجوز أن يكون طَلَّقْتُ وعِيداً تَوَعَّدَهَا
به إِنْ لَمْ تَنْتَهَ إِلَى مرسومها^(٢) . والحَلِيلُ : الزوج ، سَمِيَ بذلك لأنه يُحَالُ

« أن النعمان بن المنذر أغار على بني تميم فنذروا به ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب ،
وكان فيمن معه حجة بن المضرب ، وكانت أخته فكيهة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة ،
فنذر بنو تميم بالنعمان بن المنذر فهزموه ، فاتهم النعمان حجة أن يكون أنذرهم فقال . . . »
وأنشد البيت وما بعده .

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، وهو ابن عم لبيد ، وكان
فارس قيس . وكان عامر أقرى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : تجعل لي نصف ثمار المدينة
وتجعلني ولي الأمر من بعدك وأسلم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني عامراً
واهد بني عامر » . فانصرف وهو يقول : لأولئها عليك خيلاً جرداً ، ورجالاً مردأً ، ولأربطن
بكل نخلة فرساً ! فظعن في طريقه فأتاه وهو يقول : غدة كفدة البعير ، وموت في بيت
ملولية ! الشمر ٢٩٣ - ٢٩٥ والخزاة ١ : ٤٧٣ - ٤٧٤ والمؤتلف ١٥٤ والمرزبان
٣٢٢ والأغاني ١٥ : ٥٠ - ٥٦ والقباض ٦٥٤ - ٦٧٨ .

(٢) م : « مرسومه » .

صاحبته . وَخَنَمٌ هُوَ خَنَمٌ بَنَ أَنْتَارٍ . والخنعة : التلطح بالدم . ويقال : كانوا تحالفوا ففمّسوا أيديهم في دَمٍ بَعِيرٍ نَحَرُوهُ واجتمعوا عليه فمّسُوا خَنَعًا . ومفعول تَسَالَى محذوف ، المراد تسالَى الناس . وقوله « أَيُّ فَارِسٍ » هو المسألة ، وهو في موضع المفعول أيضاً . وجواب الشرط مُقَدَّمٌ ، كأنه قال : إِنْ لَمْ تَسَالَى النَّاسَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَانْتَ مَطْلُوقَةٌ مِنْ بَعْدُ ، أَوْ لَجَعَلِ اللَّهُ خَاتِمَةً أَمْرِكَ ذَلِكَ .

٢- أَكْرَهُ عَلَيْهِمْ دَعَلَجًا وَلَبَانَةً إِذَا مَا اشْتَكَى وَقَعَ الرِّمَاحُ تَحْمَحَمَا^(١)

أَجَلٌ فِي اقْتِصَاصِ بِلَانِهِ ، ثِقَّةٌ بَأَنَ بَحْثِهَا وَاسْتِقْصَاءِهَا يَأْنِي عَلَى تَفَاصِيلِهِ . يقول : أَعْطِفُ فَرَسِي دَعَلَجًا عَلَيْهِمْ ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَكَرًّا بَعْدَ فَرٍّ ، وَإِذَا اشْتَكَى مِنْ كَثَرَةِ وَقُوعِ الطَّعْنِ بِصَدْرِهِ حَمَحِمَ . وَجَعَلَ الْفِعْلُ لِلصَّدْرِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ لِكَوْنِهِ مَوْقِعَ الطَّعْنِ . هَذَا إِذَا رَوَيْتَ : « وَلَبَانَتُهُ » بِالرَّفْعِ ، لِأَنَ بَعْضَ النَّاسِ رَوَى « وَلَبَانَتُهُ » بِالنَّصْبِ ، كَأَنَّهُ فَرٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْاِشْتِكَاءُ وَالتَّحْمَحُمُ لِلْبَّانِ عَلَى كَثَرَةِ نِسْبَةِ الْاِشْتِكَاءِ إِلَى الْأَعْضَاءِ الْآلَةِ ، فَوْقَ فِيمَا هُوَ أَقْبَحُ ؛ لِأَنَ الْمُرَادَ أَكْرَهُ عَلَيْهِمْ فَرَسِي ، فَلَا مَعْنَى لِعُطْفِ اللَّبَّانِ عَلَيْهِ . وَسَمِعْتُ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ بَابِ تَكَرَّرِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ بِالْعُطْفِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِصَاصِ وَتَفْخِيمِ الشَّأْنِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ . قَالَ : وَوَجْهُ الْاِخْتِصَاصِ أَنَّ الدَّكْرَ بِصَدْرِهِ ، كَمَا أَنَّ الْأُنْثَى بِعَجْزِهِ . وَالِدَعَلَجُ : الْمَرِيحُ فِي السَّيْرِ وَالتَّرَدُّدِ ، وَيُوصَفُ بِهِ الْفَرَسُ

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : الصواب :

أقدم فيهم دعلجاً وأكره إذا أكرهوا فيه الرماح تحمحا

والبيت لعبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فارس دعلج ، قاله يوم غيف الرريح ، وليس هو لعامر بن الطفيل . وأنشده في تصديق ذلك لمروان بن سراقه الجعفي :
وعبد عمرو منع القياما ودعلجا أقدمه إقداما

والبعير والحار، وذكر بعضهم أنه يقال في الضَّبِّ الهاجج أيضاً . [وقد أحسن
عنتره كل الإحسان حين سلك هذا السبيل فقال :
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتمحم^(١)]

٢٨

زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ^(٢) :

١- وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةً لِيَالِي قَارَعْنَا جُدَامَ وَخَيْرًا^(٣)

حكى الأصمعي في الأمثال : « ما كلُّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةٌ ، ولا كُلُّ سَوْدَاءٍ
تَمَرَةٌ . والمعنى : ليس كلُّ ما أشبه شيئاً ذلك الشيء . ومعنى البيت : ظننا لما
التقينا مع جُدَامَ وَخَيْرٍ أن سبيلهم سبيل سائر الناس ، وأنا سَنَفْهَرُهُمْ قَهْرًا قريباً
ثم وجدناهم بخلاف ذلك ، لكون أصلهم من أصلنا ، واجتماعهم فيما تَمَيَّزْنَا فيه
عن سائر الناس مَعَنَا ، وَجُدَامُ أبو هذه القبيلة فسميت به ، وأصله الجذم :
القطع ، وبه سُمِّيَ الداء المعروف جُدَامًا ، وقيل للمقطع اليد : أَجْذَمَ . وحكى
بعضهم : ما سَمِيتُ لَهُ جَذْمَةً ولا زَجْمَةً ، أى كلمة ، لتقطع الصوت بها عند
النطق . والقرع : ضَرْبُ الشئ بغيره ، ثم توسَّعُوا فقالوا : قَرَعْتُ بَاطِلَهُ بِحَقِّي ،
وقَرَعْتُ الشاربُ جبهته بالإناء ، إذا استوفى ما فيه .

٢- فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ بِيَمَضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسِرَا

بَعْضُهُ ، انتصب على البدل من النَّبْعِ . وجواب لما قوله « أَبَتْ » .

(١) هذه التكلة من م .

(٢) زفر بن الحارث الكلابي ، أحد بني عمرو بن كلاب ، كان قد خرج على عبد الملك
ابن مروان وظل يقاتله سبع سنين ثم رجع إلى الطاعة . وكان سيد قيس في زمانه ، وكان على
قيس يوم راهط . وزفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج .
الكامل ٥٣٣ والجهشياري ٣٥ والمؤتلف ١٢٩ وشرح شواهد المغني ٣١٣ .

(٣) التبريزي : « ليالي لاقينا » .

وتَكَسَّرَ أصله تَكَسَّرَ . والشاعر اعترف بأنَّ أصل أولئك نَبْعٌ ، كما أنَّ أصلهم نَبْعٌ ، النَّبْعُ خَيْرُ الأشجار التي يُتَّخَذُ منها القِسي وأصلها ، كما أنَّ الغَرَبَ شرُّها وأرْخاها ، فجعلت العرب تَضْرِبُ المثل بهما في الأصل الكريم واللَّئيم ، حتى إنَّ بعض المُحدِّثين قال :

هَيْهَاتَ أَبْدَى اليَقِينُ صَفْحَتَهُ وَبَانَ نَبْعُ الْفَخَارِ مِنْ غَرَبِهِ
 فيقول : لما قَرَعْنَا أصلهم بأصلنا أبت العيدانُ من التَّكْسَرِ . والمعنى أنَّ كَلَامًا مِنَّا أرى أنَّه يَهْزَمُ عن صاحِبِهِ . فالعيدان مَثَلٌ للرجال ، والنَّبْعُ مَثَلٌ للأَصْلِ .
 ٣ - وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةً تَغْلِييَّةً يَقُودُونَ جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ مُضْمَرًا

يقال تغلييٌّ وتغاييٌّ ، والكسر أكثر ، ومن فَتَحَ فلتوا إلى الكسرات والياءين . وهذا كما قالوا : نَمَرِي قَرَدُوا من فِيلٍ إلى فَعَلٍ . يقول : لما لقينا جماعةً من بني تغلب ^(١) يَقُودُونَ لِلْحَرْبِ حَيْلًا مُضْمَرًا قِصَارَ الشعور . وجواب لما فيما بعد ، وهو سقيناها . ولأنَّما احتاج إلى الجواب متى كان عَلَمًا للظرف ، لأنَّه يبيِّنُ لوقوع الشيء لوقوع غيره . وجعل الخيل جُرْدًا لأنَّ العِرَابَ منها تكون كذلك . واللام من قوله « للمنيَّة » يجوز أن يتعلَّقَ بيقودون ، ويجوز أن يتعلَّقَ بقوله مُضْمَرًا ، أي ضُمَّرَتْ لها .

٤ - سَقِينَاهُمْ كَأَسَا سَقُونَا بِمَثَلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَأَنوَالِ الْمَوْتِ أَصْبَرَا
 يقول : قَالَبْنَاهُمْ بِمَثَلِ مَا بَدَّوْنَا بِهِ مِنْ سَقَى كَأَسِ اللُّوْتِ ، لكن القتل كان فيهم أعم ، ولم أشمَل . وجعل ذلك فيهم كالصَّبر منهم عليه ^(٢) . ويقرب أن

(١) التبريزي : « يعنى تغلب بن حلوان ، بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، لأن الظاهر في يوم مرج راهط كان لكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وليس لتغلب وأهل هنا مدخل » .
 (٢) ذهب التبريزي إلى أنَّ هذا التفسير خطأ ، وأنَّ المأمي أنه شهد لهم بالغلبة واعترف أنهم أهل صبر ، وقد أقر بهزيمة قومه في قوله :
 ولم تر منى نبوة قبل هذه فرارى وتزكى صاحبي ورائيا

يكون قول الله تعالى : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ على هذا الوجه . كَأَنَّ النَّارَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ وَوَجِبَتْ ، بما كان منهم من المعصية ، فجعل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه ، ولذلك قال بعض المفسرين في معناه : ما أعملهم بعمل أهل النار . كَأَنَّ إِصْرَآرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ كَالصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى النَّارِ . وردُّ الآية إلى البيت وإجراء القول فيها على هذا الحدَّ غريبٌ حَسَنٌ . وقوله : « أَصْبَرَ » أى أَصْبَرُ مِنَّا ، وأفعل الذى يَتَمَّ بِعَيْنٍ يُحَذِفُ مِنْهُ « من » فى باب الخبر دون الوصف . وساغ ذلك لأنَّ الخبر كما يجوز حَذْفُهُ بِأَسْرِهِ لقيام الدلالة عليه يجوز حَذْفُ بَعْضِهِ أَيْضًا لَهُ .

٢٩

عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ^(١) :

حكى ابن الأعرابي : قالوا مَعْدِيكَرِبٌ لَأَنَّهُ عَدَا الْفَسَادَ . وَالْكَرْبُ : الْفَسَادُ .

١- وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَأَنَّهَا جَدَّأَوِلْ زُرْعٍ خُلِيَتْ فَاسْبَطَرْتُ^(٢)

اسبطرت : امتدَّتْ ، وَالسَّبَطُ وَالسَّبْطُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . يقول : لَمَّا رَأَيْتُ الْفُرْسَانَ مِنْحَرَفِينَ لِلطَّغْنِ ، وَقَدْ خَلَّوْا أَعْنَتَهُ دَوَابَّهُمْ وَأَرْسَلُوها ، وَقَرَّطُوا أَذَانَهَا بِهَا ، فَكَأَنَّهَا أَنْهَارُ زُرْعٍ أُرْسِلَتْ مِيَاهُهَا فَامْتَدَّتْ بِهَا . وَالنَّشْبِيهِ وَقَعَ عَلَى جَرْنِي الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ لَا عَلَى الْأَنْهَارِ ، كَأَنَّهُ شَبَّهَ امْتِدَادَ الْخَيْلِ فِي انْحِرَافِهَا عِنْدَ الطَّغْنِ بِامْتِدَادِ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ ، وَهُوَ يَطْرُدُ مُلْتَوِيًا وَمُضْطَرِبًا . وَكَأَنَّ وَصْفَ الْخَيْلِ

(١) هو أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيدي ، كان من فرسان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية ، وأدرك الإسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد بعد وفاته فمِنَ ارتد من اليمن ، ثم هاجر إلى العراق فأسلم ، وشهد القادسية وأبلى فيها . الشعر والشعراء ٣٣٢ والأغاني (١٤ : ٢٤ - ٣٩) والخزانة (١ : ٤٢٢ - ٤٢٦) وكتب الصحابة .

(٢) التبريزي : « أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرْتُ » .

في انحرافها بزورٍ وُصِفَتْ أَيْضًا بِنُكْبٍ ، فقال بعضهم :

• لِأَعْدَانِنَا نُكْبٌ إِذَا الطَّغْنُ أَقْفَرَا •

فَالنُّكْبُ : جَمْعُ أَنْكَبَ ، وهو الذي ينحطُّ أحدُ مَفَكَيْهِ عن الآخر ، كما أَنَّ الزُّورَ جمعُ أَرْزُورٍ ، وهو المُنْعُوجُ الزُّورُ . وهذا من التشبيه الحسن الصائب . وقوله : « خُلِّيتُ فاسْطَرَّتْ » جُمْلًا للجداول على الحجاز والسَّعَةِ ، لأنَّ المياهَ هي التي تَخْلَى وتمتدُّ . وهذا كما يقال نَهْرٌ تَجَارٍ ، وإنَّ كان الماء هو الذي يجري .

٢ - فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ^(١)

فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ . اعترض بعضهم فقال : لولا أَنَّهُ جَبُنَ لما جَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ . قال : ومثله في الرداءة قول عنترة :

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الْأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمِ عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَاقِقُ مُقَدِّمِي

هَلَّا قَالَ كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

أَشَدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمٌّ سِوَاهَا

قال الشيخ : وليس الأمر كما نَوَّهَ ، لأنَّ ما ذكره عمرو وعنترة بيانُ حالِ النَّفْسِ ، ونفسُ الجبان والشُّجاع على طريقةٍ واحدةٍ فيما يَدَّهْمُهُمَا عند الوهلة الأولى ، ثم يختلفان : فالجَبَّانُ يَرْكَبُ نَفْرَتَهُ^(٢) ، والشُّجاع يَدْفَعُهَا فَيَثْبُتُ . فأما قول العباس ابن مرداس فليس مما ذَكَرَها بسبيلٍ ، وإنما هو بيانُ الحالة الثانية وما يعزُّمُ عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتمسُّك . فاعلمه إن شاء الله . وقوله : « أَوَّلَ مَرَّةٍ » وذاتُ مَرَّةٍ ، لا يكونان إلَّا ظَرْفَيْنِ ؛ لأنَّ مَرَّةً ليس باسمٍ للزمان لازمٍ ، وإنما هو مُدْخَلٌ عليه . فإذا قلتَ مَرَّةً فإنما حَقِيقَتُهَا فَعَلَّةٌ واحدةٌ ، ويجوز أن

(١) م والتبريزي : « فردت » بالفاء .

(٢) هذا ما في م والتبريزي . وفي الأصل : « نفسه » .

يكون وقتاً واحداً . ويجوز أن يكون الفاء في « فجاشت » زائدة ، في قول الكوفيين وأبي الحسن الأخفش ، ويكون جاشت جواباً لَلَمَّا . والمعنى : لما رأيت الخليل هكذا خافت نفسي وثارت . وطريقة جُل أصحابنا البصريين في مثله أن يكون الجواب محذوفاً ، كأنه قال : لما رأيت الخليل هكذا فجاشت نفسي وردت على ما كرهته فقرت ، طعنت أو أبليت . ويدل على ذلك قوله : « علام تقول الرمح يثقل ساعدي إذا أنا لم أطمن » ، فحذف طعنت أو أبليت لأن المراد مفهوم . وهذا كما حذفوا جواب لو رأيت زيدا وفي يده السيف ! وعلى هذا الكلام على المذهبين في قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفَتَحَتْ ﴾ (٢) أَبْوَابُهَا ، وفي قول امرئ القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ حَبْتِ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلٍ
وحذف الجواب في مثل هذه المواضع أبلغ وأدل على المراد وأحسن ، بدلالة أن المولى إذا قال لعبده : « والله لئن قُمتُ إليك » وسكت ، تراخى عليه من الظنون المعترضة للوعيد ما لا يتزاحم لو نص من مؤاخذته على ضرب من العذاب . وكذلك إذا قال المتبجح : « لو رأيتني شاباً » وسكت ، جالت الأفكار به بما لم تجل به لو أتى بالجواب .

٣ - عَلَامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يَثْقُلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْمَنُ إِذَا الْخَلِيلُ كَرَّتْ
« ما » في الاستفهام إذا اتصل بحرف جر يُحذف الألف من آخره تخفيفاً ، على ذلك فيم ويم ولم ، إلا إذا اتصل ما بذاً فقلت : بماذا ولماذا ، لأنه يُترك على تمامه (١) . وقوله : « تقول الرمح » يُروى بفتح الحاء وضمها ، فإذا

(١) وقد يترك على تمامه مع عدم اتصاله بذاً . وقرأ عكرمة وعيسى : « عما يقساهلون » . وقال حسان : على ما قام بشتى لئيم كخزير تمغ في رماذ
انظر المغني في (ما) والحزانة (٢ : ٣٥٧) والبيان (٣ : ١٢٥) .
(٢) كذا في النسختين . وقرأ عاصم وهزرة والكسائي وخلف والأعمش بتخفيف التاء .
وباقى القراء بتشديدها .

نَصَبَتْ فَلَأَنَّكَ جَعَلْتَ تَقُولُ فِي مَعْنَى تَظُنُّ . وَهُمْ — عِنْدَ الْخُطَابِ وَالْكَلَامِ اسْتِفْهَامٌ — يَحْمِلُونَ الْقَوْلَ عَلَى الظَّنِّ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* قَمَتِي تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا ^(١) *

أَيُّ مَتَى تَظُنُّ ذَلِكَ فَتَقُولُ ، فَجَلَّ الْقَوْلَ يَدُلُّ عَلَى الظَّنِّ لَمَّا كَانَ الْقَوْلُ تَرَجُّمَةً عَنِ الظَّنِّ . وَالْخُطَابُ وَالِاسْتِفْهَامُ يَحْتَمِلَانِ مَا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرُهُمَا . وَإِذَا رَفَعْتَ الرُّمْحَ قَالَتْ قَوْلُ مَتْرُوكٌ عَلَى بَابِهِ ، وَالرُّمْحُ يَرْتَفِعُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَالْكَلَامُ حِكَايَةٌ ، وَمَا بَعْدَ الْقَوْلِ إِذَا كَانَ كَلَامًا مُفِيدًا يُحْكِي . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَلَأَيَّ وَجْهِ تَقُولُ : أَجِئِ الرُّمْحَ فَيُنْقَلُ سَاعِدِي إِذَا لَمْ أَعْمَلْهُ إِذَا حَصَلَ الْكُرُّ مِنَ الْخَيْلِ بَعْدَ الْفَرِّ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ . وَلِلْمَعْنَى بَأَى حُجَّةٌ أَجِئِ السَّلَاحَ إِذَا لَمْ أَبْلِ فِي الْحَرْبِ وَلَمْ أَسْتَعْمِلْهُ فِي وَقْتِهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ إِسْقَاطٌ لِلتَّبَجُّحِ بِالْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ : « إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ » أَيُّ لَمْ يُنْقَلُ سَاعِدِي الرَّمْحَ فِي وَقْتِ تَرَكِي الطَّعْنَ زَمَانَ كَرَّرَ الْخَيْلَ ، فَإِذَا الْأَوَّلُ ظَرَفُ لِقَوْلِهِ يُنْقَلُ ، وَإِذَا الثَّانِي ظَرَفُ لِقَوْلِهِ لَمْ أَطْعُنْ .

٤ — لَحَا اللَّهُ جَرَمًا كُلَّمَا دَرَّ شَارِقٌ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازَبَارَتْ

ازْبَارَتْ : انْتَفَشَ حَتَّى ظَهَرَ أَصُولُ شَعْرِهِ . قَالَ :

فَهُوَ وَرَدُ اللَّوْنِ فِي اِزْبَارِهِ وَكَيْتُ اللَّوْنِ مَا لَمْ يَزْبَرْ ^(٢)

كُلَّمَا انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَ« وَجُوهَ » انْتَصَبَ عَلَى الشِّتْمِ وَالذَّمِّ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ فِعْلٌ مُضَمَّرٌ وَهُوَ أَذْكَرُ . كَأَنَّهُ شَبَّهَ وَجُوهَهُمْ بِوَجْهِ الْكِلَابِ فِي الْحَالَةِ لِلذِّكُورَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ « جَرَمًا » . وَمَعْنَى

(١) لَعَمْرُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (قَوْل) . وَصَدْرُهُ :

* أَمَا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدِ *

(٢) الْبَيْتُ لِلْمَرَارِ بْنِ مَيْثُودٍ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ٨١) .

لَحَا لِلَّهِ : فَشَرَّ اللَّهُ ، أَى فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ غَدَاةَ كُلِّ يَوْمٍ ، أَذْكَرُ قَوْمًا يُشْمِهُونَ لِلْكَلابِ إِذَا وَاثَبَتْ غَيْرَهَا وَسَاوَرَتْ ، فَانْتَفَشَتْ وَتَجَمَّعَتْ لِلْوُثْبِ ؛ وَتِلْكَ الْحَالَةُ مِنْ أَحْوَالِهَا أَشْنَعُ وَأَنْكَرُ . وَهَذَا تَحْقِيقُ الشَّيْبَةِ ، وَتَصْوِيرُ الْقَبَاحَةِ الْمُنْظَرِ . وَالذَّرُورُ فِي الشَّمْسِ أَصْلُهُ الْإِنْتِشَارُ وَالْفَرِيقُ . قَالَ :

• كَالشَّمْسِ لَمْ تَعْدُ سِوَى ذُرُورِهَا •

أَى طُلُوعِهَا وَإِنْتِشَارِ ضَوْئِهَا . قَالَ الْخَلِيلُ : الْمَهَارِشَةُ مِنَ الْكِلَابِ وَغَيْرِهَا كَالْمُحَارِشَةِ . وَيُقَالُ : فَلَانٌ يُهَارِشُ بَيْنَ الْكَلْبَيْنِ .

٥ - فَلَمْ تُغْنِ جَرْمَ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقِيَا وَلَكِنْ جَرَمًا فِي اللَّقَاءِ أَبْذَعَرَتْ^(١)

جَرْمٌ وَنَهْدٌ : قَبِيلَتَانِ مِنْ قُضَاعَةَ^(٢) . وَمَعْنَى ابْذَعَرَتْ : تَفَرَّقَتْ . وَأَصَافَ نَهْدًا إِلَى ضَمِيرِ جَرْمٍ ، لِاعْتِمَادِهِ كَانَ عَلَيْهَا ، وَاعْتِقَادِهِ الْاِكْتِفَاءَ بِهَا . وَالْمَعْنَى لَمْ تَنْصُرْهَا فَكَانَتْ تَكْفِي بِهَا وَتَغْنِي ، وَلَكِنْ جَرَمًا انْهَزَمَتْ ، وَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فَمَضَتْ ، وَاصْطَلَتْ نَهْدٌ بِنَارِ الْحَرْبِ ، فَمَسَتْ حَاجَتُهَا إِلَى مَنْ يُؤَاوِزُهَا ، وَيَنَاحِضُ الْأَعْدَاءَ مَعَهَا .

٦ - ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ

يَقُولُ : بَقِيْتُ نَهَارِي مُنْتَصِبًا فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ ، وَالطَّمَنُ يَأْتِينِي مِنْ جَوَانِبِي ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَاكِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلْقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّمَنُ ، أَذُبُّ عَنْ جَرْمٍ وَقَدْ هَرَبَتْ هَيَّ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ : كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ صَيِّدٌ . فَقَدْ حَكَى أَبُو زَيْدٍ أَنَّهُ يُقَالُ

(١) رَوَايَةُ التَّبَرِيزِيِّ : « إِذْ تَلَاقِيَا » .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : وَكَانَتْ جَرْمٌ وَنَهْدٌ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، فَقَتَلَتْ جَرْمٌ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ يُقَالُ لَهُ مَعَاذُ بْنُ يَزِيدٍ ، فَارْتَحَلَتْ جَرْمٌ فَتَحَوَّلُوا إِلَى بَنِي زَيْدٍ قَوْمَ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ، فَجَاءَتْ بَنُو الْحَارِثِ يَطْلُبُونَ يَدَمَ صَاحِبِهِمْ ، فَعَبَسَ عَمْرُو بْنُ جَرْمٍ لِبَنِي نَهْدٍ ، وَتَعَبَسَ هُوَ وَقَوْمُهُ لِبَنِي الْحَارِثِ ، فَكَرِهَتْ جَرْمٌ دِمَاءَ بَنِي نَهْدٍ فَفَرَّتْ ، وَانْهَزَمَتْ بَنُو زَيْدٍ ، فَلَامَهُمْ عَمْرُو .

للصيد خاصة دَرِيَّةٌ ، غيرُ مهموزةٍ ، ودَرَايَا ؛ كَأَن هَذَا مِنْ دَرِيَّةٍ أَيْ خَتَلَتْ .
فَأَمَّا الدَّابَّةُ الَّتِي يُسْتَرَبُّ بِهَا مِنَ الصَّيْدِ ، فَإِذَا أُكْتُبَ رُمِيَّ مِنْ خَلْفِهَا ، فَذَكَرَ
أَبُو زَيْدٍ أَنَّهَا تَسْمَى دَرِيَّةَ الصَّيْدِ ، بِالْهَمْزِ . قَالَ : وَيُقَالُ : دَرَاتُهَا نَحْوَ الصَّيْدِ
وإِلَى الصَّيْدِ وَلِلصَّيْدِ ، إِذَا سُقَتْهَا . وَكَأَن هَذَا مِنَ الدَّرِّ ، وَهُوَ الدَّفْعُ . وَقَدْ تَسَمَّى
تَمَلَّكَ الدَّابَّةُ الدَّرِيْعَةَ وَالسَّيْفَةَ وَالْقَيْدَةَ . وَأَنْشَدْتُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ ، رَحِمَهُ
اللَّهُ ، أَنْشَدَنِي حَمْزَةُ بْنُ الْحَسَنِ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي عَلَى بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ عَنْهُ :

إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا نَدِبُ لَهُمْ كَمَا تَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذُّرْعُ^(١)

الذُّرْعُ : جَمْعُ ذَرِيْعَةٍ ، كَصَحِيفَةٍ وَصُحُفٍ . وَإِنْ جَعَلْتَ « كَأَنِّي » فِي مَوْضِعِ
الْحَالِ فَأَقَاتِلْ فِي مَوْضِعِ الْخَيْرِ لَفَّالَتِ حَيْفُذُ .

٧ - فُلُو أَنْ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتْ

النُّطْقُ اسْتَعْمَلَ فِي الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ ، وَلِذَاكَ قِيلَ مَنْطِقُ الطَّيْرِ ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا
قَالُوا : نَطَقَ الْكِتَابُ بِكَذَا . يَقُولُ : لَوْ أَنَّ قَوْمِي أُبْلُوا فِي الْحَرْبِ وَاجْتَهَدُوا
لَا فُتِحَتْ بِهِمْ ، وَذَكَرْتُ بِلَاءَهُمْ ، وَلَكِنَّ رِمَاحَهُمْ أَجَرَتْ لِسَانِي ، كَمَا يُجَرُّ
لِسَانُ الْفَصِيلِ . وَجَعَلَ الْفَعْلَيْنِ لِلرِّمَاحِ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ فِي أَنَّ التَّقْصِيرَ كَانَ مِنْهُمْ
لَا مِنْهَا . وَالْإِجْرَارُ : أَنْ يُشَقَّ لِسَانُ الْفَصِيلِ لِلرِّمَاحِ فَيُجْعَلَ فِيهِ عُوَيْدٌ لثَلَاثَ
يَرْضَعِ أُمِّهِ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْإِجْرَارُ فِي الرَّمْحِ إِذَا تَكَسَّرَ فِي الطَّعْمِ . قَالَ :

* أَجِرَهُ الرَّمْحُ وَلَا تَهَالَهُ^(٢) *

(١) أَنْشَدَ فِي اللِّسَانِ (ذُرْعُ) :

وَالْمَعْنَى أَسْبَابُ تَقَرُّبِهَا كَمَا تَقَرَّبُ لِلْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ

(٢) فِي اللِّسَانِ : « فُتِحَ اللِّسَانُ لِسُكُونِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الْأَلْفِ قَبْلَهَا . وَاخْتَارُوا الْفَتْحَ
لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ الْأَلْفِ الَّتِي قَبْلَهَا ، فَلَمَّا تَحَرَّكَتِ اللَّامُ لَمْ يَلْتَقِ سَاكِنَتَا فَتَحُذَفِ الْأَلْفُ لِاتِّقَاثِمَا »
وَقَبْلَهُ :

* وَيَهَا فِدَاءُ لَكَ يَا فَضَالَه *

وفي طريقه قوله : « أنطقني رماحهم » قول الآخر ^(١) :
أقول وقد شددوا لسانى بنسعة أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيَا
لأن المعنى أحسنوا إلى ينطلق لسانى بشكرهم .

٣٠

سَيَّارُ بْنُ قَصِيرِ الطَّائِي

١ - لو شَهِدَتْ أُمُّ الْقُدَيْدِ طِعَانَنَا بَمَرْعَشَ خَيْلِ الْأَرَمِيِّ أَرَنْتِ ^(٢)

جواب لو ، « أَرَنْتِ » . يقال رَنَّ وَأَرَنَّ بمعنى واحد . ومَرْعَش من ثغور
أَرَمِيَّة . وأُمُّ الْقُدَيْدِ ، قيل هي امرأته . والخيل ينتصب من قوله « طِعَانَنَا » .
ومعنى البيت : لو حَضَرَتْ هذه المرأة مطاعننا بَمَرْعَشَ خَيْلِ هذا الرَّجُلِ
الْأَرَمِيِّ لَوَلَوْتُ وَخَجْتُ ، إشفافاً علينا ، لكثرتهم وَقَلَّتْنَا . والباء من قوله
« بَمَرْعَشَ » تعلق بطعاننا ، وهو ظَرْفُ مكان له قد عَمِلَ فيه . وإنما قلت هذا
لثلاثِ يَتَوَهَّمُ أنه تعلق بِشَهِدَتْ ، وأنه في موضع الحال للخيل أو المطاعنين ،
فيكون قد فُصِّلَ به بين الصَّلَةِ والموصول ، وهما طعاننا وخيل الأرمي .

٢ - عَشِيَّةَ أَرْمَى جَمْعُهُمْ بَلْبَانِهِ وَنَفْسِي وَقَدْ وَطَّئْتُهَا فَاطْمَأْنَنْتِ

لَبَّانُ الْفَرَسِ : صدره . ويقال : وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى كَذَا فَتَوَطَّئْتُ ، أَيْ
حَمَلْتُهَا عَلَيْهِ فَذَلَّتْ . وانتصب « عَشِيَّة » على أنه ظَرْفُ لَطِعَانِنَا . ويجوز أن
يكون ظَرْفًا لِشَهِدَتْ ، ولا يجوز أن يكون ظَرْفًا لِأَرْمَى ؛ لأن أَرْمَى أَضِيفَتْ
عَشِيَّةً إِلَيْهِ ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف . ومعنى البيت : عَشِيَّةَ أَجْهَلُ عَلَى
الْقَوْمِ وَلَا أَبَالِي إِنْ كَانَتْ عَلَى أَوْ لِي ، لِأَنِّي وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى الشَّرِّ فَأَلْفَقْتُهُ

(١) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي . الفضليات (١ : ٥٥)

(٢) أُنشِدَ هذه الأبيات ياقوت في (مرعش) بدون نسبة .

وسكنت إليه . فمن روى : « ونفسي قد وطفتها » يكون الواو للحال ، ونفسي يرتفع بالابتداء ، ووطفتها في موضع الخبر . ومن روى : « ونفسي وقد وطفتها » فإن نفسي يكون في موضع الجر عطفاً على بلبانه ، أى أرى جيشهم بنفسي وفرسى ، ويكون قد وطفتها في موضع الحال . وتحقيق الكلام : وقد وطفتها على الشر فسكنت إليه ، ورضيت به . ومثله قول عنتره :

مازلت أرميهم بقرحة مَهْرِي وَلَبَّانِ لَا وَكَلٍ وَلَا هَيَّابِ

وقول الآخر :

مازلت أرميهم بقرحة نَحْرِهِ وفارسه حتى ثارتُ ابنَ وَاقد^(١)

٣- وَلَا حَقَّةَ الْأَطَالِ أَسْنَدْتُ صَفَّهَا إِلَى صَفِّ أُخْرَى مِنْ عِدَى فَاقْشَعَرَّتْ

إنما نكَّرَ قوله « عِدَى » لينبئ به على اختلافهم وكثرتهم ، وأن ذلك لتوفر فضائلهم ، وتظاهر عزمهم ورياستهم ، إذ كان الحسدُ يقع ذلك ، ولأنهم يَتَرَوْنَ مَنْ لَا يَذِلُّ لَهُمْ ، وَلَا يَهْوَى هَوَاهُمْ . يقول : ورُبَّ خَيْلٍ قَدْ لَحَقَتْ بطونُها بظهورها^(٢) ، وارتفعت جنوبُها إلا متونها ، أنا أملتُ صفَّها إلى صفِّ خَيْلٍ مِثْلِهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ ، تخافت لقلتنا وكثرتهم . وأصل الاقشعرارِ تَقَبُّضُ الْجِلْدِ وَانْتِصَابُ الشَّعْرِ ، وقد تكلم الناسُ في قول امرئ القيس :

* وَالْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةِ مُقْشَعِرٍ^(٣) *

فقال بعضهم : الاقشعرار لا يصحُّ في القلب ، لأنه يُخْبِرُ به عما عليه شعره ، ولا شعرَ على القلب . وقال غيره : إنما هو كنايةٌ عن الوجَل ، ولما كان

(١) في الأصل : « وبوجهه حتى » ، ولا يستقيم به الوزن . وهو من الطويل مع انحراف في أوله . وأثبتنا ما في م . (٢) م : « وظهورها » .

(٣) هو بتمامه ، كما في الديوان ٩ :

فبت أكابد ليل التما م والقلب من خشية مقشعر

الاقشعرا^١ يقع عنده كني به عنه . وإذا كان كذلك فكأنه قال : والقلب من جشنة وجل .

٣١

بعض بنى بولان من طي^(١)

بولان فعلان ، من قولهم رجل بولة ، إذا كان كثير البول . والبوال : داء يصيب الغنم فيبول حتى يموت .

١ - نحن حبسنا بنى جديلة في نار من الحرب جحمة الضرم جديلة من الجدل ، وهي فيما زعموا أتهم . والجدل : القتل . قال الثريدي : جديلة من قولهم امرأة مجدولة ، إذا كانت قضيقة . ويقال ضمرت النار ، إذا التهب ، تضرم تضرما . ولهذا ما تلهب به النار سريعا من الحطب قيل له الضرام . فيقول : حبسنا هؤلاء القوم على نار من الحرب شديدة الالتهاب . والجحمة : مصدر جحمت النار فهي جامحة ، إذا اضطربت ؛ ومنه الجحيم . قال : وصفت النار بالجحيم لحمرتها ، ولذلك سُميت عين الأسد جحمة ، لأنها تتراءى بالليل كأنها نار . وقال الثريدي : الجحمة العين ، لغة يمانية . وعين الأسد خاصة في كل اللغات الجحمة .

٢ - نستوقد النبل بالحضيض ونص طاد نفوسا بُنت على الكرم

قوله « نستوقد النبل » من فصيح الكلام ، كأنه جعل خروج النار من

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : « هذا الشعر لرجل من بلقين ، وسبب ذلك أن القين بن جسر وطينا كانوا حلفاء ، ثم لم تزل كلب بأوس بن حارثة حتى قاتل القين يوم ملكان ، فحبسهم بنو القين ثلاثة أيام ولياليها لا يقدرّون على الماء ، فنزلوا على حكم الحارث بن زهدم أخى بنى كنانة بن القين ، فقال شاعر القين يومئذ : نحن حبسنا » .

(٢) في الأصل : « عين الشمس » تحريف ، ص ا به في م والتبريزي واللسان .

الحَجَرِ عِنْدَ صَدْمَةِ النَّيْلِ اسْتِقَادًا مِنْهُمْ . وَالْوَقْدُ ، تَوَسَّعُوا فِيهِ حَتَّى قِيلَ قَلْبٌ وَقَادٌ . فَإِنْ قِيلَ : هَلَّا قَالَ نَسْتَقْدِحُ النَّيْلَ ، فَكَانَ أَصَحَّ ؟ قُلْتُ : الَّذِي قَالَهُ أَفْصَحُ ؛ وَقَدْ قِيلَ زَنْدٌ مَيْقَادٌ ، إِذَا كَانَ سَرِيعَ الْوَرَى . وَقَالَ الْخَلِيلُ : كُلُّ مَا تَلَاؤًا فَقَدْ وَقَدَ ، حَتَّى الْحَافِرُ . يَقُولُ : تَنْفَذُ سَهَامُنَا فِي الرَّمِيَةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى حَضِيضِ الْجَبَلِ فَتَخْرُجَ مِنْهُ النَّارُ لَشِدَّةِ رَمَيْنَا ، وَقُوَّةِ سَوَاعِدِنَا ، وَنَصِيدِهَا نَفُوسًا مَبْنِيَّةً عَلَى كَرَمٍ . أَيْ نَقْتُلُ الرُّؤْسَاءَ وَمَنْ تَكْرُمُ نَفْسَهُ وَتَعِزُّ حَيَاتُهُ . وَقَوْلُهُ « بُنْتُ » أَصْلُهُ بُنَيْتُ ، فَأَخْرَجَهُ عَلَى لَفَةِ طَيْئٍ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي بَقِي بَقِي ، وَفِي رُضِي رُضِي . وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

* عَلَى مَحْمَرٍ ثَوَّبْتُمُوهُ وَمَا رُضِي ^(١) *

وَقَالُوا فِي بَادِيَةِ : بَادَاةٌ ، كَأَنَّهُمْ يَفْرُونَ مِنَ الْكُسْرَةِ بَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ ، فَتَنْقَلِبُ الْيَاءُ أَلْفًا . وَالْحَضِيضُ : قَرَارُ الْأَرْضِ عِنْدَ سَفْحِ جَبَلٍ . وَالنَّيْلُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ .

٣٣

وَقَالَ رُوَيْشِدُ بْنُ كَثِيرٍ الطَّائِيُّ :

١ - يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمَرْجِي مَطِئَتُهُ سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ ^(٢)

الْمَطِئَةُ مِنَ اللَّطَاءِ ، وَهُوَ الظَّهْرُ . وَيُقَالُ مَطَاءٌ وَامْتِطَاءٌ ، إِذَا رَكَبَهُ . وَلِلْحُقُوقِ الْهَاءُ بِهِ صَارَ اسْمًا ، وَقَدْ سَمِئَتْهُ . وَيُرْوَى : بَلَّغَ بَنِي أَسَدٍ . وَقَوْلُهُ : « مَا هَذِهِ »

(١) لَزِيدُ الْخَلِيلِ ، كَمَا فِي نَوَادِرِ أَبِي زَيْدٍ ٨٠ وَالْأَمَالِي (٣ : ٢٤) وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَغْنَى لِلْسَيُوطِيِّ ١٦٥ . وَاللَّسَانُ (أَم) . وَصَدَرَهُ : * أَفَى كُلِّ عَامٍ مَا تَمَّ تَجْمَعُونَهُ *

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « هَذِهِ الْأَبْيَاتُ شَاذَةٌ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ ، لِأَنَّ الْعَادَةَ قَدْ جَرَتْ إِذَا اسْتَعْمَلُوا هَذَا الْوِزْنَ أَنْ يَكُونَ اللَّيْنُ فِيهِ كَامِلًا ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ الرَّوْيِ أَلْفٌ أَوْ وَاوٌ قَبْلَهَا ضَمَّةٌ ، أَوْ يَاءٌ قَبْلَهَا كُسْرَةٌ . وَقَوْلُهُ : الصَّوْتُ ، قَدْ جَاءَ بِالْوَاوِ وَمَا قَبْلُهَا مَفْتُوحٌ » .

«الصوت» الجملة في موضع المفعول، وارتفع الصوت على أنه عطف البيان. يُخَاطَبُ الراكب السائق لمطيقته بإعجال، يسأله أن يُبلغ بني أسد عنه عن طريق الفحص والاستعلام: ما هذه الجلبة. وهذا الكلام تهكم وسخرية، لأنه هو الذي أثار عليهم ما احتاجوا له، وجلب عليهم ما أشكاهم. وإنما قال ما هذه الصوت، والصوت مُذكر، لأنه قَصَدَ به إلى الصيحة والجلبة. وهذا كما قال حاتم:

أَمَاوِيَّ قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ وَقَدْ عَذَّرْتَنِي فِي طِلَابِكُمُ الْعُذْرُ
يريد المذرة. وكما قال الآخر (١):

وكان يحجني دون من كنت أتقي ثلاثُ شُخُوصٍ كاعبانٍ ومُعَصِرٍ
فأنث الشُخُوصَ لأنه قصد بها إلى النفوس. وحكى عن أبي عمرو ابن العلاء أنه سمع بعضهم يقول: «جاءه كتابي فاحتقرها». قال أبو عمرو: قلت: أتقول جاءته كتابي؟ قال: نعم، أليست هي صحيفة؟ وقد قيل: لما كانت الشُخُوصُ شُخُوصَ النساءِ أنث العدد. وقوله: «الراكب المزجي» الراكب يقع على راكب البعير خاصة؛ لأن راكب الخيل يقال له فارس. والمزجي، يُقال زجاً الشيء يزجو زجواً وزجاءً، وأزجيته أنا وزجيته، إذا استحثته. ومنه زجاء الخراج. وفي هذا الكلام دلالة على أنه ليس يُقْنَعُهُ ما أوقعهم فيه. ألا ترى أنه يتوعد بالاستئصال إن لم يصبح عُذْرُهُمْ. ويجوز أن يكون المراد بقوله «ما هذه الصوت» ما الذي يتأدى إلى عنكم، ويتحدث به الناس من شأنكم وقصبتكم. ويقال: ذهب صوت هذا الأمر في الناس للتحدث به، وذهب صيت بني فلان في الناس إذا ذكروا بالخير. فكانه على هذا يوههم

(١) هو عمر بن أبي ربيعة، من قصيدته التي مطلعها:

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أم رائح فهجور

أنه لم يصحَّ عنده ما يُقال، وأنهم إن لم يقيموا المَعذِرَةَ والدَّلالة على براءة الساحة حينئذ عاقبهم . وهذا المعنى في نهاية الحُسن ^(١) .

٢- وَقُلْ لَهُمْ بِادِرُوا بِالْعُذْرِ وَالتَّسْوَا قَوْلًا مُبَرِّئًا لِي أَنَا الْمَوْتُ

مفعول بادروا محذوف ، كأنه قال : بادِرُوا الْعِقَابَ بِالْعُذْرِ ، أى ساقِوْهُ .
يقول : قُلْ لَهُمْ : سَارِعُوا بِالْعُذْرِ فيما ركبتموه واطلبوا قَوْلًا مُبَرِّئًا سَاحَتَكُمْ ،
إِنِّي أَنَا حَتْمُكُمْ إِن لَّمْ تَفْعَلُوا ، أى أَقْرَبَ حَيْثُكُمْ ، وَأَسْتَعِى فِي هَلَاكِكُمْ إِن
لَمْ تَفْعَلُوا . ويقال : لَمَسَ وَالتَّمَسَ فِي مَعْنَى طَلَبَ . على ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى
حَاكِيًا عَنْ مَسْتَرِقَةِ السَّمْعِ : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتًا فَكَرِهْنَا أَنْ نَكُونَ مِنْهَا كَاكِبًا﴾
أى طلبناها . وقال الشاعر :

أَلَا مَ عَلَى تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فَلَا أَحَدُهُ

و « يبرئكم » في موضع الصِّفَةِ للقول ، أى قَوْلًا مُبَرِّئًا لَكُمْ مِنَ الذَّنْبِ .

٣- إِنْ تُذْنِبُوا نِم يَأْتِنِي بِقَبِيضِكُمْ فَمَا عَلَى بَذْنٍ عِنْدَكُمْ فَوْتُ ^(٢)

قوله « بَذْنٍ » أى بسبب ذَنْبٍ ، وَقَدْ حَذَفَ الْمُضَافُ وَأَقَامَ الْمُضَافُ
إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، كأنه قال بجزاء ذَنْبٍ ، ويقال : « لَا فَوْتَ عَلَيْكَ فِي كَذَا » ،
كما يقال لَا بَأْسَ عَلَيْكَ . والمعنى : لَا يَفُوتُكَ . وفي هَذَا الْكَلَامِ إِذْ لَنْ بَأْنَهُ
مُسْتَعْمِلُ الْأَنَاءَةِ وَالْحِلْمِ مَعَهُمْ ، ثَقَّةٌ بِأَنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ . يقول : إِنْ تُجَرِّمُوا
نِم يَصِحَّ عِنْدِي تَعَمُّدُكُمْ فِي إِجْرَامِكُمْ وَتَيَقُّنُكُمْ مَا يُلْحَقُكُمْ مِنْ لَائِمَةٍ وَعُيُوبٍ ^(٣)
وَأَنْكُمْ أَقْدَمْتُمْ مُسْتَيْبِينَ ، وَبِمَنْ يَأْخُذُكُمْ نَكِيرُهُ غَيْرَ حَافِلِينَ ، فَمَا يَفُوتُنِي .

(١) كذا في م . وفي الأصل : « في نهاية » فقط .

(٢) يروى أيضا : « تقيتكم » كما نص التبريزي . ويروى : « بقيتكم » كما سيأتي .

(٣) م : « وعقب » .

مكافأتكم ، ولا يُعَيِّنِي مؤاخذتكم ومحاسبتكم . ورُوي : « ثم يأتيني بقيتكم »
 وفُسر على وجهين : أحدهما أنَّ المعنى ثم تأتيني خياركم وأماثلكم ، يقيمون
 معذرة أنفسهم ، ويبينون أنهم لم يساعدوك لا بالراى ولا بالفعل . وهذا كما يقال :
 فلان من بقية أهله ، أى من أفاضلهم . والآخر أن يكون المعنى : ثم تأتيني
 بقيتكم الذين لم يذنبوا منتصليين بأنهم قد فارقوك وأسعدوك ، لعظيم جنايتكم ،
 وخلصوا رُبَّةَ النُّصرةِ والمعاونةِ لكم .

٣٣

أنيف بن حكم النهلاني^(١)

١ - جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيٍّ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ كِتَابَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالَهُ

الكَتِيبَةُ مِنَ الْجَبِشِ : ما جُمِع فلم ينشر . وقوله : « يُرْدِي » مع ما بعده
 في موضع الصفة للكتاب . يقول : جمعنا لهؤلاء القوم جُيُوشًا من خُلصِ العرب
 تهلك عُقُوبَتُهَا الَّذِينَ فِي نَسَبِهِمْ هُجْنَةٌ أَوْ إِقْرَافٌ إِذَا بَرَكُوا عَلَيْهِمْ . وهذا يجوز أن
 يكون تعريضًا بما يذيه ووعيدًا لهم . والإقْرَاف يكون من قِبَلِ الْفَحْل ، وَالْهُجْنَةُ
 مِنْ قِبَلِ الْأُمِّ . وَذَكَرَ الْمُقْرِفِينَ وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُجَنِّاءَ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَ
 مَا خَذَمَ فِي أَنَّهُ لَا يَخْلُصُ نَسَبُهُمْ ، [وَلَا يَصْفُو سَبَبُهُمْ ^(٢)] ، فَنَافِيهِمْ أَشَدُّ نَقْدًا ،
 وَمَنْ يَفْهَمُ أَتَكَرَّرَ دَفْعًا . وَكَانَ عُنْتَرَةُ الْعَبْسِيِّ هَجِينًا فَقَالَ :

إِنِّي إِصْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِي وَأَحْيَى سَاطِرِي بِالْمَنْصُلِ

[نَافِيًا لِلْإِقْرَافِ ^(٣)] ، فَجَعَلَ أَحَدَ شَطْرَيْهِ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ ، وَجَعَلَ الْبَاقِي
 بِحِمِيهِ مِنَ الْقَدَمِ بِاسْتِعْمَالِ السَّيْفِ يَوْمَ الرَّوْعِ ، وَحَسَنِ الْبَلَاءِ فِي الْحَرْبِ ، حَتَّى

(١) التبريزي والمهجع : « أنيف بن زبان النهلاني » .

(٢) التكلة من م .

(٣) التكلة من م . وما بعده إلى « عبس » ساقط من م .

يُلْحِقَهُ بِالْخَلَصِ ، وَلَا تَقْعُدَ بِهِ هُجْنَتُهُ عَنِ الدُّخُولِ فِي زُمَرَةِ الصُّرَحَاءِ .

٣- لَهْمُ عَجْزٍ بِالْحَزْنِ فَالرَّمْلُ فَاللَّوَى وقد جاوزت حَيَّيْ جَدِيسَ رِغَالَهَا

الرَّعِيلُ: قطعة من الخيل متقدمة ، وتوسّعوا فقالوا: أراعيْلُ الرِّياح . ويقال: استزَعَلَ فُلَانٌ ، أى خَرَجَ في الرَّعِيلِ الأول . يقول : سَوَابِقُ هذه الكتائب وأوائِلُها قد جاوزت بلادَ طَسْمٍ وجَدِيسَ ، ولواحقُها قد شُجِنَتْ بها هذه المواضع . وبين بلاد حَيَّيْ جَدِيسَ والبقاع التي ذكرها مَسَافَةٌ بعيدة . واللَّوَى ، حيث يَرِقُّ الرَّمْلُ فيخرج السائر فيه إلى الحزن . وطَسْمٌ وجَدِيسُ : أُمَّة من العرب بادوا وانقرضوا . وقيل أراد بالحيَّين جَدَسًا^(١) وجَدِيسًا ، وذَكَرَهُم والقصدُ إلى ديارهم وبلادهم ، ورتَّبَ للمواضع الذي عدَّها بالفاء ، وجعل أعجاز الكتائب فيها تكثيرًا لها .

٣- وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ تُتَاحُ لِفِرَاتِ الْقُلُوبِ نِبَاهُهَا

رَجَلَةٌ موضوعة لأدنى العدد ، بدلالة أنك تقول : ثَلَاثَةُ رَجَلَةٍ . ومن عادتهم أن يُقَدِّمُوا الرِّجَالَ عند تعبئة الجيش ، ليستَنِدُوا إلى الفُرسَانِ . وقوله : « وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ » أراد قطعة من الرِّجَالَةِ . ومعنى تُتَاحُ : تُقَدَّرُ وَتُهَيَّأُ . ويقال : تَاحَ لَهُ كَذَا وَأَتَحَتُهُ أَنَا ؛ رَجُلٌ مُتَيَّحٌ . وموضعُ جَرٍّ على الصِّفَةِ لِرَجَلَةٍ . فيقول : تحت صدور الدوابِّ قطعة من الرِّجَالَةِ تُقَدَّرُ نِبَاهُهَا للقلوبِ الغافِلَةِ ، أى لا يُشْعِرُ بِهِمْ فإذا نبأهم تعمل هذا العمل . والحَرَشَفُ ، الأصل فيها أن تُسْتَعْمَلَ في الجراد ، ثم استُعيرَ للجِجَاعَةِ من الرِّجَالَةِ على التشبيه ، وقال امرؤ القيس :

كَأَنَّهُمْ حَرَشَفٌ مَبْشُوثٌ بِالْجَوِّ إِذْ تَبْرِقُ النُّعَالُ

(١) في القاموس : « وجدس مخرقة : بطن من لحم ، أو هو تصعيف والصواب بالحاء المهملة »

وغيرَاتٌ : جمع غيرة ، وهي صفة ، يقال رجلٌ غِرٌّ وغَريرٌ ، وجاريةٌ غِرَّةٌ وغَريرةٌ ، ومصدره الغرارة .

٤- أَبَى لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّهُمْ بَنُوا نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا

هذا الكلام من صفة الكتائب . و« أن يعرفوا » في موضع المفعول لِأَبَى ، وفاعله قوله « أنهم بنون اتق » . وقوله « كانت » من صفة الناتق . يقول : منع لم معرفة الضيم كثرتهم وترادفهم . والناثق : المرأة الكثيرة الأولاد . وجعل العيال كنايةً عن الأولاد ، وهو جمع عيّل ، كجيد وجياد . يقال : عند فلان كذا عيلاً ، وهو مَعِيلٌ ومُعِيلٌ^(١) : كثير العيال . والفعل من ناتقٍ نَتَقَتْ نَتَقَتْ نَتَقًا .

٥- فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنٍ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَاقَى طَلْحُهَا وَسَيَّالُهَا

الباء من قول « بحيث » تعلق بفعلٍ دلّ عليه أتينا ، كأنه قال : حصلنا بحيث تلاقى طلحها وسيالها . وموضعه من الإعراب نصبٌ على الحال للمضمرين في أتينا . والسفحُ : أسفل الجبل ، ولاشهره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل . والطلحُ والسيالُ : شجران . فيقول : لما بلغنا أسفل الجبل من بطن هذا الوادي بحيث التقى هذان الجنسان من الشجر . وهذا إشارة منه إلى موضع العراك والقتال . وجواب لما فيما بعده .

٦- دَعَوْا لِنِزَارٍ وَانْتَمَيْنَا لِطَيٍّ كَأَسَدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

انتمينا : انتسبنا ، أى قالوا يا نِزَارُ ، وقلنا نحن : يا لَطِيٍّ ، مشاهين للأسود . وقوله « كأسد الشرى » حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : وكإقدام أسد الشرى إقدامها ونزالها وجاز الحذف لأنه لا يلتبس

(١) كذا في الأصل . وفي م : « مُعِيلٌ وَمُتَمِيلٌ » ، وكلها صحيح .

وجه التشبيه بغيره . ومعنى « دَعَوْا لِنَزَار » : انتسبوا إلى نِزار . وهذا الاعتزاء الذى أشار إليه قد يفعله الفارسُ عند الطعن والضرب أيضاً ، يقول الواحد منهم : خُذْهَا وَأَنَا مِنْ بَنَى فُلَان ، وَأَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَان .

٧ - فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَيْنَ السَّيْفِ يَتَنَنَا لِسَائِلَةً عَنَّا حَفِيَّ سَوَالِهَا

الإحفاء يكون فى السُّؤال عن الشَّيْء ، ويكون فى طلب الشَّيْء من الغير ، وهو المبالغة فىهما ، والذى بينه السَّيْفُ هو حُسْنُ بلاءِ أحدِ الفريقين وزيادته فيما يُحْمَدُ مِنَ الصَّبْرِ والثَّبَاتِ على صاحبه . وقد حَذَفَهُ مِنَ اللَّفْظِ لِأَنَّ الْمَفَاعِيلَ تُحَذَفُ كَثِيرًا إِذَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَيْهَا . ومعنى قوله : « لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيَّ سَوَالِهَا » أن الإحفاء فى السُّؤال والاستقصاء فى البحث ، ممَّا يزداد معه بينات الأحوال ، وجليات الأمور . وجعل الحَفِيَّ للسُّؤال على الجاز والسَّعة . وفسَّرَ قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَانَتْكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ : كَانَتْ الْمَعْنَى كَأَنَّكَ عَالِمٌ بِهَا ، لَمَّا كَانَ الْإِحْفَاءُ فِي الْمَسْأَلَةِ حَقِيقًا بِأَن يُوَدَّى إِلَى الْعِلْمِ بِالسُّئُولِ عَنْهُ . وَالسَّائِلَةُ يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهَا قَبِيلَةً ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهَا امْرَأَةً . وَجَعَلَ قَوْلَهُ « السَّيْفُ » كِنَايَةً عَنْ أَنْوَاعِ السَّلَاحِ ، بِدَلَالَةِ أَنَّهُ أَعَادَ ذِكْرَ اسْتِعْمَالِ السَّيْفِ فِيهَا بَعْدَهُ ، لَمَّا فَصَّلَ أَحْوَالَهُمْ وَفَسَّرَ مَقَامَاتِهِمْ فَقَالَ : وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسَّيُوفِ .

٨ - وَلَمَّا تَدَانُوا بِالرَّمَا حِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ الْقَنَاءِ مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا

يقول : ولما تقاربنا باستعمال الرَّمَا حِ رَوَيْتِ الْقَنَاءَ مِنْ دِمَائِهِمْ ، وَصَارَ النَّاهِلُ مِنْهَا غَالًا . وَالتَّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَالْعَلْلُ : الشَّرْبُ الثَّانِي كَأَنَّهُمْ عَاوَدُوا الطَّعْنَ وَكَرَّوْا حَالًا بَعْدَ حَالٍ . وَالتَّضَلَّعُ ، حَقِيقَتُهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهَا لَهُ ضَلْعٌ ، وَعِنْدَ الْارْتَوَاءِ تَنْتَفِخُ الْأَضْلَاعِ ؛ وَاسْتِعَارَهُ هَاهُنَا . وَيَقَالُ : تَضَلَّعَ شَيْعًا ، وَتَحَبَّبَ رِيًّا . وَخَصَّ الصُّدُورَ لِأَنَّ الطَّعْنَ بِهَا . وَيَقَالُ عَلَّاءُ يَلْهُوُ يَلْعَلُ وَيَعْلُ ، فَعَلَّتْ

حي. وإن شئت على هذا رَوَيْتَ : «وَعَلَّتْ نِهَالَهَا» ، وإن شئت رويت : «وَعَلَّتْ» .

٩- وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالَهَا
وَسَلْتُ إِلَيْهِ وَسِيلَةً ، أَيْ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَقَرَبَةٍ . ويقال تَوَسَّلْتُ أَيْضًا . وفي
القرآن : ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ . ويقال . عَصَيْتُ بِالسَّيْفِ ^(١) ، إِذَا ضَرَبْتَ
بِهِ ، وَعَصَوْتُ بِالْعَصَا . وَجَعَلَ ابْنَتَاتِ الْوَسَائِلِ وَانْقِطَاعِ الْأَوَاخِي عِنْدَ اسْتِعْمَالِ
السُّيُوفِ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَشْتَدُّ عِنْدَهُ ، وَالْقِنَاعُ يَكْشِفُ مَعَهُ . وَلِهَذَا لَمَّا اسْتُوصِفَ
عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ أَنْوَاعُ السَّلَاحِ قَالَ فِي السَّيْفِ : «عِنْدَهُ تَشْكُلُ الْأَمْهَاتُ» .
وَقَوْلُهُ : «كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالَهَا» ، يَرِيدُ بِهِ أَنَّ حِبَالَ تِلْكَ الْوَسَائِلِ كَانَتْ
مَفْتُولَةً عَلَى الصُّلْحِ ^(٢) فَتَقَطَّعَتْ بِاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهَا صَارَ وَاتِرًا
وَمُوتُورًا ، فَسَقَطَ الْمَلَامَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ .

١٠- فَوَلَّوْا أَطْرَافَ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ قَوَادِرَ مَرْبُوعَاتِهَا وَطَوَائِلَهَا
قَوْلُهُ : «وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمُضْمِرِينَ فِي وَلَّوْا . وَذَكَرَ
الْأَطْرَافَ لِأَنَّ الطَّغْنَ بِهَا يَقَعُ ، وَإِنْ كَانَتْ الرِّمَاحُ بِأَسْرِهَا مَقْصُودَةً . يَقُولُ :
انْهَزَمُوا وَأَسْنَةُ الرِّمَاحِ مَتَمَكِّنَةٌ مِنْهُمْ ، وَمُقْتَدِرَةٌ عَلَيْهِمْ ، طَوَائِلُهَا وَأَوْسَاطُهَا .
وَالْمَرْبُوعُ وَالْمُرْتَبِعُ ^(٣) : مَا كَانَ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطَّوِيلِ ، وَمِنْهُ رَجُلٌ رَبْعَةٌ .
وَأِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَنْهَزِمِينَ إِذَا مَنَحُوا أَكْتَافَهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ أَثَرَهُمْ وَيَقْصِدُ
النَّكَايَةَ فِيهِمْ ، فَتَأْثِيرُ الْأَسْلِحَةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا مُتَقَارِبٌ . وَارْتَفَعَ «مَرْبُوعَاتُهَا»
عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْأَطْرَافِ . وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْقَصْدَ بِهَا إِلَى جَمِيعِهَا ، لَا إِلَى بَعْضِهَا .

(١) كَذَا جَاءَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي الْأَصْلِ وَم . وَيُقَالُ أَيْضًا : عَصَاهُ يَعْصُوهُ ، وَعَصَاهُ يَعْمَاهُ .

(٢) كَذَا فِي مَعَ أَثَرِ تَصْحِيحِ مِنَ النَّاسِخِ . وَفِي الْأَصْلِ : «الْصَّلَاحُ» .

(٣) الْمُرْتَبِعُ ، يَفْتَحُ الْبَاءَ وَكَسَرَهَا ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (رَبْعٌ ٤٦٣) ، وَجَاءَتْ اللَّفْظَةُ الْأُولَى

فِي م ، وَالْآخِرَةُ فِي الْأَصْلِ .

٣٤

قال عمرو بن معديكرب^(١) :

١ - ليسَ الجمالُ بمنزِرٍ فاعلمْ وإنْ رُدِّيتَ بُردًا

قوله « فاعلم » اعتراضٌ تأكِّد به الكلام ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقعِ النجوم . وإنَّه لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّه لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ؛ لأنَّ قوله « وإنْ رُدِّيتَ » متعلِّق بما قبله تعلُّقٌ جواب القسم بالقسم . يقول : ليسَ جمالُ المرءِ فيما يلبسه من الثياب وإن استسرى الملابس واختار أرضاها وأكملها . وكانوا ياتزرون بُزْدَ ويرتدون بآخر ، ويُسمَّيان حُلَّةً ، وباجتماعهما كان يكمل اللبوس ، حتى كانت خِلعة ملوكهم لا تغدوهما . ولذلك سُمِّيَ من مُمَيَّ ذَا البُزْدَيْنِ . قال :

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالكٍ ويا ابنةَ ذِي البُزْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ^(٢)
وقوله : « وإنْ رُدِّيتَ بُردًا » في موضع الحال ، كأنه قال : ليسَ جمالُكَ بمنزِرٍ مُمرَّدَى معهُ بُردًا . والحال قد يكون فيه معنى الشرط ، كما أنَّ الشرط يكون فيه معنى الحال . فالأوَّلُ كقولك : لا فَعَلْنَه كائنًا ما كان ، أى إن كان هذا وإن كان هذا . والثانى كبيت الكتاب :

* عاوِذَ هَرَاةَ وإنْ مَعْمُورُها خَرِبًا^(٣) *

لأنَّ الواو منه في موضع الحال ، كما هو في بيت عمرو ، وفيه لفظ الشرط ومعناه ، وما قبله نائبٌ عن الجواب . والمعنى : إنْ خَرِبَ مَعْمُورُ هَرَاةَ فَعاوِذَها . وكذلك بيت عمرو ، تقديره : إنْ رُدِّيتَ بُردًا على منزِرٍ فليسَ الجمالُ ذلك .

(١) سبقت ترجمته في المقطوعة ٢٩ .

(٢) البيت لحاتم الطائي . وابنه عبد الله هو ماوية بنت عبد الله زوج حاتم . وذو البردين هاجر بن أحيمر بن بهدلة . انظر حواشى البيان (٣ : ٣٠٩ - ٣١٠) .

(٣) كتاب سيبويه (١ : ٤٥٧) .

٢ - إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِينُ وَمَنَاقِبُ أَوْزَمْنُ مَجْدَا

أراد أن جمال المرء في أصوله الزكية ، وأفعال له كريمة تورث المجد والشرف . والمعْدِنُ ، هو من عَدَنَ بالمكان عَدَنًا وَعُدُونًا ، إذا أقَامَ . وكذلك عَدَنَتِ الْإِبِلُ فِي الْخُمْضِ ، وقيل المعْدِنُ اشتقاقه من عَدَنَتُ الْحَجَرُ ، إذا قَلَعْتَهُ . وإذا جمع الرجلُ بين الشرف الموروث والمستحدث المكسب فهو النّهْيَةُ . وَمَنَاقِبُ الْإِنْسَانِ : ما عُرفَ فيه من الخِصالِ الجليّةِ ، والطَّرَائِقِ الحميدةِ ، والوحدة مَنْقَبَةٌ . والنَّقَبُ كأنه منه . قال الدَّيرِيدِي : يَقَالُ نَقَبٌ بَيْنَ النَّقَابَةِ بِالْفَتْحِ ، مثل كفيلٍ بَيْنَ الكِفَالَةِ . فأما التعريف فصدره العِرافَةُ بالكسر : والمَجْدُ : الشرف والرَّفْعَةُ ، وَسُمِّيَتِ الْأَرْضُ المَرْتَفَعَةُ مَجْدًا ونَجْدًا به . ويجوز أن يكون أصله الكثرة ، يقال أُجِدَّتِ الدَّابَّةُ عِلْفًا ، أى وَسَعَتْهُ لها .

٣ - أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بَغَةً وَعَدَاءَ عَلَنْدَى

أَعْدَدْتُ وَاِعْتَدْتُ واحدٌ ، والاسم العُدَّةُ والعِتَادُ . يقول : هَيَّأتُ لنَوَائِبِ الدَّهْرِ ، أى لدِفْعِهَا دِرْعًا واسِعَةً وَفَرَسًا ضَخْمًا جَيِّدَ الْعَدْوِ كَثِيرَهُ . وَالْعَلَنْدَى أَلْفُهُ لِلْإِلْحَاقِ ، كَسَفَرٍ جَلٍ . وأصل الكلمة ثَلَاثِيٌّ ، والنون والألف زائدتان ، فهو من العَلْدِ . قال الخليل : هو الغليظ الشديد من كلِّ شَيْءٍ . والدلالة على أن الألف للإلحاق أنك تقول للهْؤُنْثُ عَلَنْدَاةٌ ، وأنتك تنوّن فتقول علندى . وذكر بعضهم أن العَلَنْدَى : الضَّخْمُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ جَمِيعًا ، وَجَمْعُهُ عَلَانِدٌ وَإِنْ شَتَّ عَلَادٍ ، كما قالوا فى حَبَنْطَى حَبَانِطٌ وَحَبَاطٍ . وفرسٌ عَدَّاءٌ وَعَدَوَانٌ ، إذا كان كثير العدو .

٤ - نَهْدًا وَذَا شُطْبِيقَةً دُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانِ قَدَا

نَهْدًا ، أى فرسا غليظا . والنُّهُودُ فى الندى : بيان حجمه ونُتُوهُ من هذا .

وَسَيِّفًا ذَا شُطْبٍ : ذَا طَرَائِقَ ، يَقْطَعُ الْبَيْضَ وَالذُّرُوعَ قَطْعًا . وَالْقَدَّ : الْقَطْعُ طُولًا ، وَالْقَطُ : الْقَطْعُ عَرْضًا . وَالْبَدَنُ مِنَ الدَّرْعِ : قَدْرًا مَا يَسْتُرُ الْبَدَنَ . وَيُقَالُ سَيِّفٌ مُشْطَبٌ : فِيهِ شُطُوبٌ وَطَرَائِقُ .

٥ - وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ لَكُمْ مُنَازِلٌ كَغَبَا وَنَهْدًا

قوله : « يَوْمَ ذَاكَ » يجوز أن يُشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَمْرٍ قَدْ عَلِمَهُ السَّامِعُونَ ، وَهُوَ الْحَرْبُ ، لِأَنَّ النَّزَالَ يَكُونُ فِيهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِهِ إِلَى السَّلَاحِ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ . وَيَوْمُ السَّلَاحِ : يَوْمُ الْحَرْبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِهِ إِلَى الْخِدَتَانِ ، لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ « أَعَدَدْتُ لِلْخِدَتَانِ » . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلِمْتُ أَنَّ مُنَازِلَ هَؤُلَاءِ فَأَعَدَدْتُ لَهُمْ هَذَا السَّلَاحَ ، لَعَلِّي بِالْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَالْحَازِمُ يَهْتِمُّ لِلْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَعَلْتُ ذَلِكَ بِحِزَامَتِي ^(١) ، وَعَلَى بُمُورَادِ الْأُمُورِ وَمُصَادِرِهَا .

٦ - قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ دَ تَنَمَّرُوا حُلَقًا وَقَدًّا

اتَّصَبَ حُلَقًا عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَيُرِيدُ بِهِ الذُّرُوعَ الَّتِي تُسَجَّتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ . وَالْقَدُّ ، أَرَادَ بِهِ الْيَلْبَ ، وَهُوَ شَبْهُ دِرْعٍ كَانَ يُتَّخَذُ مِنَ الْقَدِّ . وَيُرْوَى : « خُلَقًا وَقَدًّا » وَيَكُونُ اتَّصَابُ خُلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، أَيْ تَشَبُّهُوا بِالنَّمْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَخِلَقِهِمْ . وَدَلَّ عَلَى الْخِلَقِ قَوْلُهُ قَدًّا . وَمَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَنَّهُمْ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ الذُّرُوعَ وَالْيَلْبَ تَشَبَّهُوا بِالنَّمْرِ فِي أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَرْبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِنَمَّرُوا تَلَوَّنُوا بِالْوَانِ النَّمْرَ ، لَطُولِ ثَبَاتِهِمْ وَمَلَاذِمَتِهِمُ الْحَدِيدَ ، وَحِينَئِذٍ يَصْخُ أَنْ يَكُونَ اتَّصَابُ حُلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ . وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَجُودُ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ دَخَلَ قَوْلُهُ : « وَقَدًّا » بِالْمَعْنَى عَلَى حُلَقًا فِي أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْحَدِيدِ

«وليس منه؟ قيل: لما كان يُغنى غناء درع الحديد، جاز أن يصحبه في أن يكون بدلاً. وقوله «إذا لبسوا الحديد» ظرفٌ لتتمروا.

٧ - كل امرئ يجزى إلى يوم الهياج بما استعدَّ

هذا كما قيل في اللَّئْل: «قبل الرِّماء تُمَلأ الكنان^(١)»، فيقول: كلُّ رَجُلٍ يَجْزى إلى يوم الحرب بما أعدَّه واستعدَّه. والضمير من صلة «ما» محذوفٌ استطرأةً للاسم. ويجوز أن يكون استعدَّ فعلاً ليوم الهياج لا لكل امرئ، ويكون معناه بما كلفَ يومُ الهياج أن يُعدَّ له. يقال: استعدتَه كذا، أى سألته أن يُعدَّ.

٨ - لما رأيتُ نساءً ناً يَفْحَصْنَ بالمعزاء شداً

الأمعز والمعزاء: الأرض الحزنة ذاتُ الحجارة، والجميع المعز والأماعز والمعزوات. والأصل في المعز الصَّلابَة. ويقال رجل ماعِزٌ ومعِزٌّ. ويروى: «يَفْحَصْنَ»، ومعناه يؤثرن لشدة العدو في المعزاء، حتَّى يصير به لآثارهن كالأفاحيص. ويقال: استضحك فلانٌ حتَّى فحَصَ برجلَيْه. وقيل على التوشع: فحَصْتُ عن الأمر. وينتصب «شداً» على أن يكون مفعولاً له، كأنه قال: يَفْحَصْنَ بالمعزاء لشدهنَّ. ويجوز أن يكون شداً مصدرًا في موضع الحال، أى يفعلن ذلك بالمعزاء شادَاتٍ. ويروى: «يَمْحَصْنَ»، والمَحْصُ: العدو الشديد، وينتصب شداً على أنه مصدرٌ من غير لفظه، كأنه قال يشدُّن شداً ويمحَصْنَ محصاً. وجواب لما قوله «نازلت»، وسيجيء من بعده. وإنما عملت النساء ما ذكر إشفافاً من الغارة والسَّباء.

(١) انظر ما سبق في ص ٧٦.

٩ - وَبَدَتْ لَمِيسُ كَانَهَا بِذُرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى^(١)

قوله : « كَانَهَا بِذُرُ السَّمَاءِ » في موضع الحال للمرأة ، أى بَدَتْ مُشَبَّهَةً
 البذر ، وقوله : « إِذَا تَبَدَّى » ظَرَفُ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ .
 يقول : وَبَرَزَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ كَاشِفَةً عَنْ وَجْهِهَا سَافِرَةً ، كَانَهَا قَدْ أُرْسِلَتْ نِقَابَهَا .
 وَدَلَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : « كَانَهَا بِذُرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى » . وَإِنَّمَا فَعَلَتْ كَذَلِكَ
 لِأَحَدٍ وَجْهَيْنِ : إِمَّا لِلنَّشْبَةِ بِالْإِمَامِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّيَّاءُ ، أَوْ لِمَا تَدَاخَلَهَا مِنْ
 الرُّعْبِ . وَفِي طَرِيقَتِهِ :

وَسَوَّيْتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بِأَدِ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءٌ وَالْإِمَامُ حَرَّائِرُ^(٢)

١٠ - نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرْ مِنْ نِزَالِ الْكَبَشِ بُدًّا

لَا بُدَّ يَسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالًا لَا مُحَالَةً ، وَتَحْقِيقَهُ لَا تَحِيدَ وَلَا مُغْدِلَ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ :
 اسْتَبَدَّ فُلَانٌ بِالْأَمْرِ ، أَيْ انْفَرَدَ بِهِ . وَالتَّبَدُّو والتَّبَدُّدُ : مَصْدَرُ الْأَبَدِّ . وَهَذَا
 جَوَابُ قَوْلِهِ : « لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءً نَايَفَحَصْنَ » . وَكَبَشُ الْكُتَيْبَةِ : رَئِيسُهَا^(٣) .
 فَيَقُولُ : لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرْتُ أَنْفَتُ وَقَصَدْتُ رَئِيسَ الْأَعْدَاءِ وَمُلَاقَاتَهُ
 وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا . وَإِنَّمَا قَالَ : « نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ » لِئِيَّ أَنْهُ مِنْ تَدْعُوهِ
 نَفْسُهُ إِلَى مُجَاهَدَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ ، وَأَنَّهُ مِنْ لَا يَرْضَى عَنْ
 الْمُبَارَاةِ بِالْمَنْزِلِ الْأَدْنَى . وَالرَّئِيسُ مَتَى كَانَ وَاقِعًا بِنَفْسِهِ طَلَبَ أَمَثَلَهُ ،
 وَاسْتَعْفَى مِنْ مُبَارَاةِ مَنْ لَا يُؤَيِّدُهُ لَهُ ، وَتَفَادَى مِنْهَا ، إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ .

(١) روى التبريزي بعد هذا بيتاً لم يروه المروزقي ، وهو :

وَبَدَتْ سَحَابَتُهَا أَلْقَى تَحْنُوقَ كَانَ الْأَمْرُ جَدًّا

(٢) البيت لسيرة ابن عمرو الفقي . وهو من أبيات الحامسة .

(٣) ابن جني : « أعاد لفظ الكبش دون ضميره لأنه موضع تفخيم وتعظيم ، وكان إعادة

لفظ المعظم أوكد وأفخم » .

١١ - مُمْ يَنْذِرُونَ دَعِيَ وَأَنْزِ ذِرُّ إِنْ لَقِيتُ بَأْنَ أَشَدَّا

يقول : هم يقولون لله علينا سَفَكُ دَمِ عمرو ، وأنا أقول لله على أن أحلِّ عليهم وأبذلَّ نفسى لهم ، ثقةً بكِفايتى واستهانَةً بنذرهم . ويقالُ فى الحنْلة : شددنا عليهم شدةً صادقةً ، وشدةً غير كاذبةٍ ، إذا أرادوا المبالغة .

١٢ - كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتَهُ يَيْدَى لَحْدًا

بَوَّأْتَهُ مَبَوَّأً صِدْقٍ : أنزلته . والمبَاءة : المنزل . وإنما فرغ من التبجُّح بالشجاعة ثم ذكر صبره على البلاء ، وتوطِين نفسه على اللأواء ، فيقول : كم من أخ موثوق به فُجِئْتُ بموته ، وأُحوجْتُ إلى تولى دَفْنِهِ ، ومباشرة تجهيزه . وهذا إذا ابتلى به المرءُ كان أعظمَ لجزعه ، وأنكى فى قلبه .

١٣ - مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَمْتُ وَلَا يَرُدُّ بُكَأَى زَنْدًا^(١)

الهِلَعُ : أَفْحَشُ الْجَزَعِ ، لأنه جَزَعٌ مع قِلَّةِ صبر . وقد فسره التنزيل فى قوله تعالى : ﴿ إِنْ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ . لأن المعنى أن الإنسان لا يصبر على ضَيْرٍ ، ولا على خَيْرٍ ، فكأنه قال : ما حزنت عليه حُزنًا هينًا قريبًا ، ولا فظيماً شديداً . وهذا نَفْيٌ لِلْحُزْنِ رَأْسًا ، فهو كقولك : ما رأيتُ صغيرهم ولا كبيرهم . وقد أعطى الترتيبَ حقَّه لأنه ارتقى فيه من الأذْوَنِّ إلى الأعلى ، إذ كان قوله « ما إنْ جَزَعْتُ » وإن كان مستصلاًحاً لجميع أنواعه مُفِيداً للأدْوَانِ ، وقد جاء بعده : « وَلَا هَلِمْتُ » ، وقوله : « وَلَا يَرُدُّ بُكَأَى زَنْدًا » ، وكان بعضُ الناس

(١) أشار التبريزى إلى رواية ابن دريد :

ما إنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلِمْتُ وَلَا لَطَمْتُ عَلَيْهِ خَدًا

برويه : « ولا يرُدُّ بكاي زَيْدًا » ، وزعمَ أنه أخُ له . ورأيت من زعمَ أنه
 فُقِّشَ عن نَسَبِ عمرو فلم يجد له نَسَبًا^(١) ولا شقيقًا يسمَّى زيدًا . على أن قوله
 « كم من أخٍ لي صالح » لا يلائمه — فيما يقتضيه سياق اللفظ ونظام المعنى ، ومع
 إفادته الكثرة — أن يُقابل بولاً يرُدُّ بكاي أخى زيدًا مع تخصُّصه . فأما من
 روى « زَنَدًا » فبعض الشيوخ كان يقول : أراد ولا يرُدُّ بكاي شَرَرَةً ،
 فذكر الزَّندَ وأراد ما يخرج منه عند القَدْح . وأحسن من هذا أن يكون ذكر
 الزَّندَ قليلًا لعائدة الحزن لو تكلفه عندما دَهَمَ من الفجعة بالأخ المذكور .
 وهم يستعملون الزَّندَ في هذا المعنى ، كما يستعملون النُوفَ والنَّقيرَ والقَطْمِيرَ والنتيل .
 وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا قلَّوا مالَ الرجل : « زَنَدَانِ في مُرَقَّةٍ^(٢) » .
 وهذا المعنى حسنٌ ، والشاهد له قوئى . ورأيت في بعض النسخ : « ولا يرُدُّ
 بكاي رَدًّا » ، وهذا حسنٌ أيضًا ، ويكون المعنى : ولا يرُدُّ بكائى محدودا .
 والمعنى : ولا يُفنى بكائى شيئًا . وفي كلام الناس : هذا الأمرُ أَرَدُّ عليك ،
 أى أضعُ وأجدى . وإنما عَقَّبَ نَفَى الجَزَعَ بهذا الكلام تنبيهًا على أن صبره
 عن تأذُّبٍ وتبصُّرٍ ومعرفةٍ بالعواقب ، وحُسنِ تأمُّلٍ .

١٤ — أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا

يقول : تولَّيتُ تكفينه وتجهيزه بنفسى ، وخُلِقْتُ صبوراً حين خُلِقْتُ .
 وهذا يريدُ به أنه جمع إلى الجَلَادَةِ المكتسبة جَلَادَةَ الخَلْقَةِ والطبيعة .

١٥ — أَغْنَى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ عَدُوَّ لِلْأَعْدَاءِ عَدَا

قول « الذاهبين » يجوز أن يريدَ بهم من انقضَّ من عشيرته وذويه ،
 ويكون المعنى أنه المعتمدُ عليه بعدهم ، ويجوز أن يريدَ بهم المتغيِّبين عن

(١) في الأصل « نسباً » صوابه في م .

(٢) المرقعة : كناية أو خريطة قد رقت . أمثال الميداني .

المشاهد والمعارك . وقوله « أُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا » يجوز أن يكون المعنى : يقال في للأعداء : خذوا فلاناً فإنه يُعَدُّ بكذا وكذا من الفرسان . ويقال إن عمرا كان يمد بألف فارس . ويجوز أن يكون المعنى أهياً للأعداء مَعْدُوداً ، فيكون عَدًّا انتصابه على الحال ، وموضوعاً موضع المعدود ، وأَعِدُّ مستقبل أُعِدِّتُ ، أى هُيئت . وفي الأول يكون مَصَدَرًا لأَعِدُّ . والواحد لا يصح عَدُّه ولكن كأنه يقال فيه : إنه يقوم مقام كذا وكذا من القدد . ويروى « أُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ » بفتح الهمزة ، ويحتمل وجهين من المعنى : أن يقول أعدُّ لهم وقعاتي وأيامي عند الفاخرة والمنافرة عَدًّا ؛ وهذا معنى حَسَنٌ . والآخر أن يكون المعنى : أعدُّ لهم كل ما يحتاج إليه من عَدَدٍ وَعُدَّةٍ ، وهذا يؤذن بأنه يدبرُ أمرَ الحرب ، ويرُجِعُ إليه في أسبابها والجمع لها وهذا يرجع معناه إلى معنى من يَروى « أُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ » بضم الهمزة وكسر العين . وفي هذه الرواية يجوز أن يكون عَدًّا مفعولاً به ، والمعنى : أعدُّ لها معدوداتها .

١٦- ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ وَبَقِيَتْ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

يقول : فُجِعْتُ بِأَحْبَائِي وَبَقِيَتْ مَنْفَرِدًا بِالسَّيَادَةِ ، فَأَنَا كَالسَّيْفِ لَا يُجْمَعُ اثْنَانِ مِنْهُ فِي غَيْدٍ . ويجوز أن يكون : بقيت لنفادى في الأمور ومضائى كالسيف . وفرْدًا ينتصب على الحال ، أى منفردًا .

٣٥

وقال عمرو أيضاً :

١- وَلَقَدْ أَتَجَمُّ رَجُلِيَّ بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرُّوزٌ^(١)

هذا كلام من جَمَعَ إلى شجاعته وإقدامه حَذَرًا وَخَزَامَةً ، وإلى جرأته وتموُّره .

(١) هذه المقطوعة روياها في الأصل مقيدة بالسكون ، وهى في م مطلق الروى بالضم . وقال التبريزى : « من الرمل الأول إذا أطلقت ، ومن الثانى إذا قيدت ، مردف فى الضربين جميعاً ، والقافية من المتواتر إذا أطلقت ، ومن المترادف إذا قيدت » .

رِفْقًا وَأَصْلًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَارِفًا بِوَقْتِ كُلِّ مِنْهَا ، وَبِالْحَالَةِ الْمَوْجِبَةِ لِاخْتِيَارِهِ بَعْضَهَا . وَأَنْجَمُ رِجْلِيَّ ، أَيْ أَسْتَحِثُّ فَرَسِي . وَهُوَ مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَمِنْ الْعِبَارَةِ الَّتِي تَصَوَّرُ الْمَعْنَى . وَمِنْ لَفْظِهِ وَبَابِهِ قَوْلُهُمْ : جَمَعْتُ يَدَيَّ عَلَى كَذَا ^(١) ، وَرَفَعْتُ يَدَيَّ عَنْ كَذَا . وَحَذَرَ الْمَوْتَ ، انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَالضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ : «بِهَا» لِلْفَرَسِ . وَالْمَعْنَى : أَرَكُضُهَا وَأَسْتَدِيرُ جَرِيهَا ، ذَهَابًا فِي الْفِرَارِ ، وَاحْتِرَازًا مِنَ الْمَوْتِ إِذَا كَانَ الْوَقْتُ وَقْتَهُ ، وَإِنِّي لَكَثِيرُ الْحَرْبِ إِذَا كَانَ الْمَرْبُ أَغْنَى ، وَإِلَى سِرَاعَةِ الْعَدُوِّ أَدْعَى .

٢ - وَلَقَدْ أَعْطِفَهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ

يَقُولُ : كَمَا أَهْرَبُ وَقْتُ الْمَرْبِ فَإِنِّي أَعْطِفُ وَقْتُ الْعَطْفِ ؛ لِأَنَّ الْكَرْ وَالْفَرَّ مِنْ شَأْنِي ، وَالْإِقْدَامَ وَالْإِحْجَامَ عَادَتِي وَدَأْبِي . وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ : «حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ» إِلَى شِدَّةِ الْأَمْرِ وَتَفَاقُمِ الْخَطْبِ . أَيْ أَعْطِفُ الْفَرَسَ وَهِيَ كَارِهَةٌ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَهَرُّ النَّفْسُ وَتَضِجُ مِنْ شِدَّةِ الْبَلْوَى . وَالْهَرِيرُ ، قِيلَ هُوَ دُونَ الْبُيَاحِ .

٣ - كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خُلُقٌ وَبِكُلِّ أَنَا فِي الرَّوْعِ جَدِيرٌ

«مَا» زَائِدَةٌ . وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ : «ذَلِكَ» إِلَى مَا قَدَّمَهُ مِنَ الْكَرْ وَالْفَرَّ . أَيْ كُلُّ مَا وَصَفْتُ عَادَةً مِنِّي وَطَبِيعَةً ، وَبِفِعْلِ كُلِّهِ أَنَا خَلِيقٌ فِي الرَّوْعِ . وَيُقَالُ : هُوَ جَدِيرٌ بِكَذَا ، وَجَدِيرٌ لِكَذَا ، وَجَدِيرٌ أَنْ يَنَالَ كَذَا ، وَلَقَدْ جَدُرَ جَدَارَةً ، وَأَجْدَرُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ . قَالَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : «عَلَى يَدَيَّ» ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م .

* جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَعْلُوا ^(١) *

ع - وابنُ صُبَيْحٍ سَادِرًا يُوعِدُنِي مَالَهُ فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ مُحِيرُ

قال الدَّريدي : يقال أُنِي فُلَانٌ أَمْرَهُ سَادِرًا ، إِذَا جَاءَهُ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ .

يقول : وهذا الرَّجُلُ مع ما ذَكَرْتُ مِنْ قِصَّتِي فِي الْحَرْبِ يَتَهَدَّدُنِي سَاهِيًا لَا هِيَا ، وَمَالَهُ عَاصِمٌ مِنِّي فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ . ومَوْضِعُ « مَا عِشْتُ » خَرْفٌ ، بَيَانُهُ أَنَّ مَا مع الفعل فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ ، واسم الزمان محذوف معه ، كَأَنَّهُ قَالَ : مَدَّةَ عِشْي .

٣٦

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الْأَوْسِيِّ ^(٢) :

١ - طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً نَائِرٍ لَهَا نَقْدٌ لَوْلَا الشَّمَاعُ أَضَاءَهَا ^(٣)

الشَّعْ وَالشَّمَاعُ : الْمَتَفَرِّقُ . وَمِنْهُ شَعَّ الْغَارَةُ ، وَتَطَايَرَ الْقَوْمُ شَعَاعًا . يَقُولُ :

طَعَنْتُ هَذَا الرَّجُلَ طَعْنَةً طَالِبٍ بِالدَّمِ فَاتِكٍ ^(٤) لَا بُقْيَا مَعَهَا ، وَلَا تَقْصِيرَ

(١) لزهر في ديوانه ١٠٣ . وصدره :

* بخيل عليها جنة عبقرية *

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو الأوسى ، شاعر فارس ؛ كان له في وقعة

بمعاث التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة ، كان بينه وبين حسان بن

ثابت منافسة : كان حسان يذكر ليل بنت الخطيم أخت قيس في شعره ، وكان قيس يذكر

عمرة امرأة حسان في شعره . وذكره بعض المؤرخين في الصحابة خطأ ، فقد ذكر أصحاب

الغازي أنه قدم مكة فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وتلا عليه القرآن فقال : إني

لأسمع كلاما عجيبا فدعني أنظر في أمري في هذه السنة ثم أعود إليك . فات قبل الحول . انظر

الإصابة ، والخزانة (٣ : ١٦٨ - ١٦٩) والأغاني (٢ : ١٥٤ - ١٥٩) ومعاهد

التنصيص (١ : ٦٧) .

(٣) روى النهرى هذه المقطوعة تسعة أبيات ، إذ روى بين البيتين الخامس والسادس

«بيتين آخرين سنبه عليهما فيما سيأتي» .

(٤) م : « قاتل » .

في المبالغة فيها ، لها نَفَذٌ ، أى خَرَقٌ ، لولا انتشار الدَّم لأضاءها . وأضاءها جواب لَوَلَا ، والمبتدأ وهو « الشَّعَاع » خبره محذوف ، كأنه قال : لولا الشَّعَاع مانِع لأضاءها النَّفَذُ . ومن رَوَى « الشَّعَاع » بضمّ الشين ، فإنه يُريدُ به نُورَ الشَّمْس . والأوّل أجودُ وأشهر . ويقال : أشعَّتِ الشَّمْسُ ، إذا امتدَّتْ نُورُها وانتشر .

٢- مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَمَّهَا يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يُروى : « يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا » و « ما وراءها » ، ويُروى : « يَرَى قَائِمًا » أيضًا . ويقال : مَلَكْتُ الْعَجِينَ وَأَمْلَكْتُهُ ، إذا بالَغْتَ فِي عَجْنِهِ وَشَدَدْتَ . وكان الأصمعيّ يمتنع من أَمْلَكْتُ ، فيكون المعنى شَدَدْتُ بِهِذِهِ الطَّعْنَةَ كَفِّي وَوَسَّعْتُ خَرَقَهَا حَتَّى يَرَى الْقَائِمُ مِنْ دُونِهَا الشَّيْءَ الَّذِي وَرَاءَهَا . وهذا التفسير في مَلَكْتُ تفسير القداماء . ويجوز أن يكون معنى « مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي » أى تَمَكَّنْتُ مِنْ فَعْلَاهَا ، فَأَطَقْتُ تَصْرِيفَ كَفِّي فِي إِبْقَاعِهَا عَلَى سِرَادِي . وهذا كما يقول ^(١) : أَنَا أَمْلِكُ هَذَا الْأَمْرَ ، إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ . وكأنه أشار بهذا الكلام إلى أن الطعنة لم تكن على دَهْشٍ واختلاس ، ولكن عن تَمَكُّنٍ واقتدار . ويروى : « يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا » و « ما وراءها » ومن روى « مَنْ وَرَاءَهَا » فالمعنى يُرَى مَنْ وَرَاءَهَا إِذَا كَانَ قَائِمًا مِنْ دُونِهَا . ووراء ههنا بمعنى خَلْفَ ، وإن كان يقع على الْخَلْفِ وَالْقُدَّامِ جَمِيعًا . وَمِنْ دُونِهَا ، أى مِنْ قُدَّامِهَا . وَبِيت الْأَعَشَى عَلَى هَذَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

* تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ ^(٢)

أى تريك الخمرَةَ فِي الزَّجَاجَةِ الْقَدَى مِنْ قُدَّامِهَا ، وَهِيَ قُدَّامُ الْقَدَى ؛

(١) في النسختين : « تقول » .

(٢) عجزه كما في ديوان الأعشى ١٤٧ :

* إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاتِهَا يَتَمَعَّقُ *

أى تريك الزُّجاجة ما خلفها من قدامها لصفاء الخمرة فيها . ومعنى أَنْهَرَتْهُ : وسَّغَتْهُ حتى جعلته كالنَّهْرِ سَعَةً . والنهر نفسه سُمِّيَ بذلك لاتساعه . ومنه النَّهْرَةُ ، وهى فضاء بين بَيُوتِ الحَيِّ يلقون فيه كَنَاءَ نَهْمٍ . وفى هذا الوصف سَرَفٌ مُسْتَنَكِرٌ وخروجٌ عن القصدِ مُسْتَهْجَنٌ . ويمرّى نَجْرَاهُ فى الغُلُوِّ قول مُهْلِيل :

فلولا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ جَنْجَرٍ صَلِيلَ البَيْضِ يُقْرِعُ بِالذُّكُورِ (١)
واستعمل عنترَةُ لَفْظَ الإِنْهَارِ مع اقتصادٍ فقال :

أَنْهَرْتُ كَبْتَهُ بِأَنْحَرَ قَانِي وَرَشَاشٍ نَافِذَةٍ عَلَى الْأَنْوَابِ
٣ - يَهُونُ عَلَى أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا عِيُونُ لَأَوَاسِي إِذْ حَمَدْتُ بِلَاءَهَا

الأواسي : النساء المداويات للجراح ، والفعل منه أَسَوْتُ . ويقال للرجال الآسُونُ والآسَةُ . وإنما ذَكَرَ النساءَ لأنهم يَأْتِفُونَ من الصناعات ، ويعلمونها العبيد والإماء وحرائر النساء أحياناً ، إذ لم يكن فى غاية بعيدة من الشرف . وقوله « أَنْ تَرُدَّ » موضعه رَفَعَ على أنه فاعِلٌ يَهُونُ . و « إِذْ حَمَدْتُ » ظَرْفٌ لِيَهُونَ ، وهى حكاية حالٍ ماضية . والمعنى : يخفُّ عَلَى رَدِّ جِرَاحِ هذه الطعنة عيون النساء المداويات لها ، إِذْ حَمَدْتُ أثرى فيها . وبلاءها ، يجوز أن يكون المراد بلائى فيها ، ويجوز أن يريد ببلائها شدتها وفظاعتها . والمصادر تُضَافُ إلى الفاعلين والمفعولين جميعاً .

٤ - سَاعَدَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ زَهِيرُهُ فَأَدَّى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا (٢)

(١) انظر البيان (١ : ١٢٤) والحيوان (٦ : ٤١٨) ونقد الشعر ٨٤ ، والموشح ٧٤ ، والعمدة (٢ : ٧٠) والأغاني (٤ : ١٦٤) .

(٢) التبريزي : « خدش فادى » . وروى من الخبر : أن خدش بن زهير كان للخطيم والد قيس عنده يد ، فدل قيساً على قاتل أبيه وأعاناه عليه ومكته من أن يثأل ثأره . وقد ساق الأمدى فى الموقئف ١٠٧ نسب خدش ، وهو خدش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

يجوز أن ينتصب نعمة على الحال ويكون مفعول أدّى مخوفاً كأنه قال :
فأداها نعمةً ويداً يستحق عليها شكراً ، ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول
أدّى ، ويكون المعنى : ساعدنى فى هذه الطعنة زهير بن عمرو ، فأدّى صنيعه
كانت لى عنده بمساعدته ، واتخذها مغناً لنفسه أيضاً . ويجوز أن يكون
أفادها من النىء : الغنيمة ، وهذا قول أبى عبيدة . ويجوز أن يكون أفادها
من النىء : الرجوع ، أى أداها ورجعها إلى مضطئعها ، لأن الأيدى قروض
فى الصالحين .

٥- وكنتُ أمراً لا أسمعُ الدهرُ سبَّةً أَسْبُها إلا كَشَفْتُ غِطاءها^(١)

يُرْوَى « لا أسمعُ » و « لا أسمعُ » . ومن الغطاء قيل غطاء الليل ، وغطا
عليهم الشر وغيره . يقول : كنت رجلاً لا أُعَيِّرُ شيئاً طول الدهر إلا بينتُ
للناس براءة ساحتى منه . وحقيقته « كَشَفْتُ غِطاءها » أى لم أترك الشبهة
ملتبسة على سامعها ، فكان يتردد بين تصديقها وتكذيبها ، بل أبنتُ أمرها^(٢)
وأظهرت وجهها ، حتى بان للناس اختلاق الساب بها ، وكذابه فيها . والشبهة ،
كالفُتمة والفُصَّة وما أشبهها . وذهب بعضهم إلى أن المعنى : إذا رُميت بعيبٍ
كان حقاً علىَّ نَحْوُهُ عن نفسى ، بما استأنفته من سَفْي . والأول أحسن .

٦- متى باتَ هذا الموتُ لا تَبْقَ حاجةٌ لِنَفْسِي ، إلا قد قَضَيْتُ قَضَاءها^(٣)

(١) روى التبريزى بعده هذا البيت :

فإنسى فى الحرب الضروس موكلاً

بإقدام نفسى ما أريد بقاءها

وقال فى تفسيره : « الضروس : الشديدة ، من ضرس البئر ، وهو طيها بالحجارة .
ويروى : العوان ، وهى التى قوتل فيها مرة بعد مرة » . ثم روى بعد هذا البيت الزائد ، البيت
رقم ٧ لرواية « إذا ما اصطبحت أربعاً » .

(٢) م : « بأن أبنت أمرها » .

(٣) روى هذا البيت عند التبريزى مؤخرأ عن تاليه ، ثم روى بعدهما :

يُرَوَّى « لَا يُلْفِ حَاجَةً » على أن يكون الفعل للموت ، و « لَا تُلْفَ حَاجَةً » على ما لم يسم فاعله ، أى لا توجد . يقول : أجتهد فى إدراك الآثار ^(١) ، وطلب الأوتار ، قبل دُئْوُ الأجل ، فمتى جاء الموت لا يجد حَاجَةً تتعلّق نفسى بها قبلُ إلّا وهى مقضيةٌ . ومعنى « قَضَيْتُ قَضَاءَهَا » أى فرغْتُ منها كقضائى لأمثالها . وقوله « هذا الموت » يجوز أن يكون تصوُّره [حاضراً] ^(٢) لمعرفته بإدراكه لا محالة ، وأشار إليه . ويجوز أن يكون لدوام استغثاله وتحمّده بجميعه ، وكونه من همّه ، أشار إليه على جهة التقريب له .

٧- إِذَا مَا شَرِبْتُ أَرْبَعًا خَطُّ مِثْرَى وَأَتَبَعْتُ دُلْوَى فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا ^(٣)

يقول : إِذَا شَرِبْتُ أَرْبَعَةً أَوْ كُوسٍ جَرَرْتُ مِثْرَى ، فَأَتَرْتُ فِي الْأَرْضِ خَيْلَاءً وَكِبْرًا ، وَتَمَمْتُ مَا بَقِيَ عَلَى مِنَ السَّمَاحِ فِي حَالِ الصَّخْرِ ، كَأَنَّ مَعْظَمَهُ قَعْلُهُ صَاحِيًا ، وَالباقى منه تَمَمَهُ فِي حَالِ الشُّكْرِ . وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرَى مَجْرَى الْمَثَلِ لِلْمَعْنَى الَّتِي بَيَّنْتُ . حَكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : « أَتَبِعَ الْفَرَسَ لِحَامَتِهَا » ، وَ« أَتَبِعَ الدَّلْوَ رِشَاءَهَا » ، أَيْ تَمَّ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِكَ . وَكَأَنَّهُ يُضْرَبُ لِمَنْ جَادَ بِالْكَثِيرِ وَتَرَكَ الْقَلِيلَ الْخَفِيرَ . وَهَذَا أَجُودُ مِنْ قَوْلِ عَنَتَةِ الْعَبْسِيِّ ، وَإِنْ

١- ثَارَتْ عَدَبِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَصْبَحْ وَلَايَةَ أَشْيَاخٍ جُمِعَتْ إِزَاءَهَا
وقال فى تفسيره : « ثَارَتْ : طلبت بشأه ثاراً . والثار : المصدر . والثار : المطلوب بالدم ، سمى بالمصدر . يقال فلان الثار المنيم ، أى هو الذى إذا قتل أدام طالب الدم عن الطلب . والمنثور به : المقتول . والثورة : المصدر على فعالة . قال الشاعر :
طلات به ثارى وأدركت ثورق بنى عامر هل كنت فى ثورق نكسا
وقوله : جعلت إزاءها ، جعلونى أقوم بها . من قولك : فلان إزاء مال ، إذا كان يقوم بإصلاحه » .

(١) آثار مقلوب آثار ، جمع ثار . كما فى اللسان .

(٢) التكلّة من م .

(٣) التبريزى : « إذا ما اصطبحت أربعا » كما سبق التنبيه .

كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كلثوم ، وقول عنتره :
 وإذا انتشيتُ فإني مُستهلكٌ مَالِي وعِرْضِي وإِفْرٌ لم يُكَلِّمْ
 وإذا صحوتُ فما أَقْصَرُ عن نَدَى وكَمَا علمتِ شمالي وتكرُّمي
 وييت عمرو :

مُسْتَعْمَةٌ كَأَنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماء خَالَطَهَا سَخِينًا
 لأنَّ هذا قال : إنا نقسحُ إذا شربنا الخمر مزوجة . وما قاله عنتره في بيتين
 أشار إليه قيسٌ في مِضْرَاع . وكان ابنُ الأعرابي يذهب في قوله « سخينا » إلى
 أنه يقال ماء مُسَخَّنٌ وَسَخِينٌ ، وإن كان فعيلٌ في معنى مُفْعَلٌ قليلا . وانتصب
 عنده على أنه حال للماء . ويكون المراد على طريقته : كَأَنَّ الحُصَّ فيها إذا مُزِجَ
 بماء سخين . وهذا لَهْرَبِهِ ممَّا استقبَّحه الناسُ . وهو حَسَنٌ ، لكنَّهُ يقتضي أن
 يكون بلادهم صُرُوداً^(١) .

٣٧

الحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ^(٢) :

وهو أَخُو أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ . وكان هرب يوم بدرٍ لما أُنْزَلَ اللهُ تعالى
 النَّصْرَ على رسوله عليه السلام .

١ - اللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرٍ مُزِيدٍ

(١) الصرود : البلاد الباردة ، يقابله الجروم ، وهي البلاد الحارة .

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، كان شريفاً مذكوراً ،

شهد بدرًا مع المشركين وكان فيمن أنهزم ، فعيره حسان بقوله :

إن كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

فأجابه الحارث بهذه الحاسية ، ثم شهد أحداً مشركاً أيضاً ، ثم أسلم يوم فتح مكة ،
 واستشهد يوم اليرموك . الإصابة ١٥٠٠ والسيرة في غير ما موضع .

أخذ يستشهد برّبه ، ويفنصل من هربه ، بأنّه لم يأتِه إلّا بعد غلبة اليأس من نفسه عليه إن ثبت ، وإلّا بعد أن ضُرِّجَ بالدم الشامل له ولقرّسه . ومثله قول مهمل :

لَمْ أَرِمْ حَوَمَةَ الْكُتَيْبَةِ حَتَّى حَذَى الْوَرْدُ مِنْ دُمِّي نِعَالاً^(١)
وهذا قاصِرٌ عن درجة ما تقدّم ، لأنّه يعتذر مما آثره من الحرب في وقته ، وذلك أوردّه مورد التبجّح ، وأنّه خلّقه ومذهبُه ، لعلمه بمصادر الحروب ومواردها . وقوله : « الله يعلم » لفظه لفظ الخبر ، والقصد إلى الحليف ؛ لأنّه يستشهد برّبه فيقول : علم الله ما تركت مقاتلتهم ، حتّى جرحوني فسال منّي على فرسي دمّ أشقر كثير ، علاه زبد .

٣ - وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلَ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي^(٢)

أراد : وحتى علمت . وإنما أطلق لفظة علمت لارتفاع الشبه عن اعتقاده ذلك^(٣) . وانتصب واحداً على الحال ، والمعنى منفرداً ، وواحدٌ هاهنا صفة ، والمعنى : وحتى تيقنت أني إن ثبت في وجوههم ، وأنتصب منفرداً لمقاتلتهم قتلت ، ولا يضُرُّ حضوري أعدائي . وتبّه بقوله : « ولا يضرُّ عدوِّي مشهدي »

(١) الدمى : جمع دم . وفي م : « من دماء » وهما بمعنى .

(٢) روى التبريزي بيتاً بين هذا وسابقه ، وهو :

وَسَيَمُوتُ رَجُلٌ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ فِي مَازِقٍ وَالْخَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّرْ

قال التبريزي : « ويروى : ووجدت . وهو مثل ، ومعناه أنه غلب ظنه أنه لو وقف قتل . والتلقاء ، مأخوذ من لقيت ، فيجوز أنه يستعمل في معنى اللقاء . وعلى ذلك حملوا قول الراعي :

أملت خيرك هل تأتي مواعده فالיום قصر عن تلقائك الأمل

وأكثر ما يستعمل تلقاء في معنى نحو الشيء ، كما جاء في الكتاب العزيز : تلقاء أصحاب النار . أي نحوهم .

(٣) هذا الصواب من م والتبريزي . وفي الأصل : « لإيقاع الشبه على اعتقاده ذلك » .

أنه لو كان في ثباته ضررٌ عدوّ لثبتَ في وجهه ، ولم يُبالي بقتله . وقوله « عَدُوِّي » يفيد الكثرة وإن كان لفظهُ موحّداً .

٣- فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةَ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ سَرْمَدٍ^(١)

يقال : صَدَّ فلانٌ عني ، إذا صَرَفَ وجهه صدوداً ، وصددته أنا عن كذا صدداً . وحُكي أصددته ، وليس بشيء . يقول : أعرضتُ عنهم ودماؤهم وأسرأهم فيهم ، ولم أنلها ولم أظفر بها . وهذا يدلُّ على أنه كان متورّداً . وإنما حاربهم لطلبِ دماءٍ كانت له فيهم . وقوله « الأحبة » على هذا التفسير يجب أن تكون أحبّتهم . ويجوز أن يريد بالأحبة أحبّة نفسه ، ويكون المراد : ودماء أحبّتي وأسرأى فيهم . وقوله « طَمَعًا » انتصب على أنه مفعول له ، وهو الذي يسمّى مصدرًا لعلّة . والمعنى : فعلت ذلك لطمعي في أن يُعقِبَ الله تعالى لي يومًا يُرصدُ الشرّ لهم ، ويمكنني منهم ، فأنتهزُ الفرصة وأروى الغلّة^(٢) . ويقال : رَصَدْتُ فلاناً بالمكافأة ، ورَصَدْتُ له أيضاً وأرصدته ، وأنا مُرصدٌ لفلانٍ بما كان منه حتى أكافئه . ويجوز أن يكون انتصاب « طَمَعًا » على أنه مصدرٌ في موضع الحال ، والتقدير : صددت عنهم طامعاً . والعقاب يجوز أن يراد به العاقبة ، ويجوز أن يراد به المكافأة . يقال : أولاهُ خيراً فعقبه بشرٍ ، عُقْبَةً وعقاباً وعُقْبَى . وإذا كان للفرس بعد انقطاع جريه جَمَامٌ قيل له عِقَابٌ ، وهو من ذاك . ومن روى « يَوْمِ سَرْمَدٍ » فالسّرمد قال الخليل : هو دوام الزّمان واتصاله من ليل أو نهار ، واستدلَّ بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، فيكون المعنى : بعقابٍ يومٍ طويلٍ

(١) كان حقه أن يثبت في المتن رواية « مرصد » لأنها الرواية التي جعلها أساساً في التفسير ، كما صنع التبريزي من جملة رواية « مرصد » أساساً في المتن والتفسير .

(٢) هذا ما في م . وفي الأصل : « غليل » .

يَتَصَلَّ زَمَانُهُ ، وَيَمْتَدُّ بِلَاؤُهُ . وَأَيَّامُ النِّعَمِ وَالْحِنَةِ تَوْصَفُ بِالطُّوْلِ ، وَلِهَذَا قِيلَ :
مَضَى لِفُلَانٍ يَوْمٌ كَأَيَّامٍ ، وَشَهْرٌ كَدَهْرٍ .

٣٨

قال الفرارُ السُّلْمِيُّ ^(١) :

١ - وَكِتَبِيَّةٌ لَبَسَتْهَا بِكِتَبِيَّةٌ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِيْ

هذا يتَّبَجَّحُ بأنه مهَيَّاجٌ شَرٌّ وَأَذَى ، وَجَمَاعٌ بَيْنَ كِتَابَتَيْ شَيْءٍ تَتَقَاتَلُ مِنْ
دُونِهِ ، نَحْمُ يَخْرُجُ هُوَ مِنْ بَيْنِهِمْ غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا يُجْرُونَ إِلَيْهِ ، وَلَا مَفْكَرٍ فِيمَا يَنْتَجِ مِنْ
الشَّرِّ فِيهِمْ . فَيَقُولُ : رُبَّ كِتَبِيَّةٍ خَلَطَتْهَا بِكِتَبِيَّةٍ ، فَلَمَّا اخْتَلَطَتْ نَفَضَتْ يَدِيْ
مِنْهُمْ وَلَمْ ، وَخَلَطَتْهُمْ وَشَأْنَهُمْ . وَكِتَبِيَّةٌ ، الْحَقُّ الْمَاءُ بِهَا لِأَنَّهُ جُعِلَ اسْمًا ، وَهُوَ
مَنْ كَتَبَتْ أَى جَمَعَتْ . وَتَوَسَّعُوا فِي النَّفْضِ - وَأَصْلُهُ الْإِلْقَاءُ وَالْإِمَاطَةُ -
فَقِيلَ : نَفَضْتُ الْيَدَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ أَشَدَّ النَّفْضِ ، إِذَا وَكَلْتَهُ إِلَى نَفْسِهِ ،
يَأْتِيَا مِنْ رَجَعَتِهِ ، وَفِي ضِدِّهِ يَقَالُ : قَبَضْتُ عَلَيْهِ كَفِّيْ ، وَجَمَعْتُ عَلَيْهِ يَدِيْ .
وَقَدْ قَالُوا : نَفَضْتُ الطَّرِيقَ أَيْضًا ، وَفَرَّقْتُ النَّفْضَةَ فِي الطَّرِيقِ . وَذَكَرَ
بَعْضُهُمْ ^(٢) أَنَّ قَوْلَهُ : « حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِيْ » وَ « بِهَا يَدِيْ » ،
الْمُرَادُ بِهِ قَنَعْتُ قَرْسِيَّ بِسَوْطِيْ ، كَأَنَّهُ لَمَّا ضَرَبَ فَرَسَهُ إِنَّمَا نَفَضَ يَدَهُ . يَصِفُ
سُرْعَةَ ضَرْبِهِ بِالسَّوْطِ ، وَأَنَّهُ لَا كُنْفَةَ عَلَيْهِ بِهِ . قَالَ : وَهَذِهِ السَّرْعَةُ مُسْتَحَبَّةٌ
فِي ضَرْبِ السَّوْطِ ، كَمَا يَسْتَحَبُّ فِي الْعَمَلِ بِالسَّلَاحِ . وَمَنْ رَوَى « بِهَا » يَجُوزُ أَنْ

(١) الفرار شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، واسمه حبان (ويفال حيان) بن الحكم . أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم رايةً سلام يوم الفتح ثم نزعها منه وأعطاه يزيد بن الأخنس . وكان الفرار من شهد حنيناً . وسليم ، بالتصغير : اسم قبيلته . انظر الإصابة ١٥٥١ .

(٢) يعني بذلك ابن جني ، والنص الذي نقله المرزوق مثبت في كتاب التنبيه لابن جني .

يُرِيدُ الْمُخَصَّرَةَ . انْتَهَتْ الْحِكَايَةُ عَنْهُ . وَالتَّعَجُّبُ مِنْ إِدْرَاكِ هَذَا الْمَعْنَى يَمْنَعُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ . فَسَبْحَانُ مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ .

٣- قَتَرَكْتُهُمْ تَقْصُ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرِ مُسْنَدٍ
قوله « تَقْصُ » أى تَكْسِرُ فى موضع الحال لم . وكذا قوله « من بين مُنْعَفِرٍ وَآخَرِ مُسْنَدٍ » يقول : فارتقتهم الرِّمَاحُ تختلفُ بالطنينِ بينهم ، وتكسر ظهورهم ، فهم من بين مصروع ألقى فى القفر ، وهو التراب ، وآخر مطعون أو مجروح ، وقد أُسْنِدَ إلى ما يُمَسِّكُهُ وبه رَمَقُ .

٣- مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ قَتَلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ لَا تَبْعَدُ^(١)
قول « ما كان » يجوز أن يكون ما استفهاماً وكان تجعله الفاقصة ، ويجوز أن يكون نفياً وتجعل كان مؤكدة ، ونبة بهذا الكلام على أنه لو ثبت لم ينفعه الثبات . فيقول : أى شيء كان ينفعنى قول النواذب لى لا تبعد وقد قتلت . ومعنى لا تبعد : لا تهلك . يقال بعد ، إذا هلك ، وبعد ، إذا نأى . وكانوا يدلون بهذه اللفظة عند الذبابة بها على مساس الحاجة إلى حياة المندوب ، وقلة الاستغناء عنه . وإذا كان كذلك فالوجه أن يُندب به من كان محمود الحياة ، وعزيز الفقدان . وقوله خَلْفَ رِجَالِهِمْ « نبة على أنه لو ثبت لكان يدفع وجه الكتيبة ، ويصير واقياً لأصحابه ، وحائلاً بين الأعداء وبينهم ، فلا يمكنهم تجاوزه إلا وقد فرغوا منه . فهذا قال « وقُتِلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ » . وموضع « لا تبعد » وهو حكاية ، رفع أو نصب على أنه بدل أو مقول من مقال نساءهم . وقوله وقُتِلْتُ ، فى موضع الحال للمضمر فى ينفعنى ، والعاقل فيه مقال أيضاً ، وخلف رِجَالِهِمْ حال للمضمر فى قُتِلْتُ .

وقال بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ^(١) :

١- يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسَّاسٍ وَهَبٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْجَدَاةِ يَدَا الْكَرِيمِ^(٢)

إنما عُدِّي يَدَيْتُ بَعْلِي ، لأنه أُجْرِي مجرى أُنْعَمْتُ . وهم يَحْمِلُونَ النَّظِيرَ عَلَى النَّظِيرِ ، كما يَحْمِلُونَ النَّقِيزَ عَلَى النَّقِيزِ . وقال الأخفش : يقال يَدَيْتُ عَنْدهُ . وَأَيْدَيْتُ جَمِيعًا ، إِذَا اتَّخَذْتَ عَنْدهُ صَنِيعَةً ، وَإِنْ كَانَتْ أَيْدَيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَشْهَرُ مِنْ يَدَيْتُ ، لِأَنَّ يَدَيْتُ اشْتَهَرَ فِي أَصَبْتُ يَدَهُ ، كما تقول : رَأْسُهُ وَوَجْهُهُ وَصَدْرُهُ ، إِذَا أَصَبْتَ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ مِنْهُ . ومعنى هَذَا الْبَيْتِ : اتَّخَذْتُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ بِهَذَا الْمَكَانِ يَدًا غَرَاءً ، وَصَنِيعَةً شَرِيفَةً ، مِثْلَهَا يَفْعَلُهُ الْكَرَامُ . وقوله : « يَدُ الْكَرِيمِ » نَبْهٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهُ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ يَدَيْتُ يَدَيًّا ، مِثْلُ جَرَيْتُ جَرِيًّا ، لَكِنَّهُ وَضَعَ الْيَدَ مَكَانَهُ . فَإِنْ قِيلَ : سَأَلْتُ تَفَكَّرَ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدَّثِ ، وَقَدْ حُذِفَ لَامُهُ كَمَا حُذِفَ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ ؟ قُلْتُ : اسْمُ الْحَدَّثِ لَمْ يَكُنْ كَثْرَةَ اسْمِ الْعَيْنِ ، وَإِذَا كَانَ حُذِفَ اللَّامُ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ حُذِفَ لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدَّثِ الَّذِي لَمْ

(١) هو معقل بن عامر الأسدي . ذكر التبريزي من سبب الشعر « أن معقل بن عامر الأسدي أخا حضرمي بن عامر ، وهو فارس الدهماء ، مر يوم جبلة على ابن الحساس بن وهب الأعيوي وهو صريع ، فاحتمله إلى رحله وداواه حتى برئ ، ثم كساه وأداه إلى أهله » .

(٢) الجداة ، بالذال المهملة هي رواية الأصل ومعجم البلدان . قال ياقوت : « موضع في بلاد غطفان » . وفي م والتبريزي : « الجداة » بالذال المعجمة . وذكر ياقوت أنها لغة في « الجداة » بالذال المهملة ؛ وهما يكن فالكلمة مفتوحة الجيم . لكن نقل التبريزي عن النخعي أن الرواية المشهورة « الجداة » بكسر الجيم . وابن حساس ، نقل التبريزي أنه يروي : « ابن حساس » .

يكثر استعماله لا يجرى مجراه . وقوله : « ابن حسحاس » من الحسحسة ، وهو إحراق الجلد بالنار .

٢ - قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الْحَمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ عَنْ دَارِ الْحَمِيمِ

القَصْرُ : الحبسُ والردُّ ، ومنه القَصْرُ والقَصَارَى : الغاية . والحَمَاءُ : تأنيث الأحم ، وهو الأسود من كل شيء . والحَمَم : الفَحْم . وجارية حَمَمَة ، أى سوداء . وهذا تفسير النعمة التي اتخذها عنده . فيقول : لَمَّا وجدته جريحاً ، وفي المعركة طريحاً ، قد غاب عنه ذُووه والمشفقون عليه ، حَبَسْتُ عليه فَرَسِي فَأَرَدْتُهُ . وجواب لَمَّا مقدم ، وهو قَصَرْتُ . كأنه قال : لَمَّا رأيته كذا حَبَسْتُ عليه فَرَسِي . وحذف مفعول شهدت لأنه أمِن الالتباس . وقوله : « وغاب عن دار الحميم » كان وجهه أن يقول : لَمَّا شهدته وغاب حَمِيمُهُ ، لكن المعنى لا يُخِيلُ^(١) . والحَمِيمُ : القريب المُشْفِق . والحامئة : خاصّة الرجل من أهله وولده ، ويقال هو الأحم من ذوى قرابته^(٢) ، أى الأخص .

٣ - أُنْبِئْتُهُ بِأَنَّ الْجُرْحَ يُشْوِي وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلَزَةٍ جُجُومٍ

هذا مما تَمَّ به الصنعة عنده ، بعد أن ارتدّفه ، وذلك أنه سألَه بقوله « الْجُرْحُ يُشْوِي » ، ومَنَاهُ بقوله « وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلَزَةٍ جُجُومٍ » . ويقال : رَمَامَةٌ فَاشْوَاهُ ، إذا أصاب غير المقتل . والجُجُوم : الذى لا ينقطع جَرِيهُهُ ، والعِجْلَزَةُ : الصُّلْبَةُ . وبِئْرٌ جُجُومٌ من هذا ، لأن ماءها يَفُورُ أحياناً ثم يَعودُ وَيَغْزُرُ . والمُرَادُ : أَنَّ تَبَايُنَكَ الْمَأْمَنَ بِهِ سَهْلٌ ، وَأَنَّ مَا بَكَ^(٣) مِنَ الْجُرْحِ هَيِّنٌ .

(١) يقال أحوال الشيء : اشتبه ، وهذا الأمر لا يخيل على أحد ، أى لا يشكّل . اللسان .

(٢) هذا ما فى م . وفى الأصل : « من ذى قرابة » .

(٣) فى الأصل : « ما بان » ، صوابه من م والتبريزى .

٤ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرَقْدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ

يُبَيِّنُ بهذا أنه تَبَرَّعَ بِمَا فَعَلَ ، وأنه لم يَلْزِمُهُ لزومَ الواجب الذي لا يَسُوغُ الإِخْلَالُ به ، فيقول : لو شئتُ لبعدتُ منه بُعدَ الفرقدين من النُّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وهي التي يَحُلُّ فيها النَّيِّرَانِ ، وَالْفَرَقْدَانِ لِحُلُولِ فِيهِ ^(١) ، وهذا يَجْرِي مجرى قَوْلِهِمْ : « هُوَ مِنِّي مَنَاطُ الثَّرَيَّا » في أن المراد به التَّبَعِيدُ ، ويجوز أن يريد بُعدتُ منه بُعدَ الفرقدين ، ثم يَبَيِّنُ أَنَّ الْفَرَقْدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ ، فيكون من النجوم تَبَيَّنَا ، كقوله تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ . ويجوز أن يريد بالنُّجُومِ نباتَ الأرض ، لِأَنَّ كُلَّ مَا طَلَعَ فَقَدْ نَجَمَ ، ويكون المعنى بُعِدَ الْفَرَقْدَيْنِ مِنَ الْأَرْضِ وَمَنَابِتِهَا ، ويكون في هذا المعنى شبه الْغَايِ فيضعُفُ .

٥ - ذَكَرْتُ تَعَلَّةَ الْفَتَيَانِ يَوْمًا وَإِلْحَاقَ الْمَلَامَةِ بِالْمَلِمْ

يَبَيِّنُ بهذا الكلام أنه اتقى بما فَعَلَ تَوَجَّهَ الذَّمُّ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ ، فيقول : أَخْطَرْتُ بِبَالِي مَا يَتَعَلَّلُ بِهِ الْفَتَيَانُ فِي مُحَافِلِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ ، وَتَقْيِيحِهِمْ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ مَا يُسْتَحَقُّ بِفَعْلِهِ أَوْ يَتَزَكَّهِ عِنْدَهُمْ ذَمٌّ ، فَيُلَاحِظُونَ بِهِ اللَّوْمَ ، وَيُهْجَنُونَهُ فِي أَحْكَامِ الْفُتُوَّةِ . وَمَصْدَرُ قَوْلِهِ « ذَكَرْتُ » الذُّكْرُ بضم الذال لأن هذا كان بِالْقَلْبِ ، وَالذُّكْرُ بِكسر الذال باللسان . وَالْمَلِمْ : الذي يَأْتِي بِمَا يُبْلِمُ عَلَيْهِ . قَوْلُهُ « تَعَلَّةٌ » مَصْدَرُ عَلَّتُهُ ، فَهِيَ كالتَّعْدِمَةِ وَالتَّكْرِمَةِ . ويجوز أن يكون تسميتهم لِلْعَلَّلِ ، وهو يَوْمٌ من أيام الْعَجُوزِ ، من هذا ، كَأَنَّهُ يَعْلَلُ النَّاسَ بِشَيْءٍ مِنْ تَخْفِيفِ الْبَرْدِ .

٤٠

وقال الشداخ بن يعمر الكِنَانِيُّ^(١) :

١ - قَاتِلِي الْقَوْمَ يَا خَزَاعُ وَلَا يَدُ خُلُكُم مِّنْ قِتَالِهِمْ فَشَلُ^(٢)

يُرَوَّى « قَاتِلُوا » و « قَاتِلِي » على اللفظ مرّة وعلى المعنى أخرى ، وجعل النَّهْيَ فِي اللَّفْظِ لِلْفَشَلِ ، وَالرُّادُ لَا تَفْشَلُوا . وَهَذَا بَعَثٌ وَتَحْضِيضٌ ، فيقول : حَارِبِي^(٣) أَعْدَائِكُ^(٤) يَا خَزَاعَةَ ، وَلَا يَتَدَاخَلُكَ الْجُبْنُ وَالضَّعْفُ مِنْهُمْ . وَخَزَاعَةَ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ مِنْ خَزَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ إِذَا تَخَلَّفَ ، لِأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ بِمَكَّةَ أَيَّامَ سَيْلِ الْعَرَمِ .

٢ - الْقَوْمُ أَمْثَالُكُمْ لَهُمْ شَعْرٌ فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا^(٥)

يَبَيِّنُ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُمْ نَاسٌ كَمَا أَنَّ خَزَاعَةَ نَاسٌ ، فيقول : لَا تَهَابُوهُمْ فَإِنَّ خَلْقَهُمْ كَخَلْقَتِكُمْ ، وَإِنَّهُمْ إِذَا قُتِلُوا لَمْ يَخْشَوْا مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَيَرْجِعُوا إِلَى الْقِتَالِ . هَذَا

(١) الشداخ بن يعمر الكناني ، شاعر جاهلي ، من بني كنانة بن خزيمه . وكان من خير هذه الأبيات كما روى التبريزي ، أنه كان بين بني كنانة وخزاعة حلف على التناصر والتعاقد على سائر الناس ، فاقتتلت خزاعة وبنو أسد فاعتلها بنو أسد ، فاستعانت خزاعة ببني كنانة ، فذكر الشداخ قرابة بني أسد ، فغذل كنانة عن نصره خذاعة ، وبهذا السبب انحدرت بنو أسد من تهامة إلى نجد غضبا على بني كنانة إذ لم تنصرهم .

(٢) ابن جني : « هذا الشعر من البحر المنسرح ، وإنشاده على هذا للظاهر يكمره ، وذلك أن أول المنسرح لا يجوز فيه فاعلن ، ويروى : فقاتلي ، وإذا روى هكذا كان وزنه مفاعلن ، وهذا جائز فيه ، لأنه خبن مستفعلن » .

(٣) م : « جازي » .

(٤) في الأصل : « أعدائي » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٥) ابن جني : « وضع الرأس موضع الرؤوس كقوله :

* في حلقتكم عظم وقد شجينا *

مبالغة في الاستحاث والتجسير . وجعل قوله : « لَهْمُ شَعْرُ فِي الرَّأْسِ » بما بعده ، تفسيراً للمائلة وتبييناً . وجواب إن قُتِلُوا فيما تقدّم عليه .

٣- أَكَلَمَا حَارَبْتَ خُرَاعَةً تَحْ دُونِي كَأَنِّي لِأَمِّهِمْ جَمَلٌ

قوله « كَأَنِّي لِأَمِّهِمْ » في موضع الحال ، أى تحدونى مُشَبَّهاً بجمالِ أُمِّهِمْ . وكَلَمَّا ظَرَفْتُ لقوله تجدونى . وكَأَنَّهُ قَالَ : تَحْدُونِي خُرَاعَةٌ كَلَمَّا حَارَبْتَ ، أَيْ تَسُوْفُنِي لِنَصْرِهَا وَالدَّفَاعِ عَنْهَا ، كَأَنِّي نَاصِحٌ لِأَمِّهِمْ يُسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ ، فَيُقَالُ لَهُ أَقْبِلْ بِالْذَّلْوِ وَأَذِيرْ . وَذَكَرَ الْأَمُّ تَغْلِيظًا لِلْقَوْلِ وَتَحْشِينًا . وَقَوْلُهُ « أَكَلَمَّا » ، كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى إِنْسَانٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ بَعَثَهُمْ وَجَرَّاهُمْ عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِمْ ، فَقَالَ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ مَا قَالَ .

٤١

وقال الحصين بن الحمام المري^(١) :

١- تَأَخَّرْتُ أَسْتَيْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

يجوز أن يكون هذا مثل قولهم : « الشَّجَاعُ مُوقَى » . وفي طريقته قول الآخر :

أَكَانَ الْجَبَانُ يُرَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

(١) الحصين بن الحمام المري ، من مرة غطفان ، وهو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . والحمام ، بضم الميم ، قيل إنه عرق الخيل . وهو شاعر جاهل مقل . قال أبو عبيدة : اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة : المسيب بن علس ، والمتلمس ، وحصين بن الحمام المري . والشعراء ٦٣٠ والاشتقاق ١٧٦ والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ، والمؤتلف ٩١ والأغاني (١٢ : ١١٨ - ١٢٤) والخزانة ، (٢ : ٧ - ٣ / ٩ - ٣٥٢ - ٣٥٥) .

فَقَدْ تُذَرِّكُ الْحَادِثُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطَلَانُ
ومثله قول الآخر^(١) :

نُهَيْنُ النُّفُوسَ وَهُوَ النُّفُو سِ يَوْمَ الْكُرْبَةِ أَوْقَى لَهَا
ويجوز أن يقول : أَحْجَمْتُ مُسْتَبَقِيًا لِعَيْشِي ، فلم أجد لنفسي عيشًا
كما يكون في الإقدام ، وذلك لأنَّ الأحدثنة الجميلة ، والدُّجج عند الناس في
المتاعى الحميدة ، إنما يكون بالتقدم لا بالتأخر ، وبالاختار لا بالانحراف ، ومن
ذَكَرَ بِالْجَمِيلِ وَتَحَدَّثَ عَنْهُ بِالْبَلَاءِ الْحَسَنَ حَيَّيْ ذِكْرُهُ وَاسْمُهُ ، وَإِنْ ذَهَبَ
أَثَرُهُ وَجِسْمُهُ . وقوله : « حَيَاةٌ مِثْلُ أَنْ أَتَقَدَّمَ » معناه حَيَاةٌ تُشَبِّهُ الْحَيَاةَ
الْمَكْتَسِبَةَ فِي التَّوَقُّفِ وَبِالتَّوَقُّفِ .

٢- فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطُرُ الدِّمَاءُ^(٢)

أراد : لَسْنَا بِدَامِيَةِ الْكُلُومِ عَلَى الْأَعْقَابِ . ولو لم يجعل الإخبار عن أنفسهم
لكان الكلام لَيْسَتْ كُلُّوْمُنَا بِدَامِيَةٍ عَلَى الْأَعْقَابِ . فيقول : تَتَوَجَّهْ نَحْوُ
الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ وَلَا نَعْرِضُ عَنْهُمْ ، فَإِذَا جُرِحْنَا كَانَتْ الْجَرَاحَاتُ فِي مُقَدِّمِنَا
لَا مُؤَخَّرِنَا ، وَسَالَتِ الدِّمَاءُ عَلَى أَقْدَامِنَا لَا عَلَى أَعْقَابِنَا . وقوله « تَقَطُرُ الدِّمَاءُ »
إِذَا رُوِيَ بِالتَّوَقُّفِ كَانَ الْمَعْنَى تَقَطُرُ الْكُلُومِ الدِّمَاءُ ، فَيَكُونُ الدِّمَاءُ مَفْعُولًا بِهِ . ويقال : قَطَرُ
الدِّمَاءِ وَقَطَرْتُهُ ، وَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَإِنْ شَدَّتْ جَعَلَتِ الدِّمَاءَ مَفْعُولًا عَلَى التَّمْيِيزِ ،
كَأَنَّهُ أَرَادَ تَقَطُرُ دِمَاءًا ، وَأَدْخَلَ الْأَلِفَ وَاللَّامَ وَلَمْ يَمْتَدِّ بِهِمَا ، كَقَوْلِ الْآخَرِ^(٣) :

* وَلَا بِفَزَارَةِ الشُّعْرِ الرَّقَابَا^(٤) *

(١) هو الخنساء ، كما سبق في حواشي ص ١٤٠ .

(٢) رواية ابن جني : « الدِّمَاءُ » بكسر الدال على أنه مقصور « الدِّمَاءُ » . وذكر ابن

جني في روايته أيضًا : « تَقَطَّرَ الدِّمَاءُ » . من قولهم أَقْطَرْتُ الدَّمَ ، أَيْ أَسْلَمْتُهُ .

(٣) هو الحارث بن ظالم المري . المفضليات (٢ : ١١٤) .

(٤) صدره : * فَا قَوْمِي بِشُعْلِبَةِ بْنِ سَعْدِ *

ويجوز أن يُروى « يَقَطُرُ الدِّمَاءُ » بالياء ، ويكون الدِّمَاءُ في موضع الرفع على أنه فاعِل يَقَطُرُ ، لَكِنَّهُ رَدَّهُ إِلَى أَصْلِهِ فَأَتَى بِهِ مَقْصُورًا وَإِنْ كَانَ الِاسْتِعْمَالُ يَحْذِفُ لَامِهِ . ومثل هذا البيت قول القطامي :

لَيْسَتْ تُجَرِّحُ فُرَارًا ظُهُورُهُمْ وفي النحورِ كُلُّوْمٌ ذَاتُ أَبْلَادٍ
٣ - نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعِزَّةٍ علينا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

يقول : نُشَقِّقُ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا لِأَنَّهُمْ مَنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَسْبَقَ إِلَى الْعُتُوقِ وَأَوْفَرَ ظُلْمًا ، لِأَنَّهُمْ بَدَّوْنَا بِالْشَّرِّ ، وَأَلْجَؤُنَا إِلَى الْقِتَالِ ، وَنَحْنُ مُنْتَقِمُونَ وَمَجَازُونَ .

٤٢

وقال رجلٌ من بنى عقيل^(١) :

وَحَارَبَهُ بَنُو عَمِّهِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ :

١ - بَكَرُهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نَغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ

الْكُرْهُ بِالضَّم : الْمَشَقَّةُ ، وَالْكُرْهُ بِالْفَتْحِ الْإِكْرَاهُ . وَسَرَاةُ الْقَوْمِ : خِيَارُهُمْ . فَيَقُولُ : بِمَشَقَّةِ رُؤُسَانَا وَكِرَاهَتِهِمْ نَبَاكِركُمْ بِسِوْفٍ مُخَدَّدَةٍ الْحَدِّ^(٢) . مَصْقُولَةٌ ، وَإِنَّمَا قَالَ « بَكَرُهُ سَرَاتِنَا » لِأَنَّ الرُّؤْسَاءِ يَجْبُونَ التَّائِلَفَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ . وَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَتَرْكُ التَّدَابُرِ وَالِاخْتِلَافِ ، إِذْ كَانَ عِزُّ الرَّئِيسِ بِأَصْحَابِهِ ، وَحِشْمَتُهُ فِي نَفْسِ مُنَابَذِيهِ بِقُوَّةِ ذَوِيهِ وَأَقَارِبِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرُ السَّرَاةِ وَالْمَرَادُ الْجَمِيعُ . وَالْمَعْنَى : عَلَى كُرْهِ مَنَا نَقَاتِلُكُمْ وَلَكِنِّكُمْ أَجَاءْتُمُونَا إِلَيْهِ . وَجَمَعَ

(١) التبريزي : « عقيل : تصغير عقل أو عقل مضدر عقل ، ويجوز أن يكون تحقير عقيل تحقير الترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير عقال وتصغير أعقل تصغير الترخيم منهما » .

(٢) م والتبريزي : « مرققة الحد » .

صقيلاً وهو فاعيل بمعنى مفعول على صقال وذلك على غير بابه، لأن التكسير على
 قِقال يكون في الأصل فَعِيل إذا كان بمعنى فاعِلٍ، نحو ظَرِيفٍ وظَرَافٍ وكرِمٍ
 وكرَامٍ، ومثله قولهم فصِيلٌ وفِصالٌ، وساغ ذلك لانتفاصهما في الزنة والوصفية .
 ورؤى : « بمرهفة الصقال » ، وتكون إضافة المُرَهْفَةِ إلى الصقال كإضافة
 البعض إلى الكل ، لأن المعنى بالمرهفة ^(١) الحدد من الصقال ، أى من السيوف
 للصقولة ^(٢) .

٢ - نُعَدِّيهِنَّ يَوْمَ الرُّوعِ عَنْكُمْ وإن كانت مُثَلَّةَ النَّصَالِ

قوله « نعدّيهن » أى نصرفنهن . ويقال : عدّ الهُمّ عنك ، أى اصرفه .
 والبيت يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعنى نصرِفُ السيوفِ عنكم إبقاءً
 عليكم ، وكرهيةً لاستئصالكم ، وإن كانت نصّالها قد تفلّلت من كثرة
 ما تقارع بها الأعداء . ويجوز أن يكون المعنى : نصرفها وإن تثلّت بكم
 وفيكم ، لأن القدرة تذهب الحفيظة ، ولأن ما يجمعنا يدعو إلى البقية ، والأخذ
 فيكم بالحسنى .

٣ - لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابٍ وإن كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصَّقَالِ

قوله « من الهامات » أى من دماء الهامات ومن التأثير فيها . يقول : لهذه
 السيوف لونٌ متغيّرٌ قبيحٌ ، لكثرة ما يسفك بها الدماء ، وإن كانت يجددُ
 صقْلها كلَّ يومٍ . والمحاذة : إعادة الماء إلى السيفِ بالصقْل . وقد قال الحسن
 رحمه الله فيما حكى عنه من مواعظه : « حادِثوا هذه القلوبَ فإنها سريعةُ
 الدُّثور ، واقْدَعُوا هذه الأنفسَ فإنها طَلْعَةٌ » . وقوله « كَابٍ » من قولهم كَبَا

(١) . والتبريزى : « بالمرقة » .

(٢) . وذكر ابن جنى أن الصقال هنا أيضا مصدر صقلت ، وتأويله : بمرهفة عند

الصقال ، كما أن قوله « بضة المتجرد » معناه بضة عند المتجرد .

وَجْهَهُ ، إِذَا أَرَبَدَ [واسودَ] . وَكَبَا نُورُ [الصُّبْحِ وَ^(١)] الشَّمْسِ ، إِذَا نَقَصَ . وَأَظْلَمَ . وَجَوَابُ إِنْ كَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِلْمُرْهَفَةِ .

٤ - وَنَبِيَّ حِينَ نَقَتْلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقَتْلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وَصَفَ حُسْنَ صَبْرِهِمْ ، عَلَى مَا يَتَّفِقُ مِنْ نَائِبَةٍ ، وَيَتَجَدَّدُ مِنْ عَارِضِ حَادِثَةٍ ، فَيَقُولُ : نَبِيَّ قَتَلْنَا إِذَا قَتَلْنَاكُمْ لِمَا يَجْمَعُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الرَّحِمِ لِلْمَاسَةِ ، وَالْقَرَابَةِ الدَّائِيَةِ ، وَنَقَتْلُكُمْ إِذَا أَحْوجْتُمُونَا إِلَى قَتْلِكُمْ ، كَأَنَّا لَا نُبَالِي بِمَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى الْجَزَعِ لَهُ . وَقَوْلُهُ « نُبَالِي » تَفَاعُلٌ مِنَ الْبَلَاءِ . فَإِذَا قَالَ لَا أَبَالِيهِ كَأَنَّهُ أَرَادَ : لَا أُحْتَفِلُ بِهِ فَأَعَادَهُ بِلَائِي وَبِلَاءِهِ وَأَفَاخِرِهِ . هَذَا أَصْلُهُ ، وَقَدْ مَضَى . وَحِكْمُ سَبْيِهِ : مَا أَبَالِيهِ بِاللَّهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْبَالَةَ كَالْحَانَةِ ، وَأَنَّهُ حَذَفَ يَأْوُهُ حَذَفَ تَخْفِيفٍ لَا حَذَفَ قِيَاسٍ .

٤٣

وقال القتال الكلابي^(٢) :

١ - نَشَدْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةُ يَدْنَا وَذَكَرْتُهُ أَرْحَامَ سِعْرِ وَهَيْثِمَ

يقال : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ ، وَنَشَدْتُكَ اللَّهَ ، أَيْ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَبِالرَّحِمِ .

(١) هذه من م .

(٢) القتال لقب غلب عليه ، واسمه عبد الله بن الحبيب بن المضرجي بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهو شاعر إسلامي . وكان من حديث هذا الشعر كما روى التبريزي وأبو الفرج أن القتال كان يتحدث إلى ابنة عم له ولها أخ غائب ، فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته ونهاه ، وحلف له لئن رآه ثافية ليقتلنه . فلما كان بعد ذلك رآه عندها ، فأخذ له السيف ، ورآه القتال فخرج هارباً وخرج في أثره ، فلما دنا منه فاشده القتال بالله والرحم ، فلم يلتفت إليه ، فبينما هو يسمي وقد كاد يلحقه وجد رجلاً مركزاً عند بيت ، فأخذه القتال ثم عطف عليه فقتله . وانظر ترجمته في الأغاني (٢٠ : ١٥٨ - ١٦٦) والمؤتلف ١٦٧ والحزانة ٣ : ٦٦٧ - ٦٦٨ والشعر والشعراء ٦٨٦ - ٦٨٧ .

يقول : أفسمتُ على زيادٍ بالله وأهلُ المجلس بيننا حاضرون ، ولما يأتيه كلُّ
منا مُشاهدون^(١) ، وذكرته ما يجمعني وإياه من الرَّحِمِ من جهة هذين
الرجلين ، وإنما ذكره بهذا على زُعمه طلباً للصُّلح ، أو استظهاراً بإقامة الحجج
عليه ، وإلقاء مغاليق البغى إليه .

٣ - فلما رأيتُ أنه غير مُنتَهٍ أملتُ له كُفِّي بِلَدْنٍ مُقَوِّمٍ

يقول : لما وجدته لا ينتهي بالقول ، ولا يرعوى بالزَّجر ، حدثُ له
كُفِّي برُوحٍ لَينٍ منقَفٍ فطَعَنَتْهُ . وقوله « أملتُ له » ، أي من أجله « كُفِّي
بِلَدْنٍ » ، من فصيح الكلام ، وبلغ الكنايات .

٣ - ولما رأيتُ أنني قد قتلتُهُ نَدِمْتُ عليه أَيَّ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ^(٢)

يقول : لما بان لي إتيانُ تلك الطَّعنة عليه نَدِمْتُ في وقتٍ لم تنفع الندامة
فيه ، لفوت الأمر في الإبقاء . وهذا في إظهار التحسُّر به كقول الآخر^(٣) :

* وَدِدْتُ وَأَيْنَ مَا مَنِيَّ وَدَادِي *^(٤)

وانتصب أَيَّ سَاعَةٍ على الظرف ، لأنَّ أيَّاً لما كان للبعض من الكلِّ
جُعِلَ حُكْمُهُ حُكْمَ المُضَافِ إليه من جميع الأجناس .

(١) م : « شاهدون » .

(٢) هذا ما في م والتبريزي . وفي نسخة الأصل : « فلما رأيت » .

(٣) هو عمرو بن معديكرب . اللآلي ٦٣ .

(٤) صدره : * تمناني ليلقاني قبيس *

٤٤

قيس بن زهير العبسي^(١)

١ - شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسَيِّفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي

كان حَمَلُ بْنُ بَدْرِ قَتَلَ مَالِكَ بْنَ زُهَيْرٍ أَخَا قَيْسٍ ، فَظَفِرَ بِهِ وَبِأَخِيهِ حُذَيْفَةَ فَقَتَلَهُمَا . يَقُولُ : اسْتَفَيْتُ بِقَتْلِ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ . ثُمَّ قَالَ : وَشَفَانِي سَيْفِي أَيْضًا مِنْ أَخِيهِ حُذَيْفَةَ ، لِأَنَّهُ أَتَى عَلَيْهِ لَمَّا أَعْمَلْتُهُ فِيهِ . وَهَذَا مِمَّا جَرَى بَيْنَ عَبْسٍ وَفَزَارَةَ بِسَبَبِ دَاحِسٍ وَالْغُبَرَاءِ .

٢ - فَإِنْ أَلَكُ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيْلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

يَقُولُ : إِنْ سَكَنْتُ لَوْعَتِي بِمَجَازَاتِهِمْ ، وَبَرَدَتْ غُلَّتِي ، فَإِنِّي لَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا أَطْرَافَ أَصَابِعِي . وَذَلِكَ أَنْ عَزَى كَانَ بِهِمْ ، وَكَانُوا كَالْكَفِّ ، فَلَمَّا مَاتُوا وَأَعْوَزَنِي التَّبَجُّحُ بِمَكَانِهِمْ^(٢) ، وَالِاسْتِعْلَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ بِهِمْ ، صِرْتُ كَمَنْ قُطِعَتْ أُنَامِلُهُ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : « بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الْكَفَّ » .

٤٥

وقال الحارث بن وعلّة الذّهلي^(٣) :

الْوَعْلَةُ : الصخرة المشرفة من أعلى الجبل .

(١) قيس بن زهير : شاعر جاهلي ، كان سيد عبس ، وكانت له ضلع كبيرة في حرب داحس ، وهو صاحب داحس . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) والأغانى (٧ : ١٤٣ / ١٦ : ٢٣) والعقد وكامل ابن الأثير وغيرهما ، في حرب داحس والغبراء .

(٢) التبجح : الافتخار .

(٣) شاعر جاهلي ، ذكر نسبه في الأغانى (٢٠ : ١٣٢) والمؤتلف ١٩٧ قال « الحارث بن وعلّة بن المجالد بن يثرب بن الديان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة » . وهو غير الحارث بن وعلّة الجرمي . انظر المفصليات (١ : ١٦٢ - ١٦٣) .

١ - قَوْمِيْ هُمْ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِيْ فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِرُّ — يَبْنِي سَهْمِيْ

يقول: قَوْمِي، يا أُمَيْمَةُ، هم الذين فَجَعُونِي بِأَخِي وَوَتَرُونِي فِيهِ، فَإِذَا رُمْتُ الْإِتِّصَارَ مِنْهُمْ عَادَ ذَلِكَ بِالنَّكَايَةِ فِي نَفْسِي، لَأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بِعَشِيرَتِهِ، وَهَذَا الْكَلَامُ تَحْزَنٌ وَتَفْجَعٌ وَلَيْسَ بِإِخْبَارٍ.

٢ - فَلَيْتَ عَفْوَتُ لَأَغْفُونَ جَلًّا وَاتِّسَطَوْتُ لَأَوْهِنَ عَظْمِيْ

عَفَا عَنِ الْمَذْنِبِ وَالذَّنْبِ عَفْوًا، إِذَا صَفَحَ. وَحَذَفَ حَرْفَ الْجُرِّ فَوَصَلَ لَأَغْفُونَ بِنَفْسِهِ. وَالْكَلَامُ تَحَشُّرٌ وَتَوَجُّعٌ. يَقُولُ: إِنْ تَرَكْتُ مُوَاحَذَتَهُمْ، وَاطَّرَحْتُ طَلَبَ الْإِتِّقَامِ مِنْهُمْ، صَفَحْتُ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَإِنْ سَطَوْتُ عَلَيْهِمْ أَضَعَفْتُ عَظْمِيْ، وَهَدَدْتُ رُكْنِيْ. وَالْجَلَلُ يُزَعَمُ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ، يَقَعُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَهَاهُنَا يُرَادُ بِهِ الْكَبِيرُ. وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

* وَمِنْ الْأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلٍ (١) *

وَالسَّطْوُ: الْأَخْذُ بِغُفٍّ. وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمِصْرَاعَيْنِ يَمِينٌ مُضْمَرَةٌ، جَوَابُهَا فِي الْأَوَّلِ لَأَغْفُونَ، وَفِي الثَّانِي لَأَوْهِنَ. وَاللَّامُ مِنْ لَتْنٍ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مُوَطَّئَةٌ لِلْقَسَمِ.

٣ - لَا تَأْمَتَنَّ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِالشَّتْمِ وَالرَّغْمِ

حَوَّلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ تَوَجُّعًا عَلَى عَادَتِهِمْ إِلَى الْخُطَابِ، مَتَوَعَّدًا. يَقُولُ: لَا تَسْكُنْ إِلَى نَاحِيَةِ قَوْمٍ اهْتَضَمْتَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِسَبِّهِمْ وَاطَّرَاحِهِمْ، وَإِسْقَاطِهِمْ وَتَذْلِيلِهِمْ. وَظَلَمْتَهُمْ مَعَ مَا بَعْدَهُ مِنْ صِفَةِ الْقَوْمِ. وَالرَّغْمُ مُصْدَرٌ رَغِمْتُ فَلَانًا إِذَا قُلْتَ لَهُ رَغْمًا أَوْ فَعَلْتَ بِهِ مَا يَرْغَمُ بِهِ أَنْفُهُ وَيُذِلُّهُ. وَالرَّغَامُ: التُّرَابُ،

(١) اللَّيْلُ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٧. وَضَدْرَهُ:

* وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِي *

وحكى الخليل : أرغته : حلتته على ما لا يقدر على الامتناع منه .

٤ - أَنْ يَأْبُرُوا نَخْلًا لَغَيْرِهِمْ والقولُ تَحْقِرُهُ وقد يَنْمِي

موضع قوله « أَنْ يَأْبُرُوا » نصبٌ على البدل من قومًا في البيت الذي قبله ، كأنه قال : لا تأمنُ أبْرَ قومٍ ظلمتهم وأوحشتهم نخلًا لغيرهم . ويقال : أَبْرَتُ النخلَ وَأَبْرَتَهُ ، إذا أَلْقَيْتُهُ . وجعل هذا الكلام وعيدًا في مفارقة القوم الذين وصفهم إياهم ، وتقويتهم لأعدائهم بعد الانتقال إليهم ، وإصلاحهم الفاسد من فخرهم وأمرهم نصرَةً لهم ، وجعل قوله « أَنْ يَأْبُرُوا » كناية عن هذا المعنى ، كما قال طرفة :

وَلِيَ الْأَضْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُضْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ

وقد قيل : أراد : لا تأمنُ قومًا أسأت في معاملتهم أن يتركوا أرضهم وديارهم ويلحقوا بالأعداء فيأبروا نخلهم ويتصرفوا في مَنَهِم ، ليكونوا معهم عليكم . والأوّل أحسن وأغرب . وقوله « والقولُ تَحْقِرُهُ وقد يَنْمِي » يجوز أن يكون ضربه مثلاً في التهاون بما لا يجوز التهاون فيه ، ويجوز أن يشير بالقول إلى ما يقوله في شعره هذا ، ويريد أنه سيزداد بانضمام الفعل إليه .

٥ - وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ

زَعَمَ زَعَمًا وَزَعَمًا وَمَزَعَمًا ، وأكثر ما يستعمل فيه ما كان باطلاً أو فيه ارتياب . ولذلك يقال : تَزَعَمَ ، أى تكذب ؛ وَزَعَمَ في غير مَزَعَمٍ ، أى طمع في غير مَطْمَعٍ . و « أَنْ لَا حُلُومَ » أن فيه مخففة من الثقيلة . أراد : زعمن أنه لا حُلُومَ لَنَا . والهاء ضميرٌ للأمر والحديث ، و « لَا حُلُومَ » في موضع الخبر . أراد : وزعمن أن الأمر والشأن لا عقول لنا ، فإن كان الأمر على ما زعمن فذهبونا أنتم ، فإن عامر بن الظرب حكّم العرب كان يُقَرَعُ له العصا فينبّه ، لما

كَانَ يَزِيغُ فِي الْحُكْمِ لِكِبَرَتِهِ وَسِنِّهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَهْكُمُ وَسُخْرِيَّةٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُكَ لِمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْكَ مَا لَا يُشَكُّ فِي صَلَاحِهِ وَصَحَّتِهِ : إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَاسِدًا فَصَحَّحْهُ أَنْتَ . وَهَذَا ظَاهِرٌ . وَذُو الْحِلْمِ الَّذِي قُرِعَ لَهُ الْعَصَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، فَتَدَّعِيهِ الْيَمِينُ وَتَقُولُ : هُوَ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّةَ الدَّوْسِيِّ ، رَوَى ذَلِكَ الشَّعْبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَتَدَّعِيهِ مُضَرٌّ ، فَتَقُولُ : هُوَ عَامِرُ بْنُ الظَّرَبِ الْعَدَوَانِيُّ ، وَإِيَّاهُ عَنَى ذُو الْإِصْبَعِ فِي قَوْلِهِ :

وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضِي وَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وَتَدَّعِيهِ رَبِيعَةٌ فَتَقُولُ : هُوَ قَيْسُ بْنُ خَالِدِ الشَّيْبَانِيِّ ، وَهُوَ جَدُّ بَسْطَامِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ .

٦ - وَوَطِئْتَنَا وَطْئًا عَلَى حَنْقٍ وَطْءُ الْمُقَيَّدِ نَابِتَ الْهَرَمِ

بِقَوْلِهِ : أَثَّرَتْ فِيْنَا تَأْثِيرَ الْحَنْقِ الْغَضْبَانِ ، كَمَا يُوَثِّرُ الْبَعِيرُ الْمُقَيَّدَ إِذَا وَطِئَ هَذِهِ الشَّجِيرَةَ . وَخَصَّ الْمُقَيَّدَ لِأَنَّهُ وَطْأَتُهُ أَثْقَلُ ، كَمَا خَصَّ الْحَنْقَ لِأَنَّهُ إِبْقَاءُهُ أَثْقَلُ . وَالْهَرَمُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحَمْضِ ، يُقَالُ بَجَلِّ هَرَمٍ ، وَإِبِلٌ هَوَارِمٌ إِذَا رَعَتْ الْهَرَمَ . وَانْتَصَبَ وَطْءُ الْمُقَيَّدِ عَلَى الْبَدَلِ ، أَيْ وَطْئًا يُشَبِّهُ هَذَا الْوَطْءَ . وَمِمَّا حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طِئَّةِ الدَّلِيلِ » ، أَيْ مِنْ أَنْ يَطْأَنِي ، لِأَنَّهُ وَطْأَتُهُ أَشَدُّ ، لِسُوءِ مَلِكَتِهِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

* وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُعَابٍ *

وَعَلَى هَذَا قِيلَ : ضَرَبَتْهُ ضَرْبَةُ الْجَبَانِ ، وَضَبَطَتْهُ ضَبْطَةُ الْأَعْي .

٧ - وَتَرَكْتَنَا لِحْمًا عَلَى وَضَمٍ لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ

(١) هُوَ أَمْرُقُ الْقَيْسِ . دِيَوَانُهُ ١٧٧ . وَالْبَيْتُ بِتَأَمِهِ :

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخَرُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مَغْلَبِ

هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي الْإِنْقِيَادِ وَالذُّلِّ . وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ : « النَّسَاءُ لَحْمٌ عَلَى وَضْعِهِ إِلَّا مَا ذُبَّ عَنْهُ » . يَقُولُ : تَرَكْنَاهُ لَا دِفَاعَ بِنَا ، كَاللَّحْمِ عَلَى خِوَانِ الْجَزَارِ يَتَنَاوَلُهُ مَنْ شَاءَ ، لَوْ كُنْتَ تَتْرَكُ مِنَّا بَقِيَّةً ، وَتَطْلُبُ عَلَيْنَا بَقِيَّةً . وَالْمَعْنَى أَنَّكَ تَرُومُ اسْتِثْصَالَنَا ، فَلَسْتَ تَرْضَى بِالْإِذْلَالِ . وَجَوَابُ لَوْ فِيمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ .

٤٦

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ

قَتَلَ أَخُوهُ ابْنَاهُ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ لِيَقْتَادَ مِنْهُ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ وَهُوَ يَقُولُ :

١ - أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَّةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَنِي وَلَمْ تُرِدْ

النَّسَاءُ : تَفْعَالٌ مِنَ الْإِسْوَةِ . وَيُقَالُ إِسْوَةٌ وَأُسْوَةٌ ، فَيُضْمُّ أَوَّلُهُ وَيُكْسَرُ ، وَاتِّصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . أَيْ أَقُولُ مَتَأْسِيًا بِغَيْرِي ، - وَمُسْلِيًا لِنَفْسِي : جَنَى عَلَيَّ أَخِي الَّذِي مَحَلَّهُ مِنِّي مَحَلُّ إِحْدَى يَدَيَّ ، سَهْوًا لَا إِرَادَةَ لِمَسَاءَتِي وَخَطَأً لَا عَمْدًا . وَقَوْلُهُ « إِحْدَى يَدَيَّ » فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ وَ « أَصَابَنِي » خَبَرُهُ ، وَقَوْلُهُ « وَلَمْ تُرِدْ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ لِقَوْلِهِ أَقُولُ .

٢ - كِلَاهُمَا خَلَفَ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

يَقُولُ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَخِ الْوَاتِرِ وَالابْنِ الْمَفْقُودِ يَصْلُحُ لِأَن يُرَضَى بِهِ - عَوَضًا مِنْ فَقْدَانِ الْآخَرِ ، فَإِنْ اقْتَدَتْ مِنَ الْأَخِ مُنْتَصَفًا لِلابْنِ فَقَدْتَهُمَا جَمِيعًا ، - فَاسْتَبَقَانِي أَخِي هُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ وَأَعْوَدُ ^(١) .

٤٧

وقال إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِي^(١) :

١ - ما وَلَدَتْنِي حَاصِنٌ رَبْعِيَّةٌ لَّئِنْ أَنَا مَالَتُ الْهَوَى لَا تَبَاعِيهَا

امْرَأَةٌ حَاصِنٌ وَحَصَانٌ ، أَى مُتَنَعَةٌ^(٢) عَنِ الرَّقَثِ ، عَفِيفَةٌ . وَمَصْدَرُهُ الْحَصَانَةُ وَالْحَصْنُ ، وَرَبْعِيَّةٌ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى رَبْعِيَّةٍ : وَهَذَا الْكَلَامُ خَبَرٌ يَجْرَى بِمَجْرَى الْيَمِينِ ، وَاللَّامُ مِنْ « لَّئِنْ » يُؤْذَنُ بِأَنَّ الْكَلَامَ قَسَمٌ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي رَبْعِيَّةٍ كَرِيمَةٍ عَفِيفَةٍ إِنْ كُنْتُ شَافَيْتُ الْهَوَى وَتَابَعْتُهُ فِي طَلَبِ امْرَأَةٍ . وَالْمَعْنَى : لَسْتُ لِرِشْدَةٍ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ . وَمَالَتُ ، مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : هُوَ مَلِيٌّ بِكَذَا ، وَقَدْ مَلَأُوا يَمَلُؤُ مَلَاءَةً . وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِيمَا تَقْدَمُ .

٢ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ رَحْبٌ فَسِيحَةٌ فَهَلْ تُعْجِزُنِي مُبْقَعَةٌ مِنْ بَقَاعِهَا

قَالَ الْخَلِيلُ : الْمُبْقَعَةُ : قِطْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ هَيْئَةٍ الَّتِي إِلَى جَنْبِهَا ، وَاسْتَشْهَدَ الشَّاعِرُ لِنَفْسِهِ فِي إِنْكَارِ مَا انْتَفَى مِنْ فَعْلِهِ بِقَوْلِهِ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ ، لِأَنَّ أَلَمْ تَرَ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الاسْتِفْهَامِ ، كَلِمَةٌ يُوَاقِفُ بِهَا الْمُخَاطَبُ فِي تَحْقِيقِ الْأُمُورِ ، وَتَثْبِيتِ الْخَطُوبِ ، وَرَبَّمَا صَحِيحُهَا مَعْنَى التَّعَجُّبِ . فَيَقُولُ : إِنْكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ عَرِيضَةٌ ، وَأَنْ بَقَاعَهَا لَا تَنْبُو بِي ، وَلَوْ نَبَتْ لَمْ تُعْجِزْنِي ، فَكَمَا أَتَى فِي هَذَا بَهْذَةِ الصِّفَةِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا فِي الْأَوَّلِ . وَمَذْهَبُ هَذَا الْكَلَامِ

(١) كَانَ إِيَّاسُ هَذَا عَامِلًا لِكَسْرِي عَلَى عَيْنِ التَّرْوَمَا وَالْإِهَامَا إِلَى الْخَيْرَةِ ، وَقَدْ جَمَعَهُ كَسْرِي عَلَى رَأْسِ الْعَرَبِ فِي يَوْمِ ذِي قَارِ ، الَّذِي كَانَ بَيْنَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَبَيْنَ الْفَرَسِ وَأَحْلَافِهِمْ مِنْ قَتْلَبِ وَطِيٍّ وَضَبَّةٍ وَتَمِيمٍ وَبَهْرَاءَ وَتَنْوُخَ ، وَقَدْ هَزَمَتِ الْفَرَسَ وَأَحْلَافَهَا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ : « هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ ، وَبِي نَصَرُوا » ، وَفِي أَثْنَاءِ عَمَالَتِهِ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . الْأَغَانِي (٢٠ : ١٣٤ ، ١٣٨) وَالتَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَافَ ١٥٨ ، ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) م : « مُتَنَعَةٌ » .

مذهب قول القائل عند تحقيق أمر وتصويره للمخاطب : إن هذا حق كما أنى حاضر^١ ، وكأ أنك تسمع وتجبب .

٣ - ومبثوثة بث الدبا مسبطرة رددت على بطائها من سرائها

يقول : رُبَّ خَيْلٍ مَتَرَقَّةٍ مَمْدَّةٍ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ امْتِدَادَ فِرَاحِ الدَّبَا وَتَفَرُّقِهَا - والمعنى أنهم يَمْوَجُونَ في انتشارهم ، كما أن الجراد إذا انبثت مَاجَ بعضها في بعض - أنا رددت أولها على آخرها ، وَحَبَسْتُ مَتَقَدِّمَاتِهَا عَلَى مَتَأَخِّرَاتِهَا ، حَتَّى لَحِقَتْ الْأَعْجَازُ بِالْصُدُورِ ، وَاخْتَلَطَتِ اللَّوَاهِقُ بِالسَّوَابِقِ . ويقال : هم يَتَهَافَتُونَ تَهَافَتَ الْفَرَّاشِ ، وَيَتَمَوَّجُونَ تَمَوَّجَ الْجَرَادِ .

٤ - وَأَقْدَمْتُ وَالْخَطِيئُ يَحْطِرُ بَيْنَنَا لِأَعْلَمَ مَنْ جَبَانُهَا مِنْ شَجَاعِهَا

قوله « وَالْخَطِيئُ » واوه واو الحال . وَاللَّامُ مِنْ « لِأَعْلَمَ » لَامُ الْعَلَةِ . يقول : تَرَكْتُ الْإِحْجَامَ ، وَآثَرْتُ الْإِقْدَامَ ، وَرَمَاحُ الْخَطِّ تَخْتَلِفُ بِالطَّعْنِ ، وَتَحْكُمُ لِلشَّجَاعَةِ عَلَى الْجُبْنِ ، لِأَتَبَيِّنَ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَالتَّقَدُّمَ مِنَ الْمُتَخَلِّفِ . والمعنى فعلت ذلك لِتَبَيِّنِ فَضْلِي عَلَى غَيْرِي .

٤٨

وقال رجل من بني تميم^(١)

وطلَبَ مِنْهُ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ فَرَسًا يَقَالُ لَهُ^(٢) سَكَابٍ فَنَعِمَ بِإِيَّاهَا :

١ - أَبَيْتَ اللَّغْنَ إِنَّ سَكَابَ عِلْقٍ نَفِيسٌ لَا تَعَارُ وَلَا تَبْ سَاعٍ^(٣)

قوله « عِلْقٌ نَفِيسٌ » أَيْ مَالٌ يُبْخَلُ بِهِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : هُوَ عِلْقٌ مَضِنَّةٌ .

(١) هو عبدة بن ربعة بن قحطان بن ناشرة بن سيار بن رزام بن مازن ، كما في كتاب الخيل لابن الأعرابي ٦٢ حيث أشهد الأبيات . وفي هذان فرس يقال له سكاب ، فحارسه الأجدع بن مالك . الخيل لابن الأعرابي ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) كذا في النسختين والتبريزي ، ذكر اللفظ ، وأنت بعد ذلك للمعنى .

(٣) رواية ابن الأعرابي : « لَيْسَتْ بِعِلْقٍ يَسْتَعَارُ وَلَا يَبَاعُ » .

ويقال: عَالَقَتْهُ بِعِلْقِي وَعِلْقِهِ، إِذَا خَاطَرَتْهُ بِكَرَاهِمِ الْمَالِ. يقول: مُنِعْتَ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ اللَّعْنُ، إِنْ فَرَسِي سَكَّابٍ مَتَاعُ نَفِيسٍ، وَعِلْقِي كَرِيمٌ، لَا يُعْرَضُ لِلْبَيْعِ، وَلَا يُبْذَلُ لِلْإِعَارَةِ. و«سَكَّابٍ» إِذَا أَعْرَبْتَهُ مَنَعْتَهُ الصَّرْفَ، لِأَنَّهُ عَلِمَ، فَلَحْصُولُ التَّعْرِيفِ فِيهِ وَالتَّأْنِيثُ مَعَ كَثَرَةِ الْحُرُوفِ يُنَمِّعُ الصَّرْفَ. وَالشَّاعِرُ تَمِيمِيٌّ، وَهَذَا لُغَةُ قَوْمِهِ. وَإِذَا بَنَيْتُهُ عَلَى الْكَسْرِ أَجْرِيتهُ مَجْرَى حَذَامٍ، لِأَنَّهُ مُؤَنَّثٌ مَعْدُولٌ مَعْرِفَةٌ، فَلَمَّ شَابَهَتْهُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ دَرَاكٍ وَنَزَالٍ يُبْنَى؛ وَهَذِهِ اللَّغَةُ حِجَازِيَّةٌ. وَاشْتِقَاقُ سَكَّابٍ مِنْ سَكَبْتُ إِذَا صَبَبْتُ. وَيُقَالُ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ: هُوَ بَحْرٌ وَسَكَبٌ. وَقَوْلُهُ: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، تَحِيَّةٌ كَانَ يُسْتَعْطَفُ بِهِ الْمُلُوكُ. وَأَصْلُ اللَّعْنِ: الطَّرْدُ. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ (١):

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ

بَعْنَى إِلَّا أَنْ يُقَالَ لِي: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، لِأَنَّهُ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ. وَكَأَنَّهُ قَالَ: نِلْتُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْمُلْكَ.

٢ - مَفْدَاةٌ مُكْرَمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تَجَاعُ

يقول: لِعَزَّتْهَا عَلَى أَرْبَابِهَا تُفَدَّى بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَتُؤَثَّرُ تَكْرِيماً لَهَا عَلَى الْعِيَالِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالْإِفْتَارِ، فَيَجُوعُ الْعِيَالُ وَلَا تَجُوعُ هَذِهِ.

٣ - سَلِيلَةٌ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلَاهَا إِذَا نُسِبَا يَضُمُّهُمَا الْكَرَاعُ (٢)

يقول: هِيَ وَلَدُ فَرَسَيْنِ سَابِقَيْنِ، إِذَا نُسِبَا ضَمَّ مَنَاسِبُهُمَا وَمَنَاصِبُهُمَا الْكَرَاعُ، وَهُوَ فَحْلٌ كَرِيمٌ مَعْرُوفٌ. وَسَلِيلَةٌ الْحَقُّ الْهَاءُ بِهَا وَإِنْ كَانَ فَعِيلاً

(١) هُوَ زَيْدُ بْنُ جَنْبَابٍ الْكَلْبِيُّ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي صَفْحَةِ ١٠٠.

(٢) ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: «يَضُمُّهُمَا إِذَا نُسِبَا».

في معنى مفعول ، لأنه جُعِلَ اسْمًا ، كما تقول هي قَتِيلَةٌ بَنَى فُلَانٌ . ومعنى سُلَّ : مُنْزَعٌ . ويقال : نَجَلَا وَلَدَهُمَا وتناجلاه ، بمعنى واحد ، قال :

* إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا ^(١) *

وأصلُ السُّكَرَاعِ في اللغة : أَنْفٌ يَتَقَدَّمُ مِنَ الْجَبَلِ ، فَسُمِّيَ هَذَا الْفَعْلُ بِهِ لِعَظَمِهِ . وأما السُّكَرَاعُ الاسمُ الْجَامِعُ لِلْخَيْلِ ، فَهُوَ غَيْرُ ذَا .

٤ - فَلَا تَطْمَعُ أَيْبَتَ اللَّعْنِ فِيهَا وَمَنْعُكَهَا بِوَجْهِهِ يُسْتَطَاعُ

يقول : ارفَعْ طَمَعَكَ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْفَرَسِ ، أَيْبَتُ أَنْ تَأْتِيَ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ اللَّعْنُ ، وَدَفْعُكَ عَنْهَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ مَا وَبِحِيلَةٍ مَا . والمعنى : إِنِّي لَا أَسْعِفُكَ بِهَا اسْتَبْعَتْهَا أَوْ اسْتَوْهَيْتَهَا ، مَا وَجَدْتُ إِلَى الرَّدِّ طَرِيقًا ، فَلَا تَطْمَعُ فِيهِ مَا دَامَتْ لِي هَذِهِ الْحَالَةُ . وقوله « وَمَنْعُكَهَا » أَي مَنَعُكَ عَنْهَا . وَيُقَالُ مَنْعْتُكَ كَذَا ، وَمَنْعْتُكَ عَنْ كَذَا ، وَأَمَّا الْمَنَعَةُ الْعِزُّ ^(٢) فَهُوَ مُصَدِّرُ كَالْحُرَّةِ وَالْجَلْبَةِ مِنْ مَنَعٍ مَنَاعَةً وَمَنَاعًا ، فَهُوَ مَنِيْعٌ .

٤٩

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ طَيْئٍ ^(٣) :

١ - دَعَا دَعْوَةً يَوْمَ الشَّرَى يَأْمَالِكِ وَمَنْ لَا يُحِبُّ عِنْدَ الْحَفِيزَةِ يُكَلِّمُ

يقول : اسْتَغَاثَ هَذَا الرَّجُلُ فِي يَوْمِ اجْتِمَاعِنَا بِالشَّرَى - وَهُوَ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ - اتَّفَقَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ فَنُسِبَ يَوْمُهَا إِلَيْهِ - اسْتَغَاثَةً وَقَالَ : يَأْمَالِكِ ؛ وَمَنْ لَا يُحِبُّ

(١) للأعشى في ديوانه ١٥٧ . وصدره :

* أَنْجِبْ أَيَّامَ وَالِدَاءِ بِهِ *

(٢) م : « العزة » . والمنعة تقال بفتح النون وإسكانها .

(٣) هي بنت بهدل بن قرفة الطائي ، أحد لصوص العرب زمان عبد الملك بن مروان .

كما سيأتي في التفسير .

إِذَا اسْتَصْرَخَ ، وَلَمْ يُبْعَثْ إِذَا اسْتَنْصَرَ ، يُهْتَضَمُ وَيُجْرَحُ . وَقَوْلُهُ « يَا مَالِكُ »
اللام فيه للإضافة ، وَإِنَّمَا فُتِحَ لِأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مَا هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الْمَضْمَرِ ، فَكَمَا
يُفْتَحُ لَامُ الْإِضَافَةِ مَعَ الْمَضْمَرِ كَذَلِكَ فُتِحَ مَعَ الْمُنَادَى لَوْقُوعِهِ مَوْقِعَهُ . فَإِنْ قِيلَ :
فَمَا الْمَدْعُوُّ ؟ قُلْتُ : : مَالِكُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : دُعَايَ لِمَالِكِ . وَالْحَفِظَةُ : الْخِصْلَةُ الَّتِي
يُحْفَظُ الْإِنْسَانُ عِنْدَهَا ، أَيْ يُغَضَّبُ . وَكَذَلِكَ الْحَفِظَةُ . قَالَ :

* وَحِفْظَةٌ أَكْثَرُهَا ضَمِيرِي (١) *

وقوله « يُكَلِّمُ » كناية عن الغلبة أو القتل .

٣ — فَيَا ضَيْعَةَ الْفَتَيَانِ إِذْ يَعْتَلُونَهُ بَيْطُنَ الشَّرَى مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُسَدَّمِ

الفنيق : الْفَحْلُ الْمُنَقَّى لَا يُرَكَّبُ لِكِرَامَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ . وَالْمُسَدَّمُ : الْفَحْلُ
الْهَاجِجُ الْمُنْعَوَى . وَيُقَالُ : عَتَلَهُ يَعْتَلُهُ وَيَعْتَلُهُ جَمِيعًا ، إِذَا قَادَهُ بَغْضٌ . وَمَعْنَى
« يَا ضَيْعَةَ الْفَتَيَانِ » وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ النَّدَاءِ ، مَعْنَى الْخَبَرِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : ضَاعَ
الْفَتَيَانُ جَدًّا . فَيَقُولُ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ وَالِاخْتِصَاصِ : مَا أَضْيَعَ الْفَتَيَانِ فِي ذَلِكَ
الْوَقْتُ وَفِي تِلْكَ الْحَالَةِ . كَأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يُنْصَرَفْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَلَمْ يُخَضَّرْهُ فَتَى يُعِينُهُ
كَانَ الْفَتَيَانُ ضَائِعَيْنِ ، إِذْ كَانُوا يُعْنَفُونَ فِي قُوْدِهِمْ إِبَاهُ ، وَهُوَ كَأَنَّهُ فُحِلَّ مُشْدُودُ
الْفَمِ خَوْفًا مِنْ صِيَالِهِ ، فَلَا يُنَاكِرُ بِنَفْسِهِ (٢) ، وَلَا يَدَافِعُ أَحَدُ دُونَهُ . وَذَكَرَ
بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا الْمَقْتُولَ هُوَ بَهْدَلُ بْنُ قِرْفَةَ ، أَحَدُ بَنِي نُبَهَانَ ، وَأُخِذَ بِسَبَبِ دَمِ ابْنِ
جَعْدَةَ الْخَزَوِيِّ (٣) وَقُتِلَ بِالْمَدِينَةِ صَبْرًا . وَمَا اقْتَصَصَ فِي الْأَبْيَاتِ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ (٤) .

(١) الْعِجَاجُ فِي دِيَوَانِهِ ٢٦ وَاللِّسَانُ (حَفِظَ) .

(٢) الْمُنَاكَرَةُ : الْحَارِبَةُ وَالْقِتَالُ .

(٣) هُوَ عَوْنُ بْنُ جَعْدَةَ بْنِ هَيْبَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ الْخَزَوِيُّ ، كَمَا ذَكَرَ التَّبْرِيزِيُّ .

(٤) قَالَ التَّبْرِيزِيُّ : « بَلِ الَّذِي اقْتَصَصَ فِي الْأَبْيَاتِ يَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهِ » . ثُمَّ نَقَلَ نَصًّا طَوِيلًا

مِنْ كِتَابِ أَخْبَارِ الْأَصُوصِ لِلْمَكْرِيِّ .

٣- أَمَا فِي بَنِي حِصْنٍ مِنْ ابْنِ كَرِيهَةٍ مِنْ الْقَوْمِ طَلَّابِ الثَّرَاتِ غَشْمَشَمٍ
 هذا الكلام بَعَثَ وَتَحْضِيضَ لِأَبْنَاءِ حِصْنٍ . وَالْغَشْمَشَمُ : الَّذِي يَرْكَبُ
 رَأْسَهُ وَلَا يَهَابُ الْإِقْدَامَ عَلَى شَيْءٍ . وَالْكَلَامُ لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى
 التَّمَنَّى ، كَأَنَّهُ يَبْعَثُ وَيُحْضِضُ مَنْ يَطْلُبُ دَمَهُ إِذَا قَاتَ نُصْرَتُهُ حَيًّا . فَيَقُولُ :
 أَمَا فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ابْنُ حَرْبٍ مُتَنَاهٍ فِي طَلَبِ الدَّمِ وَإِدْرَاكِ الثَّارِ ، ظَلُومٌ غَشُومٌ ،
 يَرْكَبُ الْكَرَائَةَ وَالْأُمُورَ الصَّعْبَةَ ، غَيْرَ مُرْعَوٍ وَلَا مُنْقَبِضٍ .

٤- فَيَقْتُلُ جَبْرًا بَامِرًى لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَسْكَابِلَ بِالدَّمِ^(١)

جَبْرٌ هُوَ الْقَاتِلُ لَوَلَّى هَذِهِ الْمَرَأَةَ . وَيُقَالُ : بَاءَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ يَبُوءُ بَوَاءً ، إِذَا
 ارْتَضَى لِقَتْلِهِ بَدَلًا مِنْهُ . وَأَبَاتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ ، أَيْ قَتَلْتُهُ . وَانْتَصَبَ « يَقْتُلُ »
 عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ التَّمَنَّى بِالْقَاءِ ، وَالْعَامِلُ فِي الْفِعْلِ أَنْ مَضْمَرُهُ ، أَيْ أَمَا فِيهِمْ رَجُلٌ
 هَكَذَا فَيَقْتُلُ هَذَا الرَّجُلَ بِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرًا ، فَيَكُونُ فِي دَمِهِ وَقَلْبِهِ بَدَمُهُ ،
 وَلَكِنْ سَقَطَتِ الْمَكَالِفَةُ فِي الدَّمَاءِ مِنْذُ جَاءَ الْإِسْلَامُ ، فَلَا يُقْتَلُ بَدَلِ الْوَاحِدِ
 إِلَّا وَاحِدٌ ، شَرِيفًا كَانَ أَوْ وَضِيعًا .

٥٠

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي قَقْعَسٍ^(٢) :

١- رَأَيْتُ مُوَالِيَّ الْأُولَى يَخْذُلُونِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذَا يَتَقَلَّبُ

الموَالِي هَاهُنَا : أَبْنَاءُ الْعَمِّ . وَالْأُولَى فِي مَعْنَى الَّذِينَ ، وَيَخْذُلُونِي مِنْ صِلَاتِهِ .
 يَقُولُ : رَأَيْتُ أَبْنَاءَ عَمِّي هُمُ الَّذِينَ يَقْعُدُونَ عَنْ نُصْرَتِي عَلَى تَقَلُّبِ الزَّمَانِ ،
 وَتَصَرُّفِ الْحَدَثَانِ . وَقَوْلُهُ « عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « حَبْر » بِالْحَاءِ الْمَهْلِةِ فِي الْمَتْنِ وَالشَّرْحِ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي مِ وَالتَّبْرِيزِيِّ .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « قِيلَ هُوَ مَرَّةٌ بَنَ عِدَاءَ الْقَقْعَسِيِّ » .

يخذلونني مُقَاسِيًا لما يحدث في الدهر أو أن تقلبه وتغيره .

٣ - فَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إِذَا الْخُصْمُ أَبْزَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ^(١)

قوله : « تفاعدوا » دعاء ، وقد اعترض بين أوّل الكلام وآخره ، ولكنه أكد ما يقتضيه فصّلح لذلك . يقول : هَلَّا جَعَلُونِي عُدَّةً لِرَجُلٍ مِثْلِي ، فقد بعضهم بعضا وقد جاءهم الْخُصْمُ متأخّر العجز مائل الرأس منحرفا . وهذا تصويرٌ لحال المُقاتِل إذا انتصب في وجه مقصوده ، وهو أبلغ في الوصف من كلّ تشبيه ، ومثله قول الآخر^(٢) :

* جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلٍ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُ *

أَلَا تَرَى أَنَّهُ صَوَّرَ لَوْنِ الْمَذْقِ كَمَا قَالَ : هَلٍ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُ ؟ وقوله : « إِذَا الْخُصْمُ » هو حكاية الحال المتوقّعة ، وهو الرواية المختارة . وقد رُوِيَ : « إِذَا الْخُصْمُ » وَالْجُمْلَةُ الَّتِي تَبَيَّنَ بِهَا إِذَا هَذِهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا فِعْلٌ ، وقد عَرِيتْ مِنْهُ هَاهُنَا ، وَأُظُنُّ أَنَّ الْأَخْفَشَ جَوَّزَ مِثْلَهُ . والمعنى : لِمَ أَفَاتُونِي أَنْفُسَهُمْ ، وهَلَا ادَّخَرُونِي لِيَوْمِ الْحَاجَةِ إِذَا كَانَ الْخُصْمُ هَكَذَا . وأراد بِالْخُصْمِ الْجِنْسَ . وقال الْأَصْمَعِيُّ : الْبَرْزَى : تَأَخَّرَ الْعَجْزُ . وقال غيره : هو إشرافُ وَسَطِ الظَّهْرِ عَلَى الْأَسْتِ . والبيت يشهد للأصمعي . وَالنَّكَبُ : شِبْهُ الْمِيلِ فِي الْمَشْيِ وَمِنْهُ الْأَنْكَبُ مِنَ الْإِبِلِ ، وهو الذي يَمْشِي فِي شِقِّ .

٣ - وَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَفِي الْأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ

الكلام في « تفاعدوا » وأنه دعاء واعتراض ، على ما مرّ . وإنّما وكرّر

(١) إذا ، كذا ورد رسمها في النسختين بالألف مع كسر الدال ، وذلك لتقرأ بالروايتين ، إذ وإذا . قال ابن جني : « فن روله إذ حكى الحال المتوقعة كقول الله سبحانه : إذ الأغلال في أعناقهم . ومن رواه إذا فهو كقول آتيلك إذا زيد قائم . وهذا جائز على رأى أبي الحسن ، وذلك أنه يجوز الابتداء بعد إذا الزمانية المشروط بها » .

(٢) قيل هو العجاج . الخزانة (١ : ٢٧٧) .

ما كثره على وجه التأكيد ، وتفظيعاً للأمر . والمعنى : هَلَّا جعلوني عُدَّةً لرجُلٍ مثلي في البأس ، فَقَدْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وقد انتَشَرَ في الأرض أعداء كثيرة ، وأنواع من الشر فظيعة . والشُّجاع : الحَيَّة . وَكُنِيَ بالعُقْرَبِ وبه عَنِ الأعداء والشرِّ . وارتفاع شُجاع ، يجوز أن يكون على البدل ، ويجوز أن يكون على الابتداء ومبثوثٌ خَبَرٌ له قَدَمٌ عليه ، ويجوز أن ينصب مبثوث على الحال ، ويُجْعَل في الأرض الخَبَرُ^(١) . ولم يُثَنِّ مبثوث لأنَّ القصد بالشُّجاع والعقرب إلى خيل الأعداء والشرِّ ، فكأنهما شيء واحد .

ع - فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا مِنَ الْقَوْمِ إِنِّي أَرَى الْعَارَ يَبْقَى وَالْمَعَاوِلُ تَذْهَبُ
لك أن ترفعَ المعاولَ على الاستئناف ، ولك أن تحمله على ما قبله فتطيقه على العار . يقول : لا ترغبوا في قبول الدِّية فإنه عَارٌ ، والعار يَبْقَى أثره ، والأموال تنفي . والمعاولُ : جمع المَعْقَلَةِ . والمَعْقَلَةُ والعَقْلُ : الدِّية ، وأصله الإبل كانت تُعَقَّلُ بفناء وَلِيٍّ للقتول ، وهو مصدرٌ وَصِفَ به . وحكى الأصمعيُّ : صار دَمُهُ مَعْقَلَةً على قومه ، أي صاروا يَدُونَهُ .

٥ - كَأَنَّكَ لَمْ تُسَبِّقْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتِ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ
يقول : مَنْ أَدْرَكَ ما طلبه من النَّارِ فكأنه لم يُصَبِّ ولم يُؤْتَرْ . وهذا بَعَثٌ وتخصيض على طلب الدَّمِ والزَّهْدِ في الدِّية . وفي طريقته قول الآخر^(٢) .
كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرِ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكْ صُغُولًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا^(٣)
لَكِنَّ هَذَا بَعَثٌ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ .

(١) ابن جني : « فن نصب فإنه وصف نكرة قدم عليها فنصب على الحال منها ، كقولك :
* لمية موحشاً طلل قديم *

(٢) هو جابر بن ثعلبة الطائي ، كما في الكامل ٢٩٩ ليسك . وفي الحماسة ٩٥ أنه جابر بن الثعلب .

(٣) التبريزي : « ولم يك في بؤس إذا ما تمولا » .

٥١

وقال آخر :

١ - فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً لَسُقْنَا لَكُمْ سَيْلًا مِنَ الْمَالِ مُفْعَمًا

انتصب فدية على الحال من المال ، والمراد به الإبل لا غير ، ونكر قوله « حيا » وهو يقصد به قصد حتى بعينه ، لأن المراد كان مفهوما عند من عرف القصة ، فجعله كالتعريض . وقوله « سَيْلًا مُفْعَمًا » والسَّيْلُ يُفْعَمُ به الشيء ، يجوز أن يكون من باب هم ناصب وما أشبهه ، ويكون المعنى سَيْلًا ذا إقعام ، ولكن أكثر ما يحى معنى النسبة فيما كان للفاعل ، كطالقي ومريض . ومثله قولهم نخلة موقرة . ويجوز وهو الأجود أن يكون عبر عن الكثرة بقوله مُفْعَمٌ كما عبر في قولهم شعر شاعر وموت مائت عن التناهي بلفظ فاعل ، وإن كان الموت لا يموت ، والشعر لا يشعر ، كما أن السَّيْلَ لا يُفْعَمُ . وقد قيل امرأة فعممة المخلخل ، أى غليظة كثيرة اللحم عليه . والمعنى : لو كانت معاملتنا مع حتى يرى قبول المال فداء لأرضيناه بالمال الكثير .

٣ - وَلَكِنْ أَبَى قَوْمٌ أَصِيبَ أَخُوهُمْ رَضَى الْعَارِ وَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّمَ

يقول : ولكن امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرضا بالدنية ، وآثروا طلب الدم على قبول الدنية . وجعل اللبن كناية عن الإبل تؤدى عقلا ، [لأنه^(١)] منها ، وكما نكر حيا في البيت الأول نكر أيضا في الثانى قوله « أَبَى قَوْمٌ » ، والغرض بهما على حد واحد ، ولا يجوز أن يكون « يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً » صفة لقوله حيا ، لأنه يبقى أن بلا خبر . فاما قوله « أَصِيبَ أَخُوهُمْ »

فهو صِفَةٌ لقوله قَوْمٌ . وقوله « رَضِيَ العارِ » العارُ في موضع المفعول ، أى أبوا
أن يَرْضُوا العار خُطَّةً لأنفسهم .

٥٢

وقالت كبشةُ أخت عمرو بن معد يكرب^(١) :

١ - أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دِمِّي

الشعر لكبشة أخت عبد الله^(٢) . والكلام بَعَثٌ وتهيبٌ . وإنما تَكَلَّمَتْ

به على أنه إخبارٌ عما فعله عبد الله وأقامه من الوصاة عند الوفاة ، فتقول : راسل
عبد الله بن معد يكرب لما دنا أجله قومه وذويه ، بأن لا تَعْقِلُوا دِمِّي . وغرض
كبشة تخفيفهم على إدراك الثأر ، وترك التباطؤ والتكاسل فيه ، وإن كانت
أمنة من ميلهم إلى قبول الدية ، فلما ظلت القول لتهتاج حيتهم . ويقال عَقَلْتُ
فلاناً ، إذا أعطيت ديتَهُ . وجعل هذا المفعول الدِّمَّ لأنَّ المراد مفهوم ، كأنه
قال : لا تأخذوا بَدَلَ دِمِّي عَقْلاً . ويقال عَقَلْتُ عن فلانٍ ، إذا غَرِمْتَ عنه
دِيَّةَ جنايته أو أَرَشَهَا .

٢ - ولا تأخذوا منهم إفاً ولا أبكراً وأترك في بنتٍ بصعدةً مُظْلِمٍ

الإفَالُ : جمعٌ وواحدُهُ أَفِيلٌ ، وهى صِفَارُ الإبلِ ، والأبْكَرُ : جمعُ البَكْرِ ،

وهو الفتى منها . يقول : لا تأخذوا من قَتَلَتِ صِفَارُ الإبلِ وبكارتها ، فتتركونى
في قبرٍ مُظْلِمٍ بصعدةٍ ؛ وهو مكان باليمن . وإنما جعل قبره هكذا ، لأنهم كانوا
يزعمون أن المقتول إذا ثاروا به أضاء قبره ، فإن أُهْدِرَ دَمُهُ أَوْ قِيلَتْ دِيَّتُهُ بَقِيَ .

(١) سبقت ترجمة أخيها عمرو فى الحماسية ٢٩ . التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماء ،

وليس بتأنيث كبش ، لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، وإنما هى نعمة » .

(٢) عبد الله أخو كبشة وأخو عمرو بن معد يكرب .

قَبْرُهُ مُظْلَمًا . فَإِنْ قِيلَ : لَمْ ذَكَرِ الْإِفَالَ وَالْأَبْنُكَرَ وَمَا يُؤَدِّي فِي الدِّيَاتِ لَا يَكُونُ مِنْهُمَا ؟ قُلْتُ : أَرَادَ تَحْقِيرَ الدِّيَاتِ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ تَحْقِيرَ أَمْرٍ خِلَعَةً فَازَ بِهَا إِنْسَانٌ : إِنَّمَا أُعْطِيَ خِرْقًا وَفُلُوسًا ! وَإِنْ كَانَتِ الثِّيَابُ الْمُنْفَاةَ كِسْوَةً فَاخِرَةً ، وَالْمَالُ الْمَوْفَّرُ جَائِزَةً سَنِيَّةً . وَانْتَصَبَ « وَأَتْرَكَ » بِإِضْمَارٍ أَنْ وَهُوَ جَوَابُ النَّهْيِ بِالْوَاوِ .

٣ - وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنَّ عَمْرًا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنٌ عَمْرٍ وَغَيْرُ شَبْرِ لِمَطْعَمٍ

عَمْرُوهُوَ أَخُوهَا ، وَكَانَ يُعَدُّ بِأَنْفِ فَارِسَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ يُسَالِمَ وَلَا سِيَّامًا فِي طَلَبِ دَمِ أَخِيهِ . وَإِنَّمَا رَمَتْهُ بِهَذَا الْكَلَامِ لِتَهْيِيجِ مِنْهُ وَتَبِعْنَهُ عَلَى التَّعَجُّلِ فِي دَرْكِ الثَّأْرِ ، وَالتَّسْرُّعِ فِي الْإِنْتِقَامِ . وَقَوْلُهُ : « وَهَلْ بَطْنٌ عَمْرٍ وَغَيْرُ شَبْرِ لِمَطْعَمٍ » تَزْهِيدٌ فِي الدِّيَةِ ، وَهَذَا كَمَا رَوَى فِي الْخَبَرِ : « وَهَلْ بَطْنُ ابْنِ آدَمَ إِلَّا شَبْرٌ فِي شَبْرِ » لَمَّا أُريدَ تَزْهِيدُهُ فِي الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا . أَيْ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ وَجُوفُهُ يَمْتَلِئُ بِالْيَسِيرِ . وَعَمْرُوهُ لَمْ يَكُنْ يَمِيلُ إِلَى الدِّيَةِ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ يَمِيلُ إِلَى الْمَسَالَةِ ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّحْضِيضِ وَالْحَثِّ .

٤ - فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَأَرَوْا وَانْدَدَيْتُمْ فَمَشُّوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمُصَلَّمِ

الْمُصَلَّمُ : قَطَعَ الْأُذُنَ مِنْ أَصْلِهَا ، وَمِنْهُ الصَّيْلَمُ : الدَّاهِيَةُ الْمُسْتَأْصَلَةُ . وَانْدَدَيْتُمْ ، مَعْنَاهُ قَبِلْتُمُ الدِّيَةَ . يُقَالُ : وَدَيْتُهُ فَاتَدَى ، كَمَا يُقَالُ وَهَبْتُهَا فَاتَهَبَ ، أَيْ قَبِلَ الْهِبَةَ . وَفِي الْحَدِيثِ : « هَمَمْتُ أَلَّا أَتَهَبَ إِلَّا مِنْ قَرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ » وَمِثْلُهُ قَضَيْتُهُ الدِّينَ فَاقْتَضَاهُ ، أَيْ قَبِلَهُ وَتَوَقَّرَهُ . وَقَوْلُهُ : « فَمَشُّوا » أَيْ امشُوا . وَضَعَفَ الْفِعْلَ لِلتَّكْثِيرِ . وَمَنْ رَوَى « فَمَشُّوا » بضم الميم فمعناه امشوا ؛ وَيُقَالُ لِلْمُنْدِيلِ الْعَمَرِ : الْمَشُوشُ . وَالْمَعْنَى : إِنْ لَمْ تَقْتُلُوا قَاتِلِي وَقَبِلْتُمْ دِيَّتِي فامشوا أدلاءً بِأَذَانِ مُجَدَّعَةٍ كَأَذَانِ النَّعَامِ . وَوَصَفَ النَّعَامَ بِالْمُصَلَّمِ تَصْوِيرًا لَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ

خَلَقَتْ جَمِيعَهَا ذَلِكَ . وَمِنْ أَحَادِيثِهِمْ عَنِ الْبَهَائِمِ : « ذَهَبَتِ النِّعَامَةُ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَجُدَّتْ آذَانُهَا ^(١) » . وَمِنْ رَوَى « فَمَشُوا » فَالْعَنَى امْسَحُوا بِأَذَانِكُمْ مَجْدَعَةً مُثَلَّةً بِكُمْ كَأَذَانِ النَّعَامِ .

٥- وَلَا تَرِدُوا إِلَّا فُضُولَ نِسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلْتُمْ أَعْقَابَهُنَّ مِنَ الدَّمِ تَرَمَّلَ وَارْتَمَلَ إِذَا تَلَطَّخَ بِالْدَمِ . قَالَ :

* إِنَّ بَنِي رَمْلُونِي بِالْدَّمِ ^(٢) *

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ دَعَاءً عَلَيْهِمْ ^(٣) ، أَيْ أَحَلَّكُمْ اللَّهُ حِلَّ مَنْ ذَا صِفَتِهِ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ « فَمَشُوا » مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَيْضاً ^(٤) . وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ نَهْيًا ، وَفَمَشُوا أَسْرًا . وَالْمَعْنَى : إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَتَأَخَّرُوا فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا وَلِلنَّاجِعِ ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَوَارِدِ ، وَأَلْبَسُوا الذِّلَّ رَاضِينَ بِهِ ، فَإِنْ مَالَ أَسْرَكُمْ ^(٥) مَعَ تَضْيِيعِكُمْ دَمَ صَاحِبِكُمْ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ . وَكَانَ عَادَتُهُمْ إِذَا وَرَدُوا الْمِيَاهَ أَنْ يَتَقَدَّمَ الرَّجَالُ ثُمَّ الْعِضَارِيطُ وَالرُّعَاةُ ، ثُمَّ النِّسَاءُ ، إِذَا صَدَرَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ عَنْهُ ، فَكَرَنَ يَغْسِلُنَّ أَنْفُسَهُنَّ وَثِيَابَهُنَّ وَيَتَطَهَّرْنَ آمِنَاتٍ مِمَّا يَزِعُجُهُنَّ غَيْرَ مُسْتَعْجَلَاتٍ ، فَمَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تَصْدُرَ النِّسَاءُ فَهُوَ الْغَايَةُ فِي الذِّلِّ . وَجَعَلَ النِّسَاءُ مُرْتِمِلَاتٍ بِدَمِ الْحَيْضِ تَفْظِيمًا لِلشَّانِ ، وَتَدْنِيسًا لِلْمَاءِ . وَالْأَعْقَابُ وَاحِدُهَا عَقِبٌ ، وَهُوَ مُوْخِرُ الرَّجُلِ . يُقَالُ : وَلَّى عَلَى عَقْبَيْهِ ، إِذَا انْصَرَفَ رَاجِعًا عَنْ مَطْلُوبِهِ .

(١) انظر الحيوان (٤ : ٣٢٣ ، ٣٩٨) .

(٢) لأبي أَرْخَمِ الطَّائِي ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (رَمَل) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « عَلَيْهِ » وَفِي م : « عَلَيْكُمْ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتْنَا .

(٤) أَيْ يَكُونُ عَلَى مَعْنَى الدَّعَاءِ .

(٥) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « فَإِنْ مَالَ لَكُمْ » .

٣٣

وقال عنتره بن الأخرس المعنى من طي^(١) :

١- أَطْلَنَ حَمَلَ الشَّاءِ لِي وَبُغْضِي وَعِشَ مَاشِيَتَ فَاَنْظُرْ مِنْ تَضِيرٍ^(٢)

يقال : شَنِئْتُهُ شَءًا وَشَنَأْتُ^(٣) وَشَنَأْنَا^(٤) وَمَشَنَاءً ، إذا كان بُغْضًا مَخْطَأًا
بعداوةً وسوء خلقٍ ، كما أَنَّ الشَّنْفَ اسمٌ لِشِدَّةِ العداوة . يقول : أَدِمَّ احْتِمَالَ
الضَّغَائِنِ وَالْبُغْضِ لِي ، وَعِشْ مَدَّةَ مَشِيَّتِكَ فَتَأْمَلْ مِنْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ . ويقال
ضَارَهُ يَضِيرُهُ ، وَضَرَّهُ يَضُرُّهُ بمعنى واحد . وانتصب موضع مَاشِيَتِ على أَنَّهُ
ظَرْفٌ . و « مَنْ » مفعول تَضِيرِ ، لَأَنَّهُ استفهام فلا يَعمَلُ فيه ما قبله . أى انظر
تَضِيرَ مَنْ .

٢- فَمَا يَبِيدُكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ سُدُودِكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ^(٥)

بَيَّنَّ وَجْهَ اسْتِهَانَتِهِ بِهِ ، وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِبَغْضَائِهِ وَعِدَاوَتِهِ . فيقول : لا نَفْعَ
عِنْدَكَ أَعْلَقَ رَجَائِي بِهِ ، وَغَيْرُ إِعْرَاضِكَ هُوَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ ، فَمَا إِعْرَاضُكَ
فَاهُونَ بِهِ وَأَحْقَرُ بِكُونِهِ . وَأَرْتَجِيهِ ، فى موضع الصِّفَةِ لِلنَّفْعِ ، أى نَفْعٌ مُرْتَجَى .

٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرَكَ سَارَ عَنِّي وَشِعْرِي حَوْلَ يَدَيْكَ مَا يَسِيرُ^(٦)

(١) ويعرف أيضاً بعنتره بن عكبرة ، وعكبرة اسم أمه . قال الأمدى فى المؤلف ١٥٢ :
« شاعر محسن وفارس » . والعنتره : واحدة العنتر ، وهو الذباب الأزرق ، فهو اسم منقول كما
فى المبهج لابن جنى . والمعنى : نسبة إلى معن بن عتود .

(٢) رواية الأمدى : « حبل الشناء » بالباء . قال التبريزى : « الرواية الجيدة : حبل
الشناء بالميم . ويروى : حبل الشناء ، بالباء ، وهو استعارة حسنة أيضاً ، جعل للشناء حبلاً » .

(٣) هذه مثلثة الشين . (٤) الشنان بسكون النون وفتحها .

(٥) وكذا رواية الأمدى . وفى م والتبريزى : « نفع أرتجيه » .

(٦) شعرك ، أى شعرى المقول فيك ؛ وشعرى ، أى شعرك المقول فى . والأوفق

رواية الأمدى والتبريزى : « إن شعرى سار عنى وشعرك » .

هذا تقرير له في بيان فضله عليه ، وسلامة عرضه من قرينه إياه . يقول :
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ شِعْرَكَ الَّذِي قَلْتَهُ فِي لَمْ يَغْلُقْ بِي ذَمُّهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ كَذِبًا وَزُورًا ، وَشِعْرِي
 الَّذِي قَلْتَهُ فِيكَ يَطُوفُ حَوْلَ دَارِكَ وَبَيْتِكَ وَلَا يَفَارُقُكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ صِدْقًا .
 ويجوز أن يكون المعنى : أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي الَّذِي قَلْتَهُ فِيكَ سَارَ عَنِّي ، لِأَنَّ الرِوَاةَ
 احْتَمَلُوهُ اسْتِجَادَةً لَهُ وَاسْتِلَازًا ، وَشِعْرَكَ الَّذِي قَلْتَهُ فِي مَلَايِمٍ لَكَ لَزُهْدِ النَّاسِ
 فِيهِ لَمَّا كَانَ سَفْسَافًا . وساغ الوجهان جميعاً لأن المصدر يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا
 يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ ، فعلى ذلك جاز أن يقول شعرك ويريد شعري المَقُولُ
 فيك . وروى بعضهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرَكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ
 وهذا الراوى ^(١) صرَّحَ بالتفسير الثاني .

٤ - إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَغْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
 في طريقته قول أوس :

إِذَا بَشَّرُنِي إِلَى الطَّرَفِ عَنْ عُرْضٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بَغْضَى عُورُ
 يقول : إِذَا رَمَيْتَنِي بِبَصْرِكَ لَمْ يَكُنْكَ مَلُوءُهُ مَنِّي بُغْضًا وَعِدَاوَةً ، حَتَّى
 تُغْرِضَ عَنِّي فَعَلَ النَّازِرُ إِلَى الشَّمْسِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ تَدُورُ مِنْ جِهَتِي . فَأَمَّا
 قول الآخر :

* نَظَرْتُ يَرْلُ مَوَاطِيَّ الْأَقْدَامِ *

فهو صفة نظر المهيب المعظم . وفي نظر الناظرين على اختلافهم ما يستدل به
 على أحوالهم ، ويستذكر ما يحى عنه مُبَيِّنًا مِنْ بَعْدُ .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « وهذه الرواية » .

(٢) صواب روايته : « نظراً » . وصدر البيت كما في البيان (١ : ١١) .

* يتقارضون إذا التقوا في موقف *

٥٤

وقال الأحوص بن محمد^(١) :

١ - إني على ما قد علمت محسّدٌ أنمي على البغضاء والشنآن

علمت بمعنى عرفت ، ولهذا اكتفى بمفعول واحد . ومعنى البيت . إني
 صرموق محسود على ما قد عرفت من أحوالي ، زائد كل يوم على بغضاء
 الناس وشنآنهم لي ، ويكون قوله « على ما قد علمت » ، وقوله « على البغضاء »
 جميعا في موضع الحال . والعامل في الأول قوله محسّدٌ ، وفي الثاني أنمي . ويجوز
 أن يكون على ما قد علمت من صلة محسّدٍ ، كما تقول حسدته على كذا . وقال
 بعض الناس : الشنآن : بغضٌ يختلط به عداوة وسوء خلق ، فلهذا جاز الجمع
 بينه وبين البغضاء . وقال غيره : بل هما بمعنى واحد ، واللفظان إذا اختلفا على
 اتفاق معنهما جاز الجمع بينهما تأكيداً . واحتج بقوله :

* وهند أتى من دونها النأي والبعد^(٢) *

قال : ولا خلاف بين أهل اللغة أنه لا فصل بينهما .

٢ - ما تعتريني من خطوب ملة إلا تشرّفني وتظم شاني
 أضاف الخطوب إلى ملة لأنه أراد بها أوائل أمر عظيم ، وجواب شري

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م . وعند التبريزي : وقال الأحوص
 ابن مد بن عاصم بن ثابت بن أبي الألقح الأنصاري « . والأحوص : لقب له ، ومعناه الضيق .
 العين ، واسمه عبد الله . وهو شاعر إسلامي أموي ، من شعراء المدينة ، وقد نفاه عمر بن
 عبد العزيز من المدينة لهم وجهت إليه . الشعر والشعراء ٤٩٩ وابن سلام ١٣٧ - ١٤٠
 والأغاني (٤ : ٤٠ - ٥٨) والخزانة (١ : ٢٣١ - ٢٣٤) .

(٢) للحطيفة في ديوانه ١٩ . وصدره :

* ألا حبذا هند وأرض بها هند *

فطع . وأصل الخطب الطلب ، يقال خطبْتُ كذا فأخطبني ، كما تقول طلبته فأطلبني ، فكأنه أراد أوائل مُلدة وأسباباً لها تطلبه . ويقال : هذا خطبُ أمرٍ عظيم ، وهذا خطبُ أمرٍ يسير . فيقول : ما يطرقُ ساحتي أسبابُ نازلةٍ شديدةٍ إلا عظمَتْ شأني ، ورقعتْ قَدْرِي ، لأنه يُعرفُ بلائي فيها ، وحسنُ مَحَلَصِي منها ، فازدَدْتُ في عيون الناس وقلوبهم .

٣ - فإذا تزولُ تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ تُخَشِي بَوَادِرُهُ لَدَى الْأَقْرَانِ (١)

المتخمط : المتغضبُ له سورةٌ والتهابُ ، واستعير في آذَى البحر وأمواجه إذا التجت . قال :

* خَمَطِ التَّيَّارِ يَرْمِي بِالْقَلَعِ (٢) *

يقول : إذا انكشفت تلك الخطوبُ والملمات انكشفت عن رجلٍ تمكبرُ يخافُ فلتاته وبدوأه عند نظرائه في البأس والشدة . والمعنى : إنَّ الدَّوَاهِي إذا نزلت بساحتي لا تلين لها عريكتي ، ولا تحصل عليّ تذلاً لم يكن من قبلُ لي . وقوله : « تُخَشِي بَوَادِرُهُ » في موضع الصفة للمتخمط . ولم يرَضَ حتى يجعل البوادرَ مُحَشَّيَةً عند أشباهه ، فكملت الصفة ، وتمكنت القافية .

٤ - إِنِّي إِذَا خَفِيَ الرَّجَالُ وَجَدْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ

إني إذا خفي مواقعهم من قلوب الرؤساء ، ومواضعهم من صدور المجالس فأنا بخلافهم . يصف اشتهاره في الأماكن وجلالته في النفوس ، فيقول : إذا غَشِيَ الرَّجَالُ خُحُولُ الْفَيْئِنِي فِي شَهْرَتِي وَنِبَاهَتِي كَالشَّمْسِ الَّتِي يَتَّصِلُ شُعَاعُهَا بِكُلِّ مَكَانٍ ، ويُعرفُ شأنها في كلِّ نفسٍ وكلِّ زمانٍ .

(١) ابن جني في التنبيه : « على الأقران » .

(٢) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في المفضليات (١ : ٢٠٠) . وصدره :

* ذو عباب زبد آذيه *

٥٥

قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب^(١) :

١ - مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا

لَمَهْلُ وَلَمَهْلُ وَلِلْمَهْلَةِ تَتَقَارِبُ فِي أَدَاءِ مَعْنَى الرَّفْقِ وَالسَّكُونِ . وَيُقَالُ :
لَا مَهْلَ لَكَ ، وَمَالَكَ مِنْ مَهْلٍ . قَالَ :

يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لِأَقْسِمُ مَا بِي عَنْ بُشَيْنَةَ مِنْ مَهْلٍ^(٢)

يقول : رَفَقًا يَا بَنِي عَمَّنَا ، رَفَقًا مَوَالِينَا . وَهَذَا التَّكْرَارُ يُرِيدُ بِهِ التَّأْكِيدَ .
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ تَهَكُّمًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُمْ ابْتَدَءُوا فِي أَمْرِ
لَمْ يَأْمَنْ مَعَهُ مِنْ تَفَاقُمِ الشَّانِ ، وَاسْتَفْجَالَ الْخَطْبِ ، مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى تَلَاْفِيهِ ،
فَاسْتَرْفَقَهُمْ لِذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : « لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا » أَيْ لَا تُثِيرُوا مَا كَانَ مُسْتَوْرًا
مِنَ الشَّرِّ . وَذِكْرُ الدَّفْنِ وَالتَّنْبِشِ اسْتِعَارَةٌ فِي الْإِظْهَارِ وَالْكُمَانِ .

٢ - لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَنُكْرِمَكُمُ وَأَنْ نَكُفَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا

يُقَالُ : طَمِعَ فُلَانٌ فِي كَذَا طَمَعًا وَطَمَاعِيَّةً وَمَطْمَعًا . وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ بِنَفْسِهِ
مِنْ دُونَ فِي ، لِأَنَّ أَنْ الْخَفِيفَةَ وَالشَّدِيدَةَ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا حُرُوفُ الْجَرِّ حَسُنَ حَذْفُهَا
لِطَوْلِ الْكَلَامِ بِهَا . تَقُولُ : أَنَا رَاغِبٌ فِي أَنْ أَلْقَاكَ ، وَطَامِعٌ أَنْ يُحْسِنَ
زَيْدٌ إِلَيْكَ ، وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أَصْلِكَ . وَلَوْ قُلْتَ : أَنَا رَاغِبٌ أَنْ أَلْقَاكَ ،

(١) هُوَ الْمُسَمَّى بِالْأَخْضَرِ الْهَجَرِيِّ ؛ لِقَوْلِهِ :

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مِنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ

وَهُوَ شَاعِرٌ خَبِيثٌ مَتَمَكِّنٌ . مَعَاوِرٌ لِلْأَحْوَصِ وَالْفَرَزْدَقِ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا مَاتَ الْوَلِيدُ جَفَاهُ سَلِيمَانُ وَحَرَمَهُ . الْأَغَانِي (١٥ : ٢ - ٩)
وَالْمُؤْتَلَف ٣٥ وَالْمَرْزُبَانِي ٣٠٩ وَالْبَلَاغِي ٧٠٠ - ٧٠١ .

(٢) الشَّمْرُ يَنْطَلِقُ بِنِسْبَةِ قَائِلِهِ ، وَهُوَ جَمِيلٌ .

وطامعٌ في أن يُحسنَ زيدٌ إليك ، وحريصٌ على أن أصلَكَ ، ولو قلت : أنا راغب أن ألقاك ، وطامع أن يحسنَ زيدٌ إليك ، وحريص أن أصلك لجاز . ولو جعلت مكان أن المصدر فقلت : أنا راغبٌ في لقائك ، وطامعٌ في إحسانِ زيدٍ إليك ، وحريصٌ على صلتِكَ ، لم يجزُ حذف حرف الجر . لا تقول : أنا راغب لقاءك ، وطامع إحسانه إليك ، وحريصٌ صلتك ؛ لأن ما كان يطول الكلام به لم يحصل . يقول : لا تقدِّروا أنكم إذا أهتممونا قابلناكم ، بالإكرام ، وأنكم إذا أذيتمونا كففتنا عن أذاكم ، لأن عزتنا تمنعُ من ذلك .

٣- مهلاً بنى عمنّا عن نخبتِ أمثلتنا سيرُوا رويداً كما كنتم تسيرونا

هذا الكلام فيه تهكم فيقول رفقا يا بنى عمنّا عن ثلثينا ، والوقوع فيها ، وسيروا على هينة^(١) ووقارٍ ، وسكينة وانخفاض ، على عادتكُم المتقدمة ، وسنتكم المهدودة ، ودعوا ما استأنفتموه من الأخلاق المفكرة ، والسَّير الذميمة . والأثلة : شجرةٌ تُجعلُ مثلاً للعرض ، فيقال : فلانٌ ينحتُ أثلةً فلان ، إذا ذمّه وتنقّصه . وقوله « سيرُوا رويداً » أراد سيرٌ واسيراً تروِدُونَ فيه ، أى ترفقون فيه وتسكنون . « كما كنتم تسيرونا » أى ارجعوا إلى مثل سيرتكم الأولى ، وإلى طريقتكم المثلى ، واركبوا ما ابتدعتموه ، فإننا لا نحتمله ولا نصّابِرُكم عليه . وروى بعضهم بدلاً من المصراع الثانى :

* مهلاً بنى عمنّا مهلاً موالينا *

ويحمل التكرار فيه على أنه توعّد وتنا كيد .

٤- الله يعلم أنّا لا نحبُّكم ولا نلومُكم ألا تحبُّونا

استشهد بربه في انتفاء الحب عن قلوبهم ، وذكر أنهم لا يلومونهم إذا

لم يحببهم . كأن المعنى أن القلوب تجبولة على حبِّ المحسنِ وبُغضِ المسيء .
فإذا ارتفع التعامل بالإحسان مما بينهم ، وحَدَّث التجاذب بالإساءة فيهم ،
فالتحابُّ لا محالة ساقطٌ ، والتباغُضُ حاصل .

٥ - كُلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَقْلِيكُكُمْ وَتَقْلُونَا

يقول : كلُّ واحدٍ منا ومنكم من قبلُ وإلى الآن له نيةٌ صادقة لصاحبه .
في العداوة والبغضاء ، وعقيدةٌ خالصة في القطيعة والجفاء ، فيحمد الله ومَنَّهُ
وجزيل مِنِّهِ قد استمرَّ أمرُنا على أننا نبغضكم وتبغضوننا . وقوله « بنعمة
الله » هو كما جاء في القرآن : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ . وقوله
« تَقْلِيكُكُمْ وَتَقْلُونَا » إشارةٌ إلى الحال . وحَذَفَ المفعول من الثاني لأنَّ في
الكلام ما يدلُّ عليه . ويجوز أن يكون أراد وتقلوننا فَحَذَفَ الثانية عن
الإعراب ، وهي لغة حجازية . ومثله :

* قَدْ رُفِعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي ^(١) *

يريد تحذرين ، وعلى هذا قول الآخر :

* إِلَى مِنَ بِالْحَنِينِ تَشَوِّقِي *

وهذا يؤيد مذهب سيبويه في تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب
عند الضرورة .

(١) نسب في حياة الحيوان للدميري إلى طرفة بن العبد . وقبله :

يالكَ من قبرة بمعمر خلا لك الجوف فيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

٥٦

وقال الطرماح بن حكيم الطائي^(١) :

١ - لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلٍ

قوله « أننى بغيض » فى موضع الفاعل ، والمعنى : زادنى بغاضتى إلى كل رجل لا فضل فيه ولا خير عنده ، حُبًّا لنفسى ، لأنَّ التمايز بينى وبينه والتباين ، هو الذى أداه إلى بُغضى ، ولو كان بيننا تشاكل وتقارب لما نبا عني ولا أبغضنى . وهذا الكلام تعريضٌ بمبادئِهِ . وقوله « غير طائل » هو من طال عليهم يطول طَوْلًا . والطَّوْلُ : الفضل . وقال الخليل : يقال للشئ الدُّونِ الخسيس : هذا غير طائل ، والمذكر والمؤنث فيه سواء . ويقال : زِدْتُ فضلًا كما يقال ازددت فضلًا وزادنيه كذا .

٢ - وَأَنَّى شَقٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّامِلِ

قوله « وأننى شقٌّ » أصله أننى ، لكنه حذف النون الأولى من أنَّ تحقيقًا لأنَّه اجتمع ثلاث نونات . وهو محمول فى الإعراب على أننى فى البيت الأول ومعطوف عليه ، فيقول : وزادنى حُبًّا لنفسى أيضًا شَقْوَتِي بِاللَّثَامِ حَتَّى تَنْقُصُونِي واغتابونى ، ثم قطع الإخبار وكأنَّه أقبل على مُحَاظِبٍ ملتفتًا إليه فقال : وَلَا تَرَى أَحَدًا يَشَقُّ بِهِمْ إِلَّا وَهُوَ كَرِيمُ الطَّبَائِعِ ، مجانب لم يعرضه وأصله ، وَخُلِقَ وفعله .

(١) هو الطرماح بن حكيم بن نضر بن قيس بن جحدر ، شاعر خطيب ، وكان يعد فى المعلمين ، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم ، ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك ، وكان صديقًا للكتيب على ما كان بينهما من تباعد فى النسب والبلاد ، وكان يمدح خاله ابن عبد الله القسرى . الأغاني (١٠ : ١٤٨ - ١٥٣) والمتولف ١٤٨ ع والعين (٢) : ٢٧٦ - ٢٧٨) والشعر والشعراء ٥٦٦ .

ويقال شَقِيتُ شِقْوَةً [وشَقَاوَةً] ^(١) وشَقَاءً. والشَّائِل : الطَّبَائِع ، واحداً
شِمَالاً. قال :

* أَلُومٌ وَمَا لَوْحِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا *

ثم يقال : هو حَسَنُ الشَّائِل ، والمراد به الهَيْئَةُ وَالشَّكْل .

٣ — إِذَا مَا رَأَى قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِعْلِ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ

رجع إلى اختصاص ^(٢) الحال بینه وبين من عَرَّضَ به فيقول : إذا أبصرني
المُبَاغِضُ لِي ارْتَدَّ طَرَفُهُ عَنِّي ، وَقَطَعَ نَظْرَهُ إِلَيَّ ، فَعَمِلَ مَنْ يَعْرِفُ الشَّيْءَ
وَيَتَكَلَّفُ جَهْلَهُ . وقوله « قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ » ، الطَّرْفُ : مصدر طَرَفْتُهُ ، إذا
أبصرته . وعلى هذا قوله :

* تَخَسَّبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةٌ ^(٣) *

وقد يراد بالطَّرْفُ العَيْنُ أَيْضاً فيكون اسماً للجراحة والحدَثِ جميعاً .
وانتصب « فَعَمِلَ الْعَارِفُ » على المصدر مما دَلَّ عليه قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ .
والمُتَجَاهِلُ : مُتَكَلِّفُ الْجَهْلِ . وعلى هذا : تَعَامَى ، وَتَعَارَجَ ، وَتَحَارَزَ . وفي
طريقته لفظاً ومعنى قولُ الآخر :

* تَشَاوَسَ بَزِيدٌ إِنَّنِي مَن تَأْمَلُ *

٤ — مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الضَّيِّقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةٌ حَابِلِ

يقال : مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ ، إِذَا ضَيَّقْتُهَا عَلَيْهِ . وَمَلَأْتُ مِنْهُ الْأَرْضَ ، إِذَا
هَمْتُ وَقَعَدْتُ بِذِكْرِهِ . وَالْحَابِلُ : نَاصِبُ الْحَبَالَةِ . وَيُقَالُ حَبَلْتُ الصَّيْدَ وَاحْتَبَلْتُهُ ،
إِذَا أَخَذْتَهُ ؛ وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : احْتَبَلَهُ الْمَوْتُ بِجِبَائِلِهِ . وَالْكِفَةُ ، يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ

(١) هذه من م .

(٢) في نسخة الأصل : « اختصاص » ، صوابه في م .

(٣) في الأصل : « علينا » صوابه في م . وهو لطفة في ديوانه ٦٤ . ومعجزة :

* يَا لِقَوْمِ الشَّابِّ الْمُسْكِرِ *

به الحفيرة التي ينصب الحابل فيها الحباله . ويموز أن يريد بها فترته ، ويموز أن يريد بها عين الحباله ، لأنها تجعل كالطوق . وهذا أقرب لأن الخليل فسر الكفة على ذلك . وجاز إضافتها إلى الحابل كما يجوز إضافة نفس الحباله إليه ، والمعنى : ضيقت عليه الأرض على اتساعها ، لشدة بغضه لي ، أى حتى كآتها برحبها في عينيه كفة حابل إذا اجتمع فيها معنى . وهذا يشير به إلى تضاد الطبعين ، وتباين الخلقين ، وأنه لو أمكنه لا تنفي وجوده في الأرض انتفاء الضد للضد ، قلة موافقة وكثرة مخالفة .

٥٧

وقال بغض بني ققمس^(١) :

١ - وذوى ضبابٍ مُظهِرِينَ عَدَاوَةً قَرَحَى الْقُلُوبِ مَعَاوِدِي الْإِفْنَادِ

يقول : رَبِّ قَوْمٍ ذَوِي أَحْقَادٍ وَضَعَائِنَ ، مجاهرين بعداوتي ، مراجعين حالاً بعد حال قول الفحش في ، مُتَقَرِّحِي الْأَفْنَدَةِ لَشِدَّةِ الْحَسَدِ وَالْبُغْضِ لِي ، فعلتُ بهم كذا . وجواب رَبِّ فيما بعد . وذَكَرَ قَرَحَ الْقُلُوبِ مَثَلًا فِي الْعَدَاوَةِ ، كما يُذَكِّرُ مَرَضُهُ مَثَلًا فِي النِّفَاقِ . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ . فأما ذكر الصَّعَرِ وَالشَّوْسِ فهو من هذا الباب ، لكنّه تصوير حال المباغض أو المتكبر في نظره ، أو إقباله أو التفاته ، وكذلك ما يشبهه . وقوله « معاودي الإفناد » الإفناد بكسر الهمزة : مصدر أفند الرجل ، إذا أتى بالفند . وإذا روي « الأفناد » بفتح الهمزة فهو جمع الفند ، وهو الفحشُ والخطأ في

(١) التبريزي : قال أبو محمد الأعرابي : الصواب أنه لمرداس بن جشيش ، أخى بني سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه .

الرأى . ويقال فى اللوم : فَنَدَّتْهُ ، لأنه يجمع مخطئة الرأى وذَكَرَ القبيح .
والضُّباب : جمع الضَّبِّ ، وهو الحِقْد . قال :

* يَارُبَّ ذِي ضِغْنٍ وَضَبِّ فَارِضٍ ^(١) *

ويقال : فلان خَبَّ ضَبًّا ، إذا كان مُنْكَرًا فى المعادة .

٢ — نَاسَيْتُهُمْ بَغْضَاءَهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ وَهُمْ إِذَا ذَكَرَ الصَّدِيقُ أَعَادِ

يقول : رَبِّ قَوْمٍ هَكَذَا أَنَا نَسَيْتُ بُغْضَهُمْ لى حَتَّى نَسُوا أَيْضًا — لِأَنَّ
الْمُنَاسَاةَ تَكُونُ مِنْ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا — وَتَرَكْتُهُمْ وَهُمْ مِنْ جِلَّةِ الْأَعْدَاءِ ، إِذَا مُيزَتْ
بِالذِّكْرِ الْأَصْدِقَاءِ . وَقَوْلُهُ « الصَّدِيقُ » أَرَادَ بِهِ الْجِنْسَ .

٣ — كَيْمَا أَعِدَّهُمْ لِأَبْعَدَ مِنْهُمْ وَأَقْدَمَ يُجَاءُ إِلَى ذَوَى الْأَخْقَادِ

يقول : لَمْ أَكْشِفْهُمْ ، وَلَا أَظْهَرْتُ لَهُمْ عِلْمى بِمَعَادَتِهِمْ ، بَلِ اسْتَمَرْتُ فِي
مَدَاجَاتِهِمْ وَمَسَاتِرَتِهِمْ ، وَعَمَرْتُ بِجَنِّى مَا بَدَرَ مِنْ هَفَوَاتِهِمْ ، طَلَبًا لِأَنَّ أَعْدَهُمْ
لَمَنْ هُوَ أَبْعَدُ شَأْوًا فِي الْعِدَاوَةِ ^(٢) ، أَوْ أَشَدُّ تَأْخُرًا فِي الْإِلْتِحَامِ وَالْقَرَابَةِ . ثُمَّ قَالَ :
وَلَقَدْ يَضْطَرُّ الْإِنْسَانُ إِلَى نُصْرَةِ بَنِي الْأَعْمَامِ وَإِنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى ضَعَائِهِمْ ،
فَإِذَا قَاتَلَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ذَلِكَ وَوَاقَفَهُ ، وَحَصَلَتِ الدَّيْرَةُ ^(٣) عَلَى مَنْ حَصَلَ ،
إِذَا كَانَ فِيهِ تَفَانِيهِمْ ، وَاشْتِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْهُمْ . وَهَذَا كَمَا قِيلَ لِبَعْضِ حُكَمَاءِ
الْعَرَبِ مَا تَقُولُ فِي ابْنِ الْعَمِّ ؟ قَالَ : عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ .

(١) انظر الحيوان (٦ : ٦٦) ومجالس ثعلب ٣٦٤ واللسان (فرض) .

(٢) التبريزى عن أبى محمد الأعرابى أن الصواب : لأبعد قرابة منهم . قال : وهو مثل

قول حضرمي بن عامر :

ولقد طويتكم على بللاتكم وعلمت ما فيكم من الأذراب

كيما أعدكم لأبعد منكم ولقد يجاء إلى ذوى الأنساب

(٣) الدبرة ، بالفصح : الظفر والنصرة ، كما اللسان (٥ : ٣٥٣) .

٥٨

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ^(١) :

١ - دَفَعْنَا كُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى بَطَرْتُمْ وبالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ

يقول : دَرَجْنَا كُمْ فِي اسْتِبْقَائِكُمْ^(٢) وَرَتَبْنَا الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِي اسْتِفَاءِ كُمْ وَإِصْلَاحِكُمْ ، فَوَعظْنَا كُمْ أَوَّلًا بِاللِّسَانِ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْجِدَالِ ، حَتَّى أَبْطَرْتُمْ ذَلِكَ وَزَادَكُمْ إِغْرَاءً ، فَارْتَقَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الدَّفْعِ بِالرَّاحِ ، وَتَقْبِيحِ مَا تَأْتُونَهُ بِأَحْسَنِ الْمَسِّ ، فَلَمَّا لَمْ يُغْنِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَدَلْنَا مِنْهُ إِلَى الدَّفْعِ بِالْأَصَابِعِ ، وَمَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَازِلِ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْخَشُونَةِ وَاللَّيَانِ مَعْلُومٌ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ . وَمَرَّ بِي فِيمَا قَرَأْتُهُ مِنْ مَجَابِبَاتِ قُرَيْشٍ ، أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِآخَرِ مِنْهُمْ مُسْتَضْعِفًا لِمَا أُوْرَدَهُ عَلَيْهِ : هَذَا دَفْعٌ بِالرَّاحِ ! فَقَالَ مَجِيبًا : كَلَّا إِنَّ مَعَهَا الْأَصَابِعَ ! وَقَوْلُهُ « حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ » انْتَصَبَ دَفْعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى كَانَ الدَّفْعُ دَفْعَ الْأَصَابِعِ . وَلَكِ أَنْ تَرْفَعَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ ، وَتَضْمُرَ الْخَبَرَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ دَفْعَنَا ، أَوْ عَلَى أَنْ يَكُونَ كَانَ بِمَعْنَى حَدَثَ ، فَتَكْتَفِي بِالْفَاعِلِ ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى كَانَ التَّامَّةُ .

٣ - فَلَمَّا رَأَيْنَا كُفْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِعٍ

يقول : وَلَمَّا وَجَدْنَا كُمْ لَا تَرَعُونَ لِمَوَاعِظِكُمْ وَنَذْرِكُمْ ، وَلَا يَعَاوِدُكُمْ مَا عَزَبَ مِنْ بَصَائِرِكُمْ وَعُقُولِكُمْ ، وَلَا يَقِفُ الْجَهْلُ بِكُمْ عَلَى غَايَةٍ لَا تَتَجَاوَزُ وَرَاءَهَا ، وَلَا يُغْنِي مَا اسْتَفْرَغْنَا فِيهِ الْوُسْعَ مِنْ رَدِّكُمْ وَزَجْرِكُمْ ، رَاجِعْنَا أَنْفُسَنَا

(١) التبريزي : « يزيد بن الحكم الكلبي » . وهذا غير يزيد بن الحكم الثقي ، المترجم في الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠٠) والخزانة (١ : ٥٤ - ٥٦) .
(٢) م : « درجنا في استصلاحكم » .

مُفَكِّرِينَ وَمَتَعِجِّبِينَ ، وَأَقْبَلْنَا نُبَاحِثُ عَنْ أَصُولِنَا وَفُرُوعِنَا مُعْتَرِينَ ^(١) ، لِنَقِفَ عَلَى مَا وَطَّأَ لَكُمْ مَرَائِبَ الْعُقُوقِ ، وَحَسَّنَ فِي آرَائِكُمْ تَخْطِئَ مَوَانِعَ الْحَقُوقِ ، إِلَى نَكْتِ قُوَى الْعُهُودِ .

٣- مَسِسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُلُّنَا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِحٍ

قوله « مَسِسْنَا » يجوز أن يكون بمعنى أَصَبْنَا واختَبَرْنَا ، لأنَّ الْمَسَّ بِاليدِ قد يُقصدُ به الاختبار ، ويجوز أن يكون بمعنى طَلَبْنَا . وقد قال بعضُ الناس في قول الله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ : إنَّ المعنى لا يطلُبُهُ . قال : واللَّسَّ كالْمَسِّ في أنه يوضع في معنى الطَّلَبِ . قال : وعلى هذا يُحمَلُ قولُ الله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثِّمَاتٍ حَرَسًا ^(٢) ﴾ . فَمِنْ الْأَوَّلِ قولُهُمْ : مَسَّهُ الْكِبَرُ ، وَأَفْضَى الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ إِفْضَاءً مَسِيسٍ . وَمِنْ الثَّانِي مَسَّاسُ الْحَاجَةِ . فَأَمَّا قولُهُمْ : به مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ ، فَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَوَّلِ وَمِنْ الثَّانِي جَمِيعًا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : به لَمَّ مِنْ جُنُونٍ ، وَأَصْلُهُ مِنَ اللَّامِ وَهُوَ الْجَمْعُ أَوْ الْإِلَامُ . وَقَوْلُهُ « وَكُلُّنَا إِلَى حَسَبٍ » أَيْ يَنْتَمِي وَنَتَمِي ^(٣) . فـ « إِلَى » تَعْلُقُ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ اللَّضْمَرَاتِ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : أَنَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ . وَقَوْلُهُ « كُلُّنَا » أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا ، يَعْنِي أَهْلَ بَيْتِهِمْ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ « إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ » . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَمَّا اشْتَدَّ لَجَاجُهُمْ وَطَالَ تَمَادِيهِمْ ، وَصَارُوا لَا يَنْزِلُونَ عَنْ مَرَائِبِ الْبَغْيِ ، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنِ الذَّهَابِ فِي طُرُقِ الْفَسَادِ ،

(١) م : « معتبرين » .

(٢) وإنا ، وزدت بكسر الهمزة في النسختين . وقد اختلف القراء في كسر همزة إن وفتحها في اثني عشر موضعاً من هذه السورة ، وهي سورة الجن ، فقرأ بعضهم بالكسر في جميعها ، وبعضهم بالفتح في جميعها ، وبعضهم بالكسر في بعضها والفتح في بعضها الآخر . إتحاف فضلاء البشر .

(٣) م : « أَيْ نَتَمِي وَنَتَمِي » .

نَظَرْنَا : أَيُّ عَرَقٍ يَقْتَضِي مُنْكَرَ الْخِلَافِ مَعْنَا ، وَمَا الَّذِي يُوْجِبُ التَّدَابُّرَ مِنَ الْأَنْسَابِ وَالْأَسْبَابِ بَيْنَنَا ، فَلَمَسْنَا أَطْرَافَ أُبُوْتِنَا ، وَاسْتَشَفَّقْنَا جَوَانِبَهَا ، وَوَجَدْنَا كَلَامًا مِمَّا يَنْتَمِي إِلَى حَسَبٍ يَرْفَعُهُ وَلَا يَضَعُهُ . وَيُقَالُ : وَضَعْتُهُ ، إِذَا حَطَّطْتَ مِنْهُ . وَوَضَعَ الرَّجُلُ ، وَهُوَ وَضِيعٌ بَيْنَ الضَّعَةِ وَالضَّعَةِ . وَالتَّوَضُّعُ : التَّائِثُ وَالانْكَسَارُ مِنْ هَذَا . وَيُقَالُ : دَابَّةٌ حَسَنَةُ الْمَوْضِعِ ، وَضِدُّهُ الْمَرْفُوعُ . وَبَعِيرٌ عَارِفُ الْمَوْضِعِ ، أَيُّ ذُلُولٌ عِنْدَ الرُّكُوبِ .

٤ - فَلَمَّا بَلَغْنَا الْأُمَهَاتِ وَجَدْتُمُ بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمَضَاجِعِ جَعَلَ الْمَضَاجِعَ كُنْيَةً عَنِ الْأَزْوَاجِ . وَهَذَا كَمَا يُكْنَى عَنْهُمْ بِالْمَفَارِشِ . قَالَ :

سُجِّرَاهُ نَفْسِي غَيْرَ جَمْعِ أَشَابَةٍ حُسْدٍ وَلَا هُلْكِ الْمَفَارِشِ عُذْلٍ

يَعْنِي أَنَّ أُمَهَاتِهِمْ عَفَائِفُ . فَيَقُولُ : لَمَّا تَقَصَّيْنَا بِالْبَحْثِ وَالْكَشْفِ أَنْسَابَ آبَائِنَا ، وَعَلَاقَ (١) وَصْلِيهَا فَلَمْ نَجِدْ فِيهَا مَعْمَزًا ، وَلَا إِلَى مَا ذَمُّنَا مِنْ أَخْلَاقِكُمْ مِنْهَا دَاعِيًا ، عَدَلْنَا إِلَى النَّظَرِ فِي أَنْسَابِ أُمَهَاتِنَا ، وَالتَّوَضُّعِ إِلَى مَكْنُونِ وَشَائِبِهَا ، وَبَجْهولِ مَوَاصِلِهَا ، فَأَلْقَيْتُمْ أَبْنَاءَ عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْفُرُشِ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَارِيضِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ : كَانَتْ أُمَهَاتُنَا أَشْرَفَ مِنْ أُمَهَاتِكُمْ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ مَا خَالَفْتُمُونَا فِيهِ ، وَصَرَّيْتُمْ عَلَى حَرَفٍ مَبَايِنَةٍ لَنَا مِنْ أَجْلِهِ ، شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ . وَلَئِنَّمَا قَالَ « وَجَدْتُمْ » لِيَكُونَ كَالْتَقْرِيرِ لَهُمْ ، وَيَصِيرُ مَا ادَّعَى مِنَ الْفَضْلِ عَلَيْهِمْ بِاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : وَجَدْتُمُونَا ، فَوَضَعَ بَنِي عَمِّكُمْ مَكَانَ « نَا » ، وَهُوَ أَخْصَرُّ مِنْ بَنِي عَمِّكُمْ ، بِدَلَالَةِ أَنَّ مَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ أَخْصَرُّ مِمَّا يَكُونُ لِلْغَائِبِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَضَعَ الْأَدَوْنَ مَوْضِعَ الْأَخْصَرِّ .

(١) م : « وعلق » .

وليس الأمر على ما قال، لأن الرَّجُلَ إنما يريد بيني عمكم الآباء، وقد قدّم ذكرهم في قوله «مُسْتَنَامِنُ الآبَاءِ». ألا ترى أنه قال: كانوا كرام المضاجع. وإذا كان الأمر على هذا، كان الواجب عليه أن يقول: وجدتم آباءنا كانوا، لا وجدتمونا.

٥٩

وقال جَابِرُ بْنُ رَالَانَ^(١):

١- لَعَمْرُكَ مَا أَخْزَى إِذَا مَا نَسَبْتَنِي إِذَا لَمْ تَقُلْ مُبْطَلًا عَلَيَّ وَمَيْنَا

لعمرُك مبتدأ، وخبره محذوف، فكأنه قال لعمرُك ما أقسمُ به، ولا يستعمل في اليمين إلا بفتح العين، وإن كان ضمها لغةً فيه. و«أخزى» يجوز أن يكون من اخْزَى: الهوان، ويجوز أن يكون من اخْزَاة: الاستحياء. وللبطل يُراد به الباطل. والمَيْنُ: الكذب، وقد مَانَ، وهو مَانٌ ومَيُونٌ. والمعنى: وبها نكث ما أستحي أو ما أهون ولا أذل متى ما ذكرت أسلافي وآبائي ولم تقل باطلا، ولم تدع على زورا. وقوله «إذا ما نسبتي» ظرف لقوله ما أخزى. و«إذا لم تقل» يجوز أن يكون بدلا منه. ولولا أنه كرر «إذا» لكان الكلام ما أخزى إذا ما نسبتي ولم تقل بطلا ومينا. ولا يجوز أن يكون العامل في إذا «ما نسبتي» لأن ذا قد أضيف إليه وبين به، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ويجوز أن يكون إذا الأولى بما اتصل به وما عمل فيه الجملة في جواب إذا الثانية، كأنه قال: إذا لم تقل بطلا فللعمرُك ما أخزى إذا ما نسبتي. وانتصب «بطلا» على أنه

(١) التبريزي: «جابر بن رالان السبسي». ثم قال: «من همز رالان فهو فعْلان من لفظ الرال، ومن لم يهززه احتمل أمرين: أحدهما أن يكون تخفيف رالان، كقولك في تخفيف رأس راس، والآخر أن يكون فعْلان من رولت الخبز في السمن ونحوه، إذا أشبعته منه».

مفعول لم تقل ، لأن القول يُحكى بعده الجمل فيعمل في مواضعها لا في لفظها ،
ويقع المفرد بعده — إذا كان معنى الجملة — منصوبا به .

٢- وَلَكِنَّمَا يَخْزَى امْرُؤٌ يُكَلِّمُ اسْتَهُ قَنَّا قَوْمِهِ إِذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا^(١)

هذا تعريض بالمخاطب ، يقول : أنا لا أخزى إذا ذكر مسعاة آبائي على
حدّها وحقّها ، إِنَّمَا يَخْزَى لذلِكَ رَجُلٌ هذا صفته ونعته ، وهو أنه يجرح
استه ، لكونه موليا ومنهزما ، رماح قوميه إذا شرّعت للظّفن . وإِنَّمَا قال
« قَنَّا قَوْمِهِ » لأنه أشار في تعريضه إلى حالة اتّفتت للمخاطب مع أبناء عمه .
وكلّ جرح صغر أو كبر فهو كلم .

٣- فَإِنْ تَبْغِضُونَا بِغِضَةٍ فِي صَدُورِكُمْ فَإِنَّا جَدَعْنَا مِنْكُمْ وَشَرَيْنَا

قوله « في صدوركم » بما تعلّق به في موضع الصفة للـبِغْضَةِ . والمعنى : إن
انطوت صدوركم لنا على بـِغْضَةٍ راسخة فيها ، متمكّنة منها فغير مستنكر عندنا
ولا مُسْتَخْطَرٍ من أحوالنا ، لأنّ ما ارتكبناه فيكم من جَدْعِ الأنوف وبيع النفوس
يأذِلُّنا إِيَّائَكُمْ ، وبما أخذناه في فدائكم ، يوجب البغضاء ، ويقتضى الشّان .

٤- وَنَحْنُ غَلَبْنَا بِالْجِبَالِ وَعِزَّهَا وَنَحْنُ وَرِثْنَا غَيْثًا وَبُدَيْنَا

يعنى بالجبال أجاّ وسلّمى وهضابهما ، ولذلك جمع . وقوله « وعِزَّها » أراد
وعزّ أربابها وسكّانها . ويجوز أن يريد العزّ الذي يحصل لهم عند التحصّن بها .
وطيّّ أبدأ نفتخر بذلك ، لأنهم إذا اعتصموا بها لم تتوصّل الأعداء إليهم فيها .
وغيثٌ وبُديْنٌ : قبيلتان^(٢) . يريد : ورثنا أحسابهم ومفاخرهم . وغيثٌ :

(١) التبريزي : « تكلم استه » .

(٢) التبريزي : « وغيث وبدين : اسم رجلين من طي » .

فَيُعِلُّ مِنَ الْعَوَثِ ، وَفِي بَطُونِ طَيِّئٍ بَطْنٌ يُقَالُ لَهُمُ الْعَوَثُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِي .

٥ - وَأَيُّ ثَنَايَا الْمَجْدِ لَمْ نَطَّلِعْ لَهَا وَأَنْتُمْ غَضَابٌ تَحْرُقُونَ عَلَيْنَا

الاستفهام هنا يجري مجرى النفي ، كأنه قال : مَا ثَنِيَّةٌ مِنْ ثَنَايَا الْمَجْدِ إِلَّا طَلَعْنَا لَهَا . والثنية : فعيلة من ثَنَيْتُ ، أَي عَظَّمْتُ وَصَرَفْتُ ، وَكَأِ اسْتُعْمِلْتُ فِي الْجِبَالِ اسْتُعْمِلْتُ فِي الْأُمُورِ وَالْخَطَّاتِ ^(١) . قَالَ :

وَتُنْيَّةٍ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ وَغَرَةٍ فَرَجَتْ يَدَايَ فَكَانَ فِيهَا الْمَطْلَعُ

فَلِذَلِكَ ذَكَرَهَا هُنَا مِثْلًا ، وَالْمَعْنَى : إِنْ مَطَّلَعَ الشَّرَفُ عَلَى تَوَعُّرِهَا أَوْ تَسَهُّلِهَا ارْتَقَيْنَا إِلَيْهَا ، وَأَنْتُمْ تَهْدِدُونَنَا فِي غَضَبِكُمْ ، وَالْحَرْقُ : حَرَقُ أَحَدٍ النَّابِينَ بِالْآخِرِ . وَقَدْ حَرَقَ نَابَهُ يَحْرِقُ وَيَحْرُقُ ، حَرَقًا وَحُرُوقًا ^(٢) ، مِنَ الْغَيْظِ . وَذَكَرَ الْخَلِيلُ : حَرِيقَ النَّابِ كَصَرِيفِ النَّابِ . وَ« فَلَانٌ يَحْرُقُ عَلَى الْأَرْمِ » وَيُرْوَى « الْأَرْمِ » . وَالْأَرْمُ : الْأَكْلُ ، وَالْأَرْمُ : الْعَضُّ ، وَهِيَ جَمِيعًا بِالْأَسْنَانِ ، وَالْمَعْنَى يَحْرُقُ عَلَى أَسْنَانِهِ . وَالتَّوَعُّدُ يَفْعَلُ ذَلِكَ يُظَاهِرُ بِهِ شِدَّةَ الْغَيْظِ . وَاكْتَفَى بِقَوْلِهِ « يَحْرُقُونَ » عَنْ ذِكْرِ الْفِعُولِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومَ . وَيُقَالُ : اطَّلَعَ عَلَيْهِ وَلَهُ ، إِذَا أَشْرَفَ . وَالْمَعْنَى إِنَّا رَدَدْنَا عَلَى حَسَدِكُمْ لَنَا ، وَتَغْيِظُكُمْ فِينَا ، قُوَّةً وَشَرَفًا ، وَعِزَّةً وَكِرْمًا ، حَتَّى لَمْ تُتَبَقَّ غَايَةٌ مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا ارْتَقَيْنَا إِلَيْهَا وَعَلَوْنَاهَا .

(١) الخطاطات : جمع خطة ، وهذا ما في م . وفي الأصل : « والخطاب » .

(٢) حرق ، هذه لازمة ومتعدية ، يقال حرق ناب البعير ، وحرق البعير نابه أيضا .

٦٠

وقال سبرة بن عمرو الفقعسي^(١)

وعيره ضمرة بن ضمرة النهشلي كثرة إبله .

١ - أَتَنَسَى دِفَاعِي عَنْكَ إِذَا أَنْتَ مُسْلِمٌ وَقَدْ سَأَلَ مِنْ ذُلِّ عَلَيْكَ قَرَأِرُ^(٢)

لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار . أى لم تنسى مدافعتي عنك حين كنت مخذولاً لا ناصر معك ، وقد امتدَّ سيل الذلِّ نحوك فسأل عليك . فإذا ظرفٌ لدفاعي . وقراءير : اسمٌ وادٍ ، ويكون ذكره مثلاً . ومن كلامهم : « سال عليه الذلُّ ، كما يسيل السَّيل » . ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذلِّ من ناحية قرائر ، فلذلك خصَّه . وقوله « إِذَا أَنْتَ مُسْلِمٌ » يقال أسلمته وسلمته ، إِذَا خَلَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَرِيدُ النِّكَايَةَ فِيهِ . وَأَسْلَمْتُ الصَّبِيَّ فِي حِرْفَةٍ ، إِذَا أَرْسَلْتَهُ فِيهَا . وقوله « وقد سال » فى موضع الحال ، أى أسلمت وحال ذلك .

٢ - وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بِأَدِ جُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءٌ وَالْإِمَاءُ حَرَارُ

قوله « ونسوتكم » مع خبره جملةً انعطفت على قوله « وقد سال من ذلِّ »

(١) التبريزي : « ذكر أبو عبيدة أن سبرة بن عمرو قال هذه الأبيات فى منافرة عباد ابن أنف الكلب ومعبد بن فضلة بن الأشتر الفقعسي . . . تنافرا إلى ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطعن بن نهشل بن دارم ، وبينهما مائة من الإبل خطر ، فقال عباد لضمرة : لك مائة من الإبل ، وتنفرنى على معبد . ففعل ، فهو أول من ارتشى من حكام الجاهلية » . وقد روى ياقوت الأبيات (فى قرائر) .

(٢) ذكر التبريزي عن أبى محمد الأعرابي أن الصواب : « وقد سال من نصر عليك قرائر » ، قال : يعنى نصر بن قمين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه . يقول : دافعتهم عنك حين سال الوادى بهم عليك .

وهذا وصفُ الحال التي مُنيَ بها حينَ نَصَرَهُ مَخَاطِبُهُ . والمراد : ونساؤكم تشبَّهنَ بالإماء ، مخافةَ السَّيِّئِ ، حتى تَبَرَّجْنَ وبرزنَ مكشوفاتِ ناسياتٍ للحياءِ . وإن كنَّ حرائرُ . وإنما قال هذا لأنهم كانوا يَقْصِدُونَ بِسَبْيِ من يَسْبُونَ من النساءِ إلحاقَ العارِ ، لا اغتنامَ الفداءِ والمالِ ، ولما كان الأمرُ على هذا فالحرَّةُ كانت في مثل ذلك الوقتِ تشبَّه بالأمَّةِ ، لكي يُزَهَّدُ في سَبْيِها . ومعنى و « الإماء حرائرُ » : واللائي يُحْسِنُ إِمَاءَ حَرَائِرُ . ولو قال يُحْلَنُ إِمَاءٌ وهنَّ حرائرُ لكان مأخذُ الكلامِ أقربَ ، لكنه عدلَ إلى « والإماء حرائرُ » ، ليكون الذِّكْرُ به أنعمَ ، والاقتصاصُ ^(١) أشنعَ وأعظمَ . وقال « بادِ وجوهها » لتقدُّمِ الفعلِ ، وأن تأنيثَ الوجوه غيرَ حقيقي ، ولو قال بِادِيَّةٍ وجوهها لجاز . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَحَارِ غَانِيَةٍ عَقَدَتْ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُنْشَرًّا بِشِمَالِهَا

٣- أَعْيَرْتَنَا أَلْبَانِهَا وَلُحُومَهَا وَذَلِكَ عَارٌ يَابِنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ

يريدُ على وجه الإنكارِ والتفريع : لِمَ عَيْرْتَنَا أَلْبَانَ الْإِبِلِ وَلُحُومَهَا واقتناءَ الْإِبِلِ مُبَاخٌ لا محذورٌ في القديم والحديث ، والانتفاعُ بِلُحْمَانِهَا وَأَلْبَانِهَا مُسَوِّغٌ غيرَ مردودٍ في الدِّينِ والعقلِ ، وتفريقُها في المحتاجين إليها إحسانٌ ومعروفٌ يَجْلِبَانِ ^(٢) الْحَمْدَ والشكرَ . وذلك عارٌ ظاهرٌ ، أى زائلٌ . قال أبو ذؤيب :

وَعَيْرَهَا الْوَأَشُونَ أَنِّي أَحِبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا

ومن هذا قولك : ظَهَرَ فَوْقَ السَّطْحِ ، وقولك : جَعَلْتُهُ مِنِّي بَظْهَرٍ ، وقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذَتْهُ وُورَاءَ كَمِ ظَهْرِيًّا ﴾ . ويجوز أن يريد بالظاهر أن الحال في أن

(١) كذا في م . وفي الأصل : « والقصاص » .

(٢) كذا ضبط بضم اللام في النسختين ، وهي إحدى لغتين : ضم اللام وكسرها في المضارع .

ذلك ليس بعار ظاهرةً غَيْرُ مُلْبِسَةٍ ولا خافية . ويقالُ عَيَّرْتُهُ كَذَا وهو الأَفْصَحُ ، وعَيَّرْتُهُ بِكَذَا . قال عدِيٌّ :

أَيُّهَا الشَّامِتُ المَعَيِّرُ بِاللَّهِ ر (١)

والواو من قوله « وذلك عارٌ » واو الحال ، أى أتعيرنا والحال ذلك .

٤ - نُحَايِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهِنِيهَا وَنَشْرَبُ فِي أَثْمَانِهَا وَتُقَامِرُ

بَيْنَ وجوه تصرّفهم فيما عَيَّرَهم به ، فقال : نجملها حياءً لنظرائنا فنتهادى بها ، ونُسَهِّلَ تَمَكَّنَ العُفَاةِ والزَّوَّارِ منها ، بابتذالها وإهانتها - وحذَفَ ذِكْرُ مَنْ أَهِنَتْ لَهُ لأن المراد مفهوم - ونبيعهما فنصرفُ أَثْمَانَهَا إلى الخمر والإِنْفَاقِ ، ونَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ عليها فى اللَّيْسَرِ عند اشتداد الزَّمانِ ، فنفرقُها فى الضُّعْفَاءِ والحُتَّاجِينَ إِلَيْهَا . وفى تَعْدَادِ هذه الوجوه إِبْطَالُ لِكُلِّ مَا أُوهِمَ أَوْ ادَّعِيَ يَلْحَقُ مِنَ العَارِ فى اقْتِنَائِهَا وادِّخَارِهَا . وروى بعضهم : « نُحَايِي بِهَا أَكْفَاءَنَا » على أن يكون تفاعلٌ من الحياة ، أى نعايشهم بها ونجامل ؛ وليس بشيء ، فلا تُعَرَّجُ عليه .

٦١

وقال آخر من بنى فَعَمَسَ (٢) :

١ - أَيْبَنِي آلَ شَدَادٍ عَلَيْنَا وَمَا يُرْغَى لَشَدَادٍ فَصِيلُ

مخرجُ هذا الكلام مخرجُ الكلام المتقدم ، فى أنه إنكار وتقرّيع ، وفيه إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من التبخيل ، وهو :

(١) تمامه ، كما فى الأغانى (٢ : ٣٤ سائى) : « أأنت المبرأ الموفور » .

(٢) التبريزى : « قال أبو هلال : هو لعمرو بن مسعود بن عبد مرارة » .

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبِنِي رَبِّبٌ وَلَا لَحْمِي عَلَى وَلَا سِلَاطِي ^(١)
 أَى مَا لَهُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْنَا وَحَالَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا هُوَ نَهَايَةُ الْبُخْلِ وَالشُّومِ ،
 وَالذَّقَّةِ وَاللُّومِ ، حَتَّى لَا يُحْمَلَ قَصْلٌ لَهُمْ عَلَى إِزْغَاءٍ بَأَن يُفْصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 أُمِّهِ بَنَحْرٍ أَوْ هَبَةٍ ، ضَنْبًا بِهِ ، وَإِشْفَاقًا عَلَيْهِ . أَى إِنَّهُمْ لَا يَسُوغُ لَهُمُ الْبَغْيُ مَعَ
 هَذِهِ الْحَالِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ « وَمَا يُرْغَى لَشَدَادِ قَصْلٍ » يَرَادُ بِهِ مَا لَهُمْ
 فَصِيلٌ فَيُرْغَى ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(٢) :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ * ^(٣)

وَالْمَعْنَى : لَا ضَبَّ بِهَا فَيَنْجَحِرُ . يَرْمِيهِمْ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ ، وَضَعْفِ الْمُنَّةِ ،
 وَقُصُورِ الْإِسْطَاعَةِ . وَيُقَالُ : أَرْغَى فَلَانٌ فَصِيلَهُ ، وَإِذَا حَمَلَهُ عَلَى الرُّغَاءِ ، وَأَرْغَى
 فَلَانٌ فَلَانًا وَأَنْغَى ، إِذَا أَعْطَاهُ إِبْلًا وَغَنَمًا . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « وَمَا يُرْغَى »
 بِكسر الغين ، أَى لَا يُعْمَلُ بِالْفَصِيلِ مَا يَحْمِلُ أُمُّهُ عَلَى الرُّغَاءِ لَهُ . وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

٢ - فَإِنْ تَعَمَّرَ مَفَاصِلُنَا تَجِدْنَا غِلَظًا فِي أَنْامِلٍ مَنْ يَصُولُ

هَذَا تَعْرِيفٌ وَإِعَادَةٌ ، فَيَقُولُ : إِنْ رُزِّمْنَا وَجِدْتُمُونَا غِلَظًا عَلَى مَنْ يَصُولُ
 عَلَيْنَا ، جُفَاءً عِنْدَ مَنْ يَسُومُنَا مَكْرُوهًا . وَالْمَعْنَى : لَا نُسْتَلَانُ عِنْدَ الْامْتِحَانِ . وَجَعَلَ
 التَّعَمُّرَ تَعَمَّرَ لِلْفَاصِلِ كُنْيَاةً عَنِ الْإِخْتِبَارِ . وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ ^(٤) : « لَا أُعَمَّرُ
 كَتَمَازِ التَّيْنِ » ، وَلِذَلِكَ صَلَحَ أَنْ يَقُولَ اسْتَفْطَظْتُنَا فِي أَنْامِلِهِمْ . وَخَصَّ الْأَنْامِلَ
 لِأَنَّ الْإِنْفِتَالَ عَنِ الشَّيْءِ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ بِسَلَامَتِهَا مِنَ الْآفَاتِ يَقْوَى .

(١) أَى لَا أَجَلَ اللَّبَنِ بِمَنْزِلَةِ الْمُعْظَمِ الْمُبْجَلِ ، أَوْ الْمَالِكِ لِي ، بَلْ أَبْذِلُهُ وَأَهْيِيهِ لِلضَّيْفِ .

(٢) هُوَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ ، يَصِفُ فَلَاحَةَ . الْخَزَائِمَةُ (٤ : ٢٧٣) .

(٣) صَدْرُهُ : * لَا تَفْزَعِ الْأَرْثَبَ أَهْوَالَهَا * .

(٤) هُوَ الْحِجَابُ ، قَالَهَا فِي خُطْبَةٍ لَهُ بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ . الْبَيَانُ (٢ : ٣٠٩) .

٦٢

وقال جزء بن كليب الفقعسي: ^(١)

١- تَبَنَّى ابْنُ كَوْزٍ وَالسَّفَاهَةُ كَاسِمَهَا لَيْسْتَادَ مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لِيَالِيَا

قوله « والسفاهة كاسمها » اعتراض دخل بين تَبَنَّى ومفعوله . والأصل في السَّفَه : الخِفَّة . ويقال : زِمَامٌ سَفِيه ، لا يضطربه ، كما يقال زِمَامٌ عَيَّارٌ ^(٢) . فيقول : تَطَلَّبَ هَذَا الرَّجُلُ مَا تَطَلَّبُهُ سَفَهًا ، وفعلُ السفاهة قَبِيحٌ كما أَنَّ اسْمَهَا قَبِيحٌ . وإنما قال هذا لأنَّ السَفَهَ كما تُنْكَرُ الْعُقُولُ وَالْقُلُوبُ ذَاتُهُ وفعله ، كذلك تَمُجُّ الْأَذَانُ وَالصُّدُورُ اسْمُهُ . فإن قيل ما اسمُ السفاهة حتى قال : والسفاهة كاسمها ؟ قلت : قوله والسفاهة ، أراد ما يُسَمَّى سَفَاهَةً ، أى المسمى بهذا الاسم ، كما أَنَّ الْأَسْمَ الَّذِي هُوَ السَّفَهَ قَبِيحٌ . إلا أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَجِدْ إِلَى الْعِبَارَةِ عَنْ الذَّاتِ طَرِيقًا إِلَّا بِاسْمِهِ قَالَ : والسفاهة . ويجوز أن يكون أراد بَتَبَنَّى : أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي التَّبَنَّى ، حين عَدَا طَوْرَهُ ، وَسَامَنَّا مُوَاصَلَتَهُ ، كما يقال تَشَجَّعَ وَتَمَرَأَ . وقوله « لَيْسْتَادَ مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لِيَالِيَا » أتى بالفعل واللام ، لأنَّ تَبَنَّى مثل أراد . فكما قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، وقال الشاعر :

* أَرَادَتْ لِنَتْنُاشِ الرُّوَاقِ فَلَمْ تَقُمْ *

والمعنى يريدون إطفاء نور الله ، وأرادت انتياش الرواق - كذلك قال هذا :

(١) التبريزي : « قال أبو محمد الأعرابي : هو جرير بن كليب ، لا جزء . وقد ذكر جريرا في المؤلف ٧١ وقال : « جرير بن كليب بن نوفل بن نضلة الشاعر . كذا ذكر ابن حبيب في كتابه الذي ذكر فيه شعراء القبائل ، ولم يذكر له شعرا ، ولا وجدت له في قبائل بني أسد ذكرا . وهو إسلامي » .

(٢) م : « عيال » كشداد . وكلها متعجه . فالعيار : الكثير المجيء والذهاب .
هو العيال : المتبختر الميال .

تبغى لِيَسْتَدَّ ، والمعنى تَبَغَّى الاستيادَ منا ومُراد الشاعر تَطَلَّبَ التَّسْكَاحَ في سادتنا من أجل أَنَّا دَخَلْنَا في الشَّتَاءِ . والمعنى من أجل أَنَّا افْتَقَرْنَا واشتدَّ الزَّمان علينا فَأَثَرٌ فينا . قوله « أَن شَتَوْنَا » موضعه نَصَبٌ ، أصله لَأَنَّ شَتَوْنَا ، فلَمَّا حُذِفَ الحرف الجارُّ وَصَلَ الفعلُ قَعِيلَ . ومعنى شَتَوْنَا : قَحَطْنَا ^(١) وَأَقْمَنَّا في القَحْطِ ، كما تقول شَتَوْنَا بِمَكَانٍ كَذَا . ويقال : اشْتَيْنَا ، إِذَا أُرِيدَ دَخَلْنَا في الشَّتَاءِ .

٢ - فَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَاةٌ بِأَنَّ أَبْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيًّا

انتصب « حَزَاةٌ » على التمييز ، فيقول : ليس انصرفك عنا عائبًا علينا حين لم نُسْعِفْكَ بِمُرَادِكَ ، ولم نُجِبْكَ لَمَّا خَطَبْتَ من خَطَبْتَ إِلَى مَلْتَسِيكَ ، وَمَعِيًّا عِنْدَنَا حين عَدَوْتَ طَوْرَكَ فَجَاوَزْتَ مَسْتَحَقَّكَ وَقَدَّرَكَ ، بشيءٍ يَكْبُرُ عِنْدِي تَقْطِيعُهُ ^(٢) في الصَّدْر ، وتأثيره في النَّفْس . أى إِرْغَامُكَ وإِسْخَاطُكَ يَهُونُ عَلَيْنَا . والباء الذى فى قوله « بِأَنَّ أَبْتَ » هو الباء الذى فى قولك ما زِيدٌ بِمَنْطَلِقِي . ويقال : زَرَيْتُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ ، إِذَا عِثْتَ عَلَيْهِ فِعْلَهُ ؛ وَأَزْرَيْتُ بِهِ ، إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ وَقَصَّرْتَ بِهِ . وقوله « وَزَارِيًّا » أى وَزَارِيًّا عَلَيْنَا ، فحذف لأنَّ المراد مفهوم .

٣ - وَإِنَّا عَلَى عَصْرِ الزَّمانِ الَّذِي تَرَى نُعَالِجُ مِنْ كُرْهِ الْمَخَازِي الدَّوَاهِيَا

يقول : إِنَّا نَقَامِي هَرَبًا مِنَ الْمَكْرُوهِ ^(٣) الشَّدَائِدِ ، وَنَصْبِرُ تَفَادِيًّا مِنْهَا عَلَى الْعِظَائِمِ ^(٤) . هذا - ما تَرَى من نَكَايَةِ الْخَدَثَانِ ، وَسُوءِ تَأْثِيرِ الزَّمانِ ، وَقَصْدِهِ إِيَّانَا بِالْمَكَارِهِ وَالْبَلَاءِ ، وَالْفَقْرِ وَالضَّرَاءِ . وَهَذَا تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ مَحَافِظَتَهُمْ عَلَى

(١) ضبط في الأصل بضم القاف ، وفي م بفتحها ، وكلاهما صحيح وإن كانت لغة الفصحى أعلى وأكثر . في القاموس : « وقحط الناس كسح ، وقحطوا وأقحطوا بضمهما قليلتان » .

(٢) م : « تقطيعه » .

(٣) م : « من مكروه المخازي » .

(٤) في الأصل : « بجنى العظام » ، وأثبتنا ما في م .

الشرف يمنهم من مناحة من ليس بكفء لهم ، وأنّ مُسَاعَفَتُهُمْ إِيَّاهُ بما طلبه مُخْزِيَةٌ عندهم . وقوله « على عرض الزمان » موضعه موضع الحال . والمعنى : إنا منكوبين وفقراء نفعل ذلك حَذَرًا من العار .

٣- فَلَا تَطْلُبْنَهَا يَا بَنَ كُوزٍ فَإِنَّهُ غَدَا النَّاسُ مُذَقَّامُ النَّبِيِّ الْجَوَارِيَا

يقول : لا تطلبِ التزوُّجَ بالمرأة التي خطبتَها يا بن كوز ، فلك في سائر النساء مندوحة ، سيّما ومنذ بعث الله عز وجل النبي عليه السلام ، وقام بأداء الرسالة عنه ، ربّي الناس البنات وتركوا وأدهن فكنن^(١) . ويقال : غداه يغذوه غَدَوًا ، وتغذى بكذا . والغذاء : الطّعام والشراب .

٥- وَإِنَّ الَّتِي حُدِّثَتْهَا فِي أُنُوفِنَا وَأَعْنَاقِنَا مِنَ الْإِبَاءِ كَمَا هِيَ

يقول : وإنّ النخوة التي أبلغتَها ، والحِيَّة التي حُدِّثْتَها ، باقية في أنوفنا حتى لا نشمّ بها مرّعةً ، وفي أعناقنا ورءوسنا حتى لا نلويها إلى مُخْزِيَةٍ وَمَنْقَصَةٍ هي حاصلةٌ فيها كما أبلغتَ ؛ فالامتناع من مثل ما سُمّت معروفٌ منّا ، ومأخوذ به في عاداتنا ، فلا نستطِرْفُهُ . وقوله « في أنوفنا » في موضع المفعول الثالث لحُدِّثَتْهَا . وقوله « كما هي » في موضع خبر إنّ ، وما زائدة . أراد كهي ، أي هي باقية بحالها ، مستمرة على طريقها . ويجوز أن يكون هي مبتدأ ، وكافي .

(١) التبريزي : « وأصل الوأد الثقل ، وذلك أنها كانت تثقل بالتراب . وأول من منع عن الوأد صمصعة بن ناجية جد الفرزدق ، وذلك أنه أضل ناقتين له فخرج في بغائهما ، فلما أجنه الليل رفعت له نارفأهما ، فإذا شيخ وامرأة ماخص ، فسلم فرد الشيخ فسأله عن الناقيتين ، فقال : وجدتهما وقد أحياناً الله بهما . ثم قال الشيخ لنساء كن عنده : إن جاءنا غلام فأدرى ما أصنع به ، وإن جاءتنا جارية فاقنأنا ، ولا أسمعن صوتها . فجاءت جارية ، فاشترأها صمصعة بناقتيه وجعله الذي ركبه في طلبهما ، وجعل ذلك سنة ، فكل من أراد أن يثد ابنة له جاءه فاشترأها منه بلقحتين وجل ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلاثه مودة ، فقال الفرزدق :
وجدى الذى منع الوائدات وأحيا الوئيدة لم تؤاد

موضع الخبر . ويقولون : كما أنا كما أنت ، أى تشابهنا ، ويكون ما نكرَةً غير موصوفة . ويجوز أن يكون حذف صفته كأنه قال : كما حَدَّثَتْهُ أى كشيء حَدَّثَتْهُ . وإنما خَصَّ « فى أنوفنا وأعناقنا » بالذكر لأنه يقال فى الكبر والصعوبة : فى أنف فلان خنزروانة ، وزمَّ فلانُ بأفنه ، وأنفه أنفُ الليث ، وهو أحمى أنفاً من أن يقبل كذا . ويقولون : فى خده صعرٌ ، وفى عنقه صَوْرٌ وصَيِّدٌ ، وفى ناظره شوسٌ وصَادٌ . قال يصف سُيُوفاً .

* يُدَاوَى بها الصادُ الذى فى النَّوَاطِرِ *

٦٣

وقال زيادة الحارثي^(١) :

١- لَمْ أَرِ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ أَقَلَّ بِهِ مِنَّا عَلَى قَوْمِنَا^(٢) نَحْرًا
ينتصب قوله « خير قومهم » على أنه بدلٌ من قوله « قَوْمًا » . ويجوز أن يكون صفة . و « أَقَلَّ » ينتصب على أنه مفعول ثانٍ ، و « نَحْرًا » ينتصب على التمييز . وقوله « به » الضمير منه يرجع إلى ما ذكره ودلَّ عليه من قوله « خير قومهم » يريد أقل بكونهم خيرين . ومثله قول القائل :

* إِذَا زَجَرَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ^(٣) *

أى إلى السفه . وتقدير البيت : لم أرَ خير قومٍ مثلنا أقلَّ بذاك نَحْرًا مِنَّا

(١) شاعر إسلامي ، كان بينه وبين هذبة بن الحشرم مهاجرة ومناقضة ، وقد قتله هذبة فى قصة رواها أبو الفرج . وهو زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن خنيس بن عمرو ابن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم . الأغاني (٢١ : ١٦٩) .

(٢) التبريزي : « على قومهم » .

(٣) عجزه كما فى الخزانة (٣ : ٣٨٣) وأمالى ابن الشجرى (١ : ٦٨ ، ٢/٣٠٥ :

* وخالف والسفيه إلى خلاف *

على قومنا . والمعنى إنا لا نبغى على قومنا ، ولا نتكبر عليهم ، بل نَعُدُّهم أمثالنا ونظراءنا ، فنباسطهم ونوازنهم قولاً بقول ، وفعلًا بفعل .

٢- وما نَزَدَهِينَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزَرًا^(١)

ينتصب قوله « نَزَرًا » على أنه صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : نكلّمهم كلاماً نَزَرًا . والمعنى لا يستخفّنا التكبر إلى أن نتعلّى عليهم ، ونقلّ الكلام معهم ترفعًا عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكأثرهم في القول والسؤال ، إيناسًا لهم وتسكينًا منهم . ويقال : زهاه وازدهاه بمعنى . والأصل في ازدهى : ازتهى ، لأنه افتعل من الزّهو ، لكنه أبدل من التاء دالًّا تقريبًا للحرف من الزاى . وقوله « أَنْ نُكَلِّمَهُمْ » أراد لأن نكلّمهم ، فحذف حرف الجر . و « أَنْ » يفعلُ به ذلك كثيرًا .

٦٤

وقال ابنه مسور :

حين عَرَضَ عليه سعيد بن العاصِ سِنْعَ دِيَاتٍ بَأْيِهِ^(٢) فَأَبَى . ويقال : هى لَعْمُهُ :

١- أَبْعَدَ الَّذِي بَالْتَمَفٍ نَعْفٍ كَوْيَكِبٍ رَهِيَّةَ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ

(١) روى التبريزى بعده بيتا ، وهو :

ونحنُ بنو ماء السماء فلا نرى لأنفسنا من دون مملكة قصيرا
وقال في تفسيره : « القصر هاهنا : الغاية . يقال قصر كذا أن تفعل كذا . وماء السماء : امرأة كانت في حسنها وصفاء بشرتها مثل ماء السماء فسميت به . وماء السماء الملك سمي بذلك لأنه كان للناس بمنزلة المطر في جوده . يقول : نحن بنو ملك فلا نرى لأنفسنا غاية دون أن نكون ملوكا » .

(٢) انظر خبر مقتله في الأغاني ، في الموضع الذي سبقت الإشارة إليه .

ألف الاستفهام دخل هاهنا على معنى الإنكار ، وتناول الفعل الذى فى صدر البيت الثانى ، لأنّ ألف الاستفهام يطلبُ الأفعال . والمعنى : أذكّرُ بالإبقاء بعد المدفون بتعفٍ هذا الجبل — وهو ما استقبلك منه — المرهُون فى قبر ذى تراب وحجارة . والتعفُ ، اشتقَّ منه انتعفَ له ، أى تعرض . والمناعةُ : المعارضة من رجلين فى طريقين يريد كل واحدٍ سبق الآخر . وقيل التعفُ : المكان المرتفع فى اعتراض . وقوله « رهينة » جعله اسماً فلهذا الحقّ الهاء بها . والرّمس : القبر . ويقال رهنّته رهنًا بمعنى رهنّتُ عنده ، وأصله من اللزوم والدوام ويقال هذا لك رَاهِنٌ . والأصل فى الرّمس : التغطية ، يقال رمستُه بالتراب ؛ ومنه الرياح الرّوامِس .

٢- أذكّرُ بالبقيا على مَنْ أَصَابَنِي وَبُقَيَاىَ أَنِّى جَاهِدُ غَيْرُ مُؤْتَلٍ
يقول : أأسامُ الإبقاء على من وترّنى ؟ إبقائى عليه أنى أجتهد فى قتله ، ولا أقصر . والإبقاء لا يكون الجُهد ، ولكن المعنى : يكون هذا منى عَوْضًا من ذاك . ومثله قول الآخر ^(١) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(٢) *

والبُقيا : اسمٌ على فُعْلَى ، مبنى من الإبقاء وفى معناه ، والواو منه واو الحال ، ولولم يأت به لكان الكلام على الاستئناف والإقطاع مما قبله . ويقال : لا آلوفى كذا ولا آتلى ، أى لا أقصر ، ولا آلو كذا ، أى لا أستطيعه .
٣- فَإِلَّا أَنْلَ تَأْرِى مِنَ الْيَوْمِ أَوْغِدِ بَنى عَمْنًا فَالْدَهْرُ ذُو مَطْوَلٍ ^(٣)

(١) هو عمرو بن معديكرب . الخزانة (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٣) ابن جنى : « يحتمل متطول هذا أمرين : أحدهما أن معناه ذو تفضل وإيصال لى إلى بغيتى ، والآخر ذو متطول ، أى فيه طول ، فإن تأخر ما أرومه الآن لم أياس منه فيما بعد ، وهذا أظهر الوجهين ، لأن الشعر بمثله ورد كثيرًا . وتكون هذه لفظة فى تطاول الدهر ، وتطول يعتقب عليها تفاعل وتفعّل ، كقولهم تكأده الأمر وتكأده ، وتكاييس وتكيس » .

يقول مُحَبَّرًا عن صَبْرِهِ وَحُسْنِ رِفْقِهِ فِي طَلَبِ الْأُمُور ، وَأَنَّهُ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكُ وَإِنْ تَرَخِيَ الْمَطْلُوبَ ، وَتَدَافَعَ الْوَقْتُ فِي الْحَصُولِ ، فَيَقُولُ : إِنْ لَمْ أُدْرِكْ ثَأْرِي قَرِيبًا يَا بَنِي عَمَّنَا فِي الدَّهْرِ تَطَاوُلَ ، وَالزَّمَانُ بِتَبْدِيلِ الْأَبْدَالِ وَتَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ كَافِلٌ ، وَلَهُ ضَامِنٌ ، وَمَا يَتَعَسَّرُ فِي وَقْتٍ يَتَيْسَّرُ فِي آخَرٍ . وَذِكْرُ الْيَوْمِ وَالْعَدِّ إِشَارَةٌ إِلَى تَقْرِيبِ الْوَقْتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، كَمَا يُقَالُ فِي الْمَاضِي : كَانَ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا . وَمُتَطَوَّلٌ : مُصَدَّرٌ مِثْلُ تَطَوَّلَ .

ع - فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِهِيَةِ لَنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أَعْجَلْ

جَزَمَ « يَدْعُنِي » بِلَا عَلَى أَنَّهُ دَعَاءٌ ، وَالْمَعْنَى : لَا دُعِيْتُ لِكَشْفِ مَكْرُوهِهِ ، وَلَا لِلدَّفْعِ عَنْ مَظْلُومٍ ، إِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً لِمَنْ وَتَرَنِي ، أَوْ يَعَجِّلْهَا لِي . وَالْمَعْنَى : إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَوْ يَقْتُلْنِي . وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ لِقَطْعِهِ لَفْظُ الدَّعَاءِ فَالْمَعْنَى مَعْنَى الْقَسَمِ . وَقَوْلُهُ : « أَوْ أَعْجَلْ » أَرَادَ : أَوْ لَمْ أُعَجِّلْ لِمِثْلِهَا ، فَحَذَفَ . وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِلتَّوَعُّدِ بِالْإِقْدَامِ ، وَالتَّسْرُّعِ إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الِاسْتِقْتَالِ بَعْدَ الْإِمْكَانِ .

هـ - أَنْخَنُمُ عَلَيْنَا كَلَّكَ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكُلِّ كَلٍّ (١)

(١) رَوَى التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ ثَلَاثَةُ آيَاتٍ ، وَذَكَرَ ابْنُ جَنِّي أَوَّلَهَا ، وَهِيَ :

يَقُولُ رَجَالٌ مَا أَصِيبَ لَهُمْ أَبٌ وَلَا مِنْ أَخٍ أَقْبَلَ عَلَى الْمَالِ تُتَعَقَّلَرُ
كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ ذُنَابٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يَدْرِ حَتَّى جِئْتُ مِنْ كُلِّ مَدْخَلٍ
ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَأُسْلِمْتُ عَبْرَةً مِنْ الدَّمْعِ مَا كَادَتْ عَنِ الدَّمْعِ تَنْجَلِي

قَالَ التَّبْرِيزِيُّ : « يَقُولُ : يَشِيرُونَ عَلَى بَأْخِ الدِّيَةِ وَلَمْ يَصِبْهُمْ مَا أَصَابَنِي ، وَلَعَلَّهُمْ لَوْ أَصِيبُوا بِمَا أَصِيبْتُ بِهِ لَمْ تَقْتَعِهِمُ الدِّيَةُ » . وَقَالَ : « وَيُرْوَى : حَتَّى جِئْتُ مِنْ غَيْرِ مَدْخَلٍ . أَرَادَ بِالذَّنَابِ الْأَعْدَاءَ . وَقَوْلُهُ : حَتَّى جِئْتُ مِنْ غَيْرِ مَدْخَلٍ ، أَيْ مِنْ مَدْخَلٍ كَثِيرَةٍ . وَيَقَعُ فِي بَعْضِ النِّسَخِ : حَيَاتٍ كَثِيرَةٍ » .

وَقَالَ ابْنُ جَنِّي فِي تَفْسِيرِ أَوَّلِ الْآيَاتِ الزَّائِدَةِ : « عَطَفَ الثَّانِي - يَعْنِي كَلِمَةَ أَخ - عَلَى مَا مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَزَادَ فِي الْأَوَّلِ . أَلَا تَرَى إِلَى جَوَازِ قَوْلِهِ : مَا أَصِيبَ لَهُمْ مِنْ أَبٍ ؟ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ : بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مَدْرُكٌ مَا مَاضِي وَلَا سَابِقٌ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَانِيًا » .

هذا الكلام تهذُّدٌ ، وضمانٌ في أنَّه سيكافئهم على ما بدأوا . والمعنى : سنؤثِّرُ فيكم كما أثَّرتُم فينا ، ونُنزِلُ الحربَ بكم كما أنزلتموها بنا . ويقال : أنختُ البعيرَ فاستناخَ وبَرَكَ ، ولا يقال فناخ . وتقول في شدة التأثير : بَرَكَ عليهم الدهرُ بكلِّكته ، ووطئهم بمناسمه ، وأنحى عليهم بجرائه . وهذا جعل الكلِّ كلَّ هو المُنَاخ في صدر البيت ، وفي العَجْزُ جعل الحربَ مُنَاخَةً بكلِّكلها . وكلُّ ذلك أمثالٌ ، والمعنى من جميعها ظاهر .

٦٥

وقال بعض بني جرم من طي :

١ - إخالك مُوعِدِي بِنِي جَفِيفٍ وَمَهَالَةٍ ، إِنِّي أَنُهَالِكِ هَالَا

في قوله « إخال » ضرب من الاستهانة ، يقول : أَحَسِبُكَ تَهْدِدُنِي بِنِي جَفِيفٍ وَمِهَالَةٍ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى هَالَةٍ فَقَالَ : إِنِّي أَزْجُرُكَ عَنِ التَّحَكُّكِ بِنَا ، وَنُصْرَةٍ مِنْ يَنَافِذُنَا . ومثل هذا الكلام يُسَمَّى التَّفَاتَا . والعرب قد تَجَمَّعَ في الخطاب أو الإخبار بين عِدَّةٍ ، ثُمَّ تُقْبَلُ أو تَلْتَفَتُ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَى وَاحِدٍ لِكُونِهِ أَكْبَرَهُمْ ، أَوْ أَحْسَنَهُمْ سَمَاعًا لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِ ، أَوْ أَخْصَمَهُمْ بِالْحَالِ الَّتِي تَنْطَلِقُ بِالشَّكْوَى بَيْنَهُمْ ، فَتَفَرِّدُهُ بِكَلَامٍ . عَلَى هَذَا بَيْتُ الْهَذَلِيِّ (١) :

* أَحْيَا أَبَا كُنَّ يَالْبِلَى الْأُمَادِيحُ *

فَقَالَ أَبَا كُنَّ ، ثُمَّ قَالَ يَالْبِلَى . وَيُقَالُ : خِلْتُ أَخَالَ ، وَإِخَالَ طَائِيَةً ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا فِي أُلْسِنَةٍ غَيْرِهَا ، حَتَّى صَارَ أَخَالَ كَالْمَرْفُوضِ . وَالْمَهَالَةُ : الدَّارَةُ

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ١١٣) .

(٢) صدره : * لَوْ كَانَ مَدْحَةٌ حَتَّى أَنْشَرْتَ أَحَدًا *

ويروى في عجزه : * أَحْيَا أَبُوتَكَ الشَّمَّ الْأُمَادِيحُ *

حَوَّلَ الْقَمَر ، فِي اللِّغَةِ ، وَإِذَا أَنْتَ خَاطَبَهَا فَإِنَّهُ جَعَلَهَا قَبِيلَةً ، وَإِذَا ذَكَرَهَا فَعَلَى إِرَادَةِ رَجُلٍ هُوَ أَبُو الْقَبِيلَةِ ، وَإِذَا جُمِعَ فَعَلَى الْمَعْنَى . وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ قَدْ صَرَّفَ كَلَامَهُ .

٢ - فَإِلَّا تَنْتَهِي يَا هَالِ عَنِّي أَدْعُكَ لِمَنْ يُعَادِينِي نَكَالًا

يقول : إِنْ لَمْ تَنْزَجِرْ عَنِّي وَلَمْ تَرْتَدِعْ بِكَلَامِي ، أَجْعَلُكَ لِأَعْدَائِي عِبْرَةً رَادَعَةً ، وَعَقُوبَةً زَاجِرَةً . وَالنَّكَالُ : اسْمٌ لِمَا يُجْعَلُ عِبْرَةً لِلْغَيْرِ ، وَيُقَالُ نَكَلَ يَنْكُلُ ، وَنِكَالٌ يَنْكَلُ لِفَتَانٍ ، الْأَوَّلَى تَمِيمِيَّةٌ وَالْأُخْرَى حِجَازِيَّةٌ .

٣ - إِذَا أَخْصَبْتُمْ كُنْتُمْ عَدُوًّا وَإِنْ أَجْدَبْتُمْ كُنْتُمْ عِيَالًا

يَصِفُهُم بِالْأَشَرِّ وَالْبَطَرِ وَسُوءِ الْخِفَافِ ، وَالتَّعَجُّلِ إِلَى الشَّرِّ ، فَيَقُولُ : إِذَا نَلْتُمُ الْخَيْرَ وَطَاوَعْتُمُ الْوُجْدُ خَرَجْتُمْ لَنَا أَعْدَاءٌ ، ثُمَّ إِنْ أَثَرُ فِيكُمْ الدَّهْرُ ، أَوْ ضَغَطَكُمْ الْبُؤْسُ وَالضَّرُّ ، أَوْيْتُمْ إِلَيْنَا ، وَلَحِقْتُمْ بِجَمَلَتْنَا ، فَاحْتَجْنَا إِلَى أَنْ نَمُوتَ نَكْمَ .

٦٦

وقال آخر^(١) :

١ - اللَّؤْمُ أَكْبَرُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَاللَّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا

فَضَّلَ اللَّؤْمَ فِي اللَّفْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَسْلَافِهِمْ ، وَالْقَصْدُ بِهِ إِلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ ، لِأَنَّ الشَّرْطَ تَشْبِيهِ الْأَحْدَاثِ بِالْأَحْدَاثِ ، وَالذَّوَاتِ بِالذَّوَاتِ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ حُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ .

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : لم يذكر أبو تمام اسمه واسمه الحكم بن زهرة . قال الجهمي : زهرة أمه ، وهو الحكم بن المقداد بن الحكم بن الصباح ، أحد بني مخاشن بن عصيم ، ثم أحد بني زهرة بن قيس بن عمرو بن ثرملة بن مخاشن بن شمع بن فزارة ، ويعرف بالحكم الأصم الفزاري . وقال أبو ريش : هو لعوف القوافي » . ونسب في معجم المرزباني . ٢٧٨ إلى عوف القوافي .

كَأَنَّهُ قَالَ : اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ أَخْلَاقٍ وَبِرٍّ وَأَخْلَاقٍ وَالِدِهِ ، وَقَوْلُهُ « وَوَالِدِهِ »
 دَخَلَ فِيهِ كُلُّ أَبِي لَهْمٍ ، كَمَا دَخَلَ فِي قَوْلِهِ « وَمَا وَلَدًا » كُلُّ وَلَدٍ لَهُمْ . وَاللُّؤْمُ :
 خِصَالٌ مُنْكَرَةٌ ، إِذَا اجْتَمَعَتْ سَمِيَتْ لُؤْمًا ، كَدَنَاءِ النَّفْسِ وَالْآبَاءِ وَالْبُخْلِ
 مُرَدَّدًا فِيهِمْ ، وَالنَّظَرُ فِي الْأُمُورِ التَّافِهَةِ الْخُزْيَةِ . وَوَبَرٌّ فِي اللُّغَةِ : دُؤْيَةٌ أَصْغَرُ
 مِنَ السَّتُورِ طَحْلَاءُ اللَّوْنِ تَرَجُّنٌ فِي الْبُيُوتِ ^(١) ، وَجَمْعُهُ وَبَارٌّ . وَيُسَمَّى بِهَا ، ثُمَّ
 جُعِلَتْ لِلْقَبِيلَةِ ^(٢) . فَإِنْ قِيلَ : لِمَ لَمْ يَقُلْ : وَمَنْ وَلَدًا ؟ قُلْتَ : أَشَارَ إِلَى الْجِنْسِ
 وَمَا يَقَعُ لِلْأَجْنَاسِ .

٢ - قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبَهُمْ أَمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا
 يَقُولُ : هُمْ قَوْمٌ إِذَا جَرَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ جَرِيرَةً أَمِنَ جَمِيعُهُمْ ، لِدَقَّةِ أَصُولِهِمْ ،
 وَلُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ ، أَنْ يُوَازِحُوا كُلَّهُمْ بِهَا ، فَكَيْفَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ . كَأَنَّ الْقَبِيلَةَ
 بَأَسْرِهَا لَا يُعْمَدُونَ بِوَاءٍ لِقَتِيلٍ فَيُقْتَلُوا بِهِ ، فَالْأَمْنُ الَّذِي شَمِلَهُمْ عِنْدَ اتِّفَاقِ
 الْجَنَائِثِ مِنْهُمْ لِهَذَا . وَالْقَوْدُ : أَنْ يُقْتَلَ الْقَاتِلُ بِالْقَتِيلِ ، فَيَقَالُ : أَقْدَتُهُ بِهِ .
 وَإِذَا آتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ بِمَكْرُوهَةٍ فَانْتَقَمَ مِنْهُ بِمَثْلِهَا ، قِيلَ : اسْتَقَادَهَا مِنْهُ ، وَهَذَا
 كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

* مَنْ ذَا يَعْصُ الْكَلْبَ إِنْ عَصَا *

ونقله أبو تمام فقال :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَاللَّدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
 فَازْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

٣ - اللُّؤْمُ دَاءٌ لَوْ بَرَّ يُقْتَلُونَ بِهِ لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدًا
 أَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ مَطَامِعَهُمُ الْخَسِيسَةَ تُرْدِيهِمْ ، وَإِسْفَانَهُمْ لَهَا يَعْرِضُهُمُ لِلْقَتْلِ

(١) تَرَجَّنَ هُنَا بِالرَّاءِ ، وَهِيَ تَطَابِقُ تَدَجَّنَ بِالضَّادِ وَزَنَّا وَمَعْنَى . وَالرَّجُونُ وَالِدُجُونُ :

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَبَرُّ بْنُ الْأَضْبَطِ : قَبِيلَةٌ مِنْ كِلَابٍ » .

ويهلكهم ، فقال : هذا داؤهم لا يُقتلون إلا به ، ولأنَّ حَيْنَ كُلِّ حَائِنٍ فيما يَغْلِبُ به وعليه . ويجوز أن يريد أنه لما تَرَفَّعَ القصاص عنهم عند وقوع الجرائم منهم ، كانت القِتْلَةُ الكريمة فيهم أزهد ، وعندهم أبعد ، ولا يموتون إلا بدائهم الذي هو اللؤم . والموت قد يُسمَّى قِتْلًا . وإنما أدخل هذه الأبيات في الباب لقوله « قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيَهُمْ أَمْنُوا » فلما ذَكَرَ من يجتهد في إدراك النَّارِ من جهته تيسر أو تعسر ، ذكر أيضا ما يضاعده ممن يُرْغَبُ عنه ويُرْهَدُ في النَّيلِ منه ، تَرَفُّعًا عن مكافأته . وهذا عادته في إتباع الشيء بضده ، فاعلمه .

٦٧

وقال آخر :

١ — أَلَا أَبْلَغَا خَلَّتِي رَاشِدًا وَصِنُوِي قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْ

قَدِيمًا ، انتَصَبَ على الظَّرْفِ لقوله خَلَّتِي . والمراد : أَلْبَلَغَا خَلِيلِي قَدِيمًا رَاشِدًا ، وَصِنُوِي إِذَا مَا انتَسَبَ . والصَّنَوَانِ : الفَرْعَانِ يَخْرُجَانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ . ويقال لِلْأَخَوَيْنِ هَا صَنَوَانِ ، تشبيهاً بذلك ، ولعمَّ الرجل صِنُوُ أَبِيهِ . ويقال صِنُوْ ، وَصِنَوَانِ فِي التَّثْنِيَةِ ، وَصِنَوَانِ فِي الْجَمْعِ ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ نَظِيرٌ إِلَّا قِنُوْ . فيقول : رَاشِدُ خَلِيلِي الْقَدِيمُ ، وَنَسِيبِي الْقَرِيبُ ، فَأَبْلَغَاهُ عَنِّي رِسَالَةً . وَفِي جَمْعِهِ بَيْنَ خَلَّتِي وَصِنُوِي ، وَتَأْخِيرِهِ قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْ ، مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ . رَحِمَهُ اللَّهُ ، مَنْ أَنَّ الْعَرَبَ تَلَفَّتِ الْخَبْرَيْنِ لَفًّا ، ثُمَّ تَرَمَّى بِتَفْسِيرِهِمَا جَمْلَةً ، ثَقَّةٌ بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّ إِلَى كُلِّ مَا لَهُ .

٢ — بَأَنَّ الدَّقِيقَ يَهْبِجُ الْجَلِيلَ وَأَنَّ الْعَمَّ زَبَرَ إِذَا شَاءَ ذَلْ

الباء دخل للتأكيد ، وموضع أن مفعول ثانٍ من أبلغا . فيقول : أبلغاهُ

أَنْ صَغِيرَ الْأُمُورِ يَجْنَى الْكَبِيرَ ، وَأَنْ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ مَتَى أَرَادَ عَادَ ذَلِيلًا ،
بَأَنْ يَعْدُوَ طَوْرَهُ ، وَيَشْتَغَلَ بِمَا لَا يَهْتُمُّ . ومثل هذا قولهم : « الشرُّ يبدؤهُ
صغاره » ، وقول شاعرهم ^(١) :

* الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتَيْتَةً ^(٢) *

وقول الآخر ^(٣) :

* كَمْ مَطَرٍ بَدَّؤُهُ مُطِيرٌ ^(٤) *

٣ - وَأَنْ الْحَزَامَةَ أَنْ تَصْرِفُوا إِحْيَى سِوَانَا صَدُورَ الْأَسَلِ :

هذا الكلام تحذيرٌ وإنذار . يقول : وأبلغاه أَنَّ الْحَزَمَ فِي صَرْفِ أَعْنَتِهِ
خِيَلَكُمْ إِلَى غَيْرِنَا ، فَإِنْ كُمْ لَا تَقُومُونَ لَنَا إِذَا هِيَ جَعْتُمُونَا ؛ وَالرَّأْيَ فِي أَنْ تَعْدِلُوا
بَصُورَ رِمَاحِكُمْ إِلَى طَعْنِ مَنْ سِوَانَا ، فَإِنْ كُمْ لَا تَكُونُونَ لِدِفَاعِنَا ، وَلِأَنَّ الْكُرَّةَ
لَا يُخْرِجُ مِنَّا إِلَّا إِبَاءً وَامْتِنَاعًا .

٤ - فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدَّتْنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فَخَلْ :

العرب تقول : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ » . ولذلك قال شاعرهم ^(٥) :

وإِنْ سَيَادَةُ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمَ لَهَا صُعْدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلٌ ^(٦)

(١) هو عمرو بن معديكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) عجزه : * تسمى بزيتها لكل جهول *

(٣) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٤) صدره : * رب قليل جنى كثيراً *

(٥) هو الأعلام الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٨٧) والبيان (١ : ٢٧٥) :

(٣/٣٥٢ : ٢١٨) .

(٦) صعداء ، كذا وردت في النسختين ، وكذا في أصل ديوان الهذليين نسخة الشنقيطي .
وشرح السكري لأشعار الهذليين ، ونسخة مكتبة فيض الله من البيان والتبيين . وضبط في
اللسان (صعد) بفتح الصاد وسكون العين ، وفسره فقال : « أَكَّةٌ صَعُودٌ وَذَاتُ صَعْدَاءِ »
يشدد صعودها على الراقى . وأما الصعداء بضم ففتح ، فهو التنفيس بتوَجُّعٍ ، وهو المشقة أيضاً .

فيقول : إن رُمْتَ سيادَتَنَا مِنْ وَجْهِهَا ، وبِالآلَاتِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي تَحْصِيلِهَا ،
 تَمَّ لَكَ ذَلِكَ ؛ وَإِنْ كُنْتَ لِلْكَبْرِ فَادْهَبْ فَاحْسِبْ أَنَّكَ سَيِّدٌ ، فَإِنَّكَ لَا تَكُونُ .
 هَذَا إِذَا رُوِيَ « فَخَلَّ » بفتح الخاء . وَإِنْ رُوِيَ « خُلَّ » بضمها فالمعنى :
 اذْهَبْ وَتَكَبَّرْ ، فَإِنَّا لَنْ نَفْقَدَكَ ، وَاسْتَعْمَلُ الْبَغْيِ وَالصَّلَفِ وَالْكَرْهَ
 لَا يَزِيدُنَا إِلَّا إِبَاءً عَلَيْكَ ، وَتَمَادِيًا فِي الْأَجَاجِ مَعَكَ . وَاتَّخَالَ : السَّكْبُ . وَاتَّخَالَ
 الرَّجُلُ فَهُوَ مُتَّخَالٌ وَخَالَ أَيْضًا . قَالَ الشَّاعِرُ :

* إِذَا تَجَرَّدَ لَا خَالَ وَلَا يَخْلُ *

وَيَقَالُ خَالَ يَخُولُ وَيَخَالُ خَوَلًا وَخَالًا ، وَفِي الظَّنِّ يُقَالُ خَالَ يَخَالُ
 لَا غَيْرَ . وَقَوْلُهُ « فَادْهَبْ » أَثَرٌ مِنْ قَوْلِكَ ذَهَبَ يَقُولُ كَذَا . وَعَلَى هَذَا
 قَوْلُ الشَّاعِرِ :

* فَادْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ ^(١) *

وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ لِلْغَرِيمِ : قُمْ فَاعْطِنِي حَقِّي . فَالْأَمْرُ فِي الْحَقِيقَةِ بِالْمَعْطِيَةِ لَا بِمَا
 سِوَاهُ . وَأَجْرِي تَجَرَّاهُ قَوْلُهُمْ : أَخَذَ يَتَمَسَّكَ بِكَذَا ، وَطَفِقَ يَتَحَدَّثُ بِكَذَا ،
 وَجَمَلَ يَشْتَمُنِي . وَخَرَجُوا فِي التَّوَشُّعِ إِلَى أَنْ قَالُوا : قَامَ يَهْزَأُ بِي ، وَقَعَدَ يَظُنُّ
 أَنَّهُ أَمِيرٌ ^(٢) . وَلَيْسَ الْقَصْدُ إِلَى فِعْلِهِ الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ ، وَلَكِنْ زِيَادَةُ كَالْتَّصَوِيرِ
 لِلْحَالِ وَالتَّأْكِيدِ لِلْقِصَّةِ .

(١) البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل . انظر الكتاب (١ : ٣٩٢)
 والخزانة (٢ : ٣٣٨) والإنصاف ٢٧٣ . وصدره :

* فالיום قربت تهجوناً وتشتبها *

(٢) م : « أمين » .

٦٨

وقال بعض بني أسد :

١ - كَلَّا أَخَوَيْنَا إِنْ يُرْعَ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِي جَامِلٍ دَثِرٌ وَجَمْعٌ عَرْمَرَمٍ

يقوله رجلٌ اقتتلَ فريقان من قومه على بئرٍ ، فيقول : كَلَّا صاحِبِينَا إِنْ يُفْرَعُ يَسْتَعِثُّ بِقَوْمِ ذَوِي عَدَدٍ وَعُدَّةٍ . وَالْجَامِلُ : الإِبِلُ ، وهو اسم صيغ للجمع . وَالدَثِرُ : الكثير . وَالْعَرْمَرَم : الجيش العظيم . وَعُرَامُ الْجِيْش : حُدُومُ وَكَثْرَتُهُمْ . وَاتَّصَب « ذَوِي » عَلَى الْحَال . وَالْجَزَاءُ مَعَ جَوَابِهِ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ ، وَهُوَ كَلَّا .

٢ - كَلَّا أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَانَهُمْ أَسْوَدُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَيْفَمٍ

يقول : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبِينَا مُؤَيَّدٌ بِرِجَالٍ كَانَهُمْ أَسْوَدُ هَذِهِ الْمَأْسَدَةِ ، مِنْ كُلِّ لَيْثٍ غَلِيظِ الْعُنُقِ ، شَدِيدٍ . وَضَيْفَمٌ : فَيَعْمَلُ مِنَ الضَّغَمِ ، وَهُوَ الْعَضُ . وَكَلَّا مُوَحَّدُ الْفِظِ ، مُوَضَّوعٌ لِلْمَثْنَى ؛ لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ هُنَا كُلُّ وَاحِدٍ .

٣ - فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَيْئِسًا وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِالْذَّمِّ

يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَصَالِحَةِ ، وَيَعْرِفُهُمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي مَاءٍ ، يَصِلُونَ إِلَيْهِ بِإِرَاقَةِ دِمَاءٍ ؛ وَيَزْهَدُهُمْ فِي خِصْبٍ وَنَعِيمٍ ، يَحْصُلُ عَنْ عَيْشِ بَيْئِسٍ ، فَيَقُولُ : لَيْسَ الصَّلَاحُ وَالنَّجَاحُ فِي أَنْ تَسْتَبْدِلُوا بِنَعِيمِكُمْ بُؤْسًا ، وَبِسَلَامَتِكُمْ هُلْكَاءً ، وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ . وَالبَيْئِسُ ، يَكُونُ مَضْذَرًّا كَالْبُؤْسِ ، وَيُوضَعُ فِي مَقَابِلَةِ النَّعِيمِ كَمَا فَعَلَهُ هَذَا ، وَيَكُونُ صِفَةً ، عَلَى هَذَا قَوْلُ الْهَذَلِيِّ (١) :

وَمَعِيَ لَبُؤْسٌ لِلْبَيْئِسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَهَةِ نِعَاجٍ مُجْفِلٍ
وَهُوَ الرَّجُلُ الشَّجَاعُ ذُو الْبَأْسِ .

(١) هُوَ أَبُو كَبِيرِ الْهَذَلِيِّ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ٩٨) .

٦٩

وقال حُرَيْثُ بْنُ عَتَّابٍ^(١) :

١ — تَعَالَوْا أَفَاخِرَكُمْ : أَعْيَا وَقَقْعَسٌ إِلَى الْمَجْدِ أَذْنَى أَمْ عَشِيرَةُ حَاتِمٍ
يقول : هَلُمُّوا أَنْفَرَكُمْ : أهؤلاء البطون أقرب إلى المجد أم رهط حاتم ؟
وبنو أعيا : من بني سعد بن قيس ، وبنو ققْعَس : حث من بني أسد . وروى
بعضهم : « أَعْيَارُ قَقْعَسٍ » ، يريد رؤساء قَقْعَس . ورغم أن أعيا لا يعرفه
اسم قبيلة ، وأن هذا تصحيف استدركه . فأما إنكاره لأعيا قبيلة فلا وجه له
لأن بني أعيا من قبائل سعد بن قيس ، وهو مشهور ذكره النسابون وغيرهم ،
وذهب بن أعيا بن طريف الأسدى ، معروف معدود في الأعلام . وأما من
طريق النظم فلأن تكون القبيلة مقابلةً بمثلها ، ومذكورة في المفارقة معها —
أحسن من أن يُقابل الأفراد بالقبيلة . و « أَعْيَارُ » إشارة إلى الأفراد ، لأنه
يراد بها الرؤساء . يقال : هو غير قومه ، أى سيدهم . هذا وقد رجعنا إلى نسخ
مختلفات المصادر ، فوجدناها متوافقة في تحملها « أَعْيَا وَقَقْعَس » . وإذا كان

(١) عتاب ، بالنون ، كما في م . قال ابن جني في المجهج . « اسم مرتجل غير منقول ...
وهذا أحد الأمثلة التي جاءت على فعال اسما لا صفة ، وهى الكلاء ، والجبان ، والفياد : ذكر
اليوم ، والجيار في الصدر وهو أيضاً الصاروج ، والمقار : أحد الأنثى ، وعتاب هذا الرجل
والخطار : دهن طيب . ويجوز أن يكون عتاب من العنب كعاب من التمر » . وحريث ، ذكره
الآدمي في المؤلف ١٦١ وقال أحد بني نهبان بن عمرو بن الغوث بن طيس . شاعر محسن
مكثر ، وهو القائل :

أترجو حسي أن تحيى صفارها بخير وقد أعيا حيا كبارها

فأخذه الفرزدق فقال :

أترجو كليب أن تحيى صفارها بخير وقد أعيا كليبا كبارها

وقال أبو محمد الأعرابي فيما نقله عنه التبريزي : « وهو في عصر عمر بن الخطاب وبعد
ذلك إلى زمن معاوية » .

كذلك لا يجوز العُدُولُ عَمَّا قاله الشَّاعِرُ إلى ما لم يقله . وقوله « أَعْيَا وَفَقَعَسْ » استفهام في الأصل نُقِلَ عن بابه ، والمعنى : أنافرکم بالقضية التي تكون نتيجة هذا الاستفهام ، وقوله « أَدْنَى إِلَى الْمَجْدِ » لم يُدْنَهُ وإن كان خَبَرًا عن اثنين ، لأنه اِفْعَلُ الذي يتم بِعَيْنٍ ، وقد دَخَلَ عليه الاستفهام ، فيجب أن يستوى فيه الواحد والاثنان ، والمذكَّر والمؤنث . وهذا الكلام لو أُنِيَ به على وجهه لكان : أم عَشِيرَةٌ حَاتِمٍ أَدْنَى إِلَى الْمَجْدِ مِنْهُمْ ، لكنه حَذَفَ إِذْ كان المراد مفهوما . وإنما جاء على حرف الاستفهام لِيُبَصَّرُوا ضَلَالَتَهُمْ . وفي طريقته بيت جرير : هَلُمُّوا نَحْنَا كَمَكُمُ فِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْغُرِّ مِنْ آلِ الْبِطَاحِ الْأَكْرَامِ والتقدير : أنافرکم أيهم أَتَجَدُّوْا عَرَفَ . وحَاتِمٌ المذكور هو حاتم بن عبد الله الطائي . و« تَعَالَى » كان يقوله من هو في رَابِيعَةٍ لِمُسْتَقْلٍ ، لأنه تفاعل من الْعُلُوِّ ، فكثُر استعماله حتَّى جرى مجرى هَلُمُّ ، فصار الْمُسْتَقْلُ يقوله عند الدُّعَاءِ الْمُسْتَعْلَى .

٢ - إلى حَكَمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فَيَصِلُ وَمِنْ آخَرٍ حَيٍّ رِبِيعَةَ عَالَمٍ قيل : أراد بأحد الحكمين عامر بن الظَّرب^(١) وبالأخر دَغَفَلًا النَّسَابَةَ . والفَيْصَلُ : الذي يَفْصِلُ الْأُمُورَ ، واليَاءُ دَخَلَتْهُ لَتَلْحَقَهُ بِنَاءُ جَعْفَرٍ ، كما أَنَّ الضَّيْفَ قِيْعَلٌ مِنَ الضَّغَمِ ، والْبِنَاءُ انِ بِمَحْصُولِ الْيَاءِ فِيهِمَا صَارَا صِفَتَيْنِ بعد أن كانا مصدرين ، لأنَّ فَصْلًا مِنْ دُونَ الْيَاءِ مَصْدَرُ فَصْلٍ ، كما أَنَّ ضَغَمًا مِنْ دُونَ الْيَاءِ

(١) التبريزي : « وقال النمرى : الحكم من قيس عيلان عامر بن الظرب العدواني ، والآخر الذي هو من حي ربيعة دغفل . وحي ربيعة : بكر وتغلب ، ورجل واحد لا يكن من حين ، وإنما يريد من أحد حبي ربيعة » . وقال أبو محمد الأعرابي مترصاً على ذلك : « كيف يكون الحكم من قيس عيلان هاهنا عامر بن الظرب ، وهو قبل الإسلام بمثابة عام ، ومتى لحقه حريث بن عتاب وهو في عصر عمر بن الخطاب وبعد ذلك إلى زمن معاوية ؟ ! وإنما عني بالحكم من قيس عيلان هرم بن قطبة بن سيار بن عمرو الفزاري . والحكم من حي ربيعة دغفلا النسابة . وحي ربيعة : ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وذهل بن ثعلبة ، وهو عم ذهل بن شيبان ، وعم الجل أبوه » .

مصدر ضَغَمَ ، فلمَّا حَصَلَ الياءُ فِيهِمَا وُصِفَ بِهِمَا وَأَفَادَا مِبَالِغَةً فِي الْمَعْنَى . أَلَا تَرَى
أَنْ فَيَصَلَّا يُفِيدَ مَا لَا يُفِيدُهُ فَاصِلٌ ، وَكَذَلِكَ ضَيَّغُمْ يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُ ضَاغِمٌ ، فَاعْلَمْهُ .

٣ - ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مِثْلُكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَى عَنْكُمْ بِبَيْضِ صَوَارِمٍ
قَامَ لَهُ بِمَعْنَى تَقَوَّمَ وَتَرَكَ الْخِلَافَ ، وَقَامَ عَلَيْهِ بِمَعْنَى دَاوَمَ وَلَا زَمَ . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . يَقُولُ : قَدْ عَنَّاكُمْ ^(١) بِالْمَكْرُوهِ ، حَتَّى إِذَا بَانَ لَنَا
قَيْنَتُكُمْ وَاسْتَقَامَتُكُمْ ، حِينَئِذٍ ذَبَبْنَا الْأَعْدَاءَ عَنْكُمْ بِسُيُوفٍ قَوَاطِعٍ . وَالْمَعْنَى :
نَعَامَلُكُمْ بِمَعَامِلَةِ الْأَعْدَاءِ ، فَإِذَا اسْتَقَمَّتْ لَنَا وَذَهَبَ الْخِلَافُ عَنْكُمْ ، ضَمَمْنَاكُمْ إِلَى
أَنْفُسِنَا ، وَحَمَيْنَا عَلَيْكُمْ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ .

٤ - فَخَلُّوْا أَبَا كِنَافٍ وَأَكْنَافَ مَفْشَرِي أَكُنْ حِرْزَكُمْ فِي الْمَاقِطِ الْمُتَلَاخِمِ
فِي جَمْعِهِ لِلْأَكْنَافِ ظُهُورُ تَجَبُّرٍ فِيهِمْ ، وَأَخْذٌ بِالْعَمَلِ عَلَيْهِمْ . يَقُولُ : انْزِلُوا
بِجَنَابِي وَجَنَابِ عَشِيرَتِي ، وَتَحَصَّنُوا بِفَنَائِي وَفَنَاءِ قَوْمِي أَكُنْ كَهَفَكُمْ فِي
الْمُضِيقِ مِنَ الْحَرْبِ الْمُتَلَاخِمِ . وَالْمُتَلَاخِمِ ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَحْجَامِ ، لِأَنَّ
كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مُتَابِعًا ثُمَّ تَلَازَمَ ^(٢) يُقَالُ فِيهِ : التَّحَمَّ وَتَلَاخَمَ ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ مِنَ اللَّحْمَةِ ، لِأَنَّ أَهْلَهَا يَتَلَاخِمُونَ فِيهَا . يَقَالُ : لَحْمَتُهُ فَهُوَ لَحِيمٌ ، أَيْ
قَتَلْتُهُ . قَالَ الْهَذَلِيُّ ^(٣) :

* فَلَا رَيْبَ أَنْ قَدْ كَانَ نَمَّ لَحِيمٌ ^(٤) *

٥ - فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أَضِيفَكُمْ إِلَيَّ وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمٍ

(١) م : « فرعناكم » ، أى علوناكم .

(٢) كذا في الأصل ، وفي م : « تلان من » ، والأخيرة محرفة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٢٣٢) واللسان (حصر ،

لحم) ومقاييس اللغة (ريب ، لحم) .

(٤) صدره : * فقالوا تركنا القوم قد حصروا به *

نَبَهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى اسْتِعْلَانِهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهُمْ
كَالْحَوْلِ وَالتَّبَعِ ، وَأَنَّ الْأَسْلَافَ كَانَتْ تُوصِي الْأَخْلَافَ بِهِمْ لَتَطَاوُلَ أَيَّامُهُمْ
فِي جَنَّتِهِمْ ، وَاسْتِنَافَ الْعَنَاءِ بِهِمْ مِنْ مَاضِيهِمْ وَغَايِرِهِمْ .

٧٠

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ كَنْيَفٍ النَّبْهَانِيُّ: (١)

١ - تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَرِّ أَجَلٌ وَلَيْسَ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ (٢)

الخطاب بهذا الكلام للنفس على طريق القسسية ، فيقول : تصَبَّرْ فَإِنَّ
الصَّبْرَ بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ أَحْسَنُ مِنَ التَّخَشُّعِ فِيمَا لَا يَحْسُنُ الْخُلُوعُ فِيهِ وَلَهُ .
وَالْأَصْلُ فِي الصَّبْرِ الْحَبْسُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : قَتَلَ فُلَانٌ صَبْرًا . وَقَوْلُهُ « وَلَيْسَ عَلَى
رَبِّ الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ » ، يَرِيدُ بِهِ أَنَّ الْأَحْدَاثَ لَا تَقِفُ عَلَى شَيْءٍ بِحُكْمٍ وَاحِدٍ ،
وَلَكِنَّهَا تَتَفَقَّلُ وَتَتَبَدَّلُ ، فَلَا مُمْتَكِلَ عَلَيْهَا ، وَلَا مُعْتَمِدَ عَلَى عَهْدِهَا ، فَهِيَ كَمَا
تُحْسِنُ تُسِيءُ ، وَكَمَا تُدَوِّي تَدَاوِي ، وَكَمَا تَجْمَعُ تُفَرِّقُ . وَقَوْلُهُ « تَعَزَّ » هُوَ
مِنْ عَزَّ الرَّجُلُ وَعَزَى الرَّجُلُ ، إِذَا صَبَرَ عَزَاءً ، وَرَجُلٌ عَزَى أَيُّ صَبُورٍ . وَفِي
بِنَاءِ تَفَقَّلَ زِيَادَةُ تَكَلَّفَ ، وَدَلَالَةُ عَلَى فِرَطِ تَعَمَّلٍ . وَالْمُعَوَّلُ : الْمَحْمَلُ وَالْمُتَّكِلُ .

(١) قَالَ الْبَكْرِيُّ فِي اللَّكَلِ ٣٠٤ : « شَاعِرٌ إِسْلَامِي » .

(٢) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ آيَاتٌ ثَلَاثَةٌ وَهِيَ :

فَلَوْ كَانَ يُبْغِي أَنْ يَرَى الْمَرْءُ جَازِعًا لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُبْغِي التَّدَاخُلَ
لِكَانِ التَّعَزَّى عِنْدَ كُلِّ مَصِيبَةٍ وَنَائِبَةٍ بِالْحَسْرِ أَوَّلَتِي وَأَجَلُ
فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَعْدُو خَاسَةً وَمَا لِمَرِيٍّ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْخَلُ

وَالْحَرَّ أَصْلُهُ الْأَعْتَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَالْأَكْرَمُ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَا بَدَا مِنَ الْوَجْهِ
فِي اللَّقَاءِ : حُرُّ الْوَجْهِ . قَالَ الشَّاعِرُ (١) :

* لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسْهِرَ (٢) *

٢ - فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ يَوْمِي وَنُعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ

قوله « والحوادث تفعل » يسمى اعتراضاً ، ومثل هذا من الاعتراض يزيد
القصة تأكيذاً ، وهو هنا حائل بين الجزاء وجوابه ، لأن جواب إن تكن
قوله « فَمَا لَيِّنْتَ مِنَّا قَنَاطَةَ صَلِيبَةٍ » وحسن الكلام به جداً إذ كان تأكيذاً لما
يقتضيه من تحوّل الأحوال ، وتحقيقاً لما شكاه من ريب الزمان ، وبعثاً على
الدسلي ، وأخذ النفس بالتأسي . فيقول : إن كانت الأيام دارت فينا بالنعماء مَرَّةً
وبالأساء أخرى — وهذا عادة الدهر وحوادثه — فما غيّرت منا شيئاً .

٣ - فَمَا لَيِّنْتَ مِنَّا قَنَاطَةَ صَلِيبَةٍ وَلَا ذَلَّلْتَنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمَلُ (٣)

ذِكْرُ الْقَنَاطَةِ مَثَلٌ ، وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي مِثْلِهِ . وَأَبِينَ مَا يُسْتَشْهَدُ بِهِ فِي
اسْتِعَارَتِهَا لِلْإِبَاءِ وَالتَّشْدُّدِ قَوْلُهُ :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِعَاصِي فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِنْسَاءُ (٤)
وهذا البيت بيان لفائدة الصبر الذي دعاه إليه ، وبعث نفسه عليه ، لأن

(١) هو عامر بن الطفيل . ديوانه ١١٩ والشعر والشعراء ٢٩٣ .

(٢) صدره : * لعمري وما عمري على بهين *

(٣) التبريزي : « لتي ليس تجمل » .

(٤) في الكامل ١٢٥ ليسك : « وقال بعض شعراء الجاهلية » . والبيت مع قرين له

في الكامل وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) . ونسباً في زهر الآداب (١ : ٢٠١) إلى

عمرو بن قميئة .

الصابر على الشدائد حَقِيقٌ بِالْأَلَّا يَتَذَلَّلُ لِمَا لَا يَحْسُنُ بِهِ ، وَلَا تَجْمُلُ الْأَحْدُوثُ فِيهِ عَنْهُ ، وَالْأَلَّا يَتَلَيَّنْ لِمَا كَانَ يَتَصَلَّبُ لَهُ مِنْ قَبْلُ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِذَا كَانَ غَايَةَ الصَّبْرِ وَمَعْنَاهُ هَذَا ، فَإِلَى أَىِّ شَيْءٍ دَعَا نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ : تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ ؟ وَقَدْ خَبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ أَخَذَ بِمَا هُوَ حَقِيقَتُهُ ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى « تَعَزَّ » دُمٌّ عَلَى التَّمَرُّيِّ ، وَيَكُونُ بِنَاءُ الْأَمْرِ لِمَا هُوَ الْحَالُ ، وَلَا يَرِيدُ اسْتِثْنَاءَهُ ، كَمَا أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ مَعْنَاهُ دُومُوا عَلَى الْإِيمَانِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُ نَفْسِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِمَا كَانَ عَادَتُهُمْ فِي الْمُسْتَقْدَمِ .

٤- وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيَةً تَحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ^(١)

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى رَحَلْنَاهَا رَحَلْنَا لَهَا نَفُوسًا ، وَالضَّمِيرُ لِلْحَوَادِثِ ، وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِهِمْ كَلْتُكَ وَكَلْتُ لَكَ ، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لَكَ ، وَيَكُونُ نَفُوسًا مَفْعُولًا لِرَحَلْنَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ أَعْنَى ضَمِيرِ الْمَنْصُوبِ فِي « رَحَلْنَاهَا » لِلنَّفُوسِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا . وَأَنَّى بِالضَّمِيرِ قَبْلَ الذِّكْرِ ، ثُمَّ جَعَلَ قَوْلَهُ نَفُوسًا بَدَلًا مِنْهَا ، عَلَى طَرِيقِ التَّبْيِينِ . وَقَوْلُهُ « وَلَكِنْ » حَرَفٌ يُسْتَدْرَكُ بِهَا بَعْدَ النَّفْيِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى مَا تَذَلَّلْنَا لِلنَّوَائِبِ ، وَلَكِنْ هَيَّأْنَا لَهَا نَفُوسًا تَأْتَفُ مِنَ الرِّضَا بِالذَّنْبِ ، فَلَا تَنْسَى كَرَمَهَا ، وَتُكَلِّفُ أُمُورًا لَا تَنْهَضُ بِهَا فَتُكَلِّفُهَا . وَفِي وَصْفِ النَّفُوسِ بِالكَرَمِ إِشَارَةٌ إِلَى الظَّلْفِ وَالْعَقَّةِ ، وَالتَّائِبِ مِنَ الْمُخْزِيَةِ ، وَمَجَانِبَةِ الرِّبَاةِ ، وَالْفُجُورِ مِنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ

(١) بعده عند التبريزي :

وَقَمِينَا يَسْحَرُنُ الصَّبْرَ مِنَّا نَفُوسَنَا فَصَحَّحَتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هُزُلًا

وَجَلَّ فِي صِفَةِ الْمُخْتَارِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمَزْكِينِ ^(١) : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا سَمُرُوا بِاللَّغْوِ سَمُرُوا كِرَامًا﴾ . فَأَمَّا قَوْلُهُ «رَحَلْنَاهَا» فِي الْإِسْتِمَارَةِ ، فَكَمَا يُقَالُ اسْتَحْمَلْتُ فَلَانًا نَفْسِي ، وَرَكِبْتَنِي ظُلَامَاتٌ وَمَا أَشْبَهَهَا . وَحُكِيَ : هُوَ يَرْحَلُهُ بِمَا يَكْرَهُهُ ، أَيْ يَرْكَبُهُ ؛ وَلَا رَحَلْتُكَ بِالسِّيفِ ، أَيْ لَا عَلَوْتُكَ .

٧١

وَقَالَ آخَرُ :

١- وَكَمْ دِهْمَتْنِي مِنْ خُطُوبٍ مُلِمَّةٍ صَبَرْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ

يقول : مراراً كثيرة فاجأتني خطوبٌ شديدةٌ ، ونزلت بي ، فحبست نفسي عليها ، وتجلدت لها ، فلم يظهر في مناظري خُشوعٌ ، ولا بدا في جوارحي خُضوع . وموضعُ كم على هذا التأويل ظَرْفٌ . « وَمِنْ » على طريقة الأخفش تكون زائدة ، لأنه يجوز زيادة « مِنْ » في الواجب ، ويستدل من المسموع بقول بعضهم : « قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ فَخَلَّ عَنِّي » وبغيره . فكأنه قال : كم مرة دِهْمَتْنِي خطوبٌ كثيرة . ويكون قوله صَبَرْتُ عَلَيْهَا صفةً للخطوب . ويجوز أن يكون كم في موضع الابتداء ، ومن خطوبٍ هو بيان له ، وقد فصل بينهما بـ « وَ » وهو دِهْمَتْنِي ، وتقديره كم من خطوبٍ دِهْمَتْنِي ، أي كثير من الخطوب . فأما فائدة العطف بـ « ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ » فهو إبانة الاستمرار في الصبر ، وإن طالت المُهْلَةُ إِلَى أَنْ انْكَشَفَتْ تِلْكَ اللَّعَاتِ الْعَارِضَةُ وَانْفَرَجَتْ . ومعنى دِهْمَتْنِي : فاجأتني ، ومنه الدَّهْمُ وَدِهْمَاءُ النَّاسِ .

٢- فَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي وَالَّذِي قَدْ فَعَلْتُمْ قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِكُمْ لَمْ تَقْطَعْ

(١) المزكين ، كذا ضبطت بكسر الكاف في النسختين ، أي الذين زكوا أنفسهم . وفي كتاب الله : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاها » .

يقول : أَصَبْتُ مَا طَلَبْتُهُ ، وَتَقَاضَيْتُ بِهِ مَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ ثَارٌ أَوْ وَثَرٌ ،
فَاسْتَنْزَلْتَهُ عَنْهُ ، وَمَا فَعَلْتُمْ مِنَ الْقُعُودِ عَنْ نُصْرَتِي ، وَخِذْلَانِي فِيمَا نَابَنِي أَرْزَمَكُمْ ،
فَكَأَنَّهَا قَلَانِدٌ وَأَطَوَاقٌ لَا تَنْحَلُّ عَنْكُمْ وَلَا تَنْقَطِعُ . وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلزُّومِ الْعَارِ
لَهُمْ فِيمَا أَتَوْا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَشَرٍ :

* وَقَلَّدَهَا طَوَاقَ الْحَمَامَةِ جَعْفَرُ *

يَصِفُ غَدْرَةَ ارْتَكَبُوهَا . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا
بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

٧٢

وَقَالَ عُوَيْفُ الْقَوَافِي (١) :

١ - ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادٌ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعُودُ (٢)

يقول : طَارَ النَّوْمُ فَلَا يُعْرِفُ لَهُ أَثَرٌ ، مِمَّا ذَهَبَ وَحَزَبَكَ ، وَنَامَ الَّذِينَ كَانُوا

(١) عُوَيْفُ الْقَوَافِي الْفَزَارِيُّ ، وَهُوَ عُوَيْفُ بْنُ مَعَارِيَةَ بْنِ عَتِيْبَةَ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ ، سَمِيَ
عُوَيْفَ الْقَوَافِي لِابْنَتِهِ ، وَهُوَ :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنِّي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِي

وَهُوَ شَاعِرٌ مَقْلٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، مَدِيحُ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ ابْنَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَمْرُو
ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . الْبَيَانُ (١ : ٣٧٤) وَمَعْجَمُ الْمَرْزُبَانِيِّ ٢٧٧ - ٢٧٨ وَالْأَغَانِي (١٧ : ١٠٥)
وَالْإِسْتِشْقَاقُ ١٧٣ .

قَالَ أَبُو رِيَّاشٍ : « وَكَانَتْ أُخْتُهُ عِنْدَ عَيْبَةِ بْنِ أَسْمَاءَ فَطَلَّقَهَا ، فَكَانَ مَرَاغِمَا لِعَيْبَةِ وَقَالَ :
الْحُرَّةُ تَطْلُقُ لِغَيْرِ بَأْسٍ ! فَلَمَّا أَخَذَ الْحِجَاجَ عَيْبَةُ فَحَبَسَهُ قَالَ عُوَيْفُ هَذَا الشَّعْرُ » .

(٢) رَوَى التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ :

خَيْرٌ أَنَانِي عَنْ عَيْبَةَ مَوْجِسٌ كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ
بَلَسَغَ النَّفْسُ بِلَاؤُهُ فَكَأَنَّهَا مَوْتَسَى وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ
يَسْرَجُونَ عَثْرَةَ جَدَّنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ لَا يَسْدِفُونَ بِنَا الْمَكَارِيهَ بَادُوا

يعودونك ولم يسهروا لك . وللعنى : إني اختصصتُ فيك بما عرى منه عوادك ، وتحملت من الجزع ما سقط عنهم وخفَّ عليهم . والرقاد والرُقود : النوم بالليل ، وعرف الأول تعريف الجنس ، ونكر الثاني لأنه أراد نوعاً من الجنس ، كأن المراد : ذهب النوم على اختلافه حتى ما يرى لنوعٍ منه مختصٌّ أثرٌ .

٢ - لَمَّا أَتَانِي عَنْ عِيْدَةِ أَنَّهُ أَمَسَتْ عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الْأَفْيَادُ^(١)

قوله « لَمَّا أَتَانِي » ظرف لقوله « نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي » لأنَّ لَمَّا إذا وليه الفعل الماضي ، كان علماً للظرف ، وفُسرَ بحين . والمعنى : حين تساقط إلى عن هذا الرجل وتأدى أنه أُسِرَ وَقِيدَ بِقَيْدٍ بَعْدَ قَيْدٍ ، فَارَقَنِي مَا كُنْتُ أَخَامِرُهُ وأنطوى عليه من التذكر له ، وأزلتُ عن نفسي ما استجفيتها فيه ، لأنَّ الكريم يرقُّ لمثله من الكرام عند النوازل . ومعنى التظاهر : أن يصير الشيء فوق الشيء فيَقْوَى . ويقال : ظاهر بين ثوبين ، إذ لبس أحدهما فوق الآخر . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ معناه تعاونا ، ومنه قولهم : هو ظَهَرَ ظَهْرٌ ، أى قوَّى في الاستغاثة .

٣ - نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذَهَبُ الْأَحْقَادُ

يقول : أَصَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ نَفْسِي لَهُ النَّصِيحَ ، لأنَّ الضغائن تُفَارِقُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ . وهذا الكلام هو بيان علة مفارقة ضغنه ورجوعه إلى سلامة الصدر له . وقد ذكر فيما بعده ما يدلُّ على حسن الإنصاف من النفس ، والاعتراف بالفضل للغير . ويجوز أن يُرْوَى « أَنَّهُ » بفتح الهمزة ، والمعنى لأنه عند الشَّدَائِدِ . وإذا رُوِيَ بالكسر يكون على الاستئناف .

(١) التبريزي : « أسمى عليه » .

٤ - وَذَكَرْتُ أَيُّ فَنَى يَسُدُّ مَكَانَهُ بِالرَّفْدِ حِينَ تَقْصُرُ الْأَرْفَادُ

مصدر ذكرْتُ في هذا الذكر بضم الذال ، لأنه بالقلب . وقوله « بالرفد » ، يريد ببذل الرفد ، فحذف المضاف . يقول : أَجَلْتُ في فِكْرِي ، وَقُلْتُ في حَدِيثِ نَفْسِي : لو خَلَى مَكَانَهُ مَنْ كَانَ يَسُدُّ مَسَدَّهُ ، وَمَنْ يُعْطَى عَطَاءَهُ عِنْدَ تَقْصُرِ الْعَطَايَا وَتَرَاوُجِ الْعَوْنَاتِ . وهذا إشارة إلى زَمَانِ الْجَذْبِ وَالْقَحْطِ وَقَتِ تَنَافُسِ النَّاسِ فِي التَّمَلُّكَاتِ ، والدَّفْعِ عَنْهَا بِأَعْدَادِ الْعِلَالَتِ . والمعنى : إِنِّ مِثْلَهُ لَا يُوجَدُ وَلَا يُظَفَّرُ بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فإذا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَسْمَحُ الْمُنْصِفُ بِهِ لِدَهْرِهِ ، أَوْ كَيْفَ يَنْطَوِي الصَّدْرُ عَلَى الشَّلْوِ عَنْهُ وَالْخُلُوُّ مِنْهُ ، مع شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَيَقَالُ : رَفَدْتُ الرَّجُلَ رَفْدًا إِذَا أُعْطِيَتْهُ ، ثُمَّ سَيَّى الْعَطِيَّةُ رَفْدًا بِكَسْرِ الرَّاءِ ، وَجَمْعُهُ الْأَرْفَادُ . وَأَرْفَدْتُهُ مَحْكِيًّا لَكِنِّهِ لَيْسَ بِالْمُتَخَيَّرِ . وَتَقْصُرُ ، أَصْلُهُ تَقْصَرُ فَيُحْذَفُ إِحْدَى التَّائِينَ تَحْقِيقًا ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ بِإِضَافَةِ حِينَ إِلَيْهِ .

٥ - أَمْ مَنْ يُهَيِّنُ لَنَا كِرَائِمَ مَالِهِ وَلَنَا إِذَا عُدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

أَمْ هَذِهِ هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ ، وَالِاسْتِفْهَامُ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ عَلَى طَرِيقِ التَّوَجُّعِ وَالتَّهَلُّفِ لِمَا جَرَى عَلَى عُيَيْنِهِ الْمَذْكُورِ . وَلِلْمَعْنَى : لو فَقَدْنَاهُ مَنْ كَانَ يَبْذُلُ لَنَا عِقَائِلَ أَمْوَالِهِ ، وَمَتَى شِئْنَا وَجَدْنَا عَنْدهُ مَعَادًا فَلَا يَمَلُّ الشُّوَالُ ، وَلَا يُغِيبُ النَّوَالُ ؛ وَهَذَا الْكَلَامُ تَنْبِيهٌُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُدِيمُ الْإِحْسَانَ ، وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ يَوْمِهِ دُونَ عَطَاءِ غَدِهِ . وَقَوْلُهُ « كِرَائِمَ مَالِهِ » ، جَمْعُ كَرِيمَةٍ ، وَقَدْ أُجْرِيَ تَجْرِي الْأَسْمَاءِ حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « إِذَا جَاءَكَ كَرِيمَةٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمْهُمْ ^(١) » .

(١) قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي إِكْرَامِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ فَبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ . اللَّسَانُ (كَرَم) .

٧٣

وقال بشر بن المغيرة^(١) :

١ - جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمَغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأُمْسَى يَزِيدُ لِي قَدْ أَزَوَّرَ جَانِبُهُ^(٢)

أراد بالأمير المهلب بن أبي صفرة . والمغيرة أخوه ، ويزيد ابنه . وقائل هذا الشعر بشر بن المغيرة ، وهو أحد الفرسان المشتهرين^(٣) ، فيقول : جفاني عمي المهلب ، وأبي المغيرة ، وصار يزيد ابن عمي لاقتدائه بهم منحرفاً عني ، غير مائل إلي . والازورار : الانحراف ، وهو من الزور : نَتَوَّ أَحَدَ شِقِّ الصِّدْرِ وَاطْمَنَّانِ الْآخِرِ : ويقال رَجُلٌ أَزَوَّرُ ، واسرأة زوراء .

٢ - وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شَبْعًا لِبَطْنِهِ وَشَبْعُ الْفَتَى لَوْمْ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ

أراد بالكلّ الاتحاد لا الجميع . يقول : كل واحد منهم قد نال من الدنيا وأعراضها قدر ما يشبعه ويمكنه الاكتفاء به ، ثم قال : وشبّع الإنسان لؤم إذا لم يُشرك صاحبه فيه فبقى جائعاً . أي هو كذلك في ذلك الوقت ، وعلى تلك الحالة . والشبّع لا يكون لؤماً ، لكنّ التفرد به من دون ذويه على حاجة منهم إليه يكونه^(٤) ، فرمى بالكلام على ما ترمى لأنّ المراد منه مفهوم . والفرق بين الشبّع والشبّع ، أن الشبّع بسكون الباء : القدر الذي يُشبع ، والشبّع بفتح الباء :

(١) قال التبريزي : « ويروى أن اسمه كان بَسْرًا » . وقال أيضاً : « وكان بشر بن المغيرة بخراسان مع المهلب فلم يوله شيئاً » .

(٢) يزيد ، ضبطت في الأصل بضمّتين في أعلى الدال وضمّة في وسطها لتقرأ بالصرف وعدمه ، وذلك مع كلمة « معا » فوق الضمتين .

(٣) م : « المشهورين » .

(٤) أي يكون لؤماً .

الامتلاء من الطعام ، وقد استعمل الشَّبْع في غير الطعام فيقال : أَشْبَعْتُ النُّوبَ صِبْغًا ، وكذلك في كُلِّ ما وَفَّرْتَهُ من القول وغيره ، حَتَّى قيل تَشْبَع الرُّجُلُ ، إِذَا تَكَثَّرَ .

٣ — فَيَا عَمَّ مَهْلًا وَاتَّخِذْنِي انْوَبَةً تَلِمُ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ نَوَائِبُهُ^(١)

قوله « مَهْلًا » معناه رِفْقًا ودَعِ العَجَلَةَ . ويَحْرَكُ الهاء منه فيقال انت كذا على مَهَلٍ وَمَهْلٍ جميعًا . ويقال : ما بى عن كذا مَهْلٌ ، أى إِنِّى فيه مستعجل . وفى هذا بعض التَّوَعُّدِ والتَّطَنُّزِ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ أَنَّهُ يَسْتَعِظُ الْمُهْلَبُ وَيُعْرِفُهُ أَنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ وَذُو أَلْوَانٍ فَلَا يُؤْمَنُ بِوَائِقِهِ ؛ وَأَنَّهُ قَدْ يُحْتَاجُ إِلَى الْمُسْتَعْنَى عَنْهُ لِحَادِثَةٍ تَحْدُثُ . فيقول : ادْخُرْنِي لِنَوْبَةٍ تَنْزِلُ ، وهى المصيبة أو النَّكْبَةُ ، وَلَا تَطَّرَحْنِي اغْتِرَارًا بِالْأَمْنِ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ كَثِيرُ النَوَائِبِ ، وَشَيْكَ التَّحَوُّلِ . وقوله « يَاعَمَّ » حَذَفَ الْيَاءَ مِنْهُ لَوُقُوعِهِ مَوْقِعَ مَا يُحْذَفُ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَهُوَ التَّنْوِينُ ، وَلِأَنَّ بَابَ النَّدَاءِ بَابُ إِيجَازٍ ، وَلِأَنَّ الْكُسْرَةَ تَدُلُّ عَلَيْهِ .

٤ — أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

يُفَضِّلُ نَفْسَهُ فِي نَفَازِهِ فِي الْأُمُورِ وَمِثْلَهُ ، عَلَى السَّيْفِ ؛ فَقَالَ أَوَّلًا : أَنَا السَّيْفُ ، أَى أَشْبَهُهُ ، ثُمَّ تَلَا فَيَقَالُ : إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ رُبَّمَا نَبَا عَنْ الضَّرْبِ وَكَتَبَا ، وَمِثْلِي لَا تَسْكُلُ وَلَا تَنْبُو حُدُودُهُ عَنْ شَيْءٍ تُتْلَا فِيهِ . وفى هذه الطريقة قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا
والمضاربُ : جمع مَضْرِبٍ ، وهو الموضع الذى يُضْرَبُ بِهِ من السيف .

(١) التبريزى : « جم عجائبه » .

٧٤

وقال بعض بنى ققمس ^(١) :

١- يَأْيُهَا الرَّاَكِبَانِ السَّائِرَانِ مَعَا قُولَا لِسِنْبِسَ فَلْتَنْقُطُ قَوَافِيهَا

الراكب : اسم لمن ركب حيواناً إلا الفرس ، فإنه يقال لراكبه فارس متى أطلق . ومعاً ، انتصب على الحال ، ومعناه مُصْطَحِبِينَ ومجتمعين . فيقول : يَأْيُهَا السَّائِرَانِ المصطحبان ، قولاً لهذه القبيلة لتترك قول الشعر ، أو تتوقف قليلاً حتى تتباطأ قوافيها عني ^(٢) . وفي هذا الكلام ضَرْبٌ من الاستهزاء بهم ، وإشارة إلى التجبر والتعالي عليهم . والقَطُوفُ من الدَوَابِّ : الذى فى خطوه بَطْءٌ مع تقارب . وجعلَ فَمَلَ الأمرِ للقوافى على السَّعة والجَاز . وسِنْبِسُ هم المأمورون . وهذا كما يقال فى النهى : لَا أَرَبَّكَ هَاهُنَا ، والمحاطَبُ هو المفهَى ، لأنَّ المعنى : لَا تَكُنْ هَاهُنَا فَأَرَاكَ . ثم يَبَيِّنُ هذا الشاعرُ الوجهَ الذى أوجب منه أطراح الافتخار ورفض الهجاء له ، فقال :

٢- إِنِّي أَمْرُوهُ مُكْرِمٌ نَفْسِي وَمُتَّئِدٌ مِنْ أَنْ أَقَاذِعَهَا حَتَّى أَجَازِيهَا

يقول : إِنِّي رَجُلٌ أَرْبَأُ بِقُدْرِي عَنْ مَكَائِلَتِهِمْ ، وَأَتَرَفَّعُ عَنْ مُوَازَتِهِمْ ، وَأَتَوَقَّفُ عَنْ مُلَاحَظَتِهِمْ ، طَلَبًا لِمَجَازَاتِهِمْ . والتقدير : لَا أَقَاذِعُهَا لِكَيْ أَجَازِيَهَا ، لِأَنَّ حَتَّى الدَاخِلَةَ عَلَى الْفِعْلِ مَرَّةً يَكُونُ بِمَعْنَى كَثْرَةٍ ، وَمَرَّةً يَكُونُ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ .

(١) التبريزي : « قال بعض بنى عبد شمس من ققمس » .

(٢) جعل « تنقطف » هنا من القطاف وهو بطء الدابة . وأما أبو ريش فجعلها من قطف الثمرة بمعنى قطعها ، أى لتدع قول الشعر فيما بيننا وبينها . وأما النمرى ففسرها من القطف : جنى الثمرة ، أى إن فعلنا بهم شراً فهو جناية قوافيهم عليها . وهذا القول الأخير حسن جداً ، إلا أن ما بعده يدل على أنهم لم يجازوهم بعد ، لقواه : إِنِّي أَمْرُوهُ مُكْرِمٌ نَفْسِي وَمُتَّئِدٌ . وعلى هذين المعنيين تكون « تنقطف » متعدية . وعلى ما فسرهُ المرزوقي تكون لازمة .

ويجوز أن يكون المعنى : لا أقادِعُها إلى أن أجازيها ، أى أولاً أجازيها فعلاً لأرى القدرة عليها ، ثم حينئذ أجازيها بالكلام . والأول أحسن . ثم أخذ يقتصّ ما كان منهم لما طلب مكافأتهم بالفعل . والمقازعة : المفاحشة . ويقال قدَعْتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْفُحْشِ . ومَتَّئِدٌ : مُفْتَعِلٌ مِنَ التُّؤَدَةِ ، وهى الرُّفُق .

٣ - لَمَّا رَأَوْهَا مِنَ الْأَجْزَاعِ طَالِعَةً شُعْمًا فَوَارِسُهَا شُعْمًا نَوَاصِيهَا

يقول لَمَّا رَأَوْا الخيلَ بارزةً لهم ومفاجئةً إليهم من أجزاء الوادى - وهى جوانبها - مُغْبِرَةً النَّوَاصِي مغبرةً الفرسان . وجواب لَمَّا فيما بعده . ويقال شَعِثَ شُعْمًا وشُعُوتهً ، وهو أَشَعَثُ وشَعِثَ . وأَضْمَرَ الخيل فى قوله « لَمَّا رَأَوْهَا » وإن لم يَجْرَ لها ذِكْرٌ ، لأن الحالة الحاضرة تدلُّ عليه . ويجوز أن يكون تقدّم ذكرها فيما تُرِكَ من أبياته .

٤ - لَأَذَتْ هُنَالِكَ بِالْأَشْعَافِ عَالِمَةً أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ بَلِيلٍ أَمْرَ غَاوِيهَا

يقول : التّجأت فى ذلك الوقتِ إلى قُلُ الجبال وأعلى المضاب ، عارفة سوء اختيارها فى تحكُّكها بى ، وتعرّضها بالشَّعر لى ، وأنها قد ائتمرت لغواتها بَلِيلٍ . وذِكْرُ الليل هاهنا إشارةٌ إلى حَيْرَتِهَا فيما أَتَتْهُ من تَرَكِّها الرِّشَادَ ، وقبولها مَشُورَةَ الغَوَاةِ . والأشْعَافُ : جمع الشَّعْفَةِ ، وهى أعلى الجبل ، وأعلى كلِّ شىء ، ولذلك قيل شَعْفَةُ الْقَلْبِ لرأسه عند معلقِ النِّياط . وهنالك ظرف ، ويكون للزَّمانِ والمكانِ جميعاً ، وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه ، كأنَّ البُعْدَ فيما يُشار إليه بِهِنَالِكَ أبلغُ مما يكون فيما يشار إليه بهنالك . وهذا على طريقة ما نقوله فى ذلك وذاك . وقوله « أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ » أن فيه مخففة من الثقيلة ، أى عالمة أنها قد أطاعت . ويقولون لَمَّا لَا يُعْمَلُ بِتَثْبُتٍ وَحُسْنِ تَدَبُّرٍ : « هذا

أمره قد قدر بليل . وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ يَتَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ .

٧٥

وقال آخر في ابن له :

١- لا نعدلى في حندج إن حندجاً وليث عفرين لذي سوا

يخاطب لأئمة عدلته في التوفر على ابنه حندج واختصاصه إياه واستخلاصه ، وذكر الخليل أن حندجاً في اللغة : رملة طيبة تنبت ألواناً من النبات . فيقول : لا تلوميني في أمر حندج ، إن حندجاً وليث هذه المأسدة متساويان عندي . وقد قيل في ليث عفرين : إنها هي التي تصيد الذباب وثباً ، فشبهه في كيدِه ومكرِه به ، وقد وُصف الخبيث المنكر بالعفر والعفريّة وعفرتي ، ويقال أيضاً للأسد عفرت وعفرتي . وقيل هو أشد عفارة ، واستعقر فلان . وحكى الأصمعي أن ليث عفرين دابة كالحرباء يتحدى الراكب ويضرب بذنبه^(١) . وقيل عفرين : موضع نسب إليه ، وقيل عفرين : فعيل من العفر ، وهو الترابيد لأن عادة الأسد أن لا يصيب من فريسته حتى يعفّره ، يشهد لذلك قول الآخر في صفته :

* ولا نال قط الصيد حتى تعفراً^(٢) *

وذكر بعضهم أن ليث عفرين كقولهم : ليث ليوث ، لأنه يقال المنكر الداهية عفر ، ويوصف به الأسود والرجال . ويكون على هذا عفرين جمع جمع السلامة كالأفورين ، ومرّ بي أن قولهم ليث عفرين يستعمل في المدح والذم وسوا : مصدر في الأصل وُصف به .

(١) م : « تتحدى الراكب وتضرب بذنبها » .

(٢) م « حتى يعفرا » .

٢ - حَمِيَتْ عَلَى الْمُهَّارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَّعِينَ جُفَاءً

يُبَيِّنُ فِي هَذَا الْكَلَامِ انْتِفَاءَ الرَّيْبِ عَنْ مِثَابَهْتِهِ لَهُ ، وَتَقْيِيلِهِ إِيَّاهُ ، وَأَنَّهُ لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ مِنْ صُلْبِهِ ، فَيَقُولُ : حَفَظْتُ أَطْهَارَ أُمِّهِ عَنِ الزُّنَاةِ ، لِأَنِّي اخْتَرْتُهَا مِنْ بَيْتِ الْعَقَّةِ ، وَأَرْوَمَةِ الْكَرَمِ ، وَمَغْرَسِ النَّجَابَةِ ، وَالْعِتْقِ وَالشَّهَامَةِ ^(١) وَدَعَوَايَ حَقًّا ، وَبَعْضُ دَعَاوَى الْمُدَّعِينَ كَالَّذِي يَفْعَلُو السَّيْلَ وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ سَقَطِ الْأَرْضِ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : وَبَعْضُ دَعَاوَى الرِّجَالِ ، خَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَالْمُهَّارُ وَالْمُهْوَرُ : الْفَجُورُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « حَمِيَتْ عَلَى الْعَهَّارِ » مَا أَرَادَ اسْمُ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ :

* وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الْخَالِي ^(٢) *

أَيُّ بَقَرَطٍ غَيْرَتِي وَكُلَّ رُجُولِيَّتِي وَتَمَامِ مُحَاسِنِي . وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَطْهَارَ لِأَنَّهَا فِي الْحَيْضِ مِنَ الْإِعْتِزَالِ ، وَكَأَنَّهَا الْآخِرُ ^(٣) :

* دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ ^(٤) *

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ جُفَاءً : وَبَعْضُ الرِّجَالِ مُحْمُولٌ دَعِيًّا ، فَهُوَ كَالْجُفَاءِ لَا يُعْنَدُ بِهِ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ .

٣ - فَبَجَاءَتْ بِهِ سَبْطُ الْعِظَامِ كَأَنَّمَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لِوَاءٍ

(١) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّمَا وَصَفَ الشَّاعِرُ ابْنَ أُمِّهِ . يَقُولُ : لَمْ أَسِيْهَا كَمَا تَسِيْبُ الْإِمَاءَ فَبَجَاءَتْ بِهِ لِرُشْدَةٍ . وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى قِصَّةِ الْبَيْتِ عَرَفْتَ مُصْدَقًا مَا قُلْتَهُ . أَكْتَبْنَا أَبُو النَّدَى قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَنْابٍ مِنْ بَلْقَيْنٍ عِنْدَهُ ابْنَةُ عَمٍّ ، لَهُ مِنْهَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ سَيَارٌ ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مِنْ أُمِّهِ يُقَالُ لَهُ دَمْلَجٌ ، فَكَانَتِ الْحُرَّةُ إِذَا رَأَتْهُ يَلْطَفُ دَمْلَجًا بِبَعْضِ اللَّطْفِ لِأَمْتِهِ وَغَضِبَتْ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَا نَبِيَّ فِي دَمْلَجٍ إِنْ دَمْلَجَا وَشَرَكَةَ سَيَارٍ إِلَى سِوَاءِ
شَغَلْتُ عَنِ الْعِشَاقِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَّعِينَ زُنَاةً

(٢) صدره : * كَذَبْتُ لَقَدْ أَصْبَبِي عَلَى الْمَرْءِ عِرْسِي *

(٣) هُوَ الْأَخْطَلُ . دِيوَانُهُ ١٢٠ وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَغْنَى ٢٢١ .

(٤) صَارَهُ : * قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ *

يقول : جاءت الأم بهذا الولد وهو تأمُّ العظام مديدُ القامة ، فكانَ قامته رَمَحَ ، وكانَ عمامته إذا تَوَسَّطَ الرَّجَالُ لَوَاهُ محمول عليه . وأحسن صنعة منه قولُ مسلمٍ ، وإن كان هذا سليماً من العيب .

يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدْبِيُّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ
وفي طريقته قولُ الآخر (١) :

* يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ (٢) *

٧٦

وقال آخر (٣) :

١ - إذا كان أولادُ الرَّجَالِ حَزَازَةً فَأَنْتَ الْخَلَالُ الْخُلُوءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ (٤)

إذا يتضمَّن معنى الجزاء ، ولهذا احتاج إلى الجواب فجعل بالفاء . فيقول : إذا كان الأولاد تقطيعاً في الصدور وتحزيراً في القلوب ، لعقوقهم واستعمالهم الجفاء في موضع البرِّ مع آبائهم ، فأنت العسل مشوباً بالماء العذب . وقد وصف بعضهم كلاماً فقال : « هو السَّحْرُ الخلال ، والعذبُ الزُّلال » . ويشير الشاعر إلى سهولة جانبه ، وحسن طاعته ، ودماثة خلقه . وقال الخليل : الحزازة : وَجَعَ في القلبِ من غَيْظٍ أو أَدَّى . والحزاز أيضاً كذلك ، وأنشد بيت الشَّامِخ :

(١) هو فرعان بن الأعراف ، يقوله في ابنة منازل . الحماسية ٦٠٣ .

(٢) صدره : * لربيته حتى إذا أض شيطلاً *

(٣) قال أبو ريش : هو لأبي الشغب العبسي ، وقال أبو عبيدة : للأقرع بن معاذ القشيري .

(٤) أول المقطوعة عند التبريزي :

رَأَيْتُ رِبَاطاً حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ . وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَسْرِهِ عَتَبُ

قال : « ليس في بره عتب ، أي ليش فيه فساد . قال أبو هلال : الوجه أن يقال إنه لا يمن يبره فينكر منه ذلك ، يقال عتبت على الرجل عتياً ، إذا أنكرت عليه شيئاً من فعله . ويجوز أن يقال : إنه يعم بالبر جميع أهله فليس يعتب عليه أحد منهم ، أو يقوم بجميع ما يحتاج إليه أبوه فلا يمتب عليه في شيء » .

* وفي الصدر حَزَّازٌ مِنَ اللَّوْمِ حَامِزٌ^(١) *

٢ - لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيتٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مُتَمَنِّعٌ صَعْبٌ

خَاطَبٌ فِي الْأَوَّلِ ثُمَّ عَدَلَ فِي الثَّانِي إِلَى الْإِخْبَارِ ، وَهَذَا عَادَتُهُمْ إِذَا افْتَتَحُوا فِي كَلَامِهِمْ ، نَظَمُوا أَوْ نَثَرُوا ، لِيَأْتِيَ التَّحْوِيلُ مِنْ سَهُولَةِ تَجَاوِبِ الْأَلْفَاظِ ، وَتَلَاوُظِ طَرَائِقِ النِّظَامِ . فَيَقُولُ : لَنَا مِنْ هَذَا الْوَلَدِ خُلُقٌ سَجِيجٌ ، وَمَذْهَبٌ فِي الْبِرِّ فَسِيحٌ ، فَهُوَ هَيِّنٌ لَيْنٌ مَعْنَا ، وَلِلْأَعْدَاءِ مِنْهُ إِذَا طَلَبُوهُ أَوْ جَرَّبُوهُ جَانِبٌ خَشِنٌ مِدْفَعٌ ، وَطَرِيقٌ صَعْبٌ مُتَلِفٌ ، وَخُلُقٌ وَعَرٌّ شَرِسٌ . وَلَمْ يَقُلْ وَلِلْأَعْدَاءِ جَانِبٌ وَلَكِنْ عَطَفَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ ، بِمَعْنَى أَنَّ أَحَدَهُمَا لاجْتِنَابِ الْخَيْرِ ، وَالْآخَرُ لِدِفَاعِ الشَّرِّ . فَكَأَنَّ التَّقْدِيرَ : وَلِنَا مِنْهُ جَانِبٌ مُعَدٌّ لِلْأَعْدَاءِ ذَلِكَ صِفَتُهُ ، فَصَارَ الْجَانِبَانِ لَمْ فِي اللَّفْظِ ، وَالْقِسْمَةُ ثَابِتَةٌ فِي الْمَعْنَى . وَالْدَّمَائَةُ : سَهُولَةُ الْخُلُقِ وَلَيْنُ الْجَانِبِ . وَيُرْوَى « مُتَمَنِّعٌ صَعْبٌ » ، وَ« مُتَلَفَةٌ صَعْبٌ » ، وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ .

٣ - وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا اهْتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصْنُ الرَّطْبُ الْبَارِحُ : رِيحٌ حَارَةٌ تَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الْبَحْرِ . فَيَقُولُ : تَمَلَّكُهُ عِنْدَ اكْتِسَابِ الْمَكَارِمِ أَرِيحِيَّةٌ يَهْتَزُّ عِنْدَهَا اهْتِزَازَ الْغُصْنِ الرَّطْبِ ، الَّذِي جَرَى الْمَاءُ فِيهِ ، إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهِ الْبَارِحُ . وَ« كَمَا اهْتَزَّتْ » أَرَادَ كَاهْتِزَازَ . وَقَوْلُهُ « تَحْتَ الْبَارِحِ » حَسَنٌ جَدًّا ، لِأَنَّ الرِّيحَ تَعْلُو الْغُصُونُ فِي مَهْوَرِهَا . وَقَدْ نُسِبُوا الْبَارِحَ إِلَى النُّجُومِ إِذَا ذَكَرُوا الْأَنْوَاءَ . قَالَ :

أَيَا بَارِحَ الْجُوزَاءِ مَا لَكَ لَا تَرَى عِيَالَكَ قَدْ أَمْسَوْا سَمَامِيلَ جُوعًا^(٢)

(١) صدره في ديوان الشماخ ٤٩ واللسان (حز ، حمز) :

* فلما شراها فاضت العين عبرة *

(٢) انظر الأزمدة والأمكنة للمرزوقي (١ : ٢١٦) ومجالس ثعلب ٤٩٠ .

هذا يقوله بعض المتلصّصة . وعيالها : الشَّرَاقُ ، وذلك أَنَّ البَارِحَ تَحْمِلُ الْعُبَارَ
وتَدْرُسُ الْآثَارَ ، فَتَجَسُّرُ الْمَتَلَصِّصَةَ عَلَى السَّيِّ ، وَتُمْكِنُهُمُ السَّرَقَةُ .

٧٧

وقال آخر ^(١) :

١ - وفارقتُ حتّى ما أبالي من النَّوى وإنَّ بَانَ جِيرَانُ عَلَى كَرَامِ ^(٢)

يُروى : « مَنِ انْتَوَى » وهو افتعل من النَّوى ، وهى الوجهة للنوبة للقوم ،
أو البُعْد . يقول : أَلِفْتُ مَفَارِقَةَ الْوَطَنِ وَالْإِخْوَانِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، واعتدتُ
التَّبَاعُدَ عَنْهُمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، حتّى لا أبالي من انتوى منهم أو نأى ، وإنَّ كَرُمُوا
عَلَى عِنْدَ الْمَجَاوِرَةِ . ومن روى : « لا أَبَالِي مِنَ النَّوَى ^(٣) » فمعناه لا أحتفل به ،
والأوّل أحسن . فإن قيل : كيف تعلّق « حتّى » بفارقتُ ؟ وما معناه ؟ قلت :
أَرَادَ تَكَرَّرَتِ الْمَفَارِقَةُ عَلَى وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ ، إِلَى أَنْ صِرْتُ
لا أَبَالِي بِالْفِرَاقِ . فمعنى حتّى : إِلَى أَنْ . وقوله « فَارَقْتُ » مُسْتَصْلَحٌ لِلْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ
فانصرف إلى الكثير ، بدلالة أَنَّ الْمُتَمَرِّنَ بِالْبَلَاءِ قَدِيمًا ، وَالتَّحَكُّكُ بِهِ كَثِيرًا ،
هو الذى يستهين به كثيرًا ، دون من مَارَسَهُ يَسِيرًا ، وعالجه حديثًا .

٢ - فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي هِىَ النَّأَى تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ تَنَامُ
جَعَلْتَ نَفْسِي ، بِمَعْنَى طَفِقْتُ وَأَقْبَلْتُ ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَعَدَّى . فيقول : أَخَذْتُ
نَفْسِي تَصْبِرُ عَلَى النَّأَى ، وَتَنْطَوِي عَلَى الْفِرَاقِ ، فَلَا يَظْهَرُ مِنْهَا جَزَعٌ ، وَلَا
تَقْبُوحُ بِشَكْوٍ ، وَعَيْنِي تَنَامُ عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ مِنْهُمْ فَلَا تَسْهَرُ ، وَلَا تَبْكِي

(١) التبريزى : « وذكر أنه لعبد الصمد بن المعذل ، وقيل للحسين بن مطير » .

(٢) التبريزى « ويروى : وفارقت حتى ما أحن من النوى » .

(٣) كذا فى الدسخين مع اتفاقهما فى صلب البيت أنه « ما أبالي » .

فتذرف . وهكذا النفسُ إذا وُطِّئَتْ على الشدائد ، وتمرَّنت بالمصائب . وقوله :
« تَنْطَوِي » أَضْلُ الطَّيِّ النَّثَى وَالْقَبْضُ ، ومنه الطاوى والطَّيَّان .

٧٨

وقال آخر^(١) :

١ - رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاغُ لَهُ وبالمصائبِ في أهلي وجيراني
يقول : فزُغْتُ بالفراق مرةً بعد أخرى ، وثانيةً بعد أولى ، حتى صِرْتُ
لا أرتاغُ له ، وواظبتِ المصائبُ علىّ واتَّصَلَتْ في الأهلِ تارةً ، والإخوانِ
أخرى ، حتى صارت الرِّزايا بالإلف كأنها مرازِيٌّ وعطايا . والكلام في حتى
واتصاله ومعناه على ما تقدّم .

٢ - لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضْنُ بِهِ إِلَّا اصْطَفَاهُ بِنَايٍ أَوْ بِهِجْرَانِ
يقول : لم أدخرْ لنفسِي عِلْقًا نَافَسْتُ فِيهِ إِلَّا زَاخِحِي الدَّهْرِ عَلَيْهِ فَاسْتَأْثَرُ بِهِ ،
إِذَا يَأْبِقَاعُ بُعْدِ بَيْنِنَا ، أَوْ إِحْدَاثِ هِجْرَانِ تَوَسَّطَنَا . وأصلُ العِلْقِ : المالُ
الكرِيم ، وَجَمْعُهُ أَعْلَاقٌ وَعُلُوقٌ . واستعاره هاهنا .

٧٩

وقال طفيلُ الغنَوِي^(٢) :

١ - وَمَا أَنَا بِالمُسْتَنْسَكِرِ البَيْنِ لِمَنِّي بِذِي لَطْفِ الجِيرَانِ قِدَمًا مُفْجِعٌ

(١) التبريزي : « قال أبو العلاء : هذا يروى مؤرج السدوسي ، وكان مؤرج يكنى
أبا قيد » .

(٢) هو طفيل بن عوف ، أو هو طفيل بن كعب الغنوى . كان من أوصف الناس الخيل
وكان يقال له في الجاهلية المحبر ، لحسن شعره . وطفيل شاعر جاهلي فحل كان أكبر من النابغة
وليس في قبس فحل أقدم منه . الأغاني (١٤ : ٨٥ - ٨٧) والنازعة (٣ : ٦٤٢ -
٦٤٣) والعين (٣ : ٢٤ - ٣١) والاشتقاق ١٦٥ والمؤتلف ١٤٧ ، ١٨٤ والاقتضاب
٣٢٧ والشعر والشمرء ٤٢٢ .

يقال : نَكَرَ وَأَنكَرَ وَاسْتَنَكَرَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . فيقول : أَنَسْتُ بِفِرَاقِ
الْأَحَبَةِ بَعْدَ نَفَرَتِي ^(١) ، وَيَبْعُدُ ذَوِي اللَّطْفِ عَقَبَ ^(٢) قَلْقَى ، وَذَلِكَ لِأَنِّي
فُجِّعْتُ بِالْخُلَاطَاءِ وَالْجِيرَانِ قَدِيمًا ، حَتَّى صَارَ كَالْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ . وَقَوْلُهُ « بَذَى
لَطْفِ الْجِيرَانِ » أَرَادَ بِلَطِيفِ الْجِيرَانِ ، أَيْ بِاللَّطِيفِ مِنْهُمْ . وَقَدَّمَ
ظَرْفَ الْمَفْجَعِ .

٢ - جَدِيرُ بَعْضِهِمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَخَبَتْهُمْ إِذَا أَنَسَ عَزُّوا عَلَى تَصَدَّعُوا

يقول : أَنَا خَلِيقُ الْبَلْبَيْنِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ أَجَاوِرُهُمْ إِذَا اسْتَوْفَقْتُ قُرْبَهُمْ ،
وَاسْتَحْلَيْتُ السَّكُونَ مَعَهُمْ ، حَتَّى لَا يَعْزُّ عَلَى أَنَسٍ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ كَشَبٍ .
وَالْأَنَسُ : اللَّطَائِفَةُ مِنَ النَّاسِ . يَقَالُ : رَأَيْتُ مَعَهُ أَنَسًا كَثِيرًا ، أَيْ نَاسًا .
تَصَدَّعُوا : تَفَرَّقُوا . وَمِنْهُ يَقَالُ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ بِفُلَانٍ ، إِذَا تَغَيَّبَ هَارِبًا .

٨٠

وقال الراعي ^(٣) :

١ - وَقَدْ قَادَنِي الْجِيرَانُ حِينًا وَقُدَّتْهُمْ وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَحِنُّ جَمَالِيَا

يقول : جَذَبَنِي الْخُلَاطَاءُ زَمَانًا وَجَذَبَتْهُمْ ، حَتَّى كُنْتُ فِي حُكْمٍ مِنْ لَا يَصْبِرُ
عَنْهُمْ ، وَلَا يَفْنَكُ مِنْهُمْ ، كَالْقَائِدِ لِلشَّيْءِ وَهُوَ مَقْوُودٌ لَهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ هَذِهِ صِفَتَهُ
مَعَ شَيْءٍ فَهُوَ يَلْزِمُهُ وَلَا يَفَارِقُهُ . وَالْآنَ فَارَقْتُهُمْ فَلَا أَحِنُّ إِلَيْهِمْ ، وَلَا أَنْزِعُ نَحْوَهُمْ .

(١) م : « نفرى » .

(٢) كَذَا بِسُكُونِ الْقَافِ فِي النُّسخَتَيْنِ ، وَهِيَ لُغَةٌ صَحِيحَةٌ .

(٣) الرَّاعِي لَقِبَ لَهُ ، وَاسْمُهُ عَمِيدُ بْنُ حَصِينِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، أَوْ حَصِينُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْعُمَرِيُّ .

وَلِنَّمَا قِيلَ لَهُ الرَّاعِي لِأَنَّهُ كَانَ يَصِفُ الْإِبِلَ فِي شِعْرِهِ . وَهَجَاهُ جَرِيرٌ لِأَنَّهُ كَانَ اتِّهَمَ بِالْمِيلِ إِلَى

الْفَرَزْدَقِ . الْأَغَانِي (٢٠ : ١٦٨ - ١٧٣) وَالْمَوْتَلَفُ ١٢٢ وَالْخَزَانَةُ (١ : ٥٠٢ -

٥٠٤) وَالِاشْتِقَاقُ ١٧٩ وَالتَّقَائِصُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ . وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٣٧٧ - ٣٨١ -

(٤) الْبَيْتَانِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (وَهْبِي) .

وَنَسَبَ الْحَنِينِ إِلَى جِمالِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ النَّفْسُ ، لِأَنَّهَا فِي الْحَنِينِ أَقَلُّ صَبْرًا حَتَّى رُبَّمَا تَهَيَّم عَلَى وَجُوهُهَا ، وَتَنَدَّى عَنْ صَوَاحِبِهَا ، طَلَبًا لِلإِلْفِ ، وَجَزْيًا مَعَ الْهَوَى . وَعَلَى هَذَا قَالَ مَنْ قَالَ فِي مَخَاطَبَةِ رَاحِلَتِهِ وَقَدْ رَأَاهَا :

فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجَدِي وَلَكِنْ أَصْحَبَتْ عَنْهُمْ قُرُونِي^(١)

٢- رَجَاؤُكَ أَنَسَانِي تَذَكَّرُ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنَسَانِي بُوْهَبِينَ مَالِيَا

يقول : أَمَلِي فِيكَ أَنَسَانِي الْفِكْرُ فِي إِخْوَتِي وَأَهْلِ بَيْتِي ، وَطَمَعِي فِي مَالِكَ أَنَسَانِي مَالِي بُوْهَبِينَ . وَهَذَا قَالَهُ لِأَنَّهُ يُرَى أَنَّ رَجَاءَهُ فِيهِ لَتَحَقُّقِهِ صَارَ مُؤَثِّرًا عَلَى ذِكْرِ وَطْنِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَأَنَّ مَا طَمِعَ فِيهِ مِنْ مَالِهِ لَمَّا كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا مَلَكَ بُوْهَبِينَ صَارَ مُنْسِيًّا لَهُ .

* * *

وهذه المقطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظاة والقسوة ، وَذِكْرُ قَلَّةِ الْفِكْرِ فِي الْأَوْطَانِ وَالْأَحَبَّةِ ، وَتَنَاسِيِ الْعُهُودِ وَالْأَذِمَّةِ ، وَمَفَارِقَةِ الْأَمَاكِنِ الْمَالُوفَةِ . وَالْحِلَالِ الْمُرُودَةِ ، وَشَكْوَى النَّفْسِ إِلَى التَّنَائِيِ وَالْغُرْبَةِ ، دَخَلَتْ فِي بَابِ الْحَمَاسَةِ . وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ دَخَلَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ نَظَائِرِهَا . وَسَنَدُلُّ عَلَيْهَا إِذَا اتَّهَيْنَا إِلَيْهَا .

٨١

وقال آخر :

١- وَإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اضْطَبَحْنَ يَوْمَ سَفُوكِ

يُرْوَى « تُصْبِحُ » بفتح الباء على ما لم يسم فاعله ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنَّا لَنَسْتَقِي أَسْيَافُنَا الصُّبُوحَ يَوْمَ سَفُوكِ إِذَا مَا اضْطَبَحْنَ . وَمَنْ رَوَى « لَتُصْبِحُ » بِكسر الباء فَخَبَرُ تُصْبِحُ فِي الْإِنِّ ، وَهُوَ « مُنَابِرُهُنَّ بُطُونُ الْأَكْفِ » . وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَتُصِيرُ أَسْيَافُنَا إِذَا شَرَبَتْ الصُّبُوحُ فِي يَوْمِ سَفُوكِ لِلدَّمَاءِ بِهِذِهِ الْحَالَةِ .

(١) فِي السَّانِ (قُرُون) : « أَسْمَحَتْ عَنْهُمْ قُرُونِي » . وَالْبَيْتُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي كَلِيبٍ . انظر ص ٢٩٥ .

وَنَسَبَةُ السَّفَنكِ إِلَى الْيَوْمِ مَجَازًا كَانَ يَقَعُ فِيهِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : نَهَارُهُ صَائِمٌ .

٢- مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَعْمَادُهُنَّ رُمُوسُ الْمُلُوكِ

أَرَادَ أَنَّهَا تُنْتَضَى فَتَخْطُبُ وَاعْظَةُ لِلْأَعْدَاءِ زَاجِرَةٌ ، وَمُنْذِرَةٌ لِلْكِمَاةِ مُحَذِّرَةٌ ، لَكِنَّ مَنَابِرَهُنَّ أَكْفُ الضَّارِبِينَ ، وَأَعْمَادُهَا إِذَا أُغْدِتْ رُمُوسُ الْمُلُوكِ الْمُعْظَمِينَ . وَهُمْ يَتَبَجَّحُونَ بِقَتْلِ الْمُلُوكِ وَقِتَالِهَا . وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ :

* يَكُونُ جَفِيرُهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ *

وقوله :

مِنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أُسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

وَالْمَنَابِرُ : مَوَاضِعُ النَّبَرِ ، وَهُوَ الصَّوْتُ ، لِأَنَّهَا نُصِبَتْ لِلخُطْبِ وَالْمَوَاعِظِ

وَالتَّحْمِيدَاتِ .

٨٢

١- لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ نِزَاعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وَأَوْطَانٍ^(١)

يَقُولُ : لَا يُزْهَدَنَّكَ اشْتِيَاقُكَ إِلَى السَّكَنِ ، وَحُبُّنُكَ إِلَى الْوَطَنِ ، فِي

إِثَارِ سَعَةِ الْعَيْشِ وَرَغَدِهِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالشُّكُوفِ . وَيُرْوَى : « نَزُوعُ نَفْسٍ »

وَالنَّزُوعُ اشْتِهَارُهُ فِي الْكَفِّ عَنِ الشَّيْءِ ، وَالنِّزَاعُ فِي الشُّوقِ ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا

وَقَوْعُ أَحَدِهِمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ فِي التَّشْوِيقِ . وَيُقَالُ نَاقَةٌ مَنَازِعُ وَنَزُوعٌ . وَقَدْ

أَنْزَعُوا ، إِذَا حَفَّتْ إِبِلُهُمْ . وَالنِّزْعُ : الْجَذْبُ ، وَيُقَالُ : خَرَجَ نَازِعٌ يَدٌ ، إِذَا

خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ .

٢- تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

(١) جَمَلُ التَّبْرِيزِيِّ الرِّوَايَةَ الْأُولَى : « نَزُوعُ نَفْسٍ » ، ثُمَّ نَبَهَ عَلَى رَوَايَةِ « نِزَاعٍ » .

هذا تسليةٌ للنفس عن الأهل . يقول : تجدُ بكلِّ بلدٍ تنزِلُ به أهلاً بدلاً من أهلك ، وجيراناً بدلاً من جيرانك . والعربُ تقولُ : هذا بذاك ، أى هو عوضٌ منه . وإنما ضَمَّنَ أبو تمام هذه الأبياتَ بابَ الحماسة ، لما قدَّمته من أنها صادرةٌ عن قسوةٍ شديدةٍ ، وقلةٍ فِكْرٍ في التحوُّل عن الإلف والعادة ، ولأن تركَ الوطن والإخلال بالعشيرة يُضَمُّ إلى القتل وتلف النفس ، فالصبر عليه كالصبر على القتل . ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ .

٨٣

وقال بمض بنى أسد^(١) :

١ - إِلَّا أَكُنْ تَمَنِّ عَلِمْتَ فَإِنِّي إِلَى نَسَبٍ تَمَنِّ جَهْلَتِ كَرِيمٍ

يقول : إن لم أكن ممن عرفتهم بالشرف ، فإنى أنتهى إلى شرفٍ كريمٍ ممن جهلتهم . كأنه يريد : ليس الاعتبارُ بما تعدَّيته شرفاً أو تعرفينه نسباً ، لكن الاعتبارُ بمحصول الكرمِ على أى وجهٍ حصل ، وحوز المجد وإن جهله من جهل . وقوله « إِلَى نَسَبٍ » يتعلقُ بفعل مضمرٍ ، كأنه قال : فإننى أنتهى إلى نسبٍ .

٢ - وَإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي عَلَى الزَّادِ فِي الظَّلَامِ غَيْرُ شَتِيمٍ

يقول : إن لم أكن النهايةَ فى الجودِ فإنى لا أشتَمُ بسبب الزاد فى الليلة المظلمة ، فلا أذمُّ لصرفى الضيف عن نفسى بالعلل الكاذبة فى الشُّتوة القحطة . وقد اشتمل قوله « عَلَى الزَّادِ فِي الظَّلَامِ » على ما بيَّنا وأكثر منه . وهذا الذى خبر

(١) التبريزي : « قيل لعبد العزيز بن زرارة » .

به عن نفسه هو الجُودُ ، لكنه أراد أن يُرى من نفسه ترك ادعاء النهايات ،
والأخذ بالاعتقاد في الحالات ، وإن كان تناهى من حيث اقتصد . ويقال
زَيْدٌ الشَّجَاعُ كُلُّ الشَّجَاعِ ، والمعنى أنه الكامل في معناه . ومن هذا الباب قوله
عز وجل : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ ﴾ . وهذا كلام من نظر
لنفسه وغيره ، وتبين ما عليه وله ، فأثبت ما أثبت في أحسن مِعْرَضٍ ، ودفع
ما دفع بالطفٍ تعريض . وتعلق على من قوله : « على الزاد » بشتم وإن كان
مضافاً إليه ، لأنه أُجْرِيَ غير جَرَى لا ، لأنهما للنفي ، فحُمِلَ الكلام على
المعنى فكأنه قال : إِنِّي على الزادِ لا أَشْتَمُ . ونزيد هذا شرحاً فيما بعده .

٣- وإلاَّ أَكُنْ كُلَّ الشَّجَاعِ فَإِنِّي بِضَرْبِ الطُّلَى وَالْهَامِ حَقٌّ عَلِيمٌ

هذا كالميت الذي قبله . يقول : إن لم أَكُنِ النِّهَايَةَ في الشَّجَاعَةِ ، والمعنى إن
لم يكن فعلِي النِّهَايَةَ فيما يفعله الشَّجَاعُ ، فَإِنِّي عالمٌ حقاً بضَرْبِ الرُّوسِ والطُّلَى .
والتناهي في الشَّجَاعَةِ لا يَتَعَدَّى فعله هذا ، لكنه سَلَكَ طريقته فيما قَبْلَهُ .
الطُّلَى : الأعناق وأعراضها ، والواحدة طُلِيَّةٌ . والباء من قوله « بضَرْبِ
الطُّلَى » تعلق بقوله عليم .

فإن قيل : كيف سَاغَ ذلك والمُضَافُ إليه لا يعمل فيما قَبْلَ المُضَافِ ؟
قُلْتُ : لما كان قوله « حَقٌّ عَلِيمٌ » لازيادَةً فيه إلا التوكيد لم يُعْتَدَ بالمُضَافِ ،
فحُمِلَ الكلام على المعنى لا على اللَّفْظِ ، فكأنه قال : إِنِّي بِضَرْبِ الطُّلَى
عليمٌ جداً . ويجرى هذا المَجْرَى إجازتهم لقول القائل أنت زَيْدٌ غير ضاربٍ ،
مع امتناعهم من إجازة أنت زَيْدٌ مثلُ ضاربٍ ، لما كانت مَعْنَى غير معنى لا ،
فحُمِلَ الكلام على المعنى لا على اللَّفْظِ ، حتَّى كأنه قيل : أنت زَيْدٌ لا ضاربٌ .
فاعلمه ، وبالله التوفيق .

٨٤

وقال عمرو بن شأس^(١) :

١- أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرْذُ عِرَارًا لَعَمْرِي بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ

المُضْمَرَةُ فِي أَرَادَتْ رَابِعَ عِرَارٍ ، فَقَالَ وَاللَّهِ عَمْرُوٌ : أَرَادَتْ اسْمَرَاتِي إِهَانَةً عِرَارٍ وَالِاسْتِخْفَافَ بِهِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ فِي مِثْلِهِ فَقَدْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . فَإِنْ قِيلَ : هَلْ تَفْصِلُ بَيْنَ قَوْلِهِ أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ لَوْ قَالَ أَهَانَتْ عِرَارًا ؟ قُلْتُ : بَلَى ، لِأَنَّ مَعْنَى أَرَادَتْهُ بِالْهَوَانِ أَرَادَتْ كَوْنَهُ لَهَا وَصَحْبَتَهُ إِيَّاهَا بِاسْتِعْمَالِ الْهَوَانِ مَعَهُ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهَوَانُ وَاقِعًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ وَاقِعٍ . وَمَعْنَى أَهَانَتْهُ : ابْتَدَلَتْهُ وَأَذَلَّتْهُ . فَهُوَ إِخْبَارٌ لَوْ قَوَّعَ الْفِعْلُ بِهِ فِيمَا مَضَى . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ظَلَمَ : تَحَيَّفَ حَقَّةً وَبَحْسَهُ .

٢- فَإِنْ كُنْتُ مِنْى أَوْ تُرِيدَنْ صُحْبَتِي فَكُونِي لَهُ كَالسَّمَنِ رُبَّتْ لَهُ الْأَدَمُ

نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخِطَابِ ، عَلَى عَادَةِ تَفْنِينِهِمْ . يَقُولُ : إِنْ كُنْتُ تَهْوَيْنِ هَوَايَ ، أَوْ تُرِيدِينَ الْكَوْنَ مَعِي وَمَصَاحِبَتِي ، وَإِنْ انْطَوَيْتِ فِي حُبِّهِ عَلَى مُخَالَفَتِي ، فَكُونِي لَهُ فِي تَصْنَعِكَ كَأَنَّكَ مُوَافِقَةُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ ، جَارِيَةٌ مَعَهُ عَلَى الْحَدِّ الْوَاحِدِ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَإِظْهَارِ الْمِيلِ وَالْمَوَدَّةِ . وَالسَّمْنُ

(١) عمرو بن شأن الأسدي ، قال الجهمي : « كثير الشعر في الجاهلة والإسلام ، وهو أكثر طبقة شعراً » . وأسلم في صدر الإسلام وشهد القادسية . وقال ابن قتيبة : « وهو أبو عرار ، وفيه يقول عمرو لامرأته » . وأنشد الأبيات . الشعر والشعراء ٣٨٩ والجهمي ٤٦ - ٤٧ والمرزباني ٢١٢ - ٢١٣ واللائق ٧٥٠ - ٧٥١ والأغاني (١٠ : ٦٠ - ٦٣) . وقال التبريزي : « هو مخضرم أدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، وكانت له امرأة من قومه وابن من أمة سوداء يقال له عرار ، فكانت تعيره إياه وتؤذيه ويؤذيها ، فأنكر عمرو أذاها له » .

إِذَا رُبَّ نَحِيَّةٍ لَمْ يَتَغَيَّر . يريد فلا تتغيري أنتِ أيضاً . ومعنى رُبَّتْ له أى من أجله ، والأدَمُ : جمع ، يقالُ أديمٌ وأدمٌ . وله نظائرٌ قليلة : إهابٌ وأهبٌ ، وأفيقٌ وأفقٌ ، وعمودٌ وعمدٌ .

٣- وَإِنْ كُنْتَ تَهْوِينَ الْفِرَاقَ ظَعِينَتِي فَكُونِي لَهُ كَالذَّبِّ ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ
يقول : وإن كنتِ تُؤثرين مفارقتي وتميلين إلى التباين عني فأسيئي عشرته وكوني له كالذَّبِّ ضاعتِ الغنم من أجل وقوعه فيها . والمعنى عاشره عشرته أيما . ويجوز أن يريد بقوله « ضاعت له الغنم » فاتته الغنم بعد أن أمكنته . والسَّعْبُ إذا شارفَ فريسته ثم فاتته كان ذلك مُهِيجاً له ، وداعياً إلى الفساد فيما يُمكنه^(١) .

٤- وَإِلَّا فَسِيرِي مِثْلَ مَسَارِ رَاكِبٍ تَجَشَّمْ خَمْسًا لَيْسَ فِي سِيرِهِ أَمٌّ
هذا كما يقال على طريق الوعيد أو إظهار الزهد لمن يُؤمر شيئاً : اعمل كذا وكذا وإلا فدعهما ولا تعمل أحدهما فلا حاجة لنا فيه . يقول : وإلا فلا تحسني إليه وفارقيني من وقتك . وهذا إظهار زهده فيها ، واطراح تكلف الاشتراطات معها . ثم قال : ليكن سيرك سيرَ الرَّاكِبِ تكلف ورود الماء نلّمس ، وليس في سيره قصد ولا قرب . وقوله « مِثْلَ مَسَارِ رَاكِبٍ » أى سيراً يشابه سيره . وقوله « تَجَشَّمْ » من صِفَةِ رَاكِبٍ . والامم : القرب ، ويقال أمرى من أمرِكُم أممٌ . ويروى : « ليس في سيره يَمٌّ » أى إبطاء^(٢) .

٥- فَإِنْ عَرَارًا نَ يَكُنْ ذَا شِكِيمَةٍ تُلَاقِيْنَهَا مِنْهُ فَا أَمْلِكُ الشِّيمَ
يقول : إن عَرَاراً إن يكن ذا سوء خلقٍ تُمنّين به وتشقين بمقاساته ، فإنني

(١) زاد التبريز : « وهذا تهديد منه لها ، وليس هو على حقيقة الأمر » .

لَا أَمْلِكُ تَغْيِيرَ الطَّبَائِعِ وَالْخُلَاقِ . وَكَأَنَّهُ جَوَابٌ لَاعْتِذَا رَهَا مِنْ قَلَّةِ الْمَلَامَةِ بَيْنَهُمَا . وَالشَّكِيمَةُ : الْخَدُّ وَالشَّدَّةُ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَشَدِيدُ الشَّكِيمَةِ ، أَيْ شَدِيدُ الْعَارِضَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَكِيمَةُ اللَّجَامِ — وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الْمُعْتَرِضَةُ مِنْهُ فِي الْفَمِ — مَأْخُوداً مِنْهُ ، وَالْجَمِيعُ الشَّكَاثِمُ .

٦ — وَإِنْ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمِ

يقول : وَإِنْ وَلَدِي عِرَارًا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضِيءَ الْوَجْهِ مَمْسُوحًا بِالْجَمَالِ ، فَإِنِّي أَحِبُّهُ عَلَى سَوَادِهِ وَتَمَامِ خَلْقِهِ . وَهَذَا كَأَنَّهُ اسْتِغْثَاتٌ لِقَوْلِ مَنْ يُزَيِّفُ أَبْنَهَ وَيُعَيِّرُهُ الْقُبْحَ وَالْدَّمَامَةَ . وَكَانَ عِرَارٌ هَذَا أَحَدَ الْفُضَلَاءِ ، وَتَوَجَّهَ عَنِ الْمُتَهَابِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ إِلَى الْحِجَّاجِ رَسُولًا فِي بَعْضِ فُتُوْحِهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ الْحِجَّاجِ لَمْ يَعْرِفْهُ ، وَازْدَرَاهُ ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ أَبَانٌ وَأَعْرَبَ مَا شَاءَ ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ وَالْمُرَادَ فِي كُلِّ مَا سَأَلَ ، فَأَنْشَدَ الْحِجَّاجُ : « أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ ... » . الْأَبْيَاتُ مَتَمَثَلًا ، فَقَالَ عِرَارٌ : أَنَا أَيْدَى اللَّهِ الْأَمِيرِ عِرَارٌ ! فَأُعْجِبَ بِهِ وَبِذَلِكَ الْإِتْفَاقِ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْمَأْمُونِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ :

إِنْ يَكُنْ لِلسَّوَادِ فِيكَ نَصِيبٌ فَبَيَاضُ الْأَخْلَاقِ مِنْكَ نَصِيبِي

وَالْعَمِيمُ وَالْعَمَمُ : الطَّوِيلُ التَّامُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْجَوْنَ الْأَسْوَدَ هَاهُنَا ، وَيُجْعَلُ مِنَ الْأَضْدَادِ .

٨٥

وَقَالَ آخِرُ^(١) :

١ — لَوْلَا أُمِّيَّةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أَقْسِ الدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظَّلَمِ

(١) التبريزي : « وهو إسحاق بن خلف » .

يُرْوَى : « ولم أَجِبْ في الليالي جِنْدَسَ الظُّلَمِ » . والمبتدأ بعد لولا يَحذفُ خَيْرُهُ أبدأ ، وَيُسْتَفْنَى بجواب لولا عنه . والتقدير : لولا أُمَيْمَةُ مانعةٌ لم أَجْزَع . فيقول : لولا ابنتي أُمَيْمَةُ لم أَخَفِ الفقر ولم أَرْحَلْ في طَلَبِ المال ، ولم أَرْكَبِ الليل ، فكنت أجوبُ ظِلْمَاءَهُ ، وأُكابِدُ أهوالَهُ . والجِنْدَسُ : شدة الظلمة ، وقد اشتقَّ منه الفعل ، ففيل : حَنْدَسَ الليل فهو مُحَنْدَسٌ ^(١) . ومعنى لم أَجِبْ : لم أَقْطَع . وقاطِعُ المواضع المظلمة كأنه قاطِعٌ للظلمة . ومن رَوَى « ولم أَقاسِ الدُّجَى » يريدُ أهوالها . وإضافة الجِنْدَسِ إلى الظلم كإضافة البعض إلى الكل ، أى في الشَّدِيد من الظلم . ويقال تَحَنْدَسَ الرَّجُلُ ^(٢) ، إِذَا ضَعُفَ وَسَقَطَ .

٢ - وزادني رَغْبَةً في العَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ . يقول : زادني حِرْصًا على الدنيا ورَغْبَةً في العَيْشِ فيها ، عَلِمَ بِذُلِّ الْيَتِيمَةِ . وقد جَفَاها أَقاربُها ، وأطْرَحَها أَهلُوها . وموضع « يَجْفُوها » من الإعراب نَصَبٌ على الحال لليتيمه ، والعامِلُ فيه ذُلُّ الْيَتِيمَةِ . والتقدير : زادني مَعْرِفَتِي بِذُلِّ الْيَتِيمَةِ إِذَا جَفَاها ذَوُوها رَغْبَةً في العَيْشِ ومُهْلَةً الْعُمُرِ .

٣ - أَحَاذِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِهَا فَيَهْتِكَ السَّتْرَ عَنْ نَحْمٍ عَلَى وَضَمِّ . قوله « أَنْ يُلِمَّ بِهَا » موضعه نَصَبٌ على البدل من الفقر . والمعنى : أَحَاذِرُ الْإِلْمَ الْفَقْرَ بِهَا فَيَكْشِفُ السَّتْرَ عَمَّنْ لَا دِفَاعَ بِهِ ، فَنَتَاوَلَهُ مِنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ . والعربُ تَقُولُ : « النِّسَاءُ نَحْمٌ عَلَى وَضَمِّ إِلَّا مَا ذُبَّ عَنْهُ » . والوَضَمُّ : خِوَانُ الْجَزَارِ وَالْخُبَازِ ، وَمَوْضِعُهُ مِيضَمَةٌ ، وَالْجَمْعُ الْمَوَاضِمُ .

٤ - تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ .

(١) هذا الفعل ومشتقه مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٢) ورد في القاموس ، ولم يرد في اللسان .

يقول : تحب ابنتي بقاى لها ، وأنا أود موتها إشفاقاً عليها ، وخوفاً من ابتذال يلحقها ، وابتلاء بمن لا يعرف لها ما يعرف لمثلها ، ثم قال : والموت أكرم نزال على الحـم ، كما قيل : « نعيم الخـن القبر » و « دفن البنات من المكرمات » . وانتصب شفقاً على أنه مفعول له .

٥ - أخشى فظالة عم أو جفاء أخ . وكنت أبقى عليها من أذى الكلم .

هذا تفسير قوله « أهوى موتها شفقاً » يريد : أشفق من مغالطة عم لها ، أو جفوة أخ تلحقها ، وأنا كنت ^(١) أبقى عليها من إيذاها بالكلم فضلاً عن غيرها من الأفعال . يقال : رجل فظ ، إذا كان قاسى القلب غليظ القول . والكلم : جمع كلمة . ومعنى : « أذى الكلم » الأذى الذى يلحق من الكلم .

وهذه الأبيات مع ما يشبهها لما ضادت ما قبلها فى تضمينها رقة القلب ، والتعطف على الولد والأهل ، أتبعها بها . وكل ذلك كالعارض ثم يعود إلى ما بنى عليه الباب . وهذا عادة أبى تمام فى أبواب هذا الاختيار . ويشبهها قول الآخر ^(٢) :

لقد زاد الحياة إلى حيا بناتي لمنن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدى وأن يشربن رنقا بعد صاف ^(٣)
وأن يفرين إن كسى الجوارى فتنبو العين عن كرم عجاف

(١) م : « وإنما كنت » .

(٢) هو أبو خالد القناني ، كما فى الكامل ٥٢٩ ليسك واللسان (كرم) .

(٣) الكامل : « أن يرين الفقر » .

٨٦

وقال خطابُ بن المَعْلَى^(١) :

١ - أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ قَالٍ إِلَى خَفْضٍ
يقول للدَّهْرِ حُكْمٌ مَعْرُوفٌ، وطَرِيقٌ مألُوفٌ، في رَفْعِ الوَضِيعِ، وِحْطٍ
الرَّفِيعِ، فَأَجْرَى حُكْمَهُ عَلَيَّ، وَأَنْزَلَنِي عَنْ رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ إِلَى مَنْزِلَةٍ مُنْخَفِضَةٍ،
وَالْخَفْضُ : ضِدُّ الرَّفْعِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْمَفْعُولِ . يَرِيدُ إِلَى
مَكَانٍ مُنْخَفِضٍ .

٢ - وَغَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي
يُرْوَى : غَالَنِي « وَمَعْنَاهُ غَلَبَنِي ، وَيُرْوَى : « غَالَنِي » وَمَعْنَاهُ أَهْلَكَنِي
بِارْتِجَاعِ عَوَارِيهِ مِنَ الْمَالِ ، وَاسْتِلَابِ مَا كَفَتْ وَفَرَتْ^(٢) بِهِ مِنَ الْعِتَادِ ، فَمَالِي
مَالٌ سِوَى نَفْسِي ، وَلَيْسَ النَّفْسُ مِنَ الْمَالِ فِي شَيْءٍ . وَمَوْضِعُ « سِوَى » نَصْبٌ
عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ ، وَهَذَا الْاسْتِثْنَاءُ يَتَأَكَّدُ بِهِ انْتِفَاءُ الْغِنَى . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(٣)
وَيُحْوِزَانِ يَكُونُ الْمَعْنَى : لَيْسَ لِي غِنًى سِوَى غِنَى نَفْسِي ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ ، وَالْمَعْنَى :
لِأَنَّ نَفْسِي غَنِيَّةٌ فَلَا تَطْمَعُ فِي الْمَكَاسِبِ الْوَضِيعَةِ ، وَلَا تَتَدَنَسُ بِالْمَالِ كُلِّ الْخَبِيثَةِ .
وَقَوْلُهُ « بَوْفَرِ الْغِنَى » أَيْ بِسَلْبِ وَفْرِ الْغِنَى ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ . وَيَتَعَلَّقُ الْبَاءُ مِنْهُ
بِقَوْلِهِ غَالَنِي . وَالْوَفْرُ : كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْغِنَى ، لِأَنَّ الْمُرَادَ الْمَالُ الَّذِي يَحْصُلُ

(١) كَذَا بِاتِّفَاقِ النُّسخَتَيْنِ . التَّبَرِيزِيُّ : « حِطَّانُ بْنُ الْمَعْلَى » وَذَكَرَ عَنْ اشْتِقَاقِهِ
عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ : « حِطَّانُ فَعْلَانٌ مِنَ الْخَطِّ » .

(٢) م : « وَقَرَّتْ » بِالْقَافِ .

(٣) الْبَيْتُ لِلنَّابِغَةِ الذَّيْبَانِي فِي دِيْوَانِهِ ٦ .

به الغنى . وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة بينهما ، سواء كان له أو عليه ، أو معه أو فيه ، أو من أجله ، أو مما يليه . ويجوز أن يكون موضع « بوفر الغنى » نصبًا على الحال للدهر ، كما تقول : فأتى فلان بكذا ، والغنى فأتى مستضحيًا له . ومثله : جاء في أطمار ، أى لايسًا لها . ويجوز أن يكون حمل الكلام على الغنى ، فعُدِّي غالي تَعْدِيَة فَجَعَنِي ، لأنه في معناه ، فكأنه قال : فَجَعَنِي بوفر الغنى وأصابني .

٣ - أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَارُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي

قوله « بما يُرْضِي » يدلُّ على أنه أضمر مع قوله أَبْكَانِي الدَّهْرُ شيئًا يكون في مقابلته ، وحذف لأن المراد مفهوم . والمعنى أَبْكَانِي الدَّهْرُ بِمَا يُسْخِطُ . وقوله « يَارُبَّمَا » المُنَادَى فيه محذوف ، كأنه قال : يَا قَوْمَ رَبَّمَا . وهذا النداء على وجه التمجُّس والتوجع من معاملة الدهر وسوء تَعَقُّلِهِ . وقوله « رَبَّمَا » « ما » هذه دخلت كَأَفَّةٍ لِرُبِّ عن العمل ، ومخرجة لها إلى أن تصير مشتركة حتى جاز وقوع أضحكى بعده . ومثله قوله تعالى : ﴿ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ^(١) ﴾ . ومعنى البيت : أَبْكَانِي الدهر بما أسخطنى ، وَيَا قَوْمَ ربما أضحكى الدهر فيما مضى بما أرضانى . وفي طريقته قول الآخر ^(٢) :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ سَمَرَةً إِلَى فَقْدِ عَادَتِ لَهْنٍ ذُنُوبُ

٤ - لَوْلَا بُنْيَاتُ كَرْزُغِ الْقَطَا رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ

(١) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتخفيف الباء في ربما ، والباقون بتشديدها . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ . وقد وردت في النسختين بتشديد الباء . ولما يجدر ذكره أن « رب » لم تقع في القرآن إلا في هذه الآية من سورة الحجر على كثرة وقوعها في لسان العرب . تفسير أبي حيان (٥ : ٤٤٢) .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوى . أمالي القالى (٢ : ١٤٩) .

بُنَيَّاتٌ فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ ، وَجَازَ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ لِكَوْنِهِ مَحْدُوداً^(١) بِمَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ . وَجَوَابُ لَوْلَا « لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ » وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَاسْتَفْنَى بِهِ عَنْ خَيْرِ الْمُبْتَدَأِ ، وَالتَّقْدِيرُ : لَوْلَا بُنَيَّاتٌ صِفَاتُهُنَّ هَذِهِ مَانِعَةٌ لِي لَفَعَلْتُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَوْلَا بُنَيَّاتٌ لِي صَغِيرَاتٌ كِفْرَاحِ الْقَطَا الَّتِي عَلَيْهَا الزَّغَبُ — وَهُوَ الشَّعْرُ اللَّيِّنُ لَصَفْرُهُنَّ — اجْتَمَعْنَ لِي فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ ، فَمِنْ ثَانِيَةٍ بَعْدَ أَوَّلَى ، وَوَاحِدَةٍ إِلَى جَنْبِ أُخْرَى فَكُثُرْنَ — لَكَانَ كَذَا . وَمِثْلُهُ :

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا وَوَاحِدَةً حَتَّى اجْتَمَعْنَ ثَمَانِيًا

أَيِ جِئْنَ مَتَوَالِيَابَ . وَيُرْوَى : « رَدَدْنَ مِنْ بَعْضِي إِلَى بَعْضِي » ، بِفَتْحِ الرَّاءِ مِنْ رَدَدْنَ وَإِضَافَةِ الْبَعْضِ ، وَلِلْمَعْنَى : قَوَّسْنِي وَحَنَّنِي ظَهَرِي . وَيَجُوزُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْبَنَاتِ زُوجُنَ فَرُدَدْنَ مَعَ بَنَاتٍ لَهُنَّ صَغَارُ . وَيُقَالُ : ابْنَتُكَ مَرْدُودَةٌ ، أَيْ مُطْلَقَةٌ . وَإِلَى فِي مَوْضِعٍ مَعَ ، يُقَالُ هَذَا إِلَى ذَلِكَ أَيْ مَعَهُ . وَيَكُونُ « مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ رُدَدْنَ مَعَ غَيْرِهِنَّ . وَقَدْ شَبَّهَ خَطِيئَتُهُ وَغَيْرُهُ الْأَوْلَادَ بِزُغَبِ الْقَطَا ، فَقَالَ :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَاخٍ زُغَبِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرٍ

يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « رُدَدْنَ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ . وَ« مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » مُضَافَتَيْنِ . وَالْمَعْنَى : كُنَّ فِي صُلْبِي ، فَلَمَّا وَلَدْتُهُنَّ صِرْنَ فِي كِبْدِي فَهِيَ تَحْتَرِقُ عَالِيَهُنَّ لِقَرَطِ شَفَقَتِي .

٥ - لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ

الْمُضْطَرَبُ يَكُونُ الْاضْطِرَابَ ، وَيَكُونُ مَوْضِعَ الْاضْطِرَابِ . يَقُولُ : لَوْلَا خَوْفِي مِنْ ضِيَاعِهِنَّ وَإِبْقَائِي عَلَيْهِنَّ ، لَكَانَ لِي بَحَالٌ وَاسِعٌ ، وَمِثْلُهُ فُسَيْحٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَحْنُوفًا » ، صَوَابُهُ فِي م وَالتَّبَرِيزِي .

في الأرض الطويلة العريضة . وإنما تلوّمتُ ولزمتُ مكانى هذا لنّ وبسببهنّ .

٦ - وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض^(١)

يقول : محلّ أولادنا من أنفسنا فيما بيننا وإن كانت ماشية على الأرض محلّ الأكباد من الأجواف . ويقال « الولد فلذة من الكبد » ، أى قطعة . وقوله « تمشى على الأرض » فى موضع الحال للأولاد ، وبيننا ظرفٌ تمشى . والتقدير : أولادنا وهى ماشية على الأرض بيننا أكبادنا . وقوله « إنما » يدخل لتحقيق الشيء على وجه مع نفي غيره عنه .

٨٧

وقال حيان بن ربيعة^(٢) :

١ - لقد علم القبائل أن قومى ذوو جدٍ إذا لئس الحديد^(٣)

يقول : شهدت القبائل أن قومى يحدون فى الحرب إذا تدجج أهلها فى الأسلحة ، ويبلون فيها ولا يقصرون . و « إذا لئس الحديد » ظرف لقوله « ذوو جدٍ » كأنه قال : إنهم يجتهدون فى ذلك الوقت . وأن قومى مع ما بعده سدّ مسدّ مفعولنى علم .

(١) بعده عند التبريزى :

لو هبت الرّيح على بعضهم لامتدّت عيني من الغمض

(٢) التبريزى : « قال أبو هلال : هكذا قال أبو تمام . ونحن نقول : هو حيان بن عليق بن ربيعة الطافى ، أخو بنى أخزم ثم أحد بن عدى بن أخزم بن أبى أخزم بن عمرو بن ثعل . وفى نسخة أبى أحمد : جبار بن ربيعة ، وهو غلط ، وليس فيه جبار بن ربيعة ، إنما هو جبار بن جزء بن ضرار ، ابن أخى الشماخ ، وجبار بن مالك بن حار الشمخى من فزارة ، وجبار بن عمرو بن عميرة الطافى ، ويعرف بالأسد الرهيص . وأما جبار بن ربيعة فليس بمعروف . ولا مذكور . »

(٣) التبريزى : « ويروى : ذوو حد . والحد : السلاح » .

٢- وَأَنَا نِعَمَ أَحْلَاسُ الْقَرَا فِي إِذَا اسْتَعْرَ التَّنَافُرُ وَالنَشِيدُ

يقول: ويشهدون أيضاً أنه نعم أحباب القوافي وأربابها نحن، إذا التهمت نارُ التفاخر والتناشد والتحاكم. والحلس، أصله البرذعة وما يلي الظهر تحت الرّحْل، ثم يستعمل على طريق التشبيه على وجهين: يقال في الذم: فلان كالحلس الملقى، فيمن لا غناء عنده ولا كفاية إذا حَزَبَهُ أمره. ويقال فيمن لَزِمَ ظهور الخيل: هم أحلاسُها؛ وهذا إذا مدحوا بالفروسيّة. ثم قالوا: ما هذا من أحلاسِ فلان، أى ليس من آلائه. وقد مرّ بي أيضاً أنه يقال للكفل الذى ليس بفارس: هو كالحلس. وأحلاسُ البيت: ما يُلْقَى تحت حرّ متاعه: ١- وَأَنَا نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ حَتَّى تُوَلِّيَ وَالسِّيُوفُ لَنَا شُهُودُ(١)

يقول: وشهدوا أيضاً أنا نضاربُ الكتيبة البيضاء لكثرة سلاحها فنغلبهم حتى تُوَلِّيَ منهزمةً، وسيوفنا لها حاضرةٌ نكتسحُهم بها في الحرب أيضاً، والمَلْحَاءُ من الملح، وهو البَيَاضُ. يقال: كَبَشْتُ أَمْلَحُ. ويُرْوَى «نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ» بضمّ الراء. ويقال: ضاربتُهُ فضرَبْتُهُ أَضْرَبُهُ، أى غلبتُهُ في الضّراب.

٨٨

وقال الأعرج المعنى(٢):

١- أَنَا أَبُو بَرْزَةِ إِذْ جَدَّ الْوَهْلُ(٣)

(١) م: «لها شهود».

(٢) التبريزى: «معنى طيى». وقيل الصحيح أنها لعمر بن يثرب. والأعرج المعنى هو عدى بن عمرو بن سويد بن ريان الأعرج الطائي المعنى، وقيل اسمه سويد بن عدى. وهو شاعر مخضرم. معجم المرزبانى ٢٥١.

(٣) التبريزى: «ويروى: أنا أبو بردة». وقد روى التبريزى الأشتار الخمسة الأولى بترتيبها هنا، ثم روى بعدها الأشتار السابع ثم شطراً آخر لم يروه المرزوق، وهو: =

٢ - خُلِقْتُ غَيْرَ زُمْلٍ وَلَا وَكَلٍ

يريد أنا الذى لشهرته تُغنى كُنَيْتُهُ عن صفاته وذكر أحواله ، وقت اشتداد الخوف . فإن قيل : ما العايلُ فى قوله « إِذْ جَدَّ » ؟ قُلْتُ : ما دُلَّ عليه قوله أنا أبو بَرْزَةَ من المعنى الذى بَيَّنَّتْهُ هو العايلُ - ومثله :

* أنا أبو النّجمِ وشِعْرى شِعْرى *

وقوله « خُلِقْتُ غَيْرَ زُمْلٍ » ، أى غير ضعيف ولا جَبَان يتكل على غيره .
فما يَنبُوهُ . والزُّمْلُ ^(١) والزُّمَال والزُّمَيْلَةُ ^(٢) : الضعيف . والوَكَلُ : الذى يتكل على غيره .

٣ - ذَا قُوَّةٍ وَذَا شَبَابٍ مُّقْتَبَلٍ

٤ - لَا جَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجَلِ

٥ - الْمَوْتُ أَحَلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ

يقول : خُلِقْتُ قُوِيًّا مُّقْتَبَلِ الشَّبَابِ ، لم تُبَيِّنِ السَّنُونَ ، ولم يُضَعِفْنِي مَا مَسَّنِي من النّوَابِ والمُوم . فإن قيل : ما الزَّيَادَةُ فى قوله « ذَا قُوَّةٍ » على قوله « غير زُمْلٍ » ؟ قَالَتْ : يجوز أن يكون ذاقوه مصروفًا إلى الرأى ، وغير زُمْلٍ مصروفًا إلى البِنْيَةِ . ويجوز أن يكون المراد بذاقوه الْجِلَادَةَ ، لأنّه ليس من كان غير ضعيف كان جَلْدًا . واقتبالُ الشَّبَابِ : ألا بُرَى أثرٌ من الكِبَرِ معه .

وقوله « لَا جَزَعَ الْيَوْمَ » يقول : استَقْتَلْنَا يَوْمَنَا ، فلا نَجْزَعُ عَلَى دُنُوِّ الْأَجَلِ

* نحنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ *

ثم الشطر الثامن ثم الشطر السادس .

(١) يقال بتشديد الميم وتخفيفها .

(٢) وهذا أيضًا بتشديد الميم وتخفيفها .

فيه إن دَنَا ، لأنَّ الموت إذا غَشِينَا فيما نطلبه ، أحمَلِي طَعْمًا عندنا من طعم العسل ، وقوله « اليوم » ظرف لقرب الاجل ، وعلى قُرْبِ الأجل ، خبرٌ إلَّا . ويجوز أن تجعل اليومَ خبرًا « على قرب الأجل » تبيينًا له أو حالًا . وإن جعلته خبرًا بعد خبر ، كما نقول : هذا حلٌّ حامضٌ ، جاز أيضًا . وذكر بعضُ المتأخرين أنه لا يجوز أن يكون معنى « على » هنا معناها في قولك جَزَعْتُ على كذا ، أى أشفقت عليه ، لأنَّه غيرُ الغرض المقصود . ألا ترى أنَّ معناها لا جَزَعَ اليومَ من الموت على أنَّ الأجل قريبٌ مِنَّا ، فإذا قُرْبَ منا فلم نجزع منه فما ظنك بنا إذا بعدَ عنا . وأنا أقول : وإنَّ من البيان لِسِحْرًا ، وإنَّ من الغوصِ على المعاني لمِثْلُهُ دُرًّا .

٦- رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ

٧- نَحْنُ بَنَى صَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَلْ

٨- نَنَعَى ابْنَ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الْاَسَلْ

يعنى بالشيخ عثمان بن عفان رضى الله عنه . المعنى : إنا طالبون بدمه ، فإذا أدركنا ثأره فحسبنا ذاك . وهذا معنى قوله « ثم بَجَلْ » . وموضع بَجَلْ رَفَعٌ على الابتداء وخبره مُضَمَّرٌ ، كأنه قال : « ثم بَجَلْنَا ذلك » ، أى حَسَبْنَاهُ ذلك . ومُتَمَّ عَاطِفَةٌ لَجَلَّةٍ على جملة . وقال لَبِيدٌ :

* بَجَلِي الْآنَ مِنَ الْعَيْشِ بَجَلٌ ^(١) *

وحكى الأخفش أن بَجَلْ سا كنة أبدًا . يقولون بَجَلْكَ ، كما يقولون قَطَّكَ وقَدَّكَ ، إلَّا أنهم يقولون بَجَلِي ولا يقولون بَجَلْنِي كما يقولون قَطَّنِي وقَدَّنِي «

(١) صدره كما فى ديوان لبید ١٧ طبع ١٨٨١ :

* فَيَ أَهْلَكَ فَلَا أَحْفَلُهُ *

وهو القياس مع مجيئه على السكون . وانتصاب « بنى ضَبَّة » بفعلٍ مُضمر ،
والقصد فيه للدح والاختصاص . وخبر المبتدأ الذى هو نحنُ « أصحابُ » ،
والتقدير : نحنُ - أذكرُ بنى ضَبَّة - أصحابُ الجَمَل . وهذا الكلامُ يُنبئُ به
على أنهم مُجِدِّون فى طلب دم عثمان رضى الله عنه ، لأن الذين خرجوا مع عائشة
رضى الله عنها وقاتلوا يومَ الجَمَلِ كان دعواهم طلبُ الثَّار . ولو قال نحنُ بنو
ضَبَّة لكان يسقطُ نخامةُ المدح وتعظيمه ، وكان يصير أصحابُ صفةٍ وبنو خبراً ،
وكان يجوز أن يكونا جميعاً خبرين ، ويجوز أن يكون أصحابُ بدلاً من بنو .
وقوله « نَنَعَى ابن عفان » كان عادتهم إذا مات رئيسٌ فيهم عظيمُ الشأن
والمحل أن يطوفَ واحدٌ منهم على القبائل ، وَيَصْعَدُ الرَّوَابِى المِطْلَةَ عليهم ،
وَالْأَكَامَ المرتفعة بمحالتهم ويقول : نَعَاءُ فُلَانًا ! يريدون تشهيرَ أسمه ، وتعظيم
الفجع به ، وربما أَرَّخُوا بموته . فيقول : نحن نجعلُ بَدَلَ هذا الفعل أن نطلبُ
دمه بأطرافِ الرَّماح . وهذا معنى حَسَن .

٨٩

وقال آخر^(١) :

١ - دَاوِ ابْنَ عَمِّ السَّوِّءِ بِالنَّائِى وَالْغَنِى كَفَى بِالْغَنِى وَالنَّائِى عَنْهُ مُدَاوِيَا
يقول : عالج ما بينك وبين ابن عمِّ السَّوِّءِ من التضاعن والتباين ، والتغايط
والتحاسد ، بِالْبُعْدِ منه ، والاستغناء عنه . ثم قال : وكفى بهما من مُدَاوٍ معه .
وهذا يجرى مجرى الالتفات ، وهو تنبيهٌ على أنهما الغاية فيم يُحْسَمُ به شرُّه ،
وَيُدْفَعُ به ضيرُه . وموضعُ بِالْغَنِى : رفعٌ بكفى . ومداوياً يجوز أن يكون حالاً ويجوز
أن يكون تمييزاً ، وهو أحسن ، ومثله : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ . والكلام يجرى

(١) التبريزى : « وقيل إنه لرجل من بنى أسد » .

أيضاً مجرى التأكيد فيما دعا إليه ، والتحقيق لفتناً ما أشار به .

٢ - جَزَى اللهُ عَنَّا مَحْصَنًا بِلَالِهِ وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ الْقَرِيبَ وَخَالِيَا
مَحْصَنٌ الْمَذْكُور ، هو ابن عمه الذى تأذى به فدعا عليه . يقول : جَزَاهُ
اللهُ بِفَعْلِهِ فِينَا ، إِنْ خَيْرًا نَخِيرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا ، وَإِنْ كَانَ مُتَّصِلَ النَّسَبِ
بِطَرَفِي أَبِي وَأُمِّي .

٣ - يَسْأَلُ الْغَنَى وَالنَّأَى أَدْوَاءَ صَدْرِهِ وَيَبْدَى التَّدَانِي غِلْظَةً وَتَقَالِيَا
السَّلُّ : النَّزْعُ ، والأدواء : جَمْعُ الداء . وهذا مِثْلُ مَا رَوَى : « أَنْ مُرْ
ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا ^(١) » ، وزاد عليه أيضاً بما شفع النَّأَى ^(٢)
به من ذكر الْغَنَى . وَتَبَّهَ أَيْضاً عَلَى أَنْ فِي التَّدَانِي تَحَاوُداً يَبْدُو مَعَهُ الْقِلَى وَالنَّسْوَةُ
لأنَّ الْكَلَامَ كَالْتَعْلِيلِ لِلْأُمُورِ الَّذِينَ رَغَّبَ فِي أَحَدِهَا وَزَهَّدَ فِي الْآخَرِ ، وَهَذَا
التَّدَانِي وَالتَّنَائِي . وَالْمِثْلُ السَّائِرُ : « فَرَّقَ بَيْنَ مَعْدَةٍ تَحَابَّ » مِثْلُ الْبَيْتِ .

٤ - أَعَانَ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرَكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّتُهُ بِي كَافِيَا ^(٣)
هذا الْكَلَامُ شِكَايَةٌ بِمَا عَامَلَهُ بِهِ مَحْصَنٌ ، وَتَعَصْرِيحٌ بِأَذَاهُ ، فَيَقُولُ : لَمْ يَرْضَ
بِالْقُعُودِ عَنِّي وَإِسْلَامِي لِلدَّهْرِ حَتَّى صَارَ عَوْنًا لِهَ عَلَى ، لَمَّا أَخَذَ يُوَثِّرُ تَأْثِيرَهُ ،
وَيُلْقِي كُلَّكُلَّهُ وَجِرَانَهُ . ثُمَّ قَالَ مُنْتَقِلاً عَنِ الْأَخْبَارِ عَنْهُ إِلَى مُخَاطَبَتِهِ ، إِظْهَاراً
لِلْجَزَعِ مِنْ فَعْلِهِ . لَوْ اتَّخَذْتَ الدَّهْرَ وَكِيلًا وَاعْتَمَدْتَ عَلَيْهِ ، دُونَ أَنْ تُبَاشِرَ
مَسَاءَتِي بِفِعْلِكَ لَكَفَاكَ . وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ ، أَغْنَى كَفَى الدَّهْرُ ، بِسَمَى التَّفَاتَا .
وَقَوْلُهُ « كَافِيَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمْيِيزًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ ،

(١) هذا من كتاب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعرى . انظر مجمع الأمثال
في (فرق بين معد تحاب) .

(٢) في الأصل : « الثاني » ، صوابه من م .

(٣) التبريزي : « ويروى : إذ حل بركه » . وكتب في نسخة الأصل : « حل » بحيث
تقرأ باللام والكاف أيضاً . وذلك بتقمير اللام وإلحاق علامة الكاف من جانبها الأيمن .

أراد : كَفَى الدَّهْرُ لو وَكَفَلَتْهُ بى كَفَايَةً . واسمُ الفاعل يقع موقع المصدر كثيراً كما يقع المصدر موقع اسم الفاعل . ومثله قول بِشْرِ :

* كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافٍ ^(١) *

فَقوله كَافٍ فى أحد الوجوه مَصْدَرٌ لِسكْنِهِ لم يَنْصِبْهُ ، وجعله كقول الآخر :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ ^(٢) *

فى ترك إعراب المعتل فى موضع النصب أيضاً ، إذ كان من القرب من يستقل الفتحة فى الياء ، والتقدير : كَفَى النَّأْيُ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِيَا ، أى كَفَايَةً . وقد جاء فى المثل : « أُعْطِيَ الْقَوْمَ بَارِيهَا » ، بسكون الياء فى باريها ، ولم يَرَوْا أَحَدًا بَارِيهَا بالفتح ، فليس يجوز إلّا مَا حُكِيَ ، لأنَّ الأمثال لا تُغَيَّرُ .

٩٠

وقال رَجُلٌ من بنى كَلَيْبٍ ^(٣) :

١ - وَحَنَنْتُ نَاقَتِي طَرَبًا وَشَوْقًا إِلَى مَنْ بِالْحَيْنِ تُشَوِّقِنِي

انتصب « طَرَبًا » على أَنَّهُ مَصْدَرٌ فى موضع الحال ، أو على أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ .

وأوّل البيت خبرٌ عن راحلته ، وآخره خِطَابٌ لها . وقوله « تُشَوِّقِنِي » حذف نونه استئصالاً لاجتماع نونين ، والأصل تشوّقينى . ومثله فى الحذف قول الآخر ^(٤) :

* يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَّيْنِي ^(٥) *

(١) عجزه فى مختارات ابن الشجرى ٧٥ :

* وليس لحبها إذ طال شاف *

(٢) انظر اللسان والمقاييس (قرق) وإصلاح المنطق ٤٦٤ .

(٣) التبريزى : « من بنى كلب » .

(٤) هو عمرو بن معد يكرب ، كما فى اللسان (فلا) .

(٥) صدره : * تراه كالثغام يعل مسكا *

يريد فَلَيْتَنِي . والمعنى : اشتكت ناقةً حائَةً لَطَرَهَا وشَوَّعَهَا . ثم أخذ يحاطبُهَا مُنْكَرًا عليها ما ظهر منها فقال : تُشَوِّقِنِي بِحَنِينِكَ إِلَى مَنْ ؟ أَرَادَ أَنَّهُ مع حصولِ اليأسِ يجبُ ألاَّ تَحْنَ ولا تُشَوِّقَ . ويجوز أن يكون المعنى تعظيمُ المُشتاقِ إليه ، فكأنه قال : تشوقيني إلى مَنْ بِحَنِينِكَ ؟ أى إلى إنسانٍ وأى إنسان ؟ وَمَنْ من قوله « إلى مَنْ » فى هذا الوجه يكون نَكِيرَةً غير موصوفةٍ وإن كان الكلامُ خَبَرًا ، وفى المعنى الأول يكون من استفهامًا . وتقول : مَرَرْتُ بِمَا صَالِحٍ ، وَمَرَرْتُ بِمَنْ كَرِيمٍ ، تريدُ بِإنسانٍ كَرِيمٍ . وقد حُلَّ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ ﴾ ، على أن معناه مَثَلًا شَيْئًا بَعُوضَةٌ . والطَّرَبُ : خِفَّةٌ تعترى لعارضِ سُرُورٍ أو هَمٍّ :

٣٣ - فَأَنَّى مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجَدِي وَلَكِنْ أَصْحَبَتْ عَنْهُمْ قُرُونِي
هذا الكلام اعترافٌ بالحبِّ ، وتسويغٌ لحنين الناقة وإن كرهَ التذكير
الحاصل منه . والشَّجْوُ المُنتَمِجُ عنه . وقوله « مثل ما تجدين » يجوز أن يكون
خبرًا مقدَّمًا والمبتدأ وَجَدِي ، فيكون التقدير : إِنِّي وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ ،
سواءً الجملة خبرٌ إنَّ . ويجوز أن يكون مِثْلُ خَبَرٍ إنَّ ، وَوَجَدِي بدلٌ من ياء الضمير
المتصل بِإِنِّي ، كأنه قال : إنَّ وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ . وما بمعنى الذى ، وتجدين
مِنْ صِلَتِهِ ، والضمير العائدُ إليه محذوف ، كأنه قال : مِثْلُ مَا تَجِدِينَهُ ، أى
مِثْلُ الْوَجْدِ الذى تجدينه . ويجوز أن يكون ما مع الفعل فى تقدير مصدرٍ ،
كأنه قال : إِنِّي وَجَدِي مِثْلُ وَجْدِكَ . والأصلُ فى إِنِّي إِنِّى ، لكنَّه حُذِفَ
نُونُهُ لاجتماع ثلاث نونات ، ويجوز أن يكون لم يَأْتِ بنون العباد كما لم يَأْتِ
به فى آتَى وَلَيْتِي ، والمعنى إنَّ وَجَدِي مِثْلُ وَجْدِكَ ، ولكنْ تابعتنِي نفسى
باليأسِ منهم ، وأنتِ لا تعرفين اليأسَ . والإصحاب : الانقياد . والقرون

وَالْقَرُونََةُ : النَّفْسُ . وَيَقُولُونَ : أَخَذْتُ قَرُونِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، أَيْ رَفَضْتُهُ
وَاطَّرَحْتُهُ .

٣ - رَأَوْا عَرْشِي تَتَلَمَّ جَانِبَاهُ فَلَمَّا أَنْ تَتَلَمَّ أَفْرَدُونِي
يقول : رَأَوْا عِزِّي قَدْ تَهَدَّم جَانِبَاهُ ، وَانْهَدَّ رُكْنَاهُ ، فَلَمَّا صَارَ أَمْرِي
كَذَلِكَ تَرَكَونِي وَحِيداً ، وَقَعَدُوا عَنْ مَشَابِعِي وَمُتَابِعَتِي ، فَدَعَتْنِي الْحَالُ إِلَى
مَفَارِقَتِهِمْ ، وَالتَّحَوُّلِ عَنْهُمْ . وَالْعَرْشُ : سَرِيرُ الْمَلِكِ ، وَقِيَامُ أَمْرِ الرَّجُلِ
وَعِزُّهُ ، فَإِذَا زَالَ قِيلَ : نُلَّ عَرْشُهُ وَتَتَلَمَّ . وَقَدْ أَلَمَّ فِي هَذَا بِقَوْلِ أَوْسٍ :
* وَهُمْ لِمُقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ ^(١) *

وبقوله :

* بَنُو أُمِّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ ^(٢) * (البيتان)

٤ - هَنِئْنَا لابْنَ عَمِّ السَّوِّءِ أَنِّي مُجَاوِرَةٌ بَنِي مُعَلِّ لَبُونِي
أَنِّي فِي مَوْضِعِ الْفَاعِلِ لِهَنِئْنَا ، وَمُجَاوِرَةٌ ارْتَفَعَ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرُ أَنْ ،
وَلَبُونِي فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا فَاعِلَةٌ لِمُجَاوِرَةِ ، وَبَنِي مُعَلِّ مَفْعُولٌ بِهِ . وَالْمَعْنَى :
لَيْهِنِي ابْنُ الْعَمِّ السَّوِّءِ بُعْدِي عَنْهُمْ ، وَمُجَاوِرَةٌ لَبُونِي لَغَيْرِهِمْ . وَاللَّبُونُ : الْمُنَاقَةُ
الَّتِي بِهَا لَبَنٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفَعَ مُجَاوِرَةٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ ، وَالْمَبْتَدَأُ لَبُونِي
وَالْجُمْلَةُ كَمَا هِيَ تَكُونُ خَبَرُ أَنْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَبُونِي بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ
بِأَنِّي ، وَالتَّخْبِيرُ مُجَاوِرَةٌ . وَالْمَعْنَى وَالتَّقْدِيرُ أَنَّ لَبُونِي مُجَاوِرَةٌ بَنِي مُعَلِّ . وَهَذَا
الْكَلَامُ إِنْبَاءٌ أَنَّ مَا حَصَلَ مِنْ بُعْدِهِ عَنِ الْعَشِيرَةِ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَهُ ، فَقَالَ هُنَا اللَّهُ
أَبْنَاءُ عَمِّي مَا أَرَادُوهُ وَفَازُوا بِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَعِيدًا وَتَهَكُّمًا .

(١) عجزه : * وَإِنْ كَانَ مُحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مَخُولًا *

(٢) هُوَ بَيْتَاهُ :

بَنُو أُمِّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْأَمْرِ جَمْعًا

٩١

وقال رجل من بني أسد :

١- وَمَا أَنَا بِالنَّكْسِ الدَّيِّ وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ

النَّكْسُ أَصْلُهُ فِي السَّهْمِ ، وَنُقِلَ إِلَى الضَّعِيفِ مِنَ الرِّجَالِ . يُقَالُ نَكَسْتُهُ نَكْسًا نَمَّ يُسَمَّى الْمَنْكُوسُ نِكْسًا ، كَمَا يُقَالُ نَقَضْتُهُ نَقْضًا نَمَّ يُسَمَّى الْمَنْقُوضُ نَقْضًا بِكسر النون . كَانَ السَّهْمُ انْكَسَرَ فَوْقَهُ فَنِكَسَ فَسَمِيَ نِكْسًا . فَيَقُولُ : مَا أَنَا بِالْمُسْتَضْعَفِ اللَّئِيمِ ، وَلَا الَّذِي إِذَا انْحَرَفَ عَنْهُ مَنْ يُؤَادُّهُ دَعَا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ فَقَالَ : وَاحْرَبَاهُ . وَفِي طَرِيقَتِهِ .

وَلَا أَقُولُ إِذَا مَا خَلَّةٌ صَرَمَتْ يَا وَبِحْ نَفْسِي مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقٍ^(١)
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحْرَبُ : اُعْتَظُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

* إِنِّي إِذَا الشَّاعِرُ الْمَغْرُورُ حَرَبَنِي *

وَهَذَا اسْتَلْكٌ فِي طَرِيقَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ عَنْهُ ذُو الْمَوَدَّةِ يَحْرَبُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الْعَلَّةِ مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْصُولِ ، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقَصْدُ فِي الْإِخْبَارِ إِلَى نَفْسِهِ وَكَانَ الْآخِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ، لَمْ يُبَالِ بِرَدِّ الضَّمِيرِ عَلَى الْأَوَّلِ وَتَحَلَّى الْكَلَامَ عَلَى الْمَعْنَى ، لِأَمْنِهِ مِنَ الْإِتْبَاسِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَبِيحٌ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ ، حَتَّى إِنْ أَبَاعْتُمَا لِلزَّانِي قَالَ : لَوْلَا اشتهارُ مَوَدَّهِ وَكَثْرَتُهُ لَرَدَدْتُهُ . وَمِثْلُهُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ^(٢) *

(١) لتأبط شراً . المفصلیات (١ : ٢٦) .

(٢) لعلی بن أبی طالب ، كما فی اللسان (حدر ، سندر) . وقد سبق فی ص ١١٥ .

٣- ولكنني إن دام دُمتُ وإن يكن له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبٌ^(١)

يقول : أملك نفسي وودّي في مصادقة الأخلاء ، فإن داموا لي على العهد دُمت لهم ، ولزمتُ الوفاء معهم ، وإن رأوا ذهاباً عني وميلاً إلى غيري ذهبتُ عنهم ، ومِلتُ إلى غيرهم . ويُروى : « ولكنني ما دام دُمت » ويكون موضعُ ما دام ظرفاً ، وخبرُ لكنَّ دُمت . وفي الأولى يكون الجزاء وجوابه خبراً . وفي طريقته قول ليبيد :

فاقطعُ لبانةً من تعرضَ وصله ونخيرُ واصِلِ خُلّةٍ صرامها
٣- ألا إن خيرَ الودِّ ودُّ تطوّعتُ به النفسُ لا ودُّ أُنّى وهو مُتعبُ

يقول : خير الودِّ ما جاء عفواً من غير جهدٍ ، ولا إكراه نفس وطبع ، بل يبعثه الميلُ ، ويحكمهُ الخُلوصُ ؛ فأما المُتعبُ من المودّات ، المشوّبُ بالتعمّل والتكلف ، فلا طائل فيه . ومثله قول بعضهم :

ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ مُتسكّره عليك ولا في صاحبٍ لا توافقه^(٢)
وقول الآخر :

إذا أنت لا يثنيك إلا شناعةُ فلا خيرَ في ودِّ يكون بشافِعِ

٩٢

وقال أبو حنبل الطائي^(٣) :

١- لقد بلّاني على ما كان من حدّثٍ عند اختلاف زجاجِ القومِ سيّارُ

(١) كتب بخط مخالف قبل هذا البيت :

ولست إذا ولي الصديق بوده بمكتئبٍ أحنو إليه وأندب

(٢) أنشده التبريزي ، مع بيتين بعده ، وقال : « قالوا هو لمسلم بن الوليد » .

(٣) هو جارية بن مر ، أبو حنبل الطائي ، شاعر جاهلي فارسي . ذكره في المؤتلف ٩٩ .

التبريزي : « ويقال إن هذه الأبيات لعامر بن جوين ، حين أجاز سيّار بن موالدة بن عامر -

ارتفع « سَيَّارٌ » بقوله بَلَانِي . واللام في « لقد » تُؤذِنُ بِيَمِينٍ . يقول :
لَقَدْ خَبَرَنِي هَذَا الرَّجُلُ عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ حَدِيثٍ ، وَاعْتَرَضَ مِنْ شَرٍّ ، فَعَرَفَ
حُسْنَ بِلَانِي عِنْدَ اخْتِلَافِ الْقِنَا بِالطَّعْنِ . وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ ، وَالْمُرَادُ الرَّمَّاحُ
بِكُلِّهَا ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ ^(١) :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نَعَالِهِمْ * ^(٢)

وَلَمَّا يُوطَأُ النَّعْلُ كُلُّهَا . وَيُقَالُ : زَجَجْتُهُ بِالرَّمْحِ ، إِذَا زَرَقْتُهُ .

٣ - حَتَّى وَفَيْتُهَا دُهِمًا مَعْقَلَةً كَالْقَارِ أَرْدَفَتْهُ مِنْ خَلْفِهِ قَارٌ

يقول : صَبَرْتُ لِمَا عَزَّ مِنْ أَمْرٍ ، وَتَمَسَّرْتُ مِنْ وِفَاءٍ وَأَدَاءٍ ، لِأَخْرُجَ مِمَّا بِهِ
تَكَلَّفْتُ ، مِنَ الْمُهْدَةِ الَّتِي فِيهَا دَخَلْتُ . وَقَدْ كَانَ أَبُو حَنْبَلٍ تَضَمَّنَ لِسَيَّارٍ بِإِلَاءٍ
لَهُ بِأَعْيَانِهَا أَوْ شُرُوَاهَا ، أَى مِثْلِهَا ، فَيَقُولُ : أَخَذَ سَيَّارٌ يَنْتَظِرُ مَاذَا يَكُونُ مِنِّي
فِيمَا تَضَمَّنْتُ حَتَّى وَفَيْتُ بِإِبْلِهِ سُودًا مُشْدُودَةً بِعُقْلِهَا ، كَأَنَّهَا فِي سَوَادِهَا قَارٌ عُولِي
بِهَارٍ . وَهَذَا يُرَادُ بِهِ تَأْكِيدُ السَّوَادِ . وَيُقَالُ رَدَفْتُهُ وَأَرْدَفْتُهُ ، إِذَا جِئْتَ بَعْدَهُ .
وَرَدَفْتُكُمْ وَرَدَفَ لَكُمْ ، أَى تَبِعْتُكُمْ وَجَاءَ بَعْدَكُمْ . وَانْتَصَبَ « دُهِمًا » عَلَى
أَنَّهُ حَالٌ لِلْإِبْلِ . وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ « كَالْقَارِ » تَصْوِيرُ الْإِبْلِ بِأَلْوَانِهَا . وَمَعْنَى لَقَدْ
بِلَانِي حَتَّى وَفَيْتُ ، أَى انْتَظَرْتُ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَلَاءِ فِي وَفَائِي عِنْدَ مَا ضَمَّنْتُ ،
وَصَارَ يُحَرِّبُنِي إِلَى أَنْ وَفَيْتُ . وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ مُعْقَلَةً ، أَنَّهُ سَلَّهَا فِي مَبَارِكِهَا آمِنَةً .

— بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وكان سيار جاراً لرجل من بني ثعل يقال له عدى بن أفلت ،
فر عامر بن جوين بعدى بن أفلت وقد قامره سيار بن موالة بالقداح فقمرة عدى حتى غلق مال
سيار ، فظعن الحى فقال سيار لقينين له : تخلفا بأهلكما بعد الحى حتى ينزلوا ، فإذا نزلوا
فانطلقا برحلكما حتى تفسدا إلى رحل عامر بن جوين ، ففعلتا فجاء عدى بن أفلت فأراد أن
ينقلهما ورحلهما ، فأبى ذلك عامر بن جوين وقال : قد جاورنى الرجل ! فلما خرج امرؤ
القيس بن حجر عند عامر بن جوين فنزل على أبى حنبل جارية بن مر ، تهادى أبو حنبل
وعامر الشعر ، فقال عامر : لقد بلانى . . . » .

(١) هو الأعشى . الكامل ٣٥ ليسك واللسان (دفن) .

(٢) عجزه : * يشون فى الدفى والأبراد *

ويموز أن يكون أراد إبلاً متقدماتها ومتأخراتها سوداً ، فلذلك قال كالتار
أردف بقار ، ويموز أن يكون أراد بالتار جمع قارة ، وهي الجبال ، فشبهها بها
في عظمتها .

٣- قَدْ كَانَ سَيْرُ فُحْلُوا عَنْ تَحْوَلَتِكُمْ إِنِّي لَكُلِّ امْرِئٍ مِنْ جَارِهِ جَارٌ
يقول : وجب السير للخوف والحدّر قبل هذا الوقت ، وأما الساعة وقد
ببلغتم للأمن في جوارى فحلّوا عن أجمالكم ، إِنِّي لَكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ جَارٌ بَدَلًا
من جاره الأول . والعرب تقول : هذا من ذاك ، وهذا بذاك أى عوض .
وفسّر قول الشاعر :

لَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ^(١)

على أن المعنى لَيْتَ لَنَا بَدَلًا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً . ويقولون : فلان لك
من الجار جار ، ومن النديم ، ومن الأكيل أكيل . ويحتمل أن يكون
معناه : إِنِّي لَكُلِّ رَجُلٍ مُجِيرٍ مِنْ يَجَاوِرِهِ ، أى ممن يدانيه بسوء ، والأول
أجود وأضوب . والحمولة : جَمْعُ حَمَلٍ ، ودخلت الهاء فيه توكيداً لتأنيث
الجمع . والحمولة : الأبل التي يحمل عليها ، وهى فعولة كالقَتُوبَةِ ،
والركوبة ، ولا يجرى على الموصوف ، لا يقال دابة حمولة .

٩٣

وقال يزيد بن حمان السكوني^(٢) :

١- إِنِّي حَمَدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ حَدَّثَتْ نِيرَانُ قَرْمِي وَفِيهِمْ شُبَّتِ النَّارُ

(١) للأحول الكندي كما في معجم البلدان (الطهيان) . وهو اسم قلة جبل باليمن .

(٢) كذا في التسخين . وعند التبريزي ومعجم المرزباني ٤٩٣ أنه « يزيد بن حمان

السكوني » . قال المرزباني : « حليف بني شيبان ، وكان له بلاء ورأى يوم ذى قار ، فقال يمدح =

الحمد : الثناء على الرجل بما فيه من الخصال المرتضاة . وبهذا المعنى فارق الشكر ، لأن الشكر لا يكون إلا على صديعة . فيقول : لما رأيت بني شيبان عند انحلال الأرض وإجدايها ، وإقتار الناس وإضاعتهم ، يوقدون نار ضيقتهم ويقيمونها ، وإن كانت نيران غيرهم خامدة مثروكاً إشعالها ، أثنيْتُ عليهم ، ونشرتُ فضيلتهم . وقال « نيران قومي » وإن أراد غيرهم معهم ، تفضيلاً لهم على قومه ، وإيداناً بالصّدق في تخبره ، فبدأ بذكر قومه وذويه . ويروى : « نيران قوم » ، والأول أجود .

٢ - وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ^(١)

٣ - حَتَّى يَكُونَ عَزِيزاً مِنْ نَفْسِهِمْ أَوْ أَنْ يَبَيِّنَ جَمِيعاً وَهُوَ مُخْتَارٌ^(٢)

يقول : مِنْ تَكَرُّمِهِمْ الْكَرَمُ كَانَهُمْ لَا يَرْضَوْنَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتُ بِمَا طُبِعُوا عَلَيْهِ وَجُبِلُوا ، حَتَّى تَكْلَفُوا أَكْثَرُ مِنْهُ ، أَنَّهُمْ يُحِلُّونَ جَارَهُمْ مِنَ الْعَنَاءِ بِهِ وَالْإِتْحَافِ^(٣) وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ وَالْإِصْطِنَاعُ ، مَحَلّاً يَتَشَكَّكُ مِنْ بَعْدُ فِي نَفْسِهِ : هل هو جارهم أم من صميمهم . وعلى هذا يتعلّق حتى من قوله « حتى يكون عزيزاً » بالمعنى الذي دلّ عليه قوله لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ ، أى يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزاً فيما بين ظهرانيهم ، أو يختار مفارقتهم . والمعنى : ذلك له فيهم ، ما اعتزّ بجوارهم ، أو مال إلى فراقهم . ويجوز أن يكون

= بنى شيبان : إني حدث وقال التبريزي : هكذا قال أبو تمام - أى في نسبة الشعر - والصحيح أنه عدى بن يزيد بن حار ، بعد الألف راء ، بن عباد بن مسلمة بن عوف بن تراغم بن معاوية بن ثعلبة بن عقبة بن سكون . وعدى جاهلى ، ويعرف بالجون ، وكان نازلاً في شيبان .

(١) المرزبانى : « لا يشعر الجار فيهم » .

(٢) المرزبانى : « في نفوسهم » .

(٣) في النسختين : « والالتحاف » ، ولم نجد لها وجهاً .

قوله « من نفوسهم » في موضع الحال ، وعزيراً خبر كان . وإن جعلت « عزيراً » في موضع الحال ومن نفوسهم خبراً جاز . والمعنى : حتى يكون كأنه من أصلهم ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، والمعنى من جنسكم ومن بطانتكم . ويجوز أن يكون البيت مُضْمَنًا ، ويكون معنى لا يَعْلَمُ الجارُ فيهم أنه جار ، أنَّ الجارَ لا يكون قد أَحَسَّ بمجاورته لهم حتى يَتَفَقَّدُوهُ هذا التَّفَقُّدُ ، وَيُحْلُوهُ هذا الحَلُّ . وقوله « أو أن يبين جميعاً » انتصب جميعاً على الحال ، والمعنى أو أن يُفَارِقَ وهو مجتمع الحال غير مُنْتَشِرِها ، وَخُتَارٌ لذلك غير مُضْطَرٍّ إليه . ومثلُ هذا بيتُ زهير :

ضَمِنَّا مَالَهُ وَغَدَاً جَمِيعاً عَلَيْنَا نَقْصُهُ وَلَهُ النِّمَاءُ

وقبل بيتِ زهيرِ هذا قوله :

وجارٍ سارٍ معتمداً إلينا أجاؤتهُ الخافَةُ والرجاءُ
خَافُورٌ مُكْرَماً حتى إذا ما دعاهُ الضيفُ وانقطعَ الشَّتَاءُ
ضَمِنَّا مَا لَهُ وَغَدَاً جَمِيعاً

فقد عِلِمَتْ اشتغالها على ما ذكره هذا الشاعر وتفرُّدها بما زاد عليه من المعنى . ويجوز أن يكون « حَتَّى » بمعنى كُنْ ، فيكون المراد لا يَعْلَمُ الجارُ لِحُسْنِ تَوْفُرِهِمْ عليه ، وتَوَحُّدِهِمْ إِيَّاهُ باتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ لديه أنه جارٌ ، لكنْ يكونُ عزيراً مُدَّةً مُقَامِهِ ، أو يُفَارِقُهُمْ مُخْتَاراً ، مَوْفُورَ المَالِ ، مَصُونِ الحالِ .

٤ - كَأَنَّهُ صَدَعَ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِهِ لِعِتَاقِ الطَّيْرِ أَوْكَارُ^(١)

يقول : كَأَنَّ الجارَ لَمُنِّعَهُ بِهِمْ ، وَتَعَزُّزَهُ حِينَ اسْتَظْهَرَ عَلَى الزَّمَانِ بِمَكَانِهِ فِيهِمْ ، وَعَلَّ احْتِزَازَ عَنْ طُلَابِهِ فِي رَأْسِ قُلَّةٍ شَاخِجَةٍ أَوْكَارُ الطَّيْرِ دُونَهُ ، وَهُوَ

أرفع منها وأحسن . فالتشبيه تَفَاوَلَ مَا ذَكَرْتُ مِنَ التَّمَعِ وَالتَّحَصُّنِ . وَيَعْنَى
بِعِتَاقِ الطَّيْرِ : الْعِقْبَانَ وَمَا أَشَبَّهَهَا مِنْ أَحْرَارِ الطَّيْرِ ، وَمَا يَتَّخِذُ الْوُكُورَ فِي
الْجِبَالِ . وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْهَذَلِيُّ ^(١) فِي قَوْلِهِ :

حَتَّى اتَّهَيْتُ إِلَى فِرَاشِ عَزِيزَةٍ سَوْدَاءَ رَوْثَةٍ أَنْفَهَا كَالْمِخْصَفِ
يَعْنَى وَكُرَّ عُقَابُ . وَالصَّدَعُ وَالصَّدِيعُ : الْفَتْقُ مِنَ الْأَوْعَالِ ، وَقِيلَ هُوَ
لِلرُّبُوعِ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ فِي الرَّبْعَةِ مِنَ الرِّجَالِ .

٩٤

وَقَالَ آخِرُ ^(٢) :

١ - نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ مُحَلٍّ ^(٣)
يَقُولُ : أَوَيْتُ لِمَا تَغَرَّبْتُ عَنْ أَوْطَانِي دَاخِلًا فِي الشِّتَاءِ ، مُتَحَنِّنًا بِالْجَذْبِ
وَالْفَحْطِ ، مُلْجَأً إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى الزَّمَانِ بَغَيْرِي ، إِلَى آلِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَنَزَلْتُ فِيهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ بِقَتَصٍ مَا رَأَى فِيهِمْ . وَيُقَالُ زَمَنٌ مُحَلٌّ ، وَصِفَ
بِالْمَصْدَرِ ، زَمَنٌ مَاحِلٌ وَزَمَنٌ مُمَحِّلٌ . وَالْأَصْلُ فِي الْحُلِّ : انْقِطَاعُ الْمَطَرِ وَيُبْسُ
السَّكَلَا . وَيُقَالُ أَرْضٌ مُحَلٌّ وَأَرْضٌ مُحُولٌ ، وَصِفَ بِالْجَمْعِ ، كَأَنَّهُ أُجْرِى عَلَى
أَقْطَاعِ الْأَرْضِ ، كَمَا يُقَالُ : نَوْبٌ مَزَقٌ .

٢ - فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي ^(٤)

(١) هُوَ أَبُو كَبِيرِ الْهَذَلِيِّ . دِيَوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ١١٠) .

(٢) هُوَ بَكِيرُ بْنُ الْأَخْنَسِ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّيْبِينَ (٣ : ٢٣٣) . عَلَى أَنَّ الْمَقْطُوعَةَ
بِدُونِ نَسَبَةٍ فِي تَرْجُمَةِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ، وَكَذَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ
(١ : ٣٤١) .

(٣) فِي الْبَيَانِ : « فَتَقِيرُ أَيْعِيدُ الدَّارَ » .

(٤) الْبَيَانُ : « إِلْطَافُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَإِكْرَامُهُمْ » .

يقول : لم يزالوا يؤثرونني بالإحسان والحسنى ، ويختصونني بإسداء الجليل
والنعمى ، ويلتزمون لى من الإكرام والتقريب ، والإدناء والترحيب ، حتى
خلفتهم عشيرتى ، وتشككت فى اغترابى منهم ، وبعد نسبى عنهم . ومن
الاقتفاء القفى ، وهو المكرم من الضيوف والسكن ، والقفاوة . قال :

* يُفْطَى دَوَاءُ قَفَى السَّكَنِ مَرْبُوبٌ ^(١) *

٩٥

وقال جابر بن ثعلب الطائي ^(٢) :

١ - وَقَامَ إِلَى الْمَازِلَاتِ يَلْمَنِي يَقْلُنَ أَلَا تَنْفَكُ تَرَحَّلُ مَرَحَلًا ^(٣)

يقول : انتصب اللوام عاتبات على ، ساقات العنق إلى قائلات : ألا تزال
ترحل ارتحالاً فلا تستقر بك دار ، ولا يُقرب لك مزار ، ولا يحط عن
راحلة راحل . ومرحلاً انتصب على المصدر ، كما تقول : أما تنفك تخرج
مخرجاً وتبعد مبعداً . ومعنى ترحل تشد الرحل . وموضع « يلمنى » موضع
الحال ، « وَيَقْلُنَ » فى موضع البدل من يلمنى .

٢ - فَإِنَّ الْفَتَى ذَا الْحَزْمِ رَامَ بِنَفْسِهِ جَوَاشِينَ هَذَا اللَّيْلِ كَى يَتَمَوْلَا

فى الكلام اختصار ، كأنه قال : فأجبتهم فقلت : إن الفتى الحازم يحمل
نفسه المشتات ، ويرمى بنفسه المتألف الصعبات ، ويمتطى الأهوال ، كى ينال

(١) لسلامة بن جندل السعدي ، كما فى اللسان (قفا) . وصادره :

* ليس بأسمى ولا أفنى ولا سعل *

(٢) التبريزى وابن جنى : « جابر بن الثعلب » . وفى الكامل ٢٩٩ ليسك : « جابر

بن ثعلبة » . وانظر ما سبق فى ص ٢١٥ .

(٣) التبريزى : « ويروى : ألا يا ارحل لأهلك مرحلاً » .

لِأَمْوَالٍ ، غَيْرَ مُفَكَّرٍ فِي ظِلْمَةِ لَيْلٍ ، وَلَا مُسْتَضْعَبٍ لِرُكُوبِ خَطْبٍ . وقوله :
 « جَوَاشِنَ هَذَا اللَّيْلِ » يَعْنِي صُدُورَهَا وَأَوَائِلَهَا . وَاللَّيْلُ بِإِزَاءِ النَّهَارِ فِي الِاسْتِعْمَالِ ،
 وَاللَّيْلَةُ بِإِزَاءِ الْيَوْمِ . وَالْإِشَارَةُ بِـ « هَذَا » عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيبِ . وَهُمْ يَسْتَعِيرُونَ
 الْجَوَاشِنَ وَالْهَوَادِيَّ وَالصُّدُورَ وَالنَّحُورَ وَالْأَعْنَاقَ وَالرُّءُوسَ لِأَوَائِلِ الْأُمُورِ ،
 كَمَا يَسْتَعِيرُونَ الْأَعْجَازَ وَالْأَدْبَارَ وَالْأَعْقَابَ وَالْأَذْنَابَ لِآخِرِهَا .

٣- وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ بِحَمْدِ الْغَنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ الْعَمِّ مُخَوَّلًا^(١)
 أَفْتَقَرَ فَعَلُ مُفْتَقِرٍ وَفَقِيرٍ جَمِيعًا ، اسْتُعْنِيَ بِهِ عَنْ فَقِيرٍ . يَقُولُ : مَنْ نَالَهُ
 الْفَقْرُ بَيْنَ عَشِيرَتِهِ وَأَهْلِيهِ حَمْدَ الْغَنَى ، وَصَارَ عِنْدَهُ الْمَطْلُوبُ وَالْمَتَمَنَّى ، وَإِنْ كَانَ
 مَعْفُوفًا عَلَيْهِ مُكْرَمًا ، وَمُعَمًّا فِيهِمْ مُخَوَّلًا . وقوله : « وَاسِطَ الْعَمِّ » سِطَةٌ
 الْحَسَبُ : كَرُمُهُ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ وَسَطَ . قَالَ :

* وَقَدْ وَسَطْتُ مَالِيكََا وَحَنْظَلًا^(٢)

وَيَقَالُ : فَلَانٌ وَسِيطٌ فِي قَوْمِهِ : جَلِيلٌ ، وَفُلَانٌ وَاسِطُ الْقَوْمِ ، وَهُوَ
 أَوْسَطُهُمْ أَيْ أَشْرَفُهُمْ .

٤- كَانَ النَّفْيُ لَمْ يَغْرِيَنِي إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكْ صُعْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا

هَذَا الْكَلَامُ بَعُثٌ عَلَى التَّجَوُّالِ ، وَتَحْضِيضٌ فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ ، فَيَقُولُ :
 إِذَا اقْتَنَيْتَ بَعْدَ فَقْرِكَ ، وَاكْتَسَيْتَ عَنْ عُرْيِكَ ، فَكَأَنَّكَ مَا كُنْتَ قَطْ
 فَقِيرًا وَلَا عُرْيَانًا . وَالْمَعْنَى : إِنْ مِنْ اسْتَبْدَلَ بَعْسَرِهِ يُسْرًا ، وَنَالَ عَقَبَ ضَيْقِهِ

(١) ضَبَطْتُ « مُخَوَّلًا » بِذَلِكَ الْوَاوِ فَقَطَّ فِي النُّسخَتَيْنِ ، وَهِيَ لُغَةٌ صَحِيحَةٌ . يَقَالُ أَخُولُ
 الرَّجُلِ وَأَخُولُ ، بِالْبَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَالْمَجْهُولِ ، فَهُوَ مُخَوَّلٌ وَمُخَوَّلٌ بِكُمُ الْوَاوِ وَفَتْحُهَا . وَمِثْلُهُ الْمَعْمُ
 وَالْمَعْمُ ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْأَعْمَامُ . وَرَوَاهُ ابْنُ جَنَى :

ويزرى نظرف المراء قلة ماله وإن كان أقوى من رجال وأحولا

(٢) أَرَادَ : وَحَنْظَلَةً . وَهِيَ الْقَبِيلَةُ . وَالرَّجُلُ لَغِيْلَانُ بْنُ حَرِيثٍ . اللَّسَانُ (وَسَطٌ) .

* صَيَّاهَا وَالْمَدَدُ الْجَلِيلُ *

يُجْعَلُهُ :

رخاء ، فكأنه ما سبق إليهما ، ولا زوجٍ فيهما . وفي طريقته ما بعده ، وهو :
« ولم يك في بوس » . والصعلوك : الفقير .

٥ - ولم يك في بوس إذا بات ليلةً يُناغي غز الأساجي الطرف أكلًا^(١)

يقول : وإذا استمتع ليلةً بمناجاة إنسان كأنه غزال في طرفه فتر ، وفي عيونه كحل ، فكأنه ما كان ذا بوس قط . أى تُعقَى النعمة على آثار الضر ، وتمحوها حتى تُنسى . وقوله « ولم يك في بوس » قد مر الكلام في حذف النون منها تخفيفاً . والمناغة : المغازلة ، وأصله من النغية ، وهى الصوت اللطيف ، والنعمة الحسنة الخفية ، ولذلك يُفسرُ للمناغة على الأسارة . والساجي : الساكن ، يقال آيل ساج . قال :

* يا حَبِذا القمراء والليل الساج *^(٢)

٩٦

وقال بعض بنى طي :

١ - إن أدع الشعر فلم أكدِه إذ أزم الحق على الباطل

قوله « إذ أزم » ظرف لقوله أدع . وتقدير الكلام : إن أدع الشعر إذ أزم الحق على الباطل فلم أكدِه . ويريد بالحق كبرته وشيخوخته ، وما أخذ به النفس عنده من مراعاة الحق ، والرجوع عن الهزل إلى الجد . وأراد بالباطل الصبا والاهو وما يتبعهما مما يعدّ سفها . وقوله « فلم أكدِه » أصله من حفر

(١) التبريزي : « فاطر الطرف » ، ثم أشار إلى رواية « ساجي الطرف » . وأنشد بعده بيتاً لم يروه المرزوقي ، وهو :

إذا جانب أعيالك فاعيد بجانب فإنك لاقى في بلادٍ معلّاة

(٢) فى الأصل : « ساجى » ، صوابه من م واللسان (قمر) . وبعده :

* وطرق مثل ملاء النساج *

فَأَكْدَى ، إِذَا بَلَغَ الْكُدْيَةَ ، فَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْحَفَرُ وَإِنْ بَاطَ الْمَاءُ . وَالْكُدْيَةُ : مَكَانٌ صُلْبٌ يُعْنِي الْحَافِرَ . وَيُقَالُ أَيْضًا : حَفَرَ فَأَجْبَلَ ، إِذَا بَلَغَ جَبَلًا . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : أَكْدَى فِي الشَّعْرِ وَالْعَطَاءُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ . وَقَالُوا أَيْضًا : فَلَانٌ بَلَغَ النَّاسُ كُدَيْتَهُ ، أَيْ كَانَ يُعْطَى ثُمَّ أَمْسَكَ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ تَرَكْتُ الشَّعْرَ حِينَ تَحَلَّمْتُ ^(١) وَارْعَوَيْتُ ، وَصَارَ الْحَقُّ عَاضًا عَلَى بَطَالَتِي ، وَالْحِلْمُ ^(٢) مَانَعًا مِنْ جَهَالَتِي ، فَلَمْ أَتْرُكْهُ عَنْ عَجْزٍ لَاحِقٍ ، وَإِلْخَامٍ حَاصِلٍ . وَالْأَزْمُ : الْعِضُّ ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ ، فَقِيلَ : « نَعَمْ الدَّوَاءُ الْأَزْمُ » ، يَرِيدُونَ الْحِمِيَّةَ .

٢ - قَدْ كُنْتُ أَجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ وَأَكْثَرُ الصَّدِّ عَنِ الْجَاهِلِ
يقول : كُنْتُ أَجْرِي الشَّعْرَ عَلَى حَقِّهِ وَكُنْهِهِ ، وَأَقْرَضُهُ مُسْتَمِرًّا فِيهِ عَلَى حَدِّهِ أَيَّامَ شَبَابِي ، وَقَبْلَ ارْتِدَاعِي ، وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَكْثَرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَهَالِ ، وَأَتَصَوَّنُ عَنْ مَكَائِلِهِمْ وَمَوَازِتِهِمْ . وَهَذَا يَجْرِي تَجْرِي قَوْلِ الْآخَرِ :
إِنِّي أَسْرُوْ مُكْرِمٌ نَفْسِي وَمُتَثَبِّدٌ مِنْ أَنْ أَقَازِعَهَا حَتَّى أَجَازِيهَا ^(٣)
وَالْمَعْنَى أَرْبَابًا بِقَدْرِي عَنْ مَقَارِضَةِ الشُّعْرَاءِ ، وَمَجَادِبَةِ الشُّفَهَاءِ ، وَلَكِنْ إِنْ دَعَتِ الْحَالُ مَعَهُمْ ، وَالضَّجْرُ بِهِمْ ، إِلَى الْمَجَازَاةِ مَعَ مَرَاجَعَةِ الْحِلْمِ ، فَبِالْفِعْلِ لَا بِالْقَوْلِ ، وَعَلَى هَذَا كُنْتُ قَبْلَ هَذَا الْأَوَانِ مَعَ الْجَهَالِ .

٩٧

وقال آخر :

١ - زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجُنُوبٍ خَبَتْ عُرَيْتَ وَأُجِيتَ ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَكَّتْ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالْحَكْمُ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٣) مِنَ الْحَاسِيَةِ ٧٤ . ص ٢٦٧ .

(٤) « جُنُوبٌ » فِي النُّسخَتَيْنِ بِضَمِّ الْجِيمِ : جَمْعُ جَنْبٍ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ بِفَتْحِ الْجِيمِ -

يقول : قال اللواتم عاتبةً على جُنْدَب ، ومُنْكَرَةً لتودُّعِهِ ومَيْلِهِ إلى الراحة والخَفْض وتَرْكِ السَّفَر : إِنَّ نَاقَتَهُ حُطَّ عَنْهَا رَحْلُهَا ، وَأُزِيلَ كَلَالُهَا ، فَهِيَ جَائِمَةٌ بِجُنُوبِ خَبْتٍ : وَالْخَبْتُ ، أَصْلُهُ مَا أَطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ ^(١) .
ويقال أَخْبَتَ الرَّجُلُ ، إِذَا صَارَ فِي الْخَبْتِ ؛ وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ لِلْمَتَأَلِّهِ الْخَاشِعُ :
هُوَ مُحْبَتٌ .

٢ - كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وَذَلَّتْ
أَبْطَلَ قَوْلَهُنَّ فَذَكَرَ أَنَّهُنَّ لَوْ رَأَيْنَ مَنْزِلَنَا وَمَبَرَ كُنَّا بِهَذَا الْبَلَدِ ، لَقُلْنَ
لَجَّ جُنْدَبٌ فِي السَّيْرِ وَذَلَّتِ النَّاقَةُ . وَيُحْزَنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ « مُنَاخَنَا »
لَمْ يُشِيرْ بِهِ إِلَى إِيْنَاخَةٍ وَإِلَى مَوْضِعٍ لَهَا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَقَوْلِهِ :
* فَإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةً وَرُكُوبٌ ^(٢)

فَيَكُونُ الْمَعْنَى : لَوْ رَأَيْنَا مَا جُعِلَ بَدَلًا لِفَاقَتِنَا فِي مَوْضِعِ الْإِيْنَاخَةِ لَقُلْنَا
ذَلِكَ . وَمِثْلُهُ :

* تَغْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ *

أَيُّ جُعِلَ الْإِسْرَاجُ بَدَلًا مِمَّا كَانَ يُعَلَّقُ عَلَيْهِ . وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ :
لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالْدَّيْرَيْنِ أَرَقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَّوَاقِيسِ ^(٣)
وَإِنَّمَا شَاهَدَ وَقْتَهُمَا فَذَكَرَهُمَا بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّ دَجَاجٌ وَلَا نَوَاقِيسٌ .

(١) ذَكَرَ يَاقُوتُ أَنَّ « خَبْتًا » عِلْمٌ لِمَصْحَرَاءَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَاءَ لِكَلْبٍ ، وَقَرْيَةٌ مِنْ قَرْيِ زَبِيدَ بِالْيَمَنِ .

(٢) لِعَلْقَمَةِ النَحْلِ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ (٢ : ١٩٤) وَاللِّسَانُ (نَبِي) . وَصَدْرُهُ :

* تَرَادَى عَلَى دَمَنِ الْخِيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ *

وَرُكُوبٌ : مَصْدَرُ رَكَبَ ، وَيُرْوَى : « وَرُكُوبٌ » بِفَتْحِ الرَّاءِ ، وَهُوَ اسْمُ هَضْبَةٍ . وَفِي
اللسان : « رِحْلَةٌ وَرُكُوبٌ : هَضْبَتَانِ » .

(٣) لَجْرِيرٍ فِي دِيَوَانِهِ ٢٢١ وَالْخِيَوَانُ (٢ : ٣٤٢) .

٩٨

وقال الراعي ^(١) :

١ - كَفَانِي عِرْقَانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ كُلُّوْا النَّجُومَ وَالنُّعَاسُ مُعَانِقُهُ ^(٢)

عِرْقَان : اسم صاحبه . فيقول : نام هذا الرجلُ وكفاني الاشتغال بالنوم ، وكَلَّأتُ النجومَ وارْتَقَبْتُهَا ، وكَفَيْتُهُ السهر ، وقد لَازَمَ النُّعَاسَ وعَانَقَهُ . فإن قيل : كيف كَفَاهُ الْكَرَى ؟ قلت : هذا على مطابقة الكلام ، فلما قال كَفَيْتُهُ مُرَاعَاةَ النجوم وثُبَّتْ عنه فيها ، قال : كَفَانِي الْكَرَى ، وإن كانت نيابةً ذلك عنه في الْكَرَى لا يَصِحُّ . وَيُرْوَى : « كَفَانِي عِرْقَانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ » ، أى مَعْرِفَةَ الْكَرَى ، وليس بِمُرْتَضَى .

٢ - فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَبَنَاتَهُ وَبِتْ أُرِيهِ النَّجْمَ أَيْنَ خَافِقُهُ

هذا تَطْنُزٌ من القول ^(٣) ، لأن الساهرَ لا يَعْلَمُ من حال النائم أنه يَحْلُمُ أو لا يَحْلُمُ . وإنما تَبَّهَ بهذا الكلام على استحكام نَوْمِهِ وتَلَدُّدِهِ به ، إذ كانت الأحلام لا تحصلُ للنائم إلا عند ذلك . ولما قال باتَ يُرِيهِ النومُ امرأَتَهُ وأولادَهُ ، قال في مقابلة على الطريقة التي في البيت الأول : وَبِتْ أُرِيهِ النَّجْمَ . وهذا الجنس يَكْثُرُ في كلام البُلغاء ، ومثله قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَمِنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ . و ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .
وقول الشاعر ^(٤) :

* دِنَانُكُمْ كَمَا دَانُوا *

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٨٠ .

(٢) التبريزي : « قال أبو العلاء : ويروى عِرْقَان . مسمى بالعرفان ، وهو

دويبة ، وقيل ضرب من الجراد » .

(٣) التطنز ، أراد به السخرية والتهكم . والمعروف « الطنز » .

(٤) هو شهل بن شيان . انظر ما مضى في ص ٣٥ .

وقد مرَّ جميعه مُستَقْصًى .

٩٩

وقل آخر :

١ - فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمْتُ بِرَحْلِي أَوْ خَيَّأْتُهَا الْكَذُوبُ^(١)

حَذَفَ مفعول نازل لأن المراد مفهوم ، كأنه قال : لا أنزل منزلاً . ومثله قول الله عز وجل : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ ، أى العذاب . والإلمام : زيارة لا لبث معها . يقول : لا أنزل محلاً إلا رأيت هذه المرأة مُهَلَّةً بِرَحْلِي ، أى متصورةً لى بهذه الصورة ، تشوقاً منى وتحققاً . هذا فى حال اليقظة وعند فراغ البال والاشتغال بحال النفس . أو رأيت خيالاتها الكذوب القليلة الوفاء إذا نمت . ويقال خيال وخيالة ، كما يقال مكان ومكانة . وجعلها كذوباً لما لم يتحقق فعلها وقولها . والمعنى : إنى لا يُخلينى منها لا النوم ولا اليقظة ، ولا يلفتنى عنها لا الرخاء ولا الشدة ، وفى هذه الطريقة قول امرئ القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا يَثْرِبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرُ عَالٍ

وقال الأصمعى فى قول الآخر :

أَلْبَسَ بَصِيرًا مَنْ رَأَى وَهُوَ قَاعِدٌ بِمَكَّةَ أَهْلَ الشَّامِ يَخْتَبِرُونَا

هو على التشؤف والتحقى .

٢ - فَقَدْ جَعَلَتْ قُلُوصُ ابْنِي مُهَيْلٍ مِنْ الْأَكْوَارِ مَرْتَمَهَا قَرِيبُ^(٢)

(١) ابن جنى : « عطف على المضمر المرفوع المتصل بغير توكيد ، ولو أكد فقال أَلَمْتُ هِى لكان حسناً ، غير أن الكلام طال بقوله : بِرَحْلٍ ، فتاب طوله عن توكيده ، كما أن قول الله تعالى : مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ، لما طال الكلام فيه بلا .

(٢) البيت من شواهد الخزائن (٤ : ٩٢) . ويروى : « ابني زياد » .

جَعَلْتُ هَاهُنَا بِمَعْنَى طَفَقْتُ وَأَقْبَلْتُ ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَعَدَّى . وَالْقُلُوصُ :
«الْفَتْيَةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَمَرَّتُهَا قَرِيبٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ»^(١) . يَقُولُ : أَقْبَلْتُ قُلُوصُ
هَٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَرِيبَةَ الْمَرْتَعِ مِنْ رِحَالِهِمْ ، قَصِيرَةَ الْمَسْرَحِ فِي رَوَاحِهِمْ ، لِأَنَّهُ لِمَا
لَحَقَهَا مِنَ الْكَلَالِ وَالْإِعْيَاءِ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَى التَّبَاعُدِ فِي الْمَرْعَى وَالْإِرْتِيَادِ .

٣ - كَأَنَّ لَهَا بِرَحْلِ الْقَوْمِ بَوًّا وَمَا إِنْ طِبْهَا إِلَّا اللَّغُوبُ
يقول : كَأَنَّ لِهَذِهِ النَّاقَةِ وَلَدًا بِرَحْلِ الْقَوْمِ ، تَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتْبَاعِدُ
عَنْهُ ، وَمَا دَاوَاهَا إِلَّا الْإِعْيَاءُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

مِنَ الْكَلَالِ لَا يَذُقْنَ عُدَا لَا عُقْلًا تَبْنِي وَلَا قِيُودًا
وَالطَّبُّ أَصْلُهُ الْعِلْمُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الدَّاءُ الَّذِي يُعْلَمُ وَيُعْرَفُ . وَالْبَوُّ ،
أَصْلُهُ : جِلْدٌ فَصِيلٌ يُخْشَى تَبْنًا لَتَدْرُ الْأُمُّ عَلَيْهِ .

١٠٠

وقال آخر^(٢) :

٦ - إِنْ كُنْتُ لَا أُزْمِي وَتُرْمَى كِنَا نَتِي

تُصِبُ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشَحِي وَمَنْكَبِي^(٣)

(١) التبريزي : « وقال أبو العلاء : ويروى : فقد جعلت قُلُوصُ ابني سهيل . وكثير
من الناس يرفع القُلُوصَ ، وهو وجه ردى ، لأن القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن
من إتيائه بالفعل ... وليست جعلت في هذا الوجه في معنى المقاربة ، وإنما هي بمعنى صيرت فلا تقتصر
إلى فعل ، ويكون قوله مرتعها قريب ، جملة في موضع المفعول الثاني » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر وضرب بنو عم له اسمه حوشب - والحوشب :
«العظيم البطن - ويقال إن هذا لجندل بن عمرو » .

(٣) م : « جانحات » فقط . وكتبت في نسخة الأصل كما أثبتنا لتقرأ « جانحات »
و« جانحات » بوضع همزة تحت النون ، وكتب فوقها كلمة « معا » .

هذا مثْلٌ . والمعنى : إذا لم أقصد في خاصٍّ أمرى ، ثم قصِدْتُ فيمن يشمله عِنايتى ، عاد ذلك القصدُ بالشرِّ والسَّاءَةِ علىَّ ، وصرتُ كأنى أنا المقصودُ . و « الجانحاتُ » : المائلاتُ ، وروى بعضهم « جانحاتُ النَّبْلِ » وهى المستأصلاتُ المَهْلِكَاتُ . ويقالُ جاحَهُ واجتاحَهُ بمعنى . وليست هذه الروايةُ بحجّيدة ، لأنَّ الفرضَ ما ذكرته من أن من يمشه أمره إذا قصد كان كنفسيه . فإن قيل : فلم خصَّ الجانحاتُ ؟ قلت : المرادُ فيما ضربَ المثلُ له : إني رُميتُ^(١) إذا رُميتِ الجعْبَةُ المعلقةُ^(٢) علىَّ ، لأنَّ بعضَ السَّهامِ يصيبه وبعضها يصيبني . وإذا كان كذلك فلا بد من ذكر الجانحات . و « النَّبْلُ » : اسمٌ صيغٌ للجمع . والكِنَانَةُ : ما يُغطّى به الشيءُ في الأصل ، واختصَّ بها الجعْبَةُ وهو من الكَنِّ ، كالستارةِ من السَّتر . وفي القرآن : ﴿ وقالوا قلوبنا فى أكنة ﴾ . وقد فصل بين كَنَنْتُ واكْتَنَنْتُ ، فجعلنا كَتَنَنْتُ لما يُضْمَرُ فى القلبِ من الحديثِ والسرِّ ، وكَنَنْتُ لما يُسْتَرُ بشيءٍ . وذكر الدَّريدُّ أن الكِنَانَةَ لا يكون إلا للنَّبْلِ ، ويكون من أديم ، فإذا كانت من خشبٍ فهو جَفِيرٌ ، وإن كانت من قطعتين مقرونتين فهى قَرَنٌ ، والجعْبَةُ تكون للنَّبْلِ والنشَابِ جميعا .

٢ - أَفَيْقُوا بَنَى حَزَنٍ وَأَهْوَاؤُنَا مَعًا وَأَرْحَامُنَا مَوْصُولَةٌ لَمْ تُقَضَّبِ^(٣) يقول : احموا بنى حزنٍ من سكرةٍ جهلكم ، وانتهبوا من رقدةٍ

(١) م : « إني مرمى » . (٢) فى الأصل : « المعلقة » ، صوابه فى م .

(٣) روى قبله التبريزى :

فقلْ لِبْنَى عَمَى فَعَدُّهُ وَأَبِيهِمْ مُنُونًا يَهْرِيْتُ الشَّدَقِ أَشْوَسَ أَغْلِبِ

وفى تفسيره : « الهرت : سعة الشدق . ويقال منى له كذا ، أى قدر له كذا . وقوله : منونا ، أى بلوا بمن هذه صفته ، وهى من صفات الأسد » . وروى بعده :

وَلَا تَتَّبِعُونَهَا بَعْدَ شِدَّةِ عِقَالِهَا ذَمِيمَةٌ ذَكَرَ الذِّبِّ فِي الْمُتَعَقِبِ

وفى تفسيره : « هذا مثل ، أى لا تتبعوها الحرب بعد السلم » .

غفلتكم ، الأهواء بعد متفكة ، وأسباب الرحيم موصولة ، لم ينسلط عليها العتوق ، ولم يقطعها الجفاء والشبؤ . والمعنى : كفوا عما أتم عليه من سيئات التقاطع والتدابير ، قبل تفاقم الخطب ، واستفحال الشأن . والقضب : القطع ، ومنه قيل للسيف المقضب والقضب . وقوله « معاً » في موضع الخبر ، أى مجتمعة .

٣ - فإن تبعثوها تبعثوها ذميمة قبيحة ذكر الغب للمتعبب يقول : إن هيئتكم الحرب هيئتوها مذمومة قبيحة ذكر العاقبة لمن يتبع العواقب فيتدبرها ، ويتعهد المصائر فيتأملها . ويقال تغيبت الأمر كما يقال تعقبته ، أى تفقدت عاقبته وغيبه . والغب أصله فى ورود الماء والزيادة ، وهو يتوب فى أسماء الأظاء وغيرها عن الثلث . فأما قولهم : زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا « فالهلة فيه أوسع .

٤ - سَأَخَذُ مِنْكُمْ آلَ حَزَنٍ لِحَوْشِبٍ وإن كان مولى لى وكنتم بنى أبى إنما قال هذا لأن بنى عمه ضربوا مولى له ، فيقول : سأنتقم منكم يا آل حزن وإن كنتم بنى أعمام ، وكان حوشب مولى محالفة وجوار . وفى طريقته قول الآخر :

فإن غضبت فيها حبيب بن حنتر فخذ خطة ترضاك فيها الأبعد وروى بعضهم : « وإن كان مولائى وكنتم » ، والبصريون لا يجوزون مد المقصور ، لأنه إدخال زيادة على كلامهم ، ويجوزون قصر الممدود ، لأنه حذف للتخفيف ، ورد إلى الأصل ^(١) . وحوشب عدو النخويين أنه

(١) التبريزى : ويروى : « وإن كان مولائى وكنتم بنى أبى . على الزحاف الذى هو الكف ، وليس فى الحامسة بيت مكفوف غيره . ويروى : مولى لى ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء . ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولائى وبنى أبى . فلنا : والرواية بالكف هى رواية ابن جنى فى التبيه .

[نمّا^(١)] لم يَجِئْ إِلَّا بِزِيَادَةِ الْوَاوِ ، وَأَنَّهُ مِثْلُ كَوْكَبٍ . وَحَكَمِي الْخَارَزَجِيُّ
أَن حَشَبًا اسْمُ رَجُلٍ ، وَأَنَّهُ يُقَالُ أَحْشَبْنِي كَذَا ، أَيْ أَحْشَمْنِي^(٢) .

١٠١

وَقَالَ جَمِيلٌ^(٣) :

١ - أَبُوكَ أَبُوكَ أَرَبْدُ غَيْرَ شَكٍّ أَحَلَّكَ فِي الْمَخَازِي حَيْثُ حَلَّا

ارْتَفَعَ أَبُوكَ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَكَرَّرَهُ تَأْكِيدًا ، وَأَرَبْدُ بَدَلٌ مِنْهُ ، وَخَبَرُ الْمَبْتَدَأِ
أَحَلَّكَ . وَانْتَصَبَ « غَيْرَ » عَلَى الْمَصْدَرِ ، وَهُوَ مِمَّا يُؤَكِّدُ بِهِ مَا قَبْلَهُ . وَمِثْلُهُ
حَقًّا وَمَا أَشْبَهَهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ لَوْثَمَ أَبِيهِ مَوْرُوثٌ ، وَأَنَّهُ اقْتَدَاءٌ بِسَلَفِهِ قَدْ أَنْزَلَ
ابْنَهُ مِزْلَهُ فِي الْمَخَازِي وَالْقَبَائِحِ ، حَقًّا لَا مِرْيَةَ فِيهِ .

٢ - فَمَا أَنْفِيكَ كَيْ تَزْدَادَ لَوْثَمًا لِأَلَامٍ مِنْ أَبِيكَ وَلَا أَذَلًّا

يَقُولُ : لَا أَبرُّنُكَ مِنْ أَبِيكَ طَلَبًا لِأَنَّ أَنْسَبَكَ إِلَيَّ مِنْهُ أَلَامٌ مِنْهُ وَأَذَلٌّ
لِتَزْدَادَ ذَلًّا وَلَوْثَمًا ؟ لِأَنَّ أَبَاكَ النَّهَايَةَ فِي هَذَيْنِ . وَانْتَصَبَ « لَوْثَمًا » عَلَى التَّمْيِيزِ ،
وَاللَّامُ مِنْ « لِأَلَامٍ » تَعَلَّقَ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : مَا أَنْفِيكَ مِنْ أَبِيكَ
وَأَدْعُوكَ لِأَلَامٍ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ إِذَا نَفَاهُ مِنْ أَبِيهِ فَقَدْ جَعَلَهُ لَغِيرِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ
الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى الْمَعْنَى ، فَيُتَصَوَّرُ أَنْفِيكَ بِأَدْعُوكَ ، وَيُعَدَّى تَعْدِيَّتُهُ . وَمِثْلُهُ

(١) هذه من م فقط .

(٢) م : « أَحْشَبْنِي كَذَا فِي مَعْنَى أَحْشَمْنِي ، أَيْ أَغْضَبْنِي » .

(٣) عند التبريزي وابن جني : « وقال آخر » وعكس الأمر في المقطوعة التالية ، إذ
نسبها التبريزي إلى جميل ، على حين نجد عبارة الإفشاد فيها في النسختين : « وقال آخر » . وهو
جميل بن عبد الله بن معمر ، أحد عشاق العرب المشهورين ، وصاحبته بثينة ، وهما جميعا من
عذرة . وجميل شاعر إسلامي معاصر لبحرير والفرزدق وكثير عزة . الشعر والشعراء ٤٠٠ -
٤١٢ والأغاني (٧ : ٧٢ - ١٠٤) والمؤتلف ٧٢ ، ١٦٨ وابن سلام ٢٠٨ والخزانة
(١ : ١٤٣ - ١٤٦) وابن خلكان في رسمه .

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ . وعلى هذا يُحْمَلُ قول الفرزدق :
* قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي ^(١) *

. لما كان مَعْنَاهُ صَرَفَهُ اللَّهُ عَنِّي . ومن أبيات الكتاب ^(٢) :
إِذَا تَغَنَّى الْحَمَامُ الْوُرُقَ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَغَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارٍ ^(٣)
لأنه تُصَوِّرُ هَيَّجَنِي أنه ذَكَرَنِي ، فَعُدِّي تَعْدِيَتَهُ .

١٠٢

وقال آخر ^(٤) :

١- أَبُوكَ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدِّي يَا حَجَّاجُ فَارِسُ شَمَّرَا
يقول : أبوك الذي سَرَقَ بُرْدَ ضَيْفِهِ وَغَدَرَ بِهِ وَخَانَهُ ، وَجَدِّي فَارِسُ هَذَا
الْفَرَسِ المعروف . وسَارِقُ الضيفِ بُرْدُهُ ، أصله سَارِقُ بُرْدِ الضيفِ ، لكنه
أَضَافَهُ إِلَى الضيفِ بناءً على قولهم سَرَقْتُ الضيفَ بُرْدُهُ ، والمراد سَرَقْتُ مِنَ
الضيفِ ، لكنه لما حَذَفَ الْجَارَ تَخْفِيفًا وَصَلَ الْفِعْلُ فَعْمَلٌ فِيهِ ، ثم أضاف اسم
الفاعل إليه . وعلى هذا يقال اخترتُ الرَّجَالَ زَيْدًا : وَشَمَّرُ فِعْلٌ فِي الْأَصْلِ
سُمِّيَ بِهِ الْفَرَسُ ، لأنه ليس في الأسماء شَيْءٌ عَلَى فَعَّلٍ . ومثله خَضَمٌ ، وهو
لَقَبٌ لِلْعَنْبَرِ بْنِ مَازِنٍ ^(٥) . وَحُبَابٌ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا وَسَارِقُ الضيفِ خَبَرًا ،

(١) ديوان الفرزدق ١٨١ . قاله حين خرج من المدينة بعد موت زياد . وقيل به :

* كيف ترائي قالبا يحجني *

(٢) كتاب سيبويه (١ : ١٤٤) .

(٣) للناطقة الذبياني من معلقة في رواية جهرة أشعار العرب ٥٣ . والرواية فيها : « واو
تغربت » ، وكذا في كتاب سيبويه .

(٤) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني : « قال جميل » .

(٥) التبريزي : « وشمر اسم فرس ينشد بفتح الشين وكسرهما ، فإذا فتحت الشين فهو
مسمى بالفعل الماضي ، كما سمي الرجل خضم لكثرة أكله ... وإذا كسرت الشين فهو اسم
فعل ، مثل الأمر والهلح ، ويجب أن يكون على هذا الوجه اسم فرس أنثى ، وهو علم المؤنث
كأمراء نسيمها بقتب ودنب . هذا ما ذكره أبو العلاء في هذه الكلمة » .

ويموز أن يكون حُبَابٌ خَيْرًا وسارقُ الضيفِ صَفَةً ، وهذا أجود حتى يكون في مقابلة فارسِ شَمَر . كأنَّ المراد : أبوك المعروف بهذا الاسم ، وجدِّي المعروف بِذَا . ورواه بعضهم « فارسِ شَمَر » بكسر الشين ، وقال : هو عَلَمٌ مؤنث مثل امرأة تُسَمَّى قَنْب ودَنْب .

٢- بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لآبَاءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سِيرُوا

كما فضلَ جدُّه على أبيه في البيت الأول فضلَ نفسه عليه في البيت الثاني . والمعنى أن المرء يتقيلُ أباه ، فإذا كان جدِّي صالحًا فأنا صالح ، وإذا كان أبوك صالحًا فأنت صالح . وقوله « وَمَنْ يَكُنْ لآبَاءِ صِدْقٍ » يُريدُ من كان وَلَدَ آبَاءِ كِرَامٍ عُرِفَ بِهِمْ حيث ذهب ، ولقيهم أَنَّى سارَ وظعن . واللام دَخَلَ في قوله لآبَاءِ صِدْقٍ لهذا المعنى . ومثاله :

لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ قَبْرٌ بِجَانِبِي وَقَبْرٌ بِصِيدَاءِ الَّتِي عِنْدَ حَارِبٍ (١)

أى إن كان وَلَدَها . وَصِدْقٍ يُضَافُ إِلَيْهِ الواحد والجمع ، والمؤنث والمذكر ، وَبُرَادُ به المدح . فإذا قُلْتُ ثَوْبٌ صِدْقٍ ورجل صِدْقٍ ، فالمعنى نِعَمَ الشئ ذاك ، أى هو صادقٌ فيما يُعَمَدُ فيه لا كاذبٌ . وإذا أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَهُ نَعْمًا فَتَحْتَ الصَّادَ مِنْهُ فَقُلْتَ : هُوَ الرَّجُلُ الصَّدْقُ ، وَبَدَنِّي وَبُجَمَعَ وَيُوَنَّثَ . قال :

* مَقْدُودَةُ الْأَذَانِ صَدَقَاتُ الْحَدَقِ (٢) *

٣- فَإِنْ تَفَضُّبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلِلَّهِ إِذَا لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرًا

يقول : إن تسخطتم ما قَسَمَهُ الله ، تَعَالَى جَدُّه ، لَكُمْ ، وجعله نصيبكم ،

(١) للنايئة اللبياني في ديوانه ص ٣ .

(٢) لرؤبة في ديوانه ١٠٤ واللسان (صدق) .

فَلَا تَهُ كَانَ أَعْلَمَ بِكُمْ وَبَقَدَّرَ اسْتِحْقَاقَكُمْ ، لَمَّا لَمْ يَرْكَمْ أَهْلًا لَا كَثْرَ مِنْهُ . وَالْمَعْنَى :
إِنَّ مَا حَصَلَتْكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَخْسِ فِي الْقِسْمَةِ ، وَالنَّقْصِ مِنَ الْقُدْرَةِ . وَالتَّأْخُرُ فِي
الْمَنْزِلَةِ ، حِكْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَصَفَةٌ ، وَلَوْ زَادَ مُسْتَحَقُّكُمْ عَلَيْهِ لِأَعْطَاكُمْ ،
فَإِنَّهُ الْعَالِمُ الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْضِيَّتِهِ . وَالبصير في صفة الله ، تَحْقِيقُهُ الْعَالِمُ .

١٠٣

وقال أبو النشاش^(١) :

١- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرُخْ سَوَامًا وَلَمْ يُرْخِ سَوَامًا وَلَمْ تَمْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ^(٢)

يُقَالُ سَرَحْتُ لِلْمَاشِيَةِ ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا بِالْفِدَاقِ إِلَى الرِّعَى ؛ وَأَرْحْتُهَا ، إِذَا
رَدَدْتُهَا بِالْعِشِيِّ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لَمْ قَالَ « وَلَمْ يُرْخِ سَوَامًا » وَالنَّكِيرَةُ إِذَا
أُعِيدَ ذِكْرُهَا يَجِبُ تَعْرِيفُهَا ، بِدَلَالَةِ أَنَّكَ تَقُولُ رَأَيْتُ رَجُلًا بِمَكَانٍ كَذَا ، فَقَالَ لِي
الرَّجُلُ كَذَا ؟ قُلْتَ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَكَّرُهَا لِأَنَّهُ تَصَوَّرَ الْمُرَاحَ بِمَا دَخَلَهُ مِنَ
التَّنَاقُصِ وَالتَّزَايُدِ ، [بِالْأَخْذِ^(٣)] مِنْهُ وَالرَّدُّ إِلَيْهِ غَيْرُ الْمُسْرُوحِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَالثَّانِي غَيْرُ الْأَوَّلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّوَامُ الثَّانِي غَيْرُ الْأَوَّلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكَثِيرِينَ
مِنْهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ رِعَاءَهُمْ بِأَنْ يَقْتَضِبُوا قِطْعَةً مِنَ الْمَالِ كَيْفَ اتَّفَقَتْ^(٤) ، لِيَحْبِسُوهَا
عَلَى الْحَقُوقِ الْعَارِضَةِ ، سِوَى الْمُؤْنِ الْإِلَازِمَةِ ، فَكَانَتِ الْغَادِيَةُ لِمَا يَقِيمُونَهَا مِنَ النَّوْبِ

(١) كَانَ أَبُو النشاش مِنْ لُصُوصِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَكَانَ يَعْتَرِضُ الْقَوَافِلَ فِي شَذَاذٍ عَنِ الْعَرَبِ
بَيْنَ طَرِيقِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ ، فَظَفَرَ بِهِ بَعْضُ عَمَالِ مَرْوَانَ فَحَبَسَهُ وَقَبِضَهُ ، ثُمَّ هَرَبَ فَلَقِيَ فِي طَرِيقِهِ
غُرَابًا عَلَى شَجَرَةٍ بَانَ ، يَنْتَفِ رِيْشُهُ ، فَلَجَأَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي لُحَبٍ فَقَالَ لَهُ : إِنْ صَدَقْتَ الطَّيْرَ يَعَادُ
إِلَى حَبْسِهِ وَقَبْضِهِ وَيَقْتُلُ وَيَصِلُبُ . فَقَالَ أَبُو النشاش هَذِهِ الْآيَاتُ . الْآغَانِي (١١ : ٤٢-٤٣) .

(٢) الْآغَانِي : « وَلَمْ يَبْسُطْ لَهُ الْوَجْهَ صَاحِبُهُ » .

(٣) التَّكْلَةُ مِنْ مٍ وَالتَّبْرِيْزِيُّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « اتَّفَقَتْهَا » ، صَوَابُهُ فِي مٍ .

في ذلك غير الرأحة ، والرأحة غير الغادية . وإذا كان كذلك فالسؤال ساقط .
والمعنى : إذا الرجل لم يكن ذا مال يسرح بفضه ويراح عليه بفضه ، على
حسب ما يتفق ، ولم يكن له أقارب يعطفون عليه ويرون من الفروض^(١)
الواجبة الإحسان إليه ، فالموت خير له . وجواب إذا في البيت الثاني . ويجوز
أن يكون للراد بقوله ولم تعطف عليه أقاربه تعطف النصرة والإعزاز ، فيكون
المعنى إذا لم يكن غنياً ولم يكن مؤيداً بذويه فيعتر بهم ، فاموت أصلاح له من
الحياة . وهذا المعنى أحسن .

٢ - فَلَمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ قُعُودِهِ عَدِيماً وَمِنْ مَوْتِي تَدِبُّ عَقَارِيهِ^(٢)

فلموت جواب إذا ، لتضئنه معنى الجزاء . يقول : إذا الرجل لم يكن
على ما وصفت فورود الموت عليه خير له من قعوده راضياً بفقره ، وبإفضال
مولى يؤذيه بالمن ، ولا يخاص النعمة عنده من الشوائب . وديب العقارب
كناية عن فعل الأذى والتجهد بالكلمات المكدرية . وانتصب « عديماً »
على الحال . ويجوز أن يكون المعنى في قوله « وَمِنْ مَوْتِي تَدِبُّ عَقَارِيهِ » أن
يحصل الفساد بين العشيرة ، والتدابروالاختلاف ، فكل يقصد صاحبه بالساءة ،
ويبغى له الفوائل . وهذا المعنى يتفق مع المعنى الثاني في البيت الذي قبله .

٣ - وَنَائِيَةِ الْأَرْجَاءِ طَامِسَةِ الشَّوَى خَدَتْ بِأَبِي النَّشَاشِ فِيهَا رَكَائِبُهُ^(٣)

انجرت « نائية » بإضمار رب ، والواو داخلة للعطف ، ولم يصّر بدلاً من رب

(١) م : « المرائض » .

(٢) الأغاني : « تعاف مشاريه » .

(٣) الأغاني : « ودوية قفر يجارها القطا » . وبعد البيت عند التبريزي :

لِيَكْسِبَ نَجْدًا أَوْ لِيَذْرَكَ مَغْنَمًا جَزِيلاً وَهَذَا الدَّهْرُ جَمٌّ عَجَابُهُ

وعند أبي الفرج :

لِيَذْرَكَ نَارًا أَوْ لِيَكْسِبَ مَغْنَمًا أَلَا أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَرَى عَجَابُهُ

بَدَلَالَةٍ وَقُوعِ الْفَاءِ الْعَاطِفَةِ مَوْقِعِهِ وَبَلٍ فِي نَحْوِ :

* فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ ^(١) *

* بَلْ بَلَدٍ ذِي عَقْدٍ وَإِحْبَابٍ ^(٢) * و :

يقول : وَرُبَّ مَفَازَةٍ بَعِيدَةٍ الْأَطْرَافِ ، دَرَسَةِ الْأَعْلَامِ ، سَارَتْ بِأَبَى
النَّشَاشِ فِيهَا رَوَاحِلُهُ يَطْلُبُ الْمَالَ ، وَيَكْتَسِبُ الْمَجْدَ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَجُّحٌ
مِنْهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذِ الْفَقْرَ ضَجِيعًا ، وَلَا الدَّعَاةَ حَلِيفًا ، بَلْ رَمَى بِنَفْسِهِ نَحْوَ الْمَرَامِيِّ
الْمُتَلَفَةِ ، وَطَوَّحَهَا فِي الْمَوَاقِعِ الْمُعْطَبَةِ . وَالْأَرْجَاءُ وَاحِدُهَا رَجَاءٌ . وَالطَّامِسُ :
الدَّارِسُ . وَيُقَالُ طَمَسَ وَطَسَمَ . وَالضُّوَى : الْأَعْلَامُ ، وَالوَاحِدَةُ صُوءَةٌ ،
وَمِثْلُهُ قُوَّةٌ وَقُوَى . وَمَعْنَى خَذَتْ : أَسْرَعَتْ ، وَمَصْدَرُهُ اخْتَلَدَيَانِ . وَالرَّكَائِبُ :
جَمْعُ الرِّكُوبَةِ ، وَهِيَ الْمُرْكُوبَةُ ، وَلَا يَنْبَغُ الْمَوْصُوفُ ، بَلْ يُسْتَعْمَلُ عَلَى
انْفِرَادِهَا ، وَمِثْلُهَا الْخُلُوبَةُ .

٤ — وَسَائِلُهُ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلِي وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ ^(٣)

يقول : رُبَّ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ سَأَلَا عَنِّي بظَهْرِ الْغَيْبِ ، لَمَّا تَدَاخَلَ الْقُلُوبَ
مِنْ هَيْبَتِي ، وَالْإِشْفَاقِ مِنْ وَقَعَتِي . ثُمَّ قَالَ مُسْتَفْهِمًا عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ : وَمَنْ
يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ ، أَيْ يَجِبُ أَلَّا يُسْأَلَ الصُّعَالِيكَ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، لِأَنَّهُمَا
لَا تَعْلَمُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَسْتَقَرُّ بِهِمْ مَوْضِعٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَحْوِيهِمْ بَلَدٌ وَمَذْهَبٌ يُلْزَمُونَهُ
أَوْ يَخْتَصُّونَ بِهِ . وَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ أَنَّ يَقُولَ : وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الصُّعْلُوكِ
لِيَكُونَ وَفَّقَ قَوْلُهُ « وَسَائِلُهُ بِالْغَيْبِ عَنِّي » ، لَكِنَّهُ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى مَا قَالَهُ
تَأْكِيدًا لِلرَّادِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ سُؤَالُ نَفْسِهِ عَنْ مَذْهَبِهِ مُنْكَرًا لِاسْتِبْهَامِهِ
عَلَيْهِ ، فَسُؤَالُ غَيْرِهِ عَنْهُ أَمَدٌ مِنَ الصَّوَابِ .

(١) لَا مَرَى الْقَيْسُ فِي مَعْلَقَتِهِ ، وَهُوَ بَنَامُهُ :

فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمَرَضُوعٌ فَالْهَيْبَةُ عَنْ ذِي تَمَانٍ مَحْوَلٌ

(٢) فِي م : « بَلْ بَلَدَةٌ » فَقَطْ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « بَلْ بَلَدٌ » فَقَطْ .

(٣) الْأَغْنَى : « وَسَائِلُهُ أَيْنَ ارْتَحَالِي » .

٥ - فلم أرَ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ أُلْفَتِي وَلَا كَسْوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهُ
يُرَوِّى « مِثْلَ الْهَمِّ » ، هُوَ مَصْدَرٌ هَمَمْتُ بِالشَّيْءِ ، أَى إِذَا هَمَّ بِحَاجَةٍ عَلَيْهِ
أَنْ يُفْنِذَهُ وَلَا يُؤْخِرَهُ . ويقول : لم أرَ كَالْفَقْرِ يَتَخَذُهُ الْفَتَى ضَاجِعًا ، أَى يَرْضَى
بِهِ وَبِأَزْوَمِهِ لَهُ وَلَمْ أَرَّ كَسْوَادِ اللَّيْلِ أَكْدَى رَاكِبُهُ وَالطَّالِبُ فِيهِ . وَالْمَعْنَى :
يَجِبُ أَلَّا يَحْصَلَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، لَا الرِّضَا بِالْفَقْرِ ، وَلَا الْإِخْفَاقُ مَعَ رُكُوبِ اللَّيْلِ .
وَيَقَالُ ضَجَّعَ ضَجْعًا وَضَجُّوعًا وَاضْطَجَعَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْعَاجِزِ الضَّجْجِيُّ
وَالضَّجْجَةُ . وَتُسَمَّى الْكَوَاكِبُ الَّتِي لَا تَسِيرُ : الضَّوَاجِعُ . وَالْإِخْفَاقُ : أَنْ
يَفْزُو فَلَا يَفْتِمُ ، أَوْ يَرْجُو فَيَخِيبُ . قَالَ عَنَتَرَةُ :

فِيخْفِقُ مَرَّةً وَيُصِيبُ أُخْرَى وَيَفْجَعُ ذَا الضَّغَائِنِ بِالْأَرَبِ
وَقَوْلُهُ « أَخْفَقَ طَالِبُهُ » ، أَى الطَّالِبُ فِيهِ . وَهَذَا مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ
لِكَوْنِهِ فِيهِ .

١٠٤

وَقَالَ آخِرُ (١) :

١ - أَلَا قَالَتْ ائْتَلَسْنَا يَوْمَ سُوءِ يَقَةٍ

عَهْدُكَ دَهْرًا طَاوَى الْكَشْحِ أَهْضَمًا

يقول : قَالَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ يَوْمَ اجْتِمَاعِنَا فِي سُوءِ يَقَةٍ : عَهْدُكَ زَمَانًا مَمْتَدًّا صَغِيرَ
الْبَطْنِ ، طَاوَى الْكَشْحِ وَالْجَنْبِ . وَإِنَّمَا أَنْكَرْتُ سِمْنَهُ وَكَثْرَةَ لَحْمِهِ ، فَأَجَابَهَا
بِالْبَيْتِ الثَّانِي . وَالْهَضْمُ : انْضِمَامُ الضُّلُوعِ ، وَتَقَارُبُ الْجَنْبَيْنِ .

٢ - فَإِنَّمَا تَرَبَّنِي الْيَوْمَ أَصْبَحْتُ بِادِنَا لَدَيْكَ فَقَدْ أُلْنِي عَلَى الْبُرْلِ مَرَجًا

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْحِمَاسِيَّةُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ بَعْدَ الْمَقْطُوعَةِ التَّالِيَةِ إِذْ تَقَدَّمَتْ الْمَقْطُوعَةُ التَّالِيَةُ

عَلَيْهَا عِنْدَهُ .

يقول : إن كنت تريدني اليوم - وهو إشارة إلى يومه وما يقرب منه - أصبحت مثقل النفس ، مُبدّن الخلق لديك ، أى فى منظرِكَ ومعتقَدِكَ ، فإني إذا رَكبتُ البُزْلَ وَجِدْتُ عليها مرجها . والمرجَمُ : الذى كأنه آلهة فى رَجَم الأرض بأخفاف الإبل ووطء الأقدام . وينتصب « مرجما » على الحال . وقيل المرجَمُ فى السَّفرِ : البعيد فى الغاية . وكا قيل رَجُلٌ مَرَجَمٌ ، قيل يَدٌ مَرَجَمٌ ، ورجلٌ مَرَجَمٌ ، ولسانٌ مَرَجَمٌ ، قال الشاعر :

* شَدِيدُ الرَّجَامِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ *

و « إمّا » ، فى أكثر الأحوال يلزم الفعل الواقع بعده إحدى الفوتئتين الثقيلة والخفيفة ، لأنه كما أَكَّدَ حرفُ الشرط بـ « ما » أَكَّدَ الفعلَ المُشترطُ به بالتون أيضاً . وهاهنا جاء خالياً من الفون .

١٠٥

وقال آخر (١) :

١ - أَلَا قَالَتِ الْعَصْمَاءُ يَوْمَ لَقَيْتَهَا أَرَأَيْكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعًا (٢)

هذا فى طريقة ما قبله . فيقول : قالت هذه المرأة لما التقيت معها : أعلمك عن قريبٍ ناعمٍ الحال ، تَأَمَّ شَعْرُ الرَّأْسِ ، لم يتسلطْ عليك صَلَعٌ ، ولا حِثٌّ . انخسارُ شَعْرٍ ، ولا شُحُوبٌ لَوْنٌ ، فكيف تَغَيَّرَتْ مع قُرْبِ الأَمَدِ . وانتصب « حَدِيثًا » على الظرفِ . وناعمُ البال ، مفعول ثانٍ من أَرَأَيْكَ . والأفرعُ : التَّامُّ شعرُ الرَّأْسِ ، وَجَمْعُهُ فُرْعَانٌ . والأضلعُ خِلَافُهُ .

(١) انظر ما سبق من الكلام على الترتيب فى الحماسية السابقة ، وقد روى هذه الحماسية صاحب الخزانة (١ : ٤٨٢) ، وذكر أن أحداً لم يعرف نسبتها .

(٢) وفع هذا المَجْزُ فى شعر متمم بن نويرة فى قصيدته التى رثى بها مالكا :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِى مَالِكُ بَعْدَنَا أَرَأَيْكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعًا

المفضليات (٢ : ٦٨) .

٢- فَقُلْتُ لَهَا لَا تُنْكِرِي بِنِي فَقُلَّ مَا يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا

يقول: أَجَبْتُهَا وَقُلْتُ: لَا تُسَنِّكِرِي مَا رَأَيْتِ مِنْ شُحُوبِ لُونِي، وَانْحِسَارِ الشَّعْرِ عَنْ رَأْسِي، فَمَا يَنَالُ الْفَتَى السِّيَادَةُ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِشَبِيبَتِهِ شَيْبًا، وَوُفُورِ شَعْرِهِ ^(١) صَلَعًا، وَإِلَّا بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الرَّأْيِ، وَاسْتِفَادِ الْعُمُرِ فِي اكْتِسَابِ الْمَجْدِ. وَقَوْلُهُ «قَلَّ مَا» يَفِيدُ النَّفْيَ هُنَا، وَمَا تَكُونُ كَافَةً لِقَلٍّ عَنْ طَلَبِ الْفَاعِلِ، وَنَاقِلَةً لَهُ عَنِ الْأَسْمِ إِلَى الْفِعْلِ، فَإِذَا قُلْتُ: قَلَّ مَا يَقُومُ زَيْدٌ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ مَا يَقُومُ زَيْدٌ. يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَأُجْرِيَ مَجْرَى مَا يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَقَالُوا أَيْضًا: أَقَلُّ رَجُلٍ يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا زَيْدٌ. وَأَنَّهُمْ أَجْرَوْا خِلَافَهُ مَجْرَاهُ، فَيَقُولُ: كَثُرَ مَا يَقُولُ زَيْدٌ. وَعَلَى ذَلِكَ بَيْتُ الْكِتَابِ: وَقَلَّ مَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ ^(٢)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا» مِنْ قَلَّ مَا يَسُودُ الْفَتَى، مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَلَّ سَيَادَةُ الْفَتَى، أَيْ يَنْزُرُ اسْتِكْمَالُهَا إِلَّا مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ لَبِيدٍ:

قَلَّ مَا عَرَّسَ حَتَّى هِجَّتُهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ

لأنه ليس يريد نَفْيَ التَّعْرِيسِ رَأْسًا؛ إِذْ كَانَ يَعْتَادُهُ قَطَاعُ الْفَلَاةِ، وَرُكَّابُ الظَّلَامِ، بَلْ يَرِيدُ عَرَّسَ تَعْرِيسًا قَلِيلًا فَهَجَّتُهُ. وَيُقَالُ: صَلَعَ: صَلَعًا وَصَلَعًا، وَهُوَ أَصْلَعُ وَصَلِيعٌ.

٣- وَلَلْقَارِحُ الْيَعْبُوبُ خَيْرٌ عُلَالَةً مِنْ الْجَذَعِ الْمُرْخِي وَأَبْعَدُ مَنَزَلًا

هَذَا مِثْلُ ضَرْبَةٍ فِي تَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ وَقَدْ أَدَّبَهُ الْكِبَرُ، وَنَازَعَ

(١) فِي الْأَصْلِ: «وُفُورِ شَيْبِهِ»، صَوَابُهُ فِي م.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَصَالَ يَدُومُ عَلَى الصَّدُودِ»، صَوَابُهُ فِي م وَسَيُيَوِّه.

(١: ١٢، ٤٥٩). وَنِسْبَةُ سَيُيَوِّه إِلَى عُمَرَ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ، وَالتَّائِمَرِ إِلَى الْمُرَارِ الْفَقْعِيِّ.

وَصَدْرُهُ: * صَدَدْتُ فَأَطْلُوتُ الصَّدُودَ وَقَلَمًا *

الدَّهْرَ وَأَبْنَاءَهُ أَطْرَافَ الْخُطُوبِ، وَمَرَاثِرَ السِّيَادَةِ وَالْعُلُوِّ عَلَى الْأَحْدَاثِ الَّذِينَ لَمْ يَجْرِبُوا الْأُمُورَ، وَالْأَنْغَارَ الَّذِينَ لَمْ يُجَاذِبُوا الشَّدَائِدَ، فَيَقُولُ: لِلْفَرَسِ الْمُتَنَاهِي فِي الْقُوَّةِ وَالسَّنِّ، الَّذِي يَجْرِي جَرِيَّةَ الْمَاءِ سُهولةً وَنَفَازًا، خَيْرٌ إِبْقَاءً وَأَبْعَدُهُ غَايَةً مِنْ ابْنِ سَنْتِينَ وَهُوَ مُهْمَلٌ لَمْ يُسْتَفَنَّ بِهِ فِي رُكُوبٍ وَنَزُولٍ، وَلَمْ يُرَضَّ^(١) بِإِسْرَاحٍ وَإِلْجَامٍ. وَالْيَعُوبُوبُ: الْفَرَسُ الْكَثِيرُ الْجَرَى^(٢)، وَالْجُدُولُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ. وَالْعَلَالَةُ: الْبَقِيَّةُ مِنَ الْجَرَى وَغَيْرِهِ، وَهَاهُنَا يُرِيدُ الْجَرَى. قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

إِلَّا عُلالَةً أَوْ بُدَا هَةً سَابِحٍ نَهْدِ الْجُزَارَةِ

فَالْبِدَاهَةُ: أَوَّلُ الْجَرَى، وَالْعَلَالَةُ: آخِرُهُ. وَقَوْلُهُ «مِنَ الْجَذَعِ الْمُرْخِي» يُرْوَى الْمُرْخَى بِكَسْرِ الْخَاءِ، وَالْإِرْخَاءُ: لِينٌ فِي الْعَدْوِ. قَالَ:

* وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِبٌ تَنْقُلِ^(٤) *

وَإِذَا رُويَ بَفَتْحِ الْخَاءِ فَهُوَ الْمُرْسَلُ الْمُهْمَلُ النَّزْوِعُ إِلَى الْغَايَةِ. وَانْتِصَابُ «عَلَالَةٍ» وَ«مَنْزَعًا» عَلَى التَّمْيِيزِ.

١٠٦

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ عَوَانَةَ^(٥):

١ - قَضَى بَيْنَنَا مَرْوَانُ أَمْسٍ قَضِيَّةً فَمَا زَادَنَا مَرْوَانُ إِلَّا تَنَاهِيَةً

(١) م: «وَلَمْ يُؤْدَبْ».

(٢) كَذَا فِي م. وَفِي الْأَصْلِ: «الْكَرِيمُ الْجَرَى».

(٣) هُوَ الْأَعْشَى. دِيوَانُهُ ١١٤.

(٤) لَامِرِيُّ الْقَيْسِ. وَصَدْرُهُ:

* لَهُ أَيْطَلَا ظَلَمِي وَسَاقَا نَعَامَةً *

(٥) التَّبَرِيزِيُّ: «قَالَ أَبُو هَلَالٍ: وَرَوَاهُ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْبَصْرَةِ لِلْكَرُوسِ الطَّائِي، وَهُوَ

الْكَرُوسُ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْأَخْزَمِ بْنِ مِصَادِ بْنِ مَعْقِلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثُمَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَدْعَاءَ بْنِ ذَهْلِ بْنِ رُومَانَ بْنِ جَنْدَبِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ فَطْرَةَ - وَفَطْرَةُ هُوَ جَدِيدِلَةُ - . وَخَاصِمُ ابْنِ عَمٍّ لَهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَحَبَسَهُ مَرْوَانُ.

يقول: قَضَى بيننا هذا الرجل بحكومةٍ تَسَخَّطْنَاهَا، ولم نَرْضَ بها، إذ لم يُقْصِدْ بها صَلاَحُ ذاتِ البين، ولا تُلَافِي جَمْعَ الشَّمْل، فازدنا بها تَبَايُنًا عن الاصلاح والمراجعة واختلافًا وتناقضًا عن الائتِثام والموافقة وتَبَاعُدًا . وقوله « أَمْسِ » تَقْرِبُ لُزْمَانِ فِعْلُهُ، ولم يُرِدِ اليَوْمَ الَّذِي وَلِيَ يَوْمَهُ . وهذا كما تقول: فلانٌ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا وَأَمْسٍ مَعْرِفَةٌ، وإنما بُنِيَ لِتَضْمُنِهِ مَعْنَى الألف واللام .

٢- فلو كنتُ في الأرضِ الفُضَاءِ لَعَقْتُهَا ولكن أَتَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ وَرَائِهَا^(١)

يقول: لو كنت بالبدو لرددتُ حكومته وأبدتُ كراحتي لها، ولكني كنت أسيرًا إذ كنتُ في الحَضَرِ حاصلًا في داره، وداخلًا تحت مَلَكْتِهِ . ومعنى « أَتَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ وَرَائِهَا » أى حالت مَسَالِحُهُ ومراصِدُهُ بيني وبين مرادى . ووراء بمعنى قُدَّامَ هنا، ومِثْلُهُ في القرآن: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ .

١٠٧

وقال جميل^(٢):

١- فَلَيْتَ رِجَالًا فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دِمِي وَهُمْوَا بَقَتْلِي يَا بُنَيْنَ لَقُونِي

فِيكَ أَى فِي مَعْنَاكَ وبسببك . وقوله « قَدْ نَذَرُوا » من صِفَةِ رِجَالًا، وَلَقُونِي خَبَرَ لَيْتَ . والمعنى تَمَنَّيْتُ أَنْ رِجَالًا فَعَلُوا فِي مَعْنَاكَ مَا فَعَلُوا مِنَ الِهَمِّ بِقَتْلِي، وَعَقْدِ النَّذْرِ فِي سَفْكَ دِمِي، التَّقْوَامِي، ماذا كانوا يفعلون . وفي هذا الكلام إيهامٌ أنهم لا يَحْسُرُونَ على التَعَرُّضِ لَهُ، وفيه استهانةٌ بِأَقْوَالِهِمْ

(١) م والتبريزي: « بالأرض الفضاء » .

(٢) في الأصل: « وقال آخر » وأثبت ما في م . وعند التبريزي: « وقال جميل

بن عبد الله بن عمر العذري » . وقد سبقت ترجمة جميل في الحماسية ١٠٢ .

ومكايدهم ، وإن كانوا قد بذلوا من القول ما بذلوا ، وأضمرُوا فيه ما أضمرُوا .
وقد فسرَ تَهْتِيبُهُمْ له ، ونُكُوصَهُمْ عن الإقدام عليه في البيت الثاني .

٢ - إذا ما رَأَوْنِي طَالِعًا مِنْ ثَنِيَّةٍ يَقُولُونَ مَنْ هَذَا وَقَدْ عَرَفُونِي
يقولُ : إذا ما أبصروني ^(١) مُقْبِلًا عَنْ عَقَبَةٍ ، طَالِعًا عَلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقٍ
إِلَيْهِمْ مُفْضِيَةً ، يتساءلون فيما بينهم بقولهم : مَنْ هَذَا ، وإن كانوا عارفين بي .
أى يتجاهلوننى جُبْنًا وإحجامًا .

٣ - يقولون لى أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا وَلَوْ ظَفِرُوا بى سَاعَةً قَتَلُونى
نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى تَمَلُّهِمْ وَإِظْهَارِهِمُ بِالْتَّفَاقِ مَا لَا يَوَافِقُ بَاطِنَهُمْ ،
عَجْزًا وَضَعْفَ كَيْدٍ . والمعنى يستقبلوننى بالتأهيل ويتلقَّوننى بالترحيب عند
الالتقاء ، ولو أُعْطُوا الظَّفَرُ لَأَتَوْا عَلَى وَمَا أَبْقَوْا .

٤ - فَكَيْفَ وَلَا تُوفى دِمَاؤُهُمْ دِمَى وَلَا مَا لَهُمْ ذُو كَثْرَةٍ فَيَدُونى ^(٢)
يقال : أَوْفَيْتُهُ وَوَفَّيْتُ لَهُ بِكَذَا وَأَوْفَيْتُ ، وفى هذا بيانُ عُذْرِهِمْ فى
تَرْكِ الْوَفَاءِ بِالْقَدْرِ ، وتعجبُ من أفعالهم عند اختلاف أحوالهم . فيقول :
كَيْفَ يُقَدِّمُونَ عَلَى وَلَيْسَ فى دِمَائِهِمْ كُلُّهُمْ وَفَاءٌ بِدِمَى ، ولا فى مَا لَهُمُ اتِّسَاعُ ،
فَإِذَا عَجَزَتْ دِمَاؤُهُمْ عَنْ دِمَى فَكَيْفَ يُعْطُونَ دِيتى .
ويقال وَدَيْتُهُ أَدِيهِ دِيَّةٌ وَوَدَيَا .

(١) فى النسختين : « أبصروا بى » .

(٢) التبريزى واللسان (نده) : « دو ندهة » . والندهة ، بفتح النون وضمة :

كثرة المال .

١٠٨

وقال يحيى بن منصور^(١) :

١ - وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِلْدَةٍ سَوَّى بْنِ قَيْسٍ قَيْسٍ عَيْلَانَ وَالْفِزْرَ

سَوَّى فِي مَوْضِعٍ جَرٍّ عَلَى أَنَّهُ صَفَةُ لِبْدَةٍ . وَالْمَعْنَى وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ بِلْدَةٍ
مَتَوَسِّطَةً لِدْيَارِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ وَسَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ . وَالْمَعْنَى حَلَّ بَيْنَ مُضَرَ
وَنَائِي عَنْ رِبِيعَةٍ ، لِأَنَّ قَيْسًا وَالْفِزْرَ مِنْ مُضَرَ . وَالْفِزْرَ : لَقَبُ لِسَعْدِ بْنِ زَيْدٍ
مَنَاءَ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ : سَوَّى وَسَوَاءٌ فِي مَعْنَى الْقَدْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ . وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَّى ﴾^(٢) ، أَيْ مَكَانًا عَدْلًا .

٢ - فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَذْنَا فِحَالْفَنَّا الشُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

٣ - فَمَا أَسْمَتْنَا عِنْدَ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَلَا نَعْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتَرٍ

يَقُولُ : لَمَّا خَذَلْتَنَا عَشِيرَتُنَا - وَهِيَ رِبِيعَةٌ - فِيمَا نَابَتْكَا ، وَتَبَاعَدَتْ بِنُصْرَتِهَا
وَمُعُونَتِهَا عَنَّا ، وَتَرَخَّصَتْ فِي الْقُودِ عَنْ مُسَاعَدَتِنَا ، اكْتَفَيْنَا بِأَنْفُسِنَا فَأَقَمْنَا بَدَارَ
الْحِفَافِ وَالصَّبْرِ ، وَاتَّخَذْنَا سُيُوفَنَا حُلَفَاءَ عَلَى الدَّهْرِ ، فَمَا خَذَلْتَنَا فِي يَوْمٍ حَرْبٍ
وَعِنْدَ مُدَافَعَةٍ وَجْهٍ ، وَلَا نَحْنُ غَمَضْنَا^(٣) جُفُونَنَا عَلَى وَتَرٍ وَحَفَدٍ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا
وَسُيُوفُنَا تَوَافَيْنَا فِيمَا عَلَيْهِ تَعَاقَدْنَا ، وَتَوَازَرْنَا فِيمَا لَهُ تَحَالَفُنَا^(٤) ، فَبَلَّغْنَا نَحْنُ أَقْصَى

(١) النهر بزي : « وقال يحيى بن منصور الخنفي . قال أبو رباح : هذا غلط من أبي تمام .

يحيى بن منصور هر ذهل ، وهذه الأبيات لموسى بن جابر الخنفي » .

(٢) كذا بكسر السين في النسختين . وهي إحدى القراءات ، وقرئ « سوى » بضم
السين في أخرى . تفسير أبي حيان (٦ : ٢٥٣) .

(٣) م : « أغضينا » .

(٤) في الأصل : « وتوازننا له له تحالفنا » ، صوابه في م .

المبالغ في طلب الأوتار ، وانتهت هي إلى أبعد النهايات في المعاونة والإحلاب .
وهذا مثل ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعددٍم وعدتهم ، وبلائهم وصبرهم
واستغنائهم عن القاعدين عن التحمل معهم والذب عنهم من عسرتهم . وقوله :
« أَنْخَنَا » كناية عن الإقامة والثبات في وجوه الأعداء ، إلى أن وصلوا
إلى المراد .

١٠٩

وقال أبو صخر الهذلي^(١) :

١- رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَجَّرُ بِالرِّمَاحِ^(٢)

جعل القرشي جنساً لا عيناً . والمعنى : رأيت فضيلة القرشيين حين
قسّمهم إلى غيرهم عند اشتجار الخيل بالرماح ، وانتظامها بها للطعن المختلف
بينهم ، المتردد فيهم . وجواب لَمَّا مُقَدَّمٌ ، وهو « رَأَيْتُ » في صدر البيت .
يريد : عند هذا الأمر بأن فضلهم على الناس ، وقوله « تُشَجَّرُ » كلُّ شيء
دَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ فَقَدْ تَشَاجَرَ ، ومنه سُمِّيَ الْمَشْجَبُ مِشْجَرًا ، وتشاجر
القوم بالرمح : تطاعنوا .

٢- وَرَنَقَتِ الْمَيْتَةُ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَبْطَالِ دَانِيَةَ الْجَنَاحِ

(١) هو عبد الله بن سالم السهمي الهذلي ، شاعر إسلامي ، من شعراء الدولة الأموية ،
كان متعصباً لبني مروان موالياً لهم ، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح كثيرة ، وروى
« أبو الفرج » خبراً طريفاً له مع عبد الله بن الزبير إذا حبسه في سجن عارم ، بعد مقالة أدبية
بينهما ، ثم أطلق سراحه . الأغاني (٢١ : ٩٤) والخزانة (١ : ٥٥٥) .

(٢) مما هو جدير بالذكر أن هذه المقطوعة لم ترد في أشعار الهذليين أو دواوينهم .
وذكر التبريزي رواية أخرى أيضاً ، وهي « فضيلة » بهيئة التصغير ، جعله علماً ، وقال :
« رأيت فضيلة ، أي ضربت رثته . ويجوز أن يكون من رؤية العين ، أي رأيت في مشجر
الرماح ، وكان شهد هذا الشاعر وفضيلة الحرب ، فعاد ولم يعد فضيلة ، فستل عنه فجمجم
في الجواب » .

انْعَطَفَ « رَنَقَتْ » عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي تَنَاولَهُ لَمَّا . فَيَقُولُ : وَلَمَّا اسْتَدَارَتْ
الْمَنِيَّةُ وَحَلَقَتْ عَلَى رِءُوسِ الْأَبْطَالِ ، فَهِيَ ظِلُّ دَانِيَّةِ الْجَنَاحِ مِنْ قِعَمِ رِءُوسِهِمْ .
وهذا مثلٌ . والمعنى : لَمَّا أَشْرَفَتِ الْمَنِيَّةُ عَلَيْهِمْ لِإِشْرَافِ الطَّائِرِ عَلَى مَا يَرِيدُ
انْكَدَارَهُ عَلَيْهِ ، بَانَتْ فَضِيلَتُهُمْ . وَبِقَالٍ : رَنَقَ الطَّائِرُ فِي الْمَوَاءِ ، إِذَا حَلَّقَ
وَاسْتَدَارَ ، وَجَعَلَ لِلْمَنِيَّةِ ظِلًّا تَحْقِيقًا ^(١) لِلْإِسْتِعَارَةِ مِنَ الطَّائِرِ ، لِأَنَّهُ يُوقِعُ ظِلَّهُ
فِي تِلْكَ الْحَالَةِ . وَجَعَلَ الْجَنَاحَ دَانِيًّا نَأْ كِيدًا لَطَمَعَ الْمَوْتُ فِي الْفَوْزِ بِالْأَرْوَاحِ
الْإِخْتِلَاسِ . وَكَذَا الطَّائِرُ فِي التَّحْلِيقِ عِنْدَ الْإِنْقِضَاضِ . وَارْتَفَعَ « دَانِيَّةُ
الْجَنَاحِ » وَ « ظِلُّ » جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَكُونَانِ خَبْرَيْنِ لِقَوْلِهِ هِيَ ، كَمَا تَقُولُ : هَذَا
حُلُوٌّ حَامِضٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَانِيَّةٌ صِفَةً لِلظِّلِّ ، وَأَنْتَهَا عَلَى الْمَعْنَى . وَيَجُوزُ
أَنْ يُرْوَى « دَانِيَّةٌ » بِالنَّصْبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ حَالًا .

١١٠

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي عَبْسٍ :

١ - أَرِقُّ لَأَرْحَامٍ أَرَاهَا قَرِيبَةً لِحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ لَا لَجْرَمٍ وَرَاسِبٍ

يَقُولُ : يَرِقُّ قَلْبِي بِمَا تَمَلَّكَهُ ^(٢) مِنَ الرَّحْمَةِ ، فَانْعَطَفَ ^(٣) مِنْ أَجْلِ أَوَاصِرِ
أَرَاهَا قَرِيبَةً مُشْتَبِكَةً بَيْنَنَا ، مِنْ جِهَةِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، لَا مِنْ جِهَةِ جَرَمٍ
وَرَاسِبٍ . وَالْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ فِي نِزَارٍ ، وَجَرَمٌ وَرَاسِبٌ مِنْ قِضَاعَةٍ ، وَهُمْ مِنَ
الْيَمَنِ ، وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ انْتَقَلَتْ إِلَى الْيَمَنِ ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ ، فَهَذَا قَالِ مَا قَالِ ..

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحْقِيقًا » ، صَوَابُهُ فِي م

(٢) م : « فَاثْعَطَفَ » .

(٣) م : « بِمَا يَمْلِكُهُ » .

وقيل : عَيْسُ وَضَبَةُ والحارثُ بن كَعْبٍ إخوةٌ لأُمِّ . [ورخم الحارث في غير النداء وذلك في الشعر جائز^(١)] .

٢- وَأَنَا نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِهِمْ وَأَنْفَنَا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ^(٢)

ذَكَرَ الْمَشَابِهُ الْحَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ تَأْكِيداً لِلْقُرْبَى وَالْقَرَابَةِ ، الْمَوْجِبَةَ لِمَا ذَكَرَ مِنَ الرِّقَّةِ وَالشَّفَقَةِ ، عَلَى مَا حَدَّثَ فِيهِمْ مِنْ وَقُوعِ الْفُرْقَةِ ، وَسُقُوطِ التَّجَاوُرِ وَالْخِلْطَةِ . فيقولُ : أَرِقُّ لِلرَّحِمِ الْقَرِيبَةِ ، وَلَأَنَّا نَرَى أَقْدَامَهُمْ فِي النَّعَالِ كَأَقْدَامِنَا^(٣) ، وَأَنْفُهُمْ بَيْنَ لِحَامِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ كَأَنْفِنَا . وقال بين اللّحى ولم يقل لِحَامِهِمْ ، لَأَنَّهُ بِإِضَافَةِ الْأَقْدَامِ وَالنَّعَالِ اكْتَفَى . وَذَكَرَ الْأَطْرَافَ لَأَنَّهَا تَظْهَرُ لِلْعُيُونِ ، وَالْمَشَابِهُ تَعَلَّقُ بِهَا أَكْثَرُ .

٣- وَأَخْلَقْنَا إعْطَاءَنَا وَإِبَاءَنَا إِذَا مَا أَبَيْنَا لَا نَدِرُ لِعَاصِبِ

جَعَلَ الشَّبَهَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي الْخِلَاقِ وَهَاهُنَا فِي الْخُلُقِ ، تَأْكِيداً لِلأَمْرِ . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ وَأَخْلَقْنَا أَخْلَاقَهُمْ ، فَأَعْتَمَدَ عَلَى أَنَّ الْعُطْفَ عَلَى قَوْلِهِ أَقْدَامَنَا يَدُلُّ وَهُوَ يُعْنِي - لَمَّا يُفِيدُهُ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ - مَا يُعْنِي فِي قَوْلِهِمْ قَامَ زَيْدٌ وَعَمَرُو ، وَإِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ وَعَمَرُو . فَكَانَتْهُ قَالَ : وَأَنَا نَرَى أَخْلَاقَنَا كَأَخْلَاقِهِمْ ، إِذَا أُعْطِينَا أَوْ أَبَيْنَا . ثُمَّ ذَكَرَ مَا دَلَّ عَلَى تَشَدُّدِهِمْ بَعْدَ الْامْتِنَاعِ فَقَالَ : وَإِذَا أَبَيْنَا لَا نَتَسَهَّلُ .

(١) التكملة في م . ونحوها في التبريزي . وقال ابن جني : « رخم حارثا في غير النداء كقوله :

* وأضحت منك شاسعة أماما *

وغیره . وسبب جواز ذلك عندى فى الضرورة كثرة ما تنادى هذه الأسماء ، فإذا نوديت رخت كثيراً ، فلما ألف فيها ذلك وكان فيه أيضاً ضرب من التخفيف جنحوا إليه عند الضرورة .

(٢) م : « فَإِنَّا نَرَى » .

(٣) فى الأصل : « كَأَقْدَامِهِمْ مِنَّا » ، صوابه فى م .

لَمَنْ يُرِيدُ قَهْرَنَا . وَأَصْلُ الْعَصَبِ الشَّدَّةُ ، وَمِنْهُ الْعِصَابَةُ . وَضَرَعُ الْحُلُوبَةِ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ بِهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا فَرَفَعَتِ اللَّبَنَ ، يُشَدُّ وَيُحْتَلَبُ وَإِنْ ضَجِرَتْ ، لِمَسَاسِ الْحَاجَةِ ، وَاسْتِيْلَاءِ الْفَاقَةِ . وَهَذَا الْكَلَامُ مَثَلٌ هَاهُنَا . وَمِثْلُ الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخِرِ ^(١) :

لَا يُخْرِجُ الْكَرْهَ مَنَى غَيْرَ مَأْبِيَةٍ وَلَا أَلْبَنَ لِمَنْ لَا يَدْتَنِي لَبْنِي
يُرِيدُ : إِنْ الْإِكْرَاهَ لَا يَزِيدُنَا إِلَّا امْتِنَاعًا ، وَالْاِفْتِسَارَ لَا يُحْصِلُ مِنَّا إِلَّا إِبَاءً .
وَيُسَبِّهُ مِنْ حَيْثُ النَّظْمُ قَوْلَهُ : « إِذَا مَا أَبَيْتُنَا لَا نَدْرُ لِعَاصِبٍ » الْاِتْنِثَاتِ . أَلَا تَرَى
أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَطْرُدُهُ مِنَ الْقَوْلِ وَصَارَ كَأَنَّهُ التَّفَتُّ فَقَالَ ذَلِكَ .

١١١

وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ حَمِيرٍ ^(٢) :

١ - مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي التَّيْمِ إِذَا التَّفَّ صِيْقَهُ بِدَمَةٍ
ذُكِرَ أَنَّهَا قِيلَتْ فِي وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَعَبْدِ مَآةٍ وَكَلْبٍ ، وَكَانَتْ عَلَى
حَمِيرٍ ، وَقُتِلَ فِيهَا عُلْقَمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ . وَقَوْلُهُ « مَنْ رَأَى » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَمَعْنَاهُ
التَّفْطِيعُ وَالتَّعْظِيمُ . وَأَرَادَ بِالْيَوْمِ الْوَقْعَةَ ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا صَلَحَ أَنْ يَكُونَ إِذَا ظَرَ قَالَ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمٌ مِثْلُ يَوْمِ عَسِيرٍ ﴾ . أَلَا تَرَى

(١) هُوَ ذُو الْإِصْبَعِ الْمِدْوَانِي . الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ١٦١) .

(٢) ذَكَرَ التَّبَرِيزِيُّ عَنْ أَبِي رِيَّاشٍ خَبَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَهُوَ خَبَرٌ طَوِيلٌ آثَرْنَا الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ . وَمُلْخَصُهُ أَنَّ الْحَرْبَ وَقَعَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَصَحَارٍ ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ صَحَارٌ ، وَقَتَلُوا مَلَكًا مِنْ مَلُوكِهِمْ يَدْعَى « ذَا ثَات » ، فَجَمَعَتْ حَمِيرٌ لَصَحَارٍ ، فَارْتَحَلَتْ صَحَارٌ مِنَ الْبِيدَاءِ فَلَحَقَتْ بِبِلَادِ مَعَدٍ فَفَارَتْ حَمِيرٌ إِلَى كَلْبٍ تَطْلُبُهُمْ بِدَمِ الْمَلِكِ - وَكَلْبٌ إِخْوَةُ صَحَارٍ - فَاسْتَنْجَدَتْ كَلْبٌ بِتَيْمِ الرِّبَابِ فَأَنْجَدَتْهُمْ عَلَى حَمِيرٍ ، ثُمَّ ظَعَنَ بَنُو تَيْمٍ مِنَ الْبِيدَاءِ فَلَحَقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَوْا بِيُوتَهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَمِيرٍ ، ثُمَّ صَارَتْ حَمِيرٌ إِلَى التَّيْمِ وَعَدَى وَعُكَلَى بَنُو وَبَرَةَ ، فَظَهَرَتْ بَنُو عَبْدِ مَنَآةٍ وَكَلْبٌ عَلَى حَمِيرٍ وَقَتَلَتْ التَّيْمَ عُلْقَمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ ، فَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ حَمِيرٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ .

أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ مَعْنَى فِعْلٍ ، فَصَارَ يَوْمُهُ ظَرْفًا لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَذَلِكَ النَّقَرُ يَوْمُهُ نَقَرُ يَوْمٍ عَسِيرٍ . فَيَقُولُ : مَنْ شَاهَدَ يَوْمَنَا مَعَ بَنِي التَّيْمِ حِينَ التَّفَّ غُبَارُ الْجَوِّ بِالْدَّمِ ، وَتَنَدَّى بِهِ وَابْتَلَّ ، حَتَّى قَلَّ . وَالصِّيقُ : الْغُبَارُ الْجَائِلُ فِي الْجَوِّ . وَأَضَافَهُ إِلَى الْيَوْمِ لِكَوْنِهِ فِيهِ ، وَالتَّفَافِيهِ كَانَ بَرَشَاشِ الدَّمِ الْقَاطِرِ مِنَ الْجِرَاحِ . وَيُقَالُ صَيْقَةٌ أَيْضًا : قَالَ [رُؤْيَةُ (١)] :

* يَتَرَكْنِ تَرْبَ الْأَرْضِ مَجْنُونِ الصِّيقِ *

وَصِيقٌ : جَمْعُ صَيْقَةٍ .

٢ - لَمَّا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُمْ أَشْبُ شَدُّوا حِيَارِيَهُمْ عَلَى أَلَمِهِ

قَوْلُهُ أَشْبُ أَيْ كَثِيرُ الْجَلْبَةِ ، صِيقُ الْإِخْتِلَاطِ ، وَالْمَكَانُ الْأَشْبُ فِيهِ شَجَرٌ مُلْتَفٌ . وَجَوَابُ لَمَّا «شَدُّوا» . يَقُولُ : لَمَّا أَحَسَّ بَنُو التَّيْمِ بَفْظَاعَةِ الْأَمْرِ وَإِخْتِلَاطِ الشَّانِ ، وَتَضَائِقِ الْجَالِ وَالْمَكْرِ ، وَطَنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْأَلَمِ ، وَشَدُّوا حِيَارَتَهُمْ لِلْجَهْدِ ، وَهَيَّئُوا لِلصَّبْرِ عَلَى مَا ابْتَلَوْا بِهِ وَشَقُّوَالَهُ . وَالْحِزْمُ : الصَّدْرُ ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْحِزْمِ وَالْعِزْمِ ، لِأَسْمَالِهِ عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُمَا . وَيُسَمَّى حَزِيمًا أَيْضًا ، كَأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُشَدُّ بِالْحِزَامِ . وَالْحِزَامُ مِنَ الْحِزْمِ أَيْضًا . وَشَدُّ الْحِيَارِيمِ مَثَلٌ لِلصَّبْرِ عَلَى مَا لِحَقَّهِمْ . وَرَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

حِيَارِيَمَكَ لَمَوْتٍ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيَمَ (٢)

يُرِيدُ : أَشَدُّ حِيَارِيَمَكَ .

٣ - كَأَنَّمَا الْأَمْدُ فِي عَرِيْنِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قَتَمِهِ

(١) التَّكْلَةُ مِنْ مٍ وَالتَّبْرِيْزِيُّ وَانْظُرْ دِيوَانَ رُؤْيَةَ ١٠٦ .

(٢) يَرَوِي أَيْضًا : « أَشَدُّ حِيَارِيَمَكَ لِلْمَوْتِ » ، وَهُوَ أَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْحِزْمِ . انْظُرْ

الْعَمْدَةُ (١ : ٩٢) وَالْأَغَانِي (١٤ : ٣٣) .

يقول : إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَتَمَنَّعُونَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَيَبْطِشُونَ بِهِمْ ، تَمْنَعُ
الْأُسْدُ فِي أَجْمَتِهَا وَبَطِشَهَا مِنْهَا ، وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ ، يَرِيدُ نَحْنُ فِي كَثَرَتِنَا وَهَوَانِنَا
وإِحَاطَتِنَا بِهِمْ ، وَإِدْرَاكِنَا إِيَّاهُمْ كَاللَّيْلِ إِذَا جَاشَ ظُهُتُهُ ، وَتَرَكَ سَوَادُهُ .
وَالْقَتَامُ وَالْقَتَمُ وَالْقُتْمَةُ ، يَحْجَى فِي الظُّلْمَةِ وَالْغُبَارِ وَالرَّيْحِ ، وَجَاءَ الْفَعْلُ مِنْهُ
فَقِيلَ قَتِمَ يَقْتَمُ قَتَمًا وَقَتَامًا . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْقَتَمِ الْقَتَامَ فَحَذَفَ
الْأَلِفَ ، كَمَا قَالَ غَيْرُهُ وَرَوَاهُ قُطْرُبٌ :

أَلَا لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي سُهَيْلٍ إِذَا مَا اللَّهُ بَارَكَ فِي الرَّجَالِ
وَمَصْدَرُ مَا كَانَ عَلَى فَعِلِ الْفَعْلُ فِي الْأَكْثَرِ ، فَلَا أَدْرَى لِمَ أَنْكَرَهُ حَتَّى
اعْتَذَرَ بِمَا ذَكَرَهُ . وَالْعَرِينُ : الْأَجْمَةُ ، أَجْمَةُ الْأُسْدِ ، نَمَّ يُسَمَّى مُقْتَتِلَ الْقَوْمِ عَرِينًا .
وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : هُوَ عَرِينٌ لَا يُطَاقُ ، إِذَا كَانَ خَيْثًا . وَقَوْلُهُ « عَرِينُهُمْ » مَوْضِعُهُ
مَوْضِعُ الْحَالِ ، وَالْأُسْدُ خَبِرٌ مُبْتَدَأٌ بِمَحذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ كَأَنَّمَا هُمُ الْأُسْدُ فِي
مُقْتَتَلِهِمْ ، وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ فِي هَوَانِنَا وَإِدْرَاكِنَا ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ جَاشَ فِي قَتْمِهِ ،
فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا ، وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَعَهُ مُضْمَرَةٌ ، أَيْ كَاللَّيْلِ
وَقَدْ جَاشَ .

٤ - لَا يُسَلِمُونَ الْغَدَاةَ جَارَهُمْ حَتَّى يَزِلَّ الشَّرَاكُ عَنْ قَدَمِهِ
مَدَحُهُمْ بِحُسْنِ الْمَحَامَاةِ عَلَى الْجَارِ . وَتَرَكَ الْإِسْلَامَ لَهُ مَدَّةَ بَقَائِهِ فِيهِمْ .
وَقَوْلُهُ « الْغَدَاةُ » أَشَارَ بِهَا إِلَى غَدَاةِ اللَّقَاءِ ، أَوْ صَبَاحِ الْغَوَارِ . وَقَوْلُهُ « حَتَّى
يَزِلَّ الشَّرَاكُ عَنْ قَدَمِهِ » فِيهِ قَلْبٌ ، وَالْأَصْلُ زَلَّتِ الْقَدَمُ عَنِ الشَّرَاكِ .
وَهَذَا مَثَلٌ لِمَوْتِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَلْبِسُهَا بَعْدَهُ . وَاحْتَمَلَ الْكَلَامُ الْقَلْبَ لِأَنَّ الْمَعْنَى
لَا يُخِيلُ^(١) كَمَا لَا يُخِيلُ فِي قَوْلِهِمْ : أَدَخَلْتُ الْخُفَّ فِي رِجْلِي ، وَالْقَلْبُ نَسُوتُ فِي

(١) لَا يُخِيلُ : لَا يَشْتَبِهُ وَلَا يَلْتَبِسُ . وَفِي اللَّسَانِ : « وَأَخَالَ الشَّيْءُ : اشْتَبَهَ . يَقَالُ :
هَذَا الْأَمْرُ لَا يُخِيلُ عَلَى أَحَدٍ ، أَيْ لَا يَشْكَلُ » وَفِي الْأَصْلِ : « لَا يُجِيلُ كَمَا لَا يُجِيلُ »
صَوَابُهُ فِي م .

رَأْسِي . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ هُرَيْقٌ جِفَانُهُ ، وَصَفِرَ وَطَابُهُ ، وَطُوِيَ حَصِيرُهُ ، وَخَلَّى مَكَانَهُ . وَالْمَعْنَى لَا يُسْلِمُونَ الْجَارَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ فِيهِمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَاءُ مِنْ قَدَمِهِ رَاجِعًا إِلَى الشَّرَاكِ وَيَكُونُ السَّكْلَامُ مَثَلًا لِنَفْطِيعِ الْأَمْرِ ، وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : « زَالَ السَّرْجُ عَنْ الْمَعْدِ »^(١) وَ « بَلَغَ الْحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ » وَمَا أَشْبَهَهُمَا . وَالْمَعْنَى إِلَى أَنْ يَزَالَ الرَّجُلُ عَنْ مَقَرِّهِ فَلَا يَثْبُتُ فِي النَّعْلِ ، وَالْمَعْنَى إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْأَمْرَ كُلَّ مَبْلَغٍ فَطِيعَ .

٥ - وَلَا يَخِيمُ اللَّقَاءُ فَارِسُهُمْ حَتَّى يَشُقَّ الصَّفُوفَ مِنْ كَرَمِهِ يَقُولُ : وَلَا يَخْبُنُ عَنِ اللِّقَاءِ فَارِسُهُمْ فَيَخْجِمَ ، وَلَا يَضَعُفُ دُونَهُ فَيَحَارَ ، بَلْ يُقَدِّمُ إِقْدَامًا تُخْرَقُ^(٢) الصَّفُوفُ بِهِ عِزَّةَ نَفْسٍ ، وَكَرَمَ عِرْقٍ . وَاللِّقَاءُ يَنْتَصِبُ عَلَى الْمَفْعُولِ ، الْأَصْلُ عَنِ اللَّقَاءِ ، فَلَمَّا حَذَفَ حَرْفَ الْجَزْءِ تَخْفِيفًا وَصَلَ الْفِعْلُ فَعَمِلَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا كَمَطْلَعِ الشَّمْسِ ، أَرَادَ وَقْتَ اللَّقَاءِ . وَقَوْلُهُ « حَتَّى يَشُقَّ الصَّفُوفَ » يَرِيدُ إِلَى أَنْ يَشَقَّهَا كَرَمًا مِنْهُ ، كَأَنَّهُ لَا يَرْضَى بِأَذْوَنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ فِي اللَّقَاءِ لِنَفْسِهِ ، بَلْ يَأْتِي إِلَّا النَّهْيَةَ وَالْعُلُوَّ . وَيُقَالُ خَامَ الرَّجُلُ يَخِيمُ ، إِذَا كَادَ كَيْدًا فَلَمْ يُفْلِحْ فِيهِ ، أَوْ تَقَدَّمَ فِي الْحَرْبِ فَتَكَصَّ وَلَمْ يَظْفَرْ . قَالَ الشَّاعِرُ ، وَأَنْشَدَهُ الْخَلِيلُ :

رَمَوْنِي عَنْ قِسِي الزُّورِ حَتَّى أَخَامَهُمُ الْإِلَهِ بِهَا فَخَامُوا^(٣)
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ خِيمَ بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ، وَالْخَيْمَةُ وَاحِدَةُ الْخِيَامِ ، مِنْهُ أَخَذَا .

٦ - وَمَا بَرِحَ التَّيْمُ يَغْتَزُونَ وَزُرُ قُ الْخَطِّ تَشْنِي السَّقِيمِ مِنْ سَقَمِهِ^(٤)

(١) المعد : واحد المعدين ، وهما موضع دفتي السرج .

(٢) م : « يُخْرَقُ » . (٣) أنشده في اللسان (خيم) .

(٤) كَذَا جَاءَ الْبَيْتُ فِي الْأَصْلِ بِالْخَزْمِ ، أَيْ بزيادة حرف في أوله . وفي م والتبريزي :

« ما برح » .

مَا بَرَحَ وَمَا زَالَ بِمَعْنَى ، وليس هذا من البراح من المكان . أَلَا تَرَى
 أَنَّ اللَّهَ قَالَ : ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ ، وَحَالُ أَنْ يَبْلُغَ هَذَا
 الْمَوْضِعَ ، وَهُوَ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ . وَكَأَنَّ السَّكَلَةَ فِي اللُّغَةِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى
 الْمَجَاوِزَةِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ :

* أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا ^(١) *

أَي جَاوَزْتَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْثَالُكَ مِنَ الْخِلَالِ الْمَرْضِيَّةِ . وَالْمَعْنَى : مَا زَالَ
 بَنُو التَّيَمِّ يَنْقَسِبُونَ وَيَدْعُونَ بِبِالْفُلَانِ مُفْتَرِينَ ، أَوْ يَخْذُ الطَّعْنَةَ وَأَنَا فُلَانٌ
 مُدْعَيْنَ ، وَالرَّمَّاحُ الْحُمُولَةُ مِنَ الْخَطِّ الزُّرْقِ فِي أَلْوَانِهَا تَشْفِي الْمُسْكِبَّ مِنْ كِبَرِهِ ،
 وَالْعَدُوُّ الْمُخَاتَلُ مِنْ دَأْبِهِ . وَقَوْلُهُ « السَّقِيمُ » يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُنْيَاةً عَنِ الْمُنَافِقِ
 الْمُدَاجِي ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَهُمْ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ . وَيَحْجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ يُرَادُّ بِهِ الصَّلَفُ التَّيَّاهُ ، كَمَا يُقَالُ عِنْدَ صَفْتِهِ : فِي طَرَفِهِ شَوْسٌ ، وَكَمَا
 جَاءَ فِي صِفَةِ الشُّيُوفِ :

* يُدَاوِي بِهَا الصَّادَ الَّذِي فِي الدَّوَاظِرِ ^(٢) *

وَيَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَالرَّمَّاحُ فِي اخْتِلَافِهَا تَشْفِي الْمُتَوَرِّبِينَ مِنْ أَوْتَارِهِمْ
 وَذُحُولِهِمْ . وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلرَّمَّاحِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ . وَقَوْلُهُ « وَزُرْقُ الْخَطِّ »
 الْوَاوُ وَآوُ الْحَالِ . وَيَبْتَغِزُونَ خَبْرًا مَا بَرَحَ .

٧ - حَتَّى تَوَلَّيْتُ مُجُوعٌ حَمِيرَ فَأَلْفَلَّ سَرِيعٌ يَهْوِي إِلَى أُمِّهِ ^(٣)

يُرِيدُ : مَا زَالُوا بِهِذِهِ الْحَالَةِ إِلَى أَنْ انْهَزَمَتْ جِيُوشُ حَمِيرَ ، فَصَارَ الْمَقُولُ
 الْمُنْهَزِمُ مُبَادِرًا فِي الشَّرْعَةِ إِلَى مَقْصِدِهِ . وَقَوْلُهُ الْفَلَّ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَصِفٌ فِي

(١) الْأَعَشَى فِي دِيوَانِهِ ٣٧ . وَهُوَ بِتَمَامِهِ :

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيَّةِ * لِي أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا

(٢) سَبَقَ فِي ص ٢٤٤ . (٣) التَّبْرِيزِيُّ : « وَالْفَلَّ » .

وهو مَوْضُوعٌ مَوْضِعُ المفعول ، ولذلك جازَ أن تقولَ رَجُلٌ فَلٌ وَقَوْمٌ فَلٌ ونِسْوَةٌ فَلٌ . ومِثْلُه رَجُلٌ قَرٌّ ، إلا أنه موضعٌ مَوْضِعُ فارٍ ، ويقع للواحد والجميع .

٨ - وَكَمْ تَرَكْنَا هُنَاكَ مِنْ بَطَلٍ تَسْنِي عَلَيْهِ الرِّيحُ فِي لِمَمَةٍ مَوْضِعُ كَمْ نَصَبٌ عَلَى المفعول من تَرَكْنَا . يقولُ : وكثيرًا تَرَكْنَا فِي تلكِ المعركة من الأبطال وهم مُصَرَّعُونَ مُعَقَّرُونَ فِي تلكِ المعركة ، بادُونَ للضياء والظلمة ، تأتي الرِّيحُ بِسَفَاهَا وتَجْعَلُهُ فِي لِمَمِهِمْ وَلِحَاظِهِمْ . وأشار بقوله هناك إلى مُعْتَرِكِ القومِ ومُزْدَحَمِ الطَّعْنِ والضَّرْبِ .

١١٢

وقال حسان بن نشبة^(١) :

١ - وَنَحْنُ أَجْرُنَا الْحَيَّ كَلْبًا وَقَدَأْتِ لَهَا حَمِيرٌ تُزْجِي الْوَشِيحَ الْمُقَوَّمَا^(٢)

يقول : أَدْخَلْنَا فِي جِوَارِنَا هَذِهِ الْقَبِيلَةَ ، وَضَمِنَّا لَهَا الذَّبَّ عَنْهَا وَسَلَامَتَهَا عَلَى مَا يَعْزِضُ لَهَا ، وَقَدْ قَصَدَتْ لَهَا حَمِيرٌ بَعْدَهَا وَعُدَّتْهَا ، تَسُوقُ نَحْوَهَا الْخَلِيلَ الْمُطَهَّمَةَ ، وَالرَّمَا حَ الْمُدَفَقَةَ . وَالْوَشِيحُ أَصْلُهُ عُرُوقٌ ، ثُمَّ جُعِلَ لِلرَّمَا حَ أَنْفُسُهَا . وَجَعَلَهَا مُتَقَفَّةً ، لِيُرَى عَنَانِيهِمْ بِإِعْدَادِ الآلَةِ لَزِمَانَ الْمُقَاتِلَةِ .

٣ - تَرَكْنَا لَهُمْ شِقَّ الشَّمَالِ فَأَصْبَحُوا جَمِيعًا يُزْجُونَ الْمِطْيَ الْمُخَزَمَ

(١) التبريزي : « وقال حسان بن نشبة العادوي في ذلك - أي في الحرب التي سبق الكلام عليها - أخو بني عدى بن عبد مناة بن أد . قال أبو محمد الأعرابي : هذا الاسم مصحف ، والصواب جساس بن نشبة ، مثل عساس . قال جرير يهجو جندب بن خرعب التيمي :

أجندب أشبهت التي كان بظرها كطرثوث أرض غير ذات أناس
لقد شهدت تبم على أم جندب وكان سراً التيم رهط جساس
يعني جساس بن نشبة التيمي . »

(٢) م والتبريزي : « نحن أجرنا » بالخدم في أوله .

لَهُمْ يَمْنَى لِحَمِيرٍ . والعَرَبُ تجعلُ الشمالَ كفايةً عن الشُّومِ . فمن أَمثالِهِمْ :
* صَبَحْنَاهُمْ فَعَدَوْا شَأْمَةً *

ويقولون : خَلَيْنَاهُمْ والجَانِبَ الْأَشْأَمَ ، وَخَلَيْنَاهُمُ وَالنَّاحِيَةَ الشُّومَى ، فَكَانَهُمْ
يقولون ذلكَ للمَنْهَزِمِ وَإِنْ كَانَ مَأْخِذُهُ فِي الشَّقِّ الْأَيْمَنِ ، لِأَنَّ الشُّومَ مَعَهُ
وَالْإِدْبَارَ ، أَيْ طَرِيقَ أَخَذَ ، وَمَسَلَّكَ تَوَجَّهَ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : فُلَانٌ مَعِيَ
بِالْيَمِينِ ، وَفُلَانٌ بِالشَّمَالِ ، وَفُلَانٌ بَعْلِيَاءَ عِنْدِي ، وَفُلَانٌ فِي الْمَهَابِطِ ؛ إِذَا جَعَلْتَ
مَنْزِلَتَهُ عَلَيْهِ أَوْ مُتَسَفِّلَةً . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : خَلَيْنَاهُمْ فِي الْإِنْهَزَامِ شِقَّ الشُّومِ
وَجَانِبَهُ ، فَأَصْبَحُوا يُرْجُونَ مَطَايَاهُمْ مُحْزَمَةً حَسَرَى كَالَّةَ^(١) لَا يُبْقَى عَلَى
وَجَاهَا ، وَلَا يُتَقَى حَقَاها وَانْخَزَمَ : الشَّدُّ وَالْقَطْعُ . وَيُقَالُ شِرَاكَ مُخْزُومٌ ،
أَيْ مَقْطُوعٌ .

٣ — فَلَمَّا دَنَوْا صَلُّنَا فَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ سَحَابُنَا تَنَدَّى أَسْرُسُهُمْ دَمًا^(٢)
يقولُ ، لَمَّا قَرَّبُوا فِي الْإِنْتِقَاءِ ، صَلُّنَا عَلَيْهِمْ وَبَطَشْنَا بِهِمْ ، فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ
حَيْشِنَا الَّذِي كَانَهُ سَحَابَةٌ تَنَدَّى طَرَائِقُهَا دَمًا . جَعَلَ السَّحَابَةُ تَرَشُّعٌ بِالْذَّمِّ لَمَّا
كَثُرَ سَفْكُهُمْ لَهُ . وَتَنَدَّى فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَانْتَصَبَ دَمًا عَلَى التَّمْيِيزِ .
وَيُقَالُ : نَدَى يَنْدَى نَدَى . وَالْأَمِيرَةُ : الْأَوْسَاطُ وَالطَّرَائِقُ ، وَاحِدُهَا
سِرَرٌ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ أَيْضًا .

٤ — فَعَادَرَنَ قَيْلًا مِنْ مَقَاوِلِ حَمِيرٍ كَأَنَّ بِحَدِيدِهِ مِنَ الدَّمِ عِنْدَمَا
بِقَوْلٍ : تَرَكْتَ الْخَيْلُ فِي تَجْوَالِهَا مِنْهُمْ رَئِيسًا مَصْرُوعًا ، قَدْ سَالَ الدَّمُ
عَلَى حَدِيدِهِ فَكَانَ هُمَا خُضْبًا بِالْعِنْدَمِ ، وَهُوَ دَمُ الْأَخَوَيْنِ . وَالْمَقُولُ بُلْفَةُ أَهْلِ
الْيَمَنِ : الْقَيْلُ ، وَالْمَقَاوِلُ وَالْمَقَاوِلَةُ جَمْعُهُ ، وَهُمْ الْأَقْوَالُ وَالْأَقْبَالُ . وَقِيلَ يُخَفَّفُ

(١) كَذَا فِي م ، وَفِي الْأَصْلِ : « فَالَةٌ » .

(٢) م وَالتَّبْرِيْزِيُّ : « تَنَدَّى أَسْرُسُهَا » .

من قَيْلٍ ، فهو من الواو أيضا ، ومعناه هو الذى يَفْذُ قَوْلُهُ ، وَيُفْتَمِدُ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ . وَوُصِفَ بِهِ الْمَلِكُ كَمَا وَصِفَ بِالْهَمَامِ ، لَمَّا كَانَ إِذَا هُمْ بِالشَّيْءِ فَعَلَّ ، لَا يَرُدُّ وَلَا يُدْفَعُ . وَقِيلَ لِلْسَّانِ مَقُولٌ لَمَّا كَانَ آلَةً فِي الْقَوْلِ .

٥- أَمَرَ عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا مَطَاعِمُنَا يَمَجُّجْنَ صَابَا وَعَلَقَهَا

يقول : صارت مَطَاعِمُنَا مَرَّةً عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَهَا ، حَتَّى إِنَّهَا تَمَجُّ بَعْدَ ذَوَاقِهَا صَابَا وَعَلَقَهَا ، وَالصَّابُ : شَجَرَةٌ لَهَا لَبَنٌ إِذَا أَصَابَ الْعَيْنَ حَلَبَهَا . وَالْعَلَقُ : شَجَرٌ مُرٌّ ، وَقِيلَ هُوَ الْحَنْظَلُ . حُسِبِيَ أَنَّ الْعَلَقَةَ الْمَرَارَةَ . وَيُقَالُ عَلَقَمَ الْحَنْظَلُ . إِذَا أَدْرَكَ مَرَارَتَهُ . وَقَوْلُهُ : « يَمَجُّجْنَ » حَالٌ لِلْأَفْوَاهِ ، وَالتَّقْدِيرُ أَمَرَ مَطَاعِمُنَا عَلَى أَفْوَاهِ الذَّائِقِينَ طَعْمَهَا ، مَاجَّةً صَابَا وَعَلَقَهَا ، أَيْ إِذَا ذَاقَتْ رَمَتْ بِمَا هُوَ كَهَذَيْنِ . وَالْمَعْنَى : إِذَا خَبِرْنَا حُصْلَ مَنَا عَلَى مَا هُوَ كَذَلِكَ . وَجَازَ فِي « طَعْمَهَا » الْإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ ؛ لِأَنَّ السَّكْلَامَ يَحْتَمِلُ نِيَّةَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، لَمَّا كَانَ رُتْبَةُ الْفَاعِلِ وَهُوَ مَطَاعِمُنَا التَّقْدِيمِ ، وَرُتْبَةُ الْمَفْعُولِ وَمَا يَجْرِي نَجْرَاهُ التَّأْخِيرِ ، وَهُوَ عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا . وَفِي طَرِيقَةِ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخِرِ (١) :

فَإِنْ تَغْمِزْ مَقَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَظًا فِي أَنَامِلٍ مِنْ يَصُولِ
وَالطَّعْمُ : الذَّوْقُ ، وَالْمَطَاعِمُ : جَمْعُ الْمَطْعَمِ . وَيُقَالُ هُوَ حَسَنُ الْمَطْعَمِ ، أَيْ حَلِيبُ الطَّعَامِ .

١١٣

وقال في ذلك أيضاً :

١- وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَفِدْ حَيًّا سِوَاهُمْ فِدَائِهِ لَتِيمٍ يَوْمَ كَلْبٍ وَخَيْرَا
يقول : أَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَرْبَابًا بِقَدْرِي ، وَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ أَجْمَلَهَا فِدَاءَ لَعِيرِي ،

(١) هُوَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودٍ . انظر الحماوية ٦١ .

أَفْدَى تَيْمًا بِهَا؛ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ حُسْنِ الْبَلَاءِ يَوْمَ اجْتِمَاعِ كَلْبٍ وَحَيْرٍ لِلْقِتَالِ .
وَجَوَابُ الشَّرْطِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « إِنْ لَمْ أَفْدِ » قد اشتمل عليه الكلام ، لأنَّ المعنى :
[إِنْ ^(١)] لَمْ أَفْدِ غَيْرَهُمْ تَرْفَعًا ، فَإِنِّي أَفْدِيهِمْ تَشَكُّرًا .

٢- أَبَوَا أَنْ يُبَدِّحُوا جَارَهُمْ لَعْدُوهُمْ وَقَدْ نَارَ تَقَعُ الْمَوْتِ حَتَّى تَكُونُوا ^(٢)

أَبَوَا ، الْفِعْلُ لِبَنَى التَّيْمِ . يَقُولُ : امْتَنَعُوا مِنْ أَنْ يُخْلَوْا بَيْنَ حَيْرَانِهِمْ قَبِيلَةَ
كَلْبٍ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ حَيْرٍ ، وَقَدْ ارْتَفَعَ غُبَارُ الْمَوْتِ حَتَّى التَفَّ فِي الْجَوِّ . وَأَرَادَ
بِالْجَارِ وَالْعَدُوِّ الْكَثْرَةَ ، إِذْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُمَا الْقَبِيلَتَيْنِ ، وَإِنَّمَا أَضَافَ التَّقَعَّ إِلَى
الْمَوْتِ تَهْوِيلًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمَوْتِ الْحَرْبَ . وَتَكُونُ : تَفَوَّعَ مِنْ
الْكَثَرَةِ ، يُرِيدُ تَرَاكُمُ الْغُبَارِ وَالتَّفَافُهُ . وَهَذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَكُونُ
مِنَ التَّرَاكُمِ ، جَعَلَهُ بَعْضُهُمْ كَالسَّحَابِ ، وَجَعَلَهُ بَعْضُهُمْ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ حَتَّى
ظَهَرَتْ لَهُ الْكَوَاكِبُ ، وَحَتَّى صَارَ النَّهَارُ بِسَبَبِهِ كَاللَّيْلِ . وَتَجَاوَزَ الْمُتَنَبِّئُ ^(٣) جَمِيعَ
ذَلِكَ ، حَتَّى بَلَغَ حَدًّا مِنَ الْإِفْرَاطِ مُسْتَشْفَعًا فَقَالَ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا غَيْرًا لَوْ تَبَتَّعَنِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا ^(٤)
وَإِذَا أَرَدْتُ بِالْمَوْتِ الْمُنِيَّةَ يَكُونُ الْمُرَادُ : كَأَنَّ الْمَوْتَ أَثَارَ الرَّهْجِ فِي سَلْبِ
النَّفْسِ حَتَّى كَثُفَ فِي الْهَوَاءِ . وَهَذَا مَثَلٌ .

٣- سَمَوْا نَحْوَ قَبِيلِ الْقَوْمِ يَتَدْرُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى هَوَى فَتَقَطَّرَا

يَعْنِي بَنَى تَيْمٍ . يَقُولُ : ارْتَفَعُوا نَحْوَ رَأْسِ الْقَوْمِ مُسْتَبِقِينَ إِلَيْهِ بِأَسْيَافِهِمْ
فَتَنَاوَلُوهُ حَتَّى سَقَطَ . وَمَعْنَى تَقَطَّرَ : وَقَعَ عَلَى أَحَدِ قُطْرَيْهِ . وَالْقَطْرَانِ : الْجَانِبَانِ .

(١) بِهَا يَلْتَمِ الْكَلَامُ ، وَارِثٌ فِي إِحْدَى النِّسَخَتَيْنِ .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « وَيُرْوَى : تَكُونُوا . مِنْ كَوْرِ الْعَامَةِ ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ » .

(٣) كَذَا بِالْهَمْزِ فِي الْأَصْلِ ، وَبِالتَّسْهِيلِ فِي م .

(٤) رَوَايَةُ الدَّبَّوَانِ بِشَرْحِ الْعَكْبَرِيِّ : « عَلَيْهَا أَمَكْنَا » .

وفي الكلام اختصاراً ، كأنه قال : ابتدروه بالأسياف وضرّبوه حتى سقط ،
خذف ضربوه . وموضع يتدورنه نصبٌ على الحال ، وتعلّق حتى بالحذف
الذي بيّنته .

٤- وكانوا كأنفٍ اللَّيْثِ لاشمٍ مرَّغماً ولا نالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعْفَرَ^(١)

الأسدُ أَحَى الحيوان أنفاً ، ويبلغ من عُجْبِهِ بنفسه أنه لا يتواضع لأكل
صَيْدٍ غيره . ونُسِبَ الأنفُ إلى الأنفِ كما يُنسَبُ الحِمِيَّةُ إليه . يقال : هو أَحَى
أنفاً من فلان ، وآنفٌ أنفاً منه ، وَحَى فلانٌ أنفَهُ من كذا ، أى أنفَ منه ولم
يرضَ بِهِ . وَحَسَنَ في الكِتَابَةِ عن الإباء والتَّصَوُّنِ عن الدَّاءَةِ والمَذَلَّةِ قوله :
« لاشمٍ مرَّغماً » بعدَ ذِكْرِ الأنفِ . فيقول : وكان بنو التَّيْمِ في التَّمَنُّعِ كاللَّيْثِ
الذي لا يُعْمِضُ عَلَى قَدَى ، ولا يَشْمُ مرَّغماً ومَذلاً ، ولا يَضِرُّ لشيءٍ على هَوَانٍ ،
ولا يَعْطِفُ على مَكْرِهِ وَصَغَارِهِ ، ولا يَنَالُ الصَّيْدَ قَطُّ حَتَّى يَكُونَ هو المَعْفَرُ .
والمَعْفَرُ : التُّرابُ . هذا إِذَا رَوَيْتَ « قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعْفَرَ^(٢) » وقال ذلك لأنه
فيما يتصيّده لا يَرْضَى بالاختلاس ، ولا يعتمد على صَيْدٍ غيره والإصابة مِنْهُ .
وَيُرَوَّى : ولا نالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعْفَرَ^(٢) . والْفَطُّ : ماء الكَرِشِ . ويُقال
اِفْتَظَّتْ الكَرِشَ ، إِذَا اسْتَخْرَجْتَ ذَلِكَ المَاءَ مِنْهُ . والمعنى : ولا نالَ الْفَطُّ مِنْ
بَطْنِ الصَّيْدِ حَتَّى يَتَعْفَرَ أى يسقط في العَفَرِ ويتمكّن مِنْهُ . والأسدُ يبدأ من
الصَّيْدِ بِحَشْوِ بَطْنِهِ ، فلذلك خَصَّ الْفَطُّ . وَالثَّمِيلَةُ خِلَافُ الْفَطِّ ، لأنه اسمٌ
لما يَبْقَى في البطن من العَلْفِ والرُّطْبِ . وقَطُّ في الماضي كأبدًا في المستقبل ،

(١) م فقط : « يعفرا »

(٢) م : « يعفرا » . وزاد التبريزي رواية : « قَصَّ الصَّيْدَ » عن عبد السلام

وهو مَعْرِفَةٌ مَبْنِيَّةٌ كَأَمْس ، وأَبْدَأُ نَكِيرَةً كَغَدَا . ولا نَالَ ولا شَمَّ في مَعْنَى
لم يَشَمَّ ولم يَنْل . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ .

١١٤

وقال هلال بن رزين^(١) :

١ - وبالبَيِّدَاءِ لَمَّا أَنْ تَلَاَقَتْ بِهَا كَلْبٌ وَحَلَّ بِهَا التُّذُورُ

يقول : لما تلاقى كَلْبٌ وَخَيْرٌ بالبَيِّدَاءِ وأدركوا الأوتار ، فَحَلَّ بِهَا
التُّذُورُ وسقطت الأقسامُ عن الحالفين بها لإدراكِهِم الآثَارَ^(٢) . وجوابُ
لما يجوز أن يكون ما دلَّ عليه قوله « فَحَانَتْ خَيْرٌ » أو قوله « وَحَلَّ بِهَا
التُّذُورُ » . ويجوز أن يكون قوله « أَجَادَتْ وَبَلَّ مُدْجِنَةً » ، وهو أول البيت
الرابع ، وعند من يُجَوِّزُ زِيَادَةَ الحُرُوفِ في مثل هذا المكان يكون « حَلَّ بِهَا
التُّذُورُ » أو « فَحَانَتْ » الجواب ، فيكون الفاء والواو مُقَحَّمَةً ، وهكذا
يقولون في قول الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ عِنْدَهم الواو
زائدة ، والمُرَادُ فَتِحَتْ^(٣) ، وقول امرئ القيس :

* فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَأُنْتَجَى^(٤) *

(١) التبريزي : أحد بني ثور بن عبد مناة بن أد . وعند ابن جني : « وقال هلال
بن رزين الرباعي » . وذكره المرزباني في المعجم ٤٨٢ وقال : « هلال بن رزين أحد بني ثور
بن عبد مناة بن أد . جاعلي . يقول في وقعة كانت لبني عبد مناة وكلب على حير » . وأشد
بعض هذه الحماسية .

(٢) كذا في الأصل ، وهو على القلب ، حكاه يعقوب ، والمألوف في جمع ثار أثار كما في م .
(٣) كذا ورد في النسختين بتخفيف التاء هنا وتشديدها في التلاوة قبلها . وقراءة
التخفيف هي قراءة عاصم وحمة والكسائي وخلف ووافقه الأعمش ، والباقون بالتشديد .
إتحاف فضلاء البشر ٣٧٧ .

(٤) عجزه : * بنا بطن خبت ذى حفاف عمنقل *

يقولون : المراد انتحى ، والواو زائدة .

٢ - فَحَانَتْ حَيْرٌ لِمَا التَّقِينَا وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرٌ^(١)

يقول : هَلَكْتَ حَيْرٌ عِنْدَ الْإِتْقَاءِ ، لِأَنَّ الدَّبْرَةَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ بِالْمِيدَاءِ يَوْمٌ صَغْبٌ . وَيُقَالُ : يَوْمٌ وَأَمْرٌ عَسِيرٌ وَعَسِيرٌ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَسُرَ بِالضَّمِّ وَعَسِرَ بِالْكَسْرِ ، وَيُقَالُ هُوَ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ ، وَالْعُسْرَى وَالْيُسْرَى .

٣ - وَأَيَقَنْتِ الْقَبَائِلُ مِنْ جَنَابٍ وَعَامِرٌ أَنْ سَيَمْنَعُهَا نَصِيرٌ^(٢)

يقول : وَتَيَقَنْتِ جَابٌ وَعَامِرٌ بَطُونُ بَنِي كَلْبٍ^(٣) أَنَّهُ سَيَذُبُّ عَنْهَا نَصِيرٌ ظَهِيرٌ ، وَمُعِينٌ قَوِيٌّ . وَيَعْنَى بِالنَّصِيرِ بَنِي التَّيْمِ . وَجَعَلَ اللَّفْظَ نَكِيرَةً لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي تَعْظِيمِ النُّصْرَةِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ نَصِيرٌ مِنَ النُّصَارِ ، أَيْ كَامِلٌ فِي مَعْنَاهُ . وَجَعَلَهُمْ كُلَّهُمْ نَصِيرًا لَانْصَارًا . لِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ وَأَهْوَانِهِمْ . وَقَوْلُهُ «أَنْ سَيَمْنَعُهَا» أَنْ تُخَفَّفَ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَاسْمُهُ مُحذُوفٌ ، يَرِيدُ : أَنَّهُ سَيَمْنَعُهَا وَالسَّيْنُ فِي الْفِعْلِ لَثَلًا تَلْتَبَسُ الْمُخَفَّفَةُ بِالنَّاصِبَةِ لِلْفِعْلِ . وَالْهَاءُ الَّتِي أَظْهَرْتَهُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّانِ .

٤ - أَجَادَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمْ صَوْبَ سَارِيَةٍ دُرُودٌ^(٤)

(١) المرزبانى : « تحابت » .

(٢) ابْنُ جَنَى : « وَيُرْوَى وَعَامِرٌ ، عَطْفًا عَلَى الْقَبَائِلِ . وَلَمْ يَصْرِفْ عَامِرٌ لِأَنَّهُ عَنْهَا الْقَبِيلَةُ ... وَفَدٍ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الرِّوَايَةُ : وَعَامِرٌ أَنْ ، عَلَى تَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ وَإِلْقَاءِ حَرَكَتِهَا عَلَى تَنْوِينِ عَامِرٍ » .

(٣) التَّبْرِيزَى : « وَقَالَ أَبُو رِيَّاشٍ : يَعْنَى عَامِرُ الْأَجْدَارِ ، وَهُمْ بَطْنٌ عَظِيمٌ مِنْ كَلْبٍ ، وَإِنَّمَا لُقِبَ بِالْأَجْدَارِ لِأَنَّهُ وَلَدٌ فِي أَصْلِ جِدَارٍ ، وَهُوَ أَخُو عَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ لِأُمِّهِ . وَجَنَابُ بْنُ هَبَلٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ كَلْبٍ » .

(٤) التَّبْرِيزَى : « وَيُرْوَى : صَوْبُ سَارِيَةٍ - يَعْنَى بِالرَّفْعِ - قَالَ أَبُو رِيَّاشٍ : أَنْتِ صَوْبٌ لِأَنَّهُ أَرَادَ الدَّفْعَةَ » . وَقَدْ نَبِهَ إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ ابْنُ جَنَى ، بَلْ جَعَلَهَا الرِّوَايَةَ الْأُولَى .

يُقَالُ : هذا يَوْمٌ دَجَنٌ ، أَى يَوْمٌ لِبَاسٍ غَيْمٍ . والدُّجَنَّةُ : الظُّلْمَةُ ، وَلَيْلَةُ مِذْجَانٍ . فيقول : أَتَتِ سَحَابَةُ الْجَيْشِ بِمَطَرٍ جَوْدٍ ، فَوَبِلَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ — أَى سَحَابَةٌ لَهَا ظَلَامٌ ، لِكثَافَتِهَا وَقُرْبُهَا مِنَ الْأَرْضِ — فَصَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَنَائِيَّاءُ دَرَّ سَارِيَةٍ ، أَى سَحَابَةٌ تَسْرِي لَيْلًا . والدَّرُّور ، هِيَ الْكَثِيرَةُ الدَّرَّ . ويرتفع على أَنَّهُ فاعِلٌ دَرَّتْ . وَصَوَّبَ مُصْدَرٌّ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ صَابَتْ دَرُّورٌ صَوَّبَ سَارِيَةٍ . وَجَعَلَ مَا فِي الْعَجْزِ مِنْ هَذَا فِي مَقَابِلَةِ مَا فِي الصَّدْرِ ، مِنْ قَوْلِهِ « أَجَادَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ » كَأَنَّهُ قَالَ : أَجَادَتِ الْخَيْلُ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ فَدَرَّتْ دَرُّورُ الْمَوْتِ دَرَّ سَارِيَةٍ ، فَالسَّارِيَةُ بِإِزاءِ الْمُدْجِنَةِ لَا غَيْرَ . وَكُلُّ ذَلِكَ مَثَلٌ لِكَثِيرِ الشَّرِّ ، وَتَفْظِيعِ الْبَلَاءِ وَالْقَتْلِ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

وَمُعْلِقِينَ عَلَى الْجِيَادِ حُلَيْمًا حَتَّى تَصُوبَ سَمَاوَهُمْ بِقَطَارٍ

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَجَادَتْ وَدَرَّتْ فِعْلَانِ مُجْمَعًا لِلدَّرُّورِ ، فَهُوَ كَمَا يُقَالُ قَامَ وَقَعْدَ زَيْدٌ . قَالَ : وَالْدَّرُّورُ : حَرْبٌ تَدْرُّ بِالْدمَاءِ . وَيُقَالُ : جَادَتْ وَأَجَادَتْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ؛ وَالْمُرَادُ جَادَتْ دَرُّورٌ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمْ كَوَبَلٍ مُدْجِنَةٍ ، وَكَصَوَّبٍ سَارِيَةٍ . وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ وَأَكْشَفُ وَأَصَحُّ .

هـ — فَوَلَّوْا تَحْتَ قِطْقِطِهَا سِرَاعًا تَكْبَهُمُ الْمُهْمَةُ الدُّكُورُ

يقول : انْهَزَمَتْ خَيْرُ مُسْرِعِينَ تَحْتَ صِفَارِ الْبَرْدِ ، وَلَمْ يَصْبِرُوا إِلَى كِبَارِهِ ، وَالشُّيُوفُ الْهِنْدِيَّةُ تُسَمِّيهِمْ لَوَجُوهَهُمْ . وَيُقَالُ هَنَدْتُ السَّيْفَ ، إِذَا نَسَبْتَهُ إِلَى الْهِنْدِ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَهَنَدْتُ السَّيْفَ ، إِذَا أَحْدَدْتَهُ . وَذَكَرَ الدَّرِيدِيُّ فِي الْقِطْقِطِ أَنَّهُ ضَرَبُ مِنَ الْمَطَرِ ، وَلَمْ يَحْدَهُ . وَمَوْضِعُ « تَكَبُّ » نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَمَا قَدَّمَاهُ فِي الْقِطْقِطِ قَوْلُ الْخَلِيلِ .

وقال جزء بن ضرار^(١) :

١- أَتَانِي فَلَمْ أُسَرَّرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بِأَعْلَى الْقُنْتَيْنِ عَجِيبٌ

تقديره : أناني حديثٌ عجيبٌ بأعلى القنَّتين^(٢) ، فلم أسرر به حين جاني .
وإنما استعجب من الحديث لتضمنه ما كرهه ، فكان يرده بما يقوى في
أمله من ضده . وقد اجتمع فعلاً أناني وجاءني ، فأعمل الأول . ومثله
قول الآخر^(٣) :

وَأَمْ أَمْدَحُ لَأَرْضِيهِ بِشَعْرَى لَيْثِيًا.....^(٤)

٢- تَصَامَمْتُ حَتَّى أَتَانِي يَقِينُهُ وَأَفْرَعُ مِنْهُ مُخْطِئٌ وَمُصِيبٌ^(٥)

تصاممته ، أراد تصامت عنه ، حتى أتاني يقينه ، أى الجلي الواضح منه .
وأفزع يجوز أن يكون معناه صَادَفَ الْفَرَعُ فلا يقتضى مفعولا ، ويجوز أن
يكون أَفْرَعُ الْغَيْرَ فيكون مفعوله محذوفا . ومعنى البيت : تكلفت اللصم عن

(١) جزء بن ضرار ، أخو الشماخ بن ضرار ، قال ابن حجر في الإصابة ١٢٨١ :
« ذكره المرزبانى في معجمه وقال : هو شاعر مخضرم . وهو القائل يروى عمر بن الخطاب :
جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذلك الأديم الممزق » .
وانظر الأغاني (٨ : ٩٨) .

(٢) التبريزى : « القنَّتان : جبل أسود مشرف بعض الإشراف » .

(٣) هو ذو الرمة كما في التنبيه لابن جني .

(٤) تمامه كما في التنبيه :

لَيْثِيًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالًا *

وعند التبريزى : « أن يقال أصاب » .

(٥) جعل التبريزى الرواية الأولى عنده : « وأفزع » بالراء المهملة ، وقال :
« وأفزع معناه صادف الفرع ، وإذا كان هكذا فلا يقتضى مفعولا . ويجوز أن يكون معناه
أفزع الغير ، فيكون مفعوله محذوفا » .

ذلك الخبر حتى جاء ما لم يمكن رَدُّهُ ، لكون الشَّيْءِ ^(١) منتفيةً عنه ، واتفق الخطي والمصيب على تصحيحه ، وصادفًا الفَرْع فيه ، أو أفرعًا الغير منه . ومثل قوله « تصامته » في انحذاف حرف الجر ^(٢) منه قول الآخر :

* وأخفى القى لولا الأسي لقضاني ^(٣) *

يريد : لَقَضَى عَلَى . وفي القرآن : ﴿ وَإِذَا كَأُولِهِمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ ﴾ ، يريد كأُولِهِمْ أو وزنوا عليهم . وأضاف اليقين إلى ضمير الخبر لأنه يريد المتيقن منه .

٣- وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبُ

٤ - فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنْوُبُ

قوله « حُدِّثْتُ » يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، فالأول قام مقامَ الفاعل وضمير التاء ، والثاني قومي ، والثالث أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ أَخْدَانًا . وكما قال الآخر ^(٤) :

* وَإِنْ تَكَلَّمْتُ تَبَلَّتْ ^(٥) *

يريد تبَلَّتْ كَلَامَهَا . ويجوز أن يكون أَجْرَى قَوْلَهُ « أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ » نَجْرَى نَكَى الدَّهْرُ فِيهِمْ ، فاستغنى عن المفعول . وقوله : « وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبُ » يجوز أن يكون من جملة ما بُلِّغَ وَأُنْبِئَ بِهِ ، ويجوز أن يكون الواو للحال ، كأنه نَكَى الدَّهْرُ فِيهِمْ وَحَالُهُمْ قَرَبُ الْعَهْدِ بِحَوَادِثِهِ ، ويجوز أن يكون جاريًا مجرى الاعتراض بين ما قبله وما بعده ، وحقيقة معناه تصديقه لما خُبرَّ به ،

(١) م : « الشبهة » .

(٢) م : « بحذف حرف الجر » .

(٣) لرجل من بني كلاب ، كما في الكامل ٢١ لبيسك . وصدده :

* نحن فتبدي ما بها من صباية *

(٤) هو الشنفرى . المفصليات (١ : ١٠٧) .

(٥) البيت بتمامه :

كَأَنَّهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا تَقْصَهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تَكَلَّمْتُ تَبَلَّتْ .

وَأَنَّ قَوْمَهُ مِنَ الْكِرَامِ الَّذِينَ لَا يَسْلَمُونَ عَلَى الدَّهْرِ ، بَلْ يُوَلِّعُ بِالتَّأْثِيرِ فِيهِمْ
كَمَا قَالَ :

أَرَى الدَّهْرَ يَعْتَاقُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيْلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ (١)
وَإِذَا عُزِلَ هَذَا الْإِعْزَاضُ يَكُونُ الْكَلَامُ : وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ
فِيهِمْ ، فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي . وَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ : أُنَبِّئُ أَنْ قَوْمِي نَكَى الدَّهْرُ
فِيهِمْ ، وَحَلَّ أَثْقَالَهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتُ حَقًّا مِنْ إِخْنَاءِ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ ،
وَسُوءِ تَأْثِيرِهِ فِيهِمْ ، فَإِنَّ أَخْبَارَهُمْ كَرِيْمَةٌ فِي النُّوَابِ إِذَا نَابَتْهُمْ ، وَنَفُوسَهُمْ عَزِيْزَةٌ
تَأْتِي الْإِقْيَادَ لِمَا لَا يَحْسُنُ ، وَالطَّأْوَعَةَ فِيمَا يَشِينُ وَلَا يَزِينُ . وَجَوَابُ « فَإِنْ يَكُ
حَقًّا » مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ فَإِنَّهُمْ يَصْبِرُونَ صَبْرَ الْكِرَامِ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى : فَإِنَّكَ تَمْلِكُهُمْ
وَتَقْدِرُ عَلَيْهِمْ .

٥ - فَقِيرُهُمْ مُبْدِي الْغِنَى وَغَنِيَّتُهُمْ لَهُ وَرَقٌ لِلْسَائِلِينَ رَطِيبٌ
يَقُولُ : مُحْتَاجُهُمْ مُتَجَمِّلٌ ، وَبِمَا لَا تَنَالُهُ مَقْدَرَتُهُ وَلَا يَنْهَضُ وَسْعُهُ مُتَكَثِّرٌ ،
وَزَاهِرُهُ الْغِنَى اِكْتِفَاءً بِمَا يَمْلِكُهُ ، وَتَصَنُّعًا مَنْ يَرْمُقُهُ ؛ وَغَنِيَّتُهُمْ لَهُ إِفْضَالٌ عَلَى
الْعُقَاةِ ، وَمَعْرُوفٌ عِنْدَ السُّؤَالِ ، يَحْيَوْنَ فِي جَنَابِهِ ، وَيَعِيشُونَ فِي كَنَفِهِ وَظِلَالِهِ .
وَقَوْلُهُ « لَهُ وَرَقٌ » مِثْلُ ضَرْبِهِ لِلنَّدَى ، وَأَصْلُهُ هَاهُنَا وَرَقُ الشَّجَرِ ، وَبِهِ عَيْشُ
الْمَالِ : الْإِبْلِ وَالْغَنَمِ . وَإِذَا لَمْ يَمْنَعُوا مِنَ الْوَرَقِ عَاشَ النَّاسُ فِي فَنَائِهِمْ . هَذَا
الْأَصْلُ ، ثُمَّ يَتِمَثَّلُ بِهِ بَعْدُ لِغَيْرِهِ مِنْ ضُرُوبِ الْمَنَافِعِ ، وَوَجْهِهِ الْمَرَاذِي . وَسَلَكَ
فِي هَذِهِ الِاسْتِمَارَةِ وَالتَّمَثِيلِ مَسْلَكَ زَهْرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ يَوْمًا وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَائِطٍ وَرَقًا

ويقال: وَرَقَتِ^(١) الشَّجَرَةُ وَأُوزِقَتْ، وشجرة وَرِيقَةٌ، إذا كَثُرَ ورقُها والوراق: زَمَنُ خروجِ الورق، كالصَّرام والجِدَاد.

٦- ذَلُّهُمْ مَضَعُ الْقِيَادِ وَضَعُهُمْ ذَلُّ بِحَقِّ الرَّاعِبِينَ رَكُوبٌ^(٢)

يقول: مَنْ كَانَ سَهْلَ الْجَانِبِ مِنْهُمْ تَرَاهُ مُتَعَسِّرًا إِذَا سِيَمَ الضَّيْمَ، مُتَضَعِبًا فِي التَّزَامِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ؛ وَالْأَبْجُ الْخَشِينُ الْخُلُقِ مِنْهُمْ مُعْتَرِفٌ بِحَقِّ الرَّاعِبِينَ، يُرَكَّبُ بِهِ وَلَا يَمْنَعُ، وَيُقَادُّ لَهُ وَلَا يَأْبَى. وَقَوْلُهُ رَكُوبٌ، هُوَ فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ هَاهُنَا. وَالذَّلُّ: الْوَطْئُ فِي الظَّهْرِ، وَالذَّلُّ وَالذَّلُّ يَرْجِعَانِ إِلَى السَّهْوَةِ وَالْوَطْءِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ تَفَرَّدٍ بِمَعْنَى يَتَمَيَّزُ عَنْ صَاحِبِهِ بِمَا يُضَادُّهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ ضِدَّ الذَّلِّ بِالضَّمِّ الْعِزُّ، وَضِدَّ الذَّلِّ بِالْكَسْرِ الضُّعُوبَةُ.

٧- إِذَا رَنَقَتْ أَخْلَاقَ قَوْمٍ مُصِيبَةٌ تُصَفِّي بِهَا أَخْلَاقَهُمْ وَتَطْيِبُ^(٣)

يقول: إِذَا كَدَّرَتْ الْمَصَائِبُ أَخْلَاقَ النَّاسِ فَتَغَيَّرَتْ، حَتَّى لَا يَصِيرَ عَلَيْهَا تَحَمُّلٌ، وَلَا إِلَيْهَا مِنَ النُّوَائِبِ مَلْجَأٌ، فَإِنْ أَخْلَاقٌ هَؤُلَاءِ تُصَفَّى بِهَا [وَلَهَا^(٤)] وَتَطْيَبُ عِنْدَ تَحَامُلِهَا؛ كَانَهُمْ كُلُّهَا زَادُوا امْتِحَانًا بِالْدهْرِ زَادُوا إِطْلَاقًا وَهَشَاشَةً، وَلَبِنٌ مَعْطَفٌ وَلِدُونَةٌ، وَنُهُوضًا بِالْأَعْيَاءِ، وَصَبْرًا لَدَى الْأَوَاءِ. وَيُقَالُ مَا لَا رَنَقَ وَرَنَقٌ، وَمَا فِي عَيْشِهِ رَنَقٌ أَيْ كَدَرٌ.

٨- وَمَنْ يَغْمُرُوا مِنْهُمْ بِفَضْلِ فَإِنَّهُ إِذَا مَا أُنْتَمَى فِي آخِرِينَ نَجِيبٌ

أَضَلُّ الْعَمْرِ التَّغْفِيَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: دَخَلَ فِي غَمَارِ النَّاسِ. وَالنَّجِيبُ: الْكَرِيمُ مِنَ النَّاسِ وَالْخَلِيلُ وَالْإِبِلُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْمُخْتَارِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْمُنْتَجَبُ، وَقَدْ نَجَّبَ الرَّجُلُ نَجَابَةً، وَأُنْجَبَ: أُنِيَ بِأَوْلَادِهِ نُجَبَاءً. يَقُولُ: وَالْمَغْمُورُ

(١) ضبط في الأصل بتشديد الراء، وفي م بفتحها فقط. وهما لغتان صحيحتان.

(٢) م: «لحق الراغبين». (٣) التبريزي: «تصفى لها». (٤) هذه من م.

الحاملُ منهم ، لظهور الفضل عليه ، إذا انتسبَ في قومٍ آخرين عُدَّ نَجِيْبًا .
ومثله قولُ الآخر^(١) :

يَسُودُ ثَنَايَا مَنْ سِوَانَا وَبَدُونَا يَسُودُ مُعَدًّا كُلُّهَا مَا تَدَافِعُهُ

وإن كان هذا زائداً على ذلك . وحذف مفعول « يَغْمُرُوا » لأنه لا يَلْتَبِيسُ . أراد ومن يَغْمُرُوهُ ، أى المفضول^(٢) فيهم إذا انتمى في غيرهم كان فاضلاً .

١١٦

وقال القطامي^(٣) :

١ - من يَكُنِ الحِضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ أَنَاسٍ بِادِيَةِ تَرَانَا

الحِضَارَةُ تُكْسَرُ مِنْهُ الحَاءُ وَتُفْتَحُ ، وكذلك البداوة تُكْسَرُ مِنْهُ الباءُ وَتُفْتَحُ . والمُرَادُ بِالْحِضَارَةِ أَهْلُ الحِضَارَةِ ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ « فَأَيُّ أَنَاسٍ بِادِيَةٍ » ، لَأَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا يَصْحُحُ بَيْنَ الْحَضَرِيِّينَ وَالْبَدَوِيِّينَ . وَأَيُّ هَذِهِ تُضَافُ إِلَى النَّسَكَةِ ، وَلَا تُضَافُ إِلَى أَكْثَرِ مَنْ الذِّى جَعَلَتْهُ خَبْرًا ،

(١) هو حجر بن خالد النعلبي ، كما سيأتى فى الحماسية ١٧٠ .

(٢) فى الأصل : « المقصود » ، صوابه فى م .

(٣) القطامى ، بضم القاف وفتحها : لقب غلب عليه . قالوا سمى به لتولده :

يحطهن جانباً فجانباً صك القطامى قطا قواربا

واسمه عمير بن شليم النعلبي ، شاعر إسلامى مقل ، وله ديوان مطبوع . وكان قبل إسلامه نصرانياً ، وكان الأخطل يحب به كثيراً . وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابى لأنه كان أسره ثم من عليه ووهب له مائة ناقة وردة إلى قومه . الشعر والشعراء ٧٠١ - ٧٠٥ وابن سلام ١٢١ - ١٢٢ والاشتقاق ٢٠٤ - ٢٠٥ والمتلف ١٦٦ والمرزبانى ٢٤٤ - ٢٤٥ والأغانى (٢٠ : ١١٨ - ١٣١) والخزانة (١ : ٣٩١ - ٣٩٤ / ٣ : ١٨٨ - ١٩٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٤) م والتبريزى : « من تكن » بالتاء .

لأنك تريد صِفَتَهُ . ألا تَرَى أنك تقول مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ ، وَأَيْ رَجُلٍ أَخُوكَ إِذَا جَعَلْتَهُ خَبْرًا يَكُونُ تَحَرَّجُ الْكَلَامِ الْمَدْحَ وَالتَّعْجُبَ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : نِهَايَةُ فِي الرِّجُولِيَّةِ أَخُوكَ . فَعَلِيَ هَذَا قَوْلُهُ فَأَيْ رَجَالٍ بَادِيَةً . فَيَقُولُ : مَنْ أَعْجَبُهُ رَجَالُ الْحَضَرِ ؛ فَأَيْ رَجَالٍ بَدَوْا نَحْنُ ، إِذَا حُصِّلَتِ الرِّجَالُ . وَالْمَعْنَى : أَيْ أَنَا نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ . وَلِلْمَرَادِ التَّمْدِيحَ وَالتَّعْجُبَ .

٢- وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنْ فِينَا قَدًا مُسْلَبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانًا^(١)

يقول : وَمَنْ ارْتَبَطَ الْحُمْرُ واقتناها ، وَكَانَ عَيْشُهُ مِنْهَا ، فَإِنَّا أَرْبَابُ الْغَزْوِ ، وَآلَاتِنَا رِمَاحَ طِوَالٍ ، وَخَيْلٌ رَائِقَةٌ عِنَاقٌ . وَالْجِحَاشُ مِنْ أَوْلَادِ الْحُمْرِ كَالْمُهْرِ فِي الْخَيْلِ ، وَالْجَمْعُ الْجِعَاشُ وَالْجِحَشَةُ . وَالسُّلْبُ : الطِّوَالُ ، وَالوَاحِدُ سَلُوبٌ .

٣- وَكَنَّ إِذَا أَعْرَنَ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

يَقَالُ : عَوَزَ الرَّجُلُ كَذَا عَوَزًا ، مِثْلَ عَدِمَ ، وَأَعْوَزَهُ الدَّهْرُ : أَفْقَرَهُ . وَأَعْوَزَ الرَّجُلُ : سَاءَتْ حَالُهُ ، وَهَذَا لَا يَتَعَدَّى . يَقُولُ : كَانَتْ هَذِهِ الْخَيْلُ إِذَا أَغَارَتْ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْقِبَائِلِ فَبَدَّدَتْ شَعْلَهَا ، وَخَوَّفَتْ آمِنَهَا ، وَصَارَتْ تَأْخُذُ حِذْرَهَا ، وَتَتَّقِيهَا بِالْبُقْدِ عَنْهَا ؛ حَتَّى أَعْوَزَهَا النَّهْبُ حَيْثُ كَانَ النَّهْبُ ، لِمَعَاوَدَتِهِمْ الْفَارَةَ وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَإِدَامَتِهِمْ إِيَّاهَا ، وَالْحَاحِمُ بِهَا . وَقَوْلُهُ « إِذَا أَعْرَنَ » ظَرَفٌ لِقَوْلِهِ أَعْرَنَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَهُوَ جَوَابٌ لَهُ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ كُنَّ .

٤- أَعْرَنَ مِنَ الضَّبَابِ عَلَى حُلُولٍ وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا

(١) أَشَارَ ابْنُ جَنِّي فِي التَّنْبِيهِ إِلَى رَوَايَةِ « سَلْبًا » بِالتَّحْرِيكِ . قَالَ : « وَمَنْ رَوَى سَلْبًا وَصَفَهُ بِالْوَاحِدِ ، كَقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ، وَأَعْبَازُ نَخْلٍ مُنْقَعَرٍ . وَمَنْ قَالَ سَلْبًا وَصَفَهُ بِالْجَمْعِ ، كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَيَنْشِئُ السَّحَابُ الثَّقَالَ . وَقَدْ جَاءَ الشَّعْرُ بِهَمَا جِهًا ، وَذَلِكَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ الْهَاءِ » .

٥ - وأحياناً على بَكْرٍ أُخِينَا إذا ما لم نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا
الضَّبَابُ يشتمل على ضَبَّةٍ وَضَيْبٍ ، وَحَسِلٍ وَحُسَيْلٍ ، فلذلك سُمُوا
الضَّبَابَ . يقول : أغارت على أقاربهم وعلى الحِلَّاتِ النازلة حَوْلَهُمْ وفيهم ، لأنَّ
من قُدِّرَ له الحَيْنُ فقد أدركه . والمعنى : إنهم لا اعتيادهم الغارة لا يَصْبِرُونَ عنها ،
حَتَّى إِذَا أُعْزِزَهُمُ الْأَبَاعِدُ عَطَفُوا على الأقارب . أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَمَّ ذَلِكَ بقوله :
وأحياناً على بَكْرٍ أُخِينَا إذا ما لم نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا
وقوله : « إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا » يُسَمَّى الالتفات ، كأنه التفتَ إلى إنسانٍ
فقال : إِنَّهُ مِنْ هَلَاكَ بَغْزُونَا فَقَدْ هَلَكَ . وقوله « على بَكْرٍ » تَعَلَّقَ بفعلٍ
مضمرٍ دلَّ عليه ما تقدَّم فيما قبله ، كأنه قال : وأحياناً أَعْرَنَ على بَكْرٍ .

١١٧

وقال الأعرجُ المعنى^(١) :

١ - أَرَى أُمَّ سَهْلٍ مَا تَزَالُ تَقْجَعُ تَلُومُ وَمَا أَذْرِي عَلَامَ تَوَجَّعُ
يقول : أرى هذه المرأة تتفجع تارةً وتتوجع أخرى ، تَعْتَبُ على وتَلُومُ ،
وما أَذْرِي من أَى شَيْءٍ شَكَّوْهَا ، وفي أمرٍ توجَّهَ على عَتَبُهَا ، لَأَنِّي لَا أُنْعَاطِي
مُنْكَرًا فَاسْتَحَقَّ به ذلك : وقد مرَّ الكلامُ في عَلَامَ وَأَشْبَاهِهَا^(٢) . وقوله :
« ما زال » يريدُ به اتِّصَالَ تلك الحالة منها ، لأنَّ ما زال لدوام الماضي ، وما يزال
هو مُسْتَقْبَلُ ما زال ، فيصير لامتداد الحال . فإن قيل : أليس زال ضدَّ دام

(١) التبريزي : وهو رجل من الخوارج . وذكره المرزباني في المعجم ٢٥١ ، وقال :
« عدى بن عمرو بن سويد بن زبَان الأعرج الطائي المعنى ، وقيل سويد بن عدى ، وهو مخضرم ،
أدرك الجاهلية والإسلام » وذكره ابن حجر في الإصابة ٣٧١٣ ، ٦٤٠٩ . وأنشده له :

تركتم الشعر واستبدلت منه	إذا داعى صلاة الصبح قاما
كسباب الله ليس له شريك	وودعت المدامة والنسدا
وحرمتم الخمر وقد أراي	بها سدا وإن كانت حراما

(٢) انظر ص ١٩٥ .

فكيف يُفِيدُ وهو اللَّفْنَى معنى الدوام ؟ قُلْتَ لِمَا دَخَلَ مَا النَّافِيَةُ عَلَيْهِ تَغْيِيرُ
معناه إلى الإيجاب ، لَأَنَّ نَفْيَ النَّفْيِ إِجْبَابٌ ، فعاد إلى معنى الدوام . وقوله :
« تَلُومٌ » فى موضع الحال ، أَى تَفَجَّعُ لَأَمَّةً ، وقوله : « وَمَا أَدْرِى عِلَامٌ » ،
يريدُ وما أدري ما يقتضى هذا السؤال .

٢ - تَلُومٌ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ الرَّزْدَ لِقِحَّةً وَمَا تَسْتَوِي وَالْوَرْدَ سَاعَةَ تَفْزَعُ

يقول : تعيبُ عَلَىّ فى إثباتى فرسى الورد بلبن لِقِحَّتِي - وهى الذاقة التى
بها لبَنٌ - وما تَسْتَوِي هِىَ مع الورد ساعة الفزَعِ ووقت الغارة . وقوله
« وَالْوَرْدَ » منصوب على أنه مفعولٌ مَعَهُ . يريد : لا تَسْتَوِي هِىَ مع الورد .
ولو أراد ما تستوى هِىَ وما يستوى الورد لم يكن يجوز إلا الرفع ، والعاملُ فى هذا
المعمول ^(١) لا يعمل بتوسط الواو بينهما . وإذا أردت تجريد الفعل على ما يدلُّ
عليه قوله تستوى ، يكون تقديره إذا أظهرتهُ عاملاً فيه : وما تُساوى الورد . وعلى
هذا قولهم : استوى الماء والخشبة لأن المعنى ساوى الماء الخشبة . فإن قيل :
كيف قال ولا أدري عِلَامٌ نَوْجَعُ ، ثم أتبعه بقوله تَلُومٌ على أَنْ أُعْطِيَ الورد
لِقِحَّةً ، وهل كَذَبَ نفسه ؟ فالجواب أن قوله ما أدري إنكارٌ وتفتيحٌ للشأن ،
والمُتَضَجِّرُ بالشئ يقول ذلك وإن كان عالماً . وروى بعضهم « وَالْوَرْدَ » بالرفع
وكان الأجود أن يقول : وما تستوى هِىَ والود ، لأنَّ عطف الظاهر على المضمر
الرفوع ضعيفٌ حتَّى يُؤَكِّدَ . ويكون المعنى : وما تستوى أمُّ سَهْلٍ وفرسى
فى ذلك الوقت ، لاختلاف غنائهما ، ولأنَّ قِصَارَى تلك المَرْبِ والدَّهْشِ ،
وغناهُ فرسى كونه عُدَّةً للدِّفَاعِ والذَّبِ . والأوَّلُ أجودُ وأفصح وأسلم .

٣ - إِذَا هِىَ قَامَتْ حَاسِرًا مُشْمَعِلَةً نَخِيبَ الْفَوَادِ رَأْسَهَا مَا تُقَنَّعُ ^(٢)

(١) م : « المفعول » . (٢) التبريزى : « رأسها ما يقنّع » ثم أشار إلى الرواية الأخرى .

هذا بيان الحال ساعة الفزع ، وموضع إذا نَضَبَ على أنه بَدَلٌ من ساعة تَفَزَعُ ، ويكون على ذلك قوله « هنالك يجزيني الذي كنت أصنع » من البيت الذي يليه مُنْقَطَعًا ، وإن كان بيان عِلَّةِ إشارته بِاللَّيْنِ وانتفاء المساواة بينه وبين المرأة . والمعنى : ما تُساوِي هذه المرأة الفرس إذا هي قامت بلا قِنَاعٍ ، جَادَّةٌ في العَدُوِّ ، مَنْخُوبَةٌ الْقَابِ ، طَائِرَةُ اللَّبِّ ، لا خِارَ عليها ولا قِنَاعٍ ، لَدَهَشِهَا في احتماؤها ، وَذَهَابِهَا عن عاداتها وإفْقَاهَا . وقوله « مشمعة » أي جَادَّةٌ في العَدُوِّ . وانتصب « رأسها » لأنه مفعولٌ مقدَّمٌ . ويجوز أن يكون « إذا هي قامت » استئناف كلام ، وحينئذٍ يكون جوابُ إذا قوله هنالك يجزيني الذي كنت أصنع .

٤ - وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مُبَسَّرًا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ يقول : وَقُمْتُ إِلَى فَرَسِي فِي تِلْكَ الْحَالِ ، مُهَيَّئًا لِلْجَامِ ، لِلدَّفَاعِ وَالْقِتَالِ . ثم قال : فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ يَجْزِينِي مَا أَعَامِلُهُ بِهِ السَّاعَةَ مِنْ إِشَارِ بَلْبَنٍ ، وَتَضْمِيرِ وَصْنَمَةٍ . وقوله « مُبَسَّرًا » أي مُهَيَّئًا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴾ . هنالك إشارة إلى الوقت ، ويستعمل في المكان . ويقال هناك أيضا فيهما . والعاملُ فيه هاهنا يجزيني .

١١٨

وقال حُجْرُ بن خالد^(١) :

١ - كَلْبِيَّةٌ عَلِقَ الْفَوَادُ بِدِكْرِهَا مَا إِنْ تَزَالَ تَرَى لَهَا أَهْوَالًا

(١) التبريزي : « وقال حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة » . وحجر شاعر جادلي كان معاصراً لعمر بن كلثوم ، وكان أشد شعراً بين يدي النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجراً ، فقال حجر ، أبياتاً يمدح بها النعمان ، رواها الجاحظ في الحيوان (٣ : ٥٨) . وانظر الحماسية ٧١٨ .

يقول : عَلِقَ الفؤادُ بذَكَرِ امرأةٍ كَلْبِيَّةٍ ، لا تزال تُتقاسى من أَجْلِها أحوالاً ، وتتحمَّلُ مَشَقَّاتٍ . قوله « عَلِقَ الفؤادُ بذَكَرِها » يجوز أن يكون أراد عَلِقَ ذَكَرُها بالفؤادَ فَعَلَبَ ، لأن المراد مفهومٌ ، ويكون كقول الآخر :

* عَلِقَ الأحشاءُ من هِنْدٍ عَلَقَ *

وكما يقال عَلِقَ بقلبه عَلاقَتَهُ . ويجوز أن يكون جَعَلَ الفؤادَ تابَعًا لِدَ ذَكَرِ فكاكته تَعَلَّقَ به . وكلُّ شَيْءٍ وَقَعَ مَوقِعُهُ قَبْلَ عَليقٍ مَعَالِقُهُ . وجعل صدر البيت على الإخبار عنها ، ثم نَقَلَ الكلامَ إلى مخاطبةِ نفسه . ويجوز أن يكون استمرَّ في الإخبار عنها ويكون المعنى : عَلِقَها الفؤادُ فلا تزالُ هي تُتقاسى أنت بسببِها أحوالاً . و « إن » من قوله « ما إن » زِيدَتْ لتأكيدِ النفي .

٢ - فَأَقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَالَكَ إِنِّي فِي أَرْضِ فَارِسٍ مُوثِقٌ أَحْوَالاً

أقبل يخاطب المرأة فقال : أَلْزَمِي حَيَاءَكَ ، أَيْ لا تفعلِي ما يُقالُ نِسَى الحياءِ معه وَأَطْرَحَ ، إِنِّي مَحْبُوسٌ فِي أَرْضِ فَارِسٍ سَيْنِفَ لَا أَبَالَكَ . وقوله « لَا أَبَالَكَ » بَعَثَ وَتَحْضِيضَ ، وليس بِنَفْيِ اللَّابُوتَةِ ، وَخَبَرَ لا مَحْذُوفَ ، لأنَّ المعنى لَا أَبَالَكَ ، ودخلت اللام مؤكِّدةً للإضافة ، لأنَّ هذه إضافةٌ لا تُخصَّصُ ، فسأغ تأكيدها باللام ، ولو كانت الإضافة مَخْصُصَةً لكان لا يَعْمَلُ في أَبَالَكَ . وتقدير الخبر : لَا أَبَالَكَ موجود . ويقال : قَنِي بَقْنِي ، وَأَقْنِي : أَمُرُّ مِنْهُ . وقنا يَقْنُو . قال المتلصِّسُ :

* كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطْعٍ مُضِلٍّ ^(١) *

وإِنَّمَا قال إِنِّي مُوثِقٌ ولم يكن قد أُسِرَ وأوثق ، لِعَلِّهِ بما يُؤوَلُ إليه في

مَقْصِدِهِ أَمْرُهُ ، كَأَنَّهُ لَمَّا وَطَنَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِ التَّجَاهِي وَالِاتِّقَاءِ عِلْمٌ أَنَّ أَحْسَنَ الْعَاقِبَتَيْنِ فِيهِ الْأَسْرُ ، فَذَكَرَهُ . وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

* قَدْ يَتِمَّتْ بِنْتِي وَأَمْتُ كُنْتِي *

فهذا وجهه ، ويجوز أن يكون قال هذه الأبيات بعد الأسر .

٣- وَإِذَا هَلَكْتَ فَلَا تُرِيدِي حَاجِزًا غُسًّا وَلَا بَرَمًا وَلَا مِغْزَا لَا

ليس قَصْدُهُ فِي هَذِهِ الْوَصَاةِ إِلَى أَنْ يَنْبَغَتْهَا عَلَى تَخْيِيرِ الرِّجَالِ ، أَوْ يَرْشِدَهَا لَوْجُوهِ الْإِنتِخَابِ ^(١) ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ : اطْلُبِي مِثْلِي . وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَنْظُرُ بِنِ يَمَائِلِهِ أَوْ يِقَارِبِهِ . وَالنَّسَبُ : الضَّعِيفُ . قَالَ :

* فَطَعْنُهُ لَا غَسٍّ وَلَا بِمُغَمَّرٍ ^(٢) *

وَالْبَرَمُ : الَّذِي لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْمَيْسَرِ ، لَضِيقِ صَدْرِهِ وَتَبَرُّمِهِ بِمَا يَلْتَزِمُ فِي مِثْلِهِ . وَالْمِغْزَالُ : الَّذِي لَا يَحْمِلُ السَّلَاحَ ، وَيُنْهَى عَنْ عِزَالِهِ وَرَفْضِهِ إِيَّاهُ . وَالْأَعْزَلُ مِثْلُهُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :

فَإِذَا زَالَ سَرَجٌ مِنْ مَقْعَدٍ وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا
فَلَا تَصِلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينَا
إِذَا شَرِبَ الْمَرْضَةُ قَالَ أَوْكِ عَلَى مَا فِي سِقَائِكَ قَدْ رَوِينَا
٤- وَاسْتَبْدَلِي خَتْنًا لِأَهْلِكَ مِثْلَهُ يُعْطَى الْجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ

يُقَالُ : اعْتَاصِي مَنِّي لِأَهْلِكَ خَتْنًا مِثْلَ ذَلِكَ الْخَتَنِ ، يُعْطَى عَطَاءٌ جَزَلًا ، وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ بَطَلًا فَبَطْلًا . وَمِثْلُهُ يَرْتَفِعُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَمَا بَعْدَهُ فِي مَوْضِعِ الْخَبْرِ لَهُ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلْخَتَنِ ، وَلَا يَجُوزُ نَصْبُ « مِثْلُهُ » .

(١) م : « الْإِنتِخَابِ » .

(٢) لَزْهَيْرِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فِي اللِّسَانِ (غَسَسَ) . وَصَدْرُهُ :

* فَلَمْ أَرْقَهُ إِنْ يَنْجِ مِنْهَا وَإِنْ يَمِتْ *

٥- غَيْرَ الْجَدِيرِ بَأَنْ تَكُونَ لَقُوحُهُ رَبًّا عَلَيْهِ وَلَا الْفَصِيلُ عِيَالًا

هذا أيضاً من صِفَةِ الْخَنَنِ . يقول : لَا يَكُونُ خَلِيقًا بَأَنْ يَكُونَ مَمْلُوكًا لِلْمَالِ^(١)
لَا مَالَكًا ، وَيَحُلُّ الْفَصِيلُ مِنْهُ تَحَلُّ الْعِيَالِ لَا تَحَلُّ الْمَالِ . وهذا كما قال الآخرُ :

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبَنِي بَرَبٌ وَلَا لَحِمِي عَلَى وَلَا سِلَاسِي^(٢)

وَاللَّقُوحُ صِفَةٌ ، يقال نَاقَةُ لَقُوحٍ إِذَا كَانَ بِهَا لَبَنٌ ، وَجَمْعُهُ لَقُوحٌ قَالَ
الْخَلِيلُ : فَإِذَا أَرَادُوا اسْتِعْمَالَهَا عَلَى حَدِّ الْأَسْمَاءِ قَالُوا لِقَحَّةٌ ، يقال : هَذِهِ لِقَحَّةُ
فُلَانٍ ، لِلنَّاقَةِ الْحَلُوبِ - وَلَا يُقَالُ نَاقَةُ لِقَحَّةٍ - وَالْجَمْعُ لِقَاحٌ .

١١٩

وقال ابن رُمَيْضٍ الْعَنْبَرِيُّ^(٣) :

١- بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ

٢- بَاتَ يُقَاسِمُهَا غُلَامٌ كَأَنَّ لَمْ

يقول : مَكَثَ النَّاسُ نَائِمِينَ فِي لَيْلِهِمْ ، وَهَذَا الرَّجُلُ لَمْ يَنَمْ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَبْتَغِي
لِلْغَارَةِ ، ثُمَّ قَالَ « بَاتَ يُقَاسِمُهَا » ، أَيْ يُعَانِي الْغَارَةَ كَيْفَ يُوقِعُهَا وَيُدَبِّرُهَا مَتَى

(١) في الأصل : « بماله » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) سبق البيت في ص ٢٤٠ .

(٣) هو رشيد بن رميض ، بهيئة التصغير فبهما . في الأصل : « ربيض » ، تحريف صوابه
في م والعنبري ، وكذا وقع في نسختي المروزقي ، والصواب « العنزي » ، نسبة إلى بني عنز
ابن وائل ، أو بني عنزة . انظر تاج العروس (٥ : ٣٧) ، والأرجح أنه من بني عنزة . انظر
أمالى القالى (٢ : ١٢٦) وتحقيق اسمه في حواشي الحيوان (٥ : ٤٣٤) . وسقط اللكالي ٧٢٩ .
وقال التبريزي : قال أبو رياش : هذه قالها في غارة الحطم ، وهو شريح بن شرحبيل بن عمرو
ابن مرثد ، أغار على اليمن فقتل وليعة بن معديكرب ، أخا قيس ، وسبى بنت قيس بن معديكرب
أخت الأشعث بن قيس ، فبعث الأشعث يعرض في فداها بكل قرن من قرونها مائة من الإبل ،
فلم يفعل الحطم ، وماتت عنده عطشاً .

يَأْخُذُ فِيهَا ، غُلَامٌ مُدْمَجٌ اِخْلَاقٍ خَفِيفٌ تَقَفُّ مُشْمَرٌ ، كَأَنَّهُ قَدْ خُ . يَعْنِي ابْنُ هِنْدٍ .
وَالزَّلَمُ بِفَتْحِ الزَّاءِ وَضَمِّهَا : الْقِدْحُ كَانَ يُسْتَقْسَمُ بِهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقْ ﴾ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُضْمِرِينَ فِي بَاتُوا
لِلْمَعَارُ عَلَيْهِمْ .

٣ - خَدَلَجُ السَّاقَيْنِ خَفَاقُ الْقَدَمِ

٤ - قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ

يَصِفُهُ بِأَنَّهُ غَلِيظُ السَّاقَيْنِ ، وَلَوْ طِئَهُ الْأَرْضَ صَوْتُ ، وَلَقَدَّمَهُ خَفَقٌ ، وَهُوَ
سُرْعَةُ الْخَطْوِ . مَعَ ضَرْبِ الْأَرْضِ بِهَا ، كَأَنَّهُ يَشِيرُ بِهَذَا إِلَى ثَبَاتِهِ وَقُوَّتِهِ فِي الْعَمَلِ
وَالسَّيْرِ ، وَشِدَّةِ بَلَاءِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى الْكَدِّ . وَقَوْلُهُ « قَدْ لَفَّهَا » يَرِيدُ الْإِبِلَ .
وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلَّيْلِ عَلَى الْحِجَازِ . وَالْمَعْنَى : جَمَعَهَا بِرَجُلٍ مُتَنَاهَى الْقُوَّةِ ، عَنِيفِ
السَّوْقِ ، يَكْسِرُ الطَّرَائِدَ بَعْضًا ^(١) عَلَى بَعْضٍ ، لِقَلَّةِ رِفْقِهِ وَكَثْرَةِ عَسْفِهِ ، وَلِأَنَّهُ
قَلِيلُ الْفِكْرِ فِيهَا إِذْ كَانَتْ حُصِّلَتْ بِالْغَارَةِ ، فَإِنْ سَلِمَتْ فَهِيَ غَنَمٌ ، وَإِنْ تَلِفَتْ
فَلَيْسَتْ بِغُرْمٍ ، فَالْعَوَضُ مِنْهَا بِالْقُرْبِ . وَقَوْلُهُ « حُطَمَ » بِنَاءٌ لِلْمَبَالِغَةِ ، وَهُوَ مِنْ
الْحُطْمِ الْكَسْرِ .

٥ - لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

٦ - وَلَا بِحِزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الْوَضَمِ

يَقُولُ : لَا يَرْفُقُ هَذَا الرَّجُلُ بَوَسَائِقِهِ رِفْقَ الرُّعَاةِ ، وَلَا رِفْقَ الْجِزَّارِ ،
وَذَلِكَ أَنَّ الرَّاعِيَ مُكْتَرَى لِاسْتِصْلَاحِ مَرْعِيهِ ، وَحَفِظَ مَا ضُمَّ إِلَيْهِ بِجَهْدِهِ ،
وَالجِزَّارُ لَا يَسْتَهْلِكُ مَالَهُ وَلَا يَغْنُفُ عُنْفَ مَنْ لَا يُبَالِي بِهِ . وَهَذَا صِفَةُ الْمَغْوَارِ

القليل النِّكْر في فساد ما يَحْوِيهِ منها ، الذَّاهِب عن استبقائها ، لا يبالي كيف استوسقت ، وعلى أيِّ حَالَةٍ تَحَصَّلَتْ .

١٢٠

وقال جَعْفَرُ بنُ عَلْبَةَ الحارثي^(١) :

١ - ألا لا أبالي بَعْدَ يَوْمِي بِسَحْبَلٍ إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا^(٢)

يقول : اِسْتَفَيْتُ من أعدائي يَوْمَ سَحْبَلٍ - وهو اسم وادٍ - وأدركتُ آثارِي^(٣) عندهم فلا أبالي بِدُنُوِّ مَوْتِي بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يُعَذَّبْنِي اللهُ تَعَالَى تَبَارَكَ اسْمُهُ ، إِذْ كُنْتُ نِلْتُ أُمْنِيَّتِي ، وَقَضَيْتُ مَأْرَبَتِي . والذي تَعَاوَلَهُ قَوْلُهُ « لا أبالي » هو أن يجيء حِمَامِيَا . ويقال لا أبالي كذا ولا أبالي بكذا . وَإِذَا لَمْ أُعَذَّبْ ظَرَفُ لِلْأُبَالِي ، أَيْ لا أبالي بالموت إِذَا سَلِمْتُ من عذاب الله عزَّ وجلَّ . وإِنَّمَا أَتَى بِإِذَا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . وقد مَضَى الْقَوْلُ فِي أُبَالِي وَأَصْلُهُ وَمَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ فِي الِاسْتِعْمَالِ ، وَأَنَّ قَوْلَهُمْ لا أَبَالِيهِ بِاللَّهِ أَصْلُهُ عِنْدَ سِبْيُوهِه بِالْيَةِ فَخُفِفَ . وقد ذهب غيره إلى أنها مقلوبة ، ويقول في بالةٍ إنها فَعْلَةٌ ، وَإِنْ أَلْفَهَا مُنْقَلِبَةً عَنْ وَاوٍ ، وَأَنْ أُبَالِي كَانَ أَبُولِ أَيْ لا أَكْثَرُ ، ثُمَّ وُضِعَ مَوْضِعَ لا أَحْفَلُ وَلَا أَكْثَرُ . وللترجيح والنظر في المسألة موضعٌ غير هذا .

٢ - تَرَكْتُ بِجَنَّتِي سَحْبَلٍ وَتِلَاعِهِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

أَخَذَ يَقْتَصِّ مَا هُوَ عَلَى اللُّوْتِ مِنْ فَعْلِهِ ، فيقول : تَرَكْتُ بِجَانِبِي هَذَا الْوَادِي

(١) سبقت له الحماسية الرابعة . التبريزي : « وقال جعفر بن علي الحارثي حين لقي بني عقيل » .

(٢) التبريزي : « يوم بسجل » .

(٣) الآثار : جمع ثار بالقلب ، ومثله الآثار .

ومسائل مياهه مَصُوبَ دَمٍ ، يلزم ذلك المكان على مرور الأيام فلا يبرح . وقوله « ثَاوِيَا » مِنْ ثَوَى بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ . يُقَالُ ثَوَى وَأَثَوَى جَمِيعًا . وقوله « مُرَاقَ دَمٍ » يجوز أَنْ يَرِيدَ مَوْضِعًا أَرِيقَ بِهِ دَمٌ ، كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ دَمًا مُرَاقًا ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أَرِيدَ بِهِ الْمَوْضِعُ يَكُونُ لَا يَبْرَحُ مِنْ صِفَةِ الدَّمِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ رَجُلًا أَرِيقَ دَمَهُ وَيَكُونُ كَقَوْلِكَ هُوَ حَسَنُ وَجْهِ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ لِلْمُرَادِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَزَالُ ذَكَرُهُ بَاقِيًا عَلَى الدَّهْرِ فَخَذَفَ الْمُضَافُ . وَالتَّلَاعُ : جَمْعُ تَلْعَةٍ ، وَهِيَ أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ يَتَرَدَّدُ فِيهَا السَّيْلُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي . وَمِنْ الِاسْتِعَارَةِ الْحَسَنَةِ : فَلَنْ لَا يُوثِقُ بِسَيْلٍ تَلْعَتِهِ ، إِذَا كَانَ غَيْرَ صَدُوقٍ فِي أَخْبَارِهِ .

٣ - إِذَا مَا أَتَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَأَنْتَنِي لَهْنٌ وَخَبْرُهُنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

هَذَا كَلَامُ رَجُلٍ يُوَسِّسُ أُحِبَّتُهُ مِنْ نَفْسِهِ لِاسْتِقْتَالِهِ ، أَوْ لِأَنَّهُ مُنِي بِمَا لَمْ يَرْجُ اخْتِلَاصَ مِنْهُ . فَقَالَ : إِذَا زُرْتِ نِسَاءَ بَنِي حَارِثَةَ فَأَذْكُرْ مَوْتِي لَهْنٌ ، وَأَعْلَمُهُنَّ أَنَّهُ لَا التَّقَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ . فَقَوْلُهُ « أَنْ لَا تَلَاقِيَا » أَنْ مَخْفَفَةٌ مِنْ أَنْ الثَّقِيلَةَ ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ ، وَتَلَاقِيَا نَصَبٌ بِلا وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ ، الْمُرَادُ لَا تَلَاقِي لَنَا ، وَالْهَاءُ فِي أَنَّهُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْأَمْرِ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ أَنْ . وَهَذَا الْبَيْتُ مَعَ مَا بَعْدَهُ لِمَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ^(١) فِيمَا أَظُنُّ ، وَانْضَمَّ إِلَى آيَاتِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيَّةَ عَلَى سَبِيلِ الْغُلَطِ .

٤ - وَقَوِّدْ قَلُوصِي فِي الرَّكَّابِ فَإِنَّهَا سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا

يَقُولُ : وَأَكْثَرُ قَوْدٍ نَاقَتِي حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ يَشْتُمُونَ إِذَا اسْتَدْلَوْا بِهَا وَيَضْحَكُونَ سَرُورًا ، وَالْأَصْدِقَاءُ ذَوَاتُ الشَّقَّةِ يَغْنَمُونَ فَيَبْكُونَ تَوَجُّعًا^(٢) . وَهَذَا الْكَلَامُ تَحْزُنٌ وَتَحْشُرٌ . وَقَوْلُهُ « سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي

(١) انظر الخزائن (١ : ٣١٧ - ٣١٩) . (٢) كذا في النسختين .

بواكيا» من باب وصف الشيء بما يؤول إليه ، ومثله قولهم : خرجت جوارجه . وقول الفرزدق :

* قَتَلْتُ قَتِيلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ *

والقائوس ، قال الخليل : هي الناقة الباقية على السير ، لا تزال قلوصًا حتى تبزل^(١) . وإنما سُميت قلوصًا لطول قوائمها ولم تجسّمْ بعدُ .

١٢١

وقال آخر^(٢) :

١ — لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرَكَبٍ

خَيْرٌ « لَعَمْرِي » مُضْمَرٌ ولا يجوز إظهاره ، وهو قَسَمٌ ، ولا يجوز أيضًا فيه إلا فتح العين ، وَلَرَهْطُ جوابه . وَالرَّهْطُ يقع على ما دون العشرة ، ولهذا دَخَلَ عليه من الأسماء أسماء الآحاد ف قيل ثلاثة رَهْطٍ . ومثله نَفَرٌ ، ولو كان يقع على الكثير لما جاز لك فيه ألا ترى أنك لا تقول ثلاث إبلٍ . وانتصاب « بَقِيَّةً » على التمييز ، وموضع « وَإِنْ عَالَوْا بِهِ » نَصْبٌ على الحال للرهط ، وجواب الشرط فيما دلَّ عليه قوله « خَيْرٌ بَقِيَّةً » . وقوله « كُلَّ مَرَكَبٍ » يريد به كلَّ مَرَكَبٍ مذمومٍ . وعَالَيْتُ بفلان بمعنى أعلَيْتُهُ . ومعنى البيت : وَبَقَائِي ، لَعِتْرَةُ الرَّجُلِ أحسن إبقاء عليه ، وأَكْثَرُ حُشْمَةٍ له ، وَإِنْ أَرَكْبُوهُ مراكب صَغْبَةٍ مكروهة ، وَأَزْلَوْهُ منازلَ حَزَنَةٍ مذمومة .

٢ — مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَاغَنِي جَزِيلٍ وَلَمْ يَخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرَّبٍ

تعلق « من » بقوله خَيْرٌ بَقِيَّةً ، لَأَنَّ معناه أَفْعَلُ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ . يقول : هُمُ

(١) البازل : التي استكلت الثامنة وطعنت في التاسعة .

(٢) هو خالد بن فضلة ، كما في الحيوان (٣ : ١٠٣) والبيان (٣ : ٢٥٠) .

أَحْسَنُ إِبْقَاءٍ عَلَيْهِ مِنَ الْغَرِيبِ الْأَبْعَدِ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مُحْتَشِمًا فِي نَفْسِهِ غَنِيًّا ،
وَمُعْطًى مَهْمِيًّا . وَقَوْلُهُ « وَإِنْ كَانَ ذَا غَنًى » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا . وَالْجَانِبُ يَرَادُ
بِهِ الْجَنْسُ لَا وَاحِدٌ بَعْضُهُ . وَقَوْلُهُ « وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرَّبٍ » يَجْرَى مَجْرَى (١)
الِاتِّفَاتِ ، وَهُوَ تَوْكِيدٌ لِلْخَبَرِ الَّذِي أوردَهُ ، وَتَحْقِيقٌ لِمَا أَنْبَأَ بِهِ وَشَرَحَهُ ، وَأَنَّ
مَا قَالَهُ قَالَهُ عَنْ تَجَرُّبَةٍ وَخَبْرَةٍ ، لَا عَنْ سَمَاعٍ وَخَبَرٍ .

٣- إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمْ فَكُلْ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيْبٍ

هَذَا الْكَلَامُ تَحْذِيرٌ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالْأَجَانِبِ ، وَالِاسْتِفَامَةِ إِلَى نَاحِيَتِهِمْ ،
وَبَعَثٌ عَلَى طَلَبِ مَوَافَقَتِهِمْ وَتَرْكِ اخْتِلَافِ عَلَيْهِمْ ، بَعْدَ الْحَصُولِ فِيهِمْ ، وَأَنَّ
اسْتِعْمَالَ الْإِدْلَالِ مَعَهُمْ ، وَالْأَخْذَ بِالْمُضَاقِقَةِ فِي إِيفَائِهِمْ وَالِاسْتِيفَاءِ مِنْهُمْ غَيْرُ وَاجِبٍ .
وَيُرْوَى : « فِي قَوْمٍ عِدَى لَسْتُ مِنْهُمْ » وَيَكُونُ مَعْنَى لَسْتُ مِنْهُمْ : وَأَنْتَ
لَا تَهْوَى هَوَاهُمْ . وَالْعِدَى يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، يَقَالُ رَجُلٌ عِدَى ، وَقَوْمٌ
عِدَى ، أَيْ بُعْدُ غَرَاءٍ . وَقَوْلُهُ « كُلُّ مَا عُلِفَتْ » مَثَلٌ . وَمِثْلُهُ .

* وَلَا تَطْعَمَنْ مَا يَعْلِفُونَكَ *

وَكَانَ الْعُلْفَ نَخْتَصُّ بِهَذَا الْمَعْنَى ؛ فَإِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي غَيْرِهِ .

١٢٢

وَقَالَ الْبُرْجُ بْنُ مُسْهَرٍ (٢) :

١- فَتَنَّمِ الْحَيَّ كَلْبٌ غَيْرُ أَنَا رَأَيْنَا فِي جَوَارِهِمِ هَنَاتٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِثْلُ » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي مِ وَالْتَبَرِي زِي .

(٢) هُوَ الْبُرْجُ بْنُ مُسْهَرِ بْنِ جَلَّاسٍ ، أَحَدُ بَنِي جَدِيدَةَ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي طَرِيفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَمَامَةَ
بَنِي مَالِكِ بْنِ جَدْعَاءِ بْنِ ذَهْلِ بْنِ رُومَانَ . وَهُوَ مِنْ مَعْمَرِ الْبَاهِلِيَّةِ . وَكَانَ قَدْ جَاوَرَ كَلْبًا أَيَّامَ
حَرْبِ الْفَسَادِ فَلَمْ يَحْمَدْهُمْ . الْمُؤْتَلَفُ ٦١ وَشَرَحَ التَّبَرِيزِيُّ عَلَى الْحَمَاسَةِ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ . وَلِنَظَرِ
لِحَرْبِ الْفَسَادِ شَرَحَ التَّبَرِيزِيُّ وَالْأَغَانِي (١١ : ١٢٧) وَالْمِيدَانِي (٢ : ٣٥٨) .

هذا الكلام تهكمٌ وسخريةٌ . وجاز أن يأتي به بلفظ المدح لأنه بما بعدهُ
تبيينَ الفرض ؛ فيكون أبلغ في الهزم . والهنات : الأمور المنكرة ، ولا تستعمل
إلا في الشر^(١) ، وهي جمعُ هنةٍ ، وإنما يُكنى بها عن المحقرات ، كأنه يرى
الإبقاء والمجاملة ، ويجرى الأمر على المدحاة وترك الجاهرة . وقد يُجمعُ هنةٌ
على هنواتٍ ، فن ردّ اللام في الجمع ردّه في النسبة أيضاً ، ومن لم يرده فهو في
النسبة بالخيار ، إن شاء قال هنيٌّ وإن شاء قال هنويٌّ . فيقول : قبيلة كلبٍ
محمودة في الأحياء ، غير أننا مُنينا في جوارهم بدواهم وبلينا بمنكراتٍ . والاستثناء
في هذا المكان يكون منقطعاً . وكان فارق قومه طيناً مُراعياً وجاور كلباً فلم
يُحمد جوارهم فقارهم ذاماً لهم .

٢ - ونعم الحى كلبٌ غير أنا رزينا من بنين ومن بنات

يريد مثل ما أراد في البيت الأول من السخرية . ومعنى رزينا : أصبنا
بنين وبنات . ويقال فلانٌ مرزاً في ماله فيكون مدحاً ، وفلانٌ مرزاً في أهله
فيكون ترشحاً وتوجعاً . ومثل هذا التهكم قول الآخر^(٢) :

فدئى لِسَلَمَى ثَوْبَاى إِذْ دَسَّ ال قَوْمُ وَإِذْ يَدُسُّونَ مَا دَسُّوا

فالتفدية هاهنا كالمَدح بنعم ثم . وقوله « من بنين » من دَخَلَ للتفضيل ،
كأنه قال : رزينا أناساً من بنين ومن بنات ، ومفعول رزينا محذوف ، ويموز
أن يكون ذاد من في الواجب على ما أجازهُ الأخفش وحكاه عنهم من قولهم :
« قد كان من مطرٍ نفلٌ عني^(٣) » ، فيكون المراد رزينا بنين وبنات .

(١) ذكر التبريزي أن بعض المحدثين ، قد استعملها في الخير ، وهو قوله :

وعشرة محمودة تحتها مساعدات وهنات عذاب

(٢) هو الجمع الأسدي . الفضليات (١ : ٤٠) .

(٣) كذا في م . وفي الأصل : « على ما أجاره الأخفش وحكاه عنه كان من مطر » ،

وفيه تحريف ونقص .

٣- فَإِنَّ الْغَدْرَ قَدْ أَمْسَى وَأَضْحَى مُقِمًّا بَيْنَ خَبْتٍ إِلَى الْمَسَاتِ^(١)

يقول زارياً عليهم ومبيناً : إِنَّهُ نَالَهُمْ مَا نَالَهُمْ لِأَنَّ الْغَدْرَ مُقِمٌّ فِيمَا بَيْنَ دِيَارِهِمْ ، وَمِمَّا انْطَوَى عَلَيْهِ أَحْشَاؤُهُمْ : وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ أَمْسَى وَأَضْحَى بَيَانُ اتِّصَالِ الْوَقْتِ . وَقَوْلُهُ « فَإِنَّ الْغَدْرَ » الْفَاءُ رَبَطَ الْجُمْلَةَ الَّتِي بَعْدَهَا بِمَا تَقَدَّمَ وَرَتَّبَهَا عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : قَاسَوْا مَا قَاسَوْهُ فِي جَوَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ غَادَرُونَ . وَخَبْتُ^(٢) وَالْمَسَاتُ : مَاءٌ أَيْ لِكَلْبٍ . يَقُولُ : الْغَدْرُ مُقِمٌّ فِي كَلْبٍ بَيْنَ هَذَيْنِ ، أَيْ فِي أَوَّلِ دِيَارِهِمْ وَآخِرِهَا .

٤- تَرَكَنَا قَوْمَنَا مِنْ حَرْبٍ عَائِمٍ أَلَا يَا قَوْمَ الْأُمْرِ الشَّتَاتِ

هذا الكلام اقتصاصٌ لحالِهِ ، وإظهارٌ للتأشُّفِ عَلَى مجَاوَرَةِ كَلْبٍ ، وَالتَّنَدُّمِ عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ مَفَارِقَةِ الْعَشِيرَةِ : وَقَوْلُهُ « يَا قَوْمَ الْأُمْرِ الشَّتَاتِ » تَعْجُّبٌ . وَالشَّتَاتُ : مَصْدَرٌ وَصِفَ بِهِ . وَاللَّامُ فِي الْأُمْرِ لَامُ الْإِضَافَةِ ، لَكِنْ فَائِدَتُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّعَجُّبِ ، وَأُتِيَ بِهِ مَعَ الْمَدْعُوِّ . وَقَدْ يُقَالُ يَا لَزَيْدٍ فَيَكُونُ الْمُنَادَى مَحذُوفًا . وَهَذِهِ اللَّامُ تَدْخُلُ مَفْتُوحَةً فِي الْمُنَادَى وَيُرَادُ بِهِ الْاعْتِرَاءُ^(٣) ، كَقَوْلِكَ يَا لَبَكْرٍ وَيَا لَتَمِيمٍ . فَيَقُولُ : انْتَقَلْنَا عَنْ قَوْمِنَا وَفَارَقْنَاهُمْ مُنْذُ زَمَنِ الْحَرْبِ الَّتِي اتَّفَقْتَ بَيْنَنَا عَامًا أَوَّلَ . ثُمَّ أَخَذَ يَسْتَعْظَمُهُمْ ، وَيَتَذَمُّ مِنْ مَرَاغِمَتِهِمْ ، وَيُظْهِرُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : يَا قَوْمَ أَقْبِلُوا لِمَا تَشَتَّتَ مِنْ أَمْرِنَا ، وَاخْتَلَّ مِنْ حَالِنَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ حَرْبٍ عَائِمٍ » جَعَلَ مِنْ بَدَلٍ مُنْذُ ، لِأَنَّهُ فِي الْمَكَانِ مِثْلُهُ فِي الزَّمَانِ ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

(١) المسات ، كذا ضبط في النسختين بفتح الميم ، وضبطه ياقوت بضمها .

(٢) الاعتراء : الادعاء والانتفاء في الحرب ، ومثله التعزى . وفي الحديث : « من لم

يتعز بعماء الله فليس منا . أى من لم يدع بدعوى الإسلام فيقول يا الله أو يا للإسلام أو يا للمسلمين » .

* أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ ^(١) *

٥- وَأَخْرَجْنَا الْأَيَّامِيَّ مِنْ حُصُونٍ بِهَا دَارُ الْإِقَامَةِ وَالثِّبَاتِ

يقول: أَخْرَجْنَا النِّسَاءَ اللَّاتِي صِرْنَ أَيَّامِيَّ مِنْ مَقَرِّ عَزَّهِنَّ، وَدَارِ أَمْنِهِنَّ، إِلَى جِوَارِ كَلْبٍ، حَتَّى اتَّفَقَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَا اتَّفَقَ، وَمِنْ حُلُولِ الرِّزَايَا وَمُقَاسَاةِ الْهَنَاتِ بِهِنَّ مَا أَقْلَقْتُ. وَوَصَفَ النِّسَاءَ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَسْرُهُنَّ مِنَ الْإِيْمَةِ، وَإِنْ كُنَّ وَقْتُ الْإِخْرَاجِ ذَوَاتِ بُعُولٍ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ ^(٢):

* سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا ^(٣) *

وفى القرآن: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعِصْرُ خَمْرًا﴾. وَأَيَّامِيَّ: جَمْعُ أَيَّامٍ، وَيُقَعُّ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ. وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَمَّ، أَيْ بَقِيَ بِلَا زَوْجٍ. وَهُوَ مِنَ الْفِعْلِ قِيْعِلٌ، وَجَمْعُهُ أَيَّامٍ عَلَى فِيعَالٍ. وَأَيَّامِيَّ مَقْلُوبٌ كَأَنَّهُ قُدِّمَ اللَّامُ عَلَى الْعَيْنِ فَصَارَ أَيَّامِيَّ عَلَى فِيعَالٍ، ثُمَّ فَرَّوْا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ، فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا.

٦- فَإِنْ نَزَجِعْ إِلَى الْجَبَلَيْنِ يَوْمًا نَصَالِحِ قَوْمَنَا حَتَّى الْمَمَاتِ

هذا إِظْهَارُ رَغْبَةٍ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْعَشِيرَةِ، وَمَعَاوِدَةِ الْوَطَنِ وَالْمَحَلَّةِ. يَقُولُ: إِنْ اتَّفَقَ لَنَا عَوْدَةٌ إِلَى بِلَادِنَا تَرَكْنَا الْخِلَافَ عَلَى ذَوِينَا، وَأَقْبْنَا بِهَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَجْلِ، وَاسْتِنْفَادِ الْمَهْلِ. وَيَعْنِي بِالْجَبَلَيْنِ أَجَا وَسَلَمَى: جَبَلِيَّ طَبِيَّ ^(٤). وَقَوْلُهُ «حَتَّى الْمَمَاتِ» أَرَادَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. وَالْمَمَاتُ يَكُونُ مُصْدَرًا، وَإِنْ جَعَلْتَهُ اسْمًا لِلْحَيْنِ فَلَا حَذْفَ.

(١) صدره كما في الديوان ٨٦ طبع دار الكتب :

* لمن الديار بقنة الحجر *

(٢) هو مالك بن الربيع . الأمالى (٣ : ١٣٨) والخزانة (١ : ٣١٩) . وانظر

الأغاني (١١ : ١٤٢) .

(٣) صدره : * وعطل قلوصى في الركاب فإنها *

(٤) وكان أجبا لبنى ثعل ، وسلمى لبنى نهان .

١٢٣:

وقال موسى بن جابر^(١) :

١ - لا أَشْتَهِي يا قَوْمَ إِلَّا كَارِهَاً بَابَ الْأَمِيرِ وَلَا دِفَاعَ الْحَاجِبِ

يصفُ بهذا الكلام مَيْلَهُ إلى البدو ، وتفضيلَهُ رِجَالَهُ على رِجَالِ الحَضَرِ ،
 فيقول : لا أَتَمَنَّى ورودَ بابِ الأُمراءِ ، ومُدافعةَ الحُجَّابِ ، ولا أعلِّقُ شَهوتي بهما
 إلا على كَرِهٍ وعن دَاعِيَةٍ عَارِضَةٍ ؛ إذ كُنْتُ أَلِفْتُ الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي ،
 وصاحِبَتِ بهما مَنْ لا تَمْلِكُنِي معه حِشْمَةٌ ، ولا يَصُدُّنِي دُونُهُ عِزَّةٌ . وانتَصَبَ
 « كَارِهَاً » على الحال .

٢ - وَمِنَ الرَّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ وَمُزَنَّدُونَ شُهُودُهُمْ كَالْغَائِبِ

يقولُ : مِنَ الرِّجَالِ رِجَالٌ كَالْأَسِنَّةِ الْمَطْرُورَةِ ، أَيْ بِمَضُونٍ فِي الْأُمُورِ
 وَيُفْصِلُونَهَا نِفَادَ الْأَسِنَّةِ ؛ وَمِنْهُمْ مُزَنَّدُونَ . وَالْمُزَنَّدُ : الْمُبْخَلُّ الْمَقْلَلُ . وَقِيلَ الزَّيْنَدُ
 ضَرْبٌ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْقِلَّةِ . يَقَالُ : « زَنْدَانٍ فِي مَرْقَعَةٍ ^(٢) » ، ثُمَّ قِيلَ هُوَ مُزَنَّدٌ مُشْتَقًّا
 مِنْهُ . وَقَوْلُهُ « شُهُودُهُمْ كَالْغَائِبِ » أَيْ لَا غَنَاءَ عِنْدَهُمْ ، وَلَا دِفَاعَ بِهِمْ ، فَخُضُورُهُمْ
 كَغَيْبَتِهِمْ . وَأَرَادَ بِالْغَائِبِ الْكَثْرَةَ لَا التَّوْحِيدَ . وَكَانَ مِنْ حَقِّ التَّقْسِيمِ أَنْ يَقُولَ :

(١) هو موسى بن جابر بن أرقم بن مسلمة بن عبيد الحنفى البيمى ، شاعر نصراني جاهلي
 كثير الشعر ، فيما ذكر الآمدي والمرزباني ، وكان يلقب أزريق البمامة ، ويعرف بابن ليلى وهى
 أمه . وكان يقال له أيضاً : ابن الفريعة ، كما يقال لحسان بن ثابت . وقال أبو العلاء فيما نقله
 عنه التبريزي : « موسى منقول من العبرانية ، ولم أعلم أن في العرب من سمي موسى زمان
 الجاهلية ، وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على
 سبيل التبرك » . وقول أبي العلاء هذا معترض بما ذكره المرزباني في معجمه ٣٧٦ . وانظر
 المؤلف ١٦٥ .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٨٠ .

ومنها مَزْنَدُون ، لكنه اِكتفى بِمِنِ الْأَوَّل . ومثله قول الله تعالى : ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ . وسمعتُ أبا عليٍّ الفارسيَّ رحمه الله يقول : كُلُّ صِفَتَيْنِ تَتَفَافَيَانِ وتندافمان فلا يصحُّ اجتماعهما لموصوفٍ لا بُدَّ لِإِضْمَارٍ مِنْ مَعَهُمَا إِذَا فَصِّلَ جُمْلَةً بهما ، متى لم يجيء ظاهراً ، ثم أنشد :

وما زودوني غيرَ سَحْقٍ عَبَاءَةٍ وَخَمْسِ مِئَةٍ مِنْهَا قَسِيٌّ وَزَائِفٌ^(١)

وقال : يريد ومنها زائف . وهذا كما تقولُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو ، والمعنى وعمرُو منطلق ، فحذف اِكتفاءً بالخبر عن الأول ، وعلماً بأنَّ النعْطَ ذلك حاله . قال : فإنَّ أَمَكْنَ اجتماعُ الصِّفَتَيْنِ لموصوفٍ واحدٍ استغنى عن إضمار من ، ذلك كقولك صاحبك منهما ظريفٌ وكريمٌ .

٣ - مِنْهُمْ لِيُوثَّ لَا تُرَامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشَتْ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

يقول : من الرجال رجالٌ كالأسود عِزَّةً وَأَنْفَةً ، لا يُطْلَبُ اقْتِسَارُهُم واحتضامُهُم ، ومنهم متقاربون كالقماش واللفائف ، يُجْمَعُوا على ما اتَّفَقَ من شيء إلى شيء . كأنَّهُ لم يُقْنِعْهُ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وتلك القسمة ، فاستأنفهما على وجهٍ آخر . وقوله « وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشَتْ » ينوب فيه ذكر البعض عن قوله « وَمِنْهُمْ » ، لأنَّ مِنْ للتبعية فاستغنى به . وقوله « وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ » كقول الآخر : * وَكَلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمِ^(٢) *

قال الأصمعي : لأنَّ بَيْتَ الْأَدَمِ يجمع الجيِّد والردى ، على تقارب بينهما ، ففيه من كلِّ جِلْدٍ رُقْعَةٌ . وكذلك الحاطب يجمعُ في حبله^(٣) الجيِّد والردى .

(١) البيت لمزرد ، كما في اللسان (سحق ، قسا ، ملى) .

(٢) قبله في اللسان (آدم) :

* الناس أضياف وشقى في الشيم *

(٣) في الأصل : « صدره » ، صوابه في م والتبريزي .

والرطب واليابس ، على تدانٍ بينهما . فإن قيل : وما الفائدة في إعادة التقسيم والتشبيه ؟ فالجواب أن يقال : كأنه صنفهم ^(١) في الأولى من حيث اختلفوا عنده في الأعمال والأخلاق ، وعلى توهم تباعدٍ بينهم ، بدلالة قوله من الرجال أَسِنَّةٌ ومنهم مزندون لا يُمتدُّ بحضورهم . وبين الصفتين تفاوتٌ عظيم ، وتباينٌ شديدٌ . وصنّفهم في الأخرى من حيث اختلفوا فيها على توهم تقاربٍ بينهم ؛ لأن فيمن يُقَمَّشُ من لا يَبَيِّنُ المَبَايِنَةَ الفاحشة ، ولا يُخَالِفُ المخالفةَ المنكرة .

١٢٤

وقال آخر :

١ - أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأْيُهَا مَكَانَكَ لَمَّا تَشَفَّقِي حِينَ مُشَفَّقِي

يقال : خَوَّدَ رَأْيُهُ ، المذعور المرتاع : والرَّأْلُ . فَرَحَ النَّعَامِ . وهذا مَثَلٌ .
والتخويد : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ . والتخويد والوَخْدُ والخَذْيُ متقاربَةٌ
المنعنى ، في أنها تفيد ضروراً من المشى ، وَيُوصَفُ بِجميعها للنعام . ويقال في هذا
المنعنى « زَفَّ رَأْيُهُ » ، لأن الزفيف ضربٌ من العدو سريعٌ أيضاً . وفي هذه
الطريقة قولهم « طار طائرُهُ » . ويقولون : « هو أنقرَ من نَعَامٍ » ، و« أشردُ
من ظَلِيمٍ » . ومعنى البيت : إني أثبتتُ نفسي عند ما يبدؤه من دُعْرِ الحرب ،
ويفجأ من روعة القتال ، فأخاطب نفسي إذا همت بالاحجام ، أو وسوس إليها
وجوب الانهزام : ألزمني مكانك لم تُدعري وقت دُعْرِ . وقوله « مكانك »
أَمْرٌ ، وهو موضوعٌ موضع الفعل الذى عمل فيه ، ومكتفى ^(٢) به عنه ، فهذا
إيجابٌ . وقوله « لَمَّا تَشَفَّقِي حِينَ مُشَفَّقِي » تأنيسٌ ، أى لم تخافى وقت مخافة .

(١) كذا في م . وفي الأصل : « وصنفهم » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « ومكتف » .

فهما كلامان . والإشفاق : الدُّعْرُ ، وقد يختلط بالنصح ويتجرّد عنه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ .

٢ - مكانك حتى تنظري عمّ تنجلي عَمَايَةَ هذا العارض المتألق^(١)

يقول : أستاذي وأترقي ، وأقول في تلك الحالة ، تَمَسَّكِ يا نفسُ واحفظي مكانك إلى أن يتبين لك عن أيّ شيء تنكشف لك ظلمة هذا العارض المتشقق بالبرق . والعارضُ ، أصله في السحاب ، وهاهنا أراد به الجيش . وجعل التألق مثلاً لللعان الأسلحة . ويقال اتلق البرق أي تلاّلاً ، وتألّق . والعَمَايَةُ : الظلمة والهَبُوءَةُ . وبروي : « غَيَاة هذا العارض » وهي في طريق العَمَايَةِ لأنهما من الغيِّ والعمى ، وقد توسّع فيهما . وإنما طلب من النفس الصّبر إلى ذلك الوقت ، لأنّ مَنْ ثَبَّتَ في الحرب إلى انكشاف الحال فيه فقد أعطاها حقها .

١٢٥

وقال موسى بن جابر^(٢) :

١ - وقلت لزيد لا تُترتر فإنهم يرون المنايا دون قتلك أوقتي^(٣)

الترتر : العجلة . وحكى الدريدي أنها كثرة الحركة^(٤) ، فهي كالثلثلة . وروى الحديث : « تَلْتَلُوهُ وَمَزْمَزُوهُ » بالراء^(٥) واللام جميعاً . وبروي

(١) ذكر التبريزي أن بعد البيتين :

وإن كذبت نفس المقصر فاصدق

كررنا ولم نحفل بقول المعوق

وإذا قال سيف الله كروا عليهم

(٢) سبقت ترجمته في الحماسة ١٢٣ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزي : « قلت لزيد » بالخمر .

(٤) انظر الجمهرة (٢ : ١٣) .

(٥) في النسختين : « بالزاي » ، تحريف .

« لَا تُبْرِزْ » ، والبزبرة ؛ كثرة الكلام ، وكذلك الثثرة بالناء ، ورجل ثرثار . ويقال : ما أكثر بزرتهم ، إذا ماجوا في الكلام . ومنه سُمي البربر : جنس من الغاربة^(١) ، وكذلك البزبرة بالزاي : كثرة الحركة . وقد روي : « لَا تُبْرِزْ » . ويقال ما أكثر بزرتهم ، ورجل بزباز وبزابز ، إذا كان يكثر حركاته ويخف^(٢) . فيقول : لَا تَعَجَّلْ يَا زَيْدُ ، أَوْ لَا تُكْثِرْ كَلَامَكَ وَلَا تَضْطَرِّبْ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَرَوْنَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَنَاءِ وَيَخْفُ عَلَيْهِمْ وَيَقْلُ عِنْدَهُمْ إِذَا ثَبَتَ فِيهِ قَتْلُكَ أَوْ قَتْلِي لَهُمْ^(٣) . وَاتَهَزَّوْا فِي تَحْصِيلِ أَحَدِهِمَا فَرَصَهُمْ . وَيَكُونُ « يَرُونَ » فِي هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الرَّأْيِ ، كَمَا يَقَالُ فَلَانٌ يَرَى فِي دِينِهِ أَوْ فِي مَرْوَتِهِ كَذَا ، أَيْ يَتَّخِذُهُ مَذْهَبًا وَيَدُومُ عَلَيْهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ يَرَوْنَ لِلنَّيَا : يُقَاسُونَ الشَّدَائِدَ ، وَيَذُوقُونَ الْمَنَاءَ ، وَلَمْ يَصِلُوا بَعْدُ إِلَى قَتْلِي أَوْ قَتْلِكَ . وَيَكُونُ مَعْنَى « دُونَ قَتْلِكَ » كَمَا يَقَالُ « دُونَ هَذَا الْأَمْرِ خَرَطُ الْقَتَادِ » ، وَكَأَنَّ بَشْرًا :

* وَمِنْ دُونَ لَيْلَى ذُو بَحَارٍ وَمَنْوَرٌ^(٤) *

ومعنى يَرَى كَمَا يُقَالُ لَوْ عَلِمْتَ مَاذَا رَأَيْتُ مِنْ فَلَانٍ ، يَرَادُ أَيْ شَيْءٌ مَارَسْتُ وَكَأَيْدَتِ . وَالْكَلَامُ فِي الْمَعْنَى الْأُولَى تَصْوِيرُ لِحَالِ الْقَوْمِ فِي عِدَاوَتِهِمْ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمَعَالِجَةِ^(٥) مَعَهُمْ ، وَبَعَثٌ عَلَى مَصَابِرَتِهِمْ وَمَحَازِرَتِهِمْ . وَعَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي يَكُونُ تَثْبِيثًا لِمُصَاحِبِهِ وَتَشْجِيْعًا ، وَتَسْكِينًا مِنْهُ وَتَصْبِيرًا ، فَيَكُونُ مِثْلُ قَوْلِهِ :

(١) ومنه سمي البربر ، إلى هنا ساقط من م .

(٢) م : « إِذَا كَانَ تَكْثُرُ حَرَكَاتِهِ وَتَخَفٌ » .

(٣) أَيْ إِذَا ثَبَتَ لَهُمْ . وَكَلِمَةُ « لَهُمْ » فِي م نَقْطَ .

(٤) صدره كما في معجم البلدان (٢ : ٦٥) :

* اللَّيْلَى عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ تَذَكُّرٌ *

وبحار في النسختين بفتح الباء ، وهي لغة فيه نص عليها ياقوت ، وأورد لغة أخرى ، وهي كسر الباء . وقد جاء مصروفا في م ومنوعا من الصرف في الأصل . (٥) كذا في م . وفي الأصل : « الْمَعَالِجَةُ » ، تحريف .

* أقولُ لنفسى حينَ خَوَّدَ رَأُهَا^(١) *

وكانَ أبا تمامٍ تَصَوَّرَ هذا المعنى ، فذلكَ أُلْحِقَ الأبياتَ بما يليها .

٢- فَإِنْ وَضَعُوا حَرًّا بَا فَضَعُوهَا وَإِنْ أَبَوْا فَعُرْضَةُ عَضِّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي

يقول : إِنْ حَطُّوا الحربَ أَوْ أَطْرَحُوهَا ، وراموا المسألةَ والمشاركةَ فيها ، فَاتَّبِعْهُمْ فِي ذَلِكَ وَاقْتَدِ بِهِمْ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّرَّ فَالْقَوِيُّ عَلَى عِصَاصِ الْحَرْبِ وَالصَّبُورُ عَلَى لَزَامِهَا مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي ، والمعنى : أَنَا وَأَنْتَ . وهذا كما يقال : مثله لَا يَفْتَاضُ مِنْهُ ، والمعنى هُوَ لَا يُفْتَاضُ مِنْهُ . ويقول : فَلَا نَّ عُرْضَةَ الشَّرِّ ، إِذَا كَانَ قَوِيًّا عَلَيْهِ .

٣- وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى فَشُبَّ وَقُودَ الْحَرْبِ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ

جَعَلَ الرَّفْعَ فِي مَقَابِلَةِ الْوَضْعِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، والمعنى : إِنْ هَيَّجُوهَا . وَالْعَوَانَ : الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَتَقَادَمَ وَتَطَاوَلَ لَبْسُهَا ، وَاتَّصَلَ هَيْجَانُهَا ، وَاتَّسَعَ نَفْيَانُهَا . وَهَذَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْعَوَانَ مِنَ النَّسَاءِ . فَهُوَ كَمَا وَصَفَهَا غَيْرُهُ - لَمَّا أَرَادَ ابْتِدَاءَهَا وَجِدْتَهَا - بِأَنَّهَا فَتَاةٌ وَبِكُرٍّ ، فَقَالَ :

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فُتْيَةً تَسْتَعِي بِزَيْنِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ^(٢)

وَقَدْ اسْتَعْمَلُوا الْبِكْرَ وَالْعَوَانَ فِي الْحَاجَاتِ أَيْضًا ، فَقَالَ : هِيَ بِكُرٌّ حَاجَاتِي ، وَحَاجَتِي بِكُرٍّ ، وَحَاجَتُكَ عَوَانٌ . يَقُولُ : وَإِنْ أَجْجُوا نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَانَ الَّتِي تَشَاهِدُ وَاسْتَجَاشُوا لَهَا ، وَأَنَارُوا كَوَامِنَهَا ، فَاسْتَجِشْ أَنْتَ أَيْضًا وَأَوْقِدْ نَارَهَا بِالْحَطْبِ الْغَالِظِ الْجَزْلِ .

(١) الْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الْحِمَاسِيَةِ السَّابِقَةِ . وَقَدْ رَوَى قِيَامُ كَامِلًا .

(٢) لِعَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ . انْظُرْ شُرُوحَ مَقْطَعِ الْزَنْدِ ١٦٧٨ .

١٢٦

وقال أيضاً :

١- إذا ذَكَرَ ابْنُ الْعَنْبَرِيَّةِ لم تَضِقْ ذِرَاعِي وَأَلْقَى بِاسْتِهِ مَنْ أَفْخَرُ^(١)

قوله : « لم تَضِقْ ذِرَاعِي » مَثَلٌ ، ويقال ذَرَعِي . قال الخليل : الذَّرَاعُ اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُسَمَّى يَدًا مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ^(٢) . يقول : إذا ذَكَرَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ مِنْ آبَائِي اتَّسَعَ نِطَاقُ افْتِخَارِي ، وَرَحُبَ مَجَالِي وَبَاعِي ، وَلَمْ تُعَيِّنِي غَلَبَةُ مَنْ أَسَاجِلُهُ ، وَلَمْ يَقْعُدْ بِي ذِكْرُهَا عَنِ الْارْتِقَاءِ فِي الْفَخْرِ إِلَى مَا لَا يَطْلُعُ لَهُ مِنْ أَوَازِنُهُ وَأَكَابِلِهِ ، حَتَّى أَقْهَاهُ بِاسْتِهِ دُونَ وَجْهِهِ لِتَوَلَّيْهِ وَإِعْرَاضِهِ . وَذِكْرُ الْاِسْتِ تَقْبِيحُ لِفَعْلِهِ عِنْدَ النُّكُوصِ وَالْاِنْهَزَامِ ، وَتَشْنِيعُ عَلَيْهِ فِي التَّوَلَّى وَالْإِذْبَارِ .

٢- هَلَا لَانَ حَمَلَانِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ مِنْ الثَّقَلِ مَا لَا تَسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ

يقول : هَا فِي الْأَشْتِهَارِ وَاعْتِلَاءِ الشَّانِ ، وَاسْتِضَاءَةِ النَّاسِ بِنُورِهَا ، وَالِانْتِفَاعِ بِمَكَانِهَا ، بِمَنْزِلَةِ هَلَاكَيْنِ ؛ وَبِتَكَلُّفَانِ عِنْدَ كُلِّ جَذْبٍ وَنَحْلٍ ، مِنْ الْأَثْقَالِ وَالْأَعْيَاءِ ، مَا لَوْ صَارَتْ أَجْرَامًا أَعْجَزَ عَنِ النَّهْوِضِ بِهَا وَتَحْمِلِهَا الْبُغْرَانُ . فَإِنْ قِيلَ : إِذَا كَانَ قَصْدُهُ فِي تَحْمِيلِ الْأَثْقَالِ إِلَى قَرَى الضَّيْفِ ، وَنَحْرِ الْجُزُورِ وَقِسْمَتِهَا فِي الْمَيْسِرِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَوْنِ ، وَالنَّهْوِضِ بِالْكُلْفِ ، فَكَيْفَ قَالَ حَمَلَانِ مِنْ الثَّقَلِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ ؟ وَكَيْفَ مَثَلٌ مَا يَثْقُلُ عَلَى الْقُلُوبِ مِنَ الْغَرَامَاتِ وَالْحَقُوقِ ، بِالْأَوْفَارِ الَّتِي تَتَقَلُّ عَلَى الظُّهُورِ ؟ قُلْتُ : إِنَّمَا يَرِيدُ أَنَّ تِلْكَ الْمَوْنِ وَالتَّكَالِيفَ الَّتِي يَلْتَزِمُهَا ، وَيَسْعَى بِهَا وَفِيهَا ، لَوْ جُسِّمَتْ ثُمَّ مُحِلَّتْ ، لَكَانَتْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ يَفَاخِر » ، وَصَوَابُ الرُّوَايَةِ الْمُنْتَاسِقُ مَعَ التَّفْسِيرِ مِنْ مِ وَالْتَبْرِيزِ ..

(٢) فِي اللَّسَانِ (ذَرَعَ ٤٨) : « مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ ذَوِي الْأَبْدَانِ » .

الجمال لا تستقل بها ، ولا تقوى عليها^(١) ، فهذا وجهه . ويجوز أن يكون لما قال
 كما الآن في كل شتوة من الثقل ، جعل لفقه ما لا تستطيع الأباعر ، إذ كانت
 الجمال وأشباهها هي التي لجل الانتقال خلقت^(٢) ، وبها اشتهرت ، وليكون في
 اللفظ توافق ، مع الأمن من عارض الالتباس . ويكون هذا كما قال غيره^(٣) :

ألا هلك امرؤ ظلت عليه بجنب عنيزة بقر هجود
 سمعن بموته فظللن نوحا قياما ما يحل لهن عود

ألا ترى أنه لما كان قد كفى عن النساء بقوله « بقر هجود » عبر عن
 إمساكهن عن الطعام تحزنا بقوله « ما يحل لهن عود » إذ كانت البقر
 وما يجانسها من البهائم تعتلف العود وما يكون كالعود . وليس ذلك إلا
 لطلب الموافقة في اللفظ ، مع الأمن من اللبس . فأما قول لبيد :

فإذا جوزيت قرصا فاجزه إنما يجزى الفتى ليس الجمّل

فمعناه إنما يعرف النعم وما يجب لها من شكر النعم أرباب العقول
 وذوو التمييز ، لا البهائم . فتى أزلت إليك نعمة فكن من المجازاة عليها
 بمرصد ، فإن معرفة ذلك والأخذ به من تمام العقل ، ويوحيه المميزون وأولو
 الحجة ، لا غيرهم مما لا تمييز له ، ولا معرفة بذلك عنده . وذكر الجمّل مكثفيا

(١) م : « بحملها » .

قال التبريزي : « هذا قول المرزوقي . وقال النري : أي هذان الرجلان يحملان من أعباء
 المغارم وأنقال الصنائع ما لو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهي أثقل الحيوان حلا ، وأكثره
 صبرا . قال أبو العلاء : قد تناول النري له معنى قد يجوز مثله ولكنه بعيد ، وإنما ينبغي
 أن يحمل الشيء على ما كثر ، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قري
 الأنصاف ومن نحر الإبل ما لا تستطيعه الأباعر ، أي إنها لا تقوى عليه لأنه يهاكهما » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « هي التي تحمل الأثقال لها خلقت » .

(٣) هو امرأة بن بني حنيفة تفي يزيد بن عبد الله بن عمرو الحنفي . المفضليات

وإن كان القصدُ حِسنه أو أجناسَ مثله . وفي طريقةٍ ما نحن فيه قول أبي تمام
إلا أنه فصل بين المنزلتين ، وهو :

والصَّبْرُ بالأرواح يُعرَفُ فضلهُ صـبْرُ الملوكِ وليس بالأجسامِ

١٢٧

وقال ^(١) :

١ - أَلَمْ تَرَيَا أَنِّي حَمَيْتُ حَقِيقَتِي وَبَاشَرْتُ حَدَّ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ دُونَهَا

الحقيقة : الخصلة التي يحقُّ على الإنسان حمايتها . وقال الخليل : الحقيقة :
ما يصير إليه حقُّ الأمر ووجوبه . وقوله « أَلَمْ تَرَيَا » تقريرٌ للغير على ما كان
من بلائه . يقول : أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي ذَبَبْتُ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الذَّبِّ عنه ، وبشرت الموت
بنفسي ، والموت دونَ حماية الحقيقة . يريد أن المحافظة على الشرفِ أشقُّ من
اقتحامِ الموت والاستقتال ، لأنه يحتاج أن يُصْبِرَ فيه من المكارِه على ما لا يُحَدُّ
ولا يُخَصَّرُ ، ويُتَكَلَّفُ له من المشاقِّ ما لا يُعَدُّ ولا يُضبط . فهذا وجهه . والصَّмирُ
من قوله « دُونَهَا » يرجع إلى ما دلَّ عليه حَمَيْتُ من الحماية والحِفْظِ . ويجوز أن
يكون قوله « والموت دونها » أى قريبٌ من الحقيقة التي دفَعْتُ عنها أو من
الحماية التي التزمْتُها ، وحائِلٌ بيني وبينها ، ويكون هذا بياناً لكيفية مباشرته
لحدِّ الموت ومشافهته إياه على سَمْتِ القُرْبِ ، والواو من قوله « والموت »
واو الحال . وإذا جَعَلَتِ المعنى الأول فيكون الكلامُ بياناً لتفضيل حماية
الحقائق على مباشرة المنايا .

(١) كذا في م . وعند التبريزي : « رقال أيضاً » . وعبارة م والتبريزي تدل على
أن الحماسة لموسى بن جابر . وفي الأصل : « وقال آخر » .

٢- وَجَدْتُ نَفْسِي لَا يُجَادُّ بِمِثْلِهَا وَقُلْتُ اطْمِئْنِي حِينَ سَاءَتْ ظُنُونُهَا

يصف ابتذاله نفسه فيما تعناه على حاجة من العشيرة إلى بقائها ، وحلولها من القلوب محل ما يضمن بها ، فيوجب صيانتها . يقول : تسخّيتُ بنفس لا يُتَسَخَّى بِمِثْلِهَا كَرَمًا وَعِزَّةً ، وَشَرَفًا وَأُجَبَّةً ، وَقُلْتُ تَنْبِيئًا لَهَا : اسْكُنِي وَاصْبِرِي عِنْدَ اسْتِيلَاءِ الرُّعْبِ عَلَيْهَا ، وَاخْتِلَافِ الظُّنُونِ بِهَا . وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَأْخُذُ النَّفْسَ فِي الْأَوَّلِ مِنَ الْإِلْتِقَاءِ ^(١) ، لِلْوَهْلَةِ الْعَارِضَةِ ، وَالْفَجْعةِ الْمُرَوِّعَةِ . وَمِثْلُهُ : أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأْيُهَا مَكَانَكَ لَمَّا تُشْفَقِي حِينَ مُشْفَقٍ ^(٢)

٣- وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَقِي الذَّمَّ رَبَّهُ وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُهَيِّنُهَا ^(٣)

لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار الذي يجري مجرى تجرّى النفي . يقول : أَيْ خَيْرٌ فِي مَالٍ لَا يَصُونُ صَاحِبَهُ مِنْ ذَمٍّ وَعَارٍ ، وَلَا يَحْمِيهِ مِنْ أُحْوَقٍ تَهْجِينٍ وَشَنَارٍ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ غَنَاءَ نَفْسٍ لَا يَبْتَدِلُهَا صَاحِبُهَا فِي اسْتِيفَاءِ حَقُوقِهَا ، وَلَا يُتَعَبَّأُ فِي الدَّفَاعِ دُونَ حَقَائِقِهَا ؟ وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَرُّؤٌ مِنَ التَّحَمُّدِ ^(٤) بِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ إِنْفَاقِ الْمَالِ ، وَابْتِدَالِ النَّفْسِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَيَبْتَدِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ طَائِعًا إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَدَالُهَا ^(٥)

(١) م : « فِي أَوَّلِ الْإِلْتِقَاءِ » .

(٢) انظر الحماسية ١٢٤ .

(٣) التبريزي : « بِنَفْسٍ أَمْرِي » .

(٤) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « التَّحَمُّدُ » وَنَرَاهُ تَحْرِيفًا .

(٥) م : « الْمَصُونَةُ نَفْسُهُ » ، وَقَدْ سَبَقَ الْبَيْتُ فِي ص ١٤١ بِرَوَايَةِ م .

١٢٨

وقال :

١ - ذَهَبْتُمْ فَلَدْتُمْ بِالْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكْنَا أَحَادِيثًا وَلَحْمًا مُوضَعًا^(١)

يَخَاطِبُ قَوْمَهُ وَيُلَوِّمُهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْقُعُودِ عَنْ نُصْرَتِهِ ، وَالنُّكُوصِ عَنْ مَشَابِعَتِهِ ، وَاعْتِلَالِهِمْ عِنْدَ اعْتِدَارِهِمْ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَعَاذِيرِ الْمَشُوبَةِ بِالْكَذِبِ ، التَّجَائُثُ إِلَى الْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ ، وَعِنْدَ تَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْهُمْ وَلَا يَدَافِعُونَ ، فَهُمْ كَاللَّحْمِ الْمُبْضَعِ عَلَى خُيَّوَانِ الْجَزَارِ ، تَمْتَدُّ الْأَيْدَى عَلَى تَوْضِعِهِ إِلَيْهِ ، وَتَتَعَلَّقُ الْأَطْمَاعُ بِتَنَاوُلِهِ وَأَخْذِهِ^(٢) . وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

رَضُوا بِصِفَاتٍ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا وَحُسْنِ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفِعَالِ

هَذَا إِذَا رَوَيْتَ « تَرَكْنَا » بَفَتْحِ التَّاءِ ، وَإِنْ رَوَيْتَ بِضَمِّ التَّاءِ كَانَ الْمَعْنَى : ادَّعَيْتُمْ عَلَيْنَا فِيمَا نَابَنَّا ، وَعِنْدَمَا هَمَّمْتُمْ بِهِ مِنْ مَفَارِقَتِنَا وَخِذْلَانِنَا ، أَنَّا تَرَكْنَا أَحَدُوهُ لِلنَّاسِ قَبِيحَةً ، يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ بِذِكْرِنَا ، وَأَذْلَاءٌ مُهْتَضِمِينَ لَا دِفَاعَ بِنَا ، وَلَا امْتِنَاعَ مِنْ مَذَمَّةٍ فِي طَبَاعِنَا . وَالْمَوْضِعُ : الْمُقَطَّعُ الْمُرْقَّقُ فِي مَوَاضِعٍ^(٣) .

٢ - فَمَا زَادَنِي إِلَّا سَنَاءٌ وَرِفْقَةٌ وَمَا زَادَكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَحْضَمًا

يقول : لَمْ يَزِدْنِي فِعْلَكُمْ وَقَوْلُكُمْ عِنْدَ اعْتِلَالِكُمْ فِي مَفَارِقَتِكُمْ إِلَّا ارْتِفَاعٌ

(١) أُشِيرَ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهُ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى : « مِبْضَعًا » . وَالْمِبْضَعُ : الْمَقْطَعُ

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « تَمْتَدُّ الْأَيْدَى إِلَيْهَا ، وَتَتَعَلَّقُ الْأَطْمَاعُ بِتَنَاوُلِهَا وَأَخْذِهَا »

(٣) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْمَوْضِعُ : الْمَقْطَعُ الْمُرْقَّقُ » .

مَحَلٍّ ، وَنُموَّ حَالٍ ، وَجَلَالَةَ قَدَرٍ ، وَلَمْ يَزِدْكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَرَاجُعًا وَتَذَلُّلًا ،
وَتَصَوُّرًا بِالْقَبِيحِ وَتَسْقُطًا ، لِأَنَّ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِمَشِيرَتِهِ وَأَقْرَبِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ
وَدَوِّيهِ ، لَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ الْبَعِيدُ الَّذِي يُؤْوِيهِ ، وَالْمُسْتَعْمَانُ بِهِ لِمَا يَرْتَجِيهِ .

٣- فَمَا انْفَرَّتْ جَنِّي وَلَا فُلٌ مِبْرَدِي وَلَا أَصْبَحَتْ طَيْرِي مِنَ الْخُوفِ وَقُمَا

وهذا يحتمل وجوها : يجوز أن يريد لم ينخزل — لما أتيتم وأخيرتم —
أصحابي الذين هم كالجن ، ولا فُلٌ لسانى الذى هو كالمِبْرَدِ ، ولا ذُعْرَ جأشى
فصار طيرى واقعة . ويكون الأول كقول الآخر :

* عَلَيْنِهِنَّ فِتْيَانٌ كَجَنَّةٍ عَقْبَر *

وتشبيه اللسان بالمِبْرَدِ وَحَدَّ السيف أكثر من أن يحتاج له إلى شاهد .
وقد قيل فى « نفرت جنى » إنه مثلٌ لَفَلَّتَاتِهِ وَبَدْرَاتِهِ ، ويكون هذا كما
وصف امرؤ القيس فرسه بالرج وحِدَّةِ القلب فقال :

* به طائفٌ من جِنَّةٍ غَيْرِ مُعْقَبِ *

وإنَّ ذِكْرَهُ الْمِبْرَدَ مِثْلُ لَصْلَاحِهِ ، وإنَّ ذِكْرَهُ الطَّيْرَ مِثْلُ لَصِيَّتِهِ وَذِكْرَهُ
الذَّاهِبِ فِي النَّاسِ . ويجوز فى هذا الوجه أن يريد به ذكاه ونشاطه وشهامته ،
فقد قيل فى ضِدِّهِ : هو ساكنُ الطائر ، وكان على رءوسهم الطَّيْرُ . ويجوز أن
يشير بالجنِّ إلى ما يذعيه الشعراء من أن لكلِّ واحدٍ منهم تابعًا من الجن
يستعين به فيما يحزُّ به ، ويُجملُ المراد بالمِبْرَدِ فى هذا الوجه اللسان لا غير .
ويجوز أن يريد بالطَّيْرَ سَرَايَه وطوائفَ خَيْلِهِ التى يطيرُها للغارات والارتبَاء ،
وتجشُّس^(١) الأخبار وغيرها .

(١) م : « وتحسس » بالحاء المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد ، وهو البحث .

١٢٩

وقال حريث بن جابر^(١) :

١- لَمَمْرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي حِينَ سُمِّتَنِي هَوَاكُمَعَ الْمَوْلَى وَأَنْ لَا هَوَى لِيَا

الْعَمْرُ وَالْعَمْرُ لَفَتَانٌ ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَسَمِ إِلَّا بَفَتْحِ الْعَيْنِ . وَأَنْصَفْتَنِي : أَعْطَيْتَنِي النِّصْفَةَ وَالنِّصْفَ . وَيُقَالُ انْتَصَفْتُ مِنْ فُلَانٍ ، أَيْ اسْتَوْفَيْتُ حَقِّي مِنْهُ كَامِلًا حَتَّى صَرْتُ أَنَا وَهُوَ عَلَى النِّصْفِ سَوَاءً . وَمَعْنَى سُمِّتَنِي : جَسَّمْتَنِي خُطَّةً مِنَ الشَّرِّ . وَيُقَالُ أَيْضًا : سَامَ فُلَانٌ فُلَانًا ، إِذَا دَاوَمَ عَلَيْهِ وَأَلْحَ فِي شَيْءٍ . يَقُولُ : وَبِقَائِكَ مَا أَعْطَيْتَنِي النِّصْفَةَ حِينَ عَرَضْتَ عَلَى الرَّضَا بَأَنْ يَكُونَ لَكَ هَوَى مَعَ مَوْلَاكَ ، حَتَّى تَنْتَقِمَ لَهُ وَتَذُبَّ دُونَهُ ، وَأَلَّا يَكُونَ لِي هَوَى مَعَ مَوْلَايَ وَأُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ . قَوْلُهُ « وَأَنْ لَا هَوَى لِيَا » أَرَادَ : وَأَنَّهُ لَا هَوَى لِيَا .

٣- إِذَا ظَلِمَ الْمَوْلَى فَرَزْتُ لِيُظْلَمَ فَحَرَكْتُ أَحْشَائِي وَهَرَّتْ كَلَابِيَا

يُبَيِّنُ كَيْفَ يَتَعَصَّبُ لِمَوَالِيهِ ، وَكَيْفَ يَأْتِيهِ مِنَ اهْتِضَامِ يَلْحَقَهُمْ ، يَقُولُ : إِذَا اهْتَضَمَ حَلِيفٌ لِي أَوْ ابْنُ عَمٍّ ، ذُعِرْتُ لِامْتِهَانِهِ وَاهْتِضَامِهِ ، فَاضْطَرَبَ أَحْشَائِي وَنَبَحَتْ كَلَابِي . وَالْمَعْنَى : لَمْ أَعْتَدِ الْمُضْيِمَةَ فِيمَنْ يَتَّصِلُ بِي ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَيَّ ، فَإِذَا اتَّفَقَ وَقَوْعُهَا صَارَتْ كَلَابِي تَنْبِجُ ، وَأَخَذَتْ نَفْسِي تَقَلُّقٌ . فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَحَرُّكُ أَحْشَاؤِهِ لَوْجِيبِ قَلْبِهِ وَخَفَقَانِهِ ، وَنَبَحَتْ كَلَابُهُ لَتَهْيِئَةِ اللِّاتِقَامِ ، وَتَدَجُّجِهِ فِي السَّلَاحِ لَهُ ، وَتَجَمُّعِ أَصْحَابِهِ وَلِمُعَادَاهِمُ الْخَلِيلِ وَالرَّجُلِ لِإِغَاثَتِهِ . وَالْكَلْبُ يُنْكِرُ أَصْحَابَهُ إِذَا رَأَاهُمْ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ فَيَنْبِجُ . أَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ فِي مِثْلِهِ :

(١) التبريزي : « وقال حريث بن جابر بن سري بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل » .

أَنَاسٌ إِذَا مَا أُنْكَرَ الْكَلْبُ أَهْلَهُ سَحَّوْا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِمٍ^(١)
 وَوَجْهٌ آخِرٌ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَحَرَّكَتْ أَحْشَاؤُهُ لِاضْطِرَابِهِ فِي جَمْعٍ مِنْ
 يُجْمَعُ ، وَإِعْدَادٍ مَا يُعَدُّ ، وَالْمُسْرَعُ فِي الشَّيْءِ يَلْحَقُهُ ذَلِكَ ، وَمِثْلُهُ .
 أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فُجَاءَهَا يُقَقِّعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى
 فَقَقِّعَةُ الْأَقْرَابِ كَتَحَرُّكِ الْأَحْشَاءِ وَأَكْثَرُ . وَيَكُونُ مَعْنَى فَرَزَعْتُ أَعَثْتُ
 عَلَى هَذَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

* حَلَلْنَا الْكَذِيبَ مِنْ زُرُودٍ لِنَنْفِزَعَا^(٢) *

أَي لُنْغَيْثٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْكَلَامِ الْأَصْحَابَ ، وَيَكُونُ مِثْلُ
 قَوْلِ الْمُذَلِّي^(٣) :

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيَبْعُدَ نَفْرُهَا وَلَوْ تَبَحَّتْنِي بِالشَّكَاةِ كِلَابُهَا
 فَقَدْ فَسَّرَ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ عَلَى هَذَا . وَكَذَلِكَ قَوْلُ تَابَطُ شَرًّا :
 * لَيْلَةٌ صَاحُوا وَأَغْرَوْا بِي كِلَابُهُمْ^(٤) *
 فَسَّرَ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا .

١٣٠

وَقَالَ الْبَعِيثُ بْنُ حُرَيْثٍ^(٥) :

١ - خَيْالٌ لَأَمِّ السَّلْسَبِيلِ وَدُونَهَا مَسِيرَةٌ شَهْرٍ لِلْبَرِيدِ الْمُذَبَذَبِ

(١) رَوَى فِي الْخَيَوَانِ (٢ : ٧) مَعَ نَسْبَتِهِ إِلَى طَفِيلِ الْغَنَوَى : « شَنْعَاءٌ مُظْلِمٌ » .

وَفِي الْأَمَالِي (١ : ٥٥) : « مُضْلَعٌ » ، وَقَالَ : « وَيُرْوَى مُفْطَعٌ » .

(٢) لِلْكَلْبَةِ الْعَرَفَى فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ٣٠) . وَصَدْرُهُ :

* وَقَلْتُ لِكَأْسِ الْجَمِيهَا فَإِنَّمَا *

(٣) هُوَ أَبُو ذُوَيْبٍ . انْظُرْ دِيوَانَ الْمُذَلِّينِ (١ : ٨٠) .

(٤) عَجَزَهُ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ٢٦) : * بِالْعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْلَى ابْنِ بَرَّاقِ *

(٥) هُوَ الْبَعِيثُ الْحَنْظَلِيُّ ، كَمَا فِي الْمُؤْتَلَفِ ٥٦ . وَهُوَ الْبَعِيثُ بْنُ حُرَيْثِ بْنِ جَابِرِ بْنِ سُرَى

بْنِ مُسْلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الدُّثَلِ بْنِ حَنِيفَةَ بْنِ الْحِجْمِ . وَقَدْ سَبَقَ تَرْجُمَةُ
 وَالدَّهْلِيِّ حُرَيْثِ بْنِ جَابِرٍ فِي الْحِمَاسَةِ السَّابِقَةِ .

خير الابتداء محذوف، كأنه قال: خيالٌ لهذه المرأة أتاني أو زارني،
ويبنى وبينها مسيرة شهرٍ للبريد للسرعة المتعجل. كأنه استطرف من الخيال
ما كان يستطرفه من المرأة لو زارت. وقوله «البريد المذبذب» كما يُقال
للسائق الحاث طارداً. ألا ترى قوله يصف فرساً:

* وَيَسْبِقُ مطروداً ويلحق طارداً *

لأن المذبذب والمذبب الأصل فيهما واحد، يرجع إلى الطرد
والاستعجال. والسرعة المستعجل يتذبذب، أي يضطرب. فأتا قوله تعالى:
﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ فهو من صفة المنافقين، ومعناه مطرودين بين المؤمنين
والكافرين، فليسوا بمتقبلين عند واحدة من الفرقتين. ومثل ذبّ وذذبّ،
كَبَّ وكَبَّكَب. فإن قيل: لم نكّر فقال خيالاً لأم الساسيل؟ قلت:
يجوز أن يكون كان يرى خيالها على هيئات مختلفة، فاعتقد لاختلاف هيئته
أنه عدة خيال، فلذلك نكّره، كأنه قصد إلى واحدٍ منها، ومثله:

خيالٌ ازينب قد هاج لي نكاساً من الحب بعد اندمال^(١)

٢ - فقلتُ لها أهلاً وسهلاً ومرحباً فردّت بتأهيلٍ وسهليلٍ وترحيبٍ

حكى ما دار بينه وبين الخيال. والخيال يُذَكّرُ ويُؤنّث. ونبّه بكلامه
على أنه أظهر لها قبولاً حسناً، وبشراً وطلاقة، ففعل المتشوّف لها، المتشوّق
إلى لقاءها، وأنه تلقاها بالترحيب والتأهيل ساعة طلوعها، فأجابته بمثل ذلك.
وانتصب أهلاً بفعلٍ مضمرٍ كأنه قال أتيت أهلاً لا غرباء، وسهلاً من
النازل لا حزنًا، ورحبًا من الأماكن لا ضيقًا: والتأهيل: مصدر أهله أي
قالت له أهلاً. وكان يجب أن يقول فردّت بتأهيلٍ وتسهيلٍ وترحيبٍ، لو أتى

(١) لامية بن أبي عائذ في ديوان الهذليين (٢ : ١٧٣) برواية: «خيال الجمعة».

بالكلام على حَدٍّ واحدٍ ، لكنّه أتى في بعضه بحكاية اللفظ ، وفي بعضه ببناء الأخبار . وقال سيبويه : إذا قال الرَّادُّ وبك أهلاً ، فإنّما يقول : أنت عندي بمنزلة من يقال له هذا لو جئتني . وإنّما قال هذا لأنّ الحال لا تقتضى من الزائر أن يُصادفَ المَزُورَ عندهُ ذلك ، فحمل الكلام - وقد اعتيد فيه ما ذكّره - على أنه يُرادُّ لو جئتني لكنت بهذه المنزلة .

٥- مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَظَبِيَّةٍ وَلَا دُمِيَّةٍ وَلَا عَقِيلَةَ رَبِّ رَبِّ
مَعَاذَ أَنْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ . والمعنى أَسْتَعِذُ بِاللّهِ أَوْ أَعُوذُ بِهِ مَعَاذًا . كَأَنَّهُ
أَنْفَ وَصَارَ يَرَبُّهُ بِاصْدِيقَتِهِ أَنْ تَكُونَ فِي الْحُسْنِ بِحَيْثُ تَشَبَّهُ بِالظَّبْيِ أَوِ الظَّبْيَةِ
أَوْ بِالصُّورَةِ الْمَنْقُوشَةِ ، أَوْ بِكَرِيمَةٍ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ ، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ
عِنْدَهُ دُونَهَا ، وَقَاصِرَةً عَنْ رُبُّبَتِهَا . وَقَدْ سَلَكَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ اسْمُهُ الْقَيْسُ هَذِهِ
الطَّرِيقَةَ فَقَالَ :

كَانَ دُمِي سَقْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرَمَرٍ كَسَامُزٍ بَدَ السَّاجُومِ وَشَيْئًا مُصَوَّرًا^(١)
غَرَائِرُ فِي كِنٍّ وَصَوْنٍ وَنَعْمَةٍ يُحَلِّينَ يَاقُوتًا وَدُرًّا مُفَقَّرًا
فَشَبَّهَ الدُّمِيَّ بِالنِّسَاءِ لَا النَّسَاءِ بِالدُّمِيِّ . وَمَا يَسْتَحْسِنُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

كَأَنَّمَا جَادَ مَعْنَاهُ فَغَيَّرَهُ دُمُوعُنَا يَوْمَ بَانُوا وَهِيَ تَنْهَمِلُ
لَأَنَّهُ شَبَّهَ الْأَمْطَارَ الْمَغْيِرَةَ لِرُسُومِ الدِّيَارِ بِدُمُوعِ الْعُشَاقِ . فِي إِثْرِ الْأَحْبَابِ
يَوْمَ الْفِرَاقِ . وَالْعَقِيلَةُ : الْكَرِيمَةُ مِنَ النَّسَاءِ [وَالدُّرُّ^(٢)] وَكُلُّ شَيْءٍ .
وَالرَّبُّ رَبُّ : الْقَطِيعُ مِنَ الْبَقَرِ .

(١) مزيد الساجوم ، مبيض لها في نسخة الأصل ، وإثباتهما من شرح ديوان امرئ
القيس ٩٢-٩٣ . والساجوم : اسم واد . والمزيد : الذي علاه الزيد . وفي م : « مزيد
للساجور » ، تحريف . (٢) هذه من م .

٤- وَلَكِنَّهَا زَادَتْ عَلَى الْحُسْنِ كُدْلَهُ كَمَالاً وَمِنْ طَيِّبٍ عَلَى كُلِّ طَيِّبٍ

يقال : زدتُه فزاد وازداد جميعاً . وكالاً يفتصب على التميز ، والمعنى أنها يزيد حُسْنُهَا على كُلِّ حُسْنٍ كَمَالاً ، لَأَنَّهُ لَا حُسْنَ إِلَّا وَتَدْخُلُهُ نَقِيصَةٌ ، سَوَى حُسْنِهَا . وكذلك كُلُّ الطَّيِّبِ يَتَخَلَّلُهُ حَاطِيْطَةٌ إِلَّا طَيِّبَهَا . و « مِنْ طَيِّبٍ » أَيْ زَادَتْ مِنْ طَيِّبِهَا عَلَى كُلِّ طَيِّبٍ طَيِّبًا . وَالْفَرَضُ أَنْ يَبَيِّنَ لَمْ أَنْكَرْ لَهَا ^(١) تَشْبِيْهًا بِغَيْرِهَا ، فَقَالَ : هِيَ تَتَرَفَّعُ عَنْ ذَلِكَ : إِذْ كَانَتْ جَامِعَةً لِلْحَاسِنِ ، مُسْتَحِقَّةً لِلْوَصْفِ بِالْكَمَالِ ، وَإِذْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ اسْتَبَدَّ بِصِفَةٍ دُونَ صِفَةٍ ، وَيَتَفَرَّدُ بِنَوْعٍ دُونَ نَوْعٍ .

٥- وَإِنْ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَنْزِلِي لِبِالْمَنْزِلِ الْأَقْصَى إِذَا لَمْ أَقْرَبِ

يقول : مَكَانِي الَّذِي أُسِيرُ فِيهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَمَوْضِعِي الَّذِي أُنْزِلُ فِيهِ ، لَا يَبْعُدُ الْمَنَازِلُ ، وَأَوْضَعُ الْمَسَافِرِ ، إِذَا لَمْ يَلْحَقْنِي فِيهَا تَقْرِيْبٌ وَتَعْظِيمٌ . وَقَوْلُهُ « أَقْرَبِ » بِمَعْنَى أَكْرَمَ وَأَدْنَى ، عَلَى طَرِيقِ الْإِعْظَامِ . وَلَيْسَ يَرِيدُ تَقْرِيْبَ ^(٢) الْمَسَافَةِ بِهِ . وَبِحُجُوزِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ أَقْرَبِ كُنْتُ بِمَنْزِلَةِ الْمَطْرُودِ الْمُنْفَى ، وَإِنْ كُنْتُ مُقِيمًا دَانِيًا . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ لِبِالْمَنْزِلِ وَالْمَسِيرِ ؛ فَكَتَفَى بِأَحَدِهِمَا . وَآثَرُ الْمَنْزِلِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ النَّزُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ السَّيْرِ . وَدَلَّ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْضَى فِي مَتَصَرِّفَاتِهِ إِلَّا بِمَا يَقْضَى بِتَجْهِيلِهِ ، وَيُقْضَى إِلَى اصْطِفَائِهِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ ؛ وَأَنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى الْهَوَانِ وَالْجَفَاءِ حَيْثُ سَارَ وَنَزَلَ ، بَلْ يَطْلُبُ إِكْرَامَهُ وَإِلَّا انْتَقَلَ وَتَحَوَّلَ .

٦- وَأَسْتَوِيْنِ قُرْبَتْ يَوْمًا بِبَائِعٍ خَلَاقِيْ وَلَا قَوْمِيْ ابْتِغَاءَ التَّحْشُبِ

(١) كلمة « لها » ليست في م .

(٢) م : « تقليل » .

يقول : لستُ وإن أدنيتُ وبُجِّلْتُ بيبائع نصيبي من شرفي ، وموضعي ^(١) من عشيرتي ، طلبًا للتحشُّبِ إلى من أجاورُهُ وأعاشِرُهُ ، أو تهالكًا في تعليق الطَّمَعِ بمن أرجوه وآملُهُ . والخَلَّاقُ : الحِطُّ والنَّصيب من الصَّلاح . ويقال : ما لفلانِ خَلَّاقٌ ، إذا لم يكن له رغبةٌ في الاستصلاح واكتساب الخير . وانتصب « ابتغاءُ التَّحَشُّبِ » على أنه مفعولٌ له .

٧ - وَيَمْتَدُّهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ دِينِي وَمَنْصِبِي

يقول : وَيَمْتَدُّ ما تَبَرَّأتُ منه وَأَنْفَتُ من فعله كثيرٌ من الناسِ تجارةً رابحةً ، وصفقةً مفيدةً نَافِعَةً ، وأنا بدفعني عنه ويزهِّدني فيه شرفي وديانتي . وهذا القول يجوز أن يكون تنزيهاً لنفسه ، وتزكيةً لفعاله وخُلُقِه فَقَطْ ، وأن يكون القصد منه التعريض بغيره . وهذه الأبيات وإن كان في جملتها ^(٢) ما ليس من الباب فإنه كَرِهَ تبديدها لسلامتها من العَابِ ، ووفورِ حظِّها من الانتخاب .

٨ - دَعَانِي يَزِيدٌ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ وَعَبَسَ وَقَدْ كَانَا عَلَى حَدٍّ مِّنْكَابٍ

ما قَدَّمَهُ تَوَصَّلُ إلى بيانِ سراپائه أَمْرَ العشيرة ، والتعطفِ على القريب وقتِ الحاجة ، والتمسُّكِ بما يوجبهُ الكَرَمُ والحرِّيَّة . يقول : دعاني هذا الرجلُ وصاحبهُ مستغيثين ، بعد سوء ظنِّه بعشيرته وبى لما أسْلَفَ من الشرِّ ، وقَدَّمَ من المُعْثوق والإيذاء ، وقد كانا أشرفاً على حَدِّ الهلاك . هذا إذا رُوِيَتْ بفتح الكافِ مَنْكَابٍ ، والمعنى : شافها حَدَّ الشرِّ وحَرْفُهُ ، ولا يأمنان اقتحامَهُ وتوسُّطَهُ . ويقال أصابَهُ نَكَبٌ من الدَّهْرِ وَمَنْكَابٌ وَنَكْبَةٌ وَنَكُوبٌ كثيرةٌ ، ومنه قيل حافرٌ نَكِيبٌ ومَنْكُوبٌ ، إذا أثَّرَ فيه حجرٌ أو غيره .

(١) م : « أو موضعي » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « من جملتها » .

ويروى « على حَدِّ مَنْكِبٍ » بكسر الكاف ، والمعنى : كانا مُهاجرَيْنِ لى .
يقال : فلانٌ معى على حَدِّ مَنْكِبٍ ، أى كلما رآنى أَلْتَوَى ولم يتلفنى بوجهه ،
وتنكَّبَ عَنى ؛ أى اجْتَنَبَنِى . وَلَمَنْكِبُ من كلِّ شَيْءٍ : جَانِبُهُ وناحيئُهُ .
ومثله قولُهُم : فلانٌ يَلْقَانِى على حَرْفٍ ؛ وهو منحرفٌ عَنى ومتحرِّفٌ . ويجوز
أن يريد بقوله « بعد ما ساء ظَنُّهُ » بعد تَسَلُّطِ اليأس والقنوط من الحياة عليه .

٩ - وقد عَلِمَا أَنَّ العَشِيرَةَ كُلَّهَا سَوَى مُحَضَّرِى من خَاذِلِينَ وَغُيَّبِ

دَلَّ بهذا الكلام على الضرورة الداعية إلى الاستعانة به ، والاستظهار
بدعوته وإجابته . يقول : استغاثا بى متيقنين أَنَّ كلَّ عَشِيرَتِهِمَا إذا لم أَحْضُرْ
من بين شاهدٍ لَا يَنْضُرُ ، وَغَائِبٍ لَا يَحْضُرُ وَأَنَّ الكِفَايَةَ لَا تَوْجِدُ إِلَّا عِنْدِى ،
وَالنُّصْرَةَ لَهَا لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِسَعْفِى . وقوله « من خَاذِلِينَ وَغُيَّبِ » أَرَادَ وَمِنْ
بَيْنِ غُيَّبِ ، فَاكْتَفَى بِمِنْ الْأَوَّلِ عَنِ الثَّانِى ، وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي مِثْلِهِ
مَشْرُوحًا . وَمَعْنَى سَوَى هَاهُنَا مَعْنَى بَدَلٍ وَمَكَانٍ . وَذَكَرَ الْمُحَضَّرَ وَالْمُرَادَ
النَّفْسَ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : وَقَدْ عَلِمَا أَنَّ الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا بَدَلًا مِنِّى وَمَكَانِى ، مِنْ
خَاذِلٍ وَغَائِبٍ .

١٠ - فَكُنْتُ أَنَا الْحَامِى حَقِيقَةً وَائِلٍ كَمَا كَانَ يَحْمَى عَنْ حَقَائِقِهَا أَيْ

يقول : أَعْنَتُهُمَا عَلَى ضَعْفِ رَجَائِهِمَا ، وَتَسَلُّطِ الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ عَلَيْهِمَا ،
جَارِيًا عَلَى الْغَايَةِ لِلْمُورُوثَةِ عَنْ أَسْلَافِى ، وَمُقْتَدِيًا فِي الذَّبِّ عَنِ الْعَشِيرَةِ ، وَالْمُوَاطَاةِ
عَلَى حِمَايَةِ الْحَقِيقَةِ ، بِأَبَائِى . وَيَقَالُ : حَمَيْتِ الْحَقِيقَةَ وَحَمَيْتُ عَنْ الْحَقِيقَةِ ، وَهُوَ
يَحْمَى عَلَيْهِ وَيُحَامَى عَلَيْهِ .

١٣١

وقال المثلّم بن رياح^(١) :

١ - مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي سِنَانًا رِسَالَةً وَشِجْنَةً أَنْ قَوْمًا خُذَا الْحَقَّ أَوْدَعَا

يقول : مَنْ يُوَدِّي عَنِّي رِسَالَةً إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، بَأَن أَرْضِيَا الْحَقَّ وَقَوْمَا وَاسْتَوْفِيَاهُ ، أَوْ أَتْرَكَاهُ فَالْكَمَا غَيْرُهُ وَإِنْ تَسَخَّطْتُمَاهُ . وَهَذَا تَوَعُّدٌ وَاسْتِهَانَةٌ . وَقَوْلُهُ « أَنْ قَوْمًا » أَنْ مَخْفَقَةً مِنْ أَنْ النِّقِيلَةَ وَالْمُرَادُ : أَنَّهُ قَوْمًا . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ فِي : أَمَّا أَنْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَنْ الْمَفْسَّرَةِ ، كَأَنَّهُ فَسَّرَ الرِّسَالَةَ بِقَوْمَا خُذَا الْحَقَّ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : أَتَفْخَرُ عَلَيَّ أَنْ أَصْحَابَكَ أَكْثَرُ مِنْ أَصْحَابِي . وَأَنْ هَذِهِ تَجْرِي تَجْرِي أَيْ فِي أَنَّهُ يُفَسَّرُ بِهِ . وَلَوْ قَالَ قَوْمًا وَخُذَا الْحَقَّ ، فَأَتَى بِمَرْفِ الْعُطْفِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ كَانَ أَفْصَحَ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ بِغَيْرِ الْعَاطِفِ كَثِيرًا . وَقَوْلُهُ « قَوْمًا » لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ فِعْلُ الْقِيَامِ ، لَكِنَّهُ وَضَلَّةٌ فِي الْكَلَامِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ فِيمَا مَضَى أَمثَالَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ خُذَا الْحَقَّ عَلَى طَرِيقِ التَّهَكُّمِ وَالسَّخَرِيَّةِ . أَيْ إِنْ قَدَرْتُمَا عَلَى اخْذِ الْحَقِّ الْمُدَّعَى فَخُذَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : تَرَى كَمَا مَا سَمِيتَاهُ حَقًّا ، وَطَلَبَكُمَا لَهُ عِنْدِي سَوَاءٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ .

٢ - سَأَكْفِيكَ جَنبِي وَضَعُهُ وَوَسَادَهُ وَأَغْضَبُ إِنْ لَمْ تَعْطِ بِالْحَقِّ أَشْجَمًا^(٢)

(١) التبريزي : « المثلّم بن رياح بن ظالم المري » . وقال المرزباني في المعجم ٣٨٦ : « المثلّم بن رياح المري جاهل ، وله يقول سنان بن أبي حارثه وأجار عليه : من مبلغ عني المثلّم آية وسهلا فقد نفرتم الوحش أجمها هم إحدوى دنيا فلا تقرّبهم فأجابه المثلّم :

من مبلغ عني سنانا رسالة وشجنة أن قوما خذا الحق أودعا

(٢) قال التبريزي : « هو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان » . وقال أيضا : « قال أبو هلال في قوله إن لم تعط بالحق : هكذا روى ، وهو تصحيف =

يقول : أ كفيك ما يَمْشِي ويَمْشِي ، ولا أضايك فيما يرجع نفعه
وضرّه إلى . وذِكر وضع الجنب والوساد مأخوذ من المثل السائر في المعنى
بالشيء المتعهد له ، وهو قولهم : « أَمْ فَرَشْتَ فَأَنَامْتُ » : والمعنى : لا أكفئك
عنايةً بأمرى ، ولا أؤاخذك بمصالح أسبابى : ومتى لم تناول مولاى أشجع
الحق ، ولم تعامله فيما بينكما بالحق والعدل ، غَضِبْتُ له وانتقمْتُ ؛ لأن في
تضييع حق المولى والأخذ بالتغميض فيه لازم العار ، وفي استعمال التغابي فيما
يتعلّق بى وإطراحي المناقشة والمشاحة فيه باقى الصيت والجمال . قوله « إن لم
تُعْطِ بالحق » قيل فيه مفعول تُعْطِ الثانى محذوف ، ومعنى بالحق : بالعدل
والإنصاف . كأنه قال : تُعْطِ أشجع ما يَجِبُ له بالحق . وقيل أراد بتُعْطِ
تُعاملُ فعدّاه تعدّيته . وقيل بالحق هو المفعول الثانى ، لكنه زاد الباء فيه
تأكيذاً ، كما قال الآخر ^(١) :

* سُوْدُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأُ بِالسُّوْرِ ^(٢) *

ويغلب فى نفسى أن الشاعرَ قال وأغضبُ إن لم تعطيا الحق أشجعاً ،
لأنه بنى الرسالة على أن تكون متوجهة نحو اثنين : سِنَانٍ وشِجْنَةٍ . ومخاطبته
من بعد أحدهما فى قوله سأ كفيك ، على عادتهم فى الافتنان والتصرف ، لا يمنع
من الرجوع إلى ما بنى كلامه عليه من ذكر الاثنين . وهذا ظاهر لمن تأمله .

= قبيح ، والصحيح : وأغضب إن لم ينضب الحق أشجعاً . يقول : سأ كفيك أمرى كله ولا
أحلك شيئاً ، وأغضب لك ولحقك إن لم ينضب له أشجع .

(١) هو الراعى النيرى ، أو القتال السكابي ، إذ ورد فى شعر لكل منهما . الخزانة

(٣ : ٦٦٧) .

(٢) صدره : * هن الحرائر لازبات أحره *

٣ - تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَا حَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوعًا

يريد : تختلف الرِّمَاحُ المنسوبة إلى هذه المرأة^(١) بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالطَّعْنِ ، فصياحها كصياح بنات الماء إذا جاءت . وهذا كما حكى الآخَرُ وَقَعَ الْقَنَا وَالسَّيْفُ عِنْدَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ ، فقال :

* وَالطَّعْنُ شَفْشَفَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ^(٢) *

وَيَعْنِي بِنَاتِ الْمَاءِ طَيُورَ الْمَاءِ . وهذا كما يقال في الوحش : بَنَاتُ الْفَلَا ، وللنواثب : بَنَاتُ الدَّهْرِ .

٤ - لَفَفْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمَّنَا مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعَا

يقول : استأنفنا حالةً جامعةً لَنَا وَلِعَشِيرَتِنَا ، فَاسْتَبَدَلْنَا بِالْتَّبَائِنِ اجْتِمَاعًا ، وَبِالتَّزَايُلِ اخْتِلَاطًا ، وَبِالتَّنَافُرِ تَأَنُّسًا ، وَبِالتَّشَارُدِ تَأَلُّفًا ، حَتَّى صِرْنَا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى الْمُنَابِذِينَ ، وَلِسَانًا وَاحِدًا عَلَى الْخَالِفِينَ ، فَمَنْ رَمَى وَاحِدًا مِنَّا فَقَدْ رَمَى جَمِيعَنَا . هذا إذا رويت : « مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعَا » . ومن روى : « مِنْ يَرْمِيهِمْ يَرْمِنَا مَعَا » يكون المعنى في اجتماع الكلمة أَيْبِن . وفي هذه الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٣) :

فَأَمْسَى كَغَبْهَا كَغَبًّا وَكَانَتْ مِنَ الشَّنَّانِ قَدْ دُعِيَتْ كِعَابًا

(١) هي ردينة ، واسم زوجها سمهر ، كانا يقومان بالرمح بخط هجر ، فنسبت إلى كل منهما . اللسان (سمهر ، ردن) .

(٢) البيت لبيد مناف بن ربح الهذلي . اللسان (شفع ، هقع ، عول ، عضد) وبقيّة أشعار الهذليين ص ٣ . وقد سبق الاستشهاد به في ص ٣٧ . وعجزه :

* ضَرْبُ الْمُحُولِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْمُضْدَا *

(٣) هو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب . المفضليات (٢ = ٢٥٨) .

١٣٢

وقال آخر^(١) :

١- يازمِلُ إِنِّي إِنْ تَكُنْ لِي حَادِيَا أَعْكِرُ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرْمُغْ لَا تَسْبِقُ^(٢)

يقول : إِنْ تَخَلَّفْتَ عَنِّي حَتَّى يَكُونَ مَكَانُكَ مَكَانَ الْحَادِي مِنَ الْبَعِيرِ أَعْطِفَ عَلَيْكَ . وَإِنْ تَقَدَّمْتَنِي هَارِبًا حَتَّى تُصِيرَ كَالْحَادِي لِي مُسْتَعْمَلًا الْخُدَاعِ وَالرَّوَاغَ مَعِيَ لَمْ تَفُتَّنِي . وَالْمَعْنَى : إِنِّي أَذْرِيكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَقَدْ أَحْسَنَ النَّابِغَةُ فِي قَوْلِهِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ وَيُقَالُ عَكَرَ وَعَتَكَرَ بِمَعْنَى عَطَفَ ، وَإِنَّهُ لَعَكَارٌ فِي الْفِتَنِ ، إِذَا كَانَ ثَابِتَ الْقَدَمِ .

٢- إِنِّي أَمْرُو تَجِدُ الرَّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرَّكَّابُ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

يقول : إِنِّي رَجُلٌ يَنَالُ أَعْدَائِي مِنْ عِدَاوَتِهِمْ لِي مَا يَنَالُ الْإِبِلُ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ ، وَهَذَا الْجَنَسُ مِنَ الذُّبَابِ يَتَأَذَى بِهِ الْإِبِلُ تَأَذَّى الْحُمْرُ بِالنَّمَرِ أَوْ أَشَدَّ . وَعِدَاوَتِي يَنْتَصِبُ عَلَى الْمَفْعُولِ . كَأَنَّهُ قَالَ : يَجِدُ الرَّجَالَ مِنْ عِدَاوَتِي ، فَحَذَفَ

(١) عند التبريزي فقط : « وقال ابن دارة » . وابن دارة هو سالم بن مسافع ابن يربوع - ويربوع هو دارة ، وإنما سمي دارة لأن رجلاً من بني الصادر قتل ابن عم ليربوع ، فقتله به وأخذ ابنته ، ثم أرسلها فأنت قومه ، فسألوها عن قتل أباها فقالت : غلام كأن وجهه دارة القمر . انظر الخزانة (١ : ٢٩١) والأغانى (٢١ : ٥٠) .

(٢) زمل هذا ، هو زميل بن أبيير ، أحد بني عبد الله بن مناف ، قاتل ابن دارة . وفي ذلك يقول :

أنا زميل قاتل ابن دارة وغاسل الخزاة عن فزاره .
وكان سالم وزمل جميعاً في صدر الإسلام ، أدركا زمان معاوية .

حَرَفَ الجِرَ ووصل الفعل فَعَمِلَ . يَدُلُّ على ذلك قوله . « وَجَدَ الرَّكَّابُ مِنَ الذُّبَابِ » . ومثله :

* أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ^(١) *

وقوله « عداوتى » يجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل ، أى عداوتى لهم ، ويجوز أن يكون مضافاً إلى المفعول ، أى عداوتهم لى ومعنى تَجِدُ تَحْزَنُ ، ولذلك كان الوجدُ مَصْدَرُهُ . ويجوز أن يكون تجد بمعنى تَنَلَّمَ ، ويكون عداوتى المفعول الأول وَوَجَدَ الرَّكَّابُ المفعول الثانى . والمعنى : إنَّ عداوتهم لى تُقْلِقُهُمْ وَتُنْزِيهِمْ ، فيعلمها الرِّجَالُ مثلَ وَجَدَ الرَّكَّابِ من هذا الجنس من الذُّبَابِ : أى يغالون منها ما يغال تلك منهم . ويحصل فى البيت تجنيسٌ حينئذ .

١٣٣

وقال الحصين بن الحمام ^(٢) :

١- فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا

يقول : قلتُ لهؤلاء القوم : ما لكم تُحْجِمُونَ ولا تُقَدِّمُونَ ، فَقَدْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ولا اهْتَدَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْآخِرِ . وهذا الكلام تَصْجِرٌ مِنْهُمْ لَمَّا تَخَاذَلُوا ولم يكونوا عند الظنِّ فيهم . وَوَضَعَ مُقَدِّمًا موضع الإقدام ، وساغ ذلك لأنَّ مَصَادِرَ الكَلِمَاتِ الصَّادِرَةَ عَنْ أَضْلٍ وَاحِدٍ يَوْضَعُ بَعْضُهَا مَوْضِعَ الْبَعْضِ لِدَاعٍ يَدْعُو إِذَا لم يَكُنْ مِمَّنْ مَانِعٌ . وإنما قُلْتُ هذا لأنَّ قَدَّمَ يكون مرَّةً مَتَعَدِّيًا ،

(١) هو من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف لها قائل . سيبويه (١ : ١٧)
والخزانة (١ : ٤٨٦) . وعجزه :

* رب العباد إليه الوجه والعمل *

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤١ .

ومرة يكون بمعنى تقدّم ولا يتعدّى ، ومُقدّمًا هاهنا مصدر ما لا يتعدّى ، فهو
مِثْلُ تَقَدَّمَ لو قاله ، ومنه مُقدِّمُهُ الجيش ، يُرَادُ متقدِّمته . وقوله « تفادئتم »
اعتراضٌ بين ما لَكُمْ وبين لا تُقدِّمون ، وهو دعاءٌ عليهم . ومثله في الأمرين
جميعاً قولُ الآخر ^(١) :

إِن الثَّانِينَ وَبُلَّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَنِيَّ إِلَى تَرْجُمَانٍ
وإن كان هذا دعاءً خيّر .

٢ - مَوَالِيكُمْ مَوَالِي الْوِلَادَةِ مِنْهُمْ وَمَوَالِي الْيَمِينِ حَابِسًا مُتَقَسِّمًا
إِنَّمَا قَسَمَ الْمَوَالِيَ هَذِهِ الْقِسْمَةَ لِأَنَّ الْمَوَالِيَّ لَهُ مَوَاضِعٌ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ ، مِنْهَا الْمَوَالِي فِي
الدِّينِ : وَهُوَ الْوَالِيُّ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا
وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ
فَعَلَيْ مَوْلَاهُ » ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَرْبِنَةٌ وَأَسْلَمٌ وَغِفَارٌ مَوَالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ » .
وَمِنْهَا الْقَصَبَةُ وَبَنُو الْعَمِّ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ الشَّاعِرُ مَوَالِي الْوِلَادَةِ . وَمِنْهَا الْحَلِيفُ ،
وَهُوَ مَنْ انْضَمَّ إِلَيْكَ وَاعْتَزَّ بِعِزِّكَ وَامْتَنَعَ بِمَنْعِكَ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ مَوَالِي الْبَيْنِ ؛
لِأَنَّهُ يُقَسِّمُ لَهُ عِنْدَ الْانْضِمَامِ بِذَلِكَ ، وَهُوَ الْمُفْتَقُّ لَكَ بِنَتْسَبِ بَنَسَبِكَ ، وَأَنْتَ
مَوْلَاهُ وَذَلِكَ مَوْلَاكَ . وَهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ الْمَوَالِيَّ لَا يَكَادُ يَفْضُلُ الصِّمِيمَ ، قَالَ :
وَلَيْسَ أُبَيِّرُكُمْ كَأُبَيِّرُ سَوَاءً وَمَا جُعِلَ الْمَوَالِي كَالصِّمِيمِ

يَقُولُ تَدَارَكُوا الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ بِالْوَلَاءِ ، وَلِأَنَّ النَّسَبَ ، وَلِأَنَّ الْحِلْفَ
وَالشُّرَّةَ ، فَكُلُّهُمْ ذُو حَبْسٍ عَلَى الشَّرِّ مُتَقَسِّمٌ الْحَالِ ، مَتَوَزَّعٌ الْمَالُ مُقَارَ
عَلَيْهِ ، فَمَا لَكُمْ لَا تَمْتَعِضُونَ وَلَا تُنْكَرُونَ .

وقوله : « حَابِسًا » فِي مَعْنَى مُحْبَسٍ ؛ لَكِنَّهُ أَخْرَجَهُ تَخْرُجُ النَّسَبِ ؛ أَيْ

ذو حَبَسٍ ، وانتصابه على الحال . وقوله « مواليكُم » على هذا انتصب بفعلٍ مُضْمَرٍ ، كأنه قال : أغِيثُوا مواليكُم وتداركوا . ويُروى « حَابِسٌ قَدْ تُقَسِّمًا » . وقيل هو اسمٌ عَلَمٌ ، وارتفاعه على أنه بدلٌ من مولى اليمين ، وقد تُقَسِّمًا في موضعِ الخبر . واكتفى بالإخبار عن المَوَلَّيْنِ لِأَنَّ الموالى انقسموا إليهما .

٣- وَقُلْتُ تُبَيِّنْ هَلْ تَرَى بَيْنَ وَاسِطٍ وَنَهْيِ أَكْفٍ صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمًا^(١)

يُروى « فَارِسًا غَيْرَ أُخْرَمًا » ، كأنه أقبل على واحد منهم فقال : تأمَّلْ هَلْ تَرَى بَيْنَ هَذَيْنِ الموضعين فَارِسًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ . المعنى : أنهم يتواترون أَرْسَالًا في الصَّرَاحِ غير متجمِّعين له ، بل يَتَّبِعُ بَعْضُهُم بَعْضًا في أَرْضِكُم ودياركم يستنصرون فلا يُنْصَرُونَ ، فمَالَكُم لَا تَأْنِفُونَ . ومن رَوَى : « صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمًا » فمعناه مستغِيثًا لَا يُجَابُ ، فكأنه أعجم لَا يُفْهَمُ قوله . يريد : تَبَيَّنْ فَإِنَّكَ لَا تَرَى إِلَّا فَارِسًا أُخْرَمَ ، أَوْ صَارِخًا أَعْجَمَ . والأعجم : الذى لَا يُفْصَحُ . والصارخ والصَّرِيخ واحد ، ويقال صرَخَ فَاَصْرَخْتُهُ ، أى اسْتَعَثْتُ فَاغْتَثْتُهُ . وفي القرآن : ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ والصَّرِخَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْفَزَعِ وَالْمَصِيبَةِ . وفي المثل « لَهُ صَرِخَةُ الْحَبْلِ » . وَالْخَرْمُ : الْقَطْعُ ، وَمِنْهُ أُخْرِمُ الْكَتِفَ ، وَهُوَ مَحْزٌ فِي طَرَفِ عَيْرِهَا^(٢) .

٤- مِنْ الصُّبْحِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ لَا تَرَى مِنَ الْخَلِيلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا

أى ابْتَدَأَ الْأَعْدَاءُ بِغَيْرِ وَنَهَبُونَ ، وَهَؤُلَاءِ بِصَرْخُون وَيَسْتَغِيثُونَ ، مِنْ

(١) التبريزى ومعجم البلدان : « ونهى الأكف » ، ونص ياقوت على أن النهى بالكسر ويفتح . وذكر التبريزى فى بعض رواياته : « غير أخزما » ، وقال : « و صارخ » ، قبل مغيث . وأخزم : جبل . ومعنى البيت على هذا أنه ليس بين هذين المامنين مفزع إلا هذا الجبل .

(٢) فى الأصل : « غيرها » ، وفى م : « غيرها » ، والوجه ما أثبتنا . والعير ، بفتح العين المهملة : كل عظم ذاتى .

وقت الغداة إلى أن غابت الشمس ، فلا ترى من الخليل إلا ما خرج بنفسه لا أو آية له كمثلُه ، وقد أعلم بعلامة ليعرف بلاء صاحبه . وقوله : « من الضبح » ، وُضِعَ مِنْ فِيهِ مَوْضِعٌ مُنْذُ ، لَأَنَّ مُنْذُ فِي الْأَزْمَنَةِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي الْأَمَكَةِ . ومثله قول زهير :

* أَقْوَيْنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ ^(١) *

وقال الأصمعي : الخارجي : كلُّ مُتَنَاهٍ فِي جَنْسِهِ ، فَائِقٍ نَظْرَاهُ فِي مَعْنَاهُ .
والمُسَوِّمُ مِنَ السَّيَا ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ سَيَّأَمُّ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾ .

هـ - عَلَيْنَ فِتْيَانٍ كَسَأَهُمْ مُحَرَّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادًا أَكْرَمًا

يقول : على هذه الخليل رجال كسأهم مُحَرَّقٌ ، أي دروعهم وسائر أسلحتهم مما كان يكسوم ، ويَجْعَلُهُ خِلْعَةً : وَكَانَ مُحَرَّقٌ إِذَا كَسَا الْأَسْلِحَةَ أَيْ بِهَا جَيِّدَةً كَرِيمَةً . وَ مُحَرَّقٌ : لَقِبَ لِعَمْرِو بْنِ هَنْدٍ ، وَكَانَ أَحْرَقَ قَوْمًا مِنْ تَمِيمٍ حِينَ أَجَّجَ النَّارَ بِأَوَارَةٍ ، فَلَقَّبَ بِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا عَاقَبَ عَاقَبَ بِالنَّارِ . وَقَوْلُهُ « إِذَا يَكْسُو » اعْتَرَضَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَهُوَ يَكْسُو وَبَيْنَ الْمَفْعُولِ بِهِ وَهُوَ « صَفَاحٌ بُصْرَى » مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَيُقَالُ أَجَادَ الشَّيْءِ بِمَعْنَى جَاءَ بِهِ جَيِّدًا ، وَبِمَعْنَى جَوْدَهُ . وَكَذَلِكَ أَكْرَمَهُ يَكُونُ بِمَعْنَى أَتَى بِهِ كَرِيمًا ، وَبِمَعْنَى كَرَّمَهُ . وَقَدْ تَوَسَّعُوا فِي كَسَا وَإِنْ كَانَ أَصْلُ الْكُسُوةِ اللَّبَاسُ ، فَقِيلَ : اكَتَسَى الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ ، عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَقَالَ رُوَبَةُ يَصِفُ الثَّوَرُ وَالْكَلَابُ :

* وَقَدْ كَسَا فِيهِمْ صَبْعًا بَرْزَعًا *

أَي كَسَا الْكَلَابَ دَمًا طَرِيًّا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ نَبَالٍ :

* وَزُرْقٍ كَسَتْهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ *

أى قَذَّهَا من ريش مَضْرَحِيٍّ . فعلى هذا قوله « كَسَامٌ مُحَرَّقٌ » .

٦- صَفَائِحُ بُضْرَى أَخْلَصَتْهَا قُيُونُهَا وَمُطَرِّدَا مِنْ نَسِيجِ دَاوُدَ مِنْهُمَا

صفائحٌ انتصَبَ على أنه مفعولٌ ثانٍ من كَسَامٌ مُحَرَّقٌ . وَبُضْرَى : قَرْيَةٌ بالشام تُطْبَعُ بها السُّيُوفُ . فيقول : كَسَامٌ مُحَرَّقٌ سُّيُوفًا بُضْرِيَّةً ، اتَّخَذَهَا طَبَاغُهَا من خالصِ الحديد ، وَدُرُوعًا لَيِّنَةً سَهْلَةً سَلَسَةً ، مُتَابَعَةً السَّرْدِ ، تَطَرَّدُ ولا تَخْتَلِفُ ، دَاوُدِيَّةً . والصفائحُ : جمع صفيحة ، وهى كلُّ سيفٍ عريضٍ أو خشبيٍّ عريضة . ويقال سيفٌ مُصَفَّحٌ أيضًا ، أى عريض ، كأنه زِيدَ فى صَفَحَتَيْهِ ، أى جَانِبَيْهِ . ويقال أَصْفَحَ سَيْفُهُ ، أى ضَرَبَ بِصَفْحِهِ . ومعنى أَخْلَصَتْهَا : أَتَتْ بِهَا خَالِصَةَ الحديد . واستعملَ الْكِسْوَةَ فى السيفِ كما يستعملُ فيه الْبَرُّ . قال :

* فَوُفِّرَ بَرٌّ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ ^(١) *

يريدُ السيفَ . ووصَفَ الدَّرْعَ بِالْأَطْرَادِ لِتَتَابَعِ سَرْدِهَا على حَدٍّ واحدٍ ، لا اختلافٍ فى حَلَقِهَا ، ولا تَفَاوُتٍ فى نَظْمِهَا . وَجَعَلَهَا مِنْهُمَا لِإِحْكَامِهَا .

٧- فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلِمًا ^(٢)

يقول : لما رَأَيْتُ الْأَمْرَ مُسْتَفْجِلًا ، وَالخَطْبَ عَظِيمًا مُسْتَفْظَعًا ، وَالصَّبْرَ عَامًّا لَنَا كُفْلًا ، مَغْلُوبًا عَلَيْهِ مَمْنُوعًا ، صَبَرْنَا نَحْنُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِنَا عَلَى عَادَتِنَا الْمَعْدُودَةِ مِنَّا ، وَوُطَّنًا أَنْفُسَنَا عَلَى الشَّرِّ . ويجوز أن يريد بقوله « لما رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ » لما رَأَيْتُ الْوَقْتَ وَقَتًا يُعَالُ فِيهِ الصَّبْرُ ، وَيُحَالُ بَيْنَ طَالِبِيهِ وَبَيْنَهُ .

(١) لقيس بن عيزارة الهذلى ، فى ديوان الهذليين (٣ : ٧٨) . وصدده :

* فويل ام بزجر شعل على الحصى *

(٢) م : « ولما رأيت » . التبريزي : « ولما رأينا الصبر » .

وقوله « وإن كان يوماً ذا كواكب مُظلمًا » اعتراضٌ بين لَمَّا وجوابه ، وهو شَرْطٌ في وقوع الصبرِ منهم يُترجم عن الحال . أى صَبَرْنَا وإن كان اليومُ يوماً مُظلمًا تُرى فيه الكواكب ظهراً ، لانسداد عين الشمس بغير الموت . وجوابُ الجزاء استغنى عنه بجواب لَمَّا . وروى بعضهم : « وأن كان يوماً » بفتح الهمزة على أن يكون أن مخففة من الثقيلة ، والمرادُ وأنه كان اليومُ يوماً ذا كواكب . وهذا الراوى لعله لم يعرف الاعتراضاتِ والفصاحةَ فيها ، والتبسَ للمعنى عليه أيضاً .

٨ - صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمِصْصَاً^(١)

يقول : حملنا أنفسنا على المكروه ، وحسبناها في مجالِ الموت والشر ، وكان ذلك منّا عادةً وطبيعةً . وقوله « أسيافنا » يجوز أن يتعلقَ الباءُ منه بصَبَرْنَا ، واعتراضُ بينهما قوله « وكان الصبرُ منّا سَجِيَّةً » ، إذ كان أراد أن يُبين أن ذلك الفعل ليس بمُسْتَبَدِعٍ ولا مُسْتَنَكِرٍ من أخلاقهم . ويجوز أن يتعلقَ بما دَلَّ عليه « وكان الصبرُ منّا سَجِيَّةً » . وَيَقْطَعْنَ في موضع الحال للأسياف على الوجهين جميعاً . وفي طريقته قول نهشل بن حرّى :

وَيَوْمٍ كَانَ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قُعُودٌ عَلَى جَحْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى يَبُوخَ وَإِنَّمَا تُفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرْبَةِ بِالصَّبْرِ

٩ - نَفَلَقْ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

يقول : نَشَقُّ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا وَيَعِزُّونَ ، لَمَّا يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ الْوَكِيدَةِ ، وَالْحُرْمِ الْقَوِيَّةِ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَسْبَابِ ، وَهُمْ كَانُوا

(١) ابن جني : « يريد أكفا ومعاصم ، فوضع الواحد موضع الجمع . . . وجاز ذلك لأنها إنما يقطعها كفا كفا ، ومعصما معصما ، فتصور هذه الحال فوجد » .

أشدَّ عقوقاً وأتمَّ ظلماً ، بما أطرحوه من مراعاة الحقوق ، وبدءوا به من تناسي اليهود ، واستعجلوه من البنى ، وسلكوه من سنن النبی . ویروی أن یزید ابن معاوية لا رحمه الله^(١) تمثل بهذا البيت لما وُضِعَ بين يديه رأسُ الحسين ابن علی رضى الله عنهما .

١٠- ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافعی تمحَّدتُ إلى الأمر الذي كان أحزماً

١١- فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بذلةٍ ولا مُرتقي من خشيةِ الموتِ سلماً

قوله « إلى الأمر الذي كان أحزماً » جعلَ الحزَمُ للأمر كما جعلَ له العزَمُ في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ ، فكلُّ ذلك مجازٌ واتساعٌ . وصَلَحَ أن يريد بقوله أحزَمَ ، أحزَمَ من غيره ، لوقوعه خبراً ، لأنه كما يجوز حذف الخبر بأسره إذا دَلَّ دليلٌ عليه ، كذلك يجوز حذف ما يتيمُّ به منه إذا لم يلتبس بغيره ، ولم يختلَّ الكلامُ بسببه . وقوله « لما رأيتُ الودَّ » حَذَفَ المضاف فيه وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : لما رأيتُ مراعاة الودِّ ومحافظته ، أو إظهار الود وإبقائه . ومعنى البيت : لما رأيتُهم لا يَرْتَدِّعُونَ عن ركوب الرأس ، والمجاذبة إلى أقصى ما في الطُّوق من اللِّجاج والشرِّ ، قصدتُ إلى ما كان أجمعَ للحزَمِ معهم من مكاشفتهم ، وتركِ الإبقاء عليهم ؛ لأن ظهور التعادى والتكاشف خيرٌ من ركوبِ الغرور^(٢) مع التشابك . ويلاحظ هذا البيت قولُ الآخر :

إذا حاجةٌ عزَّتْكَ لا تستطيها فدعها لأخرى لينَّ لك بابها

وقوله « فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبَّةٍ^(٣) » ، يقال ابتاعَ الشيء بمعنى اشترى ،

(١) م : « لعنه الله » .

(٢) الرواية في متن البيت : « بذلة » . أما رواية « بسبة » فقد أشار إليها التبريزي .

(٣) كذا في النسختين . والوجه « الغرر » .

وإن كان بَعْتُهُ بمعنى اشترَيْتُهُ وبعْتُهُ جميعاً . والسَّبَّةُ : الخَصْلَةُ التي يُسَبُّ بها ،
فهي كالأُجْنَةِ والعُرَّة^(١) . يقول : فَعَلْتُ ذلك ، فإنني لست ممن يَطْلُبُ العَيْشَ مع
الدُّلِّ ، ولا يَمُنُّ بِرَتَقِي في الأسباب خوفاً من الموت ، بل المِيتَةُ الحَسَنَةُ على
ما يتعقَّبُها من الأحْدُوثة الجميلة آثَرُ عندنا ، وأَوْقَعُ من هَوَانَا ، من العيشة الذَّمِيمَةِ
على ما يُخَالِطُهَا من الرِّضَا بالدَّيْنَةِ .

١٣٤

وَقَالَ بَشَامَةُ بْنُ الْغَدِيرِ^(٢) :

١- وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِحَنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا لَمَّا وَنَى عَنْ نَصْرِهَا خُدَّالَهَا

خِنْدِفٌ . لَقِبْتُ لِلَّيْلِ امْرَأَةَ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ ، لقولها لزوجها يوماً : مَا زِلْتُ
أُخْنِدِفُ فِي أَثَرِكُمْ - وَالْخُنْدِفَةُ : مشية كالمُرْوَلَةِ - فقال لها : وَأَنْتِ خِنْدِفٌ .
فلزِمَها ، فصارت مُضَرُّ نَسْلِينَ : أحدها ولد قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ ، والآخر خِنْدِفٌ .
وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ظَلِمَ . فَنَادَى : يَا خِنْدِفُ^(٣) . فخرج
الزُّبَيْرُ وبيده السَّيْفُ ، وهو يقول : خِنْدِفُ أَيُّهَا الْخِنْدِفُ ، والله لئن كُفْتُ مَظْلُومًا

(١) في الأصل : « والعمره » وفي م : « والغرة » ، والوجه ما أثبتنا ، والعمره
يوزن المهجنة : ما يعترى المرء من جنون .

(٢) جعل التبريزي هذه الحماسية لبشامة بن حزن : وقال : « قال أبو هلال : في
الشعراء رجلان يقال لهما بشامة ، أحدهما بشامة بن الغدير ، وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة
بن عوف بن سعد بن ذبيان . . . والآخر بشامة بن حزن النهشلي ، وهذا الشعر له . وقال
الآمدى : هو لبشامة بن الغدير . وابن الغدير خال زهير بن أبي سلمى ، كما في المؤتلف
للآمدى ص ٦٦ . وقد سبق لبشامة بن حزن الحماسية رقم ١٤ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزي : « خندف إليك أيها الخندف » ، وصواب
هذه الأخيرة : « أخندف إليك أيها الخندف » ، كما في اللسان (خندف) ، وقال : « يقول :
يا من يدعو خندفاً أنا أجيبك وآتيك . قال أبو منصور : إن صح هذا من فعل الزبير فإنه كان
قبل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التعزى بمزاء الجاهلية » .

لَا نُضَرَّكَ . يَقُولُ : عَضِبْتُ لِنَسَلِي مُضَرَّ خِنْدِفٍ وَقَيْسٍ ، لِمَا وَفَى عَنْ مَعَاوِثِهَا
وَالشُّهُوسِ لَهَا نُضَارُهَا . وَيُقَالُ وَنَى بَيْنِي وَبَيْنَا ، وَهُوَ وَانٍ . وَإِنَّمَا قَالَ : « خُذْهَا »
وَلَمْ يَقُلْ نُضَارُهَا ، لِأَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ قَتَلْتُ
فَتِيلَ بَنِي فُلَانٍ ؛ وَقَدْ مَضَى لَهُ أَشْبَاهُ وَأَمْثَالُ . فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ تَبَرَّعَ بِمَا كَانَ
مِنْهُ مِنَ الْمُدَافَعَةِ دُونَهُمْ وَالْمُقَاتَلَةِ عَنْهُمْ ، فَلِذَلِكَ تَحَمَّدَ بِهِ . وَقَالَ غَضِبْتُ لَهُمْ لِمَا
رَأَيْتُ مِنْ وَجَبِ نُضَرَتِهِمْ عَلَيْهِ خَذَلَهُمْ . وَجَوَابُ لَمَّا وَنَى ، مَا هُوَ صَدْرُ الْبَيْتِ .

٢ - دَافَعْتُ عَنْ أَغْرَاضِهَا فَفَنَعْتُهَا وَلَدَى فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا

هَذَا تَفْسِيرٌ لِلْغَضَبِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَبَيَّانٌ نَتِيجَتُهُ . وَالْعَرَضُ : النَّفْسُ ،
وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْحَسَبِ . يَقُولُ : ذَبَبْتُ عَنْهَا وَمَنَعْتُ الْأَعْدَاءَ مِنْهَا ، وَلَدَى فِي
أَمْثَالِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ أَمْثَالُ هَذِهِ النُّصْرَةِ . هَذَا وَجْهٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ وَلَدَى فِي
أَمْثَالِ هَذِهِ النُّصْرَةِ أَمْثَالُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ . وَالْقَرَائِنُ الَّتِي تَسُوِّغُ رَدَّ الضَّمِيرِ
إِلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ حَاضِرَةٌ فِي الْكَلَامِ قَوِيَّةٌ .

٣ - إِنِّي أَمْرُو أَسْمِ الْقَصَائِدِ لِلْعِدَى إِنَّ الْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

هَذَا يُمْكِنُ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى صِحَّةِ الْمَعْنَى الثَّانِي ، وَمَعْنَى « أَسْمُ الْقَصَائِدِ » :
أَعْلَاهَا بِمَا يَصِيرُ كَالسَّمَةِ عَلَيْهَا ، حَتَّى لَا تُنْسَبَ إِلَى غَيْرِهَا ، وَحَتَّى يُعْرَفَ مِنْهَا
السَّبَبُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ ، فَمَنْ سَمِعَهَا عَرَفَ قِصَّتَهَا ؛ وَلِهَذَا قَالَ إِنَّ الْقَصَائِدَ
شَرُّهَا أَغْفَالُهَا ، أَيْ شَرُّ الشُّعْرِ مَا لَا مِيسَمَ لِقَائِلِهِ وَلِلْقَوْلِ فِيهِ عَلَيْهِ . وَيُقَالُ
دَبَّةٌ غُفْلٌ ، إِذَا عَرِيَ مِنَ الْأَعْلَامِ . وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ فِي الْبَيْتِ إِنَّهُ مَقْلُوبٌ ،
وَالْمُرَادُ أَسْمُ الْعِدَى يَقْصَائِدِي ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

(١) هُوَ الْمُتَلَمِّسُ . دِيَوَانُهُ ص ١ نَسْخَةُ الشَّنْقِطِيِّ بِدَارِ الْكُتُبِ وَالْكَامِلِ ١٥٨ لَيْبِسْكَ .

* جَعَلْتُ لَهُ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمًا ^(١) *

والأول أَكْشَفُ وَأَصَحُّ ، بِدِلَالَةِ أَنَّ الْفُعْلَ جَعَلَهُ مِنَ الْقَصَائِدِ ، فَكَذَلِكَ الْمَوْسُومُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا ^(٢) .

٤- قَوْمِي بَنُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ بِجَمْعِهِمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَا إِشْعَالُهَا يُرَوَّى « وَالْمَشْرِفِيَّةُ بِالْجُرِّ » وَيَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ قَوْمِي إِخْوَانُ الشَّرِّ الْفُظُيْعِ ، وَأَبْنَاءُ الْحَرْبِ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرْءَةٌ بَعْدَ أُخْرَى ، فَصَارَتْ عَوَانًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بِكْرًا ، أَيْ رُفِعَتْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ أَشَدَّ مِنْهَا ، وَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْآخَرِ :

فَلَسْنَا مِنْ بَنِي جَدَاءَ بِكِرٍ وَلَكِنَّا بَنُو جَدٍّ النَّقَالِ

وعلى ما ذكرنا يتمُّ الكلامُ بقوله العَوَانِ ؛ ثُمَّ قَالَ « بِجَمْعِهِمْ » أَيْ بِاجْتِمَاعِ قَوْمِي وَاجْتِمَاعِ آلَاتِ الْحَرْبِ اشْتَعَلَتْ نَارَهَا . وَالْبَاءُ مِنْ بِجَمْعِهِمْ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ إِشْعَالُهَا . وَيُرَوَّى « وَالْمَشْرِفِيَّةُ » بِالرَّفْعِ ، وَيَكُونُ عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ تَمَامُ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ بِجَمْعِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْبَاءَ مِنْهُ حِينَئِذٍ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ الْعَوَانِ ^(٣) . وَالْمَعْنَى : قَوْمِي بَنُوا الْحَرْبَ الَّتِي عُوْنَتْ ، أَيْ صَارَتْ عَوَانًا بِهِمْ ، وَاجْتِمَاعَ جَيْشِهِمْ ؛ ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْكَلَامَ ؛ فَقَالَ : « وَالْمَشْرِفِيَّةُ وَالْقَنَا » ، وَالْمُرَادُ وَاشْتِعَالُ نَارِهَا بِالرَّمَاكِ وَالسَّيُوفِ الْمَشْرِفِيَّةِ .

(١) صواب الرواية : « جعلت لهم » . وصدر البيت :

* ولو غير أحوالى أرادوا نقيضتى *

(٢) التبريؤى : « قال أبو العلاء : أَيْ أَجْعَلُ فِيهَا شَيْئًا تَشْهَرُ بِهِ وَتَعْرِفُ ، كَمَا تَعْرِفُ النَّاقَةَ بِسَمَتِهَا . وَأَمَّا الشَّعْرَاءُ الْيَوْمَ فَيَجْعَلُونَ الْمَوْسُومَ مِنَ الشَّعْرِ مَا ذَكَرَ فِي قَافِيَتِهِ اسْمَ الْمَدْرُوحِ ، كَقَوْلِ الْأَعَشَى :

فَأَلَيْتَ لَا أَرُثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَنًى حَتَّى تَلْقَى مُحَمَّدًا .

(٣) ابن جني : « وَالْقَنَا إِشْعَالُهَا ، أَيْ ذَوَاتُ إِشْعَالِهَا لِيَكُونَ الثَّانِي الْأَوَّلَ ، وَهَذَا وَاضِحٌ . وَالْبَاءُ فِي بِجَمْعِهِمْ حَالٌ مِنْ قَوْمٍ ، أَيْ قَوْمِي فِي حَالِ اجْتِمَاعِهِمْ بَنُوا الْحَرْبَ . وَعَمَلٌ فِيهَا مَا فِي بَنَى الْحَرْبِ الْعَوَانَ مِنْ مَعْنَى الْفُعْلِ . أَلَا تَرَاهُ فِي مَعْنَى صَبَرٍ وَمُقَدِّمُونَ » .

وهذا الكلام - أعنى والمشرقية - وإن استؤنفَ به فمن صفة الحرب . وقيل في المشرقية إنها نسبت إلى المشارف ، وهى فردى معروفة تجلب منها وتطبخ بها . ويقال : أشعلت النار فى الحطب ، وأشعلت الخيل فى الغارة ، وأشعلته غضباً .

٥- ما زال معروفاً لمرّة فى الوغى عُلّ القنا وعليهم إنزالها

ما زال لدوام الماضى ، وارتفع عُلّ القنا على أنه اسمه ، وخبره معروفاً . والمعنى : سقى الرّماح عللاً بعد نهل عادية معروفة لهم ، فيما تقادم من الأيام إلى الآن إذا حضروا الحرب . والعُلّ والعَلْلُ : الشربة الثانية ، ويقال : عُلّ إبله يعلمها فَعَلَّتْ هى . وأنَهَلْتُ الإبل ، إذا سقيتها أولاً ، فَنَهَلَتْ ، إذا شربت فى أول الورود حتى رويت . ومثل هذا البيت قول الآخر :

نَهَلْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنَهَلْنَا الْقَنَا حَتَّى رَوَيْنَا

وتوسّعوا فى الاستعمال حتى سمّوا منازل السّفَر على المياه مناهل . وإنما قال : « وعليهم إنزالها » لأنه كأنه جعل ذلك واجبا عليهم .

٦- من عهد عادٍ كان معروفاً لنا أَسْرُ الملوِكِ وقَتْلُها وقِتالُها

وَضَعَ مِنْ فى قوله « من عهد عادٍ » موضع مُنْذ لقوتها وكثرة تصرّفها وتمكّنها فى باب الجرّ ، وأداء معنى الابتداء ، ومثله قول الله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ ﴾ ، وقول الراجز :

من غُدُوِّ حَتَّى كَانَ الشَّمْسُ بِالْأَفُقِ الْغَرْبِيِّ تَطْلَى وَرْسَا

ومعنى البيت أنه تَبَّه على مجاذبتهم للملوِك والعِلية ، لا للأذنان والسفلة . والقتال فى ترتيب الفعل مُسَابِقٌ ^(١) للأسر والقتل ، لكنّه لم يُبال بتأخيره فى ترتيب اللفظ ، لأنّ الواو لا يُوجِبُ فى العطف ترتيباً ، إنما هو موضوعة للجمع

فقط ، وَتَبَجَّحَ أَيْضًا بِأَن ذَلِك قَدِيمٌ فِيهِمْ ^(١) مِنْذُ زَمَنِ عَادٍ لَا حَدِيثَ .

١٣٥

وَقَالَ أَرْطَاةُ بْنُ سُهَيْبَةَ ^(٢) :

١ - وَنَحْنُ بَنُو عَمٍّ عَلَى ذَاكَ بَيْنَنَا زَرَّابِي فِيهَا بَغْضَةٌ وَتَنَافُسٌ ^(٣)

يقول : نحن أبناء عمٍّ ، وعلى ما بيننا من القرْبَى وَالْقَرَابَةِ فُرِشَتْ بَيْنَنَا بُسْطُ شَرٍّ تَشْتَمِلُ عَلَى تَبَاغُضٍ وَتَحَاسُدٍ . وَذِكْرُ الزَّرَّابِيِّ مَثَلٌ هَاهُنَا ، وَهِيَ الْبُسْطُ ، وَاحِدُهَا زَرِّيَّةٌ وَزَرِّيٌّ ^(٤) ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهِيَ فِي لُغَةٍ أُخْرَى الشَّوَاذِكِينَ ^(٥) . وَأَنْشُدْ لَذِي الرُّمَّةِ :

تَرَدَّيْتُ مِنْ أَفْوَافِ نَوْرِ كَأَنَّهَا زَرَّابِي وَأُرْتَجَّتْ عَلَيْكَ الرِّوَاعِدُ

وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ ﴾ ؛ أَيْ مَفْرَقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ . وَيُقَالُ : اطْوَيْ سِطَ الشَّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . وَيَقُولُونَ أَيْضًا : أَعْطَانِي فُلَانٌ فِي بَسَاطٍ كَلَامِهِ كَذَا ، أَيْ فِيمَا بَسَطَ مِنْهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي الزَّرَّابِيِّ : إِنَّهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَدِيمًا مِنْهُمْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م .

(٢) ذَكَرَ ابْنُ جَنِّي فِي الْمَبْجُحِ أَنَّ الْأَرْطَاةَ وَاحِدَةً الْأَرْطَى ، وَأَنَّ سَهْبِيَّةَ تَحْقِيرِ سَهْوَةٍ ، يُقَالُ فَرَسٌ سَهْوَةٌ ، إِذَا كَانَتْ سَهْلَةً الْجَرَى . وَسَهْبِيَّةُ أُمُّ أَرْطَاةَ غَلَبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، وَأَبُوهُ زُفَرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ . وَأَرْطَاةُ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ لَمْ يَسْبِقْهَا وَلَا تَأَخَّرَ عَنْهَا ، وَقِيلَ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَعَاشَ إِلَى خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . وَهُوَ مِنْ بَنِي مَرْوَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَانَ مِنْ وَفْدٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ عَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً . الْأَغَانِي (١١ : ١٣٤ - ١٤٠) وَالْإِسْتِشْقَاقُ ١٧٦ - ١٧٧ وَالْإِصَابَةُ وَاللَّكْنُ ٢٩٩ : ٦٣٠ .

(٣) التَّبَرِيزِيُّ : « قِيلَ إِنَّهَا فِي دِيْوَانِ أَرْطَاةَ : زَرَّابٍ عَلَى مِثَالِ غَرَّابٍ ، فَكَأَنَّهُ جَمْعُ زَرِّيَّةٍ ، فَجَعَلَ الْعِدَاوَةَ زَرِّيَّةً لِأَنَّهَا تَزْرُبُ فِي الْقَلْبِ ، أَيْ تَدْخُلُ » . وَأَنْشُدَهُ أَبُو النَّدَى « زَرَّابٌ » وَهِيَ الْقَوَارِصُ ، قَالَ أَبُو النَّدَى : وَلَا أَعْرِفُ لَهَا وَاحِدًا .

(٤) بِتَثْلِيثِ الزَّاي فِيهِمَا ، كَمَا فِي اللِّسَانِ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْفِعْلُ . وَلَعَلَّ لَهُ صِلَةٌ بِكَلِمَةِ « شَادْكُونَهُ » الْفَارْسِيَّةِ ، بِمَعْنَى مَا يَنَامُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَشْيَةٍ وَنَحْوِهَا . انْظُرْ مَعْجَمَ اسْتِجْنَاسٍ ٧٢٢ .

الْقُطُوعُ الْحَيْرِيَّةُ الرَّقِيقَةُ . وفي كلام بعض الفصحاء : « فُرِشَتْ بَيْنَنَا قُطُوعُ النَّأَمِ » . فعلى هذا استعمل هذا الشاعر الزرابي . فأما قوله « على ذاك بيننا » ، فإنما أشار بذلك إلى ما جمعهم من سبب العمومة ونسبها . ويروى : « على ذات بيننا ، زرابي » كأنه أراد بذات بينهم خالصة النسب والقربة ، ثم جعل فوقها ما قد غمرها وسترها من زرابي الفساد . ويروى :

..... على ذاك بيننا تناء وفينا بغضة وتنافس

والعنى : وعلى ما يجمعنا من الرّحم ينأى بعضنا عن البعض ، ومع ذلك بيننا تدابرٌ وتباغضٌ ، وتهاجر وتقاطع . كأنهم جعلوا التناقض مداواةً في إزالة ما بينهم فلم ينفع .

٢- ونَحْنُ كَصَدْعِ الْعُسِّ إِنْ يُعْطَ شَاعِبًا يَدْعُهُ وَفِيهِ عَيْبُهُ مُتَشَاخِسُ

العُسُّ : القَدْحُ الضَّخْمُ . والشَّعْبُ ، يستعمل في الجمع والتفريق . ويقال أيضاً : تفرّق شعبهم . والشاعِبُ هاهنا : مُضْلِحُ القِدَاحِ . يقول : استَحْكُم الفسادُ بيننا حتى لا يَقْبَلَ صُلْحًا ولا صَلَاحًا ، وتفاقم الانصداع حتى لا يلتحم تباينًا وتدافُعًا ، فلن تعودَ الحالُ إلى ما كانت وإن أَمَسَكْنَا عن إثارة الشرِّ والزيادة فيه زمانًا ، وتصنّفنا في الاحتمال والمقاربة إبقاءً على الحظِّ من المراجعة وإذناء ، بل يكون ما بيننا كالشَّقِّ في القَدَحِ ، إِنْ أُعْطِيَ شَاعِبًا تَرَكَهُ وَالْعَيْبُ ظَاهِرٌ فِيهِ ، غير مُنْكَرٍ ولا خافٍ . والمتشاخِسُ : المتفاوتُ المتباينُ . ومنه قولهم : تشاخست أسنانه من الكِبر ، إذا اختلفت . قال الخليل : هو أن يسقط بعضها ويميل بعضها . وقيل الشَّخْسُ في الأصل فتّح الفم للتشاؤب . ويجوز أن يريد بقوله « وفيه عيبه » : ومعيبه هكذا . وفي طريقته قول الآخر :

وَمِنَ الْمَوَالِي صَبُّ جَنْدَلَةٍ نَخِرُ الْمَوَدَّةَ ظَاهِرُ الْغَمْرِ

وقد أحسن أبان اللاحيقي في مُزْدَوِجَتِهِ حينَ قال :

وإنما مودَّةُ الأُشمرار في وَهْيِها كمثلِ الفَخَّارِ
بصِبْهِ أَدْنَى يَدٍ فَيَنْكَسِرُ^(١) وليس يُرَى شَعْبُهُ إِذَا جُبِرَ

٣- كَفَى يَبْنِنَا أَلَّا تُرَدُّ تَحِيَّةٌ عَلَى جَانِبٍ وَلَا يُشَمَّتُ عَاطِسٌ

يُرَوَّى « يَشَمَّت » بالشين والسين ، وهما بمعنى واحد ، وسمعتُ أبا عليّ
الفراسيّ يقول في اشتقاق التَّسْمِيتِ بالسين غير معجزة - وهو قولك للعاطس :
يَرْحَمُكَ اللَّهُ - فقال : كأنه إذا عطَسَ لحقته نَفْضَةٌ في جسمه ، فإذا دعا الداعي
له فكأنه رَدَّه إلى سَمْتِهِ وهذيه . وقال في التسميت بالشين معجزة : كأنه التثبیت
من الشَّوَامِيتِ وهى القوائم^(٢) . يقول : يكفيك من الشرِّ الرَّائِبُ بيننا أنه لا تُرَدُّ
تَحِيَّةُ الْوَاحِدِ مِنَّا - يريد جوابَ تسليمه - وإن كان الالتقاء معه عن عُفْرِ
كالالتقاء مع الأجانب والغُرباء ، وأنه إذا عطَسَ واحدٌ لا يُتَلَقَّى بالدُّعاء له
على ما استمرَّ وعُرف من عَادَةِ النَّاسِ في تَنَادِيهِمْ وتجاورهم^(٣) . وقوله « كَفَى
بيننا » هو بينَ الذى كان ظَرْفًا ، فنقله إلى باب الأسماء . ومثله قولُ الله
عز وجل : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾^(٤) وقال الشاعر^(٥) :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَثْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالَيْهَا جَرُورٍ

ويجوز أن يُرَوَّى « أَنْ لَا تُرَدُّ » بالرفع ، وكذلك « وَلَا يُشَمَّتُ » على أَنْ

(١) كذا في الأصل ، رفى م : « أدنى أدنى » .

(٢) قال ابن جنى : « وذلك أن القائمة هى التى تحمل الفرس ونحوه ، وبها عصمته ،
وهى قوائمه . وكأنه إذا دعا له فقد ثبت أمره وأنهضه وأحكم دعائمه » .

(٣) كذا في النسختين ، بالجيم .

(٤) وردت في الأصل بفتح النون والاستشهاد يقتضى ضمها كما في م . والأولى قراءة نافع
وحفص والكسائي وأبي جعفر ، وقرأ الباقر بالضم . إتحاف فضلاء البشر ٢١٣ في سورة الأنعام .

(٥) هو مهلهل . انظر الكامل ٢١٢ ، ٣٥٢ ليبسك . وانظر القصيدة بتامها في

أمال القائل (٢ : ١٢٩ - ١٣٣) .

تَجَعَلَ أَنْ تُخَفِّفَ مِنَ الثَّقِيلَةِ . ويكون المراد أنه لا تُرَدُّ تَحِيَةً . ومثله قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعَ ﴾ ، بالنصب والرفع .

١٣٦

وقال عقيل بن علفة^(١) :

١ - تَنَاهَوْا واسألوا ابن أبي ليبيدٍ أَعْتَبَهُ الضُّ — بَارِمَةُ النَّجِيدِ

يقول : كُفُّوا عما أتم عليه من تهيج الشر ، وأمسكوا عن الشر في تأريث
فار الحرب ، واسألوا هذا الرجل : هل أرضاه الأسدى القوي الغليظ الشديد لما
تحكك به ، وهل وقاه ما استحققه عليه . كأنه جعل إنزاله السوء به والزيادة
عند تكرره له إعتايا ، على التهكم والسخرية . ومثله في ذلك قول بشر :

غَضِبْتَ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتِّلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ

والضُّبَارِمَةُ ، قال الخليل : هو الجريء على الأعداء . وسمى الأسدُ ضُبَارِمًا .
قال : ويُقال هو الأسدُ الوثيقُ الخلقِ ، المكتنز اللحم . ويجوز عندي أن يكون
من معنى المضبر لا من لفظه ، فيكون من باب دَمِتِ ودَمَثِرِ ، ودَلَامِصٍ
ودِلَاصٍ وَسَبِطٍ وَسَبْطَرٍ . والنَّجِيد : ذو النَّجْدَةِ ، وهى البأسُ والشدة .

(١) هو عقيل بن علفة بن الحارث المرى . شاعر مجيد من شعراء اللعلة الأموية ، وكان
معروفًا بكبره واعتزازه بنفسه . وانظر أخباره في الأغاني (١١ : ٨١ - ٨٩) وابن سلام
٢١٤ والخزانة (٢ : ٢٧٨ - ٢٧٩) . وعقيل ، بفتح العين ، قال ابن جني في المبهج :
« اسم مرتجل ، ويمكن أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول ، أى معتول ... واللفظ : ثمر الأراك ،
الواحدة علفة » .

٢ - وَلَسْتُمْ فَاعِلِينَ إِخَالُ حَتَّى يَنْالَ أَقاصِي الحَطَبِ الوُقُودُ

حَذَفَ مفعولَ قوله فاعلين ، وهو ما دَلَّ عليه قوله في البيت قبله « تَنَاهَوْا » كأنه قال : وَلَسْتُمْ فاعلين التَّنَاهِي . يقول : ما أرى أنكم تنهون إلى ما رَسَمْتُ ، أو تَقْبَلُونَ كلامي الذي إليه أَشَرْتُ ، حَتَّى يَنْقُضَ الحَطَبُ ، وَيَبْلُغَ البلاءُ أَقصى مبالغِ الجهدِ ، فَيَتَعَدَّى الأَقاربَ إلى الأَباعد ، وَيَتَأَدَّى مِنَ السَّقِيمِ إلى البَرى . . . وَذَكَرَ الحَطَبَ والوقود هاهنا مَثَلًا لِتَفَاقُمِ الشَّانِ واستفحالهِ ، واتَّساعِ المكروه واشتِمالهِ . وقد مَضَى القولُ في « إِخَالُ » وكَسَرَ المِمْزة منه .

٣ - وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ إِلَيْهِ لِسَانِي مَقْشَرٌ عَنْهُمْ أَذُودُ

يقول : إِنِّي مَتَعَطَّفٌ عَلَى عَشِيرَتِي وَإِنْ كَانُوا مُسِيئِينَ إِلَيَّ ، مَتَكَرِّمٌ مَعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُتَحَامِلِينَ عَلَيَّ ، فَأَبْغَضُ إِنْسَانٍ أَذْكَرُهُ وَأَتَنَاوَلُهُ بِلِسَانِي مُتَنَفِّصًا لَهُ ، قَوْمٌ أَذْفَعُ عَنْهُمْ فِي وَقْتِي ، وَأَحَامِي عَلَيْهِمْ فِي ظَاهِرِ أَمْرِي . وَفِي الْبَيْتِ تَقْدِيمُ وَتَأْخِيرُ ، وَأَصْلُ تَرْتِيبِهِ : أَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ إِلَى قَوْمٍ هَكَذَا شَأْنِي مَعَهُمْ . وَهَذَا تَنْبِيهٌُ عَلَى أَنَّ الرِّشَادَ فِي الْحِفَافَةِ عَلَى حُرْمِ ذَوِي الرَّحِمِ وَإِنْ كَانُوا مُنَابِذِينَ . فَمَنْ مِنْ قَوْلِهِ « أَبْغَضُ مَنْ » نَكِيرَةٌ مُوصَوِّفَةٌ ، وَصِفَتُهُ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ الْجُمْلَةُ . وَقَدْ فَصَّلَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَالبعض الآخر بقوله « إِلَيَّ » وَهُوَ أَجْنَبِيٌّ مِنْهَا . وَهَذَا فِي الصِّفَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ فِي الصَّلَةِ ، فَاحْتِمَالُهُ فِيهِ أَقْرَبُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ جَرِيرَ :

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالِ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي

ومعنى أذود : أَدْفَعُ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْإِنْسَانُ الْمَذُودَ ، وَهَذَا كَمَا سُمِّيَ الْمِفْصَلُ .

٤ - وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي أَعْيَابُ رِجَالِكَ أَمْ شُهُودُ

يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَبَجَّحَ بِتَعَفُّفِهِ فِي جَارَاتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَطَلَّبُ

مفارقة القِيمَيْنَ بِهِنَ ، مبرَصَّدًا لَتَمَكَّنَ مِنْهُنَّ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ بَاعِنًا لِلشُّوَالِ عَنْ رِجَالِهِنَّ ، لِيَقْتَنِمَ الْخُلُوءَ بِهِنَ . وَالثَّانِي أَنْ يَرِيدَ رَفَعَ الطَّمْعَ عَنْ جِدَّتِهِ ، وَقَلَّةَ الْفِكْرِ فِي تَتَبُعِ أَحْوَالِهِمْ ، عِنْدَ حُضُورِهِمْ وَغَيْبِهِمْ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُمُّهُ فِي النَّيْلِ مِنْهُمْ ، وَمُشَارَكَتِهِمْ فِيمَا يَتَجَدَّدُ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ ، فِقَلَّ الْمُسْفُ لِلطَّامِعِ الدِّينِيَّةِ . وَيَكُونُ هَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

وَإِذَا أَنَى مِنْ وَجْهِهِ بِطَرِيقِهِ لَمْ أَطْلِعْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ
وَهَذَا أَوْجَهٌ ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْعِفَّةِ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدُ .

٥ - وَلَسْتُ بِمَادِرٍ عَنْ بَيْتِ جَارِي صُدُورِ الْعَيْرِ غَمْرُهُ الْوُرُودُ^(١)

هَذَا يَشْهَدُ لِمَا اخْتَرَنَاهُ فِي تَفْسِيرِ مَا قَبْلَهُ ، فَيَقُولُ : وَإِذَا دَعَايَ الْجَارِ إِلَى بَيْتِهِ بِكُرْمِي بِيَرِهِ ، وَيُشْرِكُنِي فِي خَيْرِهِ ، لَا أَنْصَرِفُ عَنْهُ وَالطَّمْعُ فِيهِ بِجَالِهِ ، وَالِاسْتِفْنَامُ لِلْحَقِيرِ مِنْ مَالِهِ وَطَعَامِهِ عَلَى حَدِّهِ ، انْصِرَافَ الْعَيْرِ عَنِ الْمَاءِ وَقَدْ غَمْرُهُ الْوُرُودُ . وَالتَّغْمِيرُ كَالْتَّصْرِيدِ ، وَهُوَ شُرْبُ دُونَ الرَّيِّ . وَمِنْهُ الْغَمْرُ : الْقَدْحُ الصَّغِيرُ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُتَكَأَلُ بِهِ الْمَاءُ فِي الْغَمَامَةِ . وَأَنْشُدُ :

تَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلَيْدٌ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ الْغَمْرُ^(٢)

وَقِيلَ فِي غَمْرِهِ مَعْنَاهُ أَرَوَاهُ مِنَ الْغَمْرِ : الْمَاءِ الْكَثِيرِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنِّي لَا أَتَهَالَكُ عَلَى طَامِهِ فَقَلَّ الْمَنُومُ الْخَلِيسِ الْهِمَّةُ فَاتَّضَلَّعُ ، لَكِنِّي آكُلُ أَكْلًا كَرِيمًا . وَهَذَا الْمَعْنَى أَقْرَبُ عِنْدِي .

٦ - وَلَا مُلْقٍ لِيذِي الْوَدَعَاتِ سَوْطِي الْأَعْبُهِ وَرِيَّتَهُ أَرِيدُ

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : البيتان الأخيران لابن أبي نعيم القتالي ، من بني مرة ، جاء بهما أبو تمام صلة في هذه الأبيات ، وليس منها » .

(٢) لأعشى باهلة يرى أخاه المنثور بن وهب . اللسان (غمر) وإصلاح المنطق ٥٨٥ . و ٣١٦ . وقصيدته في حماسة ابن الشجرى ١٠ والأصمعيات ٣٣ ليسك .

هذا مثل قول الآخر^(١) :

لا آخذُ الصَّيَّانَ الثَّمَمَ والأثرُ قد يُغري به الأثرُ

وفي طريقته أيضاً قول الآخر :

أحبُّ صَيِّ السَّوءِ من أجلِ أمِّه وأبغضه من بُغضها ، وهو حادِرُ^(٢)

أى حسنُ الخلق : يصف عِفَّتَه فيقول : لا ألقى سَوَاطِي بين يَدَي الصَّيِّ الذي في عُنُقِهِ عُوذٌ وتمايم لصِغَرِهِ ، أَلَاعِبُهُ في الظاهرِ ، وأُضْمِرُ التَّوَدُّدَ إلى أمِّهِ وأطلبُ الخلوةَ بها لاشتغاله . وهذا إذا رَوَيْتَ : « ورَبَّتُهُ أريدُ » ، وقوله أَلَاعِبُهُ في موضع الحال . ويُرْوَى : « ورَبَّتَهُ » وهو أَكْشَفُ . ورأيتُ من يَقْصُرُ الأبياتَ الثلاثة على صِفَةِ العَفَّةِ عن الجارات ، وأن يكون كلَّ بيتٍ منها لمعنى أحسن وأولى .

١٣٧

وقال محمد بن عبد الله الأزدي^(٣) :

١ - لا أدفعُ ابنَ أَلَمٍ يَمْشِي على شَفَا وإنْ بَلَغَتْني من أَذَاهُ الجَنَادِعُ

الشَّفَا : حَرَفُ الشَّيْءِ . ويمشي في موضع الحال . والبيت يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعنى إذا أَشْفَى ابنُ عَمِّي على بلاءٍ وشرٍّ يُخَافُ عليه منه ، وَيُخَشِّي عَطْبَهُ فيه ، فإنِّي لا أدفعُ في صدرِهِ تحاملاً عليه ليقْتَحِمَهُ ، ولا أَرْجُو به فيه لأغْرِقَهُ . ويجوز أن يريدَ : إذا انْحَرَفَ عني مهاجِرًا إلى ومشي على جانبٍ من المَوَاسِةِ معي لا أنْفَرَهُ ، ولا أتممَّ استيحاشَه بما أثِيرُ من كوامن غيظه ، وإن

(١) هو مسكين الدارمي . أمالي القالي (١ : ٤٥) .

(٢) أنشده في اللسان (حدر) شاهداً على أن الحادر : الغليظ .

(٣) المبهج : « قد قالوا الأزدي والأسدي ، وكان الزاي يدل من السنين ، وكلاهما علم مرتجل » .

بَلَقَتْنِي الدَّوَاهِي عَنْهُ ، وَقَاسَيْتُ الشَّدَائِدَ مِنَ التَّأْدِي بِهِ . أَيْ لَا أَتَهَرُّ الْفُرْصَةَ فِي مَكَاشِفَتِهِ وَإِنْ اتَّصَلَ بِالشَّوْءِ تَعَرَّضُهُ ، وَدَامَ فِيمَا يَعْنُ اعْتِرَاضُهُ . وَالْجَنَادِعُ فِي الْأَضَلِّ تُسْتَعْمَلُ فِي هَوَامِّ الْأَرْضِ ، تُسْتَعْمَلُ كَنَابَةٍ عَنْ ضُرُوبِ الْمَكَارِهِ وَأَنْوَاعِ الْأَذَى . وَمِنْ قَوْلِهِ ^(١) : « بَدَّتْ جَنَادِعُهُ وَاللَّهُ جَادِعُهُ » . وَهَذَا كَمَا اسْتَعَارُوا الْمُقَارِبَ فَقَالُوا : دَبَّتْ عَقَارِبُهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْجَنَادِعُ : جَنَادِبُ فِي جِجَرَةِ الْحَشَرَاتِ يَخْرُجْنَ إِذَا كَانَ الْحَافِرُ يَبْلُغُ أَقْصَاهَا . وَمِنْهُ قِيلَ فِي الْمَثَلِ : « جَاءَتْ جَنَادِعُ الشَّرِّ » ، أَيْ أَوَائِلُهُ . وَاسْتَعْمَلُ فِي الْكَلَامِ أَيْضًا فَقِيلَ جَنَادِعُ الْقَوْلِ لِمَا يَسُوءُ مِنْهُ . وَيَجُوزُ فِي قَوْلِهِ « يَمْشِي عَلَى شَفَا » وَجْهُ آخَرُ حَسَنٌ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ يَمْشِي فِي مَعْنَى يَنْبَغُ وَيَحْتَبُ . وَفِي الْمَثَلِ : « هُوَ أَضْرَبُ مِنْ مَشْيٍ بِشَفَا ^(٢) » . وَكَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَشَاءَ بَنَمِيمٍ ﴾ ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ « عَلَى شَفَا » مُتَعَلِّقًا بِمَضْمَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَفْعَلُ ذَلِكَ كَأَنَّكَ عَلَى شَفَا أَوْ حَاصِلًا ؛ وَالْمَعْنَى مُنَحَرِفًا : أَيْ لَا أَدْفَعُهُ عَنِ التَّحْرِيشِ وَالنِّمِيمَةِ فَهَرًا وَعُنفًا ، وَلَكِنْ أَعْطَفُهُ بِالْحُسْنَى .

٢- وَلَكِنْ أَوَاسِيهِ وَأَنْسَى ذُنُوبَهُ لِيَتَرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَى الرَّوَاجِعِ

قَوْلُهُ « أَوَاسِيهِ » أَيْ أَجْعَلُهُ لِمَسْوَةِ نَفْسِي ، فَأَقَاسِمُهُ مَالِي وَمِلْكِي : يَقُولُ : لَكِنِّي أَنْفَسَى ذُنُوبَهُ وَهَفَوَاتِهِ ، وَأَتَغَابَى جَرَائِمَهُ وَزَلَّاتِهِ ، وَأُحْسِنُ التَّائِي فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ لِمَوَاسِنِهِ ، عِنْدَ مَا أُنْتَظَرُ مِنْ قِيَّتِهِ وَعَظْفَتِهِ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ دَوَاعِي الْأَحْوَالِ ، وَتَشَابُكِ الْأَرْحَامِ ، وَرَوَاجِعِ الْعَقَبِ ، وَلَوْاحِقِ السَّبَبِ . وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ هُوَ الْغَايَةُ فِي الْإِبْقَاءِ وَالِاسْتِقْبَاءِ .

٣- وَحَسْبُكَ مِنْ ذَلِكَ وَسُوءُ صَنِيعَةٍ مُنَاوَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ قِيلَ قَاطِعٌ

(١) م : « وَمِنْ كَلَامِهِمْ » .

(٢) كَذَا فِي م وَالتَّبْرِيزِي . وَفِي الْأَصْلِ : « هُوَ أَخْرَبَ » ، بِالْهَاءِ .

يقول : كافيك من سوء الفعل واكتساء الذلّ ، أن تُتَناوَى أَقَارِبَكَ وإن كانوا قاطعينَ عاقينَ ، مُهاجرينَ مُصارمينَ . وإنما قال « من ذلّ » لأنّ عزَّ الرّجل بعشيرته ، ومن أفات نفسه الخطّ منهم فقد ذلّ . ولُناوأة أصلها الهمز ، واشتقاقها من النّوء : النّهُوض . كأنّ المتعاديّين يُناهضُ كلُّ صاحبِهِ إما بنفسه ، وإما بعقيدته ونيتته . وقوله « سوء صنيعه » جعل الصّنيعه اسما فهي كالكرهية . وقوله « وإن قيل قاطعُ » ارتفع قاطعُ على أنّه خبرُ ابتداءٍ مُضمر ، كأنّه أراد وإن قيل هو قاطع . وفي طريقته قول الخطيئة :

فَأَبْقُوا أَلْأَبَاكُمْ عَلَيْهِمْ^(١) فَإِنَّ مَلَامَةَ الْمَوْلَى شَقَاءُ

وروى بعضهم : « وأن قيل » بفتح الهمزة ، كأنّه يعطفه على قوله مُناوأة ، والمعنى حسبك من الأمرين المذكورين مُناوأة الأقارب ، وقول الناس هو قاطعُ عاق . والأول أجودُ وأشبهُ بما اقتضته وتصرّف فيه .

١٣٨

وقال آخر :

١- إن يحسدوني فإني غيرُ لائمهم قَبلي من النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا^(٢)

الضمير في « يحسدوني » لطائفة من الناس خصّهم بالإخبار عنهم ، وقصدَهم بالكلام . فيقول : إن نافسوني وحسدوني ، ورمقوا النّعمة عليّ بعين التّسخّط . فإني لا ألومهم ولا أعتب عليهم ، إذ كان التّنافسُ والحسدُ يتبعان الفضلَ ،

(١) وكذا في الديوان ٢٧ . وفي م : « عليكم » تحريف . وبعده :

فإن أباهم الأدنى أبوهم وإن صدورهم لكم براء

(٢) الايات في أمالي القائل (٢ : ١٩٨) وعبون الأخبار (٢ : ١٠ - ١١) . ورواية

حيون الأخبار :

* إن تحسدوني فإني لا ألومكم *

وإِذْ كَانَ مِنْ قَبْلَنَا عِتَادَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مِثْلَ مَا نَرَاهُ بِسَبَبِ الْفَضْلِ . وَقَدْ أَحْسَنَ كُلُّ الْإِحْسَانِ مِنْ قَالَ :

وإِذَا سَرَحْتَ الطَّرْفَ حَوْلَ قِبَابِهِ لَمْ تَلَقَ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُوداً^(١)
فَأَمَّا قَوْلُهُ « قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا » . فَمِثْلُهُ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

* وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ^(٢) *

وَقَبْلِي جَعَلَهُ لِفُؤَادِي ، وَمِنَ النَّاسِ تَلْبِيبِينَ ، وَقَدْ حُسِدُوا خَيْرَ الْبِتْدَاءِ .
٢- فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
هَذَا الْكَلَامُ دَعَاءَ لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهِمْ ، عَلَى طَرِيقِ التَّسْلِي وَقَلَّةِ الْإِحْتِفَالِ ، وَلَأَنَّ
الْحَاسِدَ يَرْفَعُ الْخَامِلَ مِنَ الْفَضْلِ وَيُنَوِّدُ بِهِ . فَيَقُولُ : أَدَامَ اللَّهُ لِي مَا أَنَا عَلَيْهِ
مِنَ الْفَضْلِ ، وَلَهُمْ مَا مَعِيَ مِنَ الْحَسَدِ ، وَمَاتَ أَكْثَرُنَا لَغِيظِهِ بِمَا يَجِدُ . وَقَوْلُهُ
« وَمَاتَ أَكْثَرُنَا » الْأَكْثَرُ هُمُ الْحَسَدَةُ ، لِأَنَّهُ - وَإِنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِيمَنْ
أَضَافَ الْأَكْثَرَ إِلَيْهِ - وَاحِدٌ . وَقَوْلُهُ « بِمَا يَجِدُ » حَذَفَ الْمَفْعُولَ ، وَالْمَعْنَى بِمَا
يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْحَسَدِ ، أَوْ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ الْمَحْسُودِ .
وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَمَزَةُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مَهْدِيٍّ
السَّكِرَوِيَّ يَقُولُ : أَنَا قَدْ تَتَبَّعْتُ مِنْ دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمَهُمْ وَمُجَدِّدَهُمْ
فَوَجَدْتُ أَبَا تَمَّامٍ الطَّائِيَّ مُتَفَرِّدًا بِمَعْنَى قَوْلِهِ :

وإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتُ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَزَلْ لِلْحَاسِدِ النِّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

(١) فِي م : « فَإِذَا سَرَحْتَ » .

(٢) صَدْرُهُ فِي الدِّيْوَانِ ٧٦ :

غير مَسْبُوقٍ إِلَيْهِ . وَعِنْدِي أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ فَحْوَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَإِنْ كَانَ زَادَ عَلَيْهِ .

٣- أَنَا الَّذِي بَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرِدُ قَوْلُهُ « بَجِدُونِي » كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ يَجِدُونَنِي ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ النُّونَ تَخْفِيفًا . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ لَوْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الصَّلَةِ : يَجِدُونَهُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّلَةِ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَى الَّذِي . وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُجَىءَ وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَعُودُ إِلَى الَّذِي وَإِنْ كَانَ صَلَةً لَهُ ، لِأَنَّ الَّذِي خَبَرَ أَنَا ، وَهُوَ لِلْمَبْتَدَأِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَلَمَّا كَانَ الْأَوَّلُ وَالثَانِي شَيْئًا وَاحِدًا لَمْ يُبَالِ أَنْ يَرُدَّ الضَّمِيرُ الَّذِي يَجِبُ رَجُوعُهُ إِلَى الثَّانِي إِلَى الْأَوَّلِ . وَمِثْلُ هَذَا مَا نَسَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ ^(١) *

فَقَالَ سَمَّيْنِي وَلَمْ يَقُلْ سَمَّيْتُهُ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي مِثْلِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مُسْتَقْصَى ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَا الَّذِي صِرْتُ غُصَّةً فِي صُدُورِهِمْ قَدْ نَشِبْتُ فَلَا تَصْدُرُ وَلَا تَرُدُّ ، أَيْ صَارَتْ لَازِمَةً لَا تَسُوغُ وَلَا تَوُوبُ . وَقَوْلُهُ « صَدْرًا » مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَ« لَا أَرْتَقِي » إِنْ جَعَلْتِ فِي صُدُورِهِمْ لَفْعًا يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي ، وَإِنْ جَعَلْتِ فِي صُدُورِهِمْ مَفْعُولًا ثَانِيًا كَانَ لَا أَرْتَقِي حَالًا .

١٣٩

وقال آخر :

١- الشَّيْءُ يَبْدُوهُ فِي الْأَصْلِ أَضْعَرُّهُ وَلَيْسَ يَصْنَعُ بِكُلِّ الْحَرْبِ جَانِبَهَا

يَبْدُوهُ أَيْ يَبْدَأُ مِنْهُ ، فَحَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ وَوَصَلَ الْفِعْلَ فَتَنَصَّبَ . يَقُولُ :

أوائل الأمور ضعيفة ، ومبادئها صغيرة حقيرة ، ثم تستحکم على مرّ الأيام وتصرّف الأخوال فتعظم . وهذا كما قال الآخر^(١) :

الحربُ أوّل ما تكونُ فُتَيَّةٌ تسعى بزيّتها لِكُلِّ جهولٍ
وفي طريقته قولُ الآخر^(٢) :

* كم مَطَرٍ بَدَّوهُ مُطَيَّرٌ *^(٣)

وقوله «وليس يصلى بنار الحرب جانبا» يروى : «بجلّ الحرب» والمعنى : لا يصطلي بنار الحرب ومُعْظَمُهَا مَنْ يَكْتَسِبُهَا وَيوقِدُهَا فقط ، بل يحصل بالمشاركة فيها ويُمنى ببلوآها ، مَنْ لم يَنْقُلْ خطوته في بَقْعِهَا ، ولم يَسْعَ في تهيجها .

٢- والحربُ يُلْحَقُ فيها الكارِهونَ كما تَدْنُو الصَّحَّاحُ إلى الجَرَبِ فتُعْذِبُها يقول : شرُّ الحربِ يُعْذِي إعداءَ الجَرَبِ ، فترى الكارهَ لها يَلْتَحِقُ بها^(٤) وإن كان غيرَ حازِمٍ لها ، وتَلْقَى البعيدَ منها يصطلي بحرّها وإن لم يُذْكِها^(٥) ولم يُشَيِّعْ موقِدَها . وفي هذا التشبيه خروجُ المُشَبَّه من الكُمُونِ إلى الظُّهُورِ ، ومن الخفاءِ إلى البرُوزِ ، حتّى يَتَجَلَّى لِمُتَأَمِّلِهِ والمُفَكِّرِ فيه على بُعْدِهِ في التَّصَوُّرِ تَجَلَّى القريبِ في العُرفِ والاعتقاد . وهذا هو غاية المراد من التشبيهات .

٣- إني رأيتُكَ تَقْضِي الدِّينَ طَالِبَةً وقَطَرَةَ الدِّمِّ مَكْرُوهَةً تَقَاضِيهَا
هذا البيتُ يصلحُ أن يكونَ مدحًا ، فيكون المعنى : إني رأيتُكَ تَخْرُجُ إلى الدِّينِينِ سَرِيعًا من دَيْنِهِمْ عليك ، غيرَ مُدَافِعٍ بما في ذِمَّتِكَ لهم ولا مُمَاطِلٍ ،

(١) عمرو بن معديكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٣) صدره : * رب قليل جنى كثير آ *

(٤) م : « يمتحن بها » .

(٥) في الأصل : « يدركها » والوجه ما أثبتنا من م .

فَإِذَا طَوَّلَيْتَ بَدَمٍ أَوْ نُوزِعْتَ فِي دَخَلٍ ، شَقَّ تَقَاضِيكَ بِهِ وَتَعَذَّرَ ، وَتَصَعَّبَ نَيْلُهُ مِنْ جِهَتِكَ وَتَعَسَّرَ . فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ « مَكْرُوءَةٌ تَقَاضِيهَا » ، مَعْنَاهُ مَرُوءَةٌ تَقَاضِيكَ بِهَا . وَيُضْلَحُ أَنْ يَكُونَ ذَمًّا ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنِّي رَأَيْتُكَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ وَأَقْرَبِ طَلَبٍ تَخْرُجُ مِنَ الْأَوْتَارِ وَالْأَمَاءِ إِلَى طُلَّابِهَا ، فَلَا كُفْلَةَ فِي نَيْلِهَا وَإِدْرَاكِهَا مِنْ جِهَتِكَ ، وَالتَّقَاضِي بِالذَّمِّ عَسِرٌ صَعْبٌ إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَكَ وَقَبْلَكَ ، فَذَا ذَلِكَ إِلَّا لَضَعْفِ كَيْدِكَ وَمَهَانَةِ نَفْسِكَ ، وَقُصُورِ آبَائِكَ . وَالَّذِينَ فِي هَذَا الْوَجْهِ يُرَادُ بِهِ الْوِثْرُ وَالذَّمُّ . وَقَوْلُهُ « مَكْرُوءَةٌ تَقَاضِيهَا » يَعْنِي تَقَاضَى غَيْرِكَ بِهَا . وَمِثْلُ قَوْلِهِ مَكْرُوءَةٌ تَقَاضِيهَا فِيمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ قَوْلُ لَيْبِدٍ :

* بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُخْرَةٍ ^(١) *

لَأَنَّ الْمَعْنَى بَاكَرْتُ حَاجَتِي إِلَيْهَا .

١٤٠

وَقَالَ شُرَيْحُ بْنُ قَرَوَاشٍ ^(٢) :

١ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ جَاشَتْ عَكَرَتُهَا عَلَى مِسْحَلٍ وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعَكِرٍ

يَقُولُ : لَمَّا تَحَرَّكَتْ حَمِيَّتِي وَغَلَبَ ^(٣) نَفْسِي ، حَتَّى كَادَتْ تَتَوَرُّ مِنْ مَقَرِّهَا فَتَجْرِي أَنْفَةً وَامْتِعَاضًا ، عَطَفْتُهَا عَلَى صَاحِبِ مِسْحَلٍ فِي أَيِّ وَقْتٍ مَعْطَفٍ فَعَلْتُ ذَلِكَ . وَهَذَا تَفْطِيعٌ لِلشَّانِ ، وَتَفْخِيمٌ لِلْأَمْرِ . فَإِذَا رَوَيْتَ « وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعَكِرٍ » بِالرَّفْعِ يَكُونُ مَبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَيُّ سَاعَةٍ مَعَكِرٍ

(١) مِنْ مَعْلَقَتِهِ . وَعَجِزَهُ :

* لِأَعْلَ مِنْهَا حِينَ هَبَ نِيَامَهَا *

(٢) كَانَ مِنْ سَبَبِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا رَوَاهُ التَّبَرِيزِيُّ عَنْ أَبِي رِيَّاشٍ قَالَ : لَقِيَ شُرَيْحَ بْنَ مِسْهَرٍ أَخُو بُلْهَارِثَ بْنِ كَعْبٍ ، مِسْحَلُ بْنُ شَيْطَانَ بْنِ جَزِيمٍ بْنِ رَوَاحَةَ ، فَطَعَنَ مِسْحَلًا فَصْرَعَهُ فَحَمَلَ شُرَيْحُ بْنُ قَرَوَاشٍ عَلَى شُرَيْحِ بْنِ مِسْهَرٍ فَطَعَنَهُ فَصْرَعَهُ وَاسْتَنْفَذَ مِسْحَلًا : وَقَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ .
(٣) كَذَا فِي الْبُسْخَتَيْنِ ، أَيْ غَلَبَتْ نَفْسِي .

وَمَكَّرَ تِلْكَ السَّاعَةُ . وَإِذَا رَوَيْتَهُ بِالنَّصَبِ يَكُونُ ظَرْفًا ، وَيَكُونُ الْعَامِلُ فِيهِ مُضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَعَكَّرْتُ أَيَّ وَقْتٍ مَّعْكَرٍ . وَمَعْنَى عَكَّرَ : عَطَفَ . وَيُقَالُ : هُوَ عَكَّارٌ فِي الْفِتَنِ . وَجَوَابُ لَمَّا « عَكَّرْتُهَا » .

٣ - عَشِيَّةً نَازَلْتُ الْفَوَارِسَ عِنْدَهُ وَزَلَ سِنَانِي عَنْ شُرَيْحِ بْنِ مُسْهِرٍ
عَشِيَّةً انْتَصَبَ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ وَأَيَّ سَاعَةٍ مَعْكَرٍ إِذَا انْصَبَتْ
أَيًّا ، وَإِنْ رَفَعْتَهُ فَانْتَصَابُ عَشِيَّةً عَلَى أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا وَالْعَامِلُ فِيهِ فَعْلٌ مُضْمَرٌ
دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ عَكَّرْتُ عَشِيَّةً . وَلَا يَكُونُ الْعَامِلُ نَازَلْتُ ، لِأَنَّهُ
مُضَافٌ إِلَيْهِ وَبَيَانٌ لِلْوَقْتِ ، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ لَا يَمْعَلُ فِي الْمُضَافِ . فَيَقُولُ :
عَطَفْتُ عَلَيْهِ ذَابًّا عَنْهُ وَمُدَافِعًا دُونَهُ ، عَشِيَّةً مَنَازَلَتِي الْفُرسَانَ بِمُضَرَّتِهِ ، وَحِينَ
زَلَ سِنَانُ رَحِيٍّ عَنْ ابْنِ مُسْهِرٍ ، وَإِنَّمَا زَلَ السِّنَانُ عَنْهُ وَسَلِمَ مِنْ طَعْنَتِهِ لِأَنَّهُ
كَانَ لِبَسٍ دِرْعًا تَحْتَ ثِيَابِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، فَكَأَنَّهُ يَعْتَذِرُ وَيَتَلَهَّفُ .

٣ - وَأُقْسِمُ لَوْلَا دِرْعُهُ لَتَرَكْتُهُ عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ ضِبَاجٍ وَأَنْسُرٍ
قَوْلُهُ أَقْسِمُ يَمِينٌ ، وَالْمُحْلُوفُ بِهِ مُحْذُوفٌ ، وَهُوَ لَفْظَةُ اللَّهِ . وَلِكَثْرَةِ مَجِيئِهَا
مَعَ أَقْسِمُ صَارَ وَهُوَ مُحْذُوفٌ كَالْمَنْطُوقِ بِهِ ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ اسْتَغْنَى عَنْهُ بِحَدِيثِ
لَوْلَا ، لِأَنَّهُ فِيهِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ بَيْنَ الْعُذْرِ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَوْلَا دِرْعُهُ الَّتِي
اسْتَظْهَرْتُ بِهَا ، وَظَاهَرَ بِشُوبِهِ فَوْقَهَا ، لَتَرَكْتُهُ بَطْعُنَتِي مُقْتُولًا ، وَعَوَافِي السَّبَاحِ
وَالطَّيْرِ تَأْتِيهِ وَتَنَالُ مِنْهُ . وَيُقَالُ عَفَاهُ وَاعْتَفَاهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

٤ - وَهَلْ غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إِلَّا نَزَالُكَ أَلْ كَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الْكَمِيِّ الْمُقْطَرِ
هَذَا الْكَلَامُ بَيَانٌ مَا تَكَلَّفَهُ عِنْدَ التَّعَطُّفِ عَلَى مِسْحَلٍ ، وَتَصْوِيرٌ لَهَوْلِ
مَارَكِبِهِ وَعَانَاهُ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ فِي نُصْرَتِهِ . وَلِهَذَا جَعَلَ النَّبِيُّ بَلْفُظَ الْاسْتِفْهَامِ ،
فَقَالَ : وَمَا شَدَائِدُ الْمَوْتِ إِلَّا مَنَازِلُ تِلْكَ الْكَمِيِّ فَوْقَ لَحْمِ الْكَمِيِّ ، أَيْ فَوْقَ جَيْفِ

القتلى . ولولا أن هَلْ في طريق النفي هاهنا لما جاء بعده إِلَّا . والمَقْطَرُ : المُنْقَى على أحد قُطْرَيْهِ ، وهما الجانبان . ولَقَطَرُ اختصاصٌ بالعبرة عن الإسقاط والصَّرْع . على ذلك قول عمرو بن معد يكرب :

* ما قَطَرَّ الفَارِسَ إِلَّا أَمَّا^(١) *

ومن الْحَكِيِّ عنهم في المعنى الذي قَصَدَهُ هذا الشاعر ، أنه سُئِلَ بعضهم : ما أَشَدُّ ما رَأَيْتَهُ فيما زاولته من الحروب ؟ فقال : « الزَّلَقُ على العَلَقِ » . وفي طريقتِهِ قولُ الآخر :

يَطَّانَ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدِ الْقَنَا شَرِيحًا فَا يَجْرِيَنَّ إِلَّا تَوْهَا^(٢)

١٤١

وقال طَرَفَةُ الْجَذِيمِي^(٣) :

١ - يَارَا كِبَا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي بَنِي فَقَعْسٍ قَوْلِ اسْمِي نَاخِلِ الصَّدْرِ^(٤)

(١) صدره كما في شرح شواهد المغني ٢٤٥ .

* قد علمت سلمى وجاراتها *

(٢) م : « إلا تقحما » .

(٣) ذكره الأمدى في المؤلف ١٤٦ ، وقال : « أحد بني جذيمة بن رواحة بن قطيعة ابن عيس بن بغيض ، شاعر فارس » ، وتصحف على صاحب القاموس فجعله طرفه الخزيمي ، وقال : « من بني خزيمة بن رواحة » . وقال ابن جني في المبهج : « الطرف : واحدة الطرفاء ومثله قصبة وقصباء ، وحلقة وحلفاء ... وجذيمة : علم مرتجل وليس منقولا . ويجوز أن يكون من جذمت يده أى قطعها ، فيكون اسماً كالنطيحة والذبيحة . وقال ابن جني في التنبيه : « طرفة الجذيمي جذيمة عيس ، ويقال الجذمي » . وهذه النسبة الأخيرة وردت في المؤلف (٤) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عيس - هو ابن فقعم بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . وذلك أن حية بنت مالك بن مرة كانت تحت فقعم فأتها فخلف عليها رواحة ، فولدت جذيمة على فراشه . فزعموا أنها تزوجته وهي حبلى بجذيمة فولدت له ثلاثة أشهر ، فجعله جذيمة يطلب بميراثه من أبيه فقال له أعيان بن طريف : ما أعرفك . ولا لك عندى ميراث . فقال له : ويحك أعطني ولو بكراً أستحق به النسب . فنهه ... وثبت جذيمة في بني عيس .

يَخَاطِبُ واحداً من الركبان غير مُعَيَّنٍ ، وَيَكْلِفُهُ إِنْ عَرَضَ لِبَنِي قَقَمَسٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ عَنْهُ قَوْلَ رَجُلٍ نَاحِلِ الصَّدْرِ نَاصِحٍ لِلجَيْبِ ، صَادِقِ الْوَدِّ . وَإِنَّمَا نَكَّرَ الْمَدْعُوَ لِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا شِدَّةُ اهْتِمَامِهِ بِالرَّسَالَةِ وَتَحْمِيلِهَا رَسُولاً كَأَنَّا مِنْ كَانَ . وَالثَّانِي أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَضَعُ رِسَالَةً ظَاهِرَهَا أَنَّهَا أَوْدَعَتْ مُتَحَمِّلاً ، عَلماً بِأَنَّ الرِّسَالَةَ بِنَفْسِهَا إِذَا ضُمِّنَتْ الشُّغْرَ وَعُقِدَتْ بِهِ سَتَبَاغٌ عَلَى أَفْوَاهِ الرُّوَاةِ . وَقَوْلُهُ « نَاحِلِ الصَّدْرِ » يَرِيدُ مُصَنِّفِي مَا فِي الصَّدْرِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ . أَوْ يَرِيدُ نَاحِلَ الصَّدْرِ لِمَا يَبْعِيهِ فِجْعِلُ الْفِعْلِ لِلصَّدْرِ تَوْشَعًا ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مُوَافِقُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ . وَيُقَالُ : نَخَلْتُ الْوَدَّ وَالتَّضَحَّ لِفُلَانٍ ، إِذَا أَخْلَصْتَهُمَا .

٢- فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ كَشَاحَةٍ وَلَا طِيبِ نَفْسٍ عَنْكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ

يَقُولُ : أَخْلَفُ أَنِّي لَمْ أُؤَيِّرْ فِرَاقَكُمْ لِعِدَاوَةٍ لَازِمَةٍ لِكَشْحِي ، وَبِفَضَاءِ مَتَمَكِّنَةٍ مِنْ طَوِيَّتِي ، وَلَا إِسْلُوفِ نَفْسٍ عَنْكُمْ وَسَخَاءِ قَابِ بِكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ . وَهَذَا الْكَلَامُ إِظْهَارٌ مُثِيلٌ إِلَى إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ لَوْ تَسَاعَدَتِ الْأَحْوَالُ ، وَمَعْدِرَةٌ أَقَامَهَا فِيمَا قَصَدَهُ مِنْ مُرَاغَمَتِهِمْ ، وَآتَرَهُ فِي مَهَاجِرَتِهِمْ وَمَفَارِقَتِهِمْ ، وَإِبَانَةٌ عَنْ الْأَمْرِ فِي أَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى مَا اتَّفَقَ لَمْ يَكُنْ مِنْ سُوءِ خَلَّةٍ ، وَانْطَوَاءٍ عَلَى حَسَمِهِ وَقُطِيعَةٍ . وَإِنَّمَا قَرَنَ الشُّلُوفَ بِقَوْلِهِ آخِرَ الدَّهْرِ لِئَرَى أَنَّ ذَلِكَ التَّقْدِيرَ لَيْسَ بِحَاصِلٍ وَلَا وَاقِعٌ أَبَدًا ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ لَا أَفْعَلُ كَذَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ .

٣- وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مِنْ قَبِيلَةٍ بَغْتًا وَأَتَتْنِي بِالْمَظَالِمِ وَالْفَخْرِ

هَذَا كَشَفُ الْعِذْرَةِ وَذِكْرُ السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِلْجَانِبَةِ وَالْفُرْقَةِ ، فَيَقُولُ : وَلَكِنِّي كُنْتُ رَجُلًا مِنْ قَبِيلَةٍ خَرَجْتُ عَنْ طَرِيقِ التَّوَاصُلِ إِلَى طَرِيقِ التَّقَاعِطِ بِمَا اسْتَعْمَلْتُهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالشَّقَاقِ ، وَتَمَاطَنْتُ مَعِيَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعِنَادِ ، حَتَّى تَدَاعَتْ مَبَانِي التَّوَاشُجِ وَالتَّعْتَابِ ، وَانْفَصَمَتْ عُرَى الْعِلَاقِ بَيْنَنَا وَالتَّوَادِّ ، وَعِيلَ

الصَّبْرُ ، بما لحق من الهَضْم ، وَحَرَجَ الصَّدْرُ ، لِمَا تَلَاَحَقَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ مِنَ الاستخفافِ والدَّلِّ .

٤- فَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ أَكُ بِهِمْ عَلَى حَالَةٍ حَدْبَاءَ نَابِيَةِ الظَّهْرِ^(١)

انتقل عن الخطاب إلى الإخبار حين توعدهم ، وإن كان الكلُّ من جملة الرِّسَالَةِ . ويروى : « لَشَرُّ النَّاسِ » بكسر اللام ، والمعنى أنا ابنُ شرِّ الناس ، كما قال النابغة :

* لَنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجَلْقٍ^(٢) *

والكلام لفظه لخبير والمعنى معنى القسم . وهذا من الأيمان الشريفة . ويروى : « لَشَرُّ النَّاسِ » . والمعنى : أنا شرُّ الناسِ إِنْ أَجِئْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بَيَانًا عَلَى حَالَةٍ مُنْكَرَةٍ ، وَخُطَّةٍ صَعْبَةٍ ، لَا يُسْتَقَرُّ عَلَيْهَا ، وَلَا يُثَبَّتُ عَلَى ظَهْرِهَا . وفي هذه الطريقة قولُ الآخر^(٣) :

لَقَدْ حَمَلْتُ قَيْسُ بْنُ عِيلَانَ حَرْبَنَا عَلَى يَابِسِ السَّيِّئِ مُحَمَّدَوْدِبِ الظَّهْرِ فَقوله نَابِيَةِ الظَّهْرِ مثل قول هذا مُحَمَّدَوْدِبِ الظَّهْرِ ، أَيْ ظَهْرُهَا يَجْفُو لِنُبُوِّهِ وَنُبُوِّهِ فَيَقْلِقُ رَاكِبَهَا وَلَا يَقَرُّ ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ .

٥- وَحَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ مِنْ شَرِّ بَيْنِنَا وَتَقْعُدَ لَا نَدْرِي أَنْ نَزِعَ أَمْ نَجْرِي تَعَلَّقَ حَتَّى بِفَعْلٍ مُضْمِرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأُدِيمُ ذَلِكَ لَهُمْ حَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ ، أَيْ إِلَى أَنْ يَفِرَّ النَّاسُ . والمعنى : إِنِّي لَا أَرَا أَلَّا أَمَادَى فِي اللَّجَاجِ وَالشَّرِّ ، وَأَتَرَقَّى فِي دَرَجَاتِ النَّزَاعِ وَالْحَرْبِ ، حَتَّى يَسْقِطَ النَّاسُ مِنْ مِشَارِ كِتْمَانِنَا وَمَلَابِسْتِنَا فِيمَا تُزَاوِلُهُ ، وَيَسْتَعْفُوا مِنَ التَّوَسُّطِ بَيْنِنَا وَرَدَّنَا عَمَّا نَفْتَحِمُهُ ، وَيَقْفُضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ اسْتِطْلَاحِنَا

(١) كذا ورد في الأصل وفي م والتبريزي والمؤتلف : « على آلة » . والآلة : الحالة أيضا .

(٢) عجزه : * وقبر بصيда التي عند حارب *

(٣) هو الأخطل ، ديرانه ١٢٩ واللسان (سيس) .

وتتغير نحن أيضاً ونرتبك إذا توسطنا أمورنا، فلا ندرى أنقصر ونكف، أم نجري فننفذ. وهذا المأثم بما سار به المثل في قصة السائلة للسمن، ويقول الشاعر^(٢) :

وَكُنْتُ كَذَاتِ الْقَدْرِ لَمْ تَدْرِ إِذْ غَلَّتْ أَتَنَزَّلُهَا مُذْمُومَةً أَمْ تُذَيِّبُهَا^(٣)
وفي المثل السائر : « اختلط الخائر بالزُّبَاد^(٤) ». وقوله « لا ندرى » في موضع الحال .

١٤٢

وَقَالَ أَبُو بِنِ مُحَمَّدٍ الْمُرِّي^(٥) :

- ١ - تَمَنَّى لِي الْمَوْتَ الْمَعْجَلْ خَالِدٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدُهُ
 - ٢ - فَخَلَّ مَكَانًا لَمْ تَكُنْ لَتُسَدُّهُ عَزِيزٌ أَعْلَى عَبْسٍ وَذُبْيَانٌ ذَائِدُهُ^(٥)
- يقول : ودَّ لي الموتَ الوحيَّ السريعَ الإتيانَ خالِدٌ ، حَسَدًا مِنْهُ وَبُغْضًا ، وَمِنَافَسَةً فِي الرَّيَاسَةِ وَحَقْدًا . ثم قال مُتَسَلِّيًا : وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا حَاسِدَ لَهُ ، لِأَنَّ الْحَسَدَ مِنْ تَوَابِعِ الْفَضْلِ وَمُسَبِّبَاتِهِ . ومثل هذا قول الآخر :
- إِنْ يَحْسُدُونِي فإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ

قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا^(٦)

وقد شرح القول فيه . وقوله « فَخَلَّ مَقَامًا » أَقْبَلَ عَلَى خَالِدٍ مُبَكِّتًا لَهُ

(١) هو بشر بن أبي خازم . المفضليات (٢ : ١٣١) .

(٢) رواية المفضليات : « فكانوا كذات »

(٣) الزباد ، كرمان : ما لا خير فيه .

(٤) التبريزي والآمدي : « العبسي » قال التبريزي : وحام هو ابن جابر بن قراد بن

عزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس . ومثله عند الآمدي في المؤلف ٩١ .

(٥) التبريزي والآمدي : « فخل مقامًا » .

(٦) من الحماسة ١٣٨ .

ومُقَصِّرًا به ، يعرفه أنه يحسده فيما لا يصلح له ولا يستكفي مثله فيه ، فقال :
أترك مقامًا تزل قدمك عنه ، وتسقط رتبتك دونه ، وأنس مكانًا لا تسد به
بكفائتك ، ولا تقوم فيه بفنائك ، [ويعز المدافع دونه على طوائف عبس
وذبيان — وإنما يريد رياسة العشيرة ^(١)] — وخلل القيام بأمر عبس وذبيان
إذ لست من رجال ذلك . وقوله « لئسده » اللام فيه لام الجحود ، وهي لام
الإضافة ، والفعل بعده ينتصب بأن مضمرة ولا يظهر البتة .

١٤٣

وقال أيضًا :

١- لَسْتُ بِمَوْلَى سَوْءٍ أَدْعَى لَهَا فَإِنَّ لَسَوَاتِ الْأُمُورِ مَوَالِيًا

مَوْلَى سَوْءٍ : مُتَوَلِّيًا وصاحبها . ويموز أن يكون من الولي : القرب
أى لا أقاربها ^(٢) ولا أدانيها : وقوله « أَدْعَى » من الدَّعَاوَةِ والدَّعْوَةِ ، وهى
الدَّشْبَةُ . يقول : لا أتعاطى قبيحًا ، ولا أتولى خُزْرِيَةً فأنسب إليها ، وأعرف
بها ، فإن لمقايح الأمور أربابًا غيرى . وهذا انتفاً من الأدناس ، وتبرؤ من
المقايح ، وتعريض بأن ما يتنزه عنه حاصل في مجاذبه وملازم له .

٢- وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَالْأَلَدَى أَدِى إِذَا عَدَّوْا أَدِى وَاهِيًا ^(٣)

(١) التكملة من م .

(٢) م : « أقاربها » . والمقارفة : المقاربة والمدانة .

(٣) ابن جنى : « زاد لا مؤكدة للنفي ، وقاصلة بين معنيين ، وذلك أنه لو قال : ولن
يجد الناس الصديق والعدى أديمى واهياً لم يكن فيه دليل أنه لا يجد بعضهم دون بعض ، وإنما
فيه من الدليل أنه لا يجدونه كذلك كلهم ، فقد يجوز أن يجده واهياً بعضهم ، كما أنك إذا
قلت ما جادى الناس كلهم ففيه نفي مجيء الكل وليس فيه نفي مجيء البعض . فإذا قلت ما جادى
الصديق والعدو جاز أن يكون قد جاء بعض أولئك . فإذا قلت ما جادى الصديق ولا العدو لم
يجز أن يكون جادك أحد منهم . فهذا هو الفرق ، وهو أمدح ، لأنه لم يطلع أحد منهم
على ضعفه » .

يقول: إني صحيح الأصل، تقى العرض، فلو تعاون في الكشف عما أدعيه والبحث دونه أصدقائي وأعدائي، ومن يرى التغميض على ما يُنكره، أو التشهير والتنديد بما يثيره، لما وجدوا غمزة، ولا ظفروا بنقيصة. وذكر الأديم مثل للعرض والأصل. والقُد والإحصاء كناية عن النقص والتنفير.

٣ - وإن نجاري يابن غم مخالف نجار اللثام فابني من ورائيا النجار: الأصل. وهذا تعريض بالمخاطب، يقول: أصلي مخالف لأصول الأديان، فاطلبنى للمفاخرة إذا غبتُ عنك [أوفتُك^(١)]. فاما إذا حضرتُ فإنك لا تقاومني ولا يستقيم لك مساجلتى. هذا إذا جعلت وراء بمعنى خلف، فإن جعلته بمعنى قدام يكون بمعنى أبني إذا تقدمتني. ومن طلب من تخلف عنه من قدام لا يُدركه. والكلام على هذا يكون تهكما وسخرية. فالعنى في الأول والثاني: إنك لا تلحق شأوى فاطلبنى طلب المَعْدَر واليأس^(٢). ويجوز أن يكون يريد: إني كريم الأصل، رفيع المحل، على الرتبة، ومن كان كذلك لا يُظفر به، ولا يُضطاد مثله [إلا^(٣)] بالخضوع له والانقياد بالتذلل بين يديه، فأبني وأنت تابع لى، وواطى عقيبى، حتى تنالنى، وإلا لم تبلغ مُهادك منى. ويقال: فلان من وراء فلان، إذا كان ناصرا له، وتابعا. وأنشد ابن السكيت:

لعمرك ما كان القَرْنَبى ورهطه بعمى ولا خالى ولا من ورائيا
وقال: المعنى ولا ناصرى. فاما قولهم الله من ورائك، فالعنى طالبك
ومُترصد لكافأنتك. فعلى القول الأخير يكون من ورائى فى موضع الحال
لضمير الفاعل فى أبغ.

(٢) التبريزى: «كبعض الرجال».

(١) التكملة من م.

(٣) المعذر: المقصر المتوانى من غير عذر. ومنه: «وجاء المعذرون».

٤- وَسَيَّانَ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى كَبَعْضِ رِجَالِ يَوْطُنُونَ الْمَخَازِيَا

ارتفع سَيَّانٍ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُقَدَّمُ لِقَوْلِهِ « أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى » ، وَالْمَعْنَى :
مِثْلَانِ عِنْدِي مَوْتِي وَأَنْ أَرَى كَمَنْ يَأْلَفُ الْمَخَازِيَا وَيَرْضَاهَا وَطَنًا وَمَأْوَى ،
وَلَا يَأْنَسُ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا إِلَيْهَا . وَهَذَا تَعْرِيزٌ بِالْمُخَاطَبِ أَيْضًا .
وَالسِّيُّ : الْمِثْلُ . قَالَ :

فَأَيَّاكُمْ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَادٍ هُمُوزِ التَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بَسِي^(١)

٥- وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا

يَقُولُ : لَا أَحْتَشِمُ مَنْ لَا يَحْتَشِمُنِي ، وَلَا أَنْهَيَّبُهُ إِذَا لَمْ يَتَهَيَّبْنِي ، وَلَا أَرَى
مَنْ يُعْظَمُ الْمَرْءُ وَإِجْلَالُهُ مَا لَا يَرَاهُ لِي ، لَكِنِّي أَوَازِنُ النَّاسَ فِي أَفْعَالِهِمْ ،
وَأُجَازِيهِمْ عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ . وَقَوْلُهُ « مَا لَا يَرَى لِيَا » حَذَفَ مَفْعُولُ يَرَى
تَخْفِيفًا ، وَهَذَا الْحَذْفُ سَائِعٌ إِنْ جَعَلْتَ مَا مَعْرِفَةً فَكَانَ مَا بَعْدَهُ صِلَةً ، أَوْ جَعَلْتَهُ
نَكْرَةً فَكَانَ صِفَةً .

٦- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُحِبِّكَ إِلَّا تَكَرَّهًا عِرَاضَ الْعُلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بَاقِيَا

انْتَصَبَ قَوْلُهُ « تَكَرَّهًا » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالتَّقْدِيرُ
إِلَّا مِتَكَرَّهًا . وَانْتَصَبَ « عِرَاضَ الْعُلُوقِ » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
« لَمْ يُحِبِّكَ إِلَّا تَكَرَّهًا » ، لِأَنَّ الْمَعْنَى إِذَا الرَّجُلُ عَارَضَكَ فِي الْحُبِّ عِرَاضَ
« الْعُلُوقِ » لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْحُبُّ بَاقِيًا وَلَا ثَابِتًا . وَالْعُلُوقُ ، هِيَ الْمَرَأَةُ الَّتِي تَرَأَمُ وَلَدَهَا
وَتَلَسُّهُ حَتَّى يَأْنَسَ بِهَا ، فَإِذَا أَرَادَ ارْتِضَاعَ اللَّبَنِ مِنْهَا ضَرَبَتْهُ وَطَرَدَتْهُ . قَالَ :

(١) اللَّحْطِيَّةُ فِي دِيْوَانِهِ ٦٩ وَاللِّسَانُ (سَوَا) .

وَمَا نَحْنِي كَيْمَاجَ الْعَلَوِ قِي مَاتَرَ مِنْ غِرَّةٍ تَضْرِبُ^(١)
 وَيُشْبِهُ الْبَيْتَ الَّذِي نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :
 أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ رِيْعَانِ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ

١٤٤

وَقَالَ عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَادٍ^(٣) :

١ - يُدَبِّبُ وَرَدُّ عَلَى إِنْثَرِهِ وَأَمْكَنَهُ وَقَعُ مِرْدَى خَشِبِ

هذا وَرَدُّ بْنُ حَابِسٍ طَلَبَ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّ بِوَتَرٍ كَانَ لَهُ عِنْدَهُ^(٤) . فيقولُ :
 تَسْرِعُ هَذَا الرَّجُلُ فِي إِنْثَرِ الْمَارِبِ مِنْهُ ، وَاسْتَعَثَّ قَرَسُهُ فِي حَلَاقِهِ ، فَكُنْهُ مِنْهُ
 عَدُوٌّ قَرَسٍ صُلْبٍ كَأَنَّهُ مِرْدَاةٌ . وَالْمِرْدَى : صَخْرَةٌ يُكْسِرُ بِهَا النَّوَى وَغَيْرُهُ . وَمَعْنَى
 خَشِبِ خَشِنٌ . وَيُقَالُ خَشِبْتُ الشَّيْءَ خَشْبًا فَخَشِبَ . وَالْخَشِبُ^(٥) مِنَ السَّيْفِ^(٦) :
 الَّذِي بَدَى طَبْعُهُ فَلَمْ يَلْنْ بَعْدُ . وَقَوْلُهُ « وَقَعُ مِرْدَى » هُوَ مَنْ وَقَعَتْ الْحَدِيدَةُ ،

(١) اللَّابِغَةُ الْجَعْدَى فِي اللِّسَانِ (عَلَق) . وَقَدْ رَوَى فِي الْأَصْلِ : « تَضْرِبُ » بِالرَّفْعِ ،
 وَصَوَابُهُ بِالْخَفْضِ لِأَنَّهُ جَوَابُ الشَّرْطِ كَمَا فِي م ، وَعَلَيْهِ نَبْهُ ابْنِ بَرِي . اللِّسَانُ (عَلَق) . وَقَبْلَهُ :
 وَكَانَ الْخَلِيلُ إِذَا رَابَى فَدَاتِبْتَهُ ثُمَّ لَمْ يَعْتَبِ

(٢) هُوَ أَفْنُونُ التَّغْلَبِيِّ . اللِّسَانُ (عَلَق) ، رَأْمٌ وَالْبَيَانُ وَالنَّبِيْنُ (١ : ٩) وَالْمُفَضَّلِيَّاتُ
 (٣ : ٦٢) وَخَزَائِنُ الْأَدَبِ (٤ : ٤٥٦) .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي م وَالتَّبْرِيْزِيِّ : « وَقَالَ عَنْتَرَةُ » فَقَطْ . وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْآخِرَ
 هُوَ النَّصُّ الصَّحِيحُ . وَقَالَ التَّبْرِيْزِيُّ : « قَالَ أَبُو هَلَالٍ : يَعْنِي عَنْتَرَةُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ شَدَادٍ بْنِ قُرَادٍ
 بْنِ مَخْزُومٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ عَبَسَ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْمُغْلَسِ . وَفِي الشُّعْرَاءِ جَمَاعَةٌ يُقَالُ لَهُمْ عَنْتَرَةُ
 مِنْهُمْ هَذَا ، وَمِنْهُمْ عَنْتَرَةُ بْنُ عَكْبَرَةَ الطَّائِي ، وَهُوَ عَنْتَرَةُ بْنُ الْأَخْرَسِ ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ . وَمِنْهُمْ
 عَنْتَرَةُ بْنُ عُرُوسٍ مَوْلَى ثَقِيفٍ ، وَكَانَ مَوْلَدًا فِي بِلَادِ أَرْدَ شَنْوَةَ : شَاعِرٌ رَاجِزٌ » . وَانْظُرِ الْحَمَاسِيَّةَ
 ٥٣ وَالْمَوْثَلَفَ وَالْمُخْتَلَفَ لِلْكَامِلِيِّ ١٥١ - ١٥٢ .

(٤) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَقِيلَ وَرَدٌ : اسْمٌ فَرَسُهُ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَالْخَشِبُ » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتْنَا مِنْ م .

(٦) كَذَا فِي النَّسَخَتَيْنِ ، كَأَنَّهُ جَعَلَ السَّيْفَ جَنْسًا ، أَوْ أَعْلَى : « مِنْ » مُقْتَصَمَةٌ .

إذا ضربتها بالميقة، كأنَّ الفرسَ كان يضربُ الأرضَ بحوافره ضربَ الحديد بالميقة. ومن هذا قول الهذليَّ ساعدة:

وحوافِرُ تَقَعُ البراحَ كأنما أَلِفَ الزَّمَاعِ بها سِلَاقٌ صَابٌ^(١)

[فمعنى تقع البراح، أى تفرعه. وروى الجحى هذا البيت:

..... كأنما أَلِفَ^(٢) الزَّمَاعِ ردى سِلَاقٌ صَابٌ^(٣)]

وقال: رَدَى صخرة، شَبَّهَ الأنفَ بها، فعلى هذه الرواية يحصلُ التوافقُ بينَ بَيْتَيْ عَنْتَرَةَ وساعدة الهذليَّ في اللفظ أيضاً.

٢- يَتَابِعُ لَا يَبْتَغِي غَيْرَهُ بِأَيُّضَ كَالْقَبَسِ الْمُتَهَبِ^(٤)

التتابع والمتابعة يستعملان في أطراد الشيء واستمراره على حَدٍّ واحدٍ. على هذا قوله:

* وَعُرَاضَةُ السَّيْتَيْنِ تُوبِعَ بَرِيهَا *

ومفعول يُتابع محذوف، ويجوز أن يكون الفعل للرجل ويجوز أن يكون للفرس. كأنَّ المراد: يتابع الركض أو العدو. وموضع لا يبتغي نصبٌ على الحال. والباء من قوله « بأبيض » يجوز أن يُريدَ به سَيْفًا. والقَبَسُ: النار. شَبَّهَ بها في بَرِيقها ولمعانها ويجوز أن يريد به رجلاً كريماً، ويكون على هذا « يتابع » للفرس. وشَبَّهَهُ بالنار لذكائه ونفاذه. واستعمالُ البياض في الكرم ونقاء العَرَضِ كثيرٌ معروف، على ذلك قول الآخر^(٥):

(١) ديوان الهذليين (١ : ١٨٦).

(٢) في الأصل، وهو هنا م: «كافاً أنفسه». (٣) هذه التكملة من م.

(٤) جعل التبريزي الرواية الأولى: « يتابع » وقال: « أى تمدى هذا الرجل لا يبتغي

غير فضلة. والتتابع في الشر دون الخير. ويروى: يتابع، ومفعول يتابع محذوف. »

(٥) هو ابن قيس الرقيات. ديوانه ٨٣.

* أُمْلَكَ بَيْضَاءَ مِنْ قُضَاءَةٍ (١) *

فأما مَعْنَى قوله « بَيْتْنِي غَيْرَه » فيجوزُ أن يكون أن هِمَّتُهُ كانت موكولةً به لا بشيء من الغنائم والاموال . وكأنَّه أَلَمَّ بقوله :

* أَغَشَى الْوَغَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ (٢) *

ويجوز أن يُريدَ أن قَصَدَه في الطَّلَبِ كان إليه لا إلى غيره من النَّاسِ .

٣- فَمَنْ يَكُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي فَإِنَّ أَبَا نَوْفَلٍ قَدْ شَجِبَ

أَضَافَ الْمَصْدَرَ فِي قَتْلِهِ إِلَى الْمَفْعُولِ . يقول : مَنْ شَكَّ فِي قَتْلِ وَرْدٍ لِنَفْضَةٍ فَلْيُزِلْ الشَّكَّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلِيَدْعِ الْارْتِيَابَ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ هَلَاكَ لَا مَحَالَةَ . وَأَبُو نَوْفَلٍ : كُنْيَةُ نَفْضَةٍ . وَفِي الْكَلَامِ تَهَكُّمٌ وَإِظْهَارُ شِمَاتَةٍ . وَيُقَالُ شَجِبَ بَفَتْحِ الْجِيمِ ، إِذَا هَلَاكَ ، فَهُوَ شَاجِبٌ ، وَشَجِبَ بِكَسْرِ الْجِيمِ فَهُوَ شَجِيبٌ ، لَفْتَانِ .

٤- وَغَادَرْنَا نَفْضَةَ فِي مَعْرَكٍ يَجْرُ الْأَسِنَّةُ كَالْمُحْتَطَبِ

النُّونُ ضَمِيرُ الْخَيْلِ . يقول : تَرَكْتُ الْخَيْلُ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا انْكَشَفَتْ عَنْهُ وَهُوَ فِي مُزْدَحَمِ الْحَرْبِ جَارًّا لِلْأَسِنَّةِ الْمَكْسُورَةِ فِيهِ عِنْدَ الطُّغْنِ ، كَأَنَّهُ جَامِعُ حَطَبٍ . وَيُقَالُ أُحْرَزْتُ فَلَانًا الرُّمْحَ فَجَرَّهُ ، أَيْ كَسَرْتُهُ فِيهِ لَمَّا طَعَنْتُهُ فَصَارَ يَجْرُهُ . وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

* أَجِرَّهُ الرُّمْحَ وَلَا تَهَالَهُ (٣) *

وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُحْتَطَبَ : دَوَابَّةٌ تَمُرُّ عَلَى الْأَرْضِ فَيَعْلُقُ بِهَا الْعِيدَانُ .

(١) هُوَ بَيْتَاهُ كَمَا فِي الدِّيْوَانِ وَمَا مَضَى فِي حَوَاشِي الْحَمَاسِيَةِ ٢٥ : ٣ :

أَمْلَكَ بَيْضَاءَ مِنْ قُضَاءَةٍ فِي الْـ * بَيْتِ النَّبِيِّ يَسْتَكَنُ فِي طَنْبِهِ

(٢) لَعْنَتُهُ فِي مَعْلَقَتِهِ . رَصَدَرَهُ :

* يَجْهَرُكَ مِنْ شَهِدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي *

(٣) سَبَقَ لِإِنْشَادِهِ فِي الْبَيْتِ السَّالِحِ مِنَ الْحَمَاسِيَةِ ٢٩ ص ١٦٢ .

ويكون المعنى يجرُّ الأسنَّة كما تجرُّ هذه الدَّويبَّة العِبدان . وهذا تصويرٌ
للخفيِّ بالجليِّ .

١٤٥

وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(١) :

١ - لَحَى اللَّهُ صُغُلُوكَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ آفِئًا كُلَّ مَجْزِرٍ^(٢)

لَحَى الله : كلمةٌ تُستعملُ في السَّبِّ ، وأصله اللَّوْمُ والقَشْرُ أيضًا . والصُّغُلُوك :
الفقير . يقول : زاد الله كلَّ فقيرٍ يرضى من عَيْشه بأن يطُوفَ في المَجَازِرِ إِذَا أَظْلَمَ
عليه الليلُ ، و يلتقطُ للمشاشَ منها كأنه يصادفها ويلازمها حُبًّا لها - فَقَرًّا^(٣) .
وإنما قال هذا على وجه الإنكار . أَيْ لِمَ يَقْنَعُ بِذَلِكَ ، وماله يُسِفُّ لِمثْلِ هذا
الطَّمْعِ الخسيس ولا يَطْلُبُ مَعَالَى الْأُمُور . والمشاش : كلُّ عَظْمٍ هَشٍّ دَسِيمٍ ،
والواحدُ مُشَاشَةٌ . وقوله « مُصَافِي الْمَشَاشِ » نَكِيرَةٌ ، وانتصبَ على أنه صفةٌ
لقوله صُغُلُوكَا . وإضافته ضعيفةٌ ، لأنَّ المشاشَ أُشيرَ به إلى الجنس ، ولا يحصلُ
التخصيصُ بالإضافة إليه . وعلى هذا قولهم : قَيْنَدُ الْأَوَابِدِ ، وَدَرَكُ الطَّرِيدَةِ وما
أشبهه . وكان يجب أن يحركَ الياءَ من مُصَافِي بالفتحة ، فسكَّته لأنَّ منهم من
يَجْزِرِي الفتحَةَ في مثله من المعتلِّ مجزئًا سائرَ الحركات فلا يُشَبِّهُهَا .

٢ - يَعُدُّ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُبَسَّرٍ

(١) التبريزي : « سُمي بالعروة من الشجر ، وهو ما لا يبيس في الشتاء فتستغيث به الإبل
في الجذب » . وعروة : شاعر جاهلي فارسي من بني عبس ، كان يلقب عروة الصعاليك ، لجمعه
إياهم وقيامه بأمرهم . انظر الأغاني (٢ : ١٨٤ - ١٩٠) واللائح (٨٢٣ - ٨٢٤)
والخزانة (٤ : ١٩٤ - ١٩٦) والشعر والشعراء ٦٥٧ .

(٢) رواية الديوان : « مضى في المشاش » .

(٣) فقرا ، مفعول « زاد » في أول هذه العبارة .

يقول : لِفَرَحِهِ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ كَسْبِهِ الدِّينَ ، وَرِضَاهُ عَنْ أَتْيَامِهِ بِعَيْشِهِ اللِّثِمِ
بَعْدُ — إِذَا أَصَابَ الْقِرَى لَدَى صَدِيقٍ وَلِدَتْ لَهُ شَيْئًا فَاتَّسَعَ اللَّبَنُ عِنْدَهُ وَفِي
رَحْلِهِ — الْغِنَى مُحُوزَالَهُ ، وَمَحْصَلًا عِنْدَهُ ، فَلَا غَضَاضَةً تَلْحَقُهُ ، وَلَا أَنْفَةً تَقْبِضُهُ .
وَالْمَيْسَرُ ضِدُّ الْجَنْبِ ، يُقَالُ يَسَّرَ الرَّجُلُ وَيَسَّرَتْ غَنِمُهُ . وَجَنَّبَ الرَّجُلُ ،
إِذَا قَلَّتِ الْحُلُوبَةُ فِي إِبِلِهِ وَغَنِمِهِ . قَالَ :

* وَكُلُّ عَامٍ عَلَيْهَا عَامٌ تَجْنِبُ ^(١) *

وقوله « أَصَابَ قِرَاهَا » أَضَافَ الْقِرَى إِلَى اللَّيْلَةِ عَلَى الْجَازِ ، وَالْمِرَادُ
قِرَاهُ فِيهَا .

٣ — يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا يَحْتَ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ ^(٢)

يقول : يَنَامُ هَذَا الصُّغْلُوكُ لِدَنَاءَةِ هِمَّتِهِ ، وَقِمَاءَةِ مَعِيشَتِهِ ، وَاسْتِيلَاءِ الْكَسَلِ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَكْسَبِهِ قُبْلَ اللَّيْلِ ^(٣) ، لِأَنَّهُ هَمَّتَهُ ^(٤) فِي رَاحَتِهِ وَنَوْمِهِ ، وَحِرْصِهِ عَلَى
مَا يَسُدُّ جَوْعَتَهُ بِهِ . ثُمَّ يَأْتِي الصَّبَاحُ عَلَيْهِ وَهُوَ نَاعِسٌ بَعْدُ ، غَيْرَ قَاضٍ حَاجَتَهُ
مِنَ الرِّقَادِ ، وَلَا ضَحِيرٍ فِي مَضْجَعِهِ بِالتَّسَاقُطِ وَالْانْجِدَالِ ، يَنْفِي عَنْ جَنْبِهِ مَا أَصْبَقَ
بِهِ مِنَ الْحَصَى وَالتُّرَابِ ، وَنَسِبَ فِيهِ مِنْ دُقَاقِ الْحَصَى . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَامَ بِلَا
وِطَاءٍ . وَقَوْلُهُ « يَحْتَ الْحَصَى » أَيْ يُسْقِطُهُ ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ يَحُطُّ . وَالْعَفَرُ :
التُّرَابُ . وَيُقَالُ عَفَّرْتُهُ فَمَعَفَّرَ .

(١) للجميع الأسدى فى المفضليات (١ : ٣٣) وصدرة :

* لَأَ رَأَتْ إِبِلٌ قَلَّتْ حَوْلَتَهَا *

(٢) الديوان : « ثُمَّ يَصْبِحُ طَاوِيَا » .

(٣) م : « وَمَكْسَبَتِهِ . وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ : أَوَّلُهُ .

(٤) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « لِأَنَّهُ نَهَمَتْ » .

٤ - ولكن صُغِلُوا صَفِيحَةً وَجْهِهِ كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ^(١)

صَفْحَةُ الرَّجُلِ وَصَفِيحَتُهُ : عُرْضُ وَجْهِهِ . يقول : ولكن فقيراً مُشْرِقَ
الْوَجْهِ صَافِيَ اللَّوْنِ ، لا يَتَخَشَّعُ لِفَقْرِهِ ، ولا يَتَذَلُّ إِذَا أَثَرَّ الدَّهْرُ فِيهِ ، فَكَانَ
ضَوْءُ وَجْهِهِ ضَوْءَ نَارِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ . والقابِس هاهنا ذو القَبَسِ معناه .
وَالْقَبَسُ : النّار ، ويكون القابِسُ الطّالِبُ . ويقال : أَقْبَسْنِي نَارَكَ . والمتنوّرُ :
المتفعل من النار . ويقال تنوّرتُ النار ، أى نظرتُ إليها واستضأتُ بنورها .
ومنه قول امرئ القيس :

تنوّرتُها من أذِرِعاتِ وأهلِها بيثرب أذنى دارِها نظَرَ على
وموضع « صفيحة وجهه » مع خبره نَضَبٌ على أن يكون صفةً لَصُغُلُوا
وخبرٌ لكنَّ يَحْيى فيما يحْيى من بَعْدُ . وقوله « صفيحة وجهه » حَذَفَ المضاف
منه لأنّ المراد ضوء صفيحة وجهه كضوء شِهَابٍ ، فأقام المضاف إليه مقامه .

٥ - مُطِلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمَشْهَرِ
يقال : أَطْلَّ على كذا ، إِذَا أَوْفَى عَلَيْهِ . وَالْمَنِيحُ ، قال الخليل : هو الثامن
من القِدَاحِ . وقال أبو عمرو : الْمَنِيحُ وَالسَّفِيحُ وَالْوَعْدُ قِدَاحٌ لَا أَنْصِبَاءَ لَهَا ،
وإنَّمَا يُكَثَّرُ بِهَا الْقِدَاحُ فَهِيَ تُجَالُ أَبَدًا ، وقال الأصمعي : المنيح الذى لا يُعْتَدُّ
به . فيقول : ولكنّ الفقير الوضئ الوجْهِ ، الذى يبذل جُهدَهُ ويبذل نفسه
فى طلب غِنَاهُ ، وَيُقْصَرُ سَعْيُهُ على ما يبلغ به عُذْرَهُ فيُشْرِفُ على أَعْدَائِهِ غَازِيًا
وَمُغِيرًا ، وهم يزجرونه حالاً بعد حال ، ويكرُّ هو عليهم وقتاً بعد وقتٍ يُزْجَرُ
هذا القِدْحُ فى خروجه ومع ذلك يُرَدُّ . وخبرٌ لكنَّ بَعْدُ لم يَحْيِ .

(١) بين هذا البيت وسابقه عند التبريزي :

يَعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ وَيُمْنِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمَحْسَرِ

٦- إِذَا بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوَّفُ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ^(١)

يقول : هذا الفقير لا يقمّد به عن طلب الأعداء والإغارة عليهم والنيل منهم بُعد الغزاة وتناى الدّار ، فهم لا يأمنونه وإن شحطوا ، بل يتشوّفونه تشوّف الغائب المنتظر ، أى كما يُتشوّف غائبٌ دنا قفوله ويُنتظر . وانتصب « تشوّف » على المصدّر فيما دلّ عليه لا يأمنون اقترابه ، ومفعول تشوّف محذوف ، كأنّه قال تشوّف أهل الغائب رجوعه .

٧- فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيداً وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ

يقول : ذلك الصُّعْلُوكُ إِنْ أَدْرَكَهُ الْأَجَلُ ، قَبْلَ نَيْلِ الْأَمَلِ ، لَقِيَهُ مَحْمُوداً ، إِذْ كَانَ قَدْ فَعَلَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ ، وَأَقَامَ عُذْرَهُ فِي مَطْلُوبِهِ بِاسْتِفْرَاحِ الْوُسْعِ فِي السَّعْيِ لَهُ ، وَإِذْ كَانَ التَّبِعَةُ فِيمَا فَاتَ عَلَى مَنْ يَمْلِكُ الْعَوَاقِبَ دُونَهُ . وَإِنْ نَالَ الْغِنَى يَوْمًا فَمَا أَخْلَقَهُ بِذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ » خَبَرُ قَوْلِهِ وَلَكِنْ صُعْلُوكًا لَوْ انْفَرَدَ عَنْ قَوْلِهِ فَذَلِكَ ، لَكِنَّهُ لَمَّا تَرَخَى الْخَبَرَ عَنِ الْخَبَرِ عَنْهُ وَتَبَاعَدَ اللَّفْظُ عَنِ اللَّفْظِ لَهُ أُنِىَ بِقَوْلِهِ فَذَلِكَ ، مُشِيرًا بِهِ إِلَى الصُّعْلُوكِ . فَصَارَ إِنْ يَلْقَى خَبَرًا عَنْهُ . وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ وَالثَّانِي شَيْءًا وَاحِدًا ، وَمِمَّا أُجْرِيَ هَذَا الْمَجْرَى لِحَصُولِ مِثْلِ هَذَا التَّرَاخِي فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا ^(٢) أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ ، فَأَعَادَ أَنْ فِي قَوْلِهِ « فَأَنَّ » كَمَا تَرَى .

(١) الديوان : « فإن بعدوا » .

(٢) هذه قراءة الحسن والأعرج . وقراءة الجمهور : « ألم تعلموا » بالياء . انظر تفسير

أبى حيان (٥ : ٦٤) .

١٤٦

وقال عنتره بن شداد العنسي^(١) :

١ — تَرَكْتُ بَنِي الْهَجِيمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ
الْبَيْتَ يُرَوِّى عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهَا :

تَرَكْتُ بَنِي الْهَجِيمِ لَهُ دَوَارٌ إِذَا يَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ يَعُودُ
ويكون الضمير في قوله له للفرس ، ويمضى فعل له ، وجماعتهم ينتصب
على المفعول ، لأن يمضى هذا يتعدى ، ومعناه يُجَاوِزُهُمْ . ويكون المعنى : تَرَكْتُ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لِفَرَسِي مَطَافًا بِمَنْزِلَةِ الدَّوَارِ — وهو صَنَمٌ كانوا يحجُّونه —
يَطُوفُ حَوْلَ ذَلِكَ الصَّنَمِ ، إِذَا نَفَذَهُمْ وَخَرَقَ صَفُوفَهُمْ وَدَارَ عَلَيْهِمْ عَادَ إِلَى مِثْلِ
فَعْلِهِ الْأَوَّلِ ، وَإِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ . وَيُشَبِّهُ هَذَا الْبَيْتَ بَيْتُ الْأَعَشَى فِي الْمَعْنَى
وَاللَّفْظِ ، وَهُوَ :

تَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَتَمْضِيهِمْ كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ الْمُرْتَجِمُ
وجاء في الحديث حُجَّةٌ لَتَعْدَى يَمَضَى ، فِي صِفَةِ الْمَحْشَرِ : « يَمْضِيهِمِ الدَّاعِي
وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ » .

وَالثَّانِي أَنْ يُرَوِّى :

تَرَكْتُ بَنِي الْهَجِيمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ
والمعنى : تَرَكْتُهُمْ يَطُوفُونَ حَوْلَ قَتْلَاهُمْ كَمَا يُطَافُ عَلَى ذَلِكَ الصَّنَمِ ، أَوْ ذَلِكَ
النَّسْكِ ، فَإِذَا انْقَضَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَادَتِ الْآخَرَى لِلنَّظَارَةِ^(٢) . وقوله « جماعتهم »
يريد جماعة منهم ، فَأُضَافَ الْبَعْضُ إِلَى الْكُلِّ ، وَلَيْسَ يَرِيدُ جُمْلَتَهُمْ ، فَهُوَ فِي

(١) سبق له الحماسية ١٤٤ .

(٢) كذا وردت الكلمة بضمها في الأصل . وهي ساقطة من م .

حكم النَّكِرات. وموضعُ «لَمْ دَوَّارٌ» نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ، وَقَوْلُهُ «تَعَوُّدٌ» فَاعِلُهُ مُضْمَرٌ، وَهُوَ جَمَاعَةٌ أُخْرَى، فَكَتَفَى بِذِكْرِ الْأُولَى عَنْهَا.

٢- تَرَكْتُ جُرْيَةَ الْعَمْرِىِّ فِيهِ شَدِيدُ الْعَيْرِ مُعْتَدِلٌ سَدِيدٌ^(١)

يَفْتَخِرُ بِأَنَّهُ أَصَابَ الْمَذْكُورَ، لَمَّا رَمَاهُ بِسَهْمِهِ مُحْكَمِ النَّصْلِ، مُقَوِّمِ الْقِدْحِ، صُلْبِ الْعَيْرِ، سَدِيدِ الْوَقْعِ. وَمَوْضِعُ قَوْلِهِ «فِيهِ شَدِيدُ الْعَيْرِ» نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ. وَالْعَيْرُ: النَّاتِي مِنْ وَسْطِ النَّصْلِ. وَقَدْ أَقِمَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سَهْمٌ شَدِيدُ الْعَيْرِ. وَلَوْلَا مَا حَصَلَ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِإِضَافَةِ الشَّدِيدِ إِلَى الْعَيْرِ لَمَّا جَازَ ذَلِكَ فِيهِ، لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ حَتَّى يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ. فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَامَّةً فِي أَجْنَاسٍ، فَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِيهِ. لَوْ قُلْتُ مَرَرْتُ بِطَوِيلٍ، وَأَنْتَ تَرِيدُ رَجُلًا، لَمْ يَحْسُنْ، لِأَنَّ الطَّوِيلَ يَكُونُ فِي غَيْرِ الرِّجَالِ كَمَا يَكُونُ فِي الرِّجَالِ. وَلَوْ قُلْتُ مَرَرْتُ بِكَاتِبٍ، يَحْسُنُ إِذْ كَانَتْ الْكِتَابَةُ مُخْتَصَّةً.

٣- فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفْقَدُ فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ

كَانَ مِنْ رَمُوزِهِمْ أَنَّ الْوَاحِدَ إِذَا رَمَى بِسَهْمٍ وَأَرَادَ سَلَامَةَ الرَّمِيَّةِ مِنْهُ رَفَى مَهْمَهُ بِعُودَةٍ وَنَفَثَ فِيهِ، ثُمَّ رَمَى بِهِ، وَإِذَا أَرَادَ هَلَاكَهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ. وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ^(٢):

فَلَمْ أَرْقِهِ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمُتْ فَرَمِيَّةٌ لَا غَسَّ وَلَا بِمُغَمَّرٍ^(٣)
وَقَوْلُهُ «فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ» الْمُبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ فَهُوَ حَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ،

(١) التبريزي: «إنما قال العمري لأن الهجيم ابن عمرو». ورواية التبريزي: «معتدل شديد» بالسين.

(٢) هو زهير بن مسعود، كما في اللسان (غس). وقد سبق الاستشهاد بمعجز البيت في ص ٣٥٣.

(٣) فيما سبق وفيما سيأتى في الصفحة التالية: «فطمنة لاغس». ونخشى أن تكون الرواية التبتت على الموزوق.

لأنَّ الفاء يُجَلَّبُ في الجزاء إذا كان الجواب بالابتداء والخبر ، ولو قصد إلى أن يكون الفعل جواباً لا يُسْتَفَنَى عن الفاء . وبعض من يدفع هذه الطريقة يقول لا رُقِيَّةَ ولا نَفَثَ ، إنَّما كَنُوا عن الإبقاء بمثل هذا الكلام . وقوله : « وإن يُفَقَدَ » فهو مثل قوله « فَطَمَنَةُ لا غَسَّ » . والمعنى : إن يَبْرَأَ فليس ذلك من بُقَيَّاي ، وإن يَهْلِكَ فواجِبُ لأن المصاب بمثله يَهْلِكُ لا تحالة .

٤ - وما يَدْرِي جُرِّيَّةُ أَنْ نَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَها الْبَطْلُ النَّجِيدُ
يُرَوَّى : « وهل يَدْرِي جُرِّيَّةُ » . والمعنى لا يعلم أنه كما أنى أَصَبَتْهُ فدأبى وعادنى أن تكون الأبطال الثَّجْداءَ لِنَبْلِي بمنزلة الجمجمة ، أَصِيبُهُمْ أبدأ بها . وفي ذكره البطلُ النَّجِيدُ المائم بقول الآخر ^(١) :

..... وَنَضَّ طَادَ نَفُوسًا بُنَتْ عَلَى كَرَمٍ ^(٢)

ويقول الآخر ^(٣) :

من عَهْدِ عَادٍ كانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَمْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُها وَقِتالُها

وأخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُفُونِها فَقَدْ أَسْكَنْتَ بَيْنَ الطَّلَى وَالْجَاجِمِ ^(٤)
ويمحوز أن يُريدَ بالبطل النَّجِيدَ جُرِّيَّةَ بعينه ، ثم يحوز أن يكون مُتَهَكِّمًا فيما وَصَفَهُ به ، ويمحوز أن يكون مادِحًا له ، لأن مدحَ خَصْمه وقتَ غَلْبِهِ رَاجِعٌ إليه .

(١) أحد بنى بولان ، من طبرى . الحماسية ٣١ .

(٢) صدره : * نستوقد النبل بالحیض ونص *

(٣) هو بشامة بن الغدير . الحماسية ١٣٤ .

(٤) كذا في م والديوان ٣٨٧ . وفي الأصل : « ولا تطلبوا » .

١٤٧

وقال قيسُ بن زُهَيْرِ العبِسيُّ سيِّدُ بني عَبْسٍ^(١) :

١ - تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا على جَفَرِ الهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ^(٢)

يُرْوَى « أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا » ، والمعنى هو حَيٌّ ، وقوله « على جَفَرِ الهَبَاءَةِ » خبرٌ أَنَّ . ويروى : « مَيِّتًا » وإعرابه على ما ذكرناه في حَيًّا . ويروى : « مَيِّتٌ » وارتفاعه على أَنَّهُ خبرُ أَنَّ ، و « على جَفَرِ الهَبَاءَةِ » في مَوْضِعِ الصِّفَةِ له . ومعنى تَعَلَّمْ : اعْلَمْ . ولا يقال في جوابِهِ تَعَلَّمْتُ ، اسْتَعْنِي عنه بَعَلِمْتُ . وَيَعْنِي بِخَيْرِ النَّاسِ حَمَلُ بَنِ بَدْرِ . وجَفَرُ الهَبَاءَةِ : بَيْتُ قَرِيْبِهِ الْفَقْرِ ، وماؤها كثيرٌ مَعِينٌ . وكان حَمَلُ انْهَزَمَ في وَقْعَةٍ بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ ، فلما انتهَى إلى الهَبَاءَةِ أَمِنَ لُبْعُهَا عَنِ الطَّلَبِ ، فَرَحِمِي بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْتَرِدَ ، فاتفقَ لَحَاقُ قَيْسٍ بِهِ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ ذَوِيهِ ، فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

٢ - وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَازِلْتُ أَبْكِي عليه الدهرَ ما طَلَعَ النُّجُومُ

أشار بالظُّلْمِ إِلَى مَا جَرَى بَيْنَهُمْ فِي أَمْرِ دَاحِسٍ وَالْغُبْرَاءِ ، وَإِنْكَارِهِ السَّبْقَ ، وَرُكُوبِهِ الْبَغْيَ . وقوله « ما طَلَعَ النُّجُومُ » يَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الدَّهْرِ . والمعنى : لَوْلَا مَا أَسْلَفَهُ مِنَ الظُّلْمِ لَا قَتَضَى مَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالذُّمِّ ،

(١) قيس بن زهير العبسي شاعر جاهلي فارس . وهو صاحب داحس ، وكانت الغبراء فرس حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد أجرى السبق بين الفرسين فوضع حمل بن بدر أخو حذيفة كيتا يصدون داحسا عن الغاية ، وحدث خلاف أيهما السابق ، فذهبت الحرب بسبب ذلك بين عيس وفزارة ، واستمرت أربعين عاما قتل فيها خلق كثير . انظر العقد والأغنى (٧ : ١٤٣ / ١٦ : ٢٣) والكامل ٣٤٣ والميداني (١ : ٢ / ٣٥٩ : ٥١) .

(٢) جعل التبريزي الرواية الأولى : « أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ » ثم نبه على روايتي « حيا »

و « مَيِّتًا » .

والتشاجر والرحيم - البكاء عليه مدة الدهر . وقوله « ما طلع » بمنزلة المصدر ، وقد حذف اسم الزمان معه . والمراد بذكر الدهر الكثير والمبالغة والتأيد . وقد بينه بقوله « ما طلع النجوم » ، لأنه على ذلك يصح أن يكون مدلاً منه . فمغنى « عليه الدهر » عليه طوال الدهر^(١) ، وامتداد الدهر .

٣ - ولكن الفتى حمل بن بدر بنى والبغى مرته وخيم يقول : استعمل البغى واستوبل العافية ، واستندم المرتع ، ومن بغى عليه فإنه ينصر . ويقال : بنى الرجل على فلان ، أى جار . وبنى الفرس فى عدوه ، وهو فرس ناغ ، وذلك إذا اختال وصرح . وإذا استعمل فى الفخار والاستطالة فهو من هذا . والوخامة : الثقل يعرض من الطعام . يقال وخم وخامة فهو وخيم ووخيم ، أى لا يستمرأ .

٤ - أظن الحليم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم^(٢)

يقول : احتمالى من عشيرتى ، واستعمال الحليم معهم ، هو الذى جسرهم على فيما أظن ، ودلهم على قصدى واهتضامى على ما يتبين . ثم قال « وقد يستجهل الرجل الحليم » أى إذا أخرج الحليم وأخرج^(٣) فقد يتكلف ما لا يكون معهوداً فى طبعه ، ولا موجوداً من خلقه . وإنما نبتة بهذا الكلام على أنه يتعلم عن الأدب ، ويصبر على أذاهم ، وأنه لما عيل صبره وحمل فوق ما فى وسعه ، خرج عن المعتاد منه إلى غيره .

(١) كذا فى م . وفى نسخة الاصل : « طول الدهر » .

(٢) أنشده بعد التبريزى :

ومارست الرجال ومارسونى ففوج على ومستقيم

(٣) فى الاصل : « وأخرج » ، والصواب ما أثبتنا من م «

١٤٨

وقال مساور بن هند^(١) :

١ - سائل تميمًا هل وقيت فإتني أعددتُ مُكرُمَتِي ليومٍ سبابِ

يقول : سائل تميمًا هل كان مني وفاء بما تضمّنته لجاري ، فإنّ رجلًا نظرًا في أعقاب الأحاديث ، مُتَمِّمٌ بإعداد المكارم ليوم النّفار ، شديد التّزاع في مجالس الفخار . كأنه يقرّر خصماءه على ما كان من وفائه ، لِيُسْقِطَ التّبعة عنه فيه ، ويُنبِّهه على أنه يُراعى أفعاله فيُخلّصها مما يُعدُّ سيئةً وسُبةً ووُصمةً في حَسَبِهِ .

٢ - وأخذتُ جارَ بنى سلامة عنوةً فدَفَعْتُ رِبْقَتَهُ إِلَى عَتَابِ

عَتَابٌ هذا كان معتصمًا بحبله ، ومستظهرًا بذِمَّتِهِ ، فلحقه من بنى سلامة اهتضامٌ في أمر ، فجاء مساورٌ ومكّنه من جارهم ، وأعطاه رِبْقَتَهُ ليتحكّم فيه ، ويستغنى لما لحقه منهم . وهذا الكلام بيانٌ لكيفية وفائه والخروج إلى جاريه مما كان تضمّن له . وقوله « عنوةً » أى قهزًا ، وهو مصدرٌ في موضع الحال . ويقال : أخذَ بِلَدٍ كذا عنوةً ، أى قهزًا بالسيف . والرّبْقَةُ : الخبلُ يُشدُّ في عُقُقِ البَهِيمِ ، وقد توسّعوا فيه فقالوا : خلَع فلانٌ رِبْقَةَ الإسلام . وقوله « فدَفَعْتُ رِبْقَتَهُ » ، هو كما يُقال دَفَعْتُ مَقَادَتَهُ .

٣ - وجَلَبْتُه من أهلِ أْبَضَةَ طائعا حتّى تحكّم فيه أهل إرابِ

(١) هو المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي . شاعر فارس مخضرم أدرك النّبيّ ولم يجتمع به ، ويقال إنه ولد في حرب داحس قبل الإسلام بخمسين عاما . الإصابة ، والخزانة (٤ : ٥٧٣) والشعر والشعراء ٣٠٧ . وفي المبهج أن « مساور » منقول من اسم الفاعل . وأما هند فعلم مرتجل .

الماء من « جَلَيْتُهُ » ترجع إلى دار بنى سلامة . وأَبْضَةُ : اسم ماء . وقوله « جَلَيْتُهُ طائعا » تنبيهٌ على أنه وإن لَزِمَهُ لجارِهِ الانتقام له من خصمه ومهتَضِمِيهِ فقد تبرَّع له بما لم يكن عليه ، وتكلف فيه ما لم يلزِمَهُ . وإرابُ : موضع ، وقيل إرابُ : ماء ابني العنبر . وأَبْضَةُ : ماء لطِيءٌ . والأَبْضُ كالعَمَل ، ومنه اللَّابِضُ في الرَّجُلِ . وقيل للغرابِ مُؤْتَبِضُ النِّسَاءِ ، لأنه يَحْجِلُ فكَأَنَّهُ مأبوض .

٤ — قتلوا ابنَ أَخِيهِمْ وجارَ بُيُوتِهِمْ من حَيَنِهِمْ وسَفَاهَةِ الألبابِ
يَشْهَرُ بِفَعْلَتِهِم الذميمة وَيُنَدِّدُ ، فيقول : قَطَعُوا الرَّحِمَ ونَقَضُوا الْعَهْدَ ،
وارتكبوا ما كان محظورا في الدين والمروءة ، والعهد والذمة ، فقتلوا جارهم
وَأَبْنَ أَخِيهِمْ ، بِحِمَّةِ عَقُولِهِمْ ، واقترب هلاكهم . والسَّفَهُ : الْخِلْفَةُ في الأضَل ،
ومنه قيل زِمَامٌ سَفِيهُ ، إذا كان كثير الاضطراب ، ومنه قيل : تَسَفَّهَتِ الرِّيحُ
الغَضْنَ ، وتَسَفَّهَتْهُ عن مَالِهِ . واللَّبُّ : الْعَمَلُ ، والفِعْلُ منه لَبَّ يَلْبُ . وقالت
صَفِيَّةُ بنت عبد المطلب ^(١) : « أَضْرِبُهُ لَكِنِّي يَلْبُ ، وَيُقَوِّدُ الْجَيْشَ
ذَا الْجَلْبِ » ^(٢) .

٥ — غَدَرْتُ جَذِيْمَةً غَيْرَ أَنِي لَمْ أَكُنْ أَبَدًا لِأَوَلِفَ غَدَرَةٍ أَتَوَابِي
عَيَّرَهُمُ بِاسْتِعْمَالِ الْغَدْرِ وَتَرْكِ الْوَفَاءِ لِلْجَارِ ، ثُمَّ بَرَأَ سَاحَتَهُ مِنْ تَعَاطِي مِثْلِ
فَعْلِهِمْ ، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ ارْتِكَابِ نَظَائِرِ مَا ارْتَكَبُوهُ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « لَمْ أَكُنْ
لِأَوَلِفَ » فَالْإِلَامُ فِيهِ لَامُ الْجُعُودِ ، وَانْتِصَابُ الْفِعْلِ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِلَامِ .
وَمَوْضِعُ « لِأَوَلِفَ » نَصَبٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ ، وَانْتِصَابُ غَيْرَ عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ

(١) في الأصل : « عبد الملك » ، صوابه في م واللسان (لب) . وكانت قد ضربت

الزبير فقبل لها : لم تضر بينه ؟ .

(٢) ويروى : « ذا الجلب » .

مُنْقَطِعٌ . وَذَكَرَ الثَّوْبُ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْكِتَابَةِ عَنِ النَّفْسِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ :
 نُبِّيتُ أَنَّ دَمًا حَرَامًا نِلْتُهُ فَهَرِيقٌ فِي ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرٌ
 وَقَدْ قِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ ﴾ ، أَيْ نَفْسَكَ . وَيَقُولُونَ
 عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : فَلَانُ غَمَرُ الرَّدَاءِ ، وَعَفِيفُ الْحُجْزَةِ ، وَالْمُرَادُ النَّفْسُ .
 وَعَلَى هَذَا قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجَزَاتُهُمْ ^(١) *

وَقَوْلُ الْهَذَلِيِّ ^(٢) :

تَبْرَأُ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ وَبَرَّةٍ وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَ الْقَتِيلِ إِزَارُهَا

٦ - وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ تَتْرُكُوا أَحَدًا يَذُبُّ لَكُمْ عَنِ الْأَحْسَابِ

الْخِطَابُ يُوجِّهُ إِلَى جَذِيعَةٍ وَهُوَ مِنْهُمْ ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ لَهُمْ أَحْسَابًا يُحْتَاجُ
 إِلَى الذَّبِّ عَنْهَا ، وَيَنْصَحُ لَهُمُ بِالْإِبْقَاءِ عَلَيْهَا ، وَتَرَكِ الْأَفْعَالَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى
 الْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَمِنْهَا ، لَكِنَّهُ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِمَّا عَصَبَ مِنَ الدَّمِّ بِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمْ
 مِنْ ذِمِّهِ الْقَوْلَ فِي شِيَمِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، فَقَالَ : إِذَا رَكَبْتُمْ مِنْ شَفِيعِ الْغَدْرِ مِثْلَ
 مَا أَنْكَرْتُهُ اشْتَهَرَ أَمْرُكُمْ ، وَانْتَفَى النَّسِيبُ وَالْغَرِيبُ مِنْ مُلَابَسَتِكُمْ ، وَخَلَّى
 بَيْنَ الْقَادِحِ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ وَيَبْنِيكُمْ ، فَلَا يَذُبُّ عَنْكُمْ ذَابٌ ،
 وَلَا يُدَافِعُ دُونَكُمْ مُدَافِعٌ ، وَتَفَرَّدْتُمْ بِالْعَارِ اللَّاحِقِ ، وَالتَّهْجِينَ الْعَائِدِ .

(١) : عجزه . * يحبون بالريحان يوم السباب *

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٢٦) .

١٤٩

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١ - أَبْلِغْ أَبَا سَلَمَى رَسُولًا يَرُوعُهُ وَلَوْ حَلَّ ذَا سِدْرٍ وَأَهْلِي بَعَسَجَلٍ
٢ - رَسُولَ امْرِئٍ يُهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً فَإِنْ مَعَشَرُ جَادُوا بِعِرْضِكَ فَأَبْخَلِ
يخاطب بقوله «أبْلِغْ» صاحبًا له ، يقول أدُّ إلى أبي سلمى رسالة تُفَزِّعُهُ على ما يلقننا من البُعد ، وعلى استنيطانه ذَا سِدْرٍ ونزولِ أهلي بَعَسَجَلٍ .
وذو سِدْرٍ : موضع فيه السِّدْر ، وهو شَجَرُ النَّيْقِ . وَعَسَجَلٌ : موضعٌ من حَرَّةِ
بنى سُلَيْمٍ ، وبينهما مسافةٌ بعيدةٌ . والرَّسُولُ يقع على المُرْسَلِ والرَّسالةِ جميعًا ،
ويجْرى مجرى المصادر ، فيقع على الواحدِ فما فَوْقَهُ ، ومجازُ «لَوْحَلَّ» تَجَاوَزَ
الشَّرْطَ ، فهو يفيدُ معنى إن ، كأنَّه قال : أَبْلِغْهُ ذَلِكَ فَإِنِّي لَا أَذْخِرُهُ نَصِيحِي ،
وإن بَعْدَ عَنِّي وَعَنْ عَشِيرَتِي . وانتصب «رسول» من البيت الثاني على أنه
بدلٌ من رَسُولًا يَرُوعُهُ . ونَقَلَ الكلام في البيت الثاني عن الإخبارِ إلى الخطاب ،
لتكون الوَصَاةُ أُنْجِجَ ، والرَّسالةُ أَبْلَغَ . وإِنَّمَا قال «رَسُولًا يَرُوعُهُ» لما فيه من
التَّحْذِيرِ . فيقول : أدُّ إليه رسالةً رَجُلٌ مُتَنَصِّحٌ مُتَقَرِّبٌ ، وعلى ما يكون فيه
صَلاحُهُ وخَلاصُهُ مُتَّبَعٌ . وقوله «فَإِنْ مَعَشَرُ جَادُوا بِعِرْضِكَ» تَعْرِيضٌ بمن كان
يَفْقَهُ ويَخُونُهُ ، ويداجيه فيما استشاره فيه فلا يَصْدُقُهُ . وارتفع «مَعَشَرٌ» بفعلٍ
مُضْمَرٍ «جَادُوا» تفسيره ؛ لِأَنَّ إِنْ بِالْفِعْلِ أَوْلَى ، والمعنى : إِنْ عَرَضَكَ مَنْ
لَا يُهَيِّمُهُ سَلَامَةُ عِرْضِكَ لِمَا فِيهِ ذَهَابُ النَفْسِ وَتَلَفُ الْمُهْجَةِ ، وَتَسَخُّ بِكَ

(١) هو العباس بن مرداس السلمي الصحابي ، أسلم قبل فتح مكة ببسبر . وأمه الخنساء
الشاعرة ، وكان العباس من المؤلفات قلوبهم . الخزائن (١ : ٧٣) والإصابة ، والأغاني
(١٣ : ٦٢ - ٧٠) والمرزباني ٢٦٢ - ٢٦٣ واللائل ٣٢ - ٣٣ والطبري
(٣ : ١٣٦ - ١٣٧) والشعر والشعراء ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٧٢٢ - ٧٢٥) .

وبما يجمعك وإياه من أسباب المودة والأحمة ، فابخل أنت به وتماسك ،
قبيل فوت الوقت ، وانظر ليومك وغدك قدّام تولى الأمر .

٣ — وإن بوءوك مبركا غير طائل غليها فلا تنزل به وتحوّل

يقال : بوّأته مَبُوءاً صِدْق ، أى أحلّته . والمبأة : المنزل . يقول : وإن
حملوك على مرّكب غير وطىء يسومونك فيه خسفا ، وأنزلوك منزلاً خشناً
حزناً يوّثر في فئناات الإبل فيذمّوها ، ويستوعره الركب فلا يرونها منزلاً
لها ، فلا ترض به ، وانتقل عنه . وهذا مثل لما عرّضوه له ، ويبعثه بضربه
إياه على محاذرتة ، وتصور الأمر معهم بصورته . وقوله « غير طائل » يجب
أن يكون من الطول : الفضل ؛ يقال : طال عليهم طويلاً فهو طائل . والمعنى :
لا خير فيه فيطول على غيره . ومثل هذا البيت قول امرئ القيس :

هُوَ الْمَنْزِلُ الْآلَافِ مِنْ جَوْ نَاعِطٍ بَنِي أَسَدٍ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا

وقوله « فلا تنزل به » الفاء [مع ما^(١)] بعده جواب الشرط في قوله وإن بوءوك .
وموضع فلا تنزل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : فأنت لا تنزل به .

٤ — وَلَا تَطْعَمَنَّ مَا يَعْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ بِالْمُشَمَلِ^(٢)

أخرج ما قدّمه من التمثيل لكيدهم وسوء دختهم ، وما يجب عليه من
الأخذ بالتحرز منهم ، وترك الاستفاضة في البرك^(٣) الذى اختاروه ، والمبوء
الذى أعدوه ، فى معرض آخر . والمعنى : وما يعدّ قرى لك فتجنّب ولا تتناول ،
فإنهم هيئوا لك به سماً قاتلاً فلا تطعمه . والمُشَمَل ، هو السم الذى قد خلط به

(١) الكلمة من م .

(٢) سبق الاستشهاد بصدر البيت فى ص ٣٥٩ .

(٣) كذا فى م . وفى الاصل : « المنزل » .

ما يَقْوِيهِ وَيُهَيِّجُهُ ، لِيَكُونَ أَنْفَذَ . وَيُقَالُ لِلصُّوفَةِ الَّتِي تَوْضَعُ فِي الْهِنَاءِ عِنْدَ طَلْيِ الْبَعِيرِ بِهِ . الشَّمْلَةُ ، وَهُوَ مِمَّا ذَكَرْتُ . قَالَ الرَّاجِزُ ^(٢) :

* كَمَا يُبْلَاثُ فِي الْهِنَاءِ الشَّمْلَةُ ^(٣) *

وقوله « أَتَوَكَّ عَلَى قَرْبَاهُمْ » يجوز أن يريد به على تقربهم وتنصيحهم ، ويجوز أن يريد به على قرباتهم وتشابك الأحوال بينك وبينهم . وإِنَّمَا تَقْلَ فِي الْمَثَلِ بَعْدَ الْمَثَلِ تَأْكِيدًا لِلْقَوْلِ عَلَيْهِ فِي مُحَاذَرَتِهِمْ ^(٤) ، وَإِنْذَارًا فِي الرَّكُونِ إِلَيْهِمْ ، وَالِاسْتِنَامَةَ إِلَى نَاحِيَتِهِمْ .

٥ - أَبْعَدَ الْإِزَارِ مُجَسَّدًا لَكَ شَاهِدًا أَتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَتَزَيَّلْ

هذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فهو تقريرٌ وإنكارٌ ، وتنبيهٌ وإنذارٌ ، فِيمَا يُضْرِبُ الْمُخَاطَبُ عَنْهُ ، وَيَعْمَلُ دُونَهُ ، مَعَ كَوْنِهِ أَعْدَلَ شَاهِدٍ عَلَى سُوءِ نِيَّتِهِمْ ، وَخُبْنِ طَوَيْتِهِمْ ، وَمَعَ خُرُوجِهِ عَنْ حَيْزِ الْاِسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ إِلَى الْمَشَاهِدَةِ ، وَمَنْ خَلَلَ الْخَفَاءَ وَالتَّشَكُّكَ إِلَى ظَاهِرِ الضَّرُورَةِ . فَيَقُولُ : أَتَغْتَرُّ بِهِمْ ، أَوْ تَسْتَرِيبُ بِمَا أَحْذَرُكَ مِنْهُمْ ، بَعْدَ ظُهُورِ أَمْرِهِمْ وَانْكَشَافِ قُصْدِهِمْ ، وَبَعْدَ مَا أَتَيْتَ بِهِ فِي الدَّارِ مِنَ الْإِزَارِ الْمُتَلَطِّخِ بِدَمِ ابْنِ عَمِّكَ ، وَقَدْ يَبَسَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَزَيَّلْ عَنْهُ . فَقَوْلُهُ « بَعْدَ الْإِزَارِ » يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ خَبِيثَاتُ الْقِصَّةِ الْحَكِيمَةِ ^(٥) . وَالْمُجَسَّدُ : الثَّوْبُ الْمُسَبَّحُ صَبْغًا . وَالْجِسَادُ : الزَّعْفَرَانُ . وَمَعْنَى لَمْ يَتَزَيَّلْ : لَمْ يَفَارِقِ الدَّمُ ، وَلَمْ يَنْفَكْ مِمَّا خَالَطَهُ مِنْهُ .

(١) م : « بعد » ، تحريف .

(٢) هو صخر بن عمير ، كما في اللسان (ثمل) .

(٣) في اللسان : « كما ثلاث بالهناء » . وقبله :

ممنوثة أعراضهم موطلة في كل ماء آجن وسملة

(٤) في الأصل : « مجاذبتهم » ، صوابه من م .

(٥) كلمة « قد » و « خبيثات » من م .

٦— أراك إذا قد صيرت للقوم ناضجاً يُقال له بالغرب أذبر وأقبل

الناضح : البعير الذى يُستقى عليه الماء . والنضح من الحياض ^(١) : ما قَرَبَ من البئر فيُفرغُ الماء من الدلو فيه ، وهذا الكلام صدر عن نصيح جُهدَه وبَيَّن لموعوظه رُشدَه ، فَمَا لم يُتَلَقَّ بالقبول قوله جعله قضية منه على المُخاطَب ، بسوء الاختيار ، وركوب الاغترار ، وأظهر أنه قد صار من التضجر به ورَفَعَ الطمع عنه وعن صلاحه ، فى حكم اليأس من فلاحه ، والمُتَمَسِّك عن وعظه وإبلاغه ، لكونه فى حكم المُسَخَّر لهم حتى لا رَأَى له ولا اعتبار ، ولا تدبُّر ولا اختيار . فقال : أراك قد صيرت معهم بمنزلة البعير الذى يُستقى عليه ، طاعةً وانقياداً ، فيقال له أذبر وأقبل بالغرب . والمعنى تُسَامُ ما تُسَامُ فتلتزمه وتنفاد ، فَعَلَ ذلك البعير . ومعنى « يُقال له » أى يُحْمَلُ على ذلك . والتصرف فى القول على وجوه كثيرة من الجاز .

٧— فَخَذَهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لأمرئٍ متذللٍ

هذا الكلام خروجٌ عن ^(٢) عهده ما يفعله المخاطب ، وبراءةً إليه مع الإنكار عليه والتنبية على موضع الخطأ فيه ، فيقول : وكَلَمْتُكَ إلى نفسك ، ونَفَضْتُ يَدِي من مُراجعتك ، فأَرْضَ بما عليه تُدارُ ، وابذل ما تُراودُ عنه وتُسامُ ، علماً أن مثله لا يَرْضى به عزيزٌ ، ولا يلتزمه آفٌ ؛ وفيه مع ذلك نَظَرٌ وجدالٌ لمن يتذللُ : هل هو خُطَّةٌ أيضاً . والمعنى : إنك تركبُ ظَهراً لا يَتَقَعْدُه المتكَلِّفُ للذلِّ فكيف العزيز . ويجوز أن يكون المعنى : فيها للناس ، إذا تذاكروا الأحوال والخطط ، نَظَرٌ وكلامٌ مبسوطٌ : هل يَرْضَى بمثله المتذللُ

(١) كذا فى النسختين . وفى اللسان : « النضح » .

(٢) م : « من » .

أولاً . ويجوز أن يريد : إن الدليل يتكلم فيمن يرضاها خُطَّةً وَيُعَيِّرُهُ إِيَّاهَا ، فكيف يكون خُطَّةً للعزیز . وهذا الوجه أبلغُ الوجوه الثلاثة وأدقُّها .

١٥٠

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١ - أَتَشْخَذُ أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوِّنَا وَتَتْرُكُ أَرْمَاحًا بِهِنَّ نُكَايِدُ^(٢)

هذا مثلٌ . والمعنى : أتعينُ أعداءنا علينا ، لأنَّ مَنْ أَحَدَّ سلاحَ العدوِّ الذي يقاتل به ، وتركَ سلاحَ صاحبه الذي يكايده فقد أعانَه عليه . وإتما خصَّ من بين العدَدِ الرِّمَاحَ لأنها كأنَّها أَخَصَّ بهم . وقوله « وتتركُ أَرْمَاحًا » أراد وتتركُ شَخَذَ أَرْمَاحٍ ، فحذفَ المُضَافَ . ويجوز أن يكوفى كَنَى بالأرماح عن الرِّجال . والمعنى : أتهيجُ أصحابَ عدوِّي^(٣) عَلَيَّ ، وتسدِّدُهم نحوي ، وتتركُ أصحابي الذين بهم أَكَايِدُ ، فلا تُقَوِّى في القتال والصَّبْرَ رأيهم ولا تُمِرُّ في الثَّباتِ عزائمهم ، ومن المعروف قولهم : فلانٌ سَنِيٌّ ورُحِي ، في الذي يستظهر به عند مُلاَقاةِ الأعداءِ وفلانٌ تُرْسِيٌّ وَجُنَّتِي ، فيمن يُتَّقَى به من الأسواءِ . وإتما قال في هذا الوجه أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوِّنَا لأنه إذا كَنَى عنهم بما يَكُونُ آلةً جعلها باليد . ويقال شَخَذَتْ السَّكِّينَ ، إذا أَحَدَدَتْهُ . والباء من قوله « بأيدى » يتعلَّقُ بمضمر ، كأنَّه قال أَرْمَاحًا مُسْتَقَرَّةً وَحاصِلَةً بِالْأَيْدِي . والعدوُّ يقع على الواحد وعلى الجمع . وفي القرآن ﴿ فَأَنَّهُمْ عَدُوِّي ﴾ .

٢ - عَلَيكَ بِجَارِ الْقَوْمِ عَبْدُ بْنُ حَبْرٍ فَلَا تَرَشَّدَنَّ إِلَّا وَجَارُكَ رَاشِدٌ

(١) التبريزي : « وقال أيضاً » .

(٢) التبريزي : « بهن تكايد » . وفي تفسيره : « والمكايدة : مبالغة الأقران . يقال كابدت الشيء مكابدة وكباداً ، إذا قاسيته في مشقة . والكيد : الشدة .

(٣) في الأصل : « رسول » ، وأثبتنا ما في م .

هذا الكلامُ بَعَثُ وتَحْضِيضٌ على مراعاة العهود والذمم ، وصيانة الجار من الاهتضام ، وإن لام فيها اللوائيم . فيقول : اُنْتَصِفْ لَجَارِكَ وانتقم له بأن تؤثر في جار القوم ، فإنك لا تكون راشداً إلا وقد رَشَدَ جاركُ معك . ويقالُ رَشِدَ يَرَشُدُ ، ورَشَدَ يَرَشُدُ ، لغتان . والباء من قوله : « بجار » يتعلق بعليك ، لأن معنى عليك خُذْ . ويقال خُذْ كذا وخُذْ بكذا . يقال أيضاً عليك كذا وبكذا . ودخول النون الخفيفة في قوله « تَرَشُدَنَّ » لأنه ليس بواجب فهو يجري مجرى الأمر والنهي والاستفهام .

٣- فَإِنْ غَضِبْتَ فِيهَا حَبِيبُ بْنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطَّةَ يَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ الضمير في « فيها » للفعلَةِ والخُطَّةُ . ألا ترى قوله « نَخِذْ خُطَّةَ يَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ » . والمعنى : إن تَسَخَّطَ مَا تَتَكَلَّفُهُ لَجَارِكَ مِنَ الذَّبِّ عَنْهُ والانتقام له هؤلاء القومُ فلا تُبَالِ بهم ، وخُذْ في أمره ما يَحْمَدُكَ الْأَبَاعِدُ دون الأقارب ، فإن الأخبار إذا انتشرت عنك بالوفاء استَرَجَّحَكَ الْأَجَانِبُ . وخَذُلْ الجار وتَسْلِيْمُهُ إِيثَارًا لَهْوَى الْأَقْرَابِ ، ومُجَانَبَةً لِكِرَاهَتِهِمْ ، يَجْلِبُ الذَّمُّ وَيُلْحِقُ الْعَارُ .

٤- إِذَا طَالَتِ النَّجْوَى بِغَيْرِ أَوْلَى الْقَوَى أَضَاعَتْ وَأَصْغَتْ خَدَمٌ مَنْ هُوَ فَارِدٌ هذا بيان الرَّأْيِ فِي قَبُولِ مَا أَشَارَ بِهِ ، وترك التَّمَرِيجِ عَلَى غَيْرِهِ . والعامل في « إذا طالت » أَضَاعَتْ ، وهو جوابه أيضاً . فيقول : إذا طالت المناجاة وامتدَّت الاستشارة مع غير أرباب الآراء القويَّة ضَيَّعَتِ الْمُسْتَشِيرَ وَأَمَالَتْ خَدَّهُ ، وصار في الانفراد بما يعانیه بمنزلة مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُشِيرَ ، لوقوع التشاور على غير خَدِّهِ ، وتقصير المُشِيرِ فِي الْقِيَامِ بِرَاجِيهِ ، وقد جمع بين فعلين في قوله « أَضَاعَتْ » و « أَصْغَتْ » فَأَعْمَلَ الثَّانِي ، وهو المختار عند أصحابنا البصريين . ويجوز أن يكون مفعول أَضَاعَتْ غير « خَدَمٌ مَنْ » فحَذَفَهُ ، كأنه قال أَضَاعَتْ رَجُلًا . وكان

الحكم في هذا الوجه أن يقول لو أظهر المفعول : وأصفت حذّه لكونه فاردًا
 وحيداً ، لكان لما كان الآخر هو الأول وقد حذّه ، لم يُبال بإظهاره ، لأن
 الذي هو فاردٌ ربُّ النجوى لا غير . ومعنى إصفاء الحمد الإذلال والانحراف
 للفتور والخلل . والقوى : جمع قوة ، وأصلها طاقات الخيل ، ثم استعملت في
 الآراء والعزائم . وأصل النجوى المسارة ، فاستُعيرت للمشورة لأنها في أكثر
 المواضع تقع بها . ويقال : فلانٌ نجى فلان ، وتناجوا فيما بينهم واتفقوا ،
 وهم نجوى ، وصف بالمصدر . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُعَلِّبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْهِدُ

٥- فحارب فإن مولاك حارَدَ نصرُهُ ففي السيف مولى نصرُهُ لا يحارِدُ

يقول : حارب من قصد جارك وأعان عليه ، ولا تقعد عن نصرته والانتصار
 له ، فإن لم يعاونك فيما ترومه مواليك ، وتأخروا عن النهوض معك ، فاستعن
 بالسيف ، فإن فيه مولى لك لا يخذلك ، ولا يتباطأ عنك . وهذا كما قال غيره ^(١) :

* أَنْخَنَّا فَحَالَفْنَا السِّیُوفَ عَلَى الدَّهْرِ ^(٢) *

والمحاربة أصلها في قلة اللبن ، واستعير في قلة الموازنة والمظاهرة . وقوله
 « فَإِنْ مَوْلَاكَ » ارتفع مولاك يفعل مضمر ما بعده . [تفسيره ، لأن إن بالفعل
 أولى ^(٣)] .

(١) هو يحيى بن منصور . الحماسة ١٠٨ .

(٢) صدره : * فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا *

(٣) التكملة من م . وانظر ما سبق في ص ٤٣٣ من ١٦ - ١٧ .

١٥١

وقال أيضاً :

وهذه الآيات تُعدّ من المنصّفات ^(١) :

١ - فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِيْنَا فَوَارِسًا

أشار بالحى إلى قومٍ معهودين . يقول : لم أر مُغَاراً عليه كالذين صَبَّحْنَاهُمْ ،
ولا مُغِيرًا مثلنا يومَ آتَيْنَاهُمْ . فَسَمَّ الشَّهَادَةَ قَسَمَ السَّوَاءِ بَيْنَ أَحْبَابِهِ وَأَحْبَابِهِمْ ،
وَتَنَاوَلَ بِالْمَدْحِ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ . وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ « حَيًّا مُصَبَّحًا » عَلَى التَّمْيِيزِ ،
وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ قَوْلِ الْقَائِلِ : عِنْدِي عَشْرُونَ دِرْهَمًا وَضَحًّا ^(٢) . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
فَوَارِسًا تَمْيِيزٌ وَتَبْيِينٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْمُصَبِّحُ
الَّذِي يُؤْتَى صُبْحًا لِلغَارَةِ ، وَبِسَمْعٍ فِي الْخَيْرِ أَيْضًا ، يُقَالُ : صَبَّحَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ .
فَإِنْ قِيلَ . لِمَ قَالَ فَوَارِسَ وَالتَّمْيِيزُ يُؤْتَى بِهِ مُوَحَّدَ الْفِعْلِ . قُلْتُ : إِذَا لَمْ يَتَّبِعْ
كَثْرَةُ الْعِدَدِ وَاخْتِلَافُ الْجِنْسِ مِنَ الْمَمِيزِ يُؤْتَى بِالتَّمْيِيزِ مَجْمُوعَ الْفِعْلِ مَتَى أُريدَ
التَّنْبِيْهُ عَلَى ذَلِكَ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴾ ، كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ مُخْتَلِفَةً كَثِيرَةً ، تَبَيَّنَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : أَعْمَالًا

(١) المنصّفات : القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم .
فيما اضطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم من إحماض الإخاء . ويروى أن أول من
أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة حيث قال :

كأنا غدوة وبني أينا بجنب عذرة وحيأ مدير

ومن المنصّفات قول الفضل بن العباس بن أبي لب :
لا تظلموا أن تهينونا ونكرمكم * وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا

انظر الخزائن (٣ : ٥٢٠ - ٥٢١) .

(٢) الوضع : النقي الأبيض .

ولو قال عملاً كان السامع لا يَبْعُدُ في وهمه أن خُسِرَهم^(١) كان جنس واحد من أجناس المعصية ، أو لعمل واحد من الأعمال الذميمة . فكذلك قوله « فوارس » جمعه حتى يكون فيه إيدان بالكثير .

٢ - أَكْرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالشُّيُوفِ الْقَوَانِسَا

المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو أسد ، والمصراع الثاني إلى عِزَّتِهِ وأصحابه . والمراد : لم أر أحسن كراً ، وأبلغ حابةً للحقائق منهم ، ولا أَضْرَبَ للقوانس بالشُّيُوف منا : وانتصب القوانس من فِعل دَلَّ عليه قوله « وَأَضْرَبَ مِنَّا » . ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أَضْرَبَ لأنَّ أَفْعَلَ الذي يَتَمَّ بِمِنْ لا يَفْعَلُ إِلَّا فِي النَّكِرات ، كقولك : هو أحسن منك وَجْهًا . وأفعل هذا يجرى مجرى فعل التعجب ، ولذلك تَعَدَّى إلى المفعول الثاني باللام ، فقلت ما أَضْرَبَ زَيْدًا لِعَمْرٍو . وقول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾^(٢) ، موضع حيث نَصَبُ بما دَلَّ عليه أَعْلَمُ . والقَوْنَسُ ، قال اللريدي : هو أعلى البَيْضَةِ وقال غيره : قَوْنَسُ الْفَرَسِ : ما بين أُذُنَيْهِ إِلَى الرَّأْسِ . ومثله قَوْنَسُ الْبَيْضَةِ مِنَ السَّلَاحِ .

٣ - إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً نَضْبُوا النَّا صُدُورَ الْمَذَا كِي وَالرِّمَاحَ الدَّوَاعِسَا

يُرَوَّى : « إِذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً^(٣) » . يقول : إِذَا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ ثَبَتُوا فِي وُجُوهِنَا ، وَنَضْبُوا صُدُورَ الْخَيْلِ الْقَرَحِ ، وَالرِّمَاحَ الْمُعَدَّةَ لَذَلِكَ^(٤) .

(١) في الاصل : « جسرهم » ، والصواب في م .

(٢) هذه هي قراءة جمهور السبعة . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد .

تفسير أبي حيان (٤ : ٢١٦ - ٢١٧) .

(٣) جعلها التبريزي الرواية الأولى ، وما قبلها الرواية الثانية .

(٤) م : « للدفع » .

وَالدَّعْسُ : الدَّفْعُ فِي الْأَصْلِ ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّعْنِ وَشِدَّةِ الْوُطْءِ وَالْجَمَاعِ .
وَالذَّكَاءُ : ضِدُّ الْفَتَاءِ . وَيُقَالُ فَرَسٌ مُذَكَّرٌ ، إِذَا تَمَّ سِنُّهُ وَكَمَلَ قُوَّتُهُ . وَفِي
الْمَثَلِ : « جَرِيُّ الْمَذَكِّيَّاتِ غَلَابٌ » . وَيُقَالُ « غِلَا » . وَيُقَالُ : فَتَاءُ فُلَانٍ
كَذَاكَ . فُلَانٌ وَكَتَذَكِيَّةُ فُلَانٍ ، أَيْ حَزَامَتُهُ عَلَى نَقْصَانِ سِنِّهِ كَحَزَامَةِ ذَاكَ مَعَ
اسْتِكْمَالِهِ لِسِنِّهِ . وَقَالَ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى :

يُفَضِّلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ
ع- إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نَكَّرُهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرَجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسًا
يَقُولُ : إِذَا الْخَيْلُ دَارَتْ عَنْ مَضْرُوعٍ مِنَّا كَرَزْنَا عَلَيْهِمْ لِنَصْرِعَ مِنْهُمْ
مِثْلَ مَا صَرَعُوا مِنَّا . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ : إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ عَنْ صَرِيحٍ مِنْهُمْ
لَا يُفْنِعُنَا ذَلِكَ فِيهِمْ ، بَلْ نَكَّرُهَا عَلَيْهِمْ لِمِثْلِهِ ^(١) ، وَإِنْ كَرِهَتْ الْكَرَّ لَشِدَّةِ
الْبَأْسِ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَّا كَوَالِحَ . وَالْعَامِلُ فِي قَوْلِهِ « إِذَا الْخَيْلُ » نَكَّرُهَا ، وَهُوَ
جَوَابُهُ أَيْضًا . وَإِلَّا عَوَابِسًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَوْلُهُ « الْخَيْلُ » ارْتَفَعَ بِفَعْلٍ
مُضْمَرٍ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرُهُ .

١٥٢

وَقَالَ عَبْدُ الشَّارِقِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى الْجَهْنِيُّ ^(٢) :

١- أَلَا حَيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نُحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « لِمِثْلِهِ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ عَبْدُ الشَّارِقِ » ، وَالْكَلِمَةُ بَعْدَهُ مِنْ م . وَزَادَ التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ
« وَهِيَ مِنَ الْمُنْصَفَاتِ » وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى « الْمُنْصَفَاتِ » فِي الْحَمَاسِيَةِ السَّابِقَةِ .
وَعَبْدُ الشَّارِقِ ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ تَسْمِيَّتِهِ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ . قَالَ فِي الْمَبْهَجِ : « الشَّارِقُ اسْمٌ صَنَعَ لَهُمْ ،
وَلِذَلِكَ قَالُوا : عَبْدُ الشَّارِقِ كَقَوْلِهِمْ عَبْدُ الْعَزَى ، وَكَلَامُهُمْ صَمٌ . وَمِثْلُهُ عَبْدُ يَغُوثَ وَعَبْدُودَ وَنَحْوُ
ذَلِكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّارِقُ مِنْ قَوْلِهِمْ عَبْدُ الشَّارِقِ ، وَهُوَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، كَقَوْلِهِمْ لَا أَكَلِمَكَ
حَاضِرُ شَارِقٍ ، أَيْ مَا طَلَعَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، فَقَوْلُهُمْ إِذَا : عَبْدُ الشَّارِقِ كَقَوْلِهِمْ عَبْدُ شَمْسٍ . وَأَمَّا
الْعَزَى فَهُوَ اسْمُ صَمٍّ ، وَهُوَ تَأْنِيثُ الْأَعَزِّ » .

هذا على كلامين . و « أَلَا » افتتاح^(١) . والتحية ، قال بعضهم : هى الوداع
ها هنا ، يقول : أَلَا أَبْلَغْتَ وَدَاعَنَا يَارُدَيْسَهُ . ثم قال : نَحْيِيهَا ، أى نودّعها
وإن عَزَّتْ^(٢) علينا مفارقتها . ويجوز أن يكون دعا لِرُدَيْسَةَ مبتدأ فقال :
جَزَاكَ اللهُ عَنَّا ، أى تَوَلَّى اللهُ ذلك من دُونِنَا ، ثم راجع نفسه فقال : نَفْعَلُ ذلك
على فَنَخَامَةِ موقعها مِنَّا ، وجلالةِ مَحَلَّهَا من قُلُوبِنَا ، إذ كُنَّا لَا تَقْدِرُ لها على غير
ذلك . وقوله « نَحْيِيهَا وإن كَرُمْتَ » يسمّى التَفَاتًا ، كأنه التفت إلى من معه
فقال ذلك .

٢ - رُدَيْسَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِنَّا على أَضْمَانِنَا وقد أُخْتَوَيْنَا
توصل بمخاطبتها إلى اقتصاص الحال التى يريدُ شرحها ، فأخذ يُبَيِّنُهَا
فيقول : لَوْ رَأَيْتِنَا غَدَاةَ حِنَّا على حَزَازَاتِ فى النَّفْسِ ، واحترافاتِ فى الجَوْفِ
والصَّدْرِ ، من الغَيْظِ والحِقْدِ ، وقد حَوَيْنَا أموالَ أعدائِنَا ، واستَبَحْنَا حَرَمَهُمْ ،
ومَلَأْنَا أَيْدِينَا من غَنَائِهِمْ . هذا إذا رَوَيْتَهُ بالخاء غير مُفْجَمَةٍ . وروى بعضهم :
« أُخْتَوَيْنَا » بالخاء المعجمة ، ويكون أفتعل من الخَوَى ، والمعنى : خَوْتُ أفتدنتنا
من الودِّ ، كقول الآخر^(٣) :

وإذ صَفَرْتَ عِيَابُ الْوَدِّ مِنْكُمْ ولم يَكُ بَيْنَنَا فِيهَا ذِمَامُ
وَأَجُودُ مِنْهَا « وقد أُجْتَوَيْنَا » بالجيم ، وهو أفتعل من الجَوَى ، كأنه يريدُ
ما اشتمل الجوانحُ عليه من العداوة حتى صار جَوَى . والأَضْمُ : الغَضَبُ . ومع
ذكر الأَضْمِ أُجْتَوَى بالجيم أَشْبَهُ ، وهو أَقْرَبُ . وجوابُ لو محذوفٌ ، لأنَّ
الأفعالَ التابعة لهذا البيت جميعها مقصورة على بيان القِصَّةِ ، وشرح أحوال الوقعة .

(١) أى ألا : أداة لافتتاح الكلام . وفى الاصل : « والافتتاح » ، صوابه فى م .

(٢) فى الأصل : « كرمت » ، صوابه فى م .

(٣) هو بشر بن أبى خازم . الفضليات (٢ : ١٣٥) .

وقد بَيَّنْتُ فيما تقدَّم أنَّ حَذْفَ الجواب من مِثْل قولِ الفاعِل : لو رَأَيْتَ زَيْدًا
وفى يده السَّيْفُ ، أدَلُّ على التَّهْوِيلِ والتَّفْخِيمِ من إثباته .

٣ — فَارْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَيْبِنَا فَقَالَ أَلَا أُنْعَمُوا بِالْقَوْمِ إَعَيْنَا

يقول : توجَّهنا نحوهم وأفدنا من قِبَلنا من ارْتَبَأَ لنا ، فعادَ مبشِّرًا وقال :
قَرِّوْا عَيْنًا واسْتَبْشِرُوا ، فقد أَقْبَلُوا . وهذا ممَّا يُترَجِّمُ عن محبتهم للملاقاة
الأعداء ، وحَرَصهم على القتال ، وتشوُّنهم للمجاذبة والنِّزاع ، حتى عَدَّوا قُرْبَهُمْ
بِشَارَةٍ ، والالتقاء معهم غنيمَةً . وهذا عندى أَبْلَغُ من قول الآخر :

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْيَأُسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا^(١)

ومن قوله :

* لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَيَاتٍ *

وقوله « عَيْنًا » انتصبَ على التَّمْيِيزِ ، وهو من باب ما نُقِلَ الفِعْلُ عنه
وَوُضِعَ النِّكْرَةُ فيه موضعُ العَرِيفَةِ ، لأنَّ الأَصْلَ في قَرَرْتَ به عَيْنًا : قَرَرْتُ
عَيْنِي . ومِثْلُه قولُه : يَتَصَبَّبُ عَرَقًا ، وَيَتَقَفَّ شَحْمًا . وفى القرآن : ﴿ وَأَشْتَعَلَ
الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ .

٤ — وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً فَلَمْ تَعْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدُنَّا

يقول : وجَّهوا فارسًا لِيَنْدَسَ في أثناء خيلنا ، وَيَعْرِفَ سِرَّنا وَعَلَنَّا ،
ويَقِفَ على عَدَدِنَا وَعَدَّتِنَا ، فيرجع إليهم بواضح الأحوال والأخبار ، فخلَّيَناهُ
والانصرافَ إليهم ، ولم نَسْتَعْمِلْ غَدْرًا في احتباسه عندنا ، وطىَّ أخبارنا عنهم .

(١) « يستعذبون منا » هى من هامش نسخة الأصل فقط مع علامة إلحاق ، وهذه
العبارة سابقة من م . وبقية حروف الكلمة ، وهى « ياهم » من « منايام » هى تكملة ضرورية
وليسست فى النسختين . ويبدأ الاستشهاد فى النسختين بكلمة « كأنهم »

وأصل الدَسِّ : إخفاء الشيء تحت غيره . وفى القرآن : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ ويقال ^(١) : اندس إلى فلان ، أى أناه بالتمام . فإن قيل : ما فائدة ذكر الغدر هاهنا والفارس الذى أفذوه جاسوساً ^(٢) لم يكن اتخذ ^(٣) منهم أماناً ، ولا اشترط عليهم شرطاً يوجب سلامته به مع مخالطته لهم . قلت : كأن المراد لم نستعمل مكرّاً باحتباس الرسول ، إذ كان فى منعه من الانصراف إليهم انطواء أخبارنا عنهم ، فيكون كالغدر بهم وبه . ويجوز أن يكون ذلك الفارس الذى ظهر لهم ثمة بالمعرفة بينه وبينهم ، فقدَّ ظهوره أخذاً للأمان عليهم . ويجوز أن يكون سمى ترك أقرب الأمرين إلى السكرم والوفاء معه غدرّاً ، ثم برأ ساحتَه منه .

٥ - فجاءوا عارضاً برداً وجئنا كمثل السيف نركب وازعينا

يقول : تسارعوا مُقبِلين نحونا ، وكأنهم فى كثرتهم وتعجلهم قطعة من السحاب فيها بردٌ - وَوَجْهَ التشبيه أن لهم حَفِيفاً وَوَقْعاً شديداً متهايناً ، كما يكون لذلك السحاب - ونحن لكثرتنا وإتياننا على ما يمترض فى طريقنا كالسيل الذى لا يُتقى ولا يذر . ومعنى « نركب وازعينا » أى لا تنقاد لمن يريد ضبطنا ، ولا نطواع من يطلبُ كَفْنَا من الجيشين جميعاً . ولم يثن « وازعينا » لأنه يشير إلى رجلين ، لكنه أراد الكثرة والجنس بالوزاع ، ثم ثنى مبيّناً اختلاف الطائفتين من الخيلتين . ولا يجوز أن يُروى « وازعينا » بكسر العين لما يحصل من العيب بالسناد مع ارتفاع الضرورة ^(٤) .

(١) فى النسختين : « ويقول » .

(٢) م : « داسوسا » فاعول من الدس . وقد أشير فى نسخة الأصل إلى أنها كذلك

فى نسخة أخرى . والمعروف ، كما فى مادة (دس) من المعاجم : « الدسيس » .

(٣) م : « أخذ » .

(٤) فى التذييه : « وقد رواه بعض الرواة : وازعينا ، فركب قبح السناد لضيق طريق

المنى الأول عليه . والقول فيه ما ذكرته » .

٦—فَنَادَوْا يَا بُهْشَةَ إِذْ رَأَوْنَا فَقَلْنَا أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهِينًا

يقول : لما شارقناهم استغاثوا ببني بهشة مُعْتَزِينَ إِلَيْهِمْ ، وَمُسْتَمِدِّينَ مِنْهُمْ ، فَاسْتَنْزَنَا نَحْنُ أَيْضًا فِي مَقَابِلَةِ مَا فَعَلُوا بِبَنِي جُهِينَةَ ، وَهَزَزْنَا هُمَ لِلضَّرْبِ فِيهِمْ ، وَالْإِيقَاعِ بِهِمْ . وَإِنَّمَا يَسْتَعْمَلُونَ الْاعْتِزَازَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ تَهْوِيلًا لِلْأَمْرِ ، وَتَكْثِيرًا لِلْعَشِيرَةِ ، لِيَسْتَشْعَرَ كُلُّ مَنْ فِي الْفَرِيقَيْنِ الرَّغْبَ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَالتَّهْيِيبَ لَهُ . وَاللَّامُ مِنْ « يَا بُهْشَةَ » لَامُ الْجَرِّ ، وَتَعَلَّقَتْ بِهَا : حَرْفُ النَّدَاءِ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ تَعَلَّقَتْ بِالْفِعْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ يَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ لَمَّا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الْوُجُودِ سَقَطَ حَكْمُهُ . وَفَتَحَتْ لَوْ قَوَّعَ الْنَادَى مَوْقِعَ الضَّرْرِ . وَبُهْشَةَ مَدْعُوَّةٌ ، وَالْجَارُ مَعَ الْجُرُورِ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ لِأَنَّهُ مُنَادَى . وَقَوْلُهُ أَحْسِنِي ضَرْبًا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرْبًا مَفْعُولًا بِهِ مِنْ أَحْسِنِي ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ ضَارِبَةً . وَيُرْوَى : « أَحْسِنِي مَلًّا » ، وَمَعْنَاهُ خُلُقًا . وَالْمُرَادُ مَخَالَفَةً ^(١) أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْمُسْتَنْصِرِينَ ؛ وَهَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي زَيْدٍ . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : مَعْنَاهُ أَحْسِنِي تَمَالُّوا أَيْ تَعَاوَنًا . وَيُقَالُ مَالَأْتُ عَلَى فُلَانٍ ، وَكَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ مَلِيٌّ ، وَقَدْ مَلَأَ بَلُؤًا مُلَاءَةً وَمَلَاءً .

٧ — سَمِعْنَا دَعْوَةَ عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ فَجَلْنَا جَاءَ — وَلَهُ ثُمَّ ارْعَوَيْنَا

يقول : قَرَعَ أَسْمَاعُنَا فِي أَثْنَاءِ التَّهْيِثِ وَالنَّطَالُعِ دَعْوَةٌ تَأَدَّتْ مِنْ مَكَانٍ غَائِبٍ عَنْ عَيُونِنَا ، فَذَرْنَا دَوْرَةً ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَمَاكِنُنَا . وَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا خَافُوا الْكَمِينَ نَجَاءُوا لِيَتَأَمَّلُوا ، فَلَمَّا أَمِنُوا رَجَعُوا . وَيُقَالُ : ارْعَوَى عَنِ الْجَهْلِ ارْعَوَاءً وَرَعَوَى حَسَنَةً وَرَعَوَى ، أَيْ رَعَ . وَيُقَالُ : فَعَلَ فُلَانٌ كَذَا بظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَأَتَانِي خَبَرٌ عَنْ ظَهْرِ الْغَيْبِ .

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ بِالتَّوْفِاقِ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « مَخَالَفَةً » .

٨ - فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْخَنَّا لِلْكَلَاكِ فَلَزَمَيْنَا^(١)

هذه الموافقة التى أشار إليها ، يجوز أن تكون للتَّعْيِيَّةِ وَالتَّهَيَّئَةِ ، ويجوز أن تكون لتَدَاعَى الأبطال والمبارزة ، واعتراضهم بين الصَّفَّين للمطاعنة . وقوله « قليلًا » يجوز أن يُرِيدَ به زَمَانًا قليلًا ، فيكون ظَرْفًا ، ويجوز أن يريد به ^(٢) : تَوَاقَفًا قليلًا ، فيكون صفةً لمصدر محذوف . والصفات تنوبُ عن المصادر والظروف كثيرًا . وجوابُ لَمَّا « أَنْخَنَّا » ، ومفعوله محذوف . والمعنى : إِنَّا بَعْدَ الْمَطَارِدَةِ نَزَلْنَا ، وَأَنْخَنَّا لِلصُّدُورِ فَتَنَّا ضُلْنَا .

٩ - فَلَمَّا لَمْ نَدْعِ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشِينًا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا

١٠ - تَلَلُؤُ زُنَّةٍ بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا

يقول : لَمَّا مَلَلْنَا الطَّرَادَ وَالرِّمَاءَ ، بِإِفْنَاءِ النَّبَالِ وَتَغْطِيلِ الْقِسِيِّ لَانْقِطَاعِ الأوتار ، مَشَى بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ لِّلْكَفَاحِ وَالْجِلَادِ ، طَلِبًا لِلِاشْتِفَاءِ ، كَأَنَّهُمْ تَنَقَّلُوا فِي دَرَجِ الْقِتَالِ وَمِرَاقِيهِ ، حَتَّى بَلَغُوا أَعْلَاهَا وَأَصْعَبَهَا ، وَأَوَّلَاهَا بِدَرَكِ الثَّأْرِ وَأَحَقَّهَا . ولهذا لما سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كَرِبَ عن أنواع السِّلَاحِ ، وانتهى إلى ذكر السيف ، قال « عِنْدَهُ تُشَكِّلُ الْأَمْهَاتِ » . وانقصب

(١) م : « وارتَمينا » . وقال ابن جني : « لك أن تجعل اللام صلة إلى المفعول توكيدا كقول الله سبحانه : قل عسى أن يكون ردف لكم ، وكقوله : إن كنتم للرؤيا تعبرون . غير أن هذا قدم فيه المفعول فحسن زيادة اللام لإعانة الفعل . وقرأت على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى لابن ميادة :

وملكت ما بين المراق ويثرب ملكا أجار لمسلم ومعاده

أى أجار مسلما ومعاهداً ، فكأنه ذل : أَنْخَنَّا الْكَلَاكِلَ ، فزاد اللام من حيث ذكرنا . ويجوز أن يكون اللام خبر مبتدأ محذوف يدل عليه قوله أَنْخَنَّا ، فكأنه لما قال أَنْخَنَّا قال = إناخنتنا للكلال كل .

(٢) كذا فى م وفى الأصل : « أن يكون به » .

« تَلَاؤُءُ مُرْنَةٍ » على أنه مَصْدَرٌ مما دَلَّ عليه « مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا » ،
لأنَّ في ذلك تَلَاؤُءُ السَّلَاحِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ جَمِيعاً ، وَوَمِيضُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ
الطَّائِفَتَيْنِ جَمِيعاً لِلْأُخْرَى . وَقَوْلُهُ « إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا » ، أى إِذَا
كَانَ مَشِيهُهُمْ إِلَيْنَا حَجَلًا كَانَ مَشِينَا إِلَيْهِمْ رَدِيَانًا . وَالرَّدِيَانُ فَوْقَ الْحَجَلَانِ ،
لأنَّ مَشَى الْحَارِ بِبَيْنِ آرِيَةٍ وَمُتَمَعِّكِه ، فَهُوَ أَسْرَعُ مِنَ الْحَجَلَانِ ، إِذْ كَانَ فِي
الْحَجَلَانِ تَقَارُبُ الْخَطْوِ كَمَشَى الْمُقَيَّدِ وَوُثِقَتِهِ . فَيَقُولُ : تَلَاؤُءًا لَوْ فُورَ أَسْلَحَتِنَا ،
وَبَرِيقِ دُرُوعِنَا وَبَيْضِنَا ، وَإِبْمَاضِ أَعْيُنِنَا ، تَلَاؤُءُ سَحَابَةٍ بَرَقَتْ لِسَحَابَةٍ
أُخْرَى قَابَلَتْهَا . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : هَذَا مِنْ رَدِيَانِ الْجَوَارِي إِذَا لَعِبْنِ (١) تَرَفَعَ
إِحْدَاهُمَا رِجْلًا وَنَحْطُو بِأُخْرَى خُطْوَتَيْنِ ، ثُمَّ تَضَعُهُمَا وَتَرَفَعَ الْأُخْرَى ، تَفْعَلُ
ذَلِكَ مِرَارًا . قَالَ : وَالْفَرَابُ يَرْدِي وَيَحْجَلُ .

١١- شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنًا

١٢- وَشَدَدْنَا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوعَيْنَا

يَقُولُ : حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً مُنْكَرَةً (٢) ، فَأَصَبْنَا مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ مِنَ الْفَتَيَانِ ،
وَقَتَلْتُ قَيْنًا . وَقَيْنٌ : اسْمُ رَجُلٍ كَانَ مَشْهُورًا فِيهِمْ بِالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، فَلِذَلِكَ
عَيَّنَ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ » فِتْيَةٌ مِنْ أَبْنِيَةِ الْقَلِيلِ ، كَغِلْمَةٍ وَصَبِيَّةٍ ،
وَلِذَلِكَ أَضَافَ الثَّلَاثَةَ إِلَيْهَا . وَبَنَاءُ الْكَثِيرِ الْفَتَيَانِ . وَ« شَدَدْنَا شَدَّةً أُخْرَى » ،
يَقُولُ : وَحَمَلُوا حَمَلَةً فَأَصَابُوا مِثْلَ مَا أَصَبْنَا مِنْهُمْ ، وَارْتَثَ مِنْ قَتْلَانَا مِثْلُ
مَا ارْتَثَ مِنْ قَتْلَاهُمَا ، وَرَمَوْا جُوعَيْنَا أُخْرَى . قَوْلُهُ « بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ » لَوْ قَالَ
أَمْثَالِهِمْ لَجَازَ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « نَعِين » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ ، وفى موضع آخر : ﴿ إِنَّا كُنْكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴾ .
وهذه الأبيات تُسمى المُنَصِّفَة ، لِمَا تَقَابَلَ فِيهَا مِنْ صِفَاتِ الْجَيْشَيْنِ عَلَى وَجْهِ
التَّعَادُلِ ، وَسَنَنِ التَّصَادُقِ . إِنْ قِيلَ مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ « شِدَّةٌ أُخْرَى » ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ
تَقَدَّمَ لَهُمْ أُولَى ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ تَوَالَى بَيْنِنَا خَمَلَتَانِ : الْأُولَى مِنَّا ،
وَالْأُخْرَى مِنْهُمْ ، لِأَنَّ قَصْدَهُ اقْتِصَاصُ الْحَالِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّهُمْ كَانُوا السَّابِقِينَ وَالْمُبْتَدئين ، فَوَصَفَ شِدَّتَهُمْ بِالْأُخْرَى لِيُعْلَمَ
أَنَّ الْمُتَقَدِّمَ فِي الدُّكْرِ كَانَتْ الْأُولَى .

١٣- وَكَانَ أَخِي جُوبَيْنُ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتِيَانِ زَيْنَا
١٤- فَأَبَاوَا بِالرَّمَّاحِ مَكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسِّيُوفِ قَدْ أَمَحْنَيْنَا

نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ بِحُسْنِ مَحَافَظَتِهِ عَلَى الشَّرَفِ ، وَجَمِيلِ مَدَافَعَتِهِ دُونَ الْعَشِيرَةِ
تَبَيَّنَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَنَّ قَتْلَتَهُ كَانَتْ قَتْلَةً مَحْمُودَةً تَزِينُ وَلَا تَشِينُ . وَقَوْلُهُ :
فَأَبَاوَا بِالرَّمَّاحِ مَكْسَرَاتٍ ، وَأَبْنَا بِالسِّيُوفِ مُنَحْنِيَّاتٍ ، جَعَلَ فِيهِ أَعْلَى الصَّفَتَيْنِ
لِنَفْسِهِ وَذَوِيهِ ^(١) ، وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ مِنْ قَصْدِهِ فِي الْوَصْفِ الْجَزَى عَلَى
سَنَنِ النُّصْفِ ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا رَتَّبَهُ زَهَيْرٌ فِي قَوْلِهِ :

يَطْعَنُهُمْ مَا أُرْتَمَوْا حَتَّى إِذَا أُطْعِنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَنَقَا
أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الطَّعْنَ فَوْقَ النَّضْلِ ، وَالضَّرِبَ فَوْقَ الطَّعَانِ ، وَالْعِنَاقَ
فَوْقَ الْكِفَاحِ . وَكَذَلِكَ فَعَلَ فِي الرَّدِّيَانِ وَالْحَجَلَانِ ، وَفِي وَصْفِ أَخِيهِ بِحُسْنِ
الْحِفَاطِ عِنْدَ قَوْلِهِ « وَرَمَوْا جُوبَيْنَا » فِي مَقَابَلَةِ « وَقَتَلْتُ قَيْنَا » . وَأَمَّا قَوْلُ
الْآخِرِ ^(٢) .

(١) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « لِنَفْسِهِ مِنْ ذَوِيهِ » .

(٢) هُوَ الْحَصِينُ بْنُ الْحَمَامِ الْمُرِّي . الْمَفْضَلِيَّاتُ (١ : ٦٣) .

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرَدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْعِيَّ الْمُقَوَّمَا
فليس من التناصفِ في شيء ؛ إذ كان المعنى : إِنَّا عِنْدَ الطَّعَانِ نُذَوِّبُهُمْ عَنْ
ظُهُورِ الدَّوَابِّ ، فَتَغْنَمُ دَوَابَّهُمْ وَنَفُوزُهَا ، وَهُمْ يَسْتَنْقِذُونَ رِمَاحَنَا لِأَنَّا نَكْسِرُهَا
فِيهِمْ إِذَا طَعَنَاهُمْ ، وَنُجِرُّهَا إِيَّاهُمْ فَيَفُوزُونَ بِهَا . فيقول : انصرفوا وقد تكسرت
رماحهم بالإجْرَارِ ، وَرَجَعْنَا وَقَدْ تَثَنَّتْ سُيُوفُنَا بِأَعْمَالِنَا إِيَّاهَا فِي التَّبْيِضِ وَالدَّرُوعِ
وَقْتَ الْجِلَادِ .

١٥- فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحٌ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا السَّكَلَمَى سَرَيْنَاً
يقول : بَقُوا لِيَلَهُمْ يَثْنُونَ عَلَى الصَّعِيدِ ، وَهُوَ وَجْهُ الْأَرْضِ ، وَلَوْ سَاعَدْتَنَا
الطَائِفَةُ الْمَجْرُوحَةُ مِنَّا ، وَقَدَّرَتْ عَلَى الشَّرَى لَسَرَيْنَا ، لَكِنْ كَلَّا مِنَّا اضْطُرَّ
إِلَى الْإِقَامَةِ وَالتَّلَوُّمِ رِيثَمَا يَثُوبُ إِلَيْهِ الْقَوَى بَعْدَ الْحُوقِ الْجَهْدِ ، وَمُشَارَفَةِ
الرَّدَى . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَحَاحَ الْعَطَشَ ، وَالْمَشْرِفُ مِنَ الْجِرَاحِ عَلَى الْهَلَاكِ يَعْطَشُ .
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَحَاحَ شِدَّةَ الْوَجْدِ مِنَ الْغَيْظِ حَتَّى يُسْمَعَ لَهُ مِنَ الصَّدْرِ
صَوْتُ ، وَهُوَ عَلَى مِثَالِ الْأَذْوَاءِ وَالْأَصْوَاتِ جَمِيعًا ؛ لِأَنَّ فَعْلًا يَكْثُرُ فِيهِمَا .
وَالسَّكَلَمَى : جَمْعُ كَلِمٍ ، وَفَقَلَى يَكُونُ جَمْعًا لَمَّا كَانَ مِنَ الزَّمَانَةِ وَالضَّرَرِ
وَأَنْوَاعِ الْبَلَايَا . وَأَبْنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ تَخْتَلِفُ

١٥٣

وَقَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي^(١) :

١- إِنْ الرِّبَاطَ التُّسْكَدَ مِنْ آلِ دَاخِسٍ كَبُونٌ فَمَا يُفَاحِشَنَّ يَوْمَ رِهَانِ

١ (١) التبريزي : « وقال بشر بن أبي حماد العبسي ، لبي زهير بن جذيمة . ويروى :
بشير » . وفي المؤلف ٦١ « بشير بن أبي جذيمة العبسي ، بضم الباء تصغير بشر » . وقيل
صبغت ترجمة « أبي بن حماد » في الحماسية ١٤٢ .

يُرَوَّى «أَبَيْنَ فَلَا يُفْلِحَنَّ»^(١) ، وَيُرَوَّى «كَبُونَ» أَيْ سَقَطَنَ لُجُوهَهَا . قَالَ :

* فَكَبَا كَمَا يَكْبُؤُ فَتَقُ تَارِزُ^(٢) *

وهذا الكلام تَضَجَّرُ بِمَا أَنْتَجَعَ بَيْنَ ابْنَيْ بَغِيضٍ عَبْسٍ وَذُبْيَانَ مِنَ الشَّرِّ ، فِي الرِّهَانِ عَلَى دَاحِسٍ وَالْغَبَاءِ ، وَدُعَاءٍ عَلَى دَاحِسٍ وَنَسْلِهِ بِأَلَّا تُفْلِحَ فِي خِطَارٍ ، وَأَنْ تَأْتِيَ الدَّجَاحَ فِي سَبَاقٍ ، فَقَالَ : إِنَّ الْخَيْلَ الْمَرْبُوطَةَ الْمَشَائِمِ مِنْ آلِ دَاحِسٍ وَدَاحِسًا ، أَبَتِ السُّبْقَ فِي حَلْبَةِ وَمِيدَانٍ ، وَالْفَلَاحَ يَوْمَ خِطَارٍ وَرِهَانٍ . وَالْمَعْنَى : لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَدْ تَرَدَّدْنَا مِنَ الْبَلَاءِ فِي عَمَائَاتٍ لَا انْكَشَفَتْ لَهَا . وَخَبَرُ إِنْ «جَلَبَنَ بِإِذْنِ اللَّهِ» وَقَوْلُهُ «كَبُونَ فَمَا يُفْلِحَنَّ» أَوْ «أَبَيْنَ فَلَا يُفْلِحَنَّ»^(٣) اعْتِرَاضٌ بَيْنَ إِنْ وَخَبَرِهِ . وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدُّعَاءِ ، فَهُوَ كَمَا يَقَالُ إِنْ زَيْدًا خَذَلَهُ اللَّهُ فَعَلَ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الْاعْتِرَاضِ بِالْدُّعَاءِ قَوْلُ الْآخِرِ^(٤) :

..... مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تَقْدُمُونَ مُقَدَّمًا^(٥)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ كُلُّهُ إِخْبَارًا مَتَجَرَّدًا^(٦) عَنِ الدُّعَاءِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى كَبُونَ وَأَبَيْنَ ، أَنَّهُ حَصَلَ لَهُنَ ذَلِكَ . وَالتَّكْدُّ : جَمْعُ التَّكْدِ . وَالرِّبَاطُ :

(١) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ ، وَرَوَايَةُ التَّبْرِيزِيِّ : «أَبَيْنَ فَمَا يُفْلِحَنَّ» . وَانْظُرْ مَا سَأَلْتُ فِي الْحَاشِيَةِ التَّالِيَةِ .

(٢) لِأَبِي ذُؤَيْبِ الْهَلَلِيِّ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ١٥) . وَعَجِزُهُ :

* بِالْحَبِثِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ *

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي م : «فَمَا يُفْلِحَنَّ» .

(٤) هُوَ الْحَصِينُ بْنُ حَمَامٍ الْمُرِّي . الْحَمَاسِيَّةُ ١٣٢ .

(٥) صَدْرُهُ : * فَتَلَّتْ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ *

(٦) أَتِيرُ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى : «مَجْرَدًا»

مصدر رابطتُ ، ولذلك وقع على الواحدِ والجمع . والآلُ ، ذكر البصريُّون أنه في معنى الأهل ، لا فرقَ بينهما ، وأن تصغيره أهيلُ ، وهذا يُؤذن بأن أصل ألفه هاء . وحكى ثعلبٌ عن شيوخِه أن الأهل ، القرابة ، مُتَّبِعاً كان أو غيرَ مُتَّبِع ، وأن الآلَ المُتَّبِعُ وإن لم يكن ذا قرابة ، فهما للمعنيين . قال : وحكى الكسائي في تصغير الآلِ أوَّيْلُ ، وفي تصغير الأهلِ أهيلُ .

٢ - جَلَبَنَ يَأْذَنُ اللهَ مَقْتَلَ مَالِكٍ وَطَرَحَنَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ

أخذ يعتدُّ اخطالَ المكروهة الحاصلة بها ، فيقول : جَلَبَ سَبَقُ دَاحِسٍ يَعْلَمُ اللهَ تَعَالَى قَتَلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ ، وتطرح قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ إِلَى عُمَانَ . وكان قَيْسٌ نَذَرَ الْأَلَّ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ غَطَفَانِي أَبَدًا ، فدعاه ذلك إلى مراغمة العشيرة ، والتباعد في الغربة . وقوله « يَأْذَنُ اللهَ » من قولك أذنتَ باقومٍ . وفي الحديث : « مَا أذِنَ اللهُ لشيءٍ ^(١) » . وقصدُ الشاعر أن يذكُرَ ما أعقبَ سَبَقَ دَاحِسٍ مِنَ الشَّرِّ ، وألحق من الشؤم . وقوله « جَلَبَنَ » جعلَ اللَّفْظَ لِلْآلِ ، والمراد دَاحِسُ ، لكنَّ لما جعلَ الدُّعاءَ لآله استمرَّ في الإخبار على حاله ولم يغيَّر . وبشبه قول الآخر :

إِنَّ ابْنَ ضِرَارٍ حِينَ أَنْدَبُهُ زَيْدًا سَعَى لِي سَعْيًا غَيْرَ مَكْفُورٍ

أراد : إن ابنَ ضِرَارٍ زَيْدًا ، فذكر الآلَ والمراد غيره . وهم في كثير من المواضع أقاموا الوالدَ مَقَامَ الولدِ والولدَ مَقَامَ الوالدِ ، والعشيرةَ مَقَامَ الواحدِ منها ، والواحدَ مَقَامَ العشيرة ، لأغراض مختلفة ، حين أمِنوا الالتباس . ومما يجانسُ هذا زيادتهم « ذُو » و « حَيٍّ » . أشدُّ أبو زيد :

(١) تمام الحديث ، كما في اللسان : « مَا أذِنَ اللهُ لشيءٍ كَأَنَّهُ لشيءٍ يمتنع بالقرآن » . وقد فسر الأذن ، بالتحريك ، أنه الاستماع .

يَا قُرَّ إِنَّ أَبَاكَ حَيٌّ خَوَيْلِدٍ قَدْ كُنْتَ خَائِفَهُ عَلَى الْإِحْمَاقِ ^(١)
وقال الشَّخَّاحُ :

* فَأَدْمِجْ دَمِجَ ذِي شَطَنِ بَدِيعِ ^(٢) *

وَالْقَصْدُ إِلَى خَوَيْلِدٍ وَإِلَى شَطَنِ .

٣ - لُطْمُنَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ وَجَمْعُكُمْ يَرَوْنَ الْأَذَى مِنْ ذِلَّةٍ وَهُوَ أَنْ

الْمَلُطُومُ دَاخِسٌ ، فَجَرَى عَلَى مَا بَنَى عَلَيْهِ السَّكَلَامُ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ نَسْلِهِ
وآلِهِ . وَكَانَ خُذْبَةُ بْنُ بَدْرِ أَرْصَدَ فِتْنَيْنَا لَهُ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ لَمَّا تَغَالَقَ هُوَ
وَقَيْسٌ عَلَى الْفَرَسَيْنِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ ذَاتِ الْإِصَادِ لُقِّبَ بِشُعْبِ الْخَيْسِ - لَخَيْسٍ
أَكَلُوهُ فِيهِ - وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ جَاءَ دَاخِسٌ مُتَقَدِّمًا سَابِقًا فَالْطُومُ . وَنَهْنَهُوهُ عَنْ
الْعَايَةِ حَتَّى تَتَقَدَّمَ الْعَبْرَاءُ ، فَرَّ بِهِمْ دَاخِسٌ مُبَرِّزًا وَفَعَلُوا بِهِ مَا رَسَمَ لَهُمْ حَتَّى
تَخَلَّفَ عَنِ الْعَبْرَاءِ ، فَاجْتَهَدَ دَاخِسٌ وَتَكَلَّفَ مِنَ الْعَدُوِّ مَا لَحِقَ بِهَا ، وَتَقَدَّمَ
عَلَيْهَا ثَانِيًا فُجَاءَ سَابِقًا . وَقَوْلُهُ « وَجَمْعُكُمْ يَرَوْنَ الْأَذَى » ، يُخَاطَبُ بِهِ بَنِي
عَبْسٍ ، وَإِنَّمَا يَصِفُ مَا نِيلَ مِنْهُمْ وَرَكِبَهُمْ مِنَ الْهَضِيمَةِ فِي فَرَسِهِمْ لَمَّا لُطِمَ ، وَفِي
أَنْفُسِهِمْ حِينَ مُنِعُوا مَا اسْتَحَقُّ لَهُ . وَاللَّطْمُ : الضَّرْبُ فِي الْخَدِّ ، ثُمَّ قِيلَ فَرَسٌ
لَطِيمٌ تَشْبِيهًا بِذَلِكَ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ هُوَ تَمْسُوحٌ بِالْجَمَالِ مُسْحًا . وَذَاتُ الْإِصَادِ
يُرِيدُ الْبُقْعَةَ الَّتِي فِيهَا الْإِصَادُ ، وَيُقَالُ هِيَ رَذَّةٌ بَيْنَ أَجْبُلٍ . وَالرَذَّةُ
كَالْحَفِيرَةِ ^(٣) يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ ، وَالْجَمِيعُ الرَّذَاهُ .

٤ - سَيَمْنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُقْتَلُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ

(١) نوارد أبو زيد ١٦١ .

(٢) صدره في ديوان الشَّخَّاحِ ٦١ :

* أَطَارَ عَتِيقَهُ عَنْهُ نَسَالًا *

(٣) م : « كالحفرة » وأشير في الأصل إلى أنها في نسخة « كالنقرة » .

هذا يحتمل وجهين : أحدهما أنه جعل الخطاب لصاحب الفرس على المجاز والسعة ، والمقصود الفرس ، فيقول : تُنَمَّعُ من السَّبَقِ إِنْ سَبَقْتَ — وهذا إشارة إلى ما كان منهم من لَطَمِ داحسٍ . وقد قُدِّمَ ذِكْرُهُ — فَإِنْ خَفَّتْ قَدَمَاكَ بِكَ وَبَرَزْتَ ثَانِيًا أَتَيْ عَلَيْكَ . ويكون قوله « زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ » على ما فُسِّرَ نَاهُ من قولهم قَدَحُ زَلُولٍ ، إذا كان خفيفًا . فهذا وَجْهُ . والثاني أَنْ يُتْرَكَ الخطاب على ظاهره وَحْدَهُ ، فيكون الْمَعْنَى : سَيُمنَعُ منك الْمُتَفَقُّ عليه من الْخَطَرِ بِسَبْقِ فَرَسِكَ ، فَإِنْ لم يَثْبُتْ قَدَمَاكَ عِنْدَ التَّقَاضِي بِهِ ، وفي الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِكَ فِيمَا يُرَادُ مِنْ ظُلْمِكَ وِيرَامٍ مِنْ هَضْمِكَ قُتِلْتَ أَيْضًا . وهذا أَقْرَبُ وَأَشْبَهُ بِالنَّقِصَةِ .

١٥٤

وقال غلاق بن مروان^(١) :

١ — هُمْ قَطَعُوا الْأَرْحَامَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَجْرُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَلُّوا الْحَارِمَا
قَطَعُوا بِالْتَّخْفِيفِ يَصْلُحُ لِقَلِيلِ الْفِعْلِ وَكَثِيرِهِ ، فَإِذَا ثَقُلَتْ لم يَكُنْ
إِلَّا لِلتَّكْثِيرِ أَوْ التَّكْرِيرِ . وَالشَّاعِرُ يَصِفُ مَا أَجْرَى إِلَيْهِ الْقَوْمَ فِي سَبْقِ داحسٍ
من قِطِيعَةِ الرَّحِمِ ، وَاتِّهَاكَ الْمَحْرَمِ ، وَاسْتِحْلَالَ الْمَحْظُورِ الْحَرَمِ ؛ وَيَقْتَصِّصُ
مَا تَنَقَّلُوا فِيهِ وَتَدَرَّجُوا إِلَيْهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَشِئْنَا بَعْدَ شَيْءٍ . وَقَوْلُهُ « أَجْرُوا
إِلَيْهَا » الْفِعْلُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمُسْكِرِ الْمَذْمُومِ ، وَمَفْعُولُهُ مُحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ أَجْرُوا

(١) التبريزي : « غلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع » . المبهج : « يكون غلاق فعلا من غلق الرهن فهو غلاق ، كعلم فهو غلام ، وسلم فهو سلام . ويجوز أن يكون من أغلق الباب ونحوه ، وهذا أقامها لعزة فعال من أفعل ، إنما إجماع منه أسأر فهو سار ، وأدرك فهو دراك ، وأجبر فهو جبار . وأقصر فهو قصار . وقرا بعضهم : يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد . ومروان : علم مرتجل » .

«فَعَلَهُمْ إِلَيْهَا ، وَالضَّمِيرُ فِي «إِلَيْهَا» لِلْقَطِيعَةِ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى مَصْدَرِهِ .
وهذا كما يُقال : مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، أَيْ كَانَ الْكَذِبُ شَرًّا لَهُ .

٢ - فَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا وَلَمْ تَلِدِي شَيْئًا مِنَ الْقَوْمِ فَاطِمًا

البيتُ على كلامين : صَدْرُهُ إِبْخَارٌ ، وَعَجْزُهُ خُطَابٌ لِفَاطِمَةَ ، وَهِيَ أُخْتُ
لِهَا . وَمِثْلُهُ فِي أَنَّهُ كَلَامَيْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي
لِذُنُوبِكِ﴾ . وَالشَّاعِرُ قَصَدَهُ إِلَى إِظْهَارِ التَّوَجُّعِ مِنَ الْحَالِ ، فَيَقُولُ مُتَمَنِّيًا : يَوَدُّ
إِنْ يَكُونُوا الْوُصْلَةَ وَقَرَابَةَ غَيْرِ وَصْلَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ ، حَتَّى لَا يَبْلُغَ الْجَفَاءَ مِنْ جِهَتِهِمْ
مَبَالِغَهُ فِي نَفْسِنَا ، لِأَنَّ ظُلْمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ تَأْثِيرًا . وَالشَّرُّ إِذَا وَرَدَ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنْ مَظَنَّةٍ الْخَيْرِ كَانَ أَنْفَذَ تَحْزِينًا . فَقَوْلُهُ «كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا»
أَيْ لِقَرَابَةِ أُخْرَى مَكَانَ هَذِهِ الْقَرَابَةِ ؛ أَوْ لِأَرْحَامٍ أُخْرَى مَكَانَ هَذِهِ الْأَرْحَامِ .
وقوله «لَمْ تَلِدِي شَيْئًا» تَمْتَنِي ارْتِفَاعَ الْوُصْلَةِ كَمَا تَمْتَنِي فِي الْأَوَّلِ انْقِطَاعَ الْقَرَابَةِ ؛
كَأَنَّهُ وَدَّ بَعْدَ اسْتِبْدَالِهِم بِالْتَّنَاصُرِ تَدَابُرًا ، وَبِالتَّوَاصُلِ تَقَاطُعًا ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُمْ
غُرَبَاءَ . وَقَوْلُهُ «فَيَا لَيْتَهُمْ» الْمُنَادَى مُحذُوفٌ ، أَرَادَ يَا قَوْمَ لَيْتَهُمْ .

٣ - فَمَا تَدْعِي مِنْ خَيْرٍ عَدُوَّةِ دَاحِسٍ فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبَرَةٍ سَالِمًا

يَكْنَى مَا أَحْمَدُوهُ مِنْ سَبْقِ دَاحِسٍ وَتَبْرِيزِهِ ، وَيُسَوَّى رَأْيَهُمْ فِي تَبْجِيحِهِمْ ،
وَيَعْرِفُهُمْ قُبْحُ عَاقِبَةِ مَا اخْتَارُوهُ ، وَسُوءَ مَقْبَلَةِ مَا شَرُّوا فِيهِ . وَإِنَّمَا قَالَ «مَا تَدْعِي»
لِأَنَّ أَصْحَابَ الْغُبَرَاءِ كَانُوا يَعْلَلُونَ^(١) سَبْقَ دَاحِسٍ وَيَنْكُرُونَهُ ، فَلِهَذَا عَلَنِي مَا حَكَاهُ
عَنْهُ بِالْدَّعْوَى . وَقَوْلُهُ «مِنْ خَيْرٍ عَدُوَّةٍ» أَيْ مِنْ نَفْعِهِ وَسَفَاءِ ذِكْرِهِ . وَقَوْلُهُ
«فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا» رَدَّ الضَّمِيرَ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْعَدُوَّةُ . يَرِيدُ : لَمْ يَرْجِعْ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : «لأن أصحاب الغبراء لأنهم كانوا يعللون» .

إليك منها جَدْوَى ، ولا ارتفع الأمر فيه كَغَفًا . وَأَمَّا فَاتَتِ الْغَنِيمَةَ فِيهِ لَمْ تَحْصُلْ
لَكَ السَّلَامَةُ أَيْضًا .

٤ - شَأْنُكُمْ بِهَا حَيٌّ بَغِيضٌ وَغَرَبَتْ أَبَاكَ فَأَوْدَى حَيْثُ وَآلَى الْأَعَاجِمَ .
قال أبو زيد : يقال شَأْمُ فلانٍ أصحابه ، إذا أصابهم الشُّومُ من قبَلِه .
و « بها » يُريدُ بِالْعَدْوَةِ ، وهذا تفسير قوله : فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبَرَةٍ سَالِمًا .
يَقُولُ : أَوْفَعْتُمْ بِعَدْوَتِهَا وَالْخِطَارِ عَلَيْهَا الشُّومَ فِي حَيٍّ بَغِيضٍ : عَبَسَ وَذُبْيَانَ ،
وَأُخْرِجَ أَبُوكَ - يعنى قيس بن زُهَيْرٍ - إِلَى تَرْكِ أَرْضِ الْعَرَبِ وَمَهَاجَرَتِهَا .
يعنى حين أُخْرِجَ ^(١) وَأُزْعِجَ إِلَى بِلَادِ الْعَجَمِ ، حَتَّى صَارَ يُوَالِيهِمْ بِهَا ، إِلَى أَنْ
مَاتَ غَرْبِيًّا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ . وَأُشَارَ بِقَوْلِهِ « حَيْثُ » إِلَى عُثْمَانَ وَمَا وَرَاءَهُ .

٥ - وَكَانَتْ بَنُو ذُبْيَانَ عِزًّا وَإِخْوَةً فَطَرْتُمْ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ الْجَمَاجِمَ .
يقول : كَانَ بَنُو ذُبْيَانَ لَكُمْ يَا بَنِي عَبَسٍ مَلَاذًا وَعِزًّا ، وَعَتَادًا وَظَهْرًا ،
لَمَّا يَجْمَعُكُمْ وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْأُخُوَّةِ ، فَاطَّرَحْتُمْ مَوَاتَ التَّمَازُجِ وَالتَّشَابُكِ ،
وَتَجَاوَزْتُمُوهَا إِلَى التَّجَادِبِ وَالتَّقَاتِلِ . وَهَذَا تَحْسِيرٌ لِمُخَاطَبٍ فِيمَا انْتَقَلَ عَنْهُ مِنْ
مَوَالِيَةِ الْعَشِيرَةِ ، وَالْإِبْقَاءِ عَلَى الْأَحْوَالِ الْجَامِعَةِ ، وَتَلْفِيفٌ فِيمَا انْتَقَلُوا إِلَيْهِ مِنْ
تَهْيِيجِ الْحَرْبِ ، وَبَسْطِ الْأَذَى وَالشَّرِّ ، وَتَنْبِيهُ عَلَى مَا يَتَعَقَّبُ أَحْوَالَهُمْ إِنْ
اسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا مِنَ التَّفَانِيِ وَالتَّهَالُكِ . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ : فَطَرْتُمْ
تَضْرِبُونَ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ ، فَكَتَفَى بِالْإِخْبَارِ عَنْ إِحْدَى الْفَرَقَتَيْنِ ؛ إِذْ قَدْ
عَلِمَ أَنَّ حَالَ الْأُخْرَى كَحَالِهَا . وَمَعْنَى طَرْتُمْ : تَسَرَّعْتُمْ ، كَمَا قَالَ :

* طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا ^(٢) *

(١) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « أَخْرَجَ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ .

(٢) مِنَ الْحِمَاسِيَةِ الْأُولَى . وَصَدْرُهُ :

* قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيَهُمْ *

٦- فَأَضَحَّتْ زُهَيْرٌ فِي السَّنِينَ الَّتِي مَضَتْ وَمَا بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ إِلَّا الْأَشْأَمَ
أَنْتَ الْفِعْلُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ زُهَيْرِ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا ، وَمَعْنَى يُدْعَوْنَ يُسَمَّوْنَ ،
كَمَا قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

* وَكَفْتُ أَدْعُو قَدَّاهَا الْإِثْمِدَ الْقَرْدَا ^(١) *

يريد أَسَى ، وَلِذَلِكَ تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولِينَ ، فَيَقُولُ : صَارَ أَسْلَافُ بَنِي زُهَيْرٍ
ابْنَ حُدَيْفَةَ وَأَخْلَافُهُمْ لَا يُسَمَّوْنَ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا إِلَّا الْمَشْأَمَ . وَالْأَشْأَمُ : جَمْعُ
أَشْأَمٍ . وَيَقَالُ : جَرَتْ لَهُمْ طَيْرٌ أَشْأَمٌ ، أَيْ جَرَتْ لَهُمُ بِالْشُّؤْمِ . وَقَالَ زُهَيْرُ :
* فَتَنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ ^(٢) *

أَيُّ غِلْمَانِ أَمْرِ أَشْأَمٍ . وَقَوْلُهُ « فِي السَّنِينَ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِأَضَحَّتْ ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ « لَا يُدْعَوْنَ » . وَقَوْلُهُ « وَمَا بَعْدُ » يَرَادُ بِهِ وَفِيمَا بَعْدَ
فَيَكُونُ مَا مَعْطُوفًا عَلَى السَّنِينَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ « مَا » نَصْبًا عَلَى أَنْ
يَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى مَوْضِعِ فِي السَّنِينَ لَا عَلَى لَفْظِهِ ، لِأَنَّ مَوْضِعَهُ نَصْبٌ لِكَوْنِهِ
ظَرْفًا . وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ مَا صِلَةً ، كَأَنَّهُ فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَةِ وَبَعْدَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ
يُرْوَى : « وَمَنْ بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ » ، وَهُوَ حَسَنٌ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ ^(٣) أَنَّ مَا مِنْ قَوْلِهِ
« وَمَا بَعْدُ » لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا صِلَةً وَزَائِدَةً ^(٤) لِأَنَّ بَعْدُ لَمَّا جُعِلَ غَايَةً
وَدَخَلَ النُّقْصَانُ بِحَذْفِ مَا كَانَ مُضَافًا إِلَيْهِ امْتِنَعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى شَيْءٍ
وَخَبَرًا عَنْهُ ، وَإِذَا امْتِنَعَ مِنْ ذَلِكَ امْتِنَعَ أَنْ يَكُونَ صِلَةً لِمَوْصُولٍ ، لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ

(١) صدره ، كما في اللسان (دعا) :

* أَهْوَى لَهَا مَشْتَقَا جَشْرًا فَشَبْرَقَهَا *

(٢) تمامه : فَتَنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ كُلَّهُمْ كَأَحْمَرَ عَادَ ثُمَّ تَرْضَعُ فَتَنْطَلِمُ

(٣) هو ابن جني في التنبيه .

(٤) نص التنبيه : « ينبغي أن يكون ما من قوله : وما بعد ، زائدة ... » الخ .

غَيْرِهِمْ فَكَمْ عَسَى أَنْ أَبْقَى بَعْدَهُمْ . ويقال غَيْرَ إِذَا مَضَى ، وَغَيْرَ إِذَا بَقِيَ .
ويريد^(١) بِالْمَغْبَرِ هُنَا الْبَقَاءُ ، وَيُقَالُ : اقْتَفَرْتُ الشَّيْءَ وَتَقَفَرْتَهُ ، إِذَا تَتَبَعْتَهُ .

٣- وَأَرَى الْغَوَانِيَّ بَعْدَمَا أَوْجَهَنِي أَعْرَضَنْ ثُمَّتَ قُلْنُ شَيْخٍ أَعْوَرُ

الغواني : جمع غانية ، وهي التي تَسْتَفِنِي بِزَوْجِهَا عَنِ الرَّجَالِ ، وَقِيلَ هِيَ
التي تَسْتَفِنِي بِمَحَاسِنِهَا عَنِ الزَّيْثِ بِالْحِلْيِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ الْمُنْزَوَّجَةُ ،
وَأَنشَدَ الْجَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ :

حَبْتُ الْأَيَّامِي إِذْ بُنِيْنُهُ أَيْمٌ فَلَمَّا تَغَنَّتْ أَعْلَقَتْنِي الْغَوَانِيَا
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

* أَرْمَانَ لَيْلَى كَعَابُ غَيْرُ غَانِيَةٍ^(٢) *

والشاعر يقول مَشْكِيًّا مِنَ الشَّيْبِ الْمُفْتَأْضِ مِنَ الشَّبَابِ ، وَمِنَ الضَّعْفِ
التَّابِعِ لَصِحَّةِ الْجِسْمِ ، وَمِنَ السَّقُوطِ وَالْإِنْخِطَاطِ بَعْدَ الْجَاهِ عِنْدَ الْغَانِيَاتِ : أَرَى
النِّسَاءَ بَعْدَمَا كُنَّ يَجْعَلْنَ لِي عِنْدَهُنَّ جَاهًا أَعْرَضَنْ عَنِّي وَاطَّرَحْنِي ، وَأَبْدَلْنِي
بِالْحَمْدِ ذِمًّا ، وَبِالتَّسْمِيَةِ تَلْقِيمًا وَنَبْرًا^(٣) ، فَمَتَى ذُكِرْتُ عِنْدَهُنَّ قُلْنُ هُوَ شَيْخٌ
أَعْوَرُ . وَقَوْلُهُ « أَوْجَهَنِي » مِنَ الْوَجَاهَةِ : الْمَنْزِلَةِ . يُقَالُ وَجَّهَ وَجْهَهُ وَجَاهَةً ،
وَوَجَّهَنِي السَّالِطَانُ وَأَوْجَهَنِي : جَعَلَ لِي جَاهًا وَمَنْزِلَةً . وَرَجُلٌ مُوَجَّهٌ وَوَجَّيْهُ .
وَقَوْلُهُ « شَيْخٌ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدَأَ مُحَذُوفٍ ، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي التَّاءِ
مِنْ ثُمَّتَ وَرُبَّتْ ، وَأَنَّهُ عَلَامَةُ التَّائِيْدِ لِلْقِصَّةِ . وَجُعِلَتْ تَاءٌ مُفْتُوحَةٌ فَرَقًا بَيْنَهَا
وَبَيْنَ الَّتِي تَلْحَقُ الْفِعْلَ وَالْإِسْمَ .

(١) أَشِيرُ فِي الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةٍ : « وَيُرَادُّ » .

(٢) لِنَصِيبٍ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (غِنَا) . وَعَجَزَهُ :

* وَأَنْتَ أَمْرٌ مَعْرُوفٌ لَكَ الْعَزْلُ *

(٣) النَّبْرُ ، بِالْفَتْحِ : التَّلْقِيْبُ ، وَبِالتَّحْرِيكِ . التَّلْبُّبُ .

٣- ورأين رأسي صار وجهها كله إلا قفأى وإحية ما تُضفر^(١)

يقول مستمراً في تكلف الجزع إثر ما تولى من الشَّبَاب ، وباسطاً مَعْدِرَةً النساء فيما استحدثن له : رأيتني قد صَلَّغْتُ وانحسر الشَّعْرُ عن رأسي حتى صار كله كوجهي ، إلا قفأى فإنَّ به نَبْذاً مِنَ الشَّعْرِ ، وإلا لحيه لا تُقام مقام الذَّوَابَةِ في الضَّفَرِ والتَّجَمُّلِ . فقله « لِحْيَةٌ مَا تُضْفَرُ » تَحَسُّرٌ على ما عَدِمَ في رأسه من الضَّفَائِرِ وإن كانت اللحية لم يُعْتَدَ ضَفَرُهَا . وقوله « كله » ارتفع على أنه توكيدٌ لِلْمُضْمَرِ في صار ، أو على أنه اسم صار ، أو على أنه يرتفع بفعله وفعله ما دلَّ عليه قوله « وَجْهًا » كأنَّ المراد توجَّهَ كُلُّهُ ، ويكون كقولك رأيتُ زَيْدًا قَيْسِيًّا أبوه ، أى تَقَيَّسَ أبوه ، وصررت بِسَرَجٍ خَزِيٍّ صَفْتُهُ^(٢) .

٤- ورأين شيخاً قد تحنى صُلبه يمشي فيقعس أو يكب فيعثر^(٣)

يقول : ورأين شيخاً منحنى الصُّلْبِ ، مُحْدَوِدَبَ الظَّهْرِ ، يمشي مِشْيَةً الْقُعْسَانِ إذا استمرَّ في المشي ، أو يتعثر فيسقط لوجهه . وكان الواجب أن يقول : أو يَعرُثُ فيُكَبُّ ، لأنَّ العِثَارَ قَبْلَ السَّقُوطِ للوجه ، لكنَّه لم يُبَالِ بتغيير الترتيب ، لأمنه من الالتباس ، وهذا دون ما يجيء في كلامهم من القلب ، مثل قوله :

* كما أسلَّمت وحشيَّةً وهَمًا *

(١) ابن جني : « يروى كله بالرفع والنصب . فالنصب على أنه توكيد للرأس ، والرفع على أنه توكيد للضمير في صار . والوجه الرفع ، وذلك أنه ليس يريد أنهن رأين رأسه كله ، وإنما يريد أنهن رأين رأسه قد صار كله وجهها . وقد يجوز أيضاً أن يكون كله إذا رفع اسم صار ، حتى كأنه قال : ورأين رأسي صار جميعه وجهها وقد يجوز أن يكون كله صفة أو تأكيداً ، وهو أولى من أن يشاربه العامل ، ألا تراه أخا ما لا يباشر العامل أبداً ، وهو أجمع وأجمعون » . (٢) الصفة : هنة كالمرفقة فوق السرج ، بمنزلة الميثرة للرجل . (٣) يقعس ، كذا ضبطت بضم العين في الأصل ، وهي رواية أبي هلال كما نص التبريزي . وضبط في م . بفتح العين . التبريزي : « ويروى : يقعس . أى يضطرب . ومنه تقعوشة الخيمة ، إذا سقطت » .

وكقول امرئ القيس :

* كَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمَنْزِلِ (١) *

ويقال : قَيْسٌ يَقْعَسُ ، إِذَا صَارَ أَقْعَسَ خِلْقَةً فِيهِ ، وَقَعَسَ يَقْعُسُ قَعْسَانًا إِذَا مَشَى مِشْيَةً الْأَقْعَسِ تَكَلُّفًا ، وَمِثْلُهُ عَرَجَ يَعْرِجُ وَعَرَجَ . وَيُقَالُ : أَكَبَّ زَيْدٌ فَلَا يَتَعَدَّى ؛ وَكَبَّهُ اللَّهُ لَوَجْهِهِ ، وَهَذَا عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَفْعَالِ . وَمِثْلُهُ أَقْلَعَ الْغَيْمُ وَقْلَعَهُ اللَّهُ .

٥ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً عَمِيَاءَ ثُوْقَدُ نَارُهَا وَتَسْعَرُ (٢)

إِنَّمَا قَدَّمَ مَا اقْتَصَصَهُ مِنْ ضَعْفِهِ وَكِبَرَتِهِ ، لِيُرَى الْعُذْرَ فِيمَا يَفْعِزُ عَنْهُ مِنَ النَّهْوِ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، فَيَقُولُ : لَمَّا وَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ كَرِهُوا مَا تَرَدَّدُوا فِيهِ مِنْ فِتْنَةٍ لَا يُهْتَدَى لَوَجْهِهَا ، وَلَا يُقْتَدَرُ عَلَى كَشْفِهَا ، تَسْعَرُ نَارُهَا وَتَتَلَهَّبُ ، وَيُبْتَعَثُ شَرُّهَا فَشْتَمِلُ . وَيَعْنِي بِهَذَا فِتْنَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَعَبْدَ الْمَلِكِ . وَجَوَابُ لَمَّا مُنْتَظَرٌ ، وَهُوَ هُنَا مُحذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ السَّكَلَامُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : انْقَبَضْنَا عَنْ النَّهْوِ فِيهَا وَالْحَرَكَ ، لَنَنْظُرَ مَاذَا تَكُونُ . وَالْفِتْنَةُ الْعَمِيَاءُ : الَّتِي لَا يُهْتَدَى فِيهَا لَوَجْهِ أَمْرِ ، وَفَضْلُ شَأْنٍ . وَالتَّعْمِيَةُ : التَّلْبِيسُ . وَيُقَالُ : هُوَ فِي عَمِيَانِهِ (٣) ، أَيْ عَمَاهُ ، مَصْدَرٌ كَالطُّغْيَانِ .

٦ - وَتَشَعَّبُوا شُعَبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرٌ

شَعَبْتُ يُكُونُ بِمَعْنَى جَمَعْتُ وَبِمَعْنَى فَرَّقْتُ . وَيُقَالُ التَّأَمَّ شُعْبُهُمْ ، إِذَا اجْتَمَعُوا بِهِدٍ تَفَرَّقُوا ؛ وَتَفَرَّقَ شُعْبُهُمْ ، إِذَا تَبَدَّدُوا بَعْدَ تَجْمُعٍ . وَالشُّعْبَةُ : الطَّائِفَةُ ، وَجَمْعُهَا شُعَبٌ . يَقُولُ تَفَرَّقَ النَّاسُ فِرْقًا ، فَصَارَ الْاِخْتِلَافُ لَازِمًا

(١) صدره : * يزل الغلام الخف عن صهواته *

(٢) م : « فسمعر » بالفاء . (٣) هذه الكلمة مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

لأهوائهم ، والتباين مُقْتَرِنًا بآرائهم ، في كلِّ جزيرة أمير المؤمنين ومَنْبَرٌ ،
يدْعُو إلى نَفْسِهِ وَيَحْطُبُ على مَنْبَرِهِ لِجَذْبِ (١) الأمرِ إليه . وقوله « أميرُ
المؤمنين » لفظه مَعْرِفَةٌ لِلإِضَافَةِ الْمُعْتَادَةِ في هذه اللَّفْظَةِ المألوفة على الحدِّ الذي
تَرى ، لكنَّ التَّنوينَ مَنَوِيٌّ ، وإذا كان كذلك كان في حُكْمِ النِّكَرَاتِ .
وإنما ساغ ذلك لأنَّ قوله « أمير المؤمنين » يُشارُ به إلى الحال ، أى فيها أمير
على المؤمنين ، واسمُ الفاعل إذا أُريدَ به الحال أو الاستقبال كانت إضافته على
وجه التخفيف لا على وجه التعريف ، وبصير التَّنوين الذي هو الأصل مُنَوِيًّا
فيه ، وعلى هذا قوله : ﴿ عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ لأنَّ التقدير مُمِطِرُنَا لَنَا . وكذلك
قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ . وعنى بذلك ابنُ الزُّبَيْرِ ونظراءه
مَنْ كَانَ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ في أيام عبد الملك بن مَرْوَانَ . وهذا البيت منعطفٌ بما
فيه على قوله « هَرُّوا فِتْنَةً » .

٧ - وَلَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ إِن هِيَ أَعْرَضَتْ أَنَّا لَنَا الشَّيْخُ الْأَغْرُ الْأَكْبَرُ (٢)

يقول على وجه التَّوَعُّدِ : لَتَعْلَمَنَّ هذه القبيلةُ إِن تَوَجَّهَتْ نَحُونَا أَنَّا لَنَا
هذا الرَّئِيسُ المشهور الشَّانُ ، العَظِيمُ الْأَمْرُ . ويُقالُ : عَنَى بِهِ زُهَيْرُ بْنُ جَدِيمَةَ
الْعَبْسِيَّ . وقيل هو قيس بن زُهَيْرٍ . وَبُرُوِي « إِن هِيَ أَدْبَرَتْ » . والمعنى :
إِن وَاثَتْ وَأَعْرَضَتْ ، فَإِنَّهَا سَتَعْلَمُ أَنَّا نَكْتَفِي مِنْ دُونِهِمْ . ويجوز أن يكون
المرَادُ بِأَدْبَرَتْ : تَرَكْتَ الْحَقَّ . وجواب إِن في قوله : « لَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ » ،
وقد مَضَى مِثْلُهُ .

٨ - وَلَنَا قَنَاءٌ مِنْ رُدَيْنَةَ صَدَقَةٌ زَوْرَاءَ حَامِلَهَا كَذَلِكَ أَزُورُ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « يجذب » .

(٢) في الأصل : « إِن هِيَ أَدْبَرَتْ » ، والوجه ما أثبتنا من م والتبريزي ، كما يدلُّه
عليه سياق الشرح .

قوله : « من رُدَيْنَةَ » أى من رِمَاح ردينة ، وهى امرأةٌ كانت تبيع الرِّمَاح ؛ فحذف المضاف . والصَّدَقَةُ : الصَّلْبَةُ ، والعربُ تَذَكُّرُ الفَنَاءَ وصلابتها واعوجاجها ، وأنها لا تلين ولا تقبل التَّقْوِيمَ والتَّثْقِيفَ ، ضاربةٌ بها المثل فى الخِلاف والإباء ، والامتناع والتَّعَشُّرِ على من يُريدُ إكْرَاهَهُمْ ، والتَّصَعُّبِ على من يُريدُ^(١) تَلْيِينَهُمْ أو الغَضِّ منهم . والمعنى : قَنَاتُنَا لا تَسْتَقِيمُ لِمُقَوِّمٍ ، وحاملُها لا يَنقَادُ لِمُجْتَذِبٍ . وعلى هذا قول عمرو بن كلثوم :

عَشَوَزَنَةُ إِذَا عُحِزَتْ أَرَنْتُ تَشَجُّ قَفَا الْمُقَوِّمِ وَالْجَلِيْفَا^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَامِزٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وهذا الشاعر لم يَرْضَ بِرَضَ بَذَكْرِ الفَنَاءِ وما جَرَتْ به العادة من وصف اعوجاجها ، حَتَّى عَقَّبَهُ بقوله « حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَرْوَرُ » ، فزاد على مَنْ تَقَدَّمَ كَمَا تَرَى ، وإنما أراد التأكيد واللباقة وتبيين قوَّة الامتناع على مَنْ يطلب اقتسارَهُمْ . وهذا كما يَصِفُونَ التَّكَبُّرَ بِالشَّوْسِ وَالصَّعَرِ وَالصَّيْدِ . وقوله : « حَامِلُهَا كَذَلِكَ » من صِفَةِ الفَنَاءِ ، وارتفع حاملها بالابتداء ، وقد أَخْبَرَ عَنْهُ بِمُخْبَرَيْنِ : كَذَلِكَ ، وَأَرْوَرُ . وقوله « كَذَلِكَ » إِذَا وَقَعَ هَذَا الْمَوْقِعَ لَا يُغَيَّرُ ، بَلْ يَكُونُ الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثُثُ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ^(٤) . وأنشد أبو زيد :

(١) م : « يطلب » .

(٢) المقوم ، هى فى م : « المثقف » . وقد أُشِيرَ فى نسخة الأصل إلى أنها فى نسخة أخرى : « المثقف » .

(٣) هو شاعر جاهل كما فى الكامل ١٢٥ ليسك .

(٤) الحق أن هذه إحدى اللغات ، وإلا فهناك لغة المطابقة التى تطابق فيها الكاف المخاطب إفراداً وجمعاً وتذكيراً وأنثياً ، وهى أفصح اللغات . انظر مع الموامع (١ : ٧٦ - ٧٧) وشرح ابن يعين على الفصل (٣ : ١٣٥) وشرح التصريح (١ : ١٢٨) طبع ١٣٤٤ والمغنى (١ : ١٥٥) طبع ١٣٤٨ .

أَمَّا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسٍ وَلَا كَذَا رَجُلًا إِلَّا بِأَصْحَابِي^(١)
وَالْمَعْنَى وَلَا كَمَا أَنَا السَّاعَةَ رَاجِلًا .

١٥٦

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(٢) :

١- قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنِيفِ تَرَوُّحُوا عَشِيَّةً بِنْتًا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحٍ
تَقْدِيرُ الْبَيْتِ : قُلْتُ لِقَوْمٍ رُزَّحٍ عَشِيَّةً بِنْتًا عِنْدَ مَاوَانَ فِي الْكَنِيفِ :
تَرَوُّحُوا . وَالْمَعْنَى بَعَثْتُهُمْ عَلَى السَّيْرِ فِي الرِّوَاكِ ، وَإِنْ كَانُوا مُتَسَاقِطِي الْقُوَى^(٣) .
كَالَيْنَ ، لَا حَرَكَ بِهِمْ ، وَلَا نُهْوُضَ يَقِيمُهُمْ ، هَزَلَى لِتَأْثِيرِ السَّفَرِ فِيهِمْ ، وَظُهُورِ
أَثَرِ الشَّقَّةِ عَلَيْهِمْ . وَوَاحِدُ الرُّزْحِ رَازِحٌ^(٤) ، وَيُقَالُ رَزَحَ الْبَعِيرُ رُزُوحًا ،

(١) فِي نَوَادِرِ أَبِي زَيْدٍ ص ٥ وَكُنَّا عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « بِأَصْحَابِ » ، بِدُونِ إِضَافَةٍ . وَقَدْ
تَكَلَّمَ أَبُو زَيْدٍ عَلَى الْبَيْتِ ، وَنَسَبَهُ إِلَى حَبِيبِ بْنِ وَائِلٍ .

(٢) سَبَقَتْ قُرْبَتُهُ فِي الْحِمَاسَةِ ١٤٥ . وَكَانَ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَمَا فِي دِيوَانِهِ ص ٨٨
وَالْتَّبْرِيزِيُّ عَنْ أَبِي رِيَّاشٍ : « تَتَابَعْتُ عَلَى مَعْدِ سِنَوَاتٍ جِهْدَنَ النَّاسَ جِهْدًا شَدِيدًا ، وَكَانَتْ
غُطْفَانٌ مِنْ أَحْسَنِ مَعْدٍ فِيهَا حَالًا ، وَتَرَكَ النَّاسُ الْغَزْوَ لِحُلُوبَةِ الْأَرْضِ ، وَكَانَ عُرْوَةُ فِي تِلْكَ
الْسَّنِّ غَائِبًا فَرَجَعَ مَخْفِقًا قَدْ ذَهَبَتْ إِبِلُهُ وَخَيْلُهُ ، وَجَاءَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَدْ عَنِ بَعْضِهِمْ عَلَيْهِ عَنَّةٌ ، فَغَدَبَ
مِنْهُمْ رَهْطًا فَخَرَجُوا مَعَهُ فَخَرَجُوا لَمْ يَبْعِرُوا وَهَلَلُوا سِلَاحَهُمْ عَلَى بَعِيرٍ آخَرَ وَقَدْ دَلِمَ بَعِيرًا فَوَزَعَهُ بَيْنَهُمْ
وَخَرَجَ يَرِيدُ أَرْضَ قِضَاعَةَ ، وَقَصْدُهُ قَبْلَ أَرْضِ بَنِي الْقَيْنِ ، فَرَبَّمَ الْمَالِكُ بْنُ حَارِ الْفَزَارِيِّ وَقَدْ نَفَدَ
مَعَهُ فَقَالَ لَهُ مَالِكُ : أَيْنَ تَنْطَلِقُ بِفَتْيَانِكَ هَؤُلَاءِ تَهْلِكُمْ ضَيْعَةٌ ؟ قَالَ : إِنْ الضَّيْعَةُ مَا تَأْمُرُونَ
بِهِ : أَنْ أَقِيمَ حَتَّى أَهْلِكَ هَازِلًا . فَقَالَ : إِنْ أَطَعْنِي رَجَعْتَ عَلَى حَرْسَيْنِ - وَهُمَا جَبَلَانِ فِي أَرْضِ
بَنِي فَزَارَةَ - فَكَانَ طَرِيقُكَ حَتَّى تَأْتِيَ قَوْمِي فَتَكُونُ فِيهِمْ . فَقَالَ : فَا أَصْنَعْ بِمَنْ كُنْتَ عَوْدَتَهُمْ إِذَا
جَاءُوا بِي وَاعْتَرَوْنِي ؟ قَالَ تَعْتَذِرُ فَيَعْتَذِرُونَكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ شَيْءٌ . قَالَ : لَكِنْ أَنَا لَا أَعْذُرُ
نَفْسِي بِتَرْكِ الطَّلَبِ . فَقَالَ عُرْوَةُ يَذْكُرُ شِدَّةَ حَالِ أَهْلِ الْكَنِيفِ وَمَنْ بِمَاوَانَ ، وَقِيَامَهُ بِأَمْرِهِمْ حَتَّى
حَصَلَحُوا ، وَنَذْبَهُ إِيَّاهُمْ حَتَّى خَرَجُوا مَعَهُ » .

(٣) م : « سَاقَطِي الْقُوَى » . (٤) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى « رَزَاحِ » سَاقَطٌ مِنْ م .

إِذَا أَعْيَا، وَإِبِلٌ رَزَحَى، وَقَوْمٌ رِزَاحٌ^(١) أَى مَهَازِيلُ سَاقِطُونَ. وَالْكَئِيفُ :
الْحَظِيْرَةُ مِنَ الشَّجَرِ .

٢- تَنَالُوا الْغَنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنَفْسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاكِحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحٍ^(٢)

قوله « تنالوا » جواب الأمر من البيت الأول ، وهو تَرَوَّحُوا . والمغنى :
سَهِرُوا واجتهدوا تنالوا الغنى ، وتَبْلُغُوا حَدًّا مِنَ الطَّلَبِ يُفِضِي بِكُمْ إِلَى الْمَوْتِ
الْمَرِيحِ الْبَاسِطِ لِعُذْرِكُمْ^(٣) . والمُبَرِّحُ : الْمَلِيحُ الشَّدِيدُ ، ومن هذا وصف الرِّيحِ
بِالْبَارِحِ . ويقال : بَرَّحَ بَى الْحُبِّ ، أَى اشْتَدَّ ؛ وَبَرَّحَ بَى فُلَانٍ ، إِذَا آذَى ؛
وَأَبْرَحَ الرَّجُلُ ، إِذَا أَتَى بِالْبَرْحِ ، وَالْبَرْحُ يَكُونُ الشَّدَّةُ وَيَكُونُ الْعَجَبُ ،
ومنه قول الأعشى :

* أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا^(٤) *

٣- لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيْبَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِجٍ

قوله « لِيَبْلُغَ » تفسير ما قَدَّمَهُ . ويشير بقوله « عُذْرًا » إلى قَاطِعِ الْمَوْتِ
لأنَّ الْمُجْتَهِدَ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ إِذَا حَالَ أَجَلُهُ دُونَ أَمَلِهِ فَقَدْ أَعْذَرَ ، إِذْ كَانَ قَدْ
فَعَلَ مَا عَلَيْهِ^(٥) . وقوله « أَوْ يُصِيبَ رَغِيْبَةً » إِشَارَةٌ إِلَى نَيْلِ الْغَنَى . والرَّغْبُ :
اتِّسَاعُ الشَّيْءِ ، وَمِنْهُ بَطْنُ رَغِيْبٍ . وقوله « وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِجٍ » أَى مِنْ
أَعْذَرَ فِيمَا يَطْلُبُهُ ، أَصَابَهُ أَوْ فَاتَهُ ، فَقَدْ أَنْجَحَ . وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ

(١) هذا الجمع لم يرد في المعاجم المتداولة ، وبديله « رزاحى » بفتح الراء مع قصر آخره .

(٢) الديوان : « من عناء مبرح » .

(٣) م : « إلى موت يريحكم ويبسط عذركم » .

(٤) هو بتمامه في ديوان الأعشى ٣٧ :

تقول ابنتي حين جد الرحيه * لى أبرحت ربا وأبرحت جارا

(٥) م : « إذا كان ما عليه قد فعل » .

وظاهرُ صدر البيت الأول أنه يتكرر به المعنى الذي قدمه فيه ، فليس الأمر كذلك ، لأنه ذكر في الأول إبلاغ النفس من الموتِ حَدًّا يريحه ، ولم يبين من فعل ذلك : هل أنجح أولا . وفي الثاني بين أن المغدير في طلب الشيء كالمُنْجِح ، وأنه إذا استغرق وسعته في طلب ما يهيم به ثم حال دونه حائل فقد أعذر . وفي طريقته قول أبي تمام :

لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

١٥٧

وقال أبو الأبيض العبسي^(١) :

١- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَقُولُنْ فَوَارِسُ وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولُ
قوله « شِعْرِي » اسم لَيْتَ ، وخبره مُضْمَرٌ استغنى عنه بمفعولِ شِعْرِي .
وليت شِعْرِي لا يحى إلا هكذا ، كما أنَّ لولا يحى أبداً محذوف خبر المبتدأ
الذي بعده ، وقد استغنى عنه بحوايه ، وذلك كقولك لولا عبد الله لفعلتُ .
وقوله « هَلْ يَقُولُنْ فَوَارِسُ » سدَّ مسدَّ مفعول لَيْتَ شِعْرِي . ومعنى الكلام
لَيْتَ عَلِمِي وَاقِعٌ : هل يقع هذا القول من الفُرسَانِ في تلك الحال ؟ ومفعول
« يَقُولُنْ » أول البيت الثاني ، وهو قوله « تَرَكَنَا » ، واعتراض بينهما قوله
« وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولُ » ، وموضعه نصبٌ على الحال ، والذي تمى
علمه أنه هَلْ يُقْتَلُ ، فإذا انصرف الأبطال عنه قالوا هذا القول أولاً . وتحقيق
الكلام : ليتنى علمتُ ما يقتضى هذا السؤال من الجواب ، لأنَّ ذاك يهيمُ

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : وكان في أيام هشام بن عبد الملك ، وخرج مجاهدًا في بعض الوجوه فرأى في المنام كأنه أكل تمرًا وزبدًا ودخل الجنة ، فلما كان من الغد أكل تمرًا وزبدًا وتقدم فقاتل حتى قتل » .

لا نَفْسُ السُّؤَالِ . وقوله : وقد حَانَ مِنْهُمْ قُفُولٌ ، أى رُجُوعٌ عن المَفَرَّةِ إلى ديارِهِمْ وَحَيِّهِمْ ، كَأَنَّهُ كَانَ هَمٌّ بِالِاسْتِقْبَالِ ، وَوَطْأَنَ نَفْسَهُ مِنْ مُصَادِمَةِ الْعَدُوِّ^(١) ، وَمُصَادِمَةِ الْقِتَالِ عَلَى مَا غَلَبَ الْيَأْسَ مِنَ الْإِنْصِرَافِ عَنْهُمْ ، لَتَعَرَّضَهُ لِمَا لَا يَسْلَمُ مَعَهُ مِنْ يُبْلَاسِهِ ، فَتَكَلَّمَ بِذَلِكَ . وقوله « يَوْمَ ذَاكَ » إشارةٌ إلى يَوْمِ مَلَاقَةِ الْأَعْدَاءِ . فَإِنْ قِيلَ : هَلْ تُقَدَّرُ فِي الْكَلَامِ بَعْدَ الْإِسْتِفْهَامِ شَيْئًا لِأَنَّكَ إِذَا اسْتَفْهَمْتَ عَنْ شَيْءٍ كَانَ مَا تَسْتَفْهِمُ عَنْهُ وَخِلَافُهُ سَوَاءً عِنْدَكَ ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ مُسْتَفْهِمًا ؟ قُلْتَ : مَعْنَى الْإِسْتِفْهَامِ هَلْ يَقُولُنَّ فَوَارِسُ كَذَا ، وَهَلْ زَيْدٌ عِنْدَكَ ، عَلَى « أَوْ » أَوْ « أَمْ » وَلَوْلَا ذَلِكَ لَامْتَنَعَ الْإِسْتِفْهَامُ . وَنُشْرِحُ الْكَلَامَ فِيمَا يَقْتَضِيهِ هَذَا الْمَوْضِعُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ .

٢ - تَرَ كُنَّا وَلَمْ يُجَنِّنْ مِنَ الطَّيْرِ لَحْمَهُ أَبَا الْأَبْيَضِ الْعَبْسِيَّ وَهُوَ قَتِيلٌ^(٢)
يقول : لَيْتَنِي عَلِمْتُ هَلْ يَقُولُونَ فِي مُنْصَرِفِهِمْ تَرَ كُنَّا أبا الأبيض مصرُوعًا متروكًا بالعرَاءِ ، تَعَفُّوه^(٣) سِبَاعُ الطَّيْرِ وَتَأْكُلُ مِنْ لَحْمِهِ ، غَيْرَ مُسْتَوْرٍ عَنْهَا وَلَا مَمْنُوعٍ مِنْهَا . وَقَدْ اعْتَرَضَ بَيْنَ تَرَ كُنَّا وَمَفْعُولِهِ وَهُوَ أَبُو الْأَبْيَضِ بِقَوْلِهِ « وَلَمْ يُجَنِّنْ مِنَ الطَّيْرِ لَحْمَهُ » ، وَمَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا الْقُدْرُ بَعْدَ الْإِسْتِفْهَامِ هُنَا مِنْ حَرْفِي الْعُطْفِ : أَمْ ، وَأَوْ ، وَكَيْفَ يَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ مَعَ ذَلِكَ الْمَقْدَرِ ؟ قُلْتَ : الْمَعْنَى عَلَى أَوْ ، بِدَلَالَةِ أَنَّهُ يُجَابُ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ بِنَعْمٍ أَوْ لَا ، إِذْ كَانَ الْمُبْنَى عَلَى لَيْتَنِي عَلِمْتُ هَلْ يَقَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ . فَأَمَّا تَقْدِيرُ أَمْ وَهِيَ عَاطِفَةٌ فَلَا يَصِحُّ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، كَمَا لَا يَجُوزُ اللَّفْظُ بِهَا عَلَى جِهَةِ الْمَعَادَلَةِ . وَقَدْ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ :

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَى مُصَادِمَةِ الْعَدُوِّ » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « وَلَمْ نَجْنِسْ » .

(٣) تَعَفُّوه : تَعْتَرِيهِ . وَهَذِهِ رَوَايَةٌ م . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « تَعَفُّوه » .

لا يكونُ أَمْ بَعْدَ شَيْءٍ من حروف الاستفهام سِوَى الألفِ إلّا على كلامين .
وأما تقديرُ أَمْ اللقطة فبعيدٌ ، لأنه لو قُصِدَ لم يكن بُدٌّ من ذِكْرِهِ وذِكْرُ
المُسْتَفْهَمِ به عنه بعده . فاعلمهُ .

٣- وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو ثُرَائِي وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنِّي غَدًا لَقَلِيلُ

يقول : رَبِّ إِنْسَانٍ يُعَلِّقُ طَمَعَهُ بِمِيرَائِي ، ويرجو تحصيله بَعْدِي ، والذي
يَنَالُهُ منه غَدًا — يُشِيرُ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ — قليلٌ غير كثير . وَالْمَعْنَى : إِنِّي
لَا أَذْخِرُ مَالِي بَلْ أَتْلِفُهُ فِي اكْتِسَابِ الْحَامِدِ ، فلا يكون لي ثَرَاثٌ إلّا سِلَاحِي
وما لا بُدَّ لِلْفَارِسِ منه .

٤- وَمَا لِي مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلٌ^(١)

٥- وَأَسْمَرُ خَطَّيْ الْقَنَاقَةِ مُتَمَفِّفٌ وَأَجْرَدُ عُرْيَانُ السَّرَّاءِ طَوِيلُ

نَقَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ يَدْخِرُهُ^(٢) طَوَلَ حَيَاتِهِ ، وَيَرِثُهُ الْوَارِثُ بَعْدَ مَمَاتِهِ
إِلَّا دِرْعَهُ وَبَيْضَتَهُ ، وَسَيِّفًا مَصْقُولًا طُبِعَ مِنْ خَالِصِ الْحَدِيدِ ، وَرُحْمًا حَمَلَتْ
قَنَاتَهُ مِنَ الْخَطِّ — وَهُوَ جَزِيرَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ — وَفَرَسًا قَصِيرَ الشَّعْرِ مُنْجَرِدَ
الظَّهْرِ مِنَ اللَّحْمِ ، مُشْرِفَ الْهَامَةِ ، طَوِيلَ الْقَامَةِ . الْمَغْفَرُ : حَلَقٌ يَتَقَنَّقُ بِهَا
الْمُسْلِحُ ، وَكَذَلِكَ الْغِفَارَةُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : رَفَرَفَ الْبَيْضَةُ . وَأَصْلُ
الْمَغْفَرِ التَّغْفِيَةُ وَالسَّرُّ . وَقَوْلُهُ « غَيْرُ دِرْعٍ » يَجُوزُ رَفْعُهُ ، وَهُوَ الْوَجْهُ ، عَلَى أَنْ
يَكُونَ بَدَلًا ، وَيجوزُ النَّصْبُ عَلَى الاستثناء .

٦- أَقِيهِ بِنَفْسِي فِي الْحُرُوبِ وَأَتَقِي بِهَادِيهِ إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَصُولُ

(١) م والتبريزي : « غير درع ومغفر » . وأشير في حواشي الأصل إلى أنها في نسخة

« ومغفر » .

(٢) م : « يذخره » .

هذا معنى شريف حسن . يقول : أَحْفَظُ مَقَاتِلَ فَرَسِي بِفَخْدَيَّ وَرِجْلِي ،
وَأَتَّقِي فِيمَا ^(١) يَأْتِينِي بُعْثُهُ . والمعنى : من أراد أن يصيب مقتلي جعلت بيني
وبينه عُنُقَ دَابَّتِي ، كما أن من أراد مقتلَ فَرَسِي أَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَخْدَيَّ
وَرِجْلِي . ثم قال : « إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَصُولُ » أى لا أَخْذُلُهُ فى الشدائد ولا أَتَنْفَعُ
به إِلاَّ وَأَنْفَعُهُ . وهذا مَثَلٌ . والعربُ يُسَمِّي ^(٢) سِلَاحَهُ وَمَرْكُوبَهُ خَلِيلًا ،
على ذلك ما أَنشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، وهو :

وَإِنِّي كَمَا قَالَتْ نَوَارُ إِنْ أَجْتَأْتُ عَلَى رَجُلٍ مَا شَدَّ كَفِّي خَلِيلَهَا

١٥٨

وقال قيس بن زهير العبسي ^(٣) :

١ — لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو زِيَادٍ ذِمَارَ أَبِيهِمْ فِيمَنْ يُضِيعُ

اللَّامُ من « لَعَمْرُكَ » لامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وخبر المبتدأ محذوفٌ ، كأنه قال :
لَعَمْرُكَ قَسَمِي . يقول : وبِقَائِكَ مَا ضَيَّعَ لِهَوْلَاءِ الْعَصَابَةِ مِنْ حَقِّ أَبِيهِمْ وَشَرَفِ
أَسْلَافِهِمْ ، ما يوجب التذمُّرَ عند المحافظة عليه فى جُمْلَةٍ مِنْ يُضِيعُ حُقُوقَ آبَائِهِمْ ،
وما أَثَّوَهُ مِنْ مَفَاخِرِهِمْ وَمَحَاسِنِهِمْ ؛ بل حافظوا عليه بما ضَمُّوا مما استحدثوه
وَاطَّرَفُوهُ إِلَيْهِ . وَحَذَفَ مَفْعُولُ يُضِيعُ كأنه قال : فِيمَنْ يُضِيعُ الذِّمَارَ .
وَيُقَالُ : فَلَانَ حَامِيَ الذِّمَارِ ، أى إِذَا ذَمَّرَ وَغَضِبَ حَمِيَّ . وهذا كما يُقَالُ ، هو
ثَبَتُ الْخَبَرِ ، أى إِذَا حَصَلَ فى الْخَبَرِ ثَبَتٌ . وقوله « مَا أَضَاعَ » تَهَكُّمٌ

(١) م : « عما » .

(٢) فى النسختين : « والعرب تسمى » .

(٣) سبقَتْ ترجمته فى الحماسة ٤٤٤ . والتبريزي : « وقال قيس بن زهير فى بنى زياد الربيع ،
وعارة ، وأنس ، وكان يُقال لهم السكلة » .

أو تعريض؛ لأنّ الذين أخبر عنهم أشهرُ أمراً وأعظمُ شأنًا من أن يُقالَ فيهم ذلك .

٢- بَنُو جَنْيَّةٍ وَلَدَتْ سَيُوفًا صَوَارِمَ كُلِّهَا ذَكَرْتُ صَنِيعَ

يَعْنِي وَلَدَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاشِبٍ الْقَبْسِيُّ، يَقُولُ: هُم بَنُو امْرَأَةٍ كَانَتْهَا فِي فَضْلِهَا وَدَهَانِهَا مِنَ الْجَنِّ. وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرَشْبِ الْأُمَارِيَّةِ، وَهِيَ إِحْدَى الْمُنْجِبَاتِ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا كَأَنَّ^(١) قَائِلًا قَالَ لَهَا: «أَعَشْرَةُ هِدْرَةٍ^(٢)، أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ ثَلَاثَةُ كَعَشْرَةٍ» فَلَمَّا انْتَبَهَتْ اقْتَصَّتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَ لَهَا: إِنْ عَاوَدَكَ فَقُولِي: بِلْ ثَلَاثَةُ كَعَشْرَةٍ. فَرَجَعَتْ إِلَى الْمَنَامِ وَرَأَتْ مِثْلَ مَا رَأَتْ مِنْ قَبْلِ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ فِي الْجَوَابِ: بِلْ ثَلَاثَةُ كَعَشْرَةٍ. فَوَلَدَتْ بَيْنَ ثَلَاثَةِ^(٣) صَارَ كُلُّ مِنْهُمْ أَبًا لِقَبِيلَةٍ، وَمُعْظَمًا فِي قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَهُم رِبْعُ الْحِفَاطِ، وَنُجَارَةُ الْوَهَابِ، وَأَنْسُ الْفَوَارِسِ. وَكَأَنَّ جَعَلَ الْأُمَّ جَنْيَّةً لَخُرُوجِهَا فِيمَا أَتَتْ بِهِ عَنْ الْمُعْتَادِ [مِنَ الْإِنْسِ^(٤)] جَعَلَ الْأَوْلَادَ سَيُوفًا. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: هُم أَوْلَادُ امْرَأَةٍ وَلَدَتْ رَجُلًا كَانَتْهُمْ فِي النَّفَازِ سَيُوفٌ

(١) كَذَا فِي م. وَفِي الْأَصْلِ: «أَنَّ».

(٢) ضَبَطْتُ فِي الْأَصْلِ بِالتَّحْرِيكِ، وَفِي م بِكَمْرِ الْهَاءِ، وَفِيهَا لُغَةٌ ثَالِثَةٌ وَهِيَ ضَمُّ الْهَاءِ وَفَتْحُ الرَّاءِ، أَيْ سَاقِطُونَ لَيْسُوا بِشَيْءٍ. وَفِي اللِّسَانِ: قَالَ ابْنُ سَيِّدٍ: وَالْفَتْحُ أَقْبَسُ، لِأَنَّهُ جَمْعٌ هَادِرٌ مِثْلُ كَافِرٍ وَكَفْرَةٍ. وَإِمَّا هِدْرَةٌ - أَيْ بِكَسْرِ فَتْحٍ - فَلَا يَكْسُرُ عَلَيْهِ فَاعِلٌ مِنَ الصَّحِيحِ وَلَا الْمَعْتَلِّ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَبْنِيَةِ الْجَمُوعِ. وَأَمَّا هِدْرَةٌ - أَيْ بَضْمِ فَتْحٍ - فَلَا يُوَافِقُ مَا قَالَهُ النُّحَوِيُّونَ، لِأَنَّ هَذَا بِنَاءٌ مِنَ الْجَمْعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمَعْتَلِّ دُونَ الصَّحِيحِ نَحْوُ غَزَاةٍ وَقَضَاةٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِلْجَمْعِ. وَالَّذِي رَوَى هِدْرَةٌ بِالضَّمِّ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ الْأَعْرَابِ. وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ.

(٣) وَهَذَا يُوَافِقُ السَّجْعَ قَبْلَهُ. وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ، أَوْ أَنَّهُمْ صَارُوا فِيمَا بَعْدَ أَرْبَعَةٍ وَهُمْ الْمُسَمُّونَ بِالْكَلَّةِ. وَالرَّابِعُ هُوَ قَيْسُ الْحِفَاطِ. وَأَمَّا رِبْعٌ فَاْلْمَعْرُوفُ فِي لُقْبَةٍ، أَنَّهُ «رَبْعِيَّةُ الْكَامِلِ». انْظُرْ شُرُوحَ سَقَطِ الزَّنْدِ ٢٠٥١ وَالِاشْتِقَاقَ ١٦٩.

(٤) التَّكْلَةُ مِنْ م.

قواطع ، كل واحد منها ذَكَرُ الحَدِّ ، مَصْنُوعٌ صَقِيلٌ . و « صَنِيعٌ » كما اسْتُعْمِلَ فِي السَّيْفِ اسْتُعْمِلَ فِي الْخَيْلِ . بِقَالَ صَنَعْتُ الْفَرَسَ ، إِذَا ضَمَرْتَهُ .

٣- شَرَى وَدَى وَشَكَرَى مِنْ بَعِيدٍ لآخرِ غَالِبٍ أبدأ ربيع

يقال : شَرَبْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى اشْتَرَيْتُ وَبِعْتُ جَمِيعاً ، وَكَذَلِكَ بَعْتُ بِصَلْحٍ لِلْأَمْرَيْنِ ، وَمَنْ شَرَيْتُ الضَّرَوَى ، وَهُوَ الْمَثَلُ ، لَكِنْ لَأُمُّهُ وَهُوَ يَأْخُذُ قَلْبَتِ وَأَوَّا ، لِأَنَّ قَتْلَى إِذَا كَانَ اسْمًا وَلَا أُمُّهُ يَأْخُذُ يُفَعَّلُ بِهِ ذَلِكَ ، فَرَقًا بَيْنَ الْأَسْمِ وَالصِّفَةِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمُ الْفَتَوَى . فيقول : اشترى ربيع الحفاظ على بُمْدِهِ مَتَى ، وَدَى لَهُ ، وَثَنَائِي عَلَيْهِ وَعَلَى آخِرِ رَجُلٍ يَبْقَى مِنْ بَنِي غَالِبٍ أبدأ^(١) . وقوله « مِنْ بَعِيدٍ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ نَالَهُ إِحْسَانَهُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ شُكْرُهُ وَبَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ وَبُعْدٌ .

(١) وكذا وردت العبارة بتمامها عند التبريزي مما يدل على اعتياده اعتماداً كبيراً على المرزوقي وزاد التبريزي : « وإنما شكر الربيع بن زياد لقيامه معه ، ونصرته إياه في حرب داحس . وذلك أن الربيع قد كان ساوم قيساً على درع له ، والربيع راكب وقيس راجل ، فلما وضعها على قريوسة ركض فرسه ففضى بها ، فلما انتجعوا أخذ قيس بن زهير بزمام أمه فاطمة بنت الخرشب يريد أن يرتنها بدرعه فقالت : أين ضل حلمك يا قيس ؟ أترجو الصلاح فيما بينك وبين بني زياد ، وقد ذهبت بأهم مئة ويسرة ، وقال الناس ما شاءوا ، وحسبك من شر سماعة ! فذهبت مثلاً . وعلم قيس أنها صدقت ، فأرسلها وأغار على إبل الربيع فاستاقها وكان هذا بينهما . فلما قتل حذيفة مالك بن زهير ظن قيس أن الربيع لا يقوم معه بطلب ثأر أخيه لما بينهما من الشحنة . فلما قام معه قال قيس :

* شَرَى وَدَى وَشَكَرَى مِنْ بَعِيدٍ *

أى كان بيني وبينه بعد فأتى العداوة وراء ظهره ونصرني ، للرحم والقراية . وغالب من عبيس . وقال أبو هلال وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي هذه الأبيات لحاتم . وكان قد جاور حاتم زمن الفساد بنى زياد عبد الله بن عبيس ، فأحسنوا جواره ، فقال فيهم هذه الأبيات .

١٥٩

وقال هُدْبَةٌ^(١) :١- إِنِّى مِنْ قَضَاعَةٍ مَنْ يَكِيدُهَا أَكِيدُهُ وَهَى مِنِّى فِى أَمَانٍ^(٢)

ليس يريد بهذا الكلام نسبة نفسه إلى قَضَاعَةٍ فقط ، بل يريد اختصاصه بهم ، وتعصُّبَه لهم . وهذا كما يقال : أَنَا مِنْ فُلَانٍ وَإِلَى فُلَانٍ ، أى ابتدأنى منه واتِّهائى إليه ، فيقول : إِنِّى مُنْتَمٍ إِلَى قَضَاعَةٍ أَهْوَى هَوَاهَا ، وَضَلِّى مَعَهَا ، فَنَ عَادَاهَا أَوْ نَابَذَهَا عَادِيَتُهُ وَنَابَذْتُه ، وهى آمَنَةٌ مِنْ مَكْرُوهٍ وَأَذَى ، إِذْ كُنْتُ أَنْعَطِفُ عَلَيْهَا فِيمَا يَنْبُوهَا ، وَأَعْتَفِرُ زَلَاتِهَا فِيمَا يَتَّفِقُ مِنْهَا . وهذا الكلام فى التنبيه فى الاختصاص ، والإِبانَةِ عن الطاعة والإِخلاص ، من أَبلغِ كلامٍ وَأَكْرَمِ إِنْجَاسٍ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ فَصَّلَ مَا أَجَّلَ ، وَفَسَّرَ مَا أَبْهَمَ بقوله « مَنْ يَكِيدُهَا أَكِيدُهُ وَهَى مِنِّى فِى أَمَانٍ » ؟ وهذا صفة جوارح الإنسان مع جملته وأبعاضه مع كَلِّهِ ، بِدَلَالَةٍ أَنَّهُ يَدَافِعُ مَنْ يَرِيدُ إِصَابَةَ أَحَدِهَا ، ثُمَّ هِىَ آمِنَةٌ مِنْ جَنَائِثِهِ عَلَيْهَا ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا .

٢- وَلَسْتُ بِشَاعِرِ السَّفْسَافِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مِذْرَةُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ

(١) التبريزى : « هُدْبَةٌ بَنُ خَشْرَم » . المبهج : « هُدْبَةٌ وَاحِدَةُ الْهَدْبِ ، وَهِيَ الثُّوبُ . وَلِلْأَرَطَى ... وَالْخَشْرَمُ : جَمَاعَةُ النَّحْلِ ، وَهُوَ أَيْضاً الثُّوبُ وَالْهَدْبُ » . وهُدْبَةٌ ابْنُ خَشْرَمِ بْنِ كَرَزٍ شَاعِرٌ عَذْرَى ، وَكَانَ صَاحِبَ زِيَادَةٍ بَنُ زَيْدِ الْعَذْرَى فِى سَفَرَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ غَرْتَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَكَانَ وَلِىَ دِمَ أَخُوهُ عَيْدُ الرَّحْمَنِ زَيْدٌ ، فَكَتَبَهُ مِنْهُ سَعِيدٌ فَقَتَلَهُ . انظر الأغانى (٢١٠ : ١٦٩ - ١٧٧) ومعجم المرزبانى . ٤٨٣ واللكل ٢٤٩ - ٢٥٥ ، ٦٣٩ - ٦٤٠ والخزانة (٤ : ٨١ - ٨٧) والشعر والشعراء ٦٧١ - ٦٧٦ .

(٢) روى التبريزى خبر هذه الأبيات مسهباً فى نحو تسع صفحات تصور ما كان بينه وبين زِيَادَةَ بْنِ زَيْدٍ مِنْ عَدَاءٍ وَمَكَايِدَةٍ .

يقول : ليس محلى منهم وفيهم محلّ شاعرٍ يُسَفِّسُ الْقَرِيضَ ، ثم يقف
دُونَ غايته باليدِ واللِّسان . والسُّفْسَافُ : ما لا خَيْرَ فيه من الأفعال والأقوال :
وفى الحديث : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ مَعَائِلَ الْأُمُورِ وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا » .
وَالْعَوَانُ مِنَ الْحَرْبِ : الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا سَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . فَإِنْ قِيلَ : أَيْنَ عَجَزَ
الْبَيْتِ مِنْ صَدْرِهِ فِي النِّظَامِ ، وَهَلَّا قَالَ بَعْدَ مَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الشَّعْرِ
الرَّكِيكَ : وَلَكِنِّي شَاعِرُ الْمُتَخَيَّرِ الرِّصِينِ ؟ قَالَتْ : إِنَّمَا الْمُرَادُ ^(١) التَّنْبِيهُ عَلَى
فَضْلِهِ فِيهِمْ ^(٢) وَطَوْلِهِ ، وَعَلَى كِفَايَةِ بَيَانِهِ ، وَعَلَى غَنَاءِ سِنَانِهِ . وَالْحَرْبُ كَمَا تَقَعُ
بِالصَّرَابِ وَالطَّعْمَانِ تَقَعُ بِمَجَادِبَةِ الْحِجَاجِ عِنْدَ النَّفَارِ وَالْفَخَّارِ . وَآثَرُ أَنْ يَقُولَ :
« وَلَكِنْ مِذْرَهُ الْحَرْبِ » لِيَدْخُلَ تَحْتَهُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا . وَقِيلَ : الْمِذْرَهُ هُوَ
السَّيِّدُ الَّذِي يُدْفَعُ بِهِ الشَّرُّ فَيَنْتَظِمُ بِهِ أُمُورُ الْحَرْبِ ، وَيَقُومُ بِأَسْبَابِ الصَّحَابِ .
وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مِنْ دَرَجَةٍ عَلَيْنَا ، أَيْ طَلَعَ . وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ دَرَجَةٍ أَيْ دَفَعَ ،
وَأَنَّ الْهَاءَ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْهَمْزَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ تَعْرِيفًا بِإِنْسَانٍ نَفَى
عَنْ نَفْسِهِ حَالَهُ وَأَنْبَأَ أَنَّ الْأَمْرَ ^(٣) بِخِلَافِهِ .

٣ - سَأَهُجُوا مِنْ هَجَائِهِمْ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَعْرِضُوا مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي

قوله « من سواهم » يتعلق من بهجائهم ^(٤) ، وموضعه نصبٌ على الحال .
ويمحتمل معاني : يجوز أن يريد به مخالطاً لغيرهم ؛ لأنَّ من هذه تكون للملابسة ؛
على ذلك قولهم : أنت مِنِّي فرسخين ، أَيْ أَنْتَ مُحَاطِي . يَقُولُهُ الدَّلِيلُ
وَالْخَفِيرُ ^(٥) . وَيَكُونُ لِلْوَلَاءِ وَالنُّصْرَةِ ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

(١) م : « إِنَّمَا أَرَادَ » .

(٢) كَذَا فِي م ، وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْهُمْ » . (٣) م ، « أَمْرُهُ » .

(٤) م وَالتَّبَرِيزِيُّ : « مِنْ سِوَاهُمْ يَتَعَلَّقُ بِمَنْ هَجَاهُمْ » .

(٥) كَذَا فِي م وَالتَّبَرِيزِيُّ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَقُولُهُ الدَّلِيلُ الْحَقِيرُ » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

فيكون معنى « مِنْ سَوَامٍ » ناصراً لغيرهم . وتكون للنَّسْل والولادة . يقول هُم مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وبعضهم من بعض ، فيكون المعنى منتسباً إلى غير أَصْلِهِمْ . وعلى هذا قوله « وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ » يتعلق مِنْ بِهِجَانِي ، ويكون الكلام في موضعه ومعناه على الحدِّ الذي بيَّناه . من تعرض لهم بمكروه أَوْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَإِنِّي أَدَافِعُهُ عَنْهُمْ ، وَأَعَارِضُهُ دُونَهُمْ ، وَأَقَاتِلُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ مِنْهُمْ ، وَمَنْ تَعَرَّضَ لِي مِنْهُمْ فَإِنِّي أَعْرِضُ عَنْهُ ، وَأَصْفَحُ عَنْ غِيِّهِ فَلَا أُوَاخِذُهُ بِهِ ، حِيَانَةً لَهُمْ ، ومحافظة على ما يجمعني وإياهم .

١٦٠

وقال عمرو بن كلثوم (١) :

١ - مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِجَ مِنَ الْقَتْلِ

مَعَاذَ اللَّهِ ، من المصادر التي لا تكون إلا منصوبة ، وَضِعْتُ مَوْضِعًا وَاحِدًا من الإضافة على مَا تَرَى ، ولا يتصرف . والعياذ في معناه ومن أصله ، وهو يتصرف مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً ، وبالألف واللام . وانتصب معاذ الإله على إضمار فِعْلٍ تُرِكَ إظهاره . ويقولون : عَائِذَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، فيجرى مجرى عِيَاذًا بِاللَّهِ ، كأنه قال : أَعُوذُ بِاللَّهِ عَائِذَا وَعِيَاذَا . ومن أبيات الكتاب :

(١) ليس في حاجة إلى ترجمة . وشهرته شاعراً من شعراء المعلقات شهرة ظاهرة . وهو تغلبى من بني عتاب ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة . انظر ترجمته بإسهاب في الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٨) والخزانة (١ : ٥١٧ - ٥٢١) وشرح شواهد المعنى للسيوطي ٤٤ - ٤٥ والشعر والشعراء ١٨٥ - ١٨٨ .

أَلْحَقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَفَعُوا وَعَانَدُوا بِكَ أَنْ يَعْلَمُوا فَيُطْفَؤُنِي^(١)
 ويُقال : عَذْتُ بِاللَّهِ عَوْذًا وَمَعَاذًا وَعِيَاذًا . ويقال : أَفْلَتَ مِنْهُ عَوْذًا
 بفتحتين ، أى عانداً ، وَأَتَيْتُهُ عَوْذًا . وهذا الكلام تَبَرُّؤٌ مِنْ إظهار الجزع
 على قتلاهم ، واستعمال البكاء والصَّجَّاجِ فِي بُلُوَاهُمْ ، وَتَصَبُّرٌ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ ،
 وانتهاء من تَكَرُّهِ الْقَتْلِ . يقول : نفوذُ اللَّهِ من نَوْجِ نَسَائِنَا على مُتَوَفَّى مِنَّا
 مفقود ، ومن ضجيجنا من القتل والقتال ، وكيف يكون أحدُ هُذَيْنِ مِنَّا وقد
 تَعَوَّدَتْ نَسَاؤُنَا الشُّكْلَ ، ونشأنا في ممارسة الحرب ومزاوتها . وفي طريقته
 قولُ الآخر^(٢) :

إِذَا مَا أَتَنَنْتَنِي مِيتَتِي لَمْ أَبَالِهَا وَلَمْ تُذَرِ خَالَاتِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي
 ٣ - قِرَاعِ الشُّيُوفِ بِالشُّيُوفِ أَحَلَّكُنَا بَارِضٍ بَرَّاحٍ ذِي أَرَاكِ وَذِي أَثَلِ
 الْأَصْلُ فِي الْبَرَّاجِ الْأَرْضُ الَّتِي لَا بِنَاءَ فِيهَا وَلَا عُمرَانَ . وَالْمَقَارَعَةُ :
 مُضَارَبَةُ الْقَوْمِ فِي الْحَرْبِ . وَكُلُّ شَيْءٍ ضَرَبْتُهُ بِشَيْءٍ فَقَدْ قَرَعْتُهُ . وَهَذَا عَلَى
 حَذْفِ الْمُضَافِ ، كَأَنَّهُ قَالَ قِرَاعُ أَصْحَابِ الشُّيُوفِ بِالشُّيُوفِ . أَخْبَرَ عَنْ
 نَفْسِهِ وَذَوِيهِ بِأَن صَبَّرَهُمْ فِي دَارِ الْخِطَافِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُمْ بِأَرْضٍ وَاسِعَةٍ ذَاتِ أَثَلٍ
 وَأَرَاكِ ، وَصَرَّفَهُمْ عَنِ الْإِتِّجَاعِ وَتَطَلَّبِ الْخُلُصِّ فِي الْمَظَانِ^(٣) . وَهَذَا صَرِيحٌ
 مَا قَالَهُ غَيْرُهُ^(٤) ، وَهُوَ :

* أَنْخَنَّا فَاخْلَفْنَا الشُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ^(٥)

- (١) كتاب سيبويه (١ : ١٧١) واللسان (عوذ) . وقد نسب فيها إلى عبد الله
 ابن الحارث السهمي . وانفرد اللسان برواية : « أَنْ يَعْلَمُوا » .
 (٢) هو الشنفرى الأزدي . المفضليات (١ : ١١٠) .
 (٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « وَالْمَظَانِ » .
 (٤) هو يحيى بن منصور . الحماسية ١٠٨ .
 (٥) صدره : * فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا *

والأراك : شجرةٌ تُتخذُ منه للساويك . ويقال : إيلٌ أوارك ، إذا اعتادتْ أكلها . والائلُ أيضاً : شجرةٌ . وهذا كما قال الآخر ^(١) :

وتحلُّ في دارِ الحِفاظِ بيوتنا زَمَنًا ويظعنُ غيرُنا بالأُزُعِ ^(٢)

ونبّه بذِكرِ الأرضِ البرّاحِ على أنّهم غيرُ محتجزين ^(٣) بمُحْصُونٍ ولا قِلاعٍ ، ولا ممتنعين بهِضابٍ ولا حِبالٍ . والائلُ والأراكُ يَنْبُتَانِ في السَّهْلِ أَكْثَرُ ، فَوَكَّدَ بذِكرِهما المُرادَ ، وجعلَ البرّاحَ بدلاً من قوله « بأرضٍ » ولذلك قال « ذى أراكِ » ولم يقلْ ذاتٍ .

٣ — فما أَبَقَتِ الأَيَّامُ مِلْئالٍ عِندَنَا سِوَى جِذَمِ أَذْوَادٍ مُحَذِّفَةِ النَّسْلِ

أراد بالأَيَّامِ الوَقَعَاتِ . وقوله « مِلْئالٍ » أرادَ من المالِ ، فجعلَ الحذفَ بدلاً من الإدغامِ لما التقيَ بالنون واللام حَرْفَانِ مُتَقَابِلَانِ ، الأولُ مُتَحَرِّكٌ والثاني ساكنٌ سَكُونًا لازِمًا . والمعنى : ما بَقِيَ تأثيرُ الحوادثِ وَنَكَبَاتِ الأَيَّامِ عِندَنَا مِنْ أَصُولِ المالِ ومقتنياتها ، إِلَّا بَقَايَا أَذْوَادٍ قَطَعَ الضَّرُّ نَسْلَهَا ، وَنَمَكَّنَ الهُزَالَ وَسُوءَ الحالِ منها ، فهي على شَرَفٍ فَنَاءٍ وَذَهَابٍ . والجِذَمُ : الأصلُ . والأَذْوَادُ : جمعُ الذَّوْدِ ، والذَّوْدُ يقعُ على ما دون العِشْرَةِ . وقال أكثرُ أهلِ اللُّغةِ : إنها تَقَعُ على الإناثِ دون الذَّكُورِ . وبعضهم يجوزُ وقوعَها على الذَّكُورِ أيضاً . وما في البيتِ يَشْهَدُ للأوّلِ .

٤ — ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ فَأَمَّا مَنْ خَلِيلَنَا وَأَقْوَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ ^(٤)

(١) هو الحادرة الذياني . المفضليات (١ : ٨) .

(٢) المفضليات : « ونقيم » . م والمفضليات : « للأمرع » .

(٣) م : « محتجزين » بالراء المهملّة .

(٤) في الأصل : « وأقواتها » . تحريف . ورواية التبريزي : « إلى القتل » .

أراد : أموالنا ثلاثة أثلاث ، فيرتفع الثلاثة على أنه خبرٌ مبتدأ محذوف ، وما بعدها تفسيرٌ لها وتفصيل^(١) . ونَبَّهَ بما أُوْرِدَ وقَسَمَ على الوجوه التي انصرفت إليها أموالهم فأفنتها ، والطَّرِيقُ التي توزَّعَتْها فقلَّلتها ، فقال : افترقت أموالنا فرقاً ثلاثاً^(٢) ففرقةٌ منها صرَّفناها إلى أثمانٍ خيِّلنا لأننا غزَّاءون ، ومُعَالِجُو حُرُوبٍ ، فلا نستغنى عنها ؛ إذ كان جدُّنا وهزْلُنا منها وبها . وفرقةٌ منها حبَّسناها على أقواتنا ومعاشنا ؛ لأنَّ العُقَاةَ والزَّوَارَ كانت تتبايأ وتتناوبُ عليها حتى تستغْرِقَها ، لأنَّ إقامتنا بدارِ الحِفاظِ [شغلَّتْنا]^(٣) عن الغزو واجتذاب الزيادة إليها . وفرقةٌ منها وجَّهناها إلى الدِّيَّاتِ ، وأرُوشِ الجَنَاباتِ التي كَسَبَتْها أيدينا ، واجترَحَتْها رماحنا ، إذ كنا لِعِزِّنا وَمَنْعَتِنَا لَا يُطْمَعُ في الاقتصاد مِنَّا . ومثل هذا قولُ الآخر^(٤) :

* نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا^(٥) *

(١) ابن جني في التنبيه : « أى أموالنا ثلاثة أثلاث ؛ فحذف المبتدأ وحذفه أيضاً فيما يعد في قوله : فأثمان خيِّلنا . أى فثلث أثمان خيِّلنا ، أو فأثمان خيِّلنا ثلث وكذا وكذا وكذا . وجاز أن يقدره على : ثلث أثمان خيِّلنا . فيبتدئ بالنكرة ويخير بالمعرفة ، من حيث كان الغرض إنما هو ثلث أموالنا من ذى ناحية تناولناه . ويجوز أن تعتقد زيادة الفاء فإن ذلك كثير في الشعر والقرآن . فيبدل أثمان وأقوات وما نفقود ، من ثلاثة أثلاث . أى مالنا أثمان خيِّلنا وأقواتنا وما نفقود إلى التثنية . وقال ثلاثة أثلاث ولم يقل ثلاثة أقسام من قبل أن الأقسام قد تكون متساوية وغير متساوية ، فأراد صحة القسمة ، واعتدال المساهمة » .

(٢) م : « ثلاثة » ، وكلاهما صحيح . فإن العدد إذا تأخر عن المعداد جاز فيه المطابقة وعودها . انظر حاشية الصبان على الأشموني ، في أوائل (باب العدد) .

(٣) التكلة من م .

(٤) هو بشامة الهشلي . الحماسية ١٤ .

(٥) صدره : * بيض مفنارقا تغلي مراحلنا *

١٦١

وقال المثلّم بن عمرو^(١) :

١ - إني أباي الله أن أموت وفي صدري هم كأنه جبل

يقول : يا أباي الله عز وجل لي الاخترام وفي نفسي هم عظيم لا أستعي في إمضائه وتنفيذه . ويعني بذلك دما يطلبه ، أو حفدا ينقضه ، أو مئى من عدوه^(٢) يذركه . وهذا الكلام وعيد وإيدان بأنه مجتهد في الطلب ، وراج ألا يحول الأجل بينه وبين الأمل ، بما عوده الله من الصنع والظفر بالملوب . والواو من قوله « وفي صدري » واو الحال . وموضع « كأنه جبل » صفة لله . واللهم يجوز أن يكون مصدر هممت بالشئ ، ويجوز أن يكون واحدا للمؤوم .

٢ - ينعني لذة الشراب وإن كان قطابا كأنه العسل

هذا من صفة الله . يقول : يصدني ذلك الله عن التلذذ بالشراب ، وإن طاب وصار مزاجا كالعسل يستحلى ولا يتكره . ومثله لأبي ذؤيب :

* فجاء بمزج لم ير الناس مثله^(٣) *

(١) التبريزي : « المثلّم بن عمرو التنوخى » ، ثم قال : « تنوخ هم أولاد تيم الله بن أسد ابن وبرة » . المبهج : « تنوخ اسم للقبيلة ، يجوز أن يكون فعولا من تنخ بالمكان ؛ أى أقام به . ويجوز أن يكون تفعل من الإناخة » . وقد ذكره الأمدى في المؤلف ١٨١ والمرزبانى في معجمه ١٨١ . وأنشد الأمدى هذه الأبيات ، ثم قال : « وهذه الأبيات في أشعار هذيل للبريق بن عياض الهذلى » . وتقول : إن هذه الحماسية في بقية أشعار الهذليين ص ٢٥ منسوبة للبريق بن عياض .

(٢) م : « عدو » .

(٣) عجزه في ديوان الهذليين (١ : ٤٢) واللسان والمقاييس (مزج ، ضحك) «

* هو الضحك إلا أنه عمل النحل *

جَعَلَ مَا يُزَجَّ بِهِ مَزَجًا . ورواية الأصمعي « مَزَجًا » بكسر الميم . فالزج كالزجاج والقَطَاب ، سَمَاءٌ بما يُستصلح له من ذلك أو يُفعلُ به من بَعْدُ . وإِنَّمَا قال هذا لِأَنَّ الواحد منهم إِذَا أُصِيبَ بِنِ يَمَسُّهُ أو وُتِرَ فَيَمِينُ يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَخْتَصُّهُ ، كَانَ يَفْقِدُ عَلَى نَفْسِهِ نَذْرًا فِي مِجَانِبَةِ بَعْضِ اللَّذَّاتِ أو أَكْثَرِهَا ، مِنْ مَعَاقِرَةِ الشَّرَابِ أو مَجَامَعَةِ النِّسَاءِ أو مَا يَجْرِي بِجَرَاهَا ، إِلَى أَنْ يَفَالَ الْمُرَادُ ، وَيَحْصُلَ الْمُرْتَادُ . وَيُقَالُ قَطَبْتُ الشَّرَابَ ، أَي مَزَجْتُهُ . وَيُرْوَى : « وَإِنْ كَانَ رُضَابًا » . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ مَاءٌ فَمِنْ مَحْبُوبٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مَاءَ مَحَلِّهِ فِي جَنْبِهِ ذَلِكَ الْحُلُّ مِنَ الشَّرَابِ .

٣ - حَتَّى أَرَى فَارِسَ الصَّمُوتِ عَلَى أَكْسَاءِ خَيْلٍ كَانَهَا الْإِبِلُ^(١)

حَتَّى تَعْلَقَ إِنْ شئتَ بِقَوْلِهِ أَبِي اللَّهِ ، وَإِنْ شئتَ تَعْلَقَ بِمَعْنَى ، وَالتَّعْدِيرُ فِي الْوَجْهِينِ : يَأْتِي اللَّهُ مَوْتِي حَتَّى أَرَى هَذَا الْأَمْرَ ، أَوْ يَعْنِي الِاتِّعَازَ بِالشَّرَابِ حَتَّى أَرَاهُ وَأُشَاهِدَهُ . وَالصَّمُوتُ : اسْمُ فَرَسٍ^(٢) . وَيَعْنِي بِفَارِسِهِ نَفْسَهُ . وَأَكْسَاءُ الْخَيْلِ : أَدْبَارُهَا . وَيُقَالُ هُوَ يَكْسُوهُ وَيَذْبُرُهُ وَيَذْنُبُهُ ، أَي يَكُونُ فِي أَثَرِهِ . وَحِكْيُ الْخَيْلِ أَكْسَانُهُ الْخَيْلِ . وَالْمَعْنَى : لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى أَرَى نَفْسِي تَرَكُضُ فِي أَدْبَارِ خَيْلٍ مِنْهَزِمَةٍ وَتُسَوِّقُهَا ، كَمَا تُسَاقُ الْإِبِلُ . وَقِيلَ شَبَّهَهَا بِالْإِبِلِ فِي عِظَمِ خَلْقِهَا وَإِشْرَافِهَا . وَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا يُرَادُ بِهِ خَيْلٌ مَخْصُوصَةٌ يَتَوَعَّدُهَا وَيَعْنِي عَلَيْهَا .

(١) التَّبْرِيْزِيُّ « وَيُرْوَى : كَانَهَا إِبِلٌ ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْبَاءِ ، وَهِيَ جَمْعُ إِبِيلٍ . وَالْإِبِيلُ = الْعَصَا وَالْخَيْلُ تَشَبَّهُ بِالْعَصَى فِي ضَمَرِهَا وَصَلَابَةِ لَحْمِهَا . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

* كَانَهَا هِرَاوَةٌ مَنَوَالٌ * .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ فَرَسٍ ، أَوْ اسْمٌ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ .

٤ - لا تحسبني مُحَجَّلًا سَبَطَ السَّاقَيْنِ أَبْكِي أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ
 هذا تَوْعْدٌ وتَعْرِيزٌ بِالْمَخَاطَبِ . الْحَجَّلُ ، يجوز أن يكون مأخوذاً من
 الْحِجَلِ الذي هو القَيْدُ ، ومن الْحِجَلِ الذي هو الْخُلْخَالُ ، ويجوز أن يكون
 من الْحِجَلَةِ . والمعنى : لا تظنني إنساناً مُتَرَفِّحاً مُنَمِّعاً لا غِنَاءَ عِنْدَهُ ، ولا كفاية
 لَدَيْهِ ، ولا رَأْيَ يُسْتَنْدُ إليه ، ويعوّل في الهمّات عليه ، فهو في العجز كالمنوع
 المُقَيَّدُ ، وكالمرأة المخلّعة ، وكالخدّار للملازم للحجال والفرش يجرع - لضعف
 نَهْوضِهِ ، وسقوط قُوَّاهُ ، وسوء بصيرته - من ظَلَعَ جَمَلُهُ فَضْلاً من غيره . وقوله
 « أَبْكِي أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ » صَرَفَ الكلامَ إلى الإخبار عن نفسه ، ولو قال
 « يَبْكِي أَنْ يَظْلَعَ » لَتَرَكَ الاستمرار في صفة المحجّل جارياً على حَدِّهِ ، غير
 متحوّل عنه ، وكان الكلام أحسنَ في قِرَانِ النَّظْمِ .

٥ - إني امرؤ من تنوخ ناصره مُحْتَمِلٌ في الحروب ما احتملوا^(١)

قوله « من تنوخ » أى أَنَسِبَ إليها ، وأهوى هَوَاهَا . و« ناصره »
 نَكِيرَةٌ لأن إضافته إضافة تخفيف لا إضافة تعريف ، والتّنين منوئٌ فيه ،
 أراد : ناصرٌ له . وقوله : « ما احتملوا » أراد : ما احتملوه ، فحذف المفعول
 لطول الصّلة . والمعنى : إِنِّي مَخَالِطُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ ، وصابرٌ على ما يصبرون عليه ،
 وناهضٌ تحت العِبءِ الذي ينهضون فيه .

(تم التسم الأول من شرح المَرْزُوقِ للحاجّة)

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : ويروى ناصرهم ، أى ناصر لهم . قال : وهذا
 التسم في أشعار هذيل للبريت بن عياض الهذلي . وقال : إني امرؤ من هذيل » .